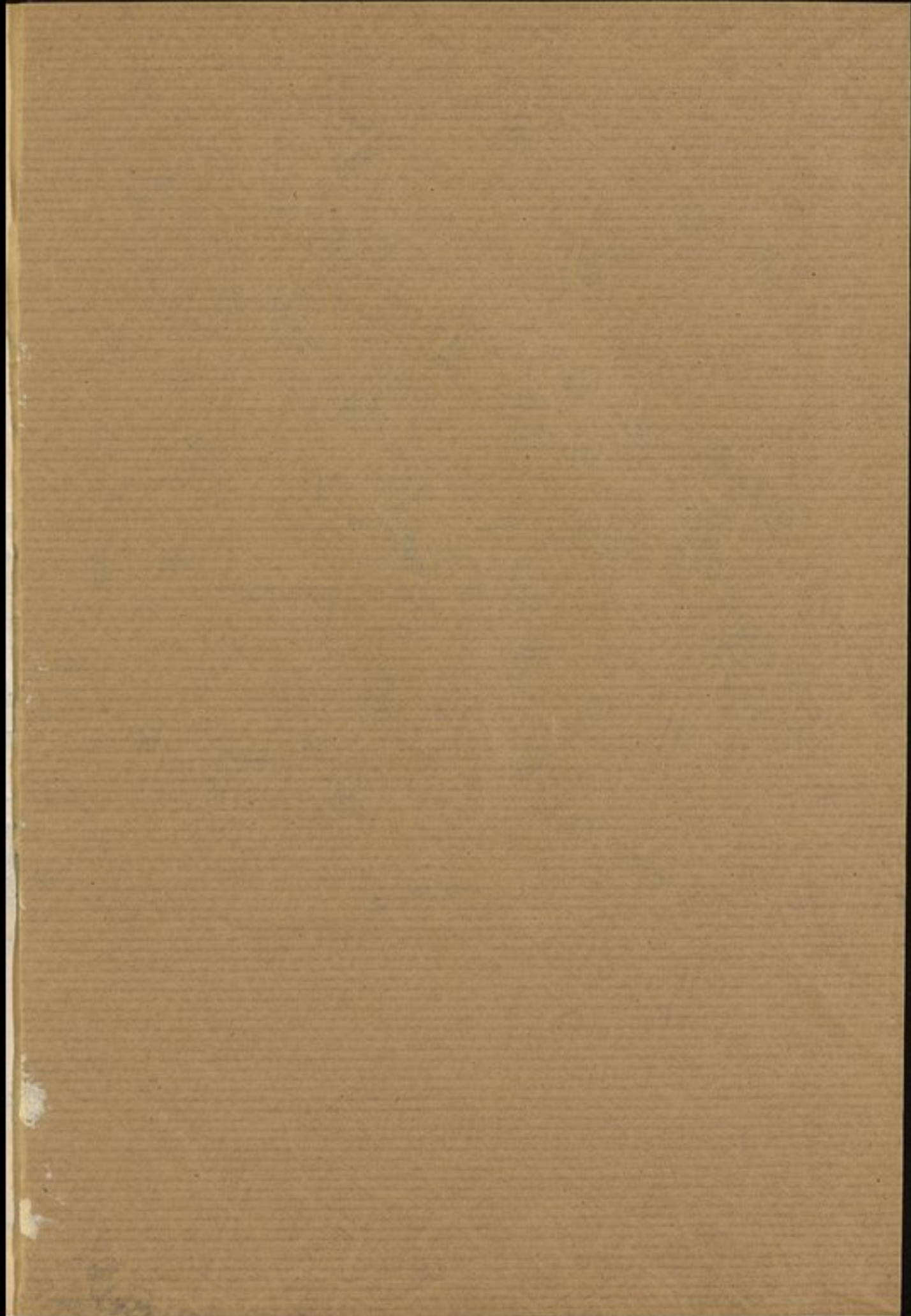




THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY





الجواهر

في تفسير الفرائد الكبري

لمسئل علي عجماني شيخ المآثرنا وغريب الأرباب باهرا

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
مع الله المسلمين بحياة آمين

الجزء التاسع عشر

الطبعة الثانية

١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع مطبعة

مؤيد عظمى الباني الحلبي وأولاده بمصر

مبارك نهاد مصر

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تفسير سورة غافر ( هي مكية )

إلا آتني - إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم  
يبالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير \* خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس  
ولكن أكثر الناس لا يعلمون - فدينان  
( آياتها ٨٥ - نزلت بعد الزمر )

بروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد  
لأهله منزلاً فمرّ بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث  
الأول فهذا أعجب منه وأعجب أفتليل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وأن مثل هذه الروضات  
الدمثات مثل آل حم في القرآن ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لكل شيء لباب وللباب القرآن  
الحواميم » اهـ

### ( هذه السورة أربعة أقسام )

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » غلب في وصف حلة العرش واتصال عالم الملائكة بعالم الانسان إشراقاً وتعلماً وتنظيماً  
لمناسبة ما في آخر ( سورة الزمر ) من أول السورة الى قوله - إن الله هو السميع البصير -  
« القسم الثالث » الاعتبار بالأمم الماضية وتخصيص موسى بالذكر عليه السلام وبني اسرائيل والمؤمنين  
من آل فرعون من قوله - أولم يسبوا في الأرض - الى قوله - وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار -

« القسم الرابع ، غلب فيه النظر في عجائب الحكمة الإلهية من قوله - إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان - إلى آخر السورة ، فيرجع معظم أجزائها ومقصودها إلى العالم الروحي الأعلى فالأنبياء السابقين فعجائب العالم المحسوس

### ﴿ القسم الأول في تفسير البسمة ﴾

لك الحمد اللهم على نعمة العلم والتوفيق ومعرفة بعض عجائب القرآنية والرحات النورية والبهجات الحكيمة والسعادة العقلية والجمال والبهاء والسرور بالإبداع ، أرى أننا أن بين سورة الزمر والمؤمن المتعاقبتين مناسبة بديعة ، ففي آخر الزمر أن الملائكة حافون من حول العرش ، فهناك ذكر للعرش وملائكة حافون وتسبيح وتحميد ، وههنا في سورة المؤمن ذكر الملائكة والعرش والتسبيح والتحميد ، وهكذا ذكر العرش مرة أخرى فيها - رفيع الدرجات ذوالعرش - وبين ما ذكر في آخر سورة الزمر وما ذكر في أوائل سورة المؤمن من العرش والملائكة والتسبيح والتحميد جاءت البسمة وفيها اسم الله واسم الرحمن الرحيم . ههنا رجة جاء ذكرها متخللاً ذكر العرش وما معه ، وكما أن الرجة العامة في البسمة في أول ﴿ سورة ص ﴾ كان انجاءها لإيقاظ لصفة الاخلاص المذكور معناه في آخر سورة الصافات وفي أول سورة ص هكذا هنا الرجة العامة في البسمة متجهة إلى إفاضة العلم والحكمة وتعميم الهداية في نوع الانسان فان أولئك الملائكة الحافين من حول العرش المسبحين بحمد ربهم يستغفرون للذين آمنوا والله الذي أبدع العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ، والرسل بينه وبين الأنبياء هم الملائكة

واعلم أن عروش الملوك لا تقوم إلا على دعامين : دعامة هي أبهة الملك وعظمته وترجع إلى القدرة والجاه ودعامة هي العلم الذي به نظم ذلك الملك ، والمملكة التي لا قوة فيها ولا نظام لها مفككة الأجزاء معطلة واهية ذاهبة ، فكل عرش إنما يقوم على القدرة وعلى العلم . والقدرة تكون بالمال وبالرجال . والعلم يقوم بنظام الحياة الطبيعية والحياة السياسية . فله إذن في أرضنا أربع دعائم . وعرش الله عز وجل مشروح في آية الكرسي ومبناه فيها العلم والقدرة . فإذا كان الله سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يحيطون بشئ من علمه إلخ فذلك كله راجع للعلم وكونه له ما في السموات وما في الأرض ولا يشفع عنده أحد إلا بأذنه فذلك راجع للقدرة . ولقد جاء ذكر العرش في آخر ﴿ سورة التوبة ﴾ في آية - فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - وجاء في أول ﴿ سورة يونس ﴾ - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر - فالاستواء على العرش بالقدرة وتدير الأمر بالعلم . وجاء في أول ﴿ سورة هود ﴾ بعدها - وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء - والمقام هناك واضح في معنى العرش الذي سقنا له الكلام هنا إن كل عرش لا يتم إلا بعلم وقدرة . وإذا كان العرش في آخر التوبة وفي أوائل سورة يونس وهو يدركنا بأن الأمم الإسلامية تولت عروش أمم وقامت بحفظ بلادها . وتلك الأمم هي المذكورة في سورة يونس وهود . فتنكرار العرش هناك في السور الثلاث وتخلل ذكر الرجة في البسمة في أوائلها قد أعقبه أن ملك المسلمين تلك العروش التي في أرض مصر المشار إليها بقصة موسى وهرون فيها وأرض الجزيرة وما بين النهرين من بلاد الآشوريين والبابليين . فهذه كلها الآن بلاد إسلامية وهذه البلاد مشار إليها بقصة يونس إذ كان في نينوى وهي من تلك البلاد . وقد فصلت في سورة هود قصة نوح . ولقد كانت سفينة هناك عند (جبال ارارات) وهذه في تلك الناحية التي قام فيها الكرد اليوم . وهم يريدون الخروج من الدولة التركية . وهذه الجبال في بلاد العراق مما يلي بلاد الترك . ولا جرم أنها بلاد إسلامية إلى الآن . وهكذا فصلت قصة عاد وثمود وقصة

ابراهيم ولوط ومدین وموسى . ولاجرم أن هذه البلاد كلها عربية . وهى اسلامية اليوم . فلوط ببلاد الشام  
وهكذا ابراهيم وعاد وشمود فى بلاد حضرموت وما يلبها ومدین حوالى بحر القلزم وهو البحر الأحمر من جهات  
الشرق . فهذه العروش كلها أصبحت عروشا اسلامية . هذا ما تقدم فى سورة التوبة ويونس وهود  
وهكذا هنا فان العرش الذى ذكر فى سورة الزمر . وفى سورة المؤمن قد ذكرنا بالهداية العامة والملك  
كما تقدم . ألا ترى الى قوله تعالى - يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض - فالملائكة الحافون  
من حول العرش لهم حالان : تنزيه الله عما لا يليق بجماله واستغفار لمن فى الأرض . ومن طلب المغفرة لأحد  
أحب هدايته والملائكة هم الذين يلهمون الناس الخير وهم الذين يكونون سفراء بين الله وبين أنبيائه فهم  
ملقنون الوحي للأنبياء وهم ملهمو الخير للمؤمنين . وترى هذا الأمر واضحاً فى قوله تعالى - ربنا وسعت كل  
شئ رحمة وعلماً - فذكر الرحمة وذكر العلم . ثم يقولون - فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب  
النجيم - الخ

وهذه الصفة العلمية هى إحدى الدعامين اللتين تنقسمان الى قسمين آخرين كما تقدم . وتكون هذه  
الأربعة الدعائم للعروش والدعامة الأخرى هى القدرة ولقد غلبت هنا فى ذكر الأمم السابقة - أولم يسبروا فى  
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً فى الأرض - الخ وفصل  
بعضهم فى خلال قصة موسى إذ قال - مثل ذاب قوم نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم - فهذه القصص  
مفصلة وبجملة ترجع للقصص التى فى سورة يونس وهود بعد سورة التوبة وكلها ذات عروش والعروش قد  
أصبحت للمسلمين . ذكر العرش فى التوبة وما بعدها وذكره فى الزمر وسورة المؤمن للإشارة الى ما وصفنا من  
أن هذه العروش فى تلك البلاد لا تزال الى الآن فى أيدي المسلمين

واعلم أن هذا ان لم يتبعه بنصائح للمسلمين لا يكون العلم به نافعاً ، فانه اذا كان ذكر العرش فى هاتين  
السورتين مشيراً الى ذلك كما أشار فى السور الثلاث السابقة وهى هود وما بعدها من غير عظة تلحقه وعمل يتبع  
العلم ، بقى المسلمون على ما هم عليه يفرحون بما يفتح عليهم من أسرار القرآن ولكنهم لا يحركون ساكناً  
ويتحركون جبل الأمم على غارها ، ونحن نقول أيها المسلمون : هذه الجبابرة وعرفتها ليست تجزينا وحدها  
فالعلم إن لم يتبعه العمل لم يفد الناس . فاذا سمعت أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى  
الأرض فذلك نذكركم أن تبرع فى ﴿ الأمر الأول ﴾ المعرفة العامة بالعلوم الطبيعية والرياضية حتى  
تدرك مجال الله وجلاله فى السموات والأرض بدراسة علوم جميع الأمم حولنا مع إضافة مباحثنا العقلية ،  
وبذلك وحده تدرك معنى قوله تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم - فكيف يكون التنزيه بلا علم  
بالآثار التى أبدعها ، وكيف يكون جد على نم نجمل تفصيلها ، فالجد اللفظى عبادة والمد الحقيقي علم ولا علم إلا  
بالمراسة ومعرفة الحقائق ، والعايد الجاهل قليل المنفعة والعالم هو الذى اتبع الأنبياء وقلد الملائكة المسبحين  
بحمد ربهم ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن تكون نافعاً للناس فلان تكون حياتنا وقفا على العلم وحده لأن ثمرة العلم  
إفاضة الخير على الناس والملائكة الحافون حول العرش كما أنهم يسبحون بحمد ربهم يفيضون الخير على  
أهل الأرض ، ولاجرم أن لنا ضماير وعقولا هى محل إفاضة الخير من الملائكة علينا ، فلنقم بالعلم ولنقم بالعمل  
والعالم كله متشابه منسق ، فليكن العلماء فى الأمم الاسلامية بعدنا متعلمين بجمال العلم بهذا الوجود تفصيلاً  
على قدر إمكانهم أولاً وليكونوا مفيضين على الناس من علومهم ، ويجب أن تكون علومهم شاملة لخبرى  
الدنيا والآخرة حتى يتم جدهم والجد يكون على نعمة ونعمة الدنيا مشاهدة محسوسة . ومن جهل المحسوس  
جهل المعقول . ومن جد بلا علم حمده رياء وقول لفظى ضليل . واذا لم يقد العلماء فى الاسلام بهذه الشرائط  
واستمر المسلمون على نومهم العميق وساموا أعناقهم وتخضعوا للجهلاء ممن لا يعقلون بدائع هذه الدنيا وحكم



خالقها الحكيم فان العروش المذكورة في ﴿سورة المؤمن﴾ المنصبة في سورة يونس وهود التي هي في ابدى المسلمين تيمد ويملكها أم غيرنا وهذا آخر انذار في هذا التفسير للمسلمين  
 الملائكة يسبحون ويعلمون الناس الخير وهم حافون حول العرش هكذا العلماء حافون حول عروش الأمم الاسلامية . اذا هم لم يقوموا بحق العروش من العلم الخيم وافاضة العلم على أم الاسلام . وهذا العلم يلين لاقامة العروش وبقائها فان هذه العروش ساقطة في ابدى الأمم الأخرى . ولقد سقطت عروش الأندلس التي كانت مفرقة عشرين دولة ولم يكن لهم من الدين مايزعهم والشعراء كان لهم بينهم القدر المعلى وقبل ذلك سقطت بغداد التي كان لها السلطان على هذه العروش المذكورة في يونس وما بعدها وهي سورة المؤمن  
 واذا كان عرش الله وهو القائم على كل نفس بما كسبت تحفه الملائكة السبحون المستغفرون لا يفارقونه فكيف يقوم عرش الانسان الضعيف إلا بعلم و بافاضة على الخاضعين للعرش

ومن العجب أن في ﴿سورة التوبة﴾ ذكر لما يوافق اسمها من أن الله تعالى تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار الخ وتاب على الثلاثة الذين خلفوا الخ فهناك توبة وهنأ توبة وغفران للذنوب المذكورين في قوله تعالى - غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - وهنا ذكر للعقاب الشديد وذكر للغفرة وما أنسب هذين بالعرش لأن المستوى على العرش يدبر الأمر ومن يدبر الأمر يعاقب تارة ويغفر أخرى ويتوب على من يشاء وهذا شديد المناسبة بالعرش ولذلك ذكر في آخر سورة التوبة . فالملك يناسبه ذلك غفران وتوبة تارة وعقوبة تارة أخرى وذلك يكون على مقتضى العلم . والعرش انما يبنى على العلم وعلى القدرة ومظاهر هذين تسبيح الملائكة وجدهم واستغفارهم وهم حافون حوله فعلمهم وافاضتهم الخبر على الناس مظاهر وآثار لما فوق ذلك من علم الله وقدرته اللتين بآثارهما أقيم العرش . فانه قادر وعليم والملائكة استمدوا منه والمؤمنون لاسباب علمائهم يستمدون من الملائكة . وفي هذه السورة من المباحث أنواع ،

- (١) جفاج الأرض الواسعة وما فيها من حكم ومحجبات في آية - أولم يسبروا في الأرض - الخ
- (٢) والسموات والأرض في آية - لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس -
- (٣) تفصيل النوع الأول في آية - الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء - . وهنا ذكر صورنا وحسنا
- (٤) تفصيل النوع الثالث في آية - هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه - ففي هذا بيان نمو الانسان حالا بعد حال
- (٥) بيان الأنعام التي تركيبها والتي نأكلها
- (٦) وختم السورة بما يخص السورة كلها من انه أرانا آياته كلها ومن أن سيرنا في الأرض يعرفنا عاقبة الأمم الخ
- (٧) وفي السورة الالتجاء الى الله - فادعوا الله مخلصين له الدين -
- (٨) وفيها ان الله ينصر رسوله ونايبيهم - إنا لننصر رسلنا - الخ وفيها - فوفاه الله سيئات ما مكروا -
- (٩) وفيها تبيان أن الضعفاء يحتجون بأن المستكبرين أضلواهم ويحببهم المستكبرون ويقع الجميع في العذاب
- (١٠) وذلك لأن المدار على الأنواع السبعة السابقة من النظر بالعقل في السموات والأرض ، وخلق الانسان والأنعام . فاذا احتج انسان بأن غيره أضله فحجته داحضة لأنه يقال له : ابن عقلك إذن ؟ فلك أيها الضعيف عقل كما للمستكبر فكيف أمته ؟ ولماذا لم تسرفي الأرض وتنظر العواقب أفليس من عجب أن يكون الله برحمة أنزل القرآن وعلم المسلمين فيه تزيين : تزيين لاذكر للأسباب

معها غالباً وهي الصلوات وأنواع العبادات وهي التربية العملية ، وتربية علمية وهي المباحث التي تكون بها الهداية ، وهذه هي النظرية كالنظر في الأنفس والآفاق الخ وهذه لا يغتفر فيها إهمال العقل ، وهذه يحتاج المستكبرون والضعفاء ويقع الجميع في العذاب ، ولقد علمت أيها الذكيّ فيما نقلناه عن ( كانت ) الألماني في كتاب التربية : « أن التربية العملية أولاً تكون بلا ذكر للأسباب فإذا أکبر الصبي علم الأسباب » وهنا في القرآن - ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة - فهذا أمر في نفسه مدموم وهكذا في القتل جاء في سورة المائدة - من قتل نفساً بغير نفس أفساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً - الخ وجاء في سورة البقرة - ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب -

هذه في التربية العملية فهي اشتملت على ما لم يذكر معه سبب وعلى ما ذكر معه السبب وهذا هو الذي قرره علماء التربية في عصرنا ، فأما التربية العلمية فلانصح إلا بالنظر العقلي ولذلك لما احتاج أهل النار لم ينفع الضعفاء الاحتجاج بالذين استكبروا

أيها المسلمون : إن القرآن مملوء بحكمة وأتم التاركون لها ، وهذه الآيات فيها عجائب ولكن الله تعالى حرمها على الناعمين الساهين اللاهين الذين لا يفكرون ، فكذلك ذكر الله حجة الكفار في النار في هذه السورة وفي سورة سبأ وفي سور كثيرة ، كل ذلك ليوقظ شعور المسلمين الذين ناموا نوما عميقاً ففكروا بعقولهم . إني أنذر المسلمين بهذا التفسير . أنذرهم قبل فوات الفرصة . إن هذا الكتاب قد جاء بين عهدين كبيرين : عهد النوم العميق للأمم السابقة وعهد اليقظة للأمم المستقبلية . وسيستقبل المسلمون أيام العلم والعمل بعد أن استبدروا أيام الجهل والكسل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . كتب صباح يوم الخميس ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٠ انتهى القسم الأول في تفسير البسطة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ القسم الثاني من السورة ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم \* تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم \* غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير \* ما يجادل في آيات الله إلا الذين كَفَرُوا فَلَا يَنْزُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ \* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ \* وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ \* الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَعْلُ الْعَظِيمُ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ • قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ • ذَلِكَ بِمَا نَدَعَى اللَّهَ وَحَدَّهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ • هُوَ الَّذِي يُرِيكُم مآيَاتِهِ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ • فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ • رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنزِّلَ الْيَوْمَ التَّلَاقِ • يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ • الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ • وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِئِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ • يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ • وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ •

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حم) تقم الكلام على الحروف كلها في أول ﴿آل عمران﴾ وفي أوائل ﴿العنكبوت﴾ وما بعدها ويختص الكلام على حم هنا بأنها تشير إلى حمد سبق في آخر الزمر وكما سترى هنا عند قوله تعالى - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا - الخ فرجعت هذه الإشارة الحبيبة إلى استكمال قوة العلم وافاضته على المتعلمين فإن الحمد وتمامه ليس يكون إلا باستكمال قوة العلم ، وكيف يحمد الإنسان على نعمة يجهلها ، وكما كانت الم تشير في العنكبوت وما بعدها إلى تحقيق المباحث العنصرية والوقوف على حقائق هكذا هنا يراد بالحاء والميم استكمال قوة العلم في جميع الفروع إذ لا أحد كاملاً إلا بعد علم بالمحمود عليه ولا تعلم بصدق إلا لمن استكمل العلم ، وهذا هو الذي تشير به حم ولذلك أردفها بقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) بكل المعلومات ، وحمد العبد تابع لعمده بما أبدعه الله تعالى والله يحب من تخلق بأخلاقه والعلم منها (غافر الذنب) سآزته (وقابل التوب) أي التوبة (شديد العقاب) فالأول لمن آمن وأطاع والثاني لمن كفر وعصى (ذو الطول) ذي السعة والغنى والفضل والتم (لإله إلهو) فليقبل الإنسان بكيته عليه (إليه المصير) فيجازى كلا بما يستحق ، وهذه الصفات جعلت بين الترغيب والترهيب لئلا ييأس الناس من

الرحمة ولا يأمنوا مكر الله ، فلما حقق أمر التنزيل سجل الكفر على المجادلين فيه بالباطل . فقد قيل « إن جدالا في القرآن كفر » فأما الجدال لايضاح المتبس فهو مرغوب فيه فقال (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يفررك قلبهم في البلاد) فلا يفررك إيمانهم وقلوبهم في بلاد الشام واليمن بالتجاراات المربحة فانهم سيؤخذون قريبا كما أخذ من قبلهم (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) والذين تحزبوا على الرسل بعد نوح كعاد ونمود (وعمت كل أمة) من هذه الأمم (برسوطهم ليأخذوه) ليقتلوه أو ليأسروه (وجادلوا بالباطل) بما لاحقيقة له (ليدحضوا به الحق) ليزيلوه به (فأخذتهم) بالهلاك جزاء لهم (فكيف كان عقاب) أي فكيف كان عقابي إياهم ، ألم يكن مستأصلا مهلكا وأتم تمرؤن على ديارهم وترؤن آثارهم وفيه معنى التهجيب (وكذلك حقت كلمة ربك) وعيده وقضاؤه بالعذاب (على الذين كفروا) لكفرهم (أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك ، ابتداء الله السورة بصفات العزة والعلم والقدرة الواسعة ، وبذكر الرحمة والعقاب ، ثم أتبع ذلك بمن استوجبوا العقاب وأعقبهم بذكر من عم على التقيض من حالهم فهما على طرفي تقيض ، كفار في أسفل دركات الشقاء وحملة العرش في أعلى دركات العز والهناء فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) أي حاملو العرش والحافون حوله وهم الكارويون أعلى طبقات الملائكة وأولم وجودا ولا معنى للحمل إلا الحفظ والتدبير وذلك يستلزم قربهم من ربهم ومكانتهم عنده وعلوهم على العالمين . الأترى أن كل من كان في الناس أغزر علما وأحسن تدبيرا يكون أرقى منزلة ، فهؤلاء (يسبحون بحمد ربهم) أي يذكرونه بمجامع الثناء :

(١) من صفات الجلال التي هي عبارة عن التسييح أي التنزيه عن مقام المحدثين ككونه لا أول له ولا

آخر لبقائه وانه مخالف للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله

(٢) ومن صفات الاكرام كعلمه وقدرته و ارادته وكلامه ، فالإشارة للأول بالتسييح وللثاني بالتحميد

فالصفات الأولى كمال والثانية مشتمة على التكميل كالخلق والرزق والهبة والهداية وما أشبه ذلك

وقوله (و يؤمنون به) انما ذكر للدلالة على اظهار فضيلة الايمان والاسفعل العرش لا يكون إلا بكمال العلم ، ولا كمال للعلم إلا بعد مبدأ الايمان ، وذلك لأن المقام مقام إبراز أمة وإبرازها انما يكون أولا بالايمان ثم يقبع العلم ، فلذلك قصر الكلام على ذلك فقال (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله المغفرة لهم ومعنى ذلك انهم يحملونهم على التوبة ويلهمونهم ما يوجب المغفرة ، إن هؤلاء الملائكة تمتعون بالقرب من ربهم فهم مدبرون للعالم نظاما جسيما وارشادا علميا ، فالوحى منهم للأنبيا بأمر ربهم ، والاطام منهم لنزوى الفطر القابلة للخير ، ولا يصدهم صاد عن إلهام الخيلا سرى من الناس إلا اذا كانت فطرته تصده عن القبول منهم فيتولى الشياطين هدايته الى طريقهم المؤدى الى الفساد ثم بين الاستغفار المذكور المعبر به عن إلهامهم بما يكون نتيجة له من حيث شمول الرحمة الإلهية العاقمة لهم والمغفرة وادخالهم الجنة مع آبائهم وأزواجهم وذرياتهم اذا صلحوا كصلاحهم ، وهذا البيان هو قوله يقولون (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) فان كل حيوان مثلا قد ألهم ما به صلاحه الموافق له وفطر عليه والانسان بعدت طريقه ونحن نجد في هدايته الى الصراط المستقيم بالاطام والارشاد (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) لاستعداد فطرهم لقبول الهداية من الرسول وخلفائه ومن الاطام التي توجهها اليهم (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم) إياها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على هم من أدخلهم (إنك أنت العزيز الحكيم) الملك الذي لا يظلم وأنت مع ملكك وعزتك لاتفضل شيئا خاليا عن الحكمة ومن موجب حكمتك أن تدخل معهم من صلح من آلهم ليتم سرورهم وأن تتم وعدك الذي وعدت (وقهم السيات) أي المعاصي في الدنيا (ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته) ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة (وذلك

هو الفوز العظيم) أى النعيم الذى لا ينقطع فى جوارمليك لانصل العقول الى كنه عظمته

( فصل فى ذكر نتائج الكفر )

لما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال الكافرين فى الدنيا ، و بين موجبات الهداية والعناية المبذولة من حلة العرش وصفوف الملائكة بالالهام مع تدير الملك واهتمامهم بهداية الناس أتبعه بما هو النتيجة اللازمة لذلك وهى ان هؤلاء يندمون حين يوضعون فى المركبات التى هم أولى بها فى جهنم فقال (إن الذين كفروا ينادون) يوم القيامة وهم فى النار وقد مقتروا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعابنوا العذاب فيقال لهم (لما كنت الله) إياكم فى الدنيا والآخرة (أ أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون الى الإيمان فتكفرون \* قالوا ربنا أمتنا) إمانتين (انتمين وأحييتنا انتين) أى أمتنا فى الدنيا ثم أحييتنا فى القبر لسؤال ثم أمتنا فى البرزخ وأحييتنا للبعث لأن الانسان عند الموت يخلع هذا الهيكل الجسمى وتبقى الروح بالجسم الأثيرى اللطيف المعائل لأجسامنا الأرضية ، فهذا موت وانتقال من حال الى حال مغاير كل المغايرة ، وهناك يرى الانسان الجحائب الكامنة فى جسده الروحى ، ويرى صور أعماله السابقة من سبته بادية العار والشار ظاهرة القنارة والحقارة فيلحقه منها خزي لا يطاق وعذاب روحى ونار جسمية ملازمة له ملازمة الظل للشبح والهواء للأجسام الأرضية ، ومن حسنة تظهر موقفة بهجة متلاثة هية تهيج من رآها كالسكواكب الدررية تسر الناظرين ، ثم إن هذه الحال البرزخية يحصل فيها انتقال وتغير ، وربما ظهرت حال جديدة للأرواح تبدل فيها تبدلا عظيما كالتبدل الذى حصل بموت الأجسام فيعتبر موتا ثانيا ثم يبعث الناس فتكون حياة ثانية ، فاذن يكون هناك موتان بين الأول والثانى حياة برزخية وبعد الثانى حياة يوم القيامة ، وعلى ذلك تكون لنا أنواع ثلاثة من الحياة لأن الحياة الدنيا لم تذكر فى هذا المقام وربما كانت تبدلات الانسان فى الحال البرزخية كثيرة جدا لسرعة أحوال الأرواح فنبه على ذلك بذكر أعظم تبدل فيها فسماه موتا والا فالأنفس حية فى الحياة الدنيا وبعد مفارقة الأجساد ويوم القيامة ، وهذه الآية فيها رموز مجيبة سيظهرها المسلمون بقراءة علم الأرواح واستحضارها بعد مفارقتنا هذه الدنيا ورجوعنا الى الحال البرزخية لأنهم اليوم ونحن أحياء ليس عندهم من الوقت ما يتفردون به لمثل هذه العلوم ، وأمم الغرب اليوم تطاردهم وسيخلصون منها إن شاء الله قريبا وبعد ذلك يقرؤون هذا التفسير وأمثاله قراءة أتمم ويشرعون فى المباحث العلمية ويدخلون جنة علمية عالية فى الدنيا ثم يتمتعون بروضات الجنات البرزخية ويلحقوننا إن شاء الله تعالى هناك جيلا بعد جيل

ولما كانت أحوال الأئفس البشرية وتقلباتها فى البرزخ ويوم القيامة تكون قدأملت عليها دروسا عالية قاسية لظهور الحقائق لها تحملهم على الاعتراف وطلب الخروج من النار أعقبه بقولهم (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج) من النار (من سبيل) طريق نسلكه فيجربون بأنه لاسبيل الى الخروج (ذلكم) العذاب (بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به) غيره (تؤمنوا) أى تصدقوا ذلك الشرك (فالحكم لله العلى) الذى لا أعلى منه (الكبير) الذى لا أكبر منه (هو الذى يريك آياته) عجائب مصنوعاته لتكملوا أنفسكم بمعرفتها (وينزل لكم من السماء رزقا) أى المطر لأنه سببه ، فحجائب المصنوعات لأمرين : ترقية العقول ، وترية الأجسام ، والثانى عام ، والأول خاص وهذا قوله (وما يتذكر) يتفكر فيرقى نفسه بهذه العجائب (إلا من يفتب) يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكير فيها ، ولما كان فريقى المنبيين هو الذى تتجه العناية لارتقائه فى القرآن والحكمة أردفه بما يناسبه فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك الخفى والجلي (ولو كره الكافرون) اخلاصكم وشق عليهم هو (زفيع الدرجات) أى هو مرتفعة درجات كاله فوق المحسوس والمعقول ، وهكذا مراتب مخلوقاته الجسمية رفيفات درجاتها طبقا عن طبق وكذلك الروحانية من صفوف النفوس الانسانية والملائكة فهؤلاء جميعا درجات بعضها فوق بعض ارتفاعا الى أن تقف دونه العقول (ذوالعرش)

الذي هو أصل العالم فهو في قبضة قدرته ، وقوله (يلقى الروح من أمره) خبر رابع لقوله - هو الذي يريكم - يقول الله انه يرينا الجحائب وهو مرتفع الدرجات ورافع درجات الخلق والعرش في قبضته ويلقى الوحي بأمره (على من يشاء من عباده) أي من يختاره للنبوة (لينذر يوم التلاق) إذ تلاقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والعمال والأعمال (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم وظاهرون لا يسترهم شيء وأعمالهم وسرايرهم مكشوفة لا يحجبها نفاق ولا رياء (لا يخفى على الله منهم شيء) من أعمالهم وأحوالهم ، وحينئذ تنطق الحال بهذا السؤال (لمن الملك اليوم) واذن تجيب هي (لله الواحد القهار) فهو وحده قهر الخلق بالموت وبالبعث وبالخسر ، ولا جرم أن إلقاء الوحي بهذه المعاني على الأنبياء إنما يكون لرفع درجات النفوس الأرضية وخلقها بما هو أعلى منها ، فإذا كان الله رفيعا درجات كإله رافعا عالم الكواكب طبقات بعضها فوق بعض كما رأيت فيما مضى في هذا التفسير ورافع درجات الأرواح والملائكة فانه بهذه النفوس الرفيعة والأرواح الشريفة يهبط نفوسا أخرى لتلحق بها فيوحى بواسطة الملائكة الى الأنبياء والناس يستمعون الوحي فيرتفعون الى درجات أرقى مما هم عليه ، هذا هو الذي يقتضيه نظم الآية منسجما عجيبا ، ثم ذكر نتيجة فقال (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) فلا يرى المرء إلا ما كونه في نفسه من عقيدة أو علم أو حال فيرى كل ذلك منقوشا معقورا في جسمه كما يحس الآن في هذه الحياة بذلك من حسد وعداوة وطمع وشرة وكبرياء ، فكل ذلك منقوص للإنسان في حياته لاحق به بعد موته بحيث يحس الإنسان به ويشعر ويكون سوائل معنوية في عالم الأثير مختلفة كاختلاف ألوان النبات وروائحهم وهكذا أنواع العلم والحكمة والفضائل الخلقية من الكرم والصفح والآداب جميعها ترى لها سوائل أثيرية معنوية أشبه بالسوائل المغناطيسية ترتشح من النفس ولا تفارقها كما لا يفارقها في هذه الدنيا من هذه الصورة الجسمية أشكالها وألوانها وأطوارها ونسبها وقيلتها ، وذلك كله جاء في علم الأرواح في العصر الحاضر ، وهذا معنى قوله (لا ظلم اليوم) وذلك لأن الله لما كان رفيع الدرجات وقد رفع درجات العوالم الروحية فها هو ذا سخرها لترفع الأرواح التي هي ضعيفة في الأرض تعيش مع الحيوان وهي في نظام كله هرج ومرج الى عالم أرقى من عالم الأجسام ، فإذا ماتت ظهرت بمظهرها الذي وصلت اليه على مقدار طاقتها كما يظهر الطفل بمظهره عند أبيه من النقص والضعف ، فالعذاب الذي يعترى النفوس الانسانية بعد الموت هو من لوازمها وهكذا النعيم ، إن الله تعالى مرهبي العالمين ورافعهم من أدنى الى أعلى ، وفي أثناء رفعهم يرسل بعضهم وتظهر فضائحه وقبائحهم أثناء سفره ويحصل للمجرمين عذاب لا يطاق فإن الانسان اذا ظهر بعد الموت يظهر قبيح اشمازت منه نفوس أصحابه ورأوه بغير العين التي كانوا يرونه بها وأصبح في ذلك لا يحتمل واشتعلت النار الجسمية والمعنوية معا ، وقد يرى الأمير أن عبدا من عبيده فضل عليه بأخلاقه التي اكتسبها وطار الى العلا وخلفه مع الجمادات ، فأى ذل وأى عار وأى مهانة بعد هذا كله ؟ فلا ظلم إذن فكما اتنا لما خلقنا في الأرض وكان منا نساء ورجال ، وكان فينا الجليل والقصير والطويل والمرضى والصحيح وما لا ينهائى من الأوصاف والأحوال ، لم تقل إن هذا الاختلاف ظلم والا لكان معنى ذلك أن الوجود كله خطأ ، هكذا نقول في أحوال الأرواح بعد الموت فكل من يكون على شاكلته الروحية الحقيقية ، فكما لا اعتراض في الاختلاف الجسمى هكذا لا اعتراض في الاختلاف الروحي فيكون قوم في نعيم وقوم في عجزهم ولا اعتراض كما لا اعتراض اذا قلنا في الأرض فراش وابل وحيوانات برية وأخرى بحرية وآساد فأنسك وغزلان ما كولة مع ان الانسان لوقيل له : أتموت أم تكون ناموسة أو جرادة ؟ لا يرضى إلا بالموت وكذلك الجرادة لا تطلب أن تكون انسانا لأنها تجهله ، فإذا عرفت الجرادة والتملة والحمامة مرتبة الانسان وحرمتم منها فهناك الطامة الكبرى والعذاب والذلة والمهانة وهناك تكون نار الخزي ونار العذاب ، فالأرواح الأرضية بعد الموت التي هي ضعيفة ليست كالجراد في الحياة الدنيا بل هي تحس وتعرف المراتب ، وهنا تتجلى نار الخزي

ونارجهم ، ولكن نراهم أشد كما يحس الانسان في الدنيا بالعار اذا لوت سمعته وضاع صيته وبجده وشرفه ولكن في الدنيا يتخلص بالموت ولكن في عالم الأرواح لا يقدر على التخلص من الحياة فيه . وهذا يفهمنا قوله (إن الله سريع الحساب) فيصل كل الى ما يستحقه سر يعا . ولهذا المعنى الذي قررت لك تفهم قول سيدنا على - كرم الله وجهه لما سأله سائل : « كيف يحاسب الله الناس كلهم ؟ قال كما يرزقهم كلهم » وقوله (وأندهم يوم الآزفة) القيامة سميت بذلك لازوفها أى قربها (إذ القلوب لدى الحناجر) إذ ترتفع عن عن أما كنها فلتنصق بحلوقهم من الخوف فلاهي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحووا حال كون أصحاب القلوب ( كاطمين ) على النعم أو مسكين بخناجرهم (ما للظالمين من حليم) قريب مشفى (ولاشفيع بطاع) ولاشفيع مشفع (يعلم خاتمة الأعين) النظرة الخاتمة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه (وما تخفى الصدور) من الضمائر (والله يقضى بالحق) وقد عرفته فيما مضى في هذا المقام (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) نهكم بالأصنام لأنها جاد (إن الله هو السميع البصير) فيعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور وأما الأصنام فلاسمع لها ولابصر فكيف تقضى بحق أو باطل ! انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ لطائف : في قوله تعالى حم وفي قوله - الذين يحملون العرش ومن حوله - الخ وقوله تعالى

- رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده - ﴾

تبين لك فيما تقدم في هذا التفسير أن الحروف في أوائل السور قد جعلت رموزا وعرفت في كثير من السور كيف كانت تشير الى مقاصد لرفي المسلمين كما ترى في ﴿سورة البقرة﴾ - الم - للتنبية على جهاد بني اسرائيل في قوله - ألم تر الى الملائكة - الخ ولتوجيه الهمم الى بحث حقائق الجباب الكونية في قصة الخليل والعزير كما سبق شرحه مرارا وهكذا في ﴿سورة العنكبوت﴾ قد رجع رمزها الى البحث في عجائب العناصر وكيف كان لها نظام كشفه العلامة (مندليف الروسي) وتبعه العلماء وهكذا في يس وص . فأما هنا فان الأمر أعجب . وكيف لا يكون أعجب ونحن نرى في آخر ﴿سورة الزمر﴾ قول الله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم - وقد وضعوا مراتب كما جعلت أرواح الناس مراتب في الدنيا وهم يسبحون ويحمدون ، وقد عرفت أن ذلك كله عبارة عن العلم بالجلال والاكرام ، ولا معنى لمعرفة صفات الاكرام إلا بدراسة الجباب الالهية ﴿وبعبارة أخرى﴾ دراسة العلوم التي امتازت بها أوروبا علينا . هذا هو الذي ينهم من التسبيح والحمد ، فأما الملائكة فعلاهم طبعاً فوق طاقتنا ، وترى السورة ختمت بقول الملائكة والمؤمنين « الحمد لله رب العالمين » وكيف يحمد المؤمنون ربهم جدا حقيقيا إلا اذا عرفوا نظام مخلوقات إذ لا يحمد المحسن إلا على مقدار ما عرف الخادم من آثاره الواصلة اليه والى غيره . هذا هو الذي جاء في آخر ﴿سورة الزمر﴾ ثم قال في أول ﴿سورة غافر﴾ - حم - حرفان من الحروف الأربعة عشر مشيرا الى الحمد أى حمد المؤمنين وحمد جملة العرش ﴿وبعبارة أخرى﴾ مشيرا الى العلوم الطبيعية والفلكية التي هي أقرب اليانحن في الأرض . فانظر ماذا تم بعد ذلك ؟ أعاد الكرة في أوائل السورة فذكر جملة العرش ونسبهم بحمد ربهم واجتهادهم في ارتقاء أهل الأرض وحبهم لاسعادهم

انظروا وتجب ، فاني سأريك الساعة عجبا عجبا ، بل أريك مجزة القرآن الحقة ، وكيف نطق من ألف وثلاثمائة سنة بما قرؤه اليوم في كتب الفريجة . أنت اذا كنت من الذين تبعوا هذا التفسير لاتسكروا ساقوله الآن ، ولكن اذا كان هذا أول نظرك له فانك تقول : إن العالم اليوم أصبح كله راقيا وأتم أيها المسلمون مخرفون ، إن العالم كله ماذى أوله وآخوه ، وأنا لم أر ملكا ولا روحا يرقيني . فما هذا القول ؟ ومن هم جملة العرش ؟ وأي رموز تقولونها ؟ دعونا دعونا ، واني أجيبك ناقلا لك عن علماء الشرق وعلماء الغرب فأقول

جاء في « اخوان الصفاء » أن الأسانذة والآباء والمعلمين إذا ماتوا كان كل عملهم انما هو الارشاد والتعليم لتلاميذهم وأولادهم . وهذا التعليم الاطعمي يرقى الروح لعملها والحي المتعلم فهو نافع للحي والميت وقال الفخر الرازي في سورة النازعات (وسأذكره هناك إن شاء الله) « أليس الابن قد يرى أباه في المنام فيهديه الى كثر مدفون »

أليس ان جالينوس قال : « كنت مريضا فنجزت عن علاج نفسي فرأيت واحدا في المنام أرشدني الى كيفية العلاج »

وقال أيضا : « أليس ان الغزالي قال ان الأرواح الشريفة اذا فارقت أبدانها ثم اتفق أن انسانا شابه الانسان الأول في الروح والبدن فانه لا يبعد أن يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن حتى تصير كالمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على أعمال الخير فسمى تلك المعاونة إلهاما ونظيره في جانب النفوس الشريرة وسوسة » اهـ

هذا ما قاله علماؤنا . فاذا أبيت إلا علماء أوروبا فاني أقول لك انهم أغرقوا في هذا العلم اغراقا ونبغوا فيه وفاقوا الشرقيين لأن الشرق اليوم يظن انه بانكاره هذه العلوم يعد فيلسوفا . أما الاوروبي فهو حذر والآراء تقال بلانكبير . فلا سمعك ما قاله أكبر علماء الطبيعة في بلاد الانجليز في خطبة خطبها في مجمع العلماء فما قاله : « وليس من العقل أن يقال ان النفس تضمحل اذا تلف الجسد بل سنظل موجودين بعد موتنا وانهاء أعمالنا القصيرة على هذه الأرض . أقول لك ذلك مستندا الى أدلة علمية . أقول لأني تحققت أن بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ اني قد ناجيتهم . ثم قال : إني مقتنع بأننا لانضمحل عند الموت وأن الموتى يهتمون بأمر هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير »

ومن قوله في نفس الخطبة : « وعندى أن في الوجود كائنات نسبتنا اليها كنسبة النحل الى النحل ونحن ننسكع بين أرجلها غير عارفين عنها شيئا » انتهى ما أردته منه . وقد تقدم هذا القول مطولا نارة ومختصرا أخرى لمقاصد مختلفات في هذا التفسير . وسيأتي نفس هذا القول في « سورة النازعات » عند ذكر قول الامام الرازي أن أرواح الناس تسبح من المدبرات أمرا

أفلمت ترى أن ما يقوله علماؤنا وما تموج به الجمعيات النفسية في أوروبا قد أصبح تفسيراً لهذه الآية . انظر كيف يقول العالم الانجليزي : « ان هناك عوالم نسبتنا اليها كنسبة النحل الى النحل » وقوله « إن الأموات يهتمون بأمر هذا العالم » . يا عجبا : أليس هذا هو عين ما قاله الامام الرازي والغزالي واخوان الصفاء . أليس هذا عينه هو نفس هذه الآية . بل أليس هذا معجزة . وأي معجزة أكبر من هذه التموج المجمع النفسية بهذه الفكرة فيقول الناس في مجالسهم : « ان فوقنا أرواحا تلهمنا وتعلمنا وتهم بنا ونحن نحل بالنسبة لها »

أليس هذا عينه هو قوله تعالى - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم - ولقد عرفت أن الأمر راجع للعلم . وقوله - ويستغفرون لمن في الأرض - فهل لهذا معنى إلا الاطعام والتعليم فيعلمون الأنبياء ويعلمون كل واحد منا الآن بالاطعام ، واذا كنا أصبحنا جميعا من جهلاء وعلماء مؤمنين بعالم الحيوان الذرى المسمى بالمكروب وانه هو الذي يأتي لنا بالطاعون والحمى والجندري والحكومات في الأرض كلها تؤمن وتمثل لقول الأطباء في ذلك مع ان تلك الحيوانات لم ترها قط ولكنها آمننا بها مع ان الموت والمرض لا يحتاجان الى فاعل يفعلهما ، فان المرض نقص والمادة في تحوّل دائم والموت خراب الجسم وخراب الجسم لا يحتاج الى فاعل يفعلهما بحسب النظر الظاهري ، ولكن العلم اليوم أثبت ذلك . وأن الموت أيام الوباء والأمراض الكثيرة كالحمى والجندري والحصباء انما يكون بأحياء لانها تحدث تلك الأمراض المنتشرة . فما أسهل أن تعرف أن الخير والشر تأتي بها عوالم تسمى ملائكة أو ارواحا . فالأرواح العالية لاطعام الخير



والأرواح السافلة للوسوسة . وهنا تبلى الأمر وظهور وعرفنا سر الحياء والميم اللذين جيء بهما بين حدين : حد في آخر (سورة الزمر) صادر من الملائكة وأرواح المؤمنين . وحد صادر من الملائكة في (سورة غافر) مصحوب بالتسبيح والملائكة يفيضون الخبر على المؤمنين . وهذا كما سترناه في (سورة النبأ) إذ جاء في آخرها - يوم يقوم الروح والملائكة صفا - وفسر ابن عباس الروح بأرواح العباد يصطفون كأنصطف الملائكة وهما ظهر معنى الاصطفاف إذ الأرواح تلاميذ الملائكة فأصبح الأمر كله راجعا للعلم والدراسة . فإذا تعلمنا اليوم فهو مقصود الحمد المذكور في السورتين وأصبح التسبيح والتحميد معناهما الارتقاء العلمي والارتقاء العلمي للملائكة وهم يرقون أرواحنا في الدنيا كما نرى الأساندة يعلمون تلاميذهم والآباء أبناءهم فاذن ارتقاؤنا في الدنيا بالعلوم والملائكة ملهمون . ونحن اذا متنا نكون في تلك العوالم المدبرات أمرا كما فسرهُ الامام الرازي في (سورة النازعات) وكما رأيت في كلام فلاسفة الشرق والغرب . هنا يظهر لك مقصود الحياء والميم في هذه السورة . فهما من الحمد والحمد راجع للعلم الذي يلقيه الأعلى الى الأدنى ومبدؤه من الله رفيع الدرجات ذي العرش وهو الذي يرقى الأرواح والأجسام . فترى صفوف الكواكب طبقة بعد طبقة كما ترى صفوف الأرواح صفا بعد صفا

### ( ذكر الأحاديث والآثار الواردة في هذا المقام )

فإذا سمعت ما ورد أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أردفهم الله بأربعة آخر كما قال - ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية - فلتعلم أن ذلك إشارة الى ازدياد عدد الأرواح المرتقية . وإذا سمعت قول ابن عباس : « حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام » وما برى أن أقدامهم في تحوم الأرضين والأرضون والسموات الى عجزهم فلتعلم أن معناه إحاطتهم علما وتدييرا بهذه العوالم باذن ربهم . وإذا سمعت انهم يقولون : « سبحان ذي العزة والجللوت . سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت . سبح قُدوس رب الملائكة والروح » فاعلم أن هذا إشارة الى علمهم بصفات الجلال وصفات الاكرام التي هي تشمل سائر العلوم والى أنهم مقررون بأن الله رباهم بقولهم « رب الملائكة » وانهم هم مربيون الأرواح التي هي أقل منهم بأمر ربهم . وإذا سمعت انهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وهؤلاء أشد خوفا من التي تليها وهكذا ذن ذلك على مقدار العلم فان الخشية تتبع العلم ، ومن عرف جيلا وملا عينه حسنا وجمالا وبهجة وحكمة فانه يدعش منه ويخشاه ، ولا يتنى ذلك لمن يجهل أمره . وإذا سمعت انه صلى الله عليه وسلم حدث عن ملك أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام فذلك ان صح لانواع دائرة علمه وتدييره للعوالم التي تؤهل أنت اليوم للقيام ببعضها على ما عرفت . وإذا سمعت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال : « ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام فذلك إشارة الى عظمة ملك الله . وهذا أصبح اليوم معروفا في علم الفلك الحديث كما تراه في (سورة البقرة) وغيرها . وإذا سمعت أن العرش يكسى كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى فهذا ظاهر اليوم لأن ملك الله تجلى اليوم كما في هذا الخبر وظهر على هذا النحو ، وأما ألوان النور فانك لو بحثت لوجدت أن الأنوار لا يحصى عددها بألف ولا بألوف كل يوم ، ولوانك فكرت في عدد الأنوار التي تسطع على أرضنا من النجوم وان لم نرها لدقة نورها واحتجابها عنا بالشمس نهارا لرأيها تعدد بمئات الملايين وهي تسطع على الأرض وأصحاب الأرصاد يميزونها تميزا حقيقيا ، وان أردت بالأنوار العلوم فهي أوسع مدى فان تغير العوالم لا يكون إلا بعلوم قامت بنفوس الملائكة والأرواح المدبرات . وقوله لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى فهو ظاهر . ان

الشموس التي لانهاية لعددتها ظهر اليوم أن أنوار كثير منها أضوأ الشمس بمراتب كثيرة فلا يستطيع الناس أن ينظروا إليها لو كانوا هناك ، ولكن الأقرب للحديث أن تلك الأنوار هي العلوم التي في نفوس الملائكة وهي محجوبة عن عداهم ولا يعرفها غيرهم إلا إذا ارتقى الى مراتبهم

ولست أقول لك ان هذه الأحاديث أو الآثار ذكرت لك على أنها صحيحة أو حسنة أو ضعيفة إنما المقام مقام ذكر ما قيل بدون نظر الى مقدار صحته لتعلم كيف كان التعبير الذي يعبر به عن عظمة ملك الله ، وما دام المقام مقام مجاز فلا بأس بذكر ذلك كله . وإذا سمعت قول وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش ، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء ، ويدبر هؤلاء ، ومن وراءهم سبعون ألف صف قيام ، ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة وذكرا منهم يقولون : « سبحانك وبمحمدك ما أعظمك وأجلك الخ » ، وأن كلامهم يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر فان ذلك أصبح معلوما لك لأنهم مراتب وصفوف ودرجات لا يعرف متهاها عبر عنها بذلك العدد . وإذا كانت الكواكب بلغت ما لا يعرف له عدد فكيف يكون عالم الأرواح ؟ فأما التسبيح والتحميد فهو العلم الذي أمرت بدراسة مقدماته في الدنيا وأشير لذلك بالحاء والميم والجد في السورتين وفي سورة فاتحة الكتاب . وإذا سمعت قول وهب بن منبه : « إن الله احتجب عن الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجبا من نار وسبعين حجبا من ظلمة وسبعين حجبا من نور وسبعين حجبا من درّ أبيض ومثلها من ياقوت أحمر ومثلها من زبرجد أخضر ومثلها من نلج ومثلها من ماء ومثلها من برد وما لا يعلمه إلا الله عز وجل » ، فذلك معناه على سبيل المجاز تقصص مراتبهم عن مرتبة ربهم لأنه هو العليّ الكبير

فانظر كيف كان الأولون يضربون للناس الأمثال بعظمة ملك الله تعالى ليوسعوا خيالهم حتى إذا جاءت الحقائق وكشف القناع اتسعت له العقول وأقبلت عليه وقال السامع نعم قد تخيلنا هذا من قبل في الآثار الواردة عن آبائنا الأولين . فالتعبير بأن العرش جوهرة خضراء وأن الأنوار تكسوه ونحو ذلك كله للدلالة على الجمال والبهاء والاشراق والعظمة والعلم والحكمة . ولعلك الآن فهمت قول ابن مسعود : « إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات الجنة أتأنتق فيهن » ،

أقول : وهل روضات الجنات إلا العلوم ؟ وأليس نفس الحاء والميم هذان الحرفان هما اللذان فتحا هذا الباب كله ، إن حم إشارة الى المحامد ولا محامد بلا علوم ، فالأمة الاسلامية اليوم عليها أن تقوم بدورها في الحكمة والعلم فقد خبا الله لها كنوزا في الأرض ستظهر بأعمال المسلمين ، فليقوموا بدورهم . هذا كله معنى - حم -

### ﴿ صلاتنا معاشر المسلمين ﴾

لقد علمت أن الملائكة يسبحون ويحمدون وأن معنى ذلك انما هو العلم بالعالم العلوي والسفلي الذي هو داخل في صفات الاكرام التي اتصف به الله تعالى . والمسلم في صلاته عند الركوع يقول « سبحان ربي العظيم » ، ثم يقول « خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين » ومعنى ذلك أن يدرسه ويفقه سرّه . وكذلك في السجود يقول المسلم « سبحان ربي الأعلى » ثم يقول « سجد وجهي للذي خلقه وصوّره وشقّ سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين »

فإذا ظنّ الناس أن تسبيح الملائكة وتحميدهم عبارة عن ألفاظ فليفهموا أن تسبيحنا وتحميدنا ألفاظ لاغير . فإذا أرادوا الجدّ فليعلموا انه جاء في هذه السورة قول الله تعالى بعد ذكر جملة العرش وتسيبهم والهامهم للذين آمنوا ودعائهم لهم فالله العليّ الكبير . وبين منار الجهد فقال - هو الذي يريكم آياته وينزل

لكم من السماء رزقا - فجعل مدارالجد ترقية العقول بالعلوم وتدير الأجسام بالرزق . هذا هو مقصود الجهد  
ومقصود (حم) ومقصود القرآن

ليعلم المسلمون بعد اليوم أن المسألة جد لاهزل فيها . وأن الملائكة تأهلوا لمرتبتهم بالعلم . وأن الناس  
لا يسعدون في دين ولادنيا إلا بالعلم واننا نسبح بحمد الله كما ان الملائكة يسبحون بحمده . ذلك ظاهر في  
صلواتنا إذ نبدأ بالتسبيح ونقبه بذكر النعم التي أنعم بها علينا في سمعنا وبصرنا الخ . كل ذلك ليعلم المسلم  
انه ملازم بالعلم والحكمة اللذين يرجعان الى معنى التسبيح والتحميد . هذا هو سر الفاتحة التي يتلوها المسلم  
صباحا ومساء . يقول الحمد لله رب العالمين ويفصل بعض النعم في الركوع والسجود ويقسمها في الرفع والاعتدال  
فيقول « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » ومعلوم أن  
العوالم لا تخرج عن هذه . فالفاتحة علم والركوع علم وآل حم علم وتسبيح الملائكة علم وتحميدهم علم  
وتشبهنا بهم في ذلك علم

فليظن المسلمون فقد اتقضى دور الهزل وجاء دور الجد . وأظهر الله السر الذي خبأه . وأبان لعباده  
عجائب الدنيا بالعلوم والدين بالفهم والالهام . وبهذا تم الكلام على القسم الثاني من السورة

### ﴿ القسم الثالث من السورة ﴾

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ  
أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ •  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ  
الْعِقَابِ • وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَمُلْكِنًا مُبِينٍ • إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ  
فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ • فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ  
وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ • وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى  
وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ • وَقَالَ مُوسَى  
إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ • وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ  
مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ  
رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ • يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ  
يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ  
الرَّشَادِ • وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ • مِثْلَ دَابِ

قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ • وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ  
 عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ • يَوْمَ تُثْلَوْنَ مَذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ حَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ  
 فَالَهُ مِنْ هَادٍ • وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَازْلَمْتُمْ فِي شَكِّ مَا جَاءَكُمْ بِهِ  
 حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلُوبُكُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ  
 مُرْتَابٌ • الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ • وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي  
 صَرِّفْ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا  
 وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوهُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ • وَقَالَ  
 الَّذِي ءَامَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ • يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ  
 وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ • مَنْ عَمِلَ مَبْتِئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ  
 ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ • وَيَا قَوْمِ  
 مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ • تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ  
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ الْفَقَّارِ • لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ  
 فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ • فَسْتَدْكُرُونَ  
 مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ • فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا  
 وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ • النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
 أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ • وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ  
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ • قَالَ الَّذِينَ  
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ • وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخِرْنَا وَجَهَنَّمَ  
 أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ • قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
 قَالُوا بَلَى قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ • إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ • يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

سُوهُ الدَّارِ • وَقَدْ هَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ • فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَفْهِرْ لِدُنْيَاكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ •

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى ( أولم يسبوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ) أي ما آل الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وشمود ( كانوا أشد منهم قوة ) فطرة وتمكنا ( وآثارا في الأرض ) كالقلاع والمدائن الحصينة ( فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من وفاق ) يمنع العذاب عنهم ( ذلك ) الأخذ ( بأنهم ) كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ( بالمهجرات والأحكام الواضحات ) فكفروا فأخذهم الله ( إنه قوي ) متمكن مما يريد به غاية التمكّن ( شديد العقاب ) كل عقاب دون عقابه

### ﴿ قصص موسى عليه السلام وبنى اسرائيل ﴾

قال تعالى ( ولقد أرسلنا موسى بآياتنا المهجرات (وسلطان مبین) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى . ذلك تسلية له ﷺ ( فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحبوا نساءهم ) أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم من قبل كي يصدوا عن اتباع موسى ( وما كيد الكافرين إلا في ضلال ) أي وما صنع فرعون وقومه إلا في ضياع فان هذا كله لم يمنع موسى من إقامة دينه وخذلان فرعون وجنوده ( وقال فرعون ذروني أقتل موسى ) وقد كانوا يكفونه عن قتله تهوينا لأمره . ويقولون اذا قتلته ظن الناس انك عجزت عن إقامة الحجّة . ثم قال ( وليدع ربه ) إظهارا بعدم المبالاة به مع انه لم يمنعه من قتله لإشدة الهول والفرح من ذلك لعلمه انه نبي ( إلى أخاف أن يبدل دينكم ) أي يغير ما أتم عليه من عبادتي وعبادة الأصنام ( أو أن يظهر في الأرض الفساد ) أي ما يفسد ديننا من التعارب والتهاج ( وقال موسى ) لقومه لما سمع كلامه ( إلى عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ) ذكر اسم الرب إشارة الى الترية وليحضهم على موافقته في الدعاء لأن انجاء أرواح كثيرة لغرض واحد أقرب للاجابة ( وقال رجل مؤمن من آل فرعون ) من أقاربه ( يكتم إيمانه أقتلون رجلا ) أي أقتصدون قتله ( أن يقول ) أي لأنه يقول ( ربي الله ) وحده ( وقد جاءكم بالبينات ) الكثيرة ( من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه ) لا يتخطاه ( وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ) أي فلا أقل من أن يصبكم بعضه ( إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ) ولو كان مسرفا كذابا لحذله الله ولكنه لم يحذله فأعطاه المهجرات والآيات البينات ( يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ) غاليين عالين في أرض مصر ( فن نصرنا من بأس الله إن جاءنا ) أي فلا تقصدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله تعالى ( قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى ) أي ما أشير عليكم إلا بما استصوبه من قتله ( وما أهديك إلا سبيلا ) وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب ( وقال الذي آمن يا قوم إلى أخاف عليكم ) في تكذيبه ( مثل يوم الأحزاب ) مثل أيام الأمم الماضية أي وقائعهم كما يقال أيام العرب ( مثل داب قوم نوح وعاد وشمود ) مثل جزاء ما كانوا عليه دائما أي دائما فكانوا لا يفتخرون عنه ( وما الله يريد ظلما للعباد ) أي وما الله يريد أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب ولا يخفى الظالم بغير انتقام لأنه بريهم ( ويا قوم إلى أخاف عليكم يوم التناد ) أي يوم ينادى فيه بعضهم بعضا ويتصايحون ( يوم تولون ) من الموقف ( مدبرين ) منصرفين عنه الى النار ( ما لكم من الله من عاصم ) يعصمكم من عذابه ( ومن يضل الله فإله من هاد ) ولقد جاءكم يوسف ( ابن يعقوب ) ( من قبل البينات ) وبنحهم بأن يوسف جاءهم بالبينات على التوحيد من قبل موسى فشكوا في أمره وبقي

شكهم الى زمن موسى وهذا قوله (فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أي وذلك حكمكم من عند أنفسكم من غير برهان (كذلك يضل الله) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل (من هو مسرف) في عصيانه (مرتاب) في دينه (الذين يجادلون) بدل من مسرف لأنه بمعنى كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أنهم كبرمقتا) أي عظم ذلك الجدل بغضا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك) هكذا (يطبع الله) يختم (على كل قلب متكبر جبار) عن قبول الحق والهدى (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) بناء مكشوقا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر (لعلى أبلغ الأسباب) الطرق ثم بينها فقال (أسباب السموات فأطلع الى إله موسى) أراد أن يبني له رسدا في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله إياه ، أو قصد بذلك التهوره على الجهلاء بربهم أن إله السموات الذي يقول به موسى إنما هو إله كالألهة التي هي عبارة عن تماثيل في مصر يراها الناس الآن بقيت من ذلك الزمان لتضليل عقولهم (واني لأظنه كاذبا) في دعوى الرسالة (وكذلك) مثل ذلك التزيين (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) سبيل الرشاد وموه على الناس بهذه التحويلات (وما كيد فرعون إلا في تباب) أي خسار (وقال الذي آمن) أي مؤمن آل فرعون (يا قوم اتبعون أهدكم) بالدلالة (سبيل الرشاد) لأن ما عليه فرعون غي (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يسير لسرعة زوالها (وان الآخرة هي دار القرار) لخلوها (من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها) عدلا من الله (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) كثر النداء لإيقاظ لهم من سعة الغفلة ثم أبدل منه قوله (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به) بربوبيته (علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) أي من كملت قدرته وغلبت ولا يكون ذلك إلا بعلم وإرادة فهو قادر على التعذيب والغفران (لا) ردا لما دعاه اليه قومه (جزم أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) جزم فصل بمعنى حق وأن وما بعدها فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أي ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نضه قط ومن حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته وما تدعون الى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية فكيف تدعونني الى عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا حق له ولا يدعو اليه هذا جهالة فلا تتبعها وعطف على فاعل جزم قوله (وأن مردنا الى الله وأن المسرفين) في الضلالة والظلمان (هم أصحاب النار) ملازموها (فستذكرون) أي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاناة العذاب (ما أقول لكم) من النصيحة (وأقوض أمري الى الله) ليعصمني من كل سوء (إن الله بصير بالعباد) فصرهم مما فرّ من بينهم فطلبوه فلم يقدرُوا وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدايد مكروهم (وحاق بال فرعون) بفرعون وقومه (سوء العذاب) وكأنه قيل ماسوء العذاب فقال هو (النار) ثم استأنف مبينا فقال (يعرضون عليها) وعرضهم عليها إحراقهم بها ، يقال عرض الامام الأسارى على السيف اذا قتلهم وقوله (غدوا وعشيا) أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وينفس عنهم فيما بين ذلك وبدوم ذلك الى يوم القيامة (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أي عذاب جهنم ، قال علماءنا : وهذه الآية دليل على عذاب القبر وقد ظهر ذلك العلم في المجامع النفسية وأخصناه مرارا في هذا التفسير وشرحناه تكرارا وصار هذا القول حقا في علم الأرواح ، وفي حديث البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالفداء والعشي إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وان كان من أهل النار فن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة » وهذا المعنى هو الذي أطلقت به الأرواح لما سألوها بتفصيل فأقرأه في كتابي المسمى « الأرواح » ثم قال تعالى (و) اذ كر

لقومك يا محمد (إذ يتحاجون) أي يختصمون أي أهل النار (في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) وهذا  
تفصيل للمخاصمة (إنا كنا لكم تبعاً) أتباعاً تكدم جمع خادم (فهل أنتم مغضون) دافعون (عنا نصيباً من  
النار) قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أي كنا فيها لا يفتى أحد عن أحد (إن الله قد حكم بين العباد)  
قضى بينهم فأدخل قوما الجنة وقوما النار (وقال الذين في النار لحزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً) قدر  
يوم شيئاً (من العذاب) قالوا) ملزمين لهم الحجّة (أولم تك تأتكم رسلكم بالبينات) تويخاً لهم (قالوا بلى  
قالوا فادعوا) فإنا لا نجترى عليه إذ لم يؤذن لنا في ذلك (ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) ضياع لا يجاب  
والمقصود من مساق هذه القصة أن عادة الله نصر الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة ووعدته بالنصر حق، ثم  
أمر نبيه ﷺ بالصبر وأن يجتهد في الاستغفار والتسبيح حتى يأتي له نصر الله وهذا قوله (إنا لننصر رسلاً  
والذين آمنوا) كما مر في هذه القصة (في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي في البارئ ولا ينقض ذلك  
بما كان لأعدائهم من الغلبة امتحاناً أحياناً لأن المدار على العواقب، والأشهاد جمع شاهد كالملائكة والأنبياء  
والمؤمنين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من يوم الأول (ولهم اللعنة) البعد من الرحمة (ولهم سوء  
الدار) جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهدي به في الدين من المعجزات والصحف والشرايع (وأورثنا  
بني إسرائيل الكتاب) التوراة (هدى وذكرى لأولى الألباب) فاصبر) يا محمد على أذاهم (إن وعد الله  
حق) في اظهار دينك وفي تأييدك وتأيسد كل صادق في دينك كما أيدت موسى ومن صدق من أتباعه  
(واستغفر لدينك) أي وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطانك مثل ترك الأولى الذي لا يعدّ ذنباً عند غيرك  
لأن حسنات الأبرار سيئات القوم وتدارك ذلك يكون بالاستغفار، وهكذا إذا خالجت اهتمام بأمر الأعداء  
فافزع إلى الاستغفار لأن الله تعالى كافيك في النصر واطهار الأمر وهكذا كل صادق في وجهته الدينية والمنفعة  
العامة (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) ودم على التسبيح والتحميد لربك، وذلك مطابقة لما جاء من  
تسبيح حلة العرش الذين هم في الملأ الأعلى. فعلى أهل الأرض أن يحذوا حذوهم والله ينصر رسوله القائمين  
بدعوة الخبير الذين يحذون حذو الملأ الأعلى. والى هنا تم الكلام على القسم الثالث من السورة وتفسيره  
اللفظي والحمد لله رب العالمين

### ﴿ القسم الرابع من السورة ﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِئْسَ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ  
بِيَالْفِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ • إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ • وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ  
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ • اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ  
مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ • ذَلِكَمُ اللَّهُ

رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ • كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ  
 اللَّهِ يَجْحَدُونَ • اللَّهُ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ  
 صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ • هُوَ  
 الْحَيُّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ  
 أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ •  
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا  
 أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ  
 تَعْقِلُونَ • هُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ • أَلَمْ تَرَ  
 إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضَرَّفُونَ • الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ  
 رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ • إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ • فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ  
 فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ • ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ • مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا  
 بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ • ذَلِكَُمُ بِمَا كُنْتُمْ  
 تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ • أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا  
 فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ • فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تِرْيَاقُ بَعْضِ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ  
 تَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ  
 اللَّهِ فَضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ • اللَّهُ الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَنْسَامَ لَتَرَوْهَا كَبُوتًا مِنْهَا  
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
 الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ • وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ • أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
 فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي  
 الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا  
 عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ • فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ



وَحَدَّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ • فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتْ  
 اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ •

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) سواء أكانوا هم مشركي مكة أم اليهود  
 الذين قالوا : « لست أنت الذي وعدنا بك بل هو المسيح ابن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار »  
 أم غيرهم ، فهؤلاء (إن في صدورهم إلا كبر) أي إلا تكبر عن الحق فلا يتفكرون ولا يتعلمون ، وإنما  
 يقولون الملك والنبوة فينا (ماهم ببالغيه) أي ببالغي مقتضاه من الرئاسة والنبوة (فاستعد بالله) أي فالتجئ  
 إليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (إنه هو السميع البصير) بعملك وعملهم (خلق السموات والأرض  
 أكبر من خلق الناس) ذلك لأنهم كانوا يجادلون في البعث ، فن قدر على خلق السموات والأرض مع عظمها  
 فهو على خلق الانسان أقدر (ولكن أكثر الناس لا يصلون) لا يتأملون لغفلتهم (وما يستوى الأعمى والبصير)  
 الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أي والمحسن والمسيء ، فاذن لا بد لهم من حال  
 فيها يظهر التفاوت وذلك بعد البعث ، فهانذا ﴿ برهانان : البرهان الأول ﴾ لجواز البعث الثاني لوجوبه اقتناعا  
 (قليل ما تنذكرون) أي تذكرا قليلا تنذكرون (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) في بحيثها لما تقدم من  
 الدليلين (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يستدقون بها لتصور نظرهم (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)  
 أي اعبدوني أنبكم . وروى انه ﷺ قال وهو على المنبر « الدعاء هو العبادة ثم قرأ - وقال ربكم ادعوني  
 أستجب لكم - » (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين (الله الذي  
 جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستر بحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس  
 (والنهار مبصرا) يصرفه أوبه (إن الله لذو فضل على الناس) لا يوزا به فضل (ولكن أكثر الناس  
 لا يشكرون) لجهلهم بالنعم واغفالهم مواقعها وجهلهم بالنعم (ذلكم) الذي انصف بتلك الصفات (الله ربكم  
 خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره !  
 (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يمحذون) الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم  
 فأحسن صوركم) بأن خلقكم منتصبى القامة ، أعضاءكم متناسبة ، منهيئين للعلوم ، وللصناعات ، واكتساب  
 الكمالات (ورزقكم من الطيبات) النافعات واللذائذ (ذلكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين) وكل ما سواه  
 مرهوب مفتقر اليه (هو الحي) المنفرد بالحياة (لا إله إلا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) الطاعة  
 من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) . ولما طلب الكفار منه عليه الصلاة والسلام عبادة الأوثان نزل  
 (قل إني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء في البينات من ربي) بالوحى والقرآن (وأمرت  
 أن أسلم) أن أستقيم وأتقاد (رب العالمين) هو الذي خلقكم من تراب) بخلق أيكم آدم منه أو بخلقكم أتم  
 من تراب اقلبت عناصره بالتغذية نباتا خيوانا فكان منهما غذاؤكم ومنه كانت أجسامكم فكان منها نطفة  
 فعلقة مضمضة فتخرجون أطفالا وهذا قوله تعالى (ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا) أي يخرج كل  
 واحد منكم طفلا ، وقد وضع هذا المقام في سوابق هذا التفسير (ثم) بيقينكم (لتبلغوا أشدكم مم) بيقينكم  
 (لتكونوا شيوعا ومنكم من يتوفى من قبل) من قبل الشيخوخة ، أو من قبل بلوغ الرشد (و) يفعل ذلك  
 (لتبلغوا أجلا مسمى) وهو وقت الموت (ولعلكم تعقلون) ماني قلبكم في تلك الأدوار من العبر والحجج فان  
 أبلغ الحجج ما أحسن به الانسان من نفسه (هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا) أي أراداه (فإنما يقول

له كن فيكون) فلا يحتاج في تكوينه الى عدة أو كلفة (أم ترى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) عن التصديق به ، وإنما كثر رذم المجادلة لأنها هي الغالبة على نوع الانسان تكبرا وعنادا وتقليدا وتمسكا بالعادات (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلا) من سائر الكتب (فسوف يعلمون) \* إذ الأغلال في أعناقهم) أى فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم وقت ماتكون الأغلال في أعناقهم واذ للماضى عبر بها عن المستقبل لتيقنه كقوله - أنى أمر الله - ثم قال (والسلاسل يسحبون) بها (في الجحيم) في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) يقال سجر التنور اذا ملاه بالوقود ، ومعنى ذلك انهم في النار فهمى محيطه بهم (ثم قيل لهم) أى تقول لهم الخزنة (أين ما كنتم تشركون \* من دون الله) يعنى الأصنام (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلانراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا ، تقول حسبت فلانا شيئا فاذا هوليس بشئ ، وذلك اذا خبرته فلم ترعنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الهدى (ذلكم) العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون) أى بسبب ما كنتم تبطرون وما كنتم تختالون (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) عن الايمان جهنم ، ثم خاطب النبي ﷺ قائلا (فاصبر إن وعد الله حق) بنصرك على الأعداء ، أقول لاجرم أن ذلك النصر يمتد الى كل صادق في نصر دينه (فاما ترى انك بعض الذى نعدهم) من العذاب في حياتك كالقتل يوم بدر فذاك (أو) أن (تتوفيك) قبل ذلك (فالىنا يرجعون) يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولم نذكر لك حال الباقين منهم ، وما منهم من أحد إلا أعطى آيات ومجيزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك كما جاء في مثل سليمان عليه السلام « ما تحت الشمس من جديد » وكما يقول العلماء « التاريخ يعيد نفسه » وقد صبروا ونصروا فاصبر وستنصر ، يقال ان عددا لأنبيا ١٢٤ ألف نبي والذين ذكرت قصصهم أشخاص معدودة (وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا باذن الله) وهىل المجيزات إلا عطايا قسمت بينهم كسائر العطايا والمنح ليس لهم في هبتها مدخل (فاذا جاء أمر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) باسعاد الحق واشقاء المبطل (وخسر هنالك المبطلون) المعاندون باقتراح الآيات . ولما كانت الآيات المقترحات ليس لها إلا نتائج ظاهرية كما شرح في هذا التفسير ، وإنما الأمر يرجع الى النظر في الجانب أردفه بقوله (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ، ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل (ولكم فيها منافع) كالألبان والجلود والأوبار (وليتلفوا عليها حاجة في صدوركم) أى تحمل أقالكم من بلد الى بلد في أسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) أى وعلى الابل في البر وعلى السفن في البحر (ويريكم آياته) دلائل قدرته كما قال في أول السورة - هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا - وسيأتى قريبا لماذا قال هنا ويريكم آياته بعد ذكر الأنعام (فأى آيات الله تنكرون) فتقولون انها ليست من عند الله وهذه هى الدلائل القائمة في أنواع المخلوقات من الحيوانات ، ثم أردفها بدلائل آثار الأمم الظالمة وكيف كان التكذيب بالآيات الكونية سببا في خراب الأمم فقال (أفلم يسبروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى لم ينفعهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) رضوا (بما عندهم من العلم) كأن يقولوا لن نبعث ولن نغذب وكان يقولوا نحن نحسن علوم السياسة والزراعة والصناعة والامارة ونظام المدن فهل بعد هذا علم ؟ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى حاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزأهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الأصنام (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما

رأوا بأسنا) أى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهذا مصدر مؤكد (وخسر هنالك) أى وقت رؤيتهم البأس فهو اسم مكان استعير للزمان (الكافرون) انتهى التفسير اللفظى للقسم الرابع من السورة

١ - ﴿ لطيفة فى قوله تعالى - ويرىكم آياته فأى آيات الله تنكرون - ﴾

ذكر الله الأنعام وأعقبا بذكرانه يرىنا الآيات ، وقد جاء فى أول السورة - هو الذى يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما ينذركم إلا من ينبى -

تبين فى سور كثيرة فى هذا التفسير أن الرزق والحكمة متلازمان ، أنزل الله الأنعام والزرع لرزقنا الجسمى والعقلى ، كرم الله ذلك فى القرآن ليبين لنا أن هذه الحياة لم تكن لها ولعبا ، انا مخلوقون فى عالم كله جلال وكآل وسكمة وعلم ، فالويل لمن استمر المرعى وغفل عن نظامه ، إن الأمر لجد فلينتهز المسلمون الفرصة أيام حياتهم ، وليتهلوا من تلك النعم رزقا وعلما ، ومن لم يوجهوا عنايتهم الى اقتحام الأخطار وتجنب المشاق ودرس هذه العوالم وبحثها لا يتألون دنيا بها يمتعون ، ولا آخرة بها يرقون ، فليشمر المسلمون عن ساعد جدتهم - والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين -

م ارجع الى هذا المقام فى ﴿ سورة النحل ﴾ تأمل هناك كيف ذكر الأنعام وانه خلقها لنا لنستدفع بأصوافها وأوبرها وأشعارها ، ونتنفع بلحمها وشحمها ولبنها ، وانها لنا جلال فى غدوها ورواحها ، وانها تحمل أمتالنا الى بلاد نائية ، وكيف ذكر الخيل والبغال والحمير ، وانها للركوب والزينة ، ثم قال - ويخلق ما لاتعلمون - فانظر كيف يقول هناك - ويخلق ما لاتعلمون - عقب ما ذكر ويقول هنا - ويرىكم آياته - ويقول فى ﴿ سورة البقرة ﴾ بعد الكلام على ذبحها - كذلك يحى الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون - انظر : لماذا يقول هناك - ويرىكم آياته - ويقول فى النحل - ويخلق ما لاتعلمون - ويقول هنا - ويرىكم آياته - الفعل مضارع فى الجميع ، ولقد علمت الاجابة فى ﴿ سورة البقرة ﴾ أن الأرواح لها وجود وهى تكلم الناس فارجع اليه ، فهذا رمز لما حصل فعلا فى هذا الزمان من مخاطبة الأرواح ، وكذلك مرة بك فى ﴿ سورة النحل ﴾ كيف كان ذلك إخبارا بما حصل فعلا فى أيامنا من الكهرباء والآلات المحركات بالبخار فان الكهرباء أصبحت تعطى الناس ما نعطيه الأنعام من حوث ونقل فى البر والبحر ، فهذا معنى قوله هناك - ويخلق ما لاتعلمون - وأشار له هنا بقوله - ويرىكم آياته - أى التى بها تتألون ما نلتموه من الأنعام النافعة لكم فى حياتكم (انظر هذا المقام واضحاً فى سورة النحل وتفطن)

\*\*\*

لقد تبين لك أن (حم) تشير الى الحمد ، وأن الحمد مرجعه العلم كما شرح فى هذا التفسير مرارا ، وآية ذلك انه قد تكرر الحمد هنا ، فبينما تراه فى آخر ﴿ سورة الزمر ﴾ اذا هو فى حيز الكلام على جملة العرش يسبحون بحمد ربهم ، ثم فى قوله تعالى أمرا لرسوله ﷺ واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار . وأخيرا فى الكلام على عجائب الحكمة من جعل الأرض قرارا والسماء بناء وتصويرنا فى أحسن صورة ورزقنا من الطيبات إذ ختم هذا المقال بقوله « الحمد لله رب العالمين »

﴿ تذييل التفسير فى سورة حم غافر ﴾

والكلام فيه على « مقصدين : المقصد الأول ، فى قوله تعالى - وموّرركم فأحسن صوركم - وقوله تعالى - الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها - الخ « المقصد الثانى ، فى قوله تعالى - النار يعرضون عليها غدوا وعشيا -

المقصد الأول . في تصوير يشمل الانسان والحيوان

ولنخص الكلام على التنفس فنقول :

﴿ التنفس الرئوي في الانسان والحيوان ﴾

التنفس انما يكون في الحيوان برئات هوائية مثل رئة الانسان . والرئة تتكون في الحيوانات الرخوة كهيئة شبكة العنكبوت ، وأرقى من ذلك في الضفادع فهي فيها وعاءان ، وفي الحيات كيس مستطيل فيمخليا كثيرة ، وفي ذوات الثدي والطيور عضو اسفنجي البناء كالبقرة والجاموس ، وللطيور رئة تناسب حالها في طيرانه

﴿ صفة الرئة العامة ﴾

جسمان اسفنجيان موضوعان في الصدر ، وتظهر كل منهما متصل بباطن الأضلاع ويتصلان بالفم بقصبة غضروفية يدخل فيها الهواء ، وهذه القصبة متى وصلت الى الرئة تتحول الى شعبتين كل شعبة تدخل رئة تصير شعبا كثيرة منبثة في الرئة اليمنى والرئة اليسرى ، ويصير كل فرع من الفرعين في كل رئة من الرئتين مشبها بكيس وهذا الكيس متصل بهواء الخارجى بأنبوبة صفاقية تخترق الرئة حتى تخرج منها في أعلى الصدر ، وباجتماع الأنبوبتين تكون القصبة الغضروفية . والدم اذا عاد من أطراف الجسد بواسطة الأوردة يصب في الأذنين الأيمن من القلب ويسير منه الى البطين الأيمن ويخرج من البطين الأيمن المذكور بشریان كبير يقال له الشريان الرئوي وهو يسير الى الرئتين ويتفرع فيهما كما تتفرع شعب القصبة فتنتهي الشعب بالأنايب الهوائية وتنتهي الشرايين بالشبكة الشعرية . فاذا دخل الهواء في المسالك الهوائية وانتهى الى الخلايا الهوائية أصبح مجاورا للدم في الأوعية الشعرية . فاذن يمتص الدم الاكسوجين من الهواء وينفث فيه حامض الكربونيك بقوة حيوية لم تدركها عقول الناس . وحينئذ يدخل الدم في البطين الأيسر والأذنين الأيسر ويتفرع في سائر الجسم اه

لعلك تقول نحن الآن في تفسير القرآن والقرآن سهل . وهذه الألفاظ التي سمعناها الآن لانفهم . فما هو البطين وما هو الأذنين وما معنى هذا المقام ؟ أقول لك : إن هذا المقام مقام الجباب والحكمة . انظر الى القلب . انه فيه أربع تجاويف كأنها أربع غرف غرفتان في أعلى وهما صغيرتان وغرفتان في أسفل وهما كبيرتان . والصغريتان تسمى كل منهما (أذنين) أعني أذن صغيرة تشبها لها بالأذن . والكبيرتان يقال لكل منهما بطين أى انها كالبطن والبطن أكبر من الأذن . هكذا هاتان أكبر مما فوقهما

ولعلك تقول قد فهمت . إذن أقول لك ان لنا حنجرة وهي القصبة الهوائية . وهذه القصبة تتفرع فرعين كل فرع يدخل رئة من الرئتين كما تقدم . والفروع المنفرعة من الفرعين تكون منتهية بما يشبه الكيس يدخل الهواء فيه من الفم . وهذا الهواء الآتي من الفم معد لتطهير الدم والدم يأتي من أطراف الجسم في العروق التي يقال لها الأوردة لأن الأوردة تحمل الدم الذي يحتاج الى الإصلاح وهو الدم الوريدي والشرايين تحمل الدم الشرياني أى الذي حصل اصلاحه بهواء كما سترى . فهذا الدم الذي جاء من طريق الأوردة يصل الى الأذنين الأيمن . وهناك فتحة بين الأذنين الأيمن والبطين الأيمن تفتح وتغلق والقلب أشبه بالآلة المماصة الكابسة فينزل الدم من الأذنين الأيمن الى البطين الأيمن تحته ويخرج من البطين الأيمن في الشريان الرئوي وهو يمتد الى الرئة ويتفرع فيها فروعا شعرية دقيقة . وقد علمت مما مر أن القصبة الهوائية لها فروع منبثة فيها هواء . فهنا تجاورت الفروع الهوائية الآتية من الفم والفروع الشعرية الآتية من الشريان الممتد من البطين الأيمن . وهناك يتلاقى الدم والهواء ويحصل التفاعل بينهما

فانظر كيف جرى الدم وسار في مسالك في الجسم ثم جرى الى الأذنين الأيمن والبطين والشريان الرئوي

وانتهى الى الهواء الآتى من الخارج . وكيف استمرّ هذا العمل ليلا ونهارا والناس لا يعلمون بل ربما يبش  
الانسان ويموت وهو لا يدري عن هذا ولا عن غيره شيئا ، ومتى طهر الدم سار في كل من الاذين الأيسر والبطين  
الأيسر وخرج الى الجسم في الأورطي وهو يتفرّع الى فرعين فرع يمتد الى أعلى الجسم وفرع الى أسفله ويتفرّع  
فروعا لا تحصى في سائر الجسد لتغذيته وهكذا ، ومتى اتصلت بالحوصلات الجسمية وتغلّت بها رجعت عكارة  
الدم المتحددة بالمادة الفحمية وهو السكر يوزن الى القلب بطريق الأوردة وهكذا ، وانما أطلت لك في هذا  
المقام لأن المدار ليس على كثرة العلم بل المدار على الفهم والتعلقل وهذا مقام دقيق يحتاج الى البسط والتشرح  
الدم جاء من الأغذية الداخلة من الفم الى المريء الى المعدة الى الامعاء وخلصت منه في الأوعية  
الشعرية وتدخل الكبدة ويطحخ هناك وتخرج منه الصفراء ويخلص منه السوداء والماء ويتجه كل الى مقره  
فالأولى في المرة الصفراء والثانية في الطحال والثالثة تذهب الى الكلى ويبقى الدم فيدخل مع الدم الشرياني  
في اللورة ، فهذا الدم الآتى من الغذاء محتاج الى الهواء لتجديد مادة الحياة فيه فهو للدم أشبه بالماء بالنسبة  
لظاهر الجسم من حيث ازالة المضار فكما أن الماء نشربه وتنظفه به هكذا الدم يتنظف بالهواء ويأخذ منه مادة  
الحياة كلما ضعفت . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

## ٢ - المقصد الثاني . في قوله تعالى - النار يرضون عليها غدوا وعشيا -

قد ذكرت لك أن علماءنا رحمهم الله قالوا « إن هذه الآية تدل على عذاب القبر ، واذن لا بد أن  
أذكر لك شذرات من كتاب الأرواح الذي ألفته لهذا الغرض وانى أحد الله عز وجل إذ جعل بيني وبين  
تفسير القرآن حائلا مدة نحو (١٣) سنة مع اني كنت أدرسه في مدرسة دار العلوم وكانت الفرصة سانحة  
لتتبعه فأراد الله أن يسلط رجال السياسة عليّ وأنا في (دار العلوم) فوشوا بي وقالوا للانجليز انه يعلم تلاميذه  
الوطنية فنقلت من تعليم طلبة دار العلوم الذين يفهمون الى تعليم تلاميذ الثانوى اللغة العربية لا غير واقطع  
التفسير وبقي ما كتبه محفوظا عندي حتى انتهت الحرب العظمى ودارت الأيام وانتهت من أعمال الحكومة  
وفي أثناء هذه السنين اطلعت على علم الأرواح وألفت فيه الكتاب المذكور ، فلولا نعمة الله التي كانت بحسب  
ظاها نعمة وهي تأخير التفسير مع مسيس الحاجة اليه وشغف الطلبة والعارفين به ما أمكن شرح هذا المقام  
ولا اظهار ما أبرزه الله في العالم الانساني من الخبايا الروحية التي تنطق بمصدق القرآن ، فكأن الله من نعمة  
اختبأت في ظواهر النعم ، فلا شرع في قتل شذرات من ذلك الكتاب الذي ألفته لهذا المعنى ، فقد جاء في  
مقدمة ذلك الكتاب ما يأتي :

ألفيعلم المسلمون في أقطار الأرض أن المحافل الروحية والجماع النفسية في البلاد الأوروبية قد نطقت  
فيها الأرواح على مرآى ومسمع من مجالس شوراها والملا من قومهم ومجالس الشيوخ والأعيان في أمريكا  
وغيرها كما سترونه مفصلا ومبيننا أيما تبيان ، لقد شرحت الأرواح مشاهدته في عالم البرزخ من نعيم وبؤس  
وهناء وعناء وخطب الأموات الأحياء والآباء الأبناء فأصفت الجمع وكفكف الهمع وجاءت البشرية بالحياة  
الأخرى وقال الأموات للأقارب والاخوان « وان الدار الآخرة طمى الحيوان » فصدق الله وعده ونصر عبده  
وأعزّ جنده ، وجاء الحق وزهق الباطل ، وفرح المسؤل وفتح السائل

فهل نقف نحن معاشر المسلمين أمام هذا الحادث صامتين ، إنه لعب فاضح وخطأ واضح وشين مبین ،  
نحن أحقّ بهذا العلم من الغربيين ، إن الأمر لجلل يموزه كتب تؤلف وجماع تحشد وعلماء تنتقد ، أنا لست  
في كتابي هذا أثبت العالم الروحي غيب ، فلقد سبقني اليه من نشروا الفكرة وأذاعوا أمره بين اخواني  
المصريين ، انما الذي أدهشني ما عثرت عليه من المحاورات بين الأرواح الناطقة من عالم الغيب وبين الأحياء  
في الجماع العلمية . وكيف كانت آراؤها وتعاليمها تذكرني كثيرا بما طالعت في أمهات الكتب الاسلامية وما جاء

عن السادة الصوفية . أليس من واجبي أن أنشر تلك المطابقت الهجبية بين أئمتنا الاسلامية . انه لحرام على أن  
أنغمض العين ولا أتهز الفرصة فأذ كر كل حادثة من حوادث العجائب الروحية بما يطابقها من كلام أئمتنا الاسلامية  
مينا الكتاب والصفحة واسم المؤلف

سيجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها اذا جاءهم هذا النبأ الذي عنه يتساءلون من ذا الذي كان  
يدور بخلفه أو يهيجس بخاطرهم أن ما جاء من نعيم القبر وعذابه في ديننا يعرض اليوم عرضا على المجمع الأوروبية  
النفسية كمثل الحاكم الألماني ييلون الذي مات وعمره ٧٩ سنة وقد استغاثت روحه من اضطهاد يمين له  
وحققوا فوجدوا ثبوت غدره باليتامى في دفاتر الحكومة في تلك الأقطار

أم من ذا الذي يسمع بحادث مدينة ونبرج اذ تجلت روح محاسب ارتكبت الخيانة فطلب أن تساعد  
أرملته اذ دها على المكان الذي أخفيت فيه تلك الدفاتر فطلعت ما طلب وخف عنه بعض ما يجد من العذاب المهين  
بل من ذا الذي يسمع بحادثة مدينة انجوليم ولا يكون من الموقنين وهي من حوادث لاعداد لها في المجمع  
النفسية الروحية . ذلك انه مات غنى بتخييل فأحضرت الجمعية روحه فقال هاتوا لي ذهبي ومالي لم أخذتموه في حديث  
طويل ستقرؤه مفصلا في الكتاب

أنا لست في كتاب الأرواح أسرد الحوادث المنقولة سهلا ولكني أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالي وغيره  
بطريق الكشف وكيف قال ان عذاب القبر على هذا الأسلوب وستراه مفصلا في الكتاب

من وقف على أسرار دين الاسلام في أمهات الكتب العلمية عرف ما للذنوب القلبية من الحسد والكبرياء  
والطمع والجشع من الأثر في العذاب وان العلاقة متينة ثابتة مؤكدة بينهما عند الممات . وكذلك ليس للره  
من كمال الاعمال العظيمة لبني الانسان . لما قرأت محادثات الأرواح التي سترها ألفتها جهات مصدقة لما قرأته  
في كل كتاب فأبنت المطابقة في هذا الكتاب . وفي الحديث : من كتم علما ألجه لله بلعجام من نار يوم القيامة  
أفلا يجب نشر هذا التفصيل لاختواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ان ذلك يأمر به الدين

نعم لقد بزغ بزوغ الشمس للورى قوله تعالى - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا - وثبت بالبراهين  
و يقين الصديق . قوله تعالى - سفر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق -  
وجاء في صفحة ٣٣ منه وما بعدها ما يأتي :

قال العلامة زين الدين محمد المدعو عبدالرؤف تاج العارفين ابن زين العابدين الجداوى القاهري المعروف  
بالمناوى المولود سنة ٩٥٢ المتوفى بالقاهرة صبح يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر الحبر سنة ١٠٣١ على  
قسيمة النفس لابن سينا صفحة ٣٢ ناقلا عن الغزالي ما يأتي :

والعالم من محرك الفلك التاسع من الصفحة التي تلي جهة فوق الى التي تلي جهة أقدامنا ملو جنودا  
وملائكة وما يعلم جنود بك الالهو الى أن قال ولا ينبغي أن يشكر منكر ذلك وقد شهد شعاع الشمس وروحانته  
و بساطته حتى ان قرصها يكون بالقرب وشعاعها بالشرق فها هو الآن يغيب خلف جبل فينقطع الشعاع الذي  
بالشرق بلا زمان فلو كان جسما ما انقطع في عدة سنين واذا أخذت امرأة وعكست بها الشعاع انعكس الى حيث  
شئت ثم تعطفه لافى زمان . وجوهر الشعاع بالاضافة الى جوهر النفس كثيف فليس في العالم موضع الالهو  
مغمور بما لا يعلمه الله ولذلك أمر الشارع بالستر في الخلوة وعند الجماع والعالم مشحون بالأرواح اه

(ثانيا) قال المناوى نفسه في الكتاب المذكور نقلا عن الغزالي رحمه الله صفحة ٨٠ ما ملخصه أنه قال قد  
ظهر للمشاهدة ظهورا أوضح من العيان أن أصناف عذاب القبر ثلاثة أقسام فرقة المشتبهات وخزى خجل  
الفاضحات وحسرة قوت المحبوبات

وهذه أنواع روحانية تتعاقب على الميت الى أن ينتهي الى النار الجسدية . ففرقة المشتهيات وهو أولها وصورة المستعارة من عالم الحس والتخيل التين الذي وصفه الشرع وعدد رهوسه وهي بقدر الشهوات ورذائل الصفات الى أن قال . والثاني خزي خجل الفاضحات فاذا تطاول الزمن بعد الموت وقد احترق القواد بفراقه ما تشبهه النفس من الأهل والأحباب والمال تحبون نار ذلك الفراق بطول الزمن فتبدو إذ ذاك نار الخزي في القلب بما ارتكبت من الذنوب والآثام ويرى نفسه في خزي وفضيحة أمام خالقه والعقلاء فاذا طال الزمن ألف الفضيحة ثم تظهر آخر الأمر نار حسرة فوت المحبوبات من الأعمال العظيمة والعلوم اليقينية التي يرى غيره بها ارتقى وذلك آخر ما يلقي من العذاب قبل ما يلج النار في الآخرة هذا ملخص ما ذكره المناوي نقلا عن الغزالي صفحة ٨٠ و٨١ ومما قال فيها بالحرف

ولا تظن أن الله يغضب عليك انتقاما ثم تخضع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبني ولم تضره معصيتي . إذ يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم . وهذه الحسرة دائمة لا تزول أبدا انتهى المقصود منه بالحرف الواحد (ثالثا) : قال في إخوان الصفاء الجزء الثالث صفحة ٣٦٣

واعلم أن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هي شياطين بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كما قال تعالى - شياطين الانس والجن يوسى بعضهم الى بعض زخرف القول غورا - فشياطين الانس هي النفوس المتجسدة الشريرة أنت بالأجساد وشياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للأجسام المحتجة عن الأبصار وقال قبل ذلك ما ملخصه . ان هذه النفوس الشريرة للمفارقة الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات اللذات حزنت وتمنت لو رجعت للذات كره أخرى حينئذ تصبح النفس كأنها لاهية ولا مية كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى تقول . ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل . ياليتني كنت ترابا . هل لنا من شفعا فيشفعوا لنا . وقال تعالى - ولوردوا لعادوا لمائتوا وأنهم لكاذبون - لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنة وتبقى تلك النفوس متعلقة ببناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا شأن الفاعلين انتهى ملخصا من إخوان الصفاء ثم جاء في صفحة ٣٨ وما بعدها ما يأتي

قال شير محمد عندي سؤال آخر هام لاطاقتي على كتبه ولا مندوحة لي من فهمه وذلك أتى قرأت أحاديث كثيرة في أمر عذاب القبر ونعيمه وانها أمور جسمية لا معنوية وكيف يقنع المسلمون بقوله هذا وكأني بمن يسمع كلامك يقول هذا كلام فلاسفة خارج عن الدين وما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت » فلله معيشة ضنكا » قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تينا هل تدرون ما لتين تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رهوس يخذشونه ويلحسونه ويفخون في جسمه الى يوم يبعثون قلت يا شير محمد ان لنا في الجواب عليه وجوها ثلاثة ذكرها الامام الغزالي فلنسر على منهجه ولنسج على منواله

(الأول) أتنا نبقى الحيات والعقارب والتنانين على حالها بلا تأويل ونسلم أنها موجودة وجودا غير مانهده . ولنا في ذلك نظائر . ألم تر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه جبريل والناس لا يرونه وهم به مصدقون . لما روا من الآثار والعلم والحكمة وقد أجمع رجال الكشف من المسلمين أنهم يشاهدون صورا ويعرفون أموراً يبجلها سواهم وأنت تعلم أن الوسطاء المتؤمنين بالفتح يشاهدون صورا وأشباحا ويخبرون بأمر . والناس حولهم لا يدركون منها شيئا . أفليس الميت أوفر حربة وأكثر انطلاقا وأوسع نطاقا . فاذالم يسعك أن تصور هذا وشرق

عليك فاستمع لما ألقىه اليك في

الوجه الثاني . ذلك اننا نعتبر بحال النائم فانتازرى نائمين في فراش واحد وقد قام أحدهما مذعورا كشيئا وجلا خائفا مما شاهد وقت نومه . وقال الثاني قد كنت في حديقة غناه مع من أحب وهو مستبشر فرح بملاقى من المسرات والنعيم فلنتأمل الميت الذي صار أكثر حربة وأحد نظرا من النائم فتكون الحية والتنين والعقرب موجودة بالنسبة له والحاضرون لا يعلمون . فاذا عسر عليك هذا وأبيت أن تقبل فاستمع لما أقول في

الوجه الثالث . بأن نقول ان الحيات ليست مؤذية بذاتها وان المؤذى هو السم الذي نقشته من نابها فيدور مع السم فيكون الألم الشديد بل نفس السم ليس بمؤذ . ألا ترى الى ماحقته الأطباء ان سم الحية ان شرب ولاجرح في الفم ولا في مجرى الطعام الى المعدة صار غذاء لاداء قاتلا . وانما يؤذى ويضر الجسم اذا دار مع السم في العروق والشرايين . فهناك الأذى فالحية ليست بمؤذية ولا السم وانما هو الأثر الناجم من السم الملقوظ من الحية فكانت النتيجة أن اللذات والآلام كيفيات قد تصل الى الحسن بطريق الأعصاب . والمدار على الأثر لا المؤثر . والآلام قسمان قسم جسمي وقسم روحي . فالجسمي اما من داخل وإما من خارج . والذي من الخارج إما من الحواس الخمس . كالصوت الكريه في السمع . والمنظر البشع والمخزن أو الخيف في البصر . والروائح الكريهة في الشم والمر في الفوق . والذي من داخل هي الأمراض وهي ترجع إلى انحراف المزاج عن

اعتدال الطباع الأربع وهي الصفراء والسوداء والدم والبلغم . ومن هذه نشأ سائر الأمراض المتكاثرة أما القسم الروحي فهو راجع الى الغضب والشهوة والجهل وعدم العدل . ولقد تفرع على هذه فروع كثيرة كتفرع رؤس الحيات وعدد التنانين والحيات . فإذالم يترن الغضب بالشجاعة والعلم ولم تحفظ الشهوة بالغة . ولم يوصف العقل بالحكمة . ولم يكن اعتدال بين هذه القوى . كانت الآلام النفسية الموجهة التي تبقى في النفس بعد الموت . وهذا انحراف في الأخلاق كما أن المرض انحراف في المزاج . فاذا غلب السم حدثت الأمراض الناجمة عنه . كما أن الغضب في الأخلاق يحدث عنه أمثال الاحقاد والضغائن واذا غلبت الشهوة حدثت أمور . كالعشق المنحرف عن الجادة ومتى فارق المحب ما حبه جزع . وهناك موازنة ما بين الآلام الجسمية بقسميها وما بين الآلام النفسية . ولنضرب لك مثلا بوضع المقام فنقول لتتخذ حاسة اللمس مثلا فان الآلام الواصلة الى الجسم منها تكون بالضرب أو بالجرح مثلا . وقابلها بالآلام الروحية لفقد المحبوب من مال وعقار

فلأن رجلا قيل له أعطني عقارك وضياحك وضرب ضريا موجعا فانه لا يترك ماملك ولا يدع ما أحب لما يحس من الألم الناجم من فراق المحبوب وهو ما يملكه وهو أشد من الألم الناجم من الضرب المؤلم بطريق اللمس . لأنه لا يزال يوازن بين الألمين ويتحمل الأمرين ويرضى بجزئي جلده . حتى اذا أصبح ألم الجسم لا يطاق . وكادت تلتفت الساق بالساق . هنالك يرى الألم الناجم من الضرب الجسمي أقوى من ألم فراق المحبوب فيتركه على قاعدة « اذا اجتمعت علتان يقبح الأخف »

( قال الامام الغزالي . والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لبغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذيا يضاهي انقلاب العشق مؤذيا عندهموت المعشوق فانه كان لتبذ فطرات عليه حال صلا اللذيد بنفسه مؤلما . حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يجني معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال . بل هذا بعينه أحد أنواع عذاب الميت . فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقربيه ومعارفه ولو أخذ منه جميع ذلك في حياته من لا يريد استرجاعه . فماذا ترى يكون حاله . أليس يعظم شقاؤه ويشد عذابه ويقول ياليتني لم يكن لي مال قط ولا جاه فكنت لا أتأذى بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة

ماحال من كان له واحد \* غيب عنه ذلك الواحد



فاحال من لايفرح الابالديا فتؤخذ منه وتسلم الى أعدائه ثم يضاف الى ذلك الحسرة على ما فاتته من نعيم  
الآخرة انتهى المقصود منه  
وجاء في صحيفة ٤٤ ما يأتي

### ﴿ المجلس الرابع ﴾

( في الروح التي أخبرت بموتها وزمنه وفي قلة علم النوع الانساني ومقارنات شتى )

بين أقوال الأرواح وبين القرآن والحديث الشريف

فلما أن جاء الشيخ شير محمد والنأم المجلس شرع يطالبني بما وعدته في المجلس السابق فقلت حبا وكرامة  
أما القصة الأولى فهي ماقاله في الكتاب المذكور في صفحة ٦٣ ونصه بالحرف الواحد روى المعلم جاردى  
تقلا عن إحدى الجرائد الرومانية الألمانية الحادث الآتى :

في اليوم الثالث من شهر آب ١٨٨٢ قعد ثلاثة أشخاص من مدينة . ح . حول طاولة لمكالمتها . فلما  
استقرت بهم الحال . أخذت المائدة تتحرك اشارة الى رغبتها في التكلم . فدار بينهم الحديث الآتى :

(س) من الطارق . ج : خياط مقتول

(س) كيف قتلت . ج : مرّ على قطار فداسني

(س) متى كان ذلك . ج : منذ ثلاث سنين

(س) وأين تم ذلك . ج : في أوتنبرارمن

(س) أي يوم . ج : في ٢٩ آب سنة ١٨٧٩

(س) ما اسمك . ج : سيجوار ليكو بيسك

(س) أين كان مقرك . ج : في بارمن

(س) هل والدك في قيد الحياة . ج : نعم

(س) أكنت معلما أم صناعا . ج : كنت أجيرصانع

(س) في أي سن قتلت . ج : في السابعة عشرة من عمري

(س) هل تستحسن أن تبلغ ذلك لوالديك . ج : كلا

(س) لماذا . ج : لأنهما لا يعتقدان الحياة بعد الموت

(س) ربما هنا يقنعهما . ج : لاينوهم من ذلك الا السخرية

(س) كيف تمّ حادث قتلك .

(ج) كنت ذاهبا لزيارة أنسباء لي في أوتنبرارمن واذا كنت ماشيا في طريقي لم ألمح لضيف بصري قدم

القطار فرّ على وداسني

(س) بما اذا اشتغل الآن . ج : لا أستطيع وصف ذلك .

فجذب الحضور من هذه الرواية وقصدوا أن يتحققوا صحتها فكتب أحدهم في اليوم الثاني الى مديرية

بارمن ليستقصي الخبر فورداليه الجواب من رئيس الشحنة في ١٧ آب سنة ١٨٨٢ وهاك نصه : اجابة لطلبكم

رقم ٨ الجلوي أتشرف باعلامكم أننا على اثر مطالعتنا سجلات المديرية وجدنا أن الصانع الخياط المدعو

سيجوار ليكو بيسك وله من العمر سبع عشرة سنة بينما كان مارا في طريقي أوتنبرارمن ليلة ٢٦ آب سنة ١٨٧٩

الساعة ١١ والدقيقة ١٤ مرمن فوقه قطار السكة الحديدية فقتله ونسبت قضيته الى نجول القليل جهلا منه في

طريق القطار . اه

## اللطائف العامة لأقسام السورة كلها (١)

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

( في قوله تعالى - هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه - الى قوله - فانما يقول له كن فيكون - مع قوله - الله الذى جعل لكم الأنعام - الى قوله - فأى آيات الله تنكرون - مع ملاحظة آية - خلقكم من نفس واحدة - التى فى سورة الزمر الى قوله هناك - فينبشكم بما كنتم تعملون - وقوله فيها - خلق السموات والأرض بالحق - الى - من الله العزيز الحكيم - )  
فهنا خلقنا وخلق أنعامنا ، وانه حكيم ، وانه خلق هذه العوالم بالحق ، وانه يرضى لنا شكر النعمة ولا يرضى لنا كفرها ، ولا جرم أن المجهول لا شكر عليه ، إذن المعلوم هو الذى يكون عليه الشكر ، وعلى قدر جهل الانسان بالنعمة يكون كفرها وعلى مقدار معرفة حقائقها والعمل بها يكون شكرها ، إذن المسلمون اذا جهلوا الأنعام ونحوها فهم كافرون بنعمتها والله لا يرضى لنا ذلك الكفر ، وأنت علم أيها الذكر أن شكر النعمة تقم تفسيره تكرارا فى هذا التفسير ، ذلك ان شكرها صرفها فيها خلقت له وذلك لا يكون إلا بعد المعرفة فمن عرف نعمة المحسن أحبه وأثنى عليه بلسانه وذلك هو الحمد وأطاعه بتسخير أعضائه كلها له ، إذن هنا قلب عرف فأحب - ولسان أثنى وجوارح تسخر فى مصالح المشكور والمشكورنا هو الله والله غنى - ، إذن يجعل الانسان كل مواهبه مسخرة لعباد الله ، هذا هو شكر النعمة الذى أساسه المعرفة ، والمسلمون اليوم فى أقطار الأرض محروم أكثرهم من معرفة هذه العوالم ، والحرمات من المعرفة يبعث على التقصير فى الشكر فوجب على إذن فى هذا المقام أن أصطفى نبذا جيلة مفيدة للمسلمين كنموذج لمعرفة علم الحيوان ، ولأخص من غوامض العلم ما تقع أعين الناس عليها وهم عنها غافلون

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقى العالم الذى اعتاد محادثتى فى هذا التفسير . فقال : ماذا تريد أن تقول فى علم الحيوان ؟ ألم تكتب عنه مقادرا كبيرا فى ﴿ سورة النحل ﴾ عند آية - وان لكم فى الأنعام لعبرة - الخ وفى ﴿ سورة طه ﴾ نبذا جيلة مصورة بالصور الشمسية البديعة وهكذا فى آخر ﴿ سورة الحج ﴾ إذ بينت هناك كيف تقسم الحيوانات الى فقرية وغير فقرية ، وجعلت الذبابة المذكورة فى الآية محور التقسيم ناقلا عن العالم الفرنسى الذى كان يتحدث تلاميذه فى أمر الذبابة وانها عند عصرها لا يرى لها عظم ولا دم والحسان عند تمهيشة يرى له دم وعظم ، وهناك انقسمت الملكة الى هذين التسمين وهكذا . ثم إنك فى ﴿ سورة النور ﴾ أطلت فى هذا المقام ورسمت الصور الحيوانية والنباتية المقسمة على المناطق الأرضية كلها . وهناك إيضاح تام عند قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع - الخ وهكذا فى ﴿ سورة النمل ﴾ شرحت أحوال النمل شرحا وافيا كما شرحت أحوال الحشرة المسماة بالأرضة وأبنت عجائبها البديعة فى ﴿ سورة سبأ ﴾ عند آية - ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته - وفى ﴿ سورة الروم ﴾ رسمت صور الحشرات والطيور والتعابين المختلفات الألوان لتبين أن الألوان التى انصفت بها هذه الحيوانات كانت سببا فى حفظ ماشا كلها بهذه الألوان من الحيوانات الأخرى التى خلت من سلاح المقاومة والحفظ وهذا كما اتضح فى أول الروم فى آية - واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين - واتضح أيضا فى ﴿ سورة المؤمنين ﴾ فى أولها عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فهناك حيوانات كثيرة مرسومة حفظت بما منحت من الهيئات الخاصة

(١) هذه اللطائف لم تسطر إلا عند طبع هذه السورة ولم يكن لها وجود عند التأليف : المؤلف

والألوان المناسبة لحاها بخلاف تلك المرسومات في ﴿سورة الروم﴾ فإن منفعة ألوان الحيوان تعتد الى حفظ غيره لأن مشابهة ما ليس له سلاح لماله سلاح من الحشرات ونحوها هي التي أخافت الحيوانات المفترسة لهذه الحشرات ونحوها فصارت محفوظة ، ذلك كله ظاهر وقد تقدم كما تقدم في ﴿سورة فاطر﴾ بجانب أنواع الريش في مختلف الطيور ونحو ذلك وهكذا تقم هناك بجانب المعدة والامعاء وأعصاب الحس وأعصاب الحركة وما شابه ذلك كله تقدم موضعها أيما إيضاح كما انضح أيضا في ﴿سورة السجدة﴾ عند آية - الذي أحسن كل شئ خلقه - الخ هذا كله تقم في هذا التفسير ، فما الذي تريد أن تقوله اليوم في علم الحيوان ؟ قلت : أنا أسألك سؤالا في علم الحيوان . فقال سل . فقلت : ما تقول في نوع السحالي والبرص والحرباء ، أضرار هذه أم نافعة ؟ فقال : لا أدري . قلت : ما الفرق بين الثعابين السامة والتي لا سم لها حتى تقتل الأول ولا تقتل الثاني ، وما الثعبان الذي يحمله الحوامة في بلادنا المصرية ؟ وهل هو سام . فقال : لا أدري قلت : هل تعلم حيوانا في الماء يولد في مكان بعيد عن وطنه الأصلي بعدا شاسعا جدا وهذا المولود وهو صغير يسافر شهورا وشهورا حتى يرجع الى الوطن الذي خرج منه أصله . فقال : كلا . فهذه ماهي إلا ألفاز قلت : وهل العلق الذي في الأرض له منفعة ؟ فقال : لا أدري . قلت : أضرار الحدأة أكبر أم نفعها حتى اذا غلب ضررها قتلناها أو نفعها أبقيناها ؟ فقال : لا أدري . قلت : فلا جيبك على هذه الأسئلة في هذا المقام حتى اذا جاءت فرصة ذكرت فوائد أخرى وذلك في ﴿سبعة فصول﴾ في السحالي والبرص والحرباء والثعابين وثمانين السمك والعلق والحدأة . فقال : ولكن يظهر لي أن الكلام وان حسن فقد خرج عن الموضوع . قلت : إن الله يقول - وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج - فقد ذكر الأنعام والأنعام نوع من الحيوان إذن فلنبحث في تقسيم الحيوان حتى نستخرج منه الأنعام . فقال : أما هكذا فنعم . قلت : نظرنا في كتب المتقدمين فوجدنا أن « اخوان الصفاء » يقسمه الى ناقص الخلقه وتام الخلقه ، وناقص الخلقه مقم في الوجود على تام الخلقه . ثم قال بعد كلام : واعلم يا أخي أن الحيوان هو جسم متحرك حساس يفندي وينمي ويحس ويتحرك حركة مكانية ، وان من الحيوان ماهو أشرف المراتب مما يلي رتبة الانسانية وهو ما كان له الحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم ومنه ماهو أدون رتبة مما يلي النبات وهو كل حيوان ليس له اللاحسة واحدة وهي اللس حسب كالأصناف ، وما كان كأجناس الديدان كلها التي تتكون في الطين أوفى الماء أوفى الخلل أوفى الثلج أوفى لب الثمر أوفى الحب أوفى لب النبات والشجر أوفى أجواف الحيوانات الكبار الجثة ، وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبة ، ويحس باللس وليس له حاسة أخرى لا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر غير اللس حسب . وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد البلى . ومنها ماهي أتم بنية وأكل صورة وهي كل دودة تتكون وتذب على ورق الشجر والنبات ونورها وزهرها لها ذوق ولس . ومنها ماهي أتم وأكل وهي كل حيوان له لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهي الحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواقع المظلمة ومنها ماهي أتم وأكل وهي كل حيوان من الطوام والحشرات التي تدب في المواقع المظلمة له لمس وذوق وسمع وشم وليس له بصير مثل الخلعة . فباللس قوام جشته وبالذوق يميز الغذاء من غيره وبالشم يعرف مواضع الغذاء والقوت وبالسمع يعرف وطأ المؤذيات له فيجتريز قبل الورود والهجوم عليه ولم يجعل له البصر لأنه يعيش في المواقع المظلمة ولا يحتاج الى البصر ولو كان له بصير لكان ذلك وبالا عليه من حفظه من إغماض العين من القذى ضرورة لأن الحكمة الإلهية لم تعط الحيوان عضوا ولا حاسة لا يحتاج اليها ولا ينتفع بها . ومنها ماهو أتم بنية وأكل صورة وهي مالها خمس حواس كاملة وهي اللس والذوق والشم والسمع والبصر ثم يتفاضل في الجودة والرداءة

**(فصل)** ومن الحيوانات ما يتدرج كدودة الثلج ومنها ما يزحف كدودة الصدف ومنها ما ينساب كالحية ومنها ما يدب كالعقارب ومنها ما يعدو كالقار ومنها ما يطير كالذباب والبق ومما يدب ويمشي ماله رجلان ومنها ماله أربعة أرجل ومنها ماله ستة أرجل ومنها ماله أكثر كالسمك ومما يطير من الحشرات ماله جناحان ومنها ماله أربعة أجنحة ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون كالجراد ومنها ماله خرطوم كالبق والذباب ومنها ماله مشفر ووجه كالزناير ومن الطوام والحشرات ماله فمك وروية وتميز وتديب وسياسة مثل النمل والنحل يجتمع جماعة منهم ويتعاونون على أمر المعيشة واتخاذ المنازل والبيوت والقري وجمع الفسائر والقوت للشتاء ويعيش حولا ويرجمازاد وما كان غير هذين من الطوام والحشرات مثل البق والبراغيث والذباب والجراد وماشا كلها فانها لا تعيش حولا كاملا لانها يهلكها الحر والبرد المفرطان ثم يتكون في العام القابل مثلها

**(فصل)** ومن الحيوان ما هو أتم بنية مما ذكرنا وأكمل صورته منها . وهو كل حيوان بدنه مؤلف من أعضاء مختلفة الأشكال وكل عضو مركب من عدة قطع من العظام وكل قطعة منها مفتحة الهياآت من الطول والقصر والدة والغلظ والاستقامة والاعوجاج ومؤلفه كلها بمفاصل مهندمة التركيب مشدودة الاعصاب والرباطات محشوة الخلل باللحم منسوجة بالعروق محصنة بالجلدة مغطاة بالشعر والوبر والصوف والريش أو الصدف أو القلوس وفي باطن أجسادها أعضاء رئيسة كالدماغ والرئة والقلب والكبد والطحال والكليتين والثانة والامعاء والمصارين والأوراد والمعدة والكرش والحوصلة والقانصة وماشا كلها وفي ظاهر البدن أرجل وأيد وأجنحة وذنب ومخالب ومناقير والحافر والظلف والخف وماشا كلها كل ذلك لما رُب وخصال عدة ومنافع جمة لا يعلمها الا الذي خلقها وصورها وانشأها وأتمها وأكملها وبلغها الى أقصى غايتها وتمام نهايتها وهذه كلها أوصاف الأنعام والبهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وبعض حيوان الماء وبعض الطوام كالحيات والأنعام وهو كل ماله ظلف مشقوق والبهائم ما كانت لها حافر والسباع ما كان لها أنياب ومخالب والوحوش ما كان مركبا بين ذلك والطيور ما كان لها أجنحة وريش ومنقار والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوس ومخالب معقربة وحيوان الماء ما يقيم فيه ويعيش والحشرات ما يطير وليس له ريش والطوام ما يدب على رجلين وأربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدرج على جنبه

**(فصل)** ثم اعلم يا أخي أيديك الله وإياها بروح منه بأن الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية التي لها عظام كبار وجلود ثخانة وأعصاب غلاظ وعروق واسعة وأعضاء كبيرة مثل الفيل والجل والجاموس وغيرها تحتاج أن تمكث في الرحم زمانا طويلا الى أن تولد لعلتين اثنتين احدهما كجما يتجمع في الرحم تلك المواد التي تحتاج اليها الطبيعة في تميم البنية وتكميل الصورة والعلة الأخرى كجما تدور الشمس في الفلك وتقطع البروج الثلثات المشاكلات للطباع ونحط من هناك قوى روحانيات الكواكب الى عالم الكون والفساد التي تحتاج اليها في تميم قوى النفس النامية الباقية وقوى النفس الحيوانية الحاسة ليقبل كل جنس من الكائنات المولودات ماله أن يقبل من تلك القوى كما ينظر طرفا من ذلك في رسالة مسقط النطفة . ثم اعلم يا أخي أيديك الله وإياها بروح منه بأن الحيوانات التامة الحلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كونت في بدء الخلق ذكرا وأنثى من الطين تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار هناك متساويين والحر والبرد معتدلين والمواضع الكنبنة من تصريف الرياح موجودة هناك والمواد كثيرة منبهة لقبول الصورة ولما لم يكن في الأرض مواضع موجودة بهذه الأوصاف جعلت أرحام اناث هذه الحيوانات على هذه الأوصاف من اعتدال الطباع لكيما اذا انتشرت في الأرض تناسلت وتوالدت حيث كانت وأكثرت الناس يتعجبون من كون الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من كونها في الرحم من ماء مهين وهي أعجب في الحلقة وأعظم في القدرة لأن من الناس من يقدر أن يصور حيوانا من الطين أو من الخشب أو من الحديد أو من النحاس كما هي موجودة مشاهدة في أيدي الناس من

خلقة الأصنام ولا يمكن أحدا أن يصور حيوانا من الماء لأن الماء جسم سيال لا تماسك فيه الصورة فتكون هذه الحيوانات في الأرحام أو في البيض من ماء مهين أعجب في الخلقة وأعظم في القدرة من كونها في الطين وأيضاً ان أكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل أكثر من خلقة البقرة وهي أعجب خلقة وأطرف صورة لأن الفيل مع كبر جسده له أربعة أرجل وخرطوم ونايلان خارجان والبقرة مع صغر جسدها لها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وأمعاء وأعضاء أخلايدر كما البصر وهي مع صغر جسدها مسلطة على الفيل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يمنع بالتحرز منها . وأيضاً فإن الصانع البشري يقدر على أن يصور فيلا من الخشب أو من الحديد أو من غيرها بكامله ولا يقدر أحد من الصانع أن يصور بقرة لآمن الخشب ولآمن الحديد بكاملها وأيضاً فإن كون الانسان من النطفة بديام في الرحم جنيناً ثم في المهدي ضعيفاً ثم في المكتب صبيماً ثم صاريف أمور الدنيا رجلاً حكماً أعجب أحوالاً وأعظم اقتداراً من كونه يبعث من تراب قبره يوم القيامة وخروج الناس كأنهم جراد منتشر وهكذا أيضاً مشاهدة خروج عشرين فروجة من تحت حضانة دجاجة واحدة أو ثلاثين دراجة من تحت حضانة واحدة ينقض عنها قشور بعضها في ساعة واحدة وعدوكل واحدة في طلب الحب وفرارها وهربها من الطالب لها حتى ربما لا يقدر عليها أعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة فما انتهى منع المنكرين من الاقرار بذلك وهم يشاهدون مثل هذه التي أعجب هي منها وأعظم في القدرة لولا جريان العادة بها اهـ

هذا ما جاء في « اخوان الصفاء » أيها الذكي ولا جرم انك رأيت في هذا المقال تعريف الأنعام بحسب ما كانوا يرونه والفرق بينها وبين السباع والبهائم ، هذا نوع آراء المتقدمين ، ولما كان هذا التفسير لا يقع أذكياؤه قرائه بأراء طائفة دون أخرى أردت أن أريك تقسيم المتأخرين للحيوان وهناك تأتي بالفصول السبعة تعرف أجوبة المسائل المتقدمة ، وهناك تعرف أننا في هذه الاجابة الآتية لم نخرج عن مضمون الآية الكريمة فقد صرح فيها بالأنعام ، وما الحيوان إلا أنعام وغير أنعام ، وهذا الذي سنذكره انما هو بعض المقابل لما في الآية ، وهذا من مقاصد التفسير ، إذن الفصول السبعة الآتية لا تخرج عن مضمون التفسير ، فهناك تقسيم المتأخرين في زماننا الحاضر :

الحيوانات إما أولية أي ذات خلية واحدة . وإما غير أولية أي كثيرة الخلايا . فذات الخلية الواحدة كحيوان الملاريا الذي لا أعضاء له يتحرك بها فيعيش في السرات الدموية الجراء في دم الانسان فترفع حرارته بسبب تكاثر هذا الحيوان بالتناسل وهو يستعين بالناموس فيدخل فيه وهذا ينقله الى انسان آخر فيمرض بهذا المرض . فهذا هو أذى الحيوان خلق ليكون ضارا بالنوع الانساني والانسان مكلف بدراسته ليتقيه . فهذه نعمة من حيث انها تحثنا على الدراسة التي بها نعرف مضرّة الضارّ فننتقيه ومنفعة النافع فنصطفيه . فإذا جهلنا فأننا لاجمالة مصابون بالضارّ معاقبون بالحرمان من منفعة النافع . انتهى الكلام على الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة

أما الحيوانات ذوات الخلايا فهنا الاسفنج وهو معروف . ومنها حيوان المرجان . وقد تقدم الكلام عليه في « سورة النحل » وسور أخرى . ومنها الحيوانات ذوات الجلد الشوكي كنجم البحر وهذا تقدم في « سورة الحج » رسمه وقنفذ البحر . ومنها الديدان المفرطحة كالودودة الكبدية والبهاريسيا . ومنها الديدان الاسطوانية مثل دودة الانكاستوما . ومنها الودودة الحلقية وهي دودة الأرض والعلق الطلي . ومنها الحيوانات المفصليّة مثل الصرصار والذباب المنزلي الخ . ومنها الحيوانات الرخوة كالقواقع وأم الخلول . ومنها الحيوانات القربية التي جاءت ببعضها هذه الآية . والفقريّة منها السمك والضفادع والزواحف والطيور والحيوانات الثديية هذا يجمل أنواع الحيوانات . ولا جرم أن التوصل السبعة الآتية بعضها من ذوات الفقرات كشعابين السمك

وكالحدأة . وبعضها من الديدان الحلقيه كدودة الأرض . وبعضها من الحيوانات الزاحفة كالسحالي والبرص والحرباء والتعاين . إذن فلنذكر الفصول السبعة على ترتيب ما قدمناه :

### ( الفصل الأول في السحالي )

اعلم أن السحالي من الحيوانات الوريية . وهذه الحيوانات تغطي أجسامها بالخرشيف أو الدرناات . ولها أربعة أطراف تنتهي أصابعها بمخالب حادة . وهذه الحيوانات في الغالب نشطة وسريعة الحركة وألوانها زاهية وبعضها يماثل لون الوسط الذي يعيش فيه وهذا يساعدها على الاختفاء عن الأنظار . وأذناها هذه الحيوانات طويلة و يلاحظ أنها تتحرك زما بعد فصلها عن الحيوان . ولطه الحيوانات قدرة خاصة على تجديد بعض أعضائها المقطوعة كالأذناات

تعيش الحيوانات الوريية في المناطق الحارة عادة و يقل وجودها أو يندم في الأقطار الباردة . وتتغذى هذه الحيوانات باللحوم كالحشرات والديدان وغيرها . وتضع أيضا تدفنه في الرمال حتى يفقس . وتشمل هذه الفصيلة حيوانات كثيرة مختلفة منها الورل والسحالي والأبراص والحرباء

(١) الورل : حيوان كبير الحجم نوعا يغطي جلده بدرناات خشنة . ويصل طول أكبر أنواعه إلى متر أو أكثر . ويعيش بعض أنواعه في الصحارى وعلى شواطئ الأنهار حيث تفوص في الماء إذا أزعجت  
(٢) السحالي : حيوانات كثيرة الأنواع توجد في جميع جهات القطر في المزارع وغيرها وتسلق الأشجار وتتغذى بالحشرات والديدان والحيوانات الصغيرة وجلدها لين في الغالب وذو ألوان زاهية وتعتبر من الحيوانات النافعة لأنها تتغذى بالحيوانات الضارة ( انظر شكل ١ )



( شكل ١ - رسم السحلية )

### ﴿ الفصل الثاني . الأبراص ﴾

(٢) الأبراص : زواحف صغيرة تكثرت في المنازل ، ولها أصابع مفرطحة نوعا منتهية بمخالب ويشكون هذا الجزء المفرطح من أجزاء عضلية مستعرضة بارزة موازية لبعضها تقريبا ، فإذا وضع الحيوان قدمه على سطح أملس انطبق سطح هذه الأجزاء عليه انطباقا تاما ، وذلك بطرد الهواء الموجود بينهما وبذلك يتمكن البرص من تسلق الجدران الناعمة والتمسك على الأسطح الملساء كلزجاج ، وتتغذى الأبراص بالحشرات الصغيرة في المنازل كالصراصير مثلا ، ولذلك يعتبر البرص من الحيوانات النافعة والذكور في العادة أزهي لونا من الاناث ، وتماثل الأبراص لون الوسط الذي تعيش فيه عادة ( انظر شكل ٢ في الصفحة التالية )



( شكل ٢ - رسم البرص )

## ﴿ الفصل الثالث . الحرباء ﴾

(٣) الحرباء حيوان غريب الشكل متوسط الحجم يعيش على الأشجار ، والحرباء رأس هرمي وعلى جانبيه عينان برزقتان وتتحرك كل منهما بمفردها في جميع الاتجاهات ، وعنقها قصير وعليه ثنيات جلدية ، ولها ذنب طويل ورفيع يلتف عادة حول أفرع الأشجار التي تقف عليها ، وأصابعها معدة للقبض على أفرع الأشجار . وجلد الحرباء لين ويتغير لونه بسرعة حسب لون الوسط الموجودة فيه الحرباء لتختفي فيه عن الأنظار ، وتصعب رؤيتها حتى من مسافة بسيطة ، ولسانها طويل واسطواني الشكل وينتهي بطرف منبسط كالملقعة يفرز مادة لزجة . وتتغذى الحرباء بالنسب وأبي دقيق والصراصير والحشرات الصغيرة إذ عند ما تقرب منها حشرة ينطلق لسانها بسرعة البرق فتلتصق الفريسة بقمته وسرعان ما يعود اللسان بها الى الفم . والحرباء حيوان بطيء الحركة كسول يتربص لفريسته زمنا طويلا حتى يتمكن منها . وتوجد الحرباء في كثير من بقاع الدنيا القديمة وفي كثير من مناطق الصحارى المصرية حيث توجد بعض الحشائش والأشجار ( انظر شكل ٣ )

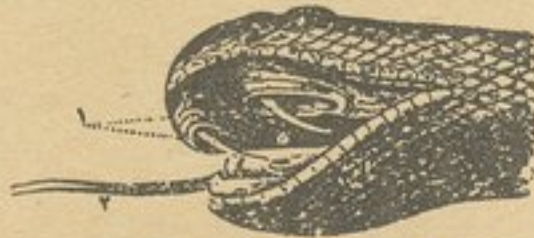


( شكل ٣ - رسم الحرباء )

### ﴿ الفصل الرابع : الثعابين ﴾

(٤) الثعابين : تتميز الثعابين عن الزاحفات الأخرى بطول جسمها وخلقه من الأطراف (توجد الأطراف الخلفية بحالة أثرية تحت الجلد في البوا والبيتون) ويناسب شكل الثعابين مع طرق معيشتها حيث تزحف داخل الشقوق والاتفاق الضيقة . ويغطي جسمها بطبقة حرشفية . وتغير الثعابين الطبقة الخارجية من جلدها في فترات منتظمة . وتعيش الثعابين في جميع بلاد العالم وتكثر على الأخص في البلاد الحارة فيعيش بعضها في الغابات ويسلق الأشجار . ويعيش بعضها على الأرض في أنفاق خاصة . ويعيش البعض في الماء . وأغلب الثعابين المائية سام

توجد بجانب رأس الثعبان عيان ليس لها جفون متحركة وهذا ما يجعل الحيوان كأنه محقق دائماً . وما يستحق الذكر أن الثعابين لا ترى تماماً أيام انسلاخها لأن الطبقة الخارجية لقرنية العين تغير أيضاً . وبالجزء الأمامي من الرأس يوجد الفم وله فتحة كبيرة ، وتمكن الثعابين من ابتلاع حيوانات كبيرة بالنسبة لحجمها ، وذلك راجع لعدم التحام بعض عظام الرأس التي يتصل بها الفك الأسفل ، وبهذا يمكن فتح فمها واسعا بدرجة غير عادية ، وبما يسهل مرور القرينة الكبيرة اللحم في القناة الهضمية كون أضلاع الثعابين عاتمة أى سائبة من أسفل ولا تتصل بقص متوسط وللثعابين أسنان حادة متصلة بالفكين ولسان طويل سريع الحركة وذو طرف مشقوق ويستعمل كعضو للحس (انظر شكل ٤)



( شكل ٤ - رسم رأس ثعبان سام )

(١) النابان السميان (٢) اللسان المشقوق

ويميل أكثر الثعابين للرقاد هادئا ولا يتحرك إلا من الجوع أو الخوف . وبعضها نهاري ويميل للرقاد تحت أشعة الشمس المباشرة . وبعضها ليلي أى انه لا يتجول للبحث عن غذائه إلا ليلا . وتغلب أكثر الثعابين على فريستها بسرعة حركتها وقوة عضلاتها . وقد وصفها بعضهم بقوله : « إن الثعابين تفوق القرود في مقدرتها على التسلق والأسماك في مقدرتها على العموم والزبرا في مقدرتها على الوثب وتفوق على أكبر مصارع وتبلس بالخرطامح » وكل هذه الصفات ترجع لقوة مجموعها العضلي

تتغذى الثعابين بالطيور المختلفة وبيضها وفراخها وبالجرذان والسحالي إذ تبتلعها كما هي وتتغذى كذلك بالضادع والأسماك . وتضع الثعابين أيضا بدهن في الرمال وأكوام الأسبخة وفي الأراضي ، وقد ترقد بعض الثعابين على بيضها . ويولد البعض الآخر أحياء كبعض أنواع الحيات . والثعابين إما سائمة أو غير سائمة وتتميز الأولى بوجود نابين كبيرين حاذين بالفك العلوي يعرفان بالنابين السميان

يفرز سم الثعبان من غدتين موجودتين على جانبي القسم الأمامي من الجمجمة بالقرب من عظام الفك العلوي الذي يحمل النابين السميان . ومن المحتمل أن هاتين الغدتين تقابلان الغدتين السكيتين اللعائيتين متحورتين . وتخرج من كل غدة سمية قناة تمتد إلى الناب المقابل لها فتنتفح إما في قناة مقفلة تمر في وسطه أو في قناة



مفتوحة هي عبارة عن ميزاب بجانبه . وفي كلتي الحالتين يمر السم الى الجرح الذي سببه الناب في جسم القريسة . ولا تختلف الثعابين السامة ذات القناة المفتوحة في شكلها العام عن غير السامة . أما الثعابين السامة ذات القناة الداخلية فنكون ذات ذيل قصير ورأس مثلث ولونها زاه قليلا كما في الحيات وسم الثعبان سائل رائق مصفر اللون وسريع التأثير اذا حقن تحت الجلد أوفى الدم مباشرة وذلك ما يحصل عند ما يعض الثعبان فريسته . ولا يؤثر سم أغلب الثعابين اذا وصل الى القناة الهضمية لأنه يتأثر بالعصارات الهضمية كباقي المواد الزلالية فيتحلل تركيبه ويفقد خواصه السامة . وتستعمل الثعابين سمها للدفاع عن نفسها وكذلك لتسميم فريستها حتى تنقلب عليها . وسنذكر هنا بضع أنواع سامة وأخرى غير سامة :

(١) « الثعبان الناشر » واسمه العلمي (ناجاهاجي) . يعرف هذا الثعبان بالكوبرا المصري وسمي بالناشر تبعا لانبساط رقبة عرضا عند انفعاله ويوجد في المزارع في جميع جهات القطر المصري ولونه العام بني في سطحه العلوي وأمفر في سطحه السفلي ويصل طوله الى متر وثلاثة أرباع المتر ويتغذى بالضفادع والعيوان وغيرها وربما بالأسماك لأنه يعبر الترع اذا اضطر لذلك . وتضع الأنثى بيضا يختلف عدده من ١٨ الى ٢٥ بيضة في حجم بيض الحمام وله قشرة جلدية بيضاء . وسم الثعبان الناشر قتال سريع الفعل ويحدث نوع من الكوبرا في الهند عددا من الوفيات كل عام (انظر شكل ٥)



( الكوبرا المصري )

( شكل ٥ - رسم الثعبان الناشر والكوبرا )

(٢) « الحية المقرنة » واسمها العلمي (سيراستيس كوزنوتس) وهذا النوع من الثعابين ذو سم قتال للحيوانات الصغيرة ، وليس من المحقق أنه قتال للإنسان ، وتعيش الحيات في الصحارى ولونها مصفر كالرمل وعليها بقع داكنة اللون وتتميز بوجود تتوين صغيرين كالثقرون على رأسها وتتغذى بالقران والحيوانات القراضة الصغيرة التي تجدها في تلك المواضع كالجرعوع مثلا ، ويبلغ طولها نصف متر أو أكثر قليلا (انظر شكل ٦ في الصفحة التالية)



( شكل ٦ - رسم الحية المقرنة )

(٣) « الثعبان ذوالجرس » واسمه العلمي ( كروتالوس أتروكس ) يوجد هذا النوع من الثعابين السامة في أمريكا ويمتاز بذيئه الذي يغطي طرفه بعدد من حراشيف قرنية جافة ومستديرة تحدث رنيناً عند احتكاكها ببعضها أثناء سير الحيوان ( انظر شكل ٧ )



( شكل ٧ - الثعبان ذوالجرس بالحجم الطبيعي )

(٤) « الثعبان الأرقم » واسمه العلمي ( زامينيس دياديما ) . هذا الثعبان غير سام وكثير الانتشار في جميع القطر ولونه العام في سطحه العلوي رملي مائل الى الاحمرار وعليه بقع ذات لون بني ، أما سطحه السفلي فذو لون أصفر ، ويسكن في الجهات الجافة فيكثر وجوده في الحفر العميقة بجوار الاهرام وعلى حدود الدلتا القريبة من الصحراء وفي الدلتا نفسها في المناطق الجافة الخالية من المزروعات ، ويوجد هذا الثعبان دائماً مع الحوأة وبلغ طوله ( ١٣٠ ) سنيمترا تقريبا ويتغذى بالقران والحيوانات القراصة الصغيرة

(٥) البيتون) هو أكبر أنواع الثعابين إذ يبلغ طول بعضها تسعة أمتار أو عشرة ، وتوجد في كثير من المناطق الحارة في أفريقيا وآسيا وهي غير سامة . وتقتل فريستها بكونها تلتصق على جسمها وتضغط عليه حتى تموت الفريسة . وتوجد بهذا الثعبان آثار الأرجل الخلفية تحت الجلد كما سبق القول (انظر شكل ٨)



( شكل ٨ - بيتون أفريقي يتنلع دجاجة )

### ﴿ الفصل الخامس في ثعابين السمك ﴾

الأسماك حيوانات مائية تحورت أجسامها بشكل خاص يساعدها على معيشتها الدائمة في المياه ولواسنئنا الأسماك المفرطحة كسمك موسى لوجدنا بقية أنواع الأسماك كلها قريبة الشبه بعضها من بعض . جسمها يشبه القارب ومغطى بقشور متصلة بالجلد من جهة واحدة وسائبة من جهاتها الأخرى . وتغطي القشور بعضها بعضا وكلها في اتجاه واحد . وهذه القشور من أهم مميزات الأسماك كما ان الحراشيف من مميزات الزاحفات والريش من مميزات الطيور . والشعر من مميزات الحيوانات الثديية

من ثعابين السمك نوعان : أحدهما يعيش في أنهار أوروبا وشمال أفريقيا . ويعرف بثعبان السمك الاوروبى الافريقى واسمه العلمى (أنجلا أنجلا) ويعيش الآخر في أنهار الولايات المتحدة التي تصب في المحيط الاطلسى واسمه العلمى (أنجلا كرزيبا)

ويوجد ثعبان السمك بمصر في النيل والترع الخارجة منه بكميات كبيرة . وهو حيوان اسطوائى ذو جلد أملس أى لا قشر عليه ولون ظهره أخضر قاتم و بطنه سنجابى وفه في مقدمة الرأس وبفكيه أسنان حادة قاطعة . ويتغذى الثعبان من اللحوم أى انه يأكل الحيوانات المائية التي يتمكن من اقتراسها كالأسماك الصغيرة والضفادع والبهدان وغيرها . ويختلف طول الثعابين من (٥٠) الى (١٠٠) سنتيمترا . فالصغيرة

في الطول عادة هي التي تعيش بالقرب من مصب النهر وهي الذكور عادة . أما التي تعيش في أعالي النهر فتكون طويلة وهي الاناث . وهذه الأسماك ليلية أي انها تختفي بالنهار بأن تدفن نفسها في الطين أو بين الأحجار وتخرج بالليل باحثه عن غذائها (انظر شكل ٩)



( شكل ٩ - ثعابين السمك ويشاهد بعضها مدفونا في الطين )

ولا تناسل الثعابين أصلا في الأنهار كبقية الأسماك النهرية ومع ذلك فإنه يوجد بها كميات كبيرة لا تقل سنة عن أخرى ، وكذلك فإنه توجد بين الكميات التي تصاد أفراد كبيرة وأخرى صغيرة ، وبلا حظ في الوقت نفسه أن الثعابين الكبيرة تهجر من النهر إلى البحر ، أما الصغيرة فتصعد من البحري إلى النهر ويتم نمو الثعابين عادة بعد مدة تتراوح من أربع سنين إلى سبعة ، وفي هذا الوقت يتغير لونها في السطح العلوي من أخضر إلى لون مائل للحمرة ، وفي السطح السفلي من سحبابي إلى أبيض فضي ، ويكون ذلك في فصل الخريف ، وعند ذلك تترك النهر مجتمعة في عدد كبير متجهة إلى مصبه ، وفي المساء عادة تنزل إلى البحر فتعوم بنشاط وتبدأ رحلة طويلة فتتم من بوغاز (جبل طارق) إلى المحيط الأطلنطي وتعتبر إلى جزائر برمودة القريبة من شواطئ الولايات المتحدة فتصلها في الشتاء ، وتقوم ثعابين أنهر أوروبا الغربية بنفس هذه الرحلة

وعند وصول الثعابين إلى نهاية رحلتها البحرية الطويلة يكون قد تم نمو أعضائها التناسلية فتضع الاناث بيضا في الماء وتفرغ كذلك الذكور ما ذتها المنوية في الماء أيضا فيتم إخصاب البيض بهذه الطريقة وتضع الأثني كميات كبيرة من البيض تبلغ المليون أو أكثر

أما مصير الذكور والاناث بعد ذلك فجهول ، ولكن الأرجح أن مصيرها الموت كما هي العادة عند بعض الحيوانات ، وعند ما ينفس البيض تخرج منه الصغار المعروفة بالبرقات فتبدأ سياحتها راجعة في الطريق التي أتت منها أبواها ، وتتغذى في طريقها بالحيوانات المائية الدقيقة ، وفي الوقت نفسه تكون هي معرضة

لافتراس كثير من الحيوانات البحرية ، وتستغرق سياحتها في الرجوع كما يقال سنة ونصف أوسنتين  
ومما يدل على أن قيام الثعابين النائمة النمو بهذه السياحة من الأنهار الى المحيط ورجوع برقاتها من المحيط  
الى الأنهار فعل غريزي هو أن يرقات ثعابين السمك الأمريكية لا ترجع إلا الى الأنهار الأمريكية التي تربى  
فيها أبواها ، ولا يوجد ثعبان السمك الأمريكي في أنهار أوروبا ولا أفريقيا وكذلك الحال مع الثعبان الاوروبى  
الافريقي ، وعند ما تصل اليرقات الى مصب النهر يكون ذلك عادة في أواخر الخريف أو أوائل الشتاء ، ويبلغ  
طولها في هذا الوقت تسعة سنتيمترات ، فتصعد النهر ويعيش بعضها بالقرب من مصبه وهذه تكون عادة  
ذكور المستقبل ، أما التي تصعد الى أعالي النهر فتكون أنثى المستقبل وهي التي يبلغ طولها عند نهاية نموها  
مترا تقريبا

أما الباعث لهذا الحيوان على تنقلاته الغريبة من النهر الى المحيط للتوالد ومن المحيط الى النهر للنمو فلا يزال  
غامضا وكل التفسيرات التي كتبت في هذا الشأن ليست شافية

### ﴿ الفصل السادس في دودة الأرض ﴾

اعلم أن الناس يعبشون ويموتون وأمامهم جبال وعلم وحكمة ولا يدرون ماهي ، لقد كنا أيام الطفولة  
توجه الى شواطئ البحار مع الأطفال ونبحث عن العلق في الأرض فنستخرجه ونضعه في الشص (الصنارة)  
ونضطاد به السمك ونحن لانقتل ولا آباؤنا ولا اخواننا لم يخلق الله هذا العلق ؟ الله أكبر ! فأرانا العلم أن  
هذا العلق يصل عدده في الفدان الواحد كما ستراه الى (٥٣) ألف دودة جعلت في الأرض لتحرثها حوثا غير  
حوت الانسان . إذن المسلم اذا عاش ومات وهو لا يعرف عجائب هذه الدنيا فقد كفر نعمة الله ولم يشكرها  
ومن كفر النعمة حرمها . وهذا سبب ضعف المسلمين . إذن فلا سمعك الكلام على دودة الأرض من كتاب  
« علم الحيوان » وهذا نصه :

### (١) - ﴿ دودة الأرض ﴾

توجد ديدان الارض بعدد وافر في الأراضي مهما كان نوعها غير أنه يلزم أن تكون رطبة لأن الرطوبة  
من ضروريات حياتها والجفاف قتال لها . ولذلك ينسدر وجودها في الأراضي الرملية والصحارى . ويكثر  
وجودها في الأراضي المغطاة بالنباتات والخضراوات إذ تقيها حرارة الشمس وذلك ككفي أرض الجنائن عادة

### ﴿ شكلها الخارجي ﴾

ديدان الأرض اسطوانية الشكل ويبلغ طولها ١٥ سنتيمترا تقريبا وطرفها رقيقان ولكن الأمامي  
منهما أرفع من الخلفي وجسمها مقسم بخطوط عرضية الى حلقات يتراوح عددها ما بين ١٢٠ و ١٨٠ حلقة ،  
ولون الجسم قزحي وعليه أشواك صغيرة متجهة الى الخلف لتساعد على الحركة دائما الى الأمام وهي أربعة  
أزواج في كل حلقة زوجان منها في كل جانب من الجسم . (انظر شكل ١٠)



(شكل ١٠ - دودة الأرض بالحجم الحقيقي)

تفعل دودة الأرض بجلد لين رطب مخاطي ويشاهد بالسطح العلوي للدودة انتفاخ بسيط واضح في الديدان

التامة النمو يعرف بالسرج ويمتد من الحلقة الثانية والثلاثين الى السابعة والثلاثين وبه غدد تفرز مادة مخاطية لصنع الكيس الذي تضع الودودة فيه بيضها . وتوجد بالجسم عدة فتحات نذكرها باختصار فيما يلي

(١) الفم فتحة صغيرة بأسفل الحلقة الأولى

(٢) الاست فتحة بيضية في الحلقة الأخيرة من الجسم

(٣) الفتحات التناسلية أربعة أزواج وهي :-

(أ) الوعاآن الناقلان الآتيان من الخصى يفتحان على جانبي الحلقة الخامسة عشرة

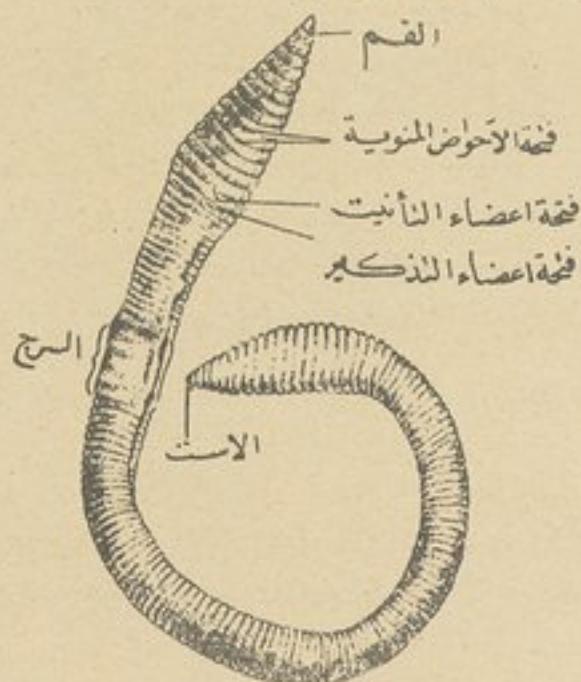
(ب) قناتا البيض الآتيتان من المبيضين يفتحان على جانبي الحلقة الرابعة عشرة

(ج) للودودة أربعة أحواض منوية لتخزين السائل المنوي الآتى من فرد آخر وطها أربع فتحات على

جانبي الحلقة العاشرة والحادية عشرة

(٤) على جانبي كل حلقة من جسم الودودة ماعدا الثلاث حلقات الأولى والحلقة الأخيرة فتحتان

بوليتان آتيتان من الكليتين . (انظر شكل ١١)



( شكل ١١ - دودة الأرض مكبرة )

{ عاداتها وغذائها }

تعيش ديدان الأرض في الأنفاق التي تعملها في الأرض . وكيفية ذلك أنها تأكل جزءا من الطين لكي تفسح لنفسها مكانا ويساعدها على ذلك دفع جسمها الى الأمام . وتكون هذه الأنفاق عمودية عادة . وتبقى الديدان فيها أثناء النهار الا اذا اضارها المطر الفزير الى مغادرتها وعند ذلك تهجرها مرعمة وتشرع في عمل غيرها . وتنشط الديدان أثناء الليل إذ تخرج وتتجول على سطح الأرض باحثه عن غذائها أو أليفها . وكثيرا ما ترى آثارها على الطرق والجسور المبتلة بدريا في الصباح . وبالرغم من أن الديدان عديدة الأعين نجدها حساسة للضوء وتتجنبه اذا عرضته . تخرج الديدان بالليل باحثه عن غذائها وأفضله الأوراق والأزهار المتساقطة إذ عند ماتعثرها تقبض عليها بفمها وتسحبها الى انفاقها لتتغذى بها . وتتغذى كذلك ببيذور النباتات التي تجدها في التربة والكائنات الأخرى كبعض الجراثيم وبويضات الحشرات والديدان الصغيرة حية كانت أو ميتة .

ونكتفي الديدان في الأراضي غير المنزرعة بالمادة العضوية التي تستخلصها من الطين الذي تبتلعه

### ﴿ التوالد ﴾

ديدان الأرض خنثى ولكنها لا تلقح نفسها بل يحصل التلقيح عادة بين فردين وذلك بأن تضع الوددتان سطحيهما السفليين مقابل بعضهما على أن يكون رأسهما في اتجاهين مختلفين . وعند ذلك تمر المادة المنوية من كل منهما وتدخل في الأحواض المنوية للأخرى حيث تتخزن بها . ( انظر شكل ١٢ )



( شكل ١٢ )  
دودتان في حالة  
الاجتماع التناسلي

وبعد هذه العملية تنفصل الوددتان وقرقر كل منهما من السرج مادة زلالية قرنية يتكوّن منها حزام عريض يحيط بجسم الوددة في هذا الموضع . وعند ذلك تنسحب الوددة من هذا الحزام الى الخلف وعند ما يصل الحزام الى الحلقة الرابعة تنزل فيه الوددة بضع بويضات وعندما يصل الى الحلقة العاشرة تنزل الوددة في الحزام كمية من المواد المنوية . وعند انسحاب الوددة منه نهائيا يفسد طرفاه فيصبح بشكل حوصلة محتوية على بضع بويضات . وقليل من الحيوانات المنوية كلها مغمورة في سائل لبنى مغذٍ يحتمل أن تقوم بالفرازه غدد جلدية وفي تلك الحوصلة تحصب البويضات وعند فقسها تخرج الأجنة وتتغذى بالسائل اللبني حتى اذا ما تمت قليلا خرجت من الحوصلة لتعيد تاريخ حياتها . ولا يخرج عادة من الحوصلة إلا الجنين واحد يشبه الوددة اليافعة بعض الشبه وتضع الديدان بيضها عادة أثناء فصلى الربيع والصيف ولكنه قد يستمر طول العام

### ﴿ الأهمية الاقتصادية لديدان الأرض ﴾

(أولا) تستعمل الديدان طعاما في صيد الأسماك إذ يبحث عنها الصيادون على جانبي الترع تحت الأشجار والمواسير وغيرها .

(ثانيا) ديدان الأرض غذاء مهم لكثير من الطيور .

(ثالثا) تؤثر هذه الديدان تأثيرا عظيما على حياة النبات وذلك انها تتجول في الأرض فتفككها وبذلك تكون عاملا مهما في تهويتها وتصفيتها وتساعد كذلك جذور النباتات على التعمق فيقوى النبات ويكبر لاتساع دائرة غذائه

(رابعا) عند ماتنا كل الديدان الطين تحدث بمواد المعدنية والعضوية تحليلا يجعلها أكثر صلاحية لتغذية النباتات

(خامسا) تقذف الديدان الطين بعد مروره في جوفها على سطح الأرض و بعملها هذا تعرض الطبقات السفلية من التربة الى المؤثرات الجوية فكأنها تقوم بعملية حرائة بطيئة

(سادسا) بما أن هذه الديدان تسحب كثيرا من أوراق النباتات تحت سطح الأرض فبذلك تزيد في خصوصيتها عند ماتتفن هذه المواد العضوية

ولما تحقق الاستاذ تشارلس دارون من فوائدها عنى بأمرها وأجرى تجاربه العديدة لاكتشاف مقدار ما تسببه هذه الديدان من نفع غير مباشر للانسان فقال ( كانت هذه الديدان بمثابة المحراث الطبيعي للأرض قبل أن يخترع الانسان محراثا لأنها تؤدي عمله الا أنها أبطأ منه . ومنها في القدان الواحد من أرض الجنائن نحو ٥٣ ألف دودة يمر من أجسامها عشرة أطنان من التربة في السنة وهذا القدر كاف لأن يغطي سطح أرض القدان الواحد بطبقة سمكها نصف سنتيمتر )

لهذه الديدان مقدرة غريبة على تجديد أجزائها المفقودة . فخلا إذا قطعت الذودة الى قسمين أثناء عزيق الأرض يعيش كل جزء مستقلا وهي الجزء المفقود منه فخلا ينمو للقسم الذي به الرأس جزء خلقى

### (٢) - ﴿ العلق ﴾

العلق ديدان مائية تعيش في المياه العذبة في البرك والمستنقعات وبعضها في الأراضي الرطبة . وهي حيوانات طفيلية تعيش على الدم الذي تمتصه من الحيوانات التي تعثر بها وجسمها خال من الأشواك وتتعلق بعائلها بواسطة مخصين موضوعين على طرفي جسمها ويساعدانها أيضا على الانتقال حيث يلاحظ ذلك عند حركتها بتشيب الواحد منهما قبل رفع الآخر . وهذه الديدان خثات وتضع بيضها في أكياس تصنعها لهذا الغرض وأهم أنواع هذه الديدان هو العلق الطلي

أقول : أفليس من المدهش أن نرى في فدأتنا خمسين ألف محراث تحرث أرضنا قبل أن يضع ابن آدم محراثه في الأرض ، أوليس مما يدهش أن نرى ماهو حقيق في نظر الجاهل عظيما في نظر العالم ، وأن هذا السود الذي كنا نستخرجه لنصطاد به السمك هو أتمن وأغلى في العلم من الذهب والفضة لأنه به سعادتنا إذ هو يعين على نماء زرعنا ، ولا معنى للذهب والفضة إلا بعد أن يكون عندنا مزارع تأكلها فإذا عدت الزروع فأى معنى للذهب أو الفضة أو الأجار الكريمة ، الذهب للعاملة في البيع والشراء وإذا لم تكن حياة بالغذاء فأى بيع وأى شراء ، والأجار الكريمة للزينة وأي زينة لمن عاش وهو جائع لا يجد في جوابه مضغ . إذن الحياة مملوءة بالجهالة . إذن الموت خير لى آدم حتى يتقلهم من هذه الدارات التي فيها قلبت الحقائق الى دار أخرى لتمر فهم تلك الحقائق بعد تمام البحث الممكن هنا . انتهى الكلام على الفصل السادس

### ﴿ الفصل السابع في الكلام على الحدأة ﴾

الحدأة طير يعرف عند العامة بالحداية وهو من الطيور الجارحة واسمه العلمي (ملفوس اجيتيوس) وهو منتشر في كل القطر المصري ولكنه لا يوجد في مناطق الاسكندرية وبور سعيد والسويس ووادي النطرون الامتجولا . وهو كثير في مديرية الفيوم

ويبلغ طوله نحو ستين سنتيمترا وطول منقاره نحو أربعة سنتيمترات والنصف الأعلى من المنقار منقوس الى أسفل كمنقار كل الطيور الجارحة . ويبلغ عرض الطير وهو باسط جناحيه نحو ١٣٠ سنتيمترا . ولون رأسه ورقبته أبيض رمادي يكون فيه شيء من الاحمرار في أعلاه . والمنح المراكزى لكل ريشة فيها أسود ولون الريش في أعلى جسمه قاتم . والريش الرئيسى في الجناحين أسود . والتدليل مشقوق ولونه قاتم مائل الى الحمرة في أعلاه وأعمق في جنبيه وفيه نحو عشر ريشات . ولون المنقار أصفر ويشاهد أن الحدأة التي لم تبلغ أشدها يكون منقارها أسود وذيلها غير مشقوق ويكون لون أعلى رأسها ورقبتها لونا أصفر يشبه لون الرمل وكل من القدمين ينتهى بأربع أصابع وكل أصبع بمخلب حاد منحرف قوى والأنتى أكبر من الذكر في الحجم قليلا

ويشش هذا الطير على الأشجار العالية في القرى وفي المدن ويصنع عشه من أفرع الأشجار الجافة ينظمها على شكل حفرة ويطنها من الداخل بالحشائش الجافة وورق الأشجار والورق الصناعي وبعض الخرق البالية وفي بعض الأحيان تحتل الحدأة عشا مهجورا لطير آخر ( مثل الصقر )

وتظهر علامات التنبه الجنسي في شهر مارس حيث يطير الذكر والأنتى متتابعين متلاعبين في أعلى الهواء راسمين دوائر كبيرة القطر متتابعة على شكل حلزوني غير منتظم . وأثناء ذلك تكاد تكون الأجنحة ثابتة



ولا يشاهد فيها إلا بعض حركات نادرة . فالطير يخلق في الجرق مستعينا بسطح جناحيه الواسع ومستعملا ذيله في الانجاء . ويشاهد الانسان إذا لاحظ الحدأة وهي طائرة بجناحيها منبسطين أنها ترفع بجأة في الهواء الى المنطقة أعلى دون أن تقوم بأدنى مجهود وسبب ذلك أنها تصادف في سيرها تيارات الهواء الساخن الصاعد من الأرض فترفعها الى أعلى

وتبيض الأنثى نحو ثلاث بيضات ترقد عليها وحدها وبأقوى الذكر الى الأتى بفضائها أثناء ذلك وبعد فقس البيض تبقى الصغار مدة طويلة في العش ثم حين تطير تبقى مدة أسابيع عالة على أبويها متغذية مما يأتیان به اليها منه . وصوت الحدأة العادي مخالف لصوتها وقت التفريخ

ويأكل هذا الطير صغار السباج والبط والاوز ويأكل أيضا الجرذان والضفادع والثعابين والسحالي ودود الأرض والحشرات ولا يجمع عن أكل الرم

ولولم تكن شرهته كبيرة في اقتراس صغار الطيور المنزلية لكان من أهم الحيوانات المفيدة للانسان بأكله الجرذان والحشرات الضارة وهو من أفيد الطيور في المدن المصرية لأنه ينقى الشوارع من الرم ومن بقايا الحيوانات وينقى الاسطح من كل بقايا لما أكل ومن فضلات المطابخ التي تطرح عليها

وهذا الطير بطيء الطيران ولوائه يطير عاليا وله كثير من الهاء . وحاسة النظر عنده نامية جدا كما يشاهد ذلك من يتبع حركته عندما يسقط جأة من أعلى منزل مرتفع على قطعة من بقايا لحم الجزارة ملقاة في الشارع هذا ما أردته من كتاب « علم الحيوان » والى هنا تم الكلام على القصول السبعة والحمد لله رب العالمين كتب في أول أغسطس سنة ١٩٣٠

### ( خاتمة في الحيوانات النافعة )

أذكر كأيها الذكر بما ذكرته في ( سورة يوسف ) من اني كتبت في مجلة « الملاجىء العباسية » مقالة في الطيور لخصرتها الحكومة ثم حرمت صيدها ، وانى كتبت في ( سورة طه ) آخر رأى للحكومة المصرية في الطيور النافعة التي يحرم صيدها وهي :

( القنبرة . وعصفور التين . وأبو فصاده . والقتلاق . والشحفوت . والجليل . والكروان . والسنونو . والزرزور . والسخله . والزريقه . والحسينى . والدح . والكركي . والوروار . والبشون . وأبو قردان . وعصفور الجنة . والمهدد . والبليل الصغير . والخطاف . وأبو بليقه . وأبو اليسر . والزقراق مطوق . والزقراق البلدى . والغراب الزيتونى . وأبو صدر (أبو الحناء) والجيزه . والصعو . والهزار . والقمحية . وأم الهوى . وزقراق شامى )

هذا ما ذكرته هناك ، فلنزد عليه ما ذكرناه هنا وهي السحلية والبرص وغيرها من كل حيوان قاتل للحشرات كالعنكبوت

فيا سبحان الله : أيليق أن نعيش في دورنا ونحن نجهد ماحولنا . هاأنا ذا في العقد السابع من حياتى ولاعلم لى أن البرص يأكل الصرصار وغيره إلا في هذا الشهر فأخبرت أهل المنزل بذلك وقد كانوا متشائمين منه ظانين انه ضار لانا فغفرا عنه الأذى

اللهم إن جهل هذه العلام من أكبر ما أضر بالأمة الاسلامية ، وهذا ولقد تقدم في ( سورة فاطر ) عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ انى ذكرت هناك أن الجراد هجم على مصر أيام طبع تلك السورة وكتبت في جريدة الاهرام أن الجراد تجارة رابحة وانه يعمر زيتا نافعا في الطيارات ، وأن الجراد الهاجم على بلادنا اذا بعناه كان نعمة عظيمة وقلة ينفع لطعام البهائم ، ثم أرسلت الحكومة البلجيكية خطبا

للحكومة المصرية تطلب منها الجراد فلم ترد عليها . وهاك ماجاء في جريدة الاهرام عند طبع هذه السورة يوم (٨) أغسطس سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

### ( تجارة الجراد في بلجيكا )

والسعى للحصول على مقادير كبيرة منه للصانع . عدم اكتراث الحكومة بما كتب اليها بشأنه منذ أسابيع كتب جناب قنصل البلجيك في الاسكندرية كتابا الى الحكومة المصرية لمناسبة اهتمامها بمحاربة الجراد يقول فيه ماموذاه : « إن في بلجيكا مصانع خاصة تستخدم الجراد لأغراض صناعية . وقال إن بلاده على استعداد لشراء أى مقدار يقدم اليها من جعاعات هذا الطير المضر بعد قتل ارجاله ، ( كذا ) ويظهر أن السلطة التي كتب اليها بهذا الشأن لم تهتم بالأمر كثيرا ، ويقال انها أهملت الطلب حتى انها لم ترد على كتاب القنصل بكلمة

وقد فهمنا الآن أن أحد البيوت المالية البلجيكية الكبيرة في الاسكندرية علم أن العراق مازال يحارب الجراد في بعض أرجائه فجعل يسعى للحصول على مقدار منه من تلك البلاد لا يقل عن مئة طن . وهناك شروط معينة لتوريد الجراد أخصها انه يجب على المورد أن يضع الجراد بعد قتله في الماء الحار نحو (١٥) دقيقة وتوضع في الماء كمية من الملح . وبعد ذلك يؤخذ الجراد ويفرش على الأرض أربعة أيام ثم ينظف ويوضع في أكياس أو صناديق ويشحن الى (ميناء أنقرس) حيث ينسعه الطالبون

ولاندري لماذا لم تهتم السلطة المصرية ذات الشأن بما كتبه اليها القنصلية البلجيكية في هذا الموضوع في أثناء محاربة الجراد في الأراضى المصرية أيام كان الأهالى يهلكون ارجال هذا الطائر ويتلفون كل ما يجمعونه منها . وقد كان بالامكان بيع مقادير كبيرة منه لمصانع البلجيك بواسطة القنصلية البلجيكية والكو بتوار البلجيكى . ولو أن الأهالى كانوا يعرفون أن للجراد فوائد صناعية وأن هناك مصانع تطلبه لاهتموا هم بالأمر وباعوا منه مئات الأطنان وربحوا منه المال الوفير

عسى أن لا يأتى الجراد الى مصر مرة أخرى والبلاد فى غنى عن هذه التجارة . ولكن اذا الأقدار ساقته الى مصر جرادا فى وقت من الأوقات فيجب أن يكون مفهوما أن فى أوروبا مصانع تحتاج الى ما يقتل من هذا الطائر المضر . بالزراعة . انتهى

هذه حال حكومتنا المصرية التي لها فى الحكم نحورقن ونلت وهؤلاء حكماها يتباطؤون فى منفعتها فبالك أيها الذكى بغيرها من حكومات الشرق المتأخرة . الأقليم التعليم النافع بلاد الاسلام فلا يكون تعليما قسريا إن بعض الحكام فى البلاد الشرقية ليس عندهم تهذيب تام ولا عشق للعلوم . إن من عشق العلم يجب الأمة والفضيلة ومن خلا من عشق العلم انصرفت همه الى شهواته فعاش نادما لها بحيث تكون جيع أعماله موجهة الى هذا الغرض وحده فلا يبالى برقى الأمة وسعادتها والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو العزيز الحكيم . كل الأمر راجع للتعليم والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأحد ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٠

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( فى قوله تعالى أيضا - هو الذى خلقكم من تراب مم من نطفة مم من علقه - الى قوله تعالى - فاعلم ان يقول له كن فيكون - مع ملاحظة آية - خلقكم من نفس واحدة - مع قوله - ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأتى تصرفون - التي فى سورة الزمر الى قوله هناك - فينبشكم بما كنتم تعملون - وقوله فيها - خلق السموات والأرض بالحق - الى قوله - ألهو العزيز الغفار - )

هذه الآية أولها وحدة النفس التي منها خلقت نفوسنا الكثيرة وفي آخرها وحدة الله تعالى . ولاجرم أن الوحدة الأولى تدل على الوحدة الثانية وهذه من أعاجيب القرآن . يقول الله - خلقكم من نفس واحدة - وخلق من هذه النفس نفسا أخرى . ومن هاتين النفسين خلق نفوسا وهكذا . فالوحدة مبدأ الكثرة وذلك كالعدد أسه الواحد وبانضمام آخر إليه ابتداء العدد لأن العدد يفهم منه التعدد ولاعتد في الواحد . واعلم أن العلوم الحديثة المنتشرة في كرتنا الأرضية هي التي تفهمنا سر هذه الآية . ألا ترى رعاك الله أن وحدة الانسان ظاهرة بأن له روحا وهذه الروح تتصرف في جسمه وفي جميع أعضاء الجسم وأعضاء الحركة وهي متعددة . ومن عجب أن هذه الوحدة الظاهرة في الروح المتصرفة في الجسم ظاهرة أيضا في ملكة النحل وبنودها منه . وفي ملكة الأرض ( جمع أرضه ) بوزن سمكة المرسومتين في أول سورة سبأ . والمرسومتين أيضا في سورة النحل إذ قلت ان هذه الآية تفسرها العلوم الحديثة . أقول لك أيها الذكي أرجع فأقرأ ما كتبت على النحل في ( سورة النحل ) وفيما كتبت على الأرض في ( سورة سبأ ) ثم أزيد عليه الآن فأقول :

هاهم القوم في أوروبا ضغطوا على الزر في أوروبا فأوقدوا المصابيح في استراليا ، فدل ذلك على أن هذه العوالم كلها متصلة اتصالا وثيقا ، ولقد تكلم السياحون وهم فوق القطب الجنوبي في هذه السنة ( ١٩٣٠ ) مع من هم في الممالك المتحدة بطريق البرق الذي لا سلك له ، إذن هذا الجوكه مملوء بالأسرار مغمم بالأنوار موصل جيد للأخبار

إذا علمت هذا فلتعلم علما ليس بالظن أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة ( الأرض ) بوزن سمك متصلات مع رعاياها بواسطة هذه الأسرار الخفية في الأنير وهي مع مملكتها كأرواحنا مع أعضائنا ، فإذا وصلت أعصابنا أخبار حواسنا الى داخل أجسامنا ، وأوصلت أعصابنا أخبار ملاذنا وآلامنا الى المخ وهو وصله الى أرواحنا فان الجوق وما فيه من الأنير موصل بلا أعصاب فيه ، فكما وصل أخبار من وصلوا الى القطب الجنوبي لمن هم في الممالك المتحدة ووصل تيار النور من أوروبا الى استراليا في لمح البصر بمجرد الضغط على الزر بسر الراديو ، هكذا وصل الأنير أخبار ملكة النحل الى عماطها فكان منهن المربية للذرية والجامعة للعسل والشمع والتي تقف على باب الخلية حتى لا يدخلها أحد ، ووصل أخبار ملكة النمل كما تقدم في ( سورة النحل ) فكانت مملكتها كأرقى مملكة في العالم ، فمنهن الديدان والعامل الصغير والجندى والضابط والمرابي للذرية كما تقدم في سورة النحل ، وهناك ترى مزارع النمل المنظمة البهجة مرسومة موضحة ، فهل يكون ذلك النظام وتلك الطاعة المدهشة تحت أمره الملكة بلا خطاب منها ولا تفهيم ؟ كلا . والموصل هو العالم الخفي في الأنير

تباركت ربنا وتعاليت ، أنت جعلت الوحدة فينا أي وحدة أرواحنا ، وهذه الوحدة في أرواحنا جعلت قوانا وأعضائنا فكانت عالما واحدا ، وجعلتها نموذجاً تفهم به وحدة ممالك النمل والنحل وممالك الانسان بل مملكة الأرض والمجرات والعوالم كلها كلهن متصلات اتصال أعضاءنا بأجسامنا التي تقودها أرواحنا واتصال ممالك النحل بمملكتها وممالك النمل كذلك والأرض ( بوزن سمك ) كلهن خاضعات للملكاتهن خضوع أجيالنا لأرواحنا ، هكذا العوالم كلها يا الله خاضعات متصلات متحدات مرتبطات ارتباطا وثيقا وأنت المدبر لها ، وقد ضربت لنا مثلا تفهمه من أنفسنا ومن ممالكنا ومن ممالك النحل والنمل - والله للمثل الأعلى في السموات والأرض - . فإذا دبرت الروح الجسم ودبرت ملكات النحل ممالكها ودبرت ملكات النمل ممالكها وخضعت هذه الممالك كلها لواحد دبرها ، فهأهي ذه مملكتك خاضعة لك دبرتها وأنت واحد

بهذا فهمنا - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - وفهمنا قولك - خلقكم من نفس واحدة - وقولك في أول سورة الزمر - ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني نصر فون - أي فكما لا قسرة للأعضاء

على مخالفة الأرواح ، ولا لأفراد النحل عن الخروج عن أمركم ملكاتها . ولا لأفراد النمل عن الخروج عن أمر ملكاتها . هكذا نوع الانسان لاطاقة له أن يخرج عن النظام الأقدس وهو التوحيد الذي أمر به وهو ملزم أن يدرسه ويسير على منواله ويطيع خالقه غاية الأمر ان طاعة الأعضاء للروح وطاعة أفراد النمل لملكاتها وطاعة أفراد النحل لملكاتها وطاعة الأرضات (بوزن سمكات) غريزية طبيعية . وطاعة الانسان ربه يجب أن يكون بالتعليم والتهديب لاغير . انتهى صباح يوم الاثنين (١٥) سبتمبر ١٩٣٠

### ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - الله الذي جعل لكم الليل - الى قوله - فانما يقول له كن فيكون - )  
جاء في هذه الآيات :

- (١) ذكر الليل والنهار ، وبيان أن الله له فضل على الناس بتعاقبهما ، وأن الناس قلّ شكرهم على هذا الفضل
- (٢) بيان أن الله خالق كل شيء بمناسبة تعاقب الليل والنهار ، وأن ذلك محل اعتبار فمن صرف عنه فهو خاسر
- (٣) بيان أن الأرض جعلت لنا قراراً والسماء بناء ، وأن صورنا حسنة ، ورزقنا طيب ، فأنه تعالى كثير البركات والخير وهو حيّ فوجب حمده والاخلاص له وترك عبادة غيره والقسليم له هو
- (٤) بيان نظام خلقنا ونمرّجه في النشوء
- (٥) بيان حياة كل حيّ وموته وتعاقبهما

في هذه المسائل الخمس تدخل العلم الإلهي في العلم الطبيعي والفلكي ، فعلم الفلك في عدد (١) ان تعاقب الليل والنهار واختلافهما يترب عليه اختلاف الحرارة والبرودة في الأقطار . إذن هو الأصل وما بعده من أن الأرض قرار وأن صورنا حسنة ورزقنا طيب وارتقامنا في الحياة من تراب الى نطفة الى علقة وتعاقب الموت والحياة علينا كل ذلك فروع . إذن العلوم الطبيعية خاضعات لآثار الأفلاك ، فهنا علمان : الرياضيات والطبيعات . وهي فروع جمة وانحمة في تنابها هذا التفسير ، وقد تخلل ذلك العلم الإلهي لأن نوعي الرياضيات والطبيعي لانبثا لهما إلا بتدبر للعالم ، فلذ كر تجده يذكر في أنثاهما ، فقد قال قبل ذكر علم الفلك ادعوني أستجب لكم وحذرهم من الكبر وخوفهم من جهنم . ثم يتخلل الكلام على العلمين اظهار فضله على الناس وتبيين انه هو الخالق لكل شيء أي فليست هذه العلوم منفصلة مفككة العرى بل لها من يحفظ كيانها . وأخذ يذم الجاحدين لأن الحركات المنظمة لها منظم . وإذا كان هذا العالم مملوءاً نشاطاً وحياة فمن أين أتت هذه الحياة إلا من أن الخالق حيّ ! أفلا تحيا نفوسكم بالاخلاص له وحده والاعراض عن سواه

أليس هو الذي يتقلّبكم حالاً بعد حال في الخلق بل يخلق الموت والحياة فيكم وفي غيركم . إذن في هذا العالم حركات هائلة ليل ونهار وموت وحياة وأرض وسماء وصور حسان في الانسان مشتقة من تراب لاجابة فيه . هذه نبذة عامة في مجمل هذه الآيات . فهل لك أيها التكيّ أن تسمع ما ألقى عليك الآن من نبا العمران في هذه الأرض المبني على الفلك لتعلم أن الاجال في آيات القرآن يعوزه التفصيل . إن الوقوف عند حفظ القرآن جهل عظيم وفهم للمعنى اللفظي والوقوف عنده غرور وموت . وقف المسلمون غالباً عند ظواهر الألفاظ وتاموا . لا أيها المسلمون . هذا إجمال أما التفصيل فانما يكون بجميع العلوم وليس معنى هذا أن المسلم يقرأ جميع العلوم تفصيلاً . كلا . بل يختص كل جماعة بعلوم خاصة واذن يستخرجون منافع أرضهم ويحجون ربههم ويرتفع شأنهم في الدنيا والآخرة . إن الحرارة والبرودة في الأرض ترجع الى الليل والنهار ارتفاعاً وانخفاضاً وعلى

مقتضاها يكون ظهور النبات والحيوان وتكاثرهما تارة وقتلها تارة أخرى وعدمهما بتاتا. الناس والحيوان والنبات موزعات على الأرض بقوانين كلها ترجع الى سبر الشمس. إن الله كما جعل التوسط في الأخلاق من شدة ولين هو الصراط المستقيم هكذا جعل المكان الذي يتوسط فيه وجود النبات على الأرض ويتوسط فيه الحر والبرد هو الذي يعيش فيه الانسان. أما المكان الذي كثر حره ونباته أو المكان الذي كثر برده فهما لا يصلحان لسكنى الانسان. إذن القانون واحد قانون الأخلاق بالتوسط فيها وقانون سكنى الأرض. شعنت كتب الديانات وكتب الفلسفة بعلم الأخلاق. لماذا هذا؟ لأن الانسان لا يعيش مع الناس إلا بخلق متوسط فإذا تغالى في الشدة أو تغالى في اللين نبذته الناس في الأولى بالخوف منه وفي الثانية بضعفه. والنفوس الانسانية لا تحب إلا الاعتدال. ذلك لأنك ستعرف قريبا كيف كان الانسان يستحيل عليه أن يعيش في الغابات الاستوائية لوفرة الحرارة فيها التي بها كثر النبات فطرد الانسان منها. ولا في الأقطار الباردة لكثرة البرودة التي منعت أكثر النبات والحيوان فلم يستطع أن يعيش الانسان هناك. إذن الانسان عالم متوسط في خلقه وحياته. متوسط في أخلاقه رإذن هناك تناسب بين خلقه وخلقه والله حكيم عليم وستسمع قولاً عاماً على الأرض وسكانها وغاياتها وبدائعها مما لم يسبق له نظير في هذا التفسير، وفيها ترى عجائب هذه الأرض وتعرف فيها ما لا يعرفه السائح حولها لأن السائح بعقله قد يعرف من التفصيل ما لا يعرفه السائح بجسمه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال صاحبي: لقد شوقتني الى ما تقول ولكنني أريد أن يكون هذا المقال على سبيل المحادثة بيني وبينك حتى تتجلى الحقيقة واضحة ظاهرة، أنت تريد شرح الحرارة والبرودة وما ترتب عليهما من الحياة على الأرض وهذه كلها فروع لأصل والأصل هو البنية الانسانية، ذلك ان كل ما نزل من العلم على قلوب الأنبياء أو الحكماء أو العلماء إنما يراد به هذه الانسانية، ولقد ذكرت أنت في تفسير البسملة في (سورة ص) ما ملخصه أن الانسان له أعضاء حسية وهي الحواس الخمس وله أعضاء حركية وهي اليدين والرجلان، ولقد كان هذا أمراً عجيباً! وهل أعجب من أن خلق الانسان جعل مناسباً للعالم فكان العالم نسخته أو هو نسخة العالم، أركان العالم شجرة وهو ورقها، وقد تقدم في (سورة يس) في المقالة المنقولة من كتاب (علوم للجميع) كيف كانت الشجرة صورة مكبرة لورقة ساقطة تحتها في بعض الأشجار، أو الورقة صورة مصغرة للشجرة التي سقطت هي منها، ذلك ان الزوايا التي تحدتها فروع عروق الورقة مع الخط المتوسط فيها (المشبه في هذا التوسط فقار الظهر مع الأضلاع في الانسان والحيوان) تشبه من كل وجه الزوايا الحادثة من أغصان الشجرة مع جذعها والحادثة من الفروع الصغيرة مع أغصانها حذو القذة بالقذة، فهكذا نجد وضع هذا الانسان مع العالم المحيط به، ذلك انه (وان غفل جهوره ونام ولم يعقل حقيقة نفسه ولا بهجة جسمه ولا جلال وضعه ولا حكمة خلقه) بمحواسه الخمس التي تقدم القول فيها قد استعدت لمشاهدة الأنوار والظلمات والحيوان والنبات والعالم العلوي والسفلي وبأعضاء حركته استعدت لأمرين: أمر الانتقال في الأرض بالرجلين، وأمر العمل في الطبيعة باليدين فيصنع ماشاء صنعه بعقله الذي استمدت الصور من حواسه، إذن العالم كله مقسم على أعضاء الحس وأعضاء الحركة، فأعضاء الحس للعلم وأعضاء الحركة للعمل. فمنها ماهية الانتقال. ومنها ماهية العمل. هذا هو الأساس الذي يبنى عليه كل علم في الأرض وكل عمل. فما البناء الذي تريد أن تبنيه على هذا الأساس الآن؟ قلت أريد أن أبنى بناء حسناً جيلاً كما ان هذا البناء حسن جميل. فقال: ففي أي وجهة سيكون بناؤك في ذلك المقال الذي تريد. قلت: في وجهة نظام العالم الانساني كله. إني أرى ولا شك في رأبي وأنا موقن به أن جميع النوع الانساني يجب أن يكون كهيئة هذا الجسم. وأرى أن هذا الانسان كله الآن جاهل كثير الجهل. كثير الغرور لأن من درس هذا الجسم حقاً دراسته ودرس العالم حوله لم يشك أن هذا العالم

بالنسبة لهذا الانسان أشبه بهذه الأعضاء بالنسبة للروح والروح واحدة في الهيكل الانساني والأعضاء مطبوعة لها . فلتكن الانسانية واحدة تطيعها العوالم حولها . فقال : هذا قول حسن وتقدم له نظائر في التفسير . ولكن الاجال يعوزه التفصيل . فقلت : إن الانسان سائر الى ما أقوله . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : اسمع يا صاح : أضرب لك مثلاً رجلاً له أبناء كثيرون فبنى لهم قصراً منيفاً وأبدعه أيما ابداع . فجعل الأبنية فيه لا تبلغ إلا نحو الثلث والباقي من الأرض جعل بركة عظيمة تتخلل تلك الأبنية التي تشبه في وضعها مدينة البندقية (فينيزيا) فان البيوت يحيطها ماء البحر والناس ينتقلون في السفن من منزل الى منزل ثم انه ملأ تلك البركة بالسلك وملا تلك الأبنية بأنواع النبات والحيوان والخيرات . فهو في أول الأمر جعلهم متفرقين في المنازل وجعل الماء يفصل بينهم . ثم أخذ يعلمهم كيف يضعون خشبات في الماء وكيف يركبونها فكان سكان أحد المنازل اذا ركب في البركة وقابل آخر من منزل آخر أخذوا يتحاربون ويتقاتلون ثم أخذت كل جماعة تحارب الجماعات الأخرى واستمرت النضال جيلاً بعد جيلاً وذلك النضال كان هو السبب في بحث عجائب منازلهم وعجائب بحارهم فقرروا أمرهم آخر الأمر انهم يجهلون ما أراد بهم والهمهم . ذلك ان أحدهم قال : انني وجدت في حديثي التي في منزلي اني لا أنال حظاً من ثمارها إلا اذا كانت الطيور تأكل السود كأي قردان وبعض الغربان والعصافير المغنية وغير المغنية وهكذا مما تعدّ بالعشرات ، ووجدت أن البرص والسحلية وغيرها تأكل الحشرات في أرض الحقل ، ومن المدهش اني رأيت العنكبوت تنصب الشباك في الأشجار ولا تقتصر في صيدها على الذباب بل هي تصطاد حشرات كثيرة . فيأبها الاخوة : ان أبانا ذوعقل وذوحكمة ، انه لم يشأ أن يقول لنا الحقيقة فباعد فيما بيننا ظاهراً وأراد أن نعرف الحقيقة من أنفسنا ولن نعرفها إلا بدراستها ولا دراسة إلا بمقتنات والمقتنات هي العداوات التي كانت بيننا وهي السبب في تعلمنا ، فالعداوة بيننا كانت أشبه بالجوع فالجوع غير مقصود لذاته بل هو مهماز يسوقنا الى الغذاء لتعيش والعداوة مهماز أعلى يسوقنا الى العلم لتخترع ما نشاء في المحاربة وفي نهاية العلم اهتدينا الى ما يأتي :

ان كل واحد منا يقتل أخاه ليأخذ ماله ولكنه في الوقت نفسه حافظ على عصفور وغراب وأبي قردان وكروان وبرص وسحلية وزقزاق بلدي وزقزاق شامي وعنكبوت في الحديقة وعلى جاموسة وبقرة وجل . لماذا هذا كله ؟ لأن كل هذه طعام لنا فيمكننا إبادتها بأكلها في أيام قلائل ولكن نحن بالاختبار أبقيناها لتساعدنا في حياتنا . فبما نتحرث به أرض الحدائق . ومنها ما يجر لنا الجملات لأعمال الزرع في الحديقة . إذن بقاء هذه كلها وان كانت تحت تصرفنا خير لنا من إبادتها ( وعبارة أخرى ) إن اللذة الوقتية بأكل هذه الحيوانات شرّ مستطير لأنها تحرمنا من ثمرات لاحدها . إذن ننبذ اللذة العاجلة إذ احرمنا نفعاً عظيماً مستقبلاً

هذه نظر ياتنا في منازلنا نحن هكذا فعل ، فاذا كان بقاء هذه الدواب والطيور خيراً لنا (لأنها وان كانت تحتل الحق والأرض معنا وبعضها يأكل مما نزرع ويشاركنا بعض المشاركة في الأرزاق فبقاؤها خير لنا) أفلا يكون كل واحد منا اذا بقي خيراً لآخوته وان شاركهم في الطعام والملبس كما يشارك كلاً منا دابته في أكل بعض الحبوب وفي سكنى بعض أجزاء المنزل ومضايقتهم ، مع ان نفع الدواب محدود ونفع الانسان أوسع وأعظم قدراً

فلما فكر اخوانه في كلامه قالوا صدقت والله ، وقال آخر منهم : « أيها الاخوان : إن أبانا كان حكماً فلم يفعل معنا ما فعلته الطيور تعيش جماعات من غير تعليم ولا تثقيف ، فهو فرقنا ظاهراً ولم يشأ أن يجمعنا إلا بجدتنا واجتهادنا وأحاط منازلنا بالماء حتى يكون لنا ميدان تسابق وسهل لنا سبيل التواصل والتعلق حتى اذا اجتمعنا بعد الافتراق كان اجتماعنا يعقل ففرغنا في السعادة الى أعلى منزلة بخلاف الحيوان فانه يقف عند حدّ

واحد وعاشوا بعد ذلك وارتقوا ارتقاء لاحد له

هذا هو المثل الذي أردت أن أضربه لأهل الأرض الآن ، فالأبناء تمثيل لبني آدم ، والأب تمثيل لله عز وجل - والله المثل الأعلى - والمنازل هي القارات والجزائر والبركة المحيطة بالمنازل هي البحر الملح المقسم الى أقسام كل قسم منها سموه محيطا فيقولون المحيط الاطلسي والمحيط الهادي والمحيط الهندي وما أشبه ذلك والخشبات التي ركبها الأبناء هي السفن في البحار والعداوات بينهم مثل للعداوات التي بين أهل الأرض ، وبقية القول معقول مفهوم

وبيت القصيد في هذا المقام أن هذه الانسانية جاهلة غاية الجهل وهي اليوم آخذة في رقيها ، ثم انظر الى ما قدمنا في (سورة يوسف) من أن الطيور النافعة كان الاوروريون يقتلون منها أبا قردان وغيره . وهذه الطيور خلقت محافظة على الزرع تقات من الدود في الأرض فبسل الزرع . فلما كان الاوروريون في بلادنا قوما لارادع ولازاجر لامن ضمايرهم ولا من حكوماتهم عاثوا في الأرض فسادا وقتلوا هذا الطير لتتحلى نساؤهم بريشه فيهلك الزرع . فلما كتبت مقالا في إحدى المجلات العلمية وقرأه الوزراء صدر الأمر بإبقاء الطيور البالغات نحو (٣٠) طيرا مذكورا أكثرها في (سورة يوسف) كما قلنا وبقية في سور أخرى

الله أكبر : اللهم إني أجدك على العلم وأجدك يارب على الحكمة ، أنت المنعم أنت المعلم ، يارب ان العلم واضح والعيون تشاهد صورته ولكن القلوب مغلقة

اللهم إنك تعلم أن الأمم كلها أشبه بالأمة المصرية ، والجهل بمنافع الانسان في الأرض كجهل قوما بمنافع الطيور وظهور حكام في الأرض يعلمون الناس ثمرات بقاء الانسان على الأرض كظهور المقال الذي كتبت في فوائد الطيور آكلة الدود وتحريم الحرب والقتال بين الأمم اجتناء لفوائد الأمم كلها كتحریم حكومتنا المصرية صيد الطيور فانتفعنا بزرعنا ، وهل الانسان الحالى إلا كما قال الله تعالى - قتل الانسان ما أكرهه - هذا هو المثل الذي ضربته من حيث الطيور المصرية وتحريم صيدها استبقاه لمنفعتنا ومضاهاة منفعة الانسان ببقائه بمنفعة الطيور ، فشهوة اغتيال أمة لأخرى شهوة وقتية وبقاء الأمة الضعيفة مفيد للأمة القوية كما أفادت الطيور والدواب الانسان وهي ضعيفة أمامه . إذن النظرية التي شاعت وذاعت في البكرة الأرضية في القرن التاسع عشر من أن الأقوى يبدا الأضعف وجعلها عامة نظرية خاطئة ، فلو كان ما يقولون حقا لم يعش حيوان تقدر على أكله مع ان الطيور في منازلنا وحقولنا وكثير منها حرمنا أكله لمنفعتنا ، إذن هي نظرية جزئية جعلوها عامة ، وضلال هذا الانسان أكثره يرجع الى تعميم القضايا والحكم بالجزئي على الكلي - قتل الانسان ما أكرهه -

فقال صاحبي : لقد أجدت والله وأنصفت وأثبتت بحكمة شريفة وآية منيفة وعلم تام ، ولكنني أتذكر انك قلت لي « ان الانسانية متجهة الى وجهة الاتحاد العام » . فهل تشرح لي ذلك ؟ قلت : « ان أبناء الرجل الحكيم في قصره الواسع أدركوا أن أباهم أراد إسعادهم من طريق نصيبهم هم لامن طريق المنحة الجبانية ، فهل تشرح لي الأمرين معا في شأن هذا الانسان ؟ قلت : أما الأمر الثاني فهو واضح ألا ترى رعاك الله أن هذا الانسان أعطيت له الأرض وترك فيها وقيل لآدم وذريته - اهبطوا منها جيعا بعضكم لبعض عدو -

وباليت العداوة اقتصرت على أن تكون بين الانسان والانسان بل جعلت بينه وبين ماحوله . الأرض دائرة حول الشمس تقرب وتبعد وفيها مناطق باردة وأخرى حارة . فلهو بقادر أن يسكن الباردة ولاهو بمستطيع أن يسكن الحارة . فالمناطق الباردة قل فيها النبات والحيوان . والمناطق الحارة اكتظت بالنبات فطر الانسان منها والأمطار تهطل ليلا ونهارا فلن يقدر أن يوقد النار فيها فلا بد من أن يعيش في الأقطار

المعتدلة . وهذه المعتدلة تكون فيها الغابات القوية وتكاد تمنعها أيضا من ولوجها . ولكن لما كانت تلك الأقطار ينتابها الصيف والشتاء والحريف والربيع . وكان الحريف والشتاء فصلين يجردان الشجر من قوته بعض التجريد قدر الانسان إذ ذاك أن يدخل في تلك الغابات وينتفع بما فيها . فهو اذا طرد من القطبين ومن خط الاستواء لم يعدم وسيلة بها يدخل في غابات الاقطار المعتدلة حيث تساعد أحوال الجو على ولوجها واستعمارها والارتفاع بأشجارها

وما هذا أيها القارئ إلا مثال واحد من أمثلة أعمال هذا الانسان . فهو اذا دحرجه غابات البرازيل حيث الشمس حارة في أمريكا وطردته غابات افريقيا الاستوائية فلم يستطع سبيلا لتذليلها أو السكنى في أرضها لقوة النبات ولا السياحة في داخلها إلا بمشقة فانه قدر أن يجمع نباتات المناطق المعتدلة ويغالب الطبيعة هناك . ثم ان الانسان لم يستطع ذلك إلا بالجموع الكثيرة منه . فأما الأفراد فلا

يأججها : هذا تفصيل جسم الانسان ، انه مفصل على مقتضى هذه الدنيا وهذه الدنيا كلها وجدناها مزروعة له ، ثم ألقينا عقل بعض النظريات العلمية لحافظ على كل حيوان نافع له فأبقاه لأنه نافع له في اجتناء الفوائد ، وهاهوذا يرى فوائد غزيرة في الغابات الافريقية والغابات في البرازيل ، يرى منافع ومناجم ومخائب تحت الأرض في القطبين ، فهناك الفحم وهناك (غزال الزنه) ومنافع كثيرة ، وكلها موصدة أمامه تحتاج الى عناء ونصب وعقول وقوى ، أفلا تكون تلك المنافع القطبية والتي في الغابات الاستوائية ومنافع الهواء والماء وضوء الشمس التي لاتزال كلها لغزا أمام النوع الانساني . أقول : أفلا تكون هذه كلها مضاهية لمنافع زرعنا وتكون الأم التي يسمونها ضعيفة بمنزلة الطيور آكلات البود لحفظ زرعنا . لا لا . والله ان الأمم الأرضية أعظم نفعاً وذخراً في استخراج ثمرات العوالم المحيطة بنا من أبي قردان في حفظ زرعنا ومن العنكبوت في حدائقنا المييد لبعض حشراتنا ، فالانسان الآن جاهل أشد الجهل بهذه النظرية العلمية ، وعلى كل من اطلع عليها وكان من أهل التبل والشرف والجاه والحكمة أن يذبح العلم في أمم الاسلام أولاً ثم يثقبهم روح الجذ والنشاط واكتناء العوالم العالوية والسلفية ، ثم إن المسلمين اذا أشربت قلوبهم الحكمة يكونون هم السبب في ارتقاء أهل الأرض لأن أهل أوروبا وأمريكا ينظرون الى الظواهر فيجعلون لون السواد ولون الحجر في أبناء السودان بيلادهم وأبناء أمريكا الأصليين من أسباب العداوة ، فلا يطبقون أن بروهم في أماكنهم العاتية ، وهكذا أهل (انكلترا) فهم يطردون السود من بعض مطاعمهم ، و بعض تلك الأمم تنقض على الأمم الضعيفة لتأكل خيرها وتذللها كما يفعل الفرنسيون مع أهل مراکش والجزائر وتونس وكما تفعل ايطاليا مع أهل طرابلس وكما تفعل انكلترا مع فلسطين ومصر والهند . وهاهي ذه اليوم قد سجدت غاندى الزعيم الهندي الذي قام بالحركة الاصلاحية هناك وطالب بعدم اسراف المال في الملابس الأجنبية وعدم شرب الخمر القاتل للانسانية . إذن هذه الأمم كلها جاهلة قدر الانسانية فهي لاتصلح لرقبها وقيادتها . إن الأسد لا يصلح لقيادة الانسان وإنما يصلح لأكله ونحن نريد أن يحكم الانسان ويعلمه انسان مثله لا حيوان !

الأرض قد بخلت بما لديها فلم تفرط فيها عندها من غابات خط الاستواء ونحوها ولا من المدخرات في القطبين ونحوهما إلا اذا كان أبناؤها جميعا يدا واحدة في استخراج ذلك . وهؤلاء لقلة تبصرهم يتكون الحقائق الكامنة . ويصدهم عن هذا النعم المنتظر للانسانية كلها مظاهر الأثوان واختلاف الأديان والأقطار واللغات إذن الانسان جاهل كل الجهل . فليتعلم المسلمون وليعلموا الانسانية . أناموقن أن هذا القول سيخوض البصار ويقرؤه أهل الأقطار وينقله السفن في البحار والطائرات والبالونات التي يركبها الناس في الجو وتنفث الفكرة وبم الاتحاد وتخرج الانسانية من جاهليتها



إن الإنسانية اليوم استعدت لفهم هذا القول . وهذه الطائرات تطير حول الكرة كلها والسياحون يطوفون حولها في السفن والقطرات البرية والعلماء يتسابقون الى الكتابات في السلام العام كما كتب أنا الآن إذن اتحد على هذه الفكرة سيرالسفن في البحار حول الكرة الأرضية وطيران الطائرات حولها أيضا وكتابة العلماء في الاتحاد العام . وهذا نوبل مخترع الديناميت المشهور قد أعد جائزة لمن ينفع السلام العام . فأنقول اليوم جاء أوانه . فليدل المسلمون دلوهم في الدلاء . وليقوموا أنفسهم أولا ثم ليقيموا الإنسانية ثانيا والله هو الولي الجيد

فقال صاحبي : نعم ما فصلت وحسن ما دمجته براعتك . ثم أذكرك انك تقول : « إن غابات خط الاستواء وغابات بلاد البرازيل لا يمكن اجتيازها لصعوبتها » وذكرت أمورا لا يعرفها إلا القليل . فأحب أن تذكرها لنا من مصدر علمي واسع النطاق يشرح هذه المواضيع كلها وما شابهها شرحا واسعا كما وعدت بذلك في أول المقال فقلت اسمع ماجاء في كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### ﴿ الانسان وتوزيعه على المعمور ﴾

( تكاثف السكان )

شروط صلاحية للتطهر للسكنى ، مغالبة  
الانسان لطابع الاقطار التي يسكنها . أسباب  
تكاثر السكان الاستوائية . مغالبتها في ذلك  
بالنباتات المنتجة . الثغرات الفصيلة تمد للتطهر  
السكنى ، وكذا الثغرات البحرية ، الحرف  
وتأثيرها في عدد السكان

انظر الى خريطة العالم حيث توزيع السكان على المعمور ترى الانسان منتشرا في متفرق النواحي من غير مساواة في العدد فهذه الصين والهند وما جاورهما غامضة كلها بالسكان وهناك جهات أخرى من العالم الفسيح لا يسكنها إلا النفر القليل حتى في الولايات المتحدة وهي جمهورية واحدة ترى الانسان متجمهرا في جهة الشرق ثم برق شيئا فشيئا جهة الغرب وفي جنوب أمريكا تراه كذلك محشدا في جهات منتشرة في أخرى وهاجرا شتى وكذلك في أفريقيا وأستراليا والخلصة أنك بالتأمل في الخريطة لارى الانسان موزعا بانتظام في أنحاء الأرض بل ترى منها ما اختصه بسكناء فتزاحم عليه وربما كان ذلك لعهد قديم مثل مصر ومنها ما نصب عدده فيه مثل معظم أفريقيا فلماذا كان بعض الجهات أصلح لمقام الانسان من البعض الآخر ؟ هذا ما يجيب عنه الانسان محتاج الى هواء معتدل فالرطب منه جدا والجفاف جدا كلاهما لا يطيبه ومحتاج أيضا الى مقدار معتدل من الحرارة فالأصقاع الباردة جدا والحارة جدا تضر به ولا تصلح له ومثل ذلك النبات والحيوان ولنا نرى أن الجهات النادرة الحيوان والنبات قل ان تصلح لمقام الانسان ففي أواسط القارة المنجمدة وفي أواسط الأرض الخضراء حيث توجد فلوات الجليد قل أن تدب ذابة فلا ينسى للانسان عيشة فيها كذلك في قلب بعض القارات حيث ترتفع درجات الحرارة وحيث يجف الهواء جدا فينشا عنه الصحارى القاحلة لا ينتظر للانسان عيشة وكذلك سفوح البراكين الحية وأمثالها من سطح البسيطة التي لم يستعمرها الحيوان والنبات سبق خلوا من الانسان مغلقة من قبضة يده إلا إذا تغيرت أحوالها وتبدلت أطواره

ومن المعلوم أن لكل صقع مجموعة خاصة من حيوانات ونباتات فكما ساد الانسان في صقع وتكاثر فيه كان ذلك على حساب تلك الحيوانات والنباتات الأصلية بزيجها ويحتمل مكانها . عمر الانسان البرارى الاسكتلندية

مثلا منذ أقل من قرن فاذا تركت قتل جبالها جانبا وزلت الى حيث يسكن منها وجدت « الجبلج » قد فنى وليس منه إلا رقايع صغيرة في المراعى ورأيت حقولا من الشوفان والبطاطا واللفت والكلأ ومثل ذلك وماهى الاحصالات نافهة في جانب مايزرعه الفلاح الانجليزى في الشرق . ولكنها مع ذلك تمثل المطلوب من أن الانسان يكفح الاجناس الطبيعية السائدة بالصق الذى يستمره ويضع محلها نباتاته هى التى يختارها غذاء وكساء . وهكذا كلماتفى في صقع عمدا الى ذلك العمل على نظام ومنوال أوسع . تطوف بانجلترا وتسير في فرنسا فترى الأفدنة الشاسعة من الأراضى الزراعية المخدومة تبت أنواع الحاصلات المختلفة وهذه هى نفس الأراضى التى كانت في وقت يحسبه الطبيعى غير بعيد تكتنفه كه الغابات الكثيفة وتشوهها المستنقعات المؤذية فظهرتها يد الانسان بالجد والعمل ومثل ذلك وقع على الحيوانات فاذا ما سرتنا في الأراضى المنحطة من انجلترا واسكتلندة وجدنا من الأنعام والأغنام والخنزير والدجاج والأوز والبط خلقا كثيرا تملأ الضياع هناك وكل هذه الحيوانات المنزلية قد استقرت الى الرواى ونجاد « ديفون » و « كورنوال » غزلانا كانت تجول في الأرحاج القديمة في بريطانيا . ومن أجلها أيضا استوصلت شافة الذئب العاتية التى كانت تعيث في الأرض فسادا وتعيش على تلك الحيوانات البرية وقصارى القول أن الانسان لا يمكنه أن يعيش في هذه الدنيا إلا بقلب طبيعتها واختصاص نفسه في محله الذى ينزل فيه ببعض الحيوانات دون الأخرى وبمطاردة التى لا تنفعه لتفسيح مجالا لما يعوزه ويحتاج اليه

قلنا أن الانسان تتعثر عليه الحياة في الجهات التى يسوء فيها نمو النبات وصحة الحيوان ولكن قد تكون غزارة النبات من جهة أخرى سببا في حرمان الانسان من سكنى الجهات الفسيحة فاذا نظرت الى خريطة سكان العالم وجدت جزءا عظيما من البرازيل حيث الشمس حارة وضاحية والمطر وافر غزير يطيب فيه النبات ويزهو ويتكاثر ويعلو فيكون الأرحاج الاستوائية ولكنك تبعث عن الانسان في وسط هذا العالم فلا تكاد تجده إلا قليلا ومثل هذا في غابات أفريقيا الاستوائية فليست قلة الحياة النباتية هى التى تعرقل مساعى الانسان في استعمار مثل هذه الجهات بل غزارتها ووفرتها الزائدة عن حد الطاقة اذا الغابات الاستوائية هى ما يسميه النباتى « بالتآف المطبق » أى المكان الذى يكون نضال الحياة النباتية فيه شديدا فاسيا لا ينسنى لأجناس جديدة أن تدخل فيه

نم ان العراك والنضال النباتى كذلك شديد في غابات المنطقة المعتدلة ولكنه تصحبه في كل خريف وشتاء « هدنة من الله » اذ تضئف قوى الأشجار ويحمدنأ حياتها في عروقها فيبقى عليها ساعدا الانسان فتكون له الغلبة آخر حتى اذا جاء الربيع الذى تتماثل فيه الأشجار الى القوة والفتوة لم تغلبه ولم تستعص عليه اذ كان قد ذلها من قبل واجتث منها وملك ناصبتها ولا يخفى أن في الغابات المعتدلة تكون المقاومة بين الأشجار الكبار أما النبت على أديم الأرض فليست له مقاومة تذكر خلافا للغابات الاستوائية إذ التفت الساق بالساق بزاحفات من النبات متعددة قد تكس منها على أديم الأرض عالم كبير حتى قال أحد السياح أن في غابة غانة الجديدة الاستوائية اذا سار جاعة فيها ثلاثة أميال في اليوم عد ذلك أمرا عظيما جدا لأنهم في الغالب لا يستطيعون قطع نصف هذه المسافة في اليوم وقال أيضا انه لا يوجد من حاصلات الغابة ما يمكن أن يقتات به الانسان فاذا قد ما كنه تهلده الجوع بالقتل

النضال في الغابة الاستوائية شديد جدا والظروف الطبيعية هناك توافق حالات النبات لدرجة يتعثر معها وجود جيز فيها غير مشغول فتفرع الأشجار وتسبق الى عنان السماء تطاول الواحدة جارتها . وكلتا تناطحنا وسحبنا الضياء عن الأرض تحتها تسلفت عليهما النباتات الزاحفة طلبا للعلو حيث الهواء والضياء . وقد لا تصل جذورها الى التربة الأرضية بل تجرد غذاءها الكافى بين الأوراق البالية . ومن الرطوبة الموجودة في هواء

## الغابة الخجل

هذا وعلى ضفاف الأمازون الفائرة حيث يطلب الباحثون المطاط ليرسلوه الى أوروبا لتتخذمنه اطارات السيارات وغيرها من منافع المدنية يتكبد رواده الشقاء والعناء من تزامم الشجر اذ لا يرجون التسيار والتنقل إلا بقرب الضفاف حيث تبعثر الأشجار ويقل عددها نوعا وفي غابات فرموزا واليابان والصين يطلب الرواد أشجار الكافور ليصنعوه بخورا أو كرات للعتة ولكن جهدهم هذا يبذلونه أيضا بشق الأنفس لأن أشجار الكافور توجد في الغابة متفرقة الواحدة عن الأخرى فكلما جمعوا شيئا من بقعة ارتحلوا طويلا الى غيرها وكم في هذا من عناء وعذاب

فما أكبر الفارق بين هذه الغابات وبين أمثالها في المنطقة المعتدلة حيث توجد في بعض جهاتها الرطبة من البحر الأبيض المتوسط مساحات ضخمة كلها من شجر أبي فروة والجوز واللوز والصنوبر والخروب وتوجد مساحات ضخمة من الزان والبلوط ويسمى كلها النباتيون « الأجناس المتجمعة » لأنه اذا وجدت زانة وجد من نوعها الكثير فتسنى تربية الخنازير على مقربة يطعمونها من حبه . ومثل هذه الأجناس المتجمعة من الاشجار نادرة الوجود في الغابات الاستوائية . ولذلك لا بد من بذل الجهد في طول الغابة وعرضها للبحث عن النبات الصالح

كذلك تكثر في الغابات الاستوائية الحيوانات ذوات الثدي ولكن أفراد كل نوع منها قليلة فلا يوجد فيها مثلا ما علمناه من وفرة عدد الجاموس البري ببراري أمريكا ولا الغزلان بسهولة أفريقية ولا الحيوانات الأخرى بسهولة آسيا قبل ان تصل اليها قدم الانسان وما يذكر من الأسباب هنا هو ما سبق ذكره عن المطاط والكافور مقارنة بالزان والبلوط ويوجد بغابات البرازيل أنواع كثيرة من القرود ولكن عدد كل نوع منها قليل جدا ويوجد الحيوان البطيء المسمى بالكسلان ولكنه نادر جدا ويوجد بها حيوانات أخرى أكالة للحوم تنسلق الأشجار ولكنها قليلة أيضا وحالها هذا مصداق ما سبق قوله

والمقصود من هذا البحث أنه اذا قلت أنواع النبات والحيوان التي من جنس واحد عز بسببها الاستعمار وصعب الاستتار وقلت السكنى وزد على ذلك أنه يوجد بالغابات الاستوائية الحيات الرقطاء والحشرات السامة ولكنها مع ذلك أقل خطرا من البعوض الذي أغلبه مصاص الدماء ويحمل من فريسة الى أخرى جراثيم الأمراض مثل الملاريا ومرض النعاس ومنه ما يبيض تحت الجلد فيحدث القرع الأليمية . ومن الحشرات ما يعض أو ينجح والكثير من الهوام والبعوض يتأثر من التعرض لضوء الشمس في بعض أدوار حياته فيموت فاذا أمكن للانسان أن يطهر الغابة منه زال الخطر ونست المنفعة ولكنه في الغابات الاستوائية الممطرة يحول الجوق بينه وبين أعظم مساعده على التطهير وهو « النار » فاذا كان ثمة صقع يتناوبه الجفاف والمطر (مثل غابات غرب أوروبا) أمكن للانسان انتهاز الموسم الأول فيشعل الحشائش الطوال ويبيد جيشا كبيرا من النبات الملتف فيكون الرماد الناعم تربة خصيبة تكون مهدا للبذور النبات الصالح التي متى رعاها وتنفذه آتى بالخير العميم . ولكن اذا كان الجوق دائما دائما على الأمطار تدمر أشعال النار وغلت يد الموقد

ومن ذلك نرى أن الأصقاع التي يسكنها الانسان يشترط أن تكون عرضة لتغيرات طبيعية صالحة لنمو النبات غالبه مره ومغلوبه أخرى سواء أ كان التغير في درجة الحرارة كما في مناطق خطوط العرض المرتفعة في المعتدلة الباردة أم في درجة الرطوبة كما في الهند والصين بسبب التغيرات الموسمية أوفيها معا كما في بعض جهات الصين أيضا أعنى أن الممالك التي يكثر فيها الانسان هي التي يروج فيها النبات في مواسم مخصوصة بسبب تغيرات الفصول وعلى ذلك فالأصقاع شديدة الرطوبة غير صالحة لأن موسم الرواج فيها قصير جدا أو منعدم بالمره اذا كانت متطرقة في شدتها . وكذلك بعض الاصقاع الاستوائية حيث درجة الحرارة مرتفعة دائما والمطر

و يدخل في معنى الفصول هذه تلك التغيرات الطبيعية الموسمية التي كانت سببا في إخصاب أرض مصر وإعدادها للسكنى من زمان قديم وهي جزء من الصحراء فدرجة الحرارة فيها دائما مرتفعة ارتفاعا نسبيا والمطر يكاد يفقد فيها مرة واحدة فتغير الفصول غير مشاهد فيها بالمعنى المراد اذا قارناها « بنيو فوندلاند » مثلا حيث الفرق بين درجة الحرارة في الصيف والشتاء قد يصل الى ٥٠ درجة ف . من هذه الأسباب كان مورد الحياة في مصر هو نيلها لاغير يعلو ويهبط سنويا في مواسم معينة فاذا فاض بالماء الذي فيه حياة أهلها وحاصلاتهم واذا هبط حل الجذب الذي فيه موت كثير من أعداء الانسان من العشب غير الصالح وبعض الهوام وفي أثناء هذه الفترة القصيرة يتسنى له أن يجمع حاصلاته وأن يغلب على الماء فيحمله بالتقنوات أقي شاة فيتزايد الزرع والحاصل ويموت جيش النبات الضار

والخلاصة أن نباتات أى صقع وحيواناته ما هي إلا مجموعات مرتبطة ملائم بعضها لبعض قد هيأها الله لحالة الصقع من أزمان فكل شئ يضطرب بسببه ولو قليلا هذا النوازن الدقيق يصبح فرصة سانحة لدخول الانسان وتحصل الاضطرابات هذه في كثير من أنحاء الأرض بسبب دورة الأرض وتغيرات الفصول الناتجة عن تلك الدورة وكلما حصلت هذه التغيرات على نظام أوسع في صقع ما وسهل على الانسان التدخل كان ذلك الصقع ساحة الوغى التي يجول فيها الانسان ويصل بحيله ورجله ويصل فيها الى أوج المدينة

وقد يكون مع التغير الفصلى تغير دهرى يقع في أثناء الأجيال والدهور فيؤثر في نتيجة الموقعة القائمة بين الطبيعة والانسان من ذلك انه يظهر في فلسطين واليونان وفي معظم أواسط آسيا مثلا أن قد تقلب دهور وعصور تغيرت فيها مع البطء الشديد مقادير الأمطار الساقطة هناك فحال هذا التغير بين الانسان وبين كثير من المنافع التي كانت في حطوته قديما وأمكنت الطبيعة البرية من أن تسترد كثيرا من أراضيها المفقودة كذلك عملت تغيرات أخرى من قرون لاعدد لها على جفاف تربة أوروبا . وفي أواخر عهد الجليد تحسنت حال المصارف في جزء عظيم من تلك القارة بسبب تأثير الجليد في سطح الأرض وإيجاده البحيرات ثم انتظمت مجارى الأنهار وفاضت بالطمى فانصلحت الأراضي حتى قال أحد الجغرافيين ان مثل هذه التغيرات الدهرية كانت العامل الأعظم في التقدّمات الباهرة التي حدثت في القرون الأخيرة بأوروبا وأمريكا إذا كنتسح عهد الجليد نوع الانسان القديم كما كنتسح معه حيوانات أوروبا وقد جعل الأرض بما أحدثت من التغيرات فيها صالحة لسكنى الانسان المتمددين

ويقولون ان المدنيات القديمة التي يقرؤها على الحفائر وغيرها في مثل أواسط آسيا وبلاد العراق وفي مثل فلسطين وحتى في جهات أمريكا الوسطى كلها تثبت أن الجو في تلك الأيام الحالية كان غيره الآن . ولولا ذلك ما زرع فيها القمح ولا غيره قديما ولا عاش بها انسان في ذلك الزمان وفي هذا المعنى يقولون أن جو أوروبا الآن وفلسطين وآسيا الصغرى الح . قد قلت فيه درجة الرطوبة عن قبل أمطارا ونلوجا

وينسبون التغيرات الدهرية الى إرسال الشمس شعاعها المتغير كثيرا أو قليلا على حسب طبيعة جوها التي هي فيه فاذا اشتد شعاعها كثرت عليها السفع . ويكون ذلك رمزا على كثرة الحرارة التي تعترى سطح الأرض من جراء ذلك ثم تكون هذه سببا في تسخين الهواء واحداث زواج الأمطار والتلج (أى في رفع درجة الرطوبة) فاذا شعت الأرض حرارتها جميعها صار سطحها باردا جدا وهذا لتعليل برودته ورطوبته قديما وما تعرف به التغيرات الجوية الدهرية أهمار الأشجار القديمة في غرب أمريكا مثلا توجد أشجار عمر الواحدة منها ألفا سنة أو أكثر وعمر الشجرة يعرف من دراسة الحلقات الموجودة على خشبها . ومن هذه الحلقات يستدلون على مقادير الرطوبة في تلك العهود وتعرف التغيرات الدهرية كذلك من دراسة مستوى

البحيرات الملحة القديمة في مثل غرب الولايات المتحدة ولخص طبقات السود يوم والسكريين هناك إذ يرى لدى الشاطئ حوز الطبقات فالعالي منها يثبت امتلاء البحيرات الى حده ويدل على كثرة الرطوبة في وقته والواطيء يثبت انحسار مستوى البحيرة الى حده ويدل على قلة الرطوبة وهكذا

نرى من كل ما تقدم أنه لا نبات بري ولا حيوان وحشيا قد أظهر من القدرة على الانتشار في العالم مثل ما أظهر الانسان وأنه لا نبات ولا حيوان قد تناسل مثل تناسله فالخلنج على البراري سالفة الذكر قد يكثر حتى يتخيل الى الناظر اذا ما وجد هناك أن العالم كله خلنج ولكنه اذا ترك هذه البراري وتزل الى الوهاد أو الى الوديان البسامة لم يجد للخلنج فيها أثرا مرة واحدة . سر على جبال الألب بين أشجار التنوب وغابات الصنوبر فيخيل اليك أن العالم كله تنوب وصنوبر . ولكنك اذا غادرت موقعهما من الجبال مشيت الأيام والليالي دون أن تمرطما على أثره تكلمنا على الجاموس الامريكى والرشا الافريقى وذكرناهما أمثلة من وفرة التناج بجمهه من الجهات وهما مع ذلك لم يشغلا من سطح الأرض إلا جزءا صغيرا بالنسبة له

انبت الانسان في جهات الأرض وعمرها وهو وان اضطر الى الفرار من غابات الاستواء وهجير الصحراء وبوادي الأقطاب ومن التجداد والوهاد القاحلة فهو مع ذلك فائز منصور حيث لم يحظ غيره من النبات والحيوان بمثل ظفرو واتصاره سواء عنده جوانب الألب الشائخة وهضاب تبت الباردة والوديان البسامة والسهول الخصيبة فقد عمرها كلها وانبت فيها مصطحبا معه أنما حل قطعانه المنزلية ونباتاته الزراعية قد ذلها جميعها فدانت له وتبعته الى أقصى الأرض حيث لم توجد أجناسها من قبل

هذا والحرف العصرية التي يجتد العالم فيها وبلغ الآن وغدا لها تأثير عظيم جدا في السكان على المعمور فالأقطار « الزراعية » تجتذب اليها السكان ويزايد عددهم فيها كلما أخصبت الأرض وأينت محصولاتها فتفيض عليهم بالأرزاق والأقوات في مثل الهند والصين وغيرها والأقطار « العشبية » التي تقوم فيها حرفة الرعى يقل عدد سكانها عن الأخرى الزراعية كما يلاحظ ذلك من الخريطة الخاصة ويرجع السبب في ذلك الى عدم سخاء الطبيعة بالقوت الكافي للكثير من السكان

وأما أكثر الحرف اجتذابا للسكان فهما حرفة « الصناعة » وحرفة « التعدين » لما تتطلبه كل من كثرة الأيدي العاملة على استثمار المناطق الخاصة بهما ولما ينجم عن مزاوله الحرف الصناعية الآلية من عظيم الأجر وكبير الربح ولذا ترى المناطق الصناعية من إنجلترا وألمانيا وبلجيكا والروسيا أغص جهات هذه الممالك سكانا وأكثرها تراء ويسارا وبدهى أن المملكة التي يتجمع فيها عدد من الحرف يتجمهر فيها السكان بمقادير عظيمة تمثل ما وصلت اليه هذه الحرف من الرقى كما هو الواقع في شرق الولايات المتحدة وبحسن هنامطابقة خريطة حرف العالم على خريطة تكاثف السكان . انتهى ما أردته من كتاب الجغرافيا التجارية الاقتصادية

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وفيت بالمراد . وأتيت بالحب الجباب . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم السبت ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٠

### ﴿ أسرار العلوم المخبوءة في هذه السورة ﴾

جاء صديقي العالم الذي جرت عادته أن يناقشني في هذا التفسير . فقال : لقد فسرت الرحة في البسملة وطبقها على ماني السورة تطبيقا تاما ، ولكن بقي في النفس شيء ، فهل تأذن لي أن أسألك استيفاء لهذا المقام وايضا للأنام . قلت : نعم . فقال : إن في السورة « أولا » الذنوب ومغفرتها « ثانيا » الكفر والإيمان « ثالثا » محاربة المؤمن من آل فرعون معهم « رابعا » محاجة الكفار في النار من الضعفاء والمستكبرين « خامسا » ما يقوله بعض المفسرين في قوله تعالى - خلق السموات والأرض أكبر من خلق

الناس - الخ إذ جعلوا ذلك إشارة الى الدجال ، ألم تر الى ما جاء في كتاب « تنوير المقياس » من تفسير ابن عباس المؤلف في القرن التاسع الهجري إذ جاء فيه : - إن الذين يجادلون في آيات الله - هم اليهود وكانوا أيضا يجادلون مع سيدنا محمد ﷺ بصفة الدجال ورجوع الملك اليهم عند خروجه وقوله - ان في صدورهم إلا كبر - أي عن الحق - ما هم بيالغيه - أي بيالغى ما في صدورهم من الكبر وما يريدون من رجوع الملك اليهم عند خروج الدجال - فاستعد بالله - يا محمد من فتنة الدجال - انه هو المسيح - لقالة اليهود - البصير - بهم وبأعمالهم وفتنة الدجال وبخروجه ، نخلق السموات والأرض أكبر أي أعظم من خلق الناس أي من خلق الدجال - ولكن أكثر الناس - يعني اليهود - لا يعلمون - فتنة الدجال هذا ما رأته في ذلك ، وابن عباس رضي الله عنه شرفه عظيم وعلمه نبوي وقد دعا له رسول الله ﷺ هذه هي الفصول الخمسة التي أريد منك شرحها وان كان في ذلك مشقة عليك ، ولكن أنت محب للعلم ومحب لرقى العقول ، وحديثنا يقرؤه المسلمون بعدنا ، فالفائدة عامة فأرجو أن تحذثني كيف يكون الله هو الرحمن الرحيم والناس :

(١ و ٢) يذنبون أو يكفرون

(٤ و ٣) وكيف عصى آل فرعون من آمن منهم ، وأضلّ المستكبرون الضعفاء ، فأبن الرحمة ؟

(٥) وكيف يخرج الدجال فيضلّ الأمم ونحن نستعيد بالله منه كل حين والله قادر أن يرضع هذه عن الأمم . ولقد تبين لي أن تفسير ابن عباس مؤيد بما ندعوه به في كل صلاة إذ قول « وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال » فهذه مشا كل نحن في حاجة الى حلها وطرق يعوزها التعييد حتى تكون مثله لتسير فيها على صراط مستقيم

فقلت : لقد تقدم في تفسير البسملة ما يعني عن الاجابة الآن . انظر رعاك الله الى ما جاء في تفسير البسملة في أول سورة الروم وأول سورة لقمان . فقد ذكرت هناك كيف كانت الآلام التي تعرض لأبدان الحيوان خلقت لمنفعته هو . وكيف كان الضرب والكسر والصدم والجرح والبرد والأمراض والأسقام وكل ما يضرّ الجسد ويفسده ، كل ذلك انما جعل منذرا لنا لنصلح ما فسد بسبب الأحوال المادية في هذه الدنيا وهكذا ذكرت لك هناك أن قتال الفرس والروم والمسلمين مقبس على أحوالنا المرضية . فهذه أمراض اجتماعية نذرننا باصلاح ما فسد من مجتمعنا كما ان الجوع وآلام المرض تحثنا على الطعام والدواء . فالآلام رحمة . إذن الرحمة لها جيشان : جيش الآلام . وجيش اللذات . هما جيشان للرحمة . واذا كانت الرحمة موجهة فقط الى لذاتنا فانها تنقلب قنمة . فاجتماع الآلام واللذات إتمام للرحمة . فاللذات نصف الرحمة والآلام النصف الآخر هذا ملخص ما تقدم

فقال صاحبي : هذا حسن ولكن هذا الكلام إجمالى عام فان في هذه السورة أمورا أخرى . فيها مؤمن آل فرعون . ولماذا يقص الله ذلك القصص علينا ؟ وأي مناسبة بين أمة الاسلام الآن وآل فرعون ؟ ولماذا يقول لهم - فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - وأي بأس أئذهم به ؟ وهل نزل بهم هذا البأس وفي أي زمن ؟ ولماذا ؟ كل ذلك أريد أن أعرفه حتى ينتفع المسلمون بحديث هذا المؤمن في زماننا . إن حديث مؤمن آل فرعون لن يتم الانتفاع به لنا في أمراضنا الاجتماعية إلا بمعرفة ما برى اليه . وماذا كانت نتائجها ؟ ثم لماذا ذكر الله حجة المتكبرين والضعفاء بعد حجة مؤمن آل فرعون ؟ وما المناسبة بينهما ؟ ثم لماذا نرى ابن عباس يفهم هنا مسألة الدجال . وما الملك الذي ينتقيه اليهود ؟ وهل هم يحاولون ذلك الآن ثم لماذا نرى المسلم في كل صلاة يستعيد من فتنة المسيح الدجال . كل هذا أمور لاتزال غامضة والمسلمون يصلون وأكثرهم غافلون . والصلاة بلا عقل قليلة الثرات . واذا لم يفهم المسلمون أدعيتهم في الصلاة فالذي استفادوه

إذن ! إن الحياة المبنية على الحفظ بلا عقل حياة أشبه بحياة الجماد . وتكرار الصلوات بلا عقل قد ذمها الله فقال - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - وقال في ذم من يقرؤن ولا يعقلون - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - وقال في اليهود إذ كانوا لا يعقلون التوراة - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله - الخ

إن بقاء المسلمين على حالهم يصلون ولا يعقلون الصلاة و يقرؤن ولا يعقلون القرآن أرفعهم في الفرور كإبراهيم عن كابر جيلا جيلا وكل جيل ينزل عما قبله حتى أصبح المسلمون اليوم أجهل الأمم التي على هذه الأرض وقد تركوا مواهبهم ، فإذا لم توضح هذا المقام غير مكثف بما قدمت في تفسير البسطة فإن الحال تستمر على ما هي عليه وكل جيل يكون أقل مما قبله وهذا لا يرضيك . قلت : إني بحمد الله سأوضح المقام على قدر طاقتي وأبينه بما أقدر عليه والله المستعان فأقول :

إن هذه الأسئلة الخمسة التي تريد الإجابة عليها ترجع كلها الى أمر واحد ومتى عرفناه زال الاشكال . فقال : وما هو ؟ قلت : هو ما تقدم في ﴿ سورة الزمر ﴾ في أوّلها عند قوله تعالى - يكثر الليل على النهار ويكثر النهار على الليل - . ألم أقل لك هناك ان الجنين في الرحم يحيط به ظلمات ثلاث : المشيمة والرحم و بطن أمه . قال بلى . قلت : أليست هذه مع كونها ظلمات جعلت له رجحات . قال بلى . قلت : ألم تقل هناك ان علماء الفلك يقولون إن الغبار في الجوّ ودخان صنعان فيه (١٦) طبقة حاجبة للشمس عن عيوننا رجحة بنا فيكون ضوءها الواصل لنا صباحا أقل من الضوء الواصل وقت الظهيرة (١٣٥٠) مرة . قال بلى قد تقدم ذلك . قلت : ومعلوم أن الغبار والدخان ضاران بأجسامنا يدخلان رئاتنا فتضعف أجسامنا وتقصّر أعمارنا . قال بلى . قلت : ولكن هذا الضار بجتماعه مع ضوء الشمس صار نعمة . قال نعم . قلت : ألم أقل هناك أن وسوسة الشياطين للناس نعمة ولكنها في الحقيقة قد جعلت نعمة لهم لأنهم إذا أعطوا العلم دفعة واحدة لا يطيقونه . قال بلى ولكن هذا المقام يحتاج الى الايضاح هنا . قلت نعم أوضحه فأقول : أنا لا أخرج عن هذا المثل وهو مثل الشمس ، انظر ، اذا أشرفت الشمس على الأرض فهل تستوى الأرض والماء في قبول حرارتها ؟ قال : أنا أرجوك أن تسمح لي بفهم ما تقول . قلت له : أيهما أسرع قبولا للحرارة الماء أم الأرض ؟ وأيهما أبطأ ، وأيهما أسرع لإخراجا لحرارته التي كسبها من الشمس ؟ وأيهما أبطأ في ذلك . قال الأرض أسرع قبولا للحرارة وأسرع تملصا منها والماء على العكس من ذلك . قلت : هل تستنتج من هذا شيئا . قال : لست مستعدا لذلك الاستنتاج في هذا المقام . قلت ههنا قاعدة ، كل ما كان أمم صنعا كان أودم وأحسن فائدة ، وكل ما كان أنقص صنعا كان أقل دواما وأقل فائدة ، فهذه الأرض لما أسرع في قبول الحرارة أسرع في التملص منها ، وهذا الماء لما أبطأ في قبول الحرارة أبطأ في التملص منها . فالنبي الذي كسب المال بجدّه وعرق جبينه يكون غناه أمم وأودم والذي نال المال بلا جدّ يكون له مبدرا لأنه لا يعرف قيمته . انظر الى القرع والى النخل فذاك لا يثمر إلا بعد سنين وهذا يطول ويثمر حالا ولكنه سريع الزوال وانظر الى صغار الحيوان كلما كان أسرع نموًا كان أقصر أجلا . ألا ترى أن الكلب يتم نموه في سنة ونصف ولا يزيد غالبا عن (١٢) سنة كما تقدم . وأن الحصان لا يتم نموه إلا بعد ثلاث سنين ويعيش (٢٤) سنة وهكذا وكل هذا تقدم وإنما نصر به هنا أمثالا وهذا فعل الله والفعل جليل ولا يعرف جلاله إلا بالعلم والحكمة فأما المعرفة القولية فلا فائدة فيها . وهذا الحرم المبنى في بلادنا المصرية لما كان أمم بناء كان نباته ودوامه أمم . وهذه قاعدة مطردة . قال قد فهمتها . قلت : وقبل أن أرتب عليها الإجابة على ما طلبت أقول ان هذا الاختلاف في الأحوال قد جعل لغايات شريفة . ألا ترى الى ما تقدم في سور كشيرة أقربها ما جاء في ﴿ سورة الأحزاب ﴾ عند آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا \* وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا - فقد وازنت

هناك ما بين قول النابغة للنعمان ابن المنذر \* كأنك شمس والملوك كواكب \* وما بين هذه الآية وأن فضائل النعمان لانسبة بينها وبين الشمس وأن ثمرات فضائل النبوة تشبه منافع الشمس ، وقد ذكرنا هناك الريح والسحاب ، وكيف كانا ناجين من الحرارة والبرودة ، وكيف كانت سرعة قبول الأرض للحرارة وضدها وبطء قبول الماء للحرارة والبرودة سببين متضادين أنتجا منافع للناس بالرياح المختلفة ، فلولا هذا الاختلاف لم يكن نسيم البرّ ولانسيم البحر ولا الريح الموسمية ولا الريح التجارية الضدية وهكذا . كل ذلك تقدم ، فهذا الاختلاف هو الخير والمنفعة والسعادة للحيوان على الأرض ، إذن اختلاف أحوال المادة جعل لقوائد شريفة . اذا فهمت هذا فأقول إجابة على أسئلتك الخمسة :

ما الذنوب ولا الكفر إلا أشبه بما عرفنا في الماء من انه لا يقبل الحرارة بسرعة ، فالكافر والعاصي لم يقبل الايمان والطاعة لأن فطرتها ليست سريعة القبول ، فاذا أسلم الكافر بعد ذلك ، واذا أطاع العاصي بعد اقرار الذنب وبعد الندم الشديد كان ذلك بعد جهاد ومشاق طويلة فيكون صلاحه أتمّ وهذا معنى قولهم « ربّ معصية أورت ذلًا وانكسارًا خير من طاعة أورت عزا واستكبارًا »  
وكم من متوسط الذكاء فاق من هو أذكى منه بسبب طول أناته وصبره وجده في التحصيل فيصير أرقى منه وأقوى وأعلم

فقال : هذا حسن وقد فهمناه ولكن ماذا تقول في العاصي اذا مات بلا توبة والكافر اذا لم يؤمن ؟ فأين الحكمة إذن في ضلالتها الدائم ؟ فقلت : هذا أدع الجواب عليه الآن فإنه من المسائل التي ليس بعقلها كل امرئ . ولتكن الاجابة عليها في وقت غير هذا ولكني أقول لك الآن إجمالاً لا يعقل حكمة ذلك إلا حكيم قرأ العلوم الرياضية والطبيعية والالطية ، فاذا لم يعلم ذلك فلا يجوز له أن يبحث في هذا لأنه فوق طاقته وأنت تقدر على الجواب من نفسك لنفسك . فقال : إذن نكتفي بهذا في الفصلين الأول والثاني . فقلت :

( الفصل الثالث في محاجة مؤمن آل فرعون لقومه )

وملخصها ما يأتي :

- (١) ان كذب الرسول واقع عليه وصدقه ان لم يطع القوم أنزل العذاب بهم ، وهذه الحجّة تفتج أحد أمرين : إما الاقتصار على عدم أذاه ، ولما الزيادة على ذلك باطاعته ، والنتيجة التي يقصدها عدم التعرض له بالأذى
- (٢) الملك لا يدوم فاذا تعدينا على غيرنا فالله لنا بالمرصاد فمن ذا ينصرنا
- (٣) ان هناك أمة تقدمتنا فعلوا ما فعلنا فهل كوا أفلان تخاف العاقبة
- (٤) بل هناك يوم الحساب
- (٥) أتم قوم اعتدتم التكذيب والشك كما حصل منكم في أمر يوسف
- (٦) إن هذه الحياة كسراب بعيبة فكيف نغترّبها
- (٧) والأصنام التي تعبدونها لا قيمة لها
- (٨) ونتيجة ذلك أن الله تعالى وقاه سيئات مكرهم ووقع العذاب بالقوم

إذن لفصل العذاب الذي حلّ بالأمة المصرية بعد زمن المؤمن الذي قال هذا القول من بلادنا المصرية وهذا يعوزه ( ثلاث جواهر \* الجوهرة الأولى ) في مجمل تاريخ قدماء المصريين وبيان انه ثلاثة أدوار ( الجوهرة الثانية ) في أن هذا الذي قاله مؤمن آل فرعون كان في السور الثالث . وبيان سرّ التنزيل إذ يقول مؤمنهم - فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - وما هو هذا البأس ( الجوهرة الثالثة ) في بيان الأسباب العقلية التي سببت هذا البأس . وكيف كان التقليد وترك العقل جانباً في أعمال الحياة وفي الدين ينتهي بموت



الأمة وهلاكها . وأن هذا الدرس متى فهمه المسلمون أقنعوا عن جهلهم لأن أكثرهم اليوم يشبهون هذه الأمة المصرية في دورها الثالث وأن هذا التفسير هو آخر أذار لهم وهالك بيانها

### ﴿ الجوهرة الأولى ﴾

جاء في كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين ما نصه

#### ﴿ لمحة في تاريخ مصر القديم ﴾

ينقسم تاريخ مصر القديم باعتبار الدول الأصلية الى ثلاثة أدوار : الدور الأول يشمل الدولة القديمة . والدور الثاني يشمل الدولة الوسطى . والدور الثالث يشمل الدول الحديثة (١) وتاريخ الدولة القديمة ينحصر في ثلاثة عصور : وهي العصر الصاوي والعصر المنفي والعصر المراقليو بولوتيني

(١) - « العصر الصاوي » وتنعصر فيه الأسرتان الأولى والثانية من ( من سنة ٥٠٠٠ الى سنة ٤٤٥٠ ق م ) وهو يبتدىء بالملك مينا رأس الفراعنة الذي جمع تحت سلطانه الوجهين البحري والقبلي . وجعل : عاصمة ملكه تانيس أوطينة ( البرية بجوار جرجا حيث توجد قبور الملوك الأولين

(٢) - « العصر المنفي » يبتدىء من الأسرة الثالثة وينتهي الى الأسرة الثامنة (من سنة ٤٤٥٠ الى سنة ٣٣٥٠ ق م ) وكانت عاصمة المملكة في هذا العصر مدينة منف أو منفيس (المعروفة الآن بميت رهينة الواقعة على بعد عشرين كيلومترا جنوبي القاهرة . وكانت في ذلك الوقت محط الرحال . وكعبة الآمال . غنية بعلومها ومعارفها ، متقدمة بفنونها وصناعاتها . وفي هذه المدة توسعت مصر في الفتوحات حتى استظلت برايتها بلاد سينا والنوبة والواحات ، واشتهر من ملوك الأسرة الثالثة (من سنة ٤٤٥٠ الى سنة ٤٢٤٠ ق م ) زوسير مشيد الهرم المدرج . وسنفر ومشيد هرمي ميدوم ودهشور . ومن ملوك الأسرة الرابعة (من سنة ٤٢٤٠ الى سنة ٣٩٥٠ ق م ) خوفو وخفرع ومنقرع وهم الذين شادوا اهرام الجيزة . ومن الاسرة الخامسة (من سنة ٣٩٥٠ الى سنة ٣٧٠٠ ق م ) الملوك ساحورع ونوفرارقرع وامرزع واوتاس الذين شادوا اهرام أبي صير . وشيدوا بها المعبد الشمسي . ومن ملوك الاسرة السادسة (من سنة ٣٧٠٠ الى سنة ٣٥٠٠ ق م ) نيتي ويبي الأول ويبي الثاني ومررع الأول ومررع الثاني الذين بنوا اهرام سقارة ، وقد انتهى عصر هؤلاء الاسر الثمانية بوقوع البلاد في وهدة الشقاء بسبب الاضمحلال الذي ابتداء بالأسرة السابعة (سنة ٣٥٠٠ ق م ) وأخذ يزداد في الأسرة الثامنة (من سنة ٣٥٠٠ الى سنة ٣٣٥٠ ق م ) التي اقرض هذا العصر باقراضها

(٣) - « العصر المراقليو بولوتيني » وهو يشمل على الدولتين التاسعة (من سنة ٣٣٥٠ الى سنة ٣٢٠٠ ) والعاشر (من سنة ٣٢٠٠ الى سنة ٣١٠٠ ق م ) وفي عهد هاتين الدولتين نشبت الحرب بين ملوك الوجه البحري وملوك الوجه القبلي

#### ﴿ الدولة الوسطى من سنة ٣٢٠٠ الى سنة ١٦٠٠ ق م ﴾

لما كان النصر من حظ ملوك الوجه القبلي . اهتم ملوك الانثيف ومنتحوتب . وهم من الأسرة الحادية عشرة

(١) بتعذر على المؤرخين تحديد تاريخ العاديات القديمة العهد تحديدا صحيحا لأن المصريين لم يكن لهم تاريخ معين بل كانوا يؤرخون الحوادث بسنن حكم الملك الجالس على العرش . فليس لدينا اذن الى الآن كشف تاريخي كامل يجمع أسماء الملوك ويعين مدة الفترات الواردة في هذا الكشف . فاذا أريد معرفة تاريخ الملوك أو الآثار استعملت أرقام الأسر المالكة حسب ترتيبها

(من سنة ٣١٠٠ الى سنة ٣٠٥٠ ق. م) بحفظ رونق مدينة طيبة (التي من اطلالها الآن الاقصر والكرنك والقرنة ومدينة هيو) واتخذوها قاعدة لملكهم . وجعلوا لإلهم أمون رع سيد جميع الآلهة . وفي عهد الامنحتيبين والأوسرتسين . الذين هم من ملوك الاسرة الثانية عشرة (من سنة ٣٠٥٠ الى سنة ٢٨٤٠ ق. م) كانت مصر زاهية زاهرة باهية باهرة . حافظوا على دولة طيبة الأولى ، وحكموا النوبة حتى الشلال الثاني واحتفظوا بملك سينا . وعمروا إقليم الفيوم . وأقاموا بطيبة المعابد الضخمة . والمباني الفخمة وشادوا أهراما بدهشور والشت والفيوم . وبنوا قبور بني حسن والبرشة . وأقام الملك أوسرتسن الأول أمام هيكل الشمس مسلتين من حجر الصوان إحداهما موجودة الآن في المطرية وطولها نحو العشرين مترا وقد بنى الملك امنحتب الثالث قصرا شرقى بركة قارون بالفيوم فيه ٣٠٠٠ غرفة وهو المعروف بالتيه المتعدد من عجائب الدنيا السبعة . وفي عهد الأسرة الثالثة عشرة (من سنة ٢٨٤٠ الى سنة ٢٤٠٠ ق. م) حافظت مصر على نظامها ومجدها . ثم في عهد الأسرة الرابعة عشرة (من سنة ٢٤٠٩ الى سنة ٢٢٠٠ ق. م) تجزأت مصر الى عدة حكومات . وقلت عاصمتها الى سخا بالوجه البحري . وزدت بأردية التقهر والحول فسقطت في مهاوى الدواب والهلوان . حتى أنهى عهد الأسرة الخامسة عشرة (من سنة ٢٢٠٠ الى سنة ٢٠٠٠ ق. م) لهاجم مصر الهكسوس (رعاة آسيا) لم يجدوا مقاومة تذكر من المصريين فاحتلوها . ونقل المؤرخون أن الرعاة حكموا مصر ٥١١ سنة وكان منهم فرعون يوسف الصديق

#### ﴿ الدولة الحديثة ﴾

(من سنة ١٦٠٠ الى سنة ٣٤٠ ق. م)

(وهي دولة طيبة الثانية) من سنة ١٦٠٠ الى سنة ١٣٨٠ ق. م

انضم أموزيس أول ملوك الاسرة الثامنة عشرة الى امراء الأسر الملكية المصرية القاطنين بالوجه القبلي بعد أن أخرج الرعاة الى آسيا ، وتوسع في الفتوحات حتى بلغ ملكه نهر الفرات شمالا . والى النيل الأزرق جنوبا . واهتمت هذه الأسرة بالمباني ومظاهر العمران

وفي زمن الأسرة ١٩ (من سنة ١٣٨٠ الى سنة ١٢٢٠ ق. م) التي كان ملوكها ورع عيسى الأول وسبتي الأول ورع عيسى الثاني ومنفتح احتفظوا بملك فلسطين وسوريا القبلية واستمرت بلاد آسيا والسودان تابعة لمصر حتى آخر عهدهم . ثم استقلت بعدهم حين ضعف نفوذ الملوك وسقطت سطوتهم بينما كان كهنة أمون قد أحرزوا الجاه الواسع والثروة من الهدايا والتحف التي كان يقدمها هؤلاء الملوك الى المعابد . فبدأوا غنيمة باردة . وبسبب هذه الثروة الواسعة صار لهم النفوذ . وقويت كلمتهم . واشتدت شوكتهم ، ولم يزالوا يمهدون الأمور حتى تولوا الحكم وخلص الملك لهم .

#### ﴿ المهد الصاوي ﴾

(من سنة ٧٢٠ الى سنة ٣٤٠ ق. م)

في هذا العهد كانت مصر في حاجة شديدة الى الوثام والوفاق لاتقاء شر الدول المتغلبة ومقاومة الأمم التي كانت استولت عليها . لأن هذه الأمم كانت نهضت لتحريرها وخروجها من نير العبودية ولكنها انقسمت على نفسها وقتل فيها داء التخاذل والتنافر حتى تنقلت العواصم ما بين تانيس المعروفة بصا الحجر بمديرية الغربية ونل بسطة بمديرية الشرقية . وتنتج من هذا الانقسام في مصر أن استولى الاشوريون عليها . وبهم ابتدأت الأسرة الخامسة والعشرون (من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٦ ق. م)

ثم جاء الصاويون وهم ملوك الأسرة السادسة والعشرين (من سنة ٦٦٦ الى سنة ٥٢٥ ق. م)

فأخرجوا الأشوريين من مصر واستولوا عليها . وفي عهدهم أصاب مصر من الضعف والوهن ما أصابها عقب حكم الملك بسامتيك والملك نخاو . واستولى عليها الفرس وخضعت لهم سنة ٥٢٢ ق. م . ثم جاء النقتانبيون وهم ملوك الأسرة الثلاثين ( من سنة ٣٧٨ الى سنة ٣٤٠ ق. م ) فنالت مصر على يدهم الحرية ، ولكنها لم تلبث قليلا حتى استولى عليها اسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق. م . وقد اتفق المؤرخون أنه من هذا العهد لم يحكم مصر واحد من بنيها . وهكذا الشأن في كل أمة يسود فيها الانقسام ويزوج فيها التنافر والتخاذل وكل نزاع نتيجه الفشل وكل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب . انتهت الجوهرة الأولى

### ﴿ الجوهرة الثانية والثالثة ﴾

لقد علمت في الجوهرة الأولى أن أدوار هذه الأمة ثلاثة ، ودورها الحديث كان من سنة ١٦٠٠ ق. م الى سنة ٣٤٠ ق. م

أقول : إن من أشهر ملوكهم (المنحطب الأول) من الأسرة الثامنة عشرة واموزيس الأول وتحومس الثاني من الأسرة الثامنة عشرة ، وتحومس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، ورعمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة ، ورعمسيس الثالث من الأسرة التاسعة عشرة أيضا ، وهؤلاء كانوا أعظم ملوكهم ، ولكن لا بد أن نذكر أن رجال الدين زاد استيلاؤهم على العقول فاستولوا على الملك ، إن الرعاة الذين جاؤا الى مصر في دورها الثاني كانوا أجانب عنها ، فكانوا يقبلون النازلين بمصر على الرحب والسعة ، ومن هؤلاء ابراهيم عليه السلام لما مرّ بمصر وهكذا يوسف واخوته وهم عشرة فانهم انما جاؤا في أيام الرعاة وبقوا بمصر بعد خروجهم فاضطهدهم المصريون وهذا الاضطهاد حصل في هذا الدور ، ولكن لانفس أيها الدكيّ أن العقول في هذا الدور أخذت ترجع القهقري ، وذلك بسبب وقوف العقول وتمجيدها التقليد المجرّد وبعدها عن التحقيق وهل أتاك نبأ مامرّ عليك سابقا في هذا التفسير في ﴿سورة النمل﴾ عند آية - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - وآية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - فهناك ترى كيف اشتركت هذه الأمة المصرية الحديثة والأمة الأندلسية في أمر واحد وهو الوقوف على الظواهر والتقليد الأعمى والفسوق ، وهكذا ذكرت لك هناك أمم العرب المتأخرة في بلاد الشام والعراق إذ نقلت عن ابن خلدون أن هذه الأمم العربية لما كانت مستمكة بالدين حفظت بلاد الله ولما نبذت الدين صارت عالة على الأمم فأزال الله ملكهم إذ ذاك

انظر هذا المقام هناك فانك تجد القوم من مبدأ الأسرة السادسة عشرة اتخذوا الحيوانات (التي كانت دالة على إبداع الخالق ورمزا لجماله) معبودات عبدوها هم وجعلوا المعبود الخلق في الدرجة الثانية فأخذوا يعبدون الطير والسماك والحيات والتماسيح والقنطرة والكلاب ، وهناك ترى حريا دارت بين بلدين إحداهما عبدت السمك والثانية عبدت الكلب ، فالذين لا يعبدون السمك أو كلوه فاعتنا عباد السمك وأكلوا كلبا إغاظة في عابديه ، فعقول هذا شأنها صارت أسفل من الحيوان في الارض بل هم أضلّ من الأنعام . فلماذا إذن لا يدخل البلاد الأجانب ، وهناك تقرأ النبوءات التي أعلنتها أنبياء المصريين بزوال ملكهم وخراب دولهم فأرجع اليه واقراء هناك فلاسيل لاعادته هنا

فهذه العقول لما خربت خربت الديار . ألا ترى وعاك الله أن الجيش الفارسي لما أخذ بحارب المصريين أحضر ملكهم ققطا وجعلها صفوفا بين الجيشين فتحاشى المصريون ضرب الققط لأنها آلهتهم مع ان اسلافهم كانوا يحترمونها لأمر واحد وهوانها تأكل القيران فأخذوا هذا التعظيم من حيث هو لامن حيث نتأججه وزادوه حتى صارت نفس الققاط آلهة . وبهذه الحيلة دخل الجيش الفارسي مصر . لماذا ؟ لأن تلك العقول

لأنني وانحطت تحت قوة الحيوان الأعمى

هذا هو السر في قول مؤمن آل فرعون لهم - يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن نصرنا من بأس الله ان جاءنا - وبأس الله هودخول الفاتحين من الآشوريين أولاً والفارسيين ثانياً والرومان ثالثاً وهكذا . وكل هذا سببه وقوف العقول على التقليد بلا روية ولا فكر . انظر قوله - أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم - الخ إذن هم لا يفكرون لأن عندهم بينات لم يفكروا فيها . إذن هم قوم مقلدون وبهذا التقليد دخل الفرس بلادهم لانحطاط عقولهم

ومن العجب أن قول مؤمن آل فرعون يشابه قول ( ملا كاتب جلبي ) الذي ألف كتاب « كشف الظنون » في القرن الحادي عشر الهجري ، وقال في حق الدولة العثمانية التركية التي هو مستظل بظلها ناقلًا عن الشهاب الخفاجي في كتابه « الخبايا في الزوايا » يقول :

« إن الدولة التركية لما أفتى أحد علماء الدين بتحريم العلوم والفلسفة أخذت تنحط . ثم قال : وهذا إبدان من الله بذهاب ملك دولتنا » انتهى بالمعنى . وقد تحقق ذلك في هذه الأيام فدولة بني عثمان قد انحلت وذهبت كأمس الدابر

ومن عجب انني وأنا صراخ كنت أنعم في الجامع الأزهر وأرجع الى القرى فأجد أناسا يأتون بهيئة وقار واحترام وهم من آل البيت الكرام يأخذون من الناس رزقا سنويا ولهم أناس يسرون تبعاهم ويبيتون عند الأغنياء ويذكرون ليلا يأخذون رزقا من الناس يسمونه (العادة) ولقد بطل هذا في زماننا في بعض البلاد

فيما عجا . كل ذلك للجهالة الفاشية ، فالعظمى جاهل والآخذ جاهل . كل ذلك للجهالة الحالية بأمر الاسلام لا يجوز أن يكون في الأمة عاطلون ، وما أولئك الذين يعيشون من كسب غيرهم بحجة الدين إلا كذباب أو حشرات أو نباتات طفيلية ، فيجب على العلماء وعلى الأمراء أن لا يسمحوا بهذا ، بل يجب أن يعم التعليم لأن الجهل هو الذي أوحى الى الجهال أن يتزوا باسم الدين ويأكلوا أموال الناس بالباطل

إن شرارمة الاسلام أولئك الذين يأكلون باسم الدين . إن كثيرا منهم يوهمون العامة أنهم يشفون لهم عند الله في جلب الرزق والصحة ولهم التصرف في الأنفس فيصرفون عقولهم عن ربهم الى أشخاصهم واذا وجدنا المصريين في الدولة الحديثة قد جعلوا الحيوانات في الدرجة الأولى والله المعبود الحق في الدرجة الثانية فواته ان الجهل قد أوحى بذلك فعلا الى جهلة المسلمين فما عليك إلا أن تتزيا بزى الصلاح والتقوى وتظهر للعامة أمورا توهمهم بها حتى يعتقدوا هذا فيك ولم أر حكما ولا عالما في أمتنا الاسلامية يرضى بذلك والذي يرضى به هو الجاهل لأن العالم قلبه معمور بالعلم والحكمة . أما الجاهل فلخلق نفسه من العلم بتدعيه ويفرح بقول العامة انه قطب زمانه كما يفرح كثير من أولئك النساء اذا تعلموا في المدارس العالية ولكن الأمة تحترقهم لفسوقهم وسوء سلوكهم فلا يحسرون في نفوسهم بسعادة فيتلصقونها من كلام الناس ويسعون عند الملوك ليعطوهم ألقاب الشرف ويفرحون بقول القائل لهم سعادة فلان وعزته وهو لا سعادة له ولا عزة لأن السعادة والعزّة إن لم يحس بها القلب غير ممكنة اللهم إلا الرياء والرياء ليس سعادة بل هو كسر اب بقية يحسبه الظلمات ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الآلام فوق الآلام والشقاء فوق الشقاء ظلمات بعضها فوق بعض وعذاب أليم

فقال صاحبي : لقد أفتعتني وفهمت الحقيقة . وأريد الآن أن تأني ببذعة من أحوال مصر في عصرنا هذا استطرادا لنقارن بين وعظ الواعظين في الدولة الحديثة المصرية منذ ( ٣٥٠٠ سنة ) وبين وعظ الواعظين الآن وانما أردت هذا لأفرح بالموازنة بين عقليين بينهما ( ٣٥٠٠ سنة ) والله تعالى لم يذرأمة بلانذير فكل زمان له

نذير . مؤمن آل فرعون نذير قومه . فأربد أن تصطفى عبارة أدبية ليكون ذلك من لطائف مجلسنا في تفسير هذه الآية . فقلت :

اعلم أن الأمة المصرية الآن اعتورتها الخطوب واتبعتها الصعاب وأحاطت بها الأمم من كل جانب فأول من أذلها في الأزمان الأخيرة الأمة التركية إذ جردتها من سلاح العلم وأخذت صناعتها منذ ( ٤٠٠ سنة ) وحصرت مجموع الأمة في الزراعة وحذفت من البلاد بيوت العلم شيئاً فشيئاً حتى إذا تغلبت دول أوروبا على بعض بلاد الشرق أرسلوا المبشرين فزلزلوا العقائد . وزاد الطين بلة أن الانجليز أزلوا أكثر آثار النهضة العلمية التي أحدثها المرحوم محمد علي باشا في القرن التاسع عشر وذهبت ورعة الدين ، وترى أكثر أكار الأمة وعظماؤها لا يحلو لهم جلوس ولا سمر إلا في المجال التي فتحها الفرنجة في نفس بلادنا يحسنون فيها أنواع الشراب من البيرة والخمر والشبانيا وأكثر المتعلمين لا يعمل لهم إلا أن يكونوا في مناصب الحكومة لأن التعليم تعليم لفظي لم يخالف بشاشة القلوب ولم يحرك اليدين للعمل . فهل لك أن تقرأ ذلك الخطاب الذي أرسلته أنا لمجلس النواب ولوزارة المعارف وللمجلس الشيوخ فأقرأه في سورة تونس في أولها

إذا عرفت هذا أدركت مضمون ما يكتبه الكتاتيون في بلادنا فإن التعليم إذا كان لفظياً لا يملأ القلوب روعة وظاهرياً مخلوطاً بالزيغ والاختاد فإن نتائجه أن لا يكون بعض أهل الحل والعقد في البلاد إلا بمن لا يرقون في الله لومة لائم ولا يقيمون العدل إلا قليلاً ولا يعملون عملاً صالحاً إلا رياء . أما مراقبة النفس والعمل للصحة العامة فذلك قليل . ومما زاد الطين بلة أن المحاماة في البلاد أصبحت من أهم الحرف والصناعات . ومبنى المحاماة أمام القضاة إنما يكون على أساس الخداع والغش وقلب الحقائق . وبعض هؤلاء يتولون القضاء ثم يصيرون وزراء وحكاماً . وقد يكون الرجل منهم سيئ السيرة مخموراً مشتهراً بذلك بين معاصريه . ثم يتولى الرئاسة وهو مضطرب عليه فلا يقيم للحق وزناً ولا للمروءة قسطاً

والحق الذي لا يحض عنه أن الجهال أصنى نفوساً وأصح إيمانا وأنتى عقائد من بعض هؤلاء الذين لا يتقون ولا هم بذت كرون

إذا عرفت هذا أدركت ما يرى إليه الكتاب في زماننا الحاضر . فهذه هي الأصول التي تنفرد عليها فروع الكتابة المتشعبة في زماننا ، فإذا كانت نصيحة رجل من آل فرعون في البلاد المصرية على هذا الأسلوب المذكور في الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها فهذه هي الأصول التي يدور عليها محور الإرشاد في أيامنا مضافاً إليها ما نبت به الأمة من تهتك النساء والتبرج المزرى والتقليد الضار والسبر على نهج لا رأى فيه ولا هدى ولا كتاب منير وقله الأمر من قبل ومن بعد

هذا مجموع ما يقال على أمتنا المصرية من حيث العموم . وقد آن أن أبحث معك أيها الذكي في أمر خاص وهو أن هذه الأمة اليوم غير الأمة أيام مؤمن آل فرعون . هذه الأمة اليوم عربية بحثة نعم فيها أقوام من نسل آل فرعون ولكن أكثرهم أسلموا ثم الدين بقوا على دين النصرانية لا يتكلمون إلا بالعربية وأبناؤهم يتعلمونها و يقرؤون آداب العرب وأشعارهم وعلومهم وغالب الأمة مسلمون والقليل جدا هم القبط . وإذا كانت عربية فلها اتصال بأهل طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وأهل السودان وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن ونجد واليمن والحجاز وبلاد العراق والموصل . ولكن أصابها الترك فزقوها في قرون مضت حتى فرقوا أوصالها ومزقوا أحشائها . وعلموهم كيف يتدابرون . وأفهموهم كيف يكونون جاهلين فهدوا بذلك للدول الثلاث هم ( فرنسا وانكلترا وإيطاليا ) هذه الدول الثلاث هم الذين اقتسموا أبناء العرب وعلموهم كيف يجهلون وينامون وقالوا لهم أتم وطينيون فليس لكل منكم إلا وطنه . فأهل أوروبا كلهم يفتخرون بأنهم نصارى وعلى دين واحد . ويقولون لأبناء العرب : « دعوا صلة الدين وتفرقوا بالوطنية »

ولما كان المصريون هم الذين اختص بهم هذا المقال أردت أن أذكر هنا رسالة شاب نابغة تعلم في مصر وألمانيا وكان من تلاميذى بالمدرسة الخديوية وله في صلة وهو رئيس تحرير مجلة (الشبان المسلمين) وهو الذى اخترت أن أكتب رسالته في نصيحة المصريين أن يتعاونوا مع اخوانهم العرب والمسلمين عموما لتدرك أيها الذكي الفرق بين النصائح المذكورة في القرآن من مؤمن آل فرعون في بلادنا أيام الفراعنة وبين نصيحة الشاب المصري ، وكيف كان مؤمن آل فرعون يذكر قومه برهبهم وعظمتهم ويدلهم على صدق رسالة موسى عليه السلام بمجهزاته ، وأن عظمة الملك لا دوام لها ، وأن الله بالرصاد للظالمين ، وكيف أظهر فرعون العظمة واستبد بالأمر ، وكيف حفر المؤمن قومه من غضب الله عليهم كما غضب على الظلمة من الأمم السابقة في الدنيا والآخرة ، وكيف عبرهم بالتمهيدى في الإنكار . وكيف حقر أصرم الأصنام وانها لا تعقل . وكيف فوض أمره الى الله تعالى . وكيف رقا الله مكر القوم . فاذا وازنا هذه النصائح بنصائح كتابنا كما ستراه في هذه المقالة التى اخترناها ألفتنا أن صديقنا يحيى السردير يذكر العرب عموما والمصريين خصوصا بتاريخ أمهم وانهم ان جهلوه هلكوا . وذكرهم بالأخلاق الفاضلة والعمل بالدين . وأراهم أن فصل تعاليم الدين عن التعاليم الوطنية مهلك للأمة . وأن المصريين القدماء قبل إلحادهم وكفرهم كانوا أمة موحدة . وأوصاهم بالتحالف مع اخوانهم في العراق ونجد واليمن والشام وشمال افريقيا . إذن النصائح اليوم في مصر متجهة الى الدين أولا وتصحيح العقيدة كنصيحة مؤمن آل فرعون . ولكن هنا زادت أمرا جديدا وهو الجامعة العربية . فهناك نص المقالة المذكورة :

### ﴿ النعمة القومية والفكرة الاسلامية ﴾

قامت في هذه الأيام ضجة حول مبدئ التمسك بالوطنية وترك ما عداها . وأنصار هذه الدعوة رفعوا شعار « الدين لله والوطن للجميع » فقال المصريون منهم نحن مصريون فرعونيون قبل كل شئ . وقال بعض السوريين نحن فينيقيون . وقال بعض العراقيين نحن كلدانيون وقس على ذلك . تريد كل فئة أن تملك بمجدها التالذ وتحتبس في حدودها غير ناظرة الى ما يهددها من المخاطر من جراء عزلتها التى تجعلها فريسة سائفة لكل مستعمر قوى مقاتل

يجب على كل أمة أن تعرف تاريخها قديمه وحديثه لأن ماضى الأمة يلعب دورا كبيرا في حاضرها ومستقبلها ولا يمكن أن تناسى الماضى لأن عقائدنا وأفكارنا كلها آتية منه . وهو الذى يتكون روح الأمة وشكلها ولذلك كلما كانت الأمة عريقة في المدنية وذات مبادئ حقة كان نسلها ذا استعداد طبيى لكل تقدم ورقي . قال الدكتور جستاف لوبون « حظ الشعب متوقف على ما يعتقد أنه الحق . وارت التغيرات الاجتماعية . وتأسيس أو هدم الممالك وتقدم أو انحطاط المدنية ناتجة عن قليل من العقائد التى تنزل من النفوس منزلة الحقائق وهى تمثل مسيرة الشعب الوراثة وفقا لحوادث الدهر

« ان من أخطر الغلطات في العصر الحاضر ترك الماضى . وعدم الاعتراف به . وكيف يمكن ذلك ؟ ان ظل الأسلاف يحكم أرواحنا . وهو يتكون الجزء الأكبر منا . كما عليه ينسج القدر حظنا . وان حياة الموتى أكثر بقاء من حياة الأحياء . لا يمكن لأى مدينة أن تبقى بدون مرشدين أقوياء من المتعلمين أو بالأحرى بدون مبادئ عامة قوية . لأن قوة الأخلاق أو القوة المعنوية هى الآن المحرك الحقيقى للعالم »

معرفة الماضى يجب أن تكون أداة لا ذكاء روح الحية والغيرة والرفعة والاستقلال وهنا حدود الوطنية البريئة ولكن لا يجوز أن تتعداها الى السلف والكبرياء والعزلة والاعتزاز بالنفس وعدم الاعتراف للغير بنفائله ومحاسنه فهذا هو الطيش والحق

قامت في مصر الفكرة القومية أو الدعوة الوطنية منذ نشأتها على أساس صحيح معقول وهي محور الوطن من كل غاصب مغتال حتى تصبح مرافق الأمة في أيدي أبنائها وأن يكون اعتماد الأفراد على أنفسهم في سبيل تحرير بلادهم . وقد وصف الزعيم الأول للنهضة المصرية مصطفى كامل ما يجب على كل وطني عمله . فقال : ان الأمم لانتهض الا بنفسها . ولا تسترد استقلالها الا بمجهوداتها . وان الشعب كالفرد لا يكون آمنا على نفسه الا اذا كان قويا بنفسه مستجمعا لكل عدد الدفاع وآلات الذب عن الشرف والمال والحياة » . ان قانون الحاكم في معاملته للحكوميين خاضع لدرجة احترامه لهم . فان رأهم أمواتا في أزياء أحياء يقولون ما لا يعتقدون . ويطلبون من الاصلاح كما يطلب السائل الاحسان . لا كما يطلب صاحب الحق حقه استبداد فيهم وسخرهم لسلطته كما تسخر الأنعام »

على مثل هذه المبادئ السليمة قامت الدعوة الوطنية الشريفة . ولقيت من الأمة المصرية آذانا صاغية وقلوبا واعية . وأصبحت حرية البلاد واستقلالها عقيدة قوية لا يصح التهاون فيها . وهي كما قال مصطفى كامل « اذا صح التسامح في بعض الأمور وفي ظروف معينة . فان التسامح في الوطنية اعدام لها وقضاء عليها . وان من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان » . وقال أيضا « ان الذين يطالبوننا بعدم ذكر الاستقلال انما يريدون أن تموت روح الوطنية في مصر . أي تموت الأمة المصرية . لأن حياة هذه الأمة ومستقبلها مرتبطان بمقدار قوة هذه الروح في الشعب »

الوطنية الصحيحة لا تقوم الا على الأخلاق الفاضلة وهذه بدورها تستمد قوتها من الدين الخفيف . وتاريخ مصر قديمه وحديثه شاهد على ما نقول ولذلك كان من أهم أعراض المستعمرين طمس معالم التاريخ القديم لتعليم النشء في المدارس لتضعف فيهم روح الاعتزاز بالماضي ويلتقون في روعهم أنهم عالة على الأمم الأخرى . ومحاربة الدين الاسلامي على الخصوص لأنه يبعث في نفوس النشء الاسلامي الاحتفاظ بالكرامة ومبادئ الحرية والشجاعة وهذا ما لا يتفق مع سياسة المستعمر الغاصب في اخضاع الأمم الاسلامية واذلالها فالذين يدعون الى الوطنية وترك الدين جانبا انما يدعون الى قضية محققة الخسران . لانهم يدعون الى مبادئ لا روح فيها ولا حياة . اذ كيف يكون حال نشء في الوطنية وهو خلو من مبادئ الفضيلة ومراقبة الله عز وجل في السر والعلن ؟ هؤلاء لان تكون لهم الا سياسة واحدة وهي سياسة المنافع وجو المنافع أو بعبارة أخرى سياسة الطوى وهي سياسة مقضى عليها بالفشل . وقد قال لامارتين : بحق « ان ضميرا خاليا من الله كالحكمة الخالية من القاضي »

ان تاريخ مصر القديم والحديث يثبت أن الدين والوطنية وحدة لا تنفصل بل هما بمثابة الروح والجسد في عالم الحياة . جاء في مجلة علم الآثار المصرية في الجزء الأول للمجلد الثاني ص ٣٧ للاستاذ العالم ريفو : « الدين كان له القدح المثل والمكانة الاولى في نفوس قدماء المصريين الورعة واليه يرجع الفضل في كراهة الاجانب الغاصبين . وتوحيد القوى الوطنية . التي بها أمكنهم أن يطردوا الهكسوس ومن بعدهم الاشوريين . ويشهد المؤرخ اليوناني هردت وقد زار مصر في عهد العجم أن هؤلاء المغلوبين (المصريين) كانوا يبغضون الغاصب ويحتقرونه بما كانوا يسدون من مقاطعه وقطع كل صلة مع الغاصبين . فلا يجلسون معهم على مائدة ولا يأكلون معهم »

اذا تبعتنا سيرة الحياة المعنوية لروح الأمة المصرية في أطوارها تراها روحا اسلامية بحثة سواء في عهد الفراغة أو غيره لأن روحها روح التوحيد وقد تأصل في قرارة نفسها بالرغم مما طرأ عليها من صروف الحدثنان والمظاهر الكثيرة التي أولوها في كثير من الأحيان على غير وجهها الصحيح . قال المؤرخ الشهير (شمبليون فيجياك) : « قد استنبطنا من جيع ما هو مدون على الآثار صحة ما قاله المؤرخ (جامبليك) وغيره

من أن المصريين كانوا أمة موحدة لانعبد الا الله . ولاتشرك به شيئا . غير أنهم أظهروا صفاته العلية الى  
البيان مشخصة في بعض المحسوسات . وأنهم لما عرفوا في بحر التوحيد . علموا أبدية الروح . وأيقنوا بالحساب  
والعقاب . ولاعبرة بمأقاه بعض مؤرخي الأجانب الذين حضروا محافل المصريين الدينية وشاهدوا بها كثرة  
تمائيلهم الرمزية . واتهم لجهلهم للفتهم . وبحقيقة عباداتهم حلوا الأمور على ظاهرها . وحكموا عليهم بالكفر  
والإلحاد مع انهم لم يفهموا منها المراد . فكأنهم دخلوا في قول الشاعر :

وَمَنْ مِنْ عَائِبِ قَوْلَا صَحِيحًا \* وَأَفْتَهُ مِنَ الْفَهْمِ الْقِيمِ

راجع كتاب الأثر الجليل لقدماء وادي النيل لأجدبك نجيب ١٢٣٣ وقال العلامة مسبرو د من تأمل في  
الأثار الباقية الى الآن بالديار المصرية واللوحات الدينية المنقوشة بالهياكل وما على الورق البردي هالته كثرة  
هذه الآلهة المصورة عليها . حتى ظن أن مصر كانت مسكونة بهؤلاء الآلهة . وان أهلها ماخلقوا الالعبادتها . وسبب  
ذلك أن المصريين كانوا أمة مخلصمة في العبادة إما بالفطرة أو بالتلقين أو التعليم . فكانوا يرون الله في كل  
مكان . فهامت قلوبهم في محبته . وانجذبت أفئدتهم اليه . واشتغلت أفكارهم به . ولازم لسانهم ذكره وشغنت  
كتبهم بمحاسن أفعاله . حتى صار أغلبها صحفا دينية «

كانوا يقولون انه واحد لا شريك له كامل في ذاته وصفاته وأفعاله . موصوف بالعلم والفهم . لا يحيط به  
الظنون . منزه عن الكيف . قائم بالوحدانية في ذاته . لا تفسيره الأزمان . ثم عددوا صفاته العلية وميزوها  
بالأسماء واشتقوا منها نعوتا شخصوها في المحسوسات . وكل شئ نافع . وجيها ترجع اليه . ولأجل التمييز جعلوا  
لكل اسم مثالا . فانشرت هي وما اشتق منها حتى ملأت المدن والبلاد . «

ان الساعة التي تسرب فيها الإلحاد والشرك الى العقيدة المصرية كان ذلك نذير زوال مجدمصر . اذ عرفنا  
أن تاريخ المصريين يربط عقيدتهم الدينية (قديمًا وحديثًا) بالله عز وجل وأنه تعالى يجب أن يكون قد صدهم  
متبعين أوامرهم متبهن عن نواهيهم فالاسلام عندي هو الدستور الطبيعي الذي يوصلهم الى غاياتهم السامية قال  
تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين -

الدين الاسلامي الخفيف لم يبغض الوطنية حقها . بل جعل حب الوطن من الايمان . وان تحرير الأوطان  
لا يكون الا بالدأب على العمل المنتج « وقل اعلموا فسبى الله عملكم » وان الفهم متوقف على بذل الجهد -  
وأن لبس للانسان الاماسى - فلماذا إذا تحيد عن هذا الطريق المستقيم الذي يقودنا الى سعادة الدنيا بالعمل  
الصالح المنتج . والى سعادة الآخرة بمعرفة الله عز وجل 17

لقد أعلن دعاة السوء دعوة على غير وجهها الصحيح وأذاعوها من أن المصريين هم فرعونيون غير  
عرب . وان واجب المصريين أن يشتغلوا بشئونهم دون سواهم . اما أن يشتغل المصريون بشئونهم (أولاً)  
فهذا ما يقره عليهم الاسلام حسب قاعدة « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » واما أن ينزلوا عن بقية الأمم  
الاسلامية المجاورة لهم فهذا مبدأ لا يتفق مع مصلحة المصريين ولا مع مبادئ الاسلام السليمة . ونحن في عهد  
تحالف واتفاقات دولية أصبحت احدى وسائل القوة والمنفعة ومن عاش منفرداً في هذا الزمن عرض نفسه الى  
السلب والتهر

ان الدعوة القومية المصرية التي ألبسها دعاة التفريق ثوب الفرعونية ليخرجوها عن بقية الأمم الاسلامية  
انما أرادوا بها اتجار مصر الأدي

أريد أن أمس في أذن هؤلاء النفر الناعر بالقومية الفرعونية . وأنا مصري صميم مسلم موحد . اذا كان  
حقاً ما تدعون من الاعتزاز بالمصرية الفرعونية هل غاب عنكم أن رسول الله ﷺ ينصل بكم في جدته  
العليا هاجر المصرية أم اسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب المستعربة وان خاتم الرسل عليه السلام تزوج



منكم مارية القبطية . فنحن نتصل بالعرب بصلة الرحم والنسب فهم أقر بأوثان وجيراننا وهم أولى الناس بمحبتنا وعطفنا ومساعدتنا . ان دعوة رسول الله ﷺ يجب أن لا تؤيد من ناحية المسلمين المصريين حسب بل من ناحية المصريين كافة مسيحيين وغير مسيحيين أيضا حسب الأصول المتبعة في الدفاع عن حق القرابة والنسب والجوار

يجب أن نفهم الحقيقة على وجهها الصحيح حتى لا نضل الطريق السويّ فهلك . ان التعلل شأنه هو الذي اختار رسوله الأمين محمد ﷺ ليبلغ دينه الى الناس كافة فالدين الاسلامي هو دين للجميع لادين عرب أو عجم وان من أكبر قواصده الديمقراطية أنه لم يجعل الفضل للجنسية بل جعله للعمل الصالح المنتج فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال عليه الصلاة والسلام « خير الناس أنفعهم للناس » الاسلام هو الدستور البشري السليم الذي يعطى كل ذي حق حقه ولا يبخس الناس أشياءهم . وان اشتغال المصريين بمسألتهم القومية والدفاع عن حرياتهم واستقلالهم لا يمنعهم بأي حال من الأحوال من العطف على الأمم الاسلامية ومساعدتهم حسب ما في قنوتهم و - لا يكلف الله نفسا إلا ريسها -

نحن نربط مع جيراننا من الأمم الاسلامية بروابط كثيرة منها رباط اللغة والدين . فيجب أن نحرص عليهما أشد الحرص ونعمل على تمكين هذه الروابط وتوثيق العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بيننا وبين الأمم الشرقية كافة والاسلامية منها خاصة ونحن في عصر التحالف الذي لا يستطيع أمة أن تنفرد فيه بنفسها . فالممالك الكبيرة تتحالف بالرغم مما يملكه كل منها من وسائل القوة كتحالف إنجلترا فرنسا مثلا وكذلك الممالك الصغيرة فقد قام التحالف الصغير يضم بولونيا ورومانيا وتشكوسلافيا وبعض بلاد البلقان وقامت تركيا تتحالف مع جاراتها الهجم وروسيا

ان مصر من العالم الاسلامي القلب النابض والرأس المفكر و فلسطين وسوريا والعراق و بلاد العرب والهجم والهند والصين الساعد الأيمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وما اليها الساعد الأيسر فيجب أن لا يشغل مصر حالها عن أحوال جيرانها فانهم حصونها الطبيعية المكيّنة وان كل عدوان على أي بلد إسلامي نعتبره معشر المصريين عدوانا علينا في الصميم

يجب أن نحذر سياسة الفاسيين المستعمرين وهي سياسة التفرقة والقيام الحوائل الجنسية والقومية بين المسلمين والشرقيين ليستغل كل منهم بنفسه فيدوم لهم إذلالهم وخضوعهم ان عمل كل أمة شرقية كانت أو اسلامية لرد حريتها واستقلالها لا يمنعها بأي حال من الاشتراك مع جاراتها المظلومة في رفع الصوت عاليا بالاحتجاج وبذل ما يمكن بذنه لمعوتها الأدبية والمادية لرفع مآحق بها « والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » و - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - انتهى كلامه والى هنا من الكلام على الفصل الثالث في محاجة مؤمن آل فرعون لقومه وجواهره الثلاث والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

وقبل الشروع في الفصل الرابع الآتي قريبا نذكر ما فتح الله به عند طبع هذه الآيات وها هو ذا :

( نور العلم في صلاة الوتر بعد صلاة العشاء )

( في قوله تعالى - فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار - )

( كتب ليلة السبت ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠ )

بيننا أنا أصلي في هذه الليلة صلاة الوتر في الساعة الثانية بعد نصف الليل وأنا أقول في الركوع « سبحان ربّي العظيم » وأكررهما من ثلاث الى إحدى عشرة خطري أن هذه السورة التي تطبع الآن مبدوءة بفران الذنوب وقبول التوبة . ثم ذكر فيها أن حلة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في

الأرض . وأتبع ذلك بأحوال الكافرين وعذابهم . وضرب مثلا لنلك بكفر بني اسرائيل . وأتبعه بذكر مؤمن آل فرعون . ثم لخص الموضوع كله بأن موسى أوتى الهدى والذكرى . وأتبع ذلك بأمر نبينا ﷺ بالصبر والاستغفار والتسبيح والتحميد . وهذا التسبيح وهذا التحميد والاستغفار هي التي صدرت من حاملي العرش ومن حوله فيما تقدم . ففي أول السورة ان تنزيل الكتاب من الله وانه غافر الذنب وقابل التوب واذا استغفر الملائكة قائما يستغفرون للمؤمنين لا لأنفسهم لأنهم ليسوا في أجسام مادية كأجسامنا حتى يستغفروا لذنوبهم بل استغفارهم لأجل أهل الأرض . ورسول الله ﷺ أمر أن يستغفر لذنبه هو أولا . ولاجرم أن الله قابل التوب كما هو مذكور أول السورة . ومتى خلعت نفس الانسان من الذنب سبح ربه وحمده . ولاجرم أن التسبيح والتحميد هما ملخص الحكمة المحبوبة في هذه الدنيا وفي الآخرة

يا الله : عجبت لصلواتنا كيف أمرنا بالتسبيح وأمرنا بالتحميد . نكررتهما صباحا ومساء . تقول « سبحان ربك العظيم » في الركوع . وتقول « سبحان ربك الأعلى » في السجود . ونسمعك تقول نبينا ﷺ - وسبح بحمد ربك - الخ ونسمعك تقول - فسبح باسم ربك العظيم - ونسمعك تقول - سبح اسم ربك الأعلى - ونسمة ﷺ يقول « اجعلوا هذه في ركوعكم واجعلوا هذه في سجودكم » فجعلناهما كما أمر . فنحن الآن نسبح كما أمرنا ونستغفر كما يستغفر نبينا ﷺ والخلف يتبعون السلف في هذه الثلاثة ثم اننا نعلم أن نبينا ﷺ معصوم من الذنوب فكيف يستغفر لذنبه ! والملائكة لما كانوا في عالم لامادة فيه كان استغفارهم لمنافع غيرهم شفقة على الذين آمنوا . لكن الرسول ﷺ استغفر لذنبه هو نفسه فأين هذا الذنب وهو معصوم ؟ وهو كما استغفر لذنبه استغفر للمؤمنين كما تفعل الملائكة فهو ذنوب استغفار لنفسه واستغفار لغيره . أما الملائكة فلا يستغفرون إلا لغيرهم لأنهم لا يتبعون في معصية ولكنك تقول له - واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات - . هذا ما خطر لي في الصلاة ( الجواب ) ولقد فتح الله عز وجل بما يشرح الصدر في هذا المقام . فلا تجعل الكلام في ( ثلاث مناهج ) في استغفار النبي ﷺ لذنبه . وفي تسبيحه . وفي حده . فأقول :

اعلم أن الذنب على قسمين : ذنب هو مصدر وذنوب هو فعل ، وبيانه أن هذه الطبيعة البشرية المترتبة بالمواد الأرضية والمائية والهوائية معدة للذنوب وللاذنوب لإما كان من الانحراف عن الاعتدال في حال من أحوال النفس والذنب لا يصدر إلا عن هيئة في النفس تكون نتيجتها الخالفات والشورور . فهذه الهيئة التي في النفس والصفة القائمة بها والميل الذي اتصفت به هو المصدر ، وأما الفعل فهو ما يكون من آحاد الذنوب ( مثال ذلك ) صبي عاش بين قوم لصوص فاكسبت نفسه تلك الصفة وأشرب حبها . فهذه الصفة هي المصدر الذي عنه تصدر أفعال اللصوصية . فاذا لم تكن الصفة في النفس فلن يكون الفعل . فكل سرقة بالفعل نكتب ذنبا على العبد ولكن لولا ذلك المصدر وهي الصفة القائمة بالنفس بسبب المعاينة واستحسان هذا الفعل من الأهل والأقارب ماصدر ذلك الفعل . هذا معنى المصدر ومعنى الفعل . والاستغفار من الذنب يقادرا إلى الذهن انه راجع إلى الفعل لا إلى المصدر . ولاجرم أن محو المصدر القائم بالنفس والهيئة الشريرة فيها أقوم قبلا وأهدى سبيلا . واذا استغفر الانسان وطلب من ربه غفران ذنب من ذنوبه الشهوية والغضبوية كشراب الخمر أو الظلم مثلا مع بقاء الصفة في النفس كما فعل شيئا عظيما ولوانه طلب من الله أن يزيل ذلك الميل من قلبه لكان خيرا له واستغفار النبي ﷺ لذنبه راجع للمصدر لا للفعل إذ لا فعل وذلك من باب تسمية السبب باسم المسبب وهذا في علم المعاني مجاز مرسل علاقته المسيبية كما في قوله تعالى - إني أراي أعصر خرا - أي عنب . فكما يقال عصرت خرا أي عنب هكذا يقال استغفرت من ذنبي أي طلبت من الله أن يديم لي عدم الصفة التي هي مصدر للذنوب كما تقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - أي أدم هدايتنا . إذن قد حلت مشكلة

- واستغفر لذنبك - وحلت مشككة - إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر -  
 ومعنى هذا ليديم لك ذلك الغفران . وقوله - ما تقدم من ذنبك وما تأخر - معناه أن لا يكون هناك مصدر  
 لذنب أصلا . فهذه الجلة ترجع الى عدم تلك الصفة التي يصدر عنها الذنب . ويقول الله تعالى - إنا فتحنا لك  
 فتحا مبينا - ورب على هذا الفتح المغفرة أي زوال ذلك المصدر أي الميل والصفة التي بسببها تكون آحاد  
 الذنوب أي رب على الفتح دوام تلك الطهارة التي عبر عنها في بعض الروايات بأن صدره شقّ وأخرج منه  
 حظ الشيطان . فهذا هو المصدر الذي تنشأ منه الذنوب . ولا جرم أن من صفت نفسه هذا الصفاء تكون نفسه  
 على تمام الاستعداد للعرفة والعلم والوقوف على الحقائق . ومن نتائج العلم العمل . ومن نتائج الأعمال فتوح  
 البلدان ينتشر الاسلام . وكما أن للذنب مصدرا هو المقصود من الاستغفار هكذا لفتوح البلدان ونشر الاسلام  
 في الكرة الأرضية مصدر هو امتلاء النفس بالحكمة والعلم إذ القلب المقفل لاسلطان له على قلب الغافل فاذا  
 عمر القلب بالعلم كان له تأثير على الجاهلين فيتعلمون ويعملون . إذن لفتح للبلدان إلا بعد فتح القلوب ولا  
 انتشار للاسلام إلا بعد أن كان الداعي لذلك الانتشار معمورا قلبه بالعلم الذي به يؤثر على سامعيه ولو كان علمه  
 كعلم الفلاسفة أو علم العلماء لكان مثلهم فتكون آثاره محدودة كما نأرهم . إذن هناك فتوح أعلى وأن نفسه  
 تستمد من العوالم القدسية وتشهد الملك والملائكة وهو لا يعطينا إلا ما يناسبنا . ولولا انه يحس في نفسه  
 بالمشاهدة والقرب لذلك المقام الأقدس ما أطاعته هذه الأم في حياته وبعد موته ، إذن الغفران يرجع لمصدر  
 الذنب والفتح يرجع لمصدره وهي علو نفسه ﷺ والفتوح العلمي . وكما يلزم من انعدام مصدر الذنب ودوام  
 ذلك الانعدام من النفس انعدام نفس الذنب هكذا يلزم من الفتوح بالمشاهدة والقرب بالعلوم والمعارف المستمد  
 من ذلك الجناب القدسي ظهور الآثار في المؤمنين بفتح البلدان وانتشار الاسلام ، وكما كان الاستغفار موجها  
 الى مصدر الذنب فيدوم عدمه هكذا الفتوح راجع الى مصدر فتوح البلدان وهو فتوح العلوم ويلزم من  
 ذلك فتوح البلدان الذي هو إحدى نتائج الفتوح العلمي ، واذ روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم  
 قرأ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - لما دخل مكة وقد ظهرت عليه هيئة السرور فليس ذلك لهذه الظواهر  
 وحدها . كلا . بل ذلك لمصدرها وهو الفتح الحقيقي لنفسه ﷺ بالعلوم والمعارف وفرحه بربه ، ألا ترى  
 انه ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » والحديث مذکور في  
 أول (سورة الأنفال) وقد ظهرت أسرار هذا الحديث بذل الأمم العربية التي فتحت تلك البلاد وظهرت  
 آثار خوفه ﷺ على أمته فعلا في زماننا وقبله . إذن فتوح البلدان وان كان لانشر الاسلام فيه الخير  
 والنشر ، فالخير للصحابة والتابعين ومن تحا تحوهم لما عمروا أرض الله ، والنشر لمن بعدهم وقد لحقنا نحن  
 وأصبحنا اليوم تحت ضغط أم أوروبا لأننا لم نقم بحق الفتح . إذن فتح البلدان فيه الخير وفيه الشر كما أخبر  
 ﷺ وظهرت آثاره فينا . إذن مصدر الفتح هو الذي فرح به رسول الله ﷺ وأخذ يقرأ سورة الفتح  
 عند الكعبة يوم الفتح وكان قلبه مفعما بالسرور لذلك ، وكيف يفرح بفتح البلدان الظاهري وهو يظهر  
 خوفه علينا من ذلك الفتوح ويقول ان أكثر خوفه علينا من ذلك كما في الحديث الصحيح . إذن الفتح  
 راجع لانكشاف الحقائق العلمية التي لا يخاف من زوالها وهي السعادة التي لانهاية لها إذ لاسعادة لهذا  
 الانسان كله إلا بالاطلاع على الحقائق ، وكل ما يصيبنا في الحياة قصد به أن يكون مهمازا نساقي به الى العلم  
 وهو تمام النعمة وهو النصر العزيز

إن ترتب الهداية على كمال العلم والوقوف على الحقائق أقرب من ترتبها على فتح البلاد لأن الهداية ألصق  
 بالعلم وأيضا قد شرح الله صدره ﷺ ووضع وزره عنه ، ورفع ذكره ، وهو لا يزال في مكة قبل فتح مكة  
 وقبل صلح الحديبية وهو مهدي الى الصراط المستقيم قبل ذلك فكيف يرتب عليه الهداية ! إن الفتوح فتوح

العلم وبالعلم جمع القوم وبالعلم فازوا  
وهذا له نظير في لفظ الغنى ، فلفظ الغنى يكتفى هذا النوع الانساني منه بظاهرة وهو كثرة المال ، والنوع  
الانساني أكثره مخطئ في ذلك لأنه ظن أن امتلاء خزائنه بالمال سعادة له وهو وهم باطل إذ لا سعادة إلا  
بغنى النفس ، وكلما أوغل الانسان في حوز المال توغلت نفسه في الطمع والحرص فيزيد ذلة ومهانة . فالغنى  
الحقيقي النفسى هو السعادة كالفتح الحقيقي والغفران الحقيقي . وكما انه لا يلزم من غفران آحاد الذنوب زوال  
مصدرها الذى شرحناه هكذا لا يلزم من فتوح البلدان المعروف بين الأمم الفتوح العلمى بدليل أن القواد  
الحريين يفتحون المدن وهم لا يعلمون إلا فن الحرب . وكما انه يلزم من غفران مصدر الذنوب المتقدم  
ذكرة عدم نفس الذنوب بتاتا هكذا يلزم من الفتح العلمى المذكور الفتح الاسلامى للبلاد فى الأرض  
هذه مبادئ السر فى هذه الآية - واستغفر لذنبك - وآية - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - الخ والفتح  
بالمشاهدة يترتب عليه دوام زوال مصدر الذنوب ودوام النصر وتمام النعمة  
هذا ما فتح الله به فى هذا المقام وهم الكلام عليه كتابة حوالى الساعة الثالثة بعد نصف الليل . وهذا  
هو المنهج الأول فى الاستغفار

### ( المنهج الثانى والثالث فى التسبيح والتحميد )

لقد قدمت لك أن الذى حفزنى الى كتابة هذا الموضوع هو انى فى الركوع كنت أقول « سبحان ربى  
العظيم » وهناك خطرت لى هذه الخواطر ، ولما رفعت رأسى من الركوع قلت « سمع الله لمن حمده ربنا  
لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال  
العبد ، كنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجد  
منك الجد »

فما أتمت ذلك الثناء حتى جال فكرى فى هذه المعانى وأخذت أقول : « يا سبحان الله : نحن نسبح  
فى الركوع وفى السجود وعقب الصلوات والنبي ﷺ أمر أن يسبح ويحمد بالعشى والابكار ، ونحن بعد  
التسبيح ترانا نذكر السموات والأرض وما بينهما وما وراها . إذن الأمر عظيم . إذن هذه الصلاة ليست  
ألفاظا غيب . كلا . انها متن وشرحه هذه الدنيا كلها . نحن نسبح ونحن نحمد ونستغفر . أما الاستغفار  
فتفتح باب لصفاء القلوب إذ العلم لا يجتمع مع الظلمة فى القلب . فى التسبيح والتحميد ولقد كررت معناهما  
فى كل مناسبة فى كل مقام بحسبه . وإن يفنى ما أقوله فى مقام عما أقوله فى مقام آخر فى معناهما إذ العلم  
أشبه بأنواع الزرع وأنواع الطعام . ولا جرم أن اختلاف المزارع والطعوم لمقاصد وفوائد لاحصر لها . فهنا  
أقول : أكبر المسبحين هم الذين يتفون على حقائق هذه الدنيا . وإذا درسوا نفس هذا التفسير حصلت  
لهم ملكة بها يقتدرون على أن يعرفوا أن شرور هذه الدنيا ونكبات الدهر ومصائب الموت والفقر والذل  
وكل مصيبة تحل بفرء أو أمة فإمما ذلك موجه للخير العام والخير العام موجه لخير الأفراد . وأكثير العقول  
الانسانية لن تقدر على تصور ذلك ولكن هذه هى الحقيقة التى لا يشك فيها المشكرون

إن السعادة الحقيقية فى الحب . ولا سعادة فى الحب إلا اذا توجه لموجود لا يموت وهو جليل وحكيم وله  
صفات بديعة . وكل ما ينسب له من الاهلاك والتدمير يحدث فى القلوب خوفا لا حبا . فأكثر أهل الأرض  
وقفوا عند درجة الخوف من البطش لا الخوف من انقطاع الحب . والتسبيح الحقيقي به تقف على حقيقة  
هذه الشرور ومتى أدركنا سرها ( وأن جهلنا هو الذى أفهمنا أن ذلك كله موجه لإدلالنا وتفريق شملنا  
واهاننا وتفريق جماعتنا ) وعرفنا الحقيقة . هنالك تكون السعادة لأن تلك الذات المقدسة كل أعمالها  
رحمة موجهة لنا . وهذه الرحمة لا تكمل ولانتم لإبهذه الشرور والايمان بهذه الأشياء حسن ولكنه لا يملأ

القلب سعادة كما يملؤها الوقوف على الحقائق . وهيئات هيات أن يقف الانسان على هذه الحقيقة أو يكون له بها يقين إلا بأن يجعل حياته وقفا على درس سائر العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها (وهي التي كان يظنها جهلة المتأخرين من المسلمين كفرا) اذا أمكنه ذلك ويساعد العقل على الفهم الصلوات والتسيبات فانها لها آثار في القلوب . وهناك يفهم المسلمون ما يقولونه في الرفع والاعتدال كما قدمته « لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت . ولا راد لما قضيت . ولا ينفع ذا الجد منك الجد » ويفهمون أيضا لماذا كان رسول الله ﷺ يباهد المسلم على أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله . وسر التسييح فهم أن هذا الشر الذي هو من الله انما هو خير في الحقيقة . وهناك هناك يحمل الحب الحقيقي من العبد لله ومع السعادة الحقيقية . وهذا يفهمنا معنى قوله تعالى - برفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات -

هذا هو الفرق بين العالم والجاهل . الجاهل أمر أن يؤمن بأن الخير والشر من الله ووقف عند درجة الخوف من الله وعند درجة التسييح اللفظي واعظام الله تعالى إعظاما مصحوبا بالخوف . والعارف هو الذي يعرف بعقله أن هذا الشر موجه للخير وأن هذا الشر مكمل لذلك الخير والخير بدونه ناقص . فهناك يجب ربه جبالا حذله ويسعد سعادة لاحد لها لاسيما اذا أمته الله بعلوم وحكم وأفاض عليه . فهذا هو التسييح . أما التعميد فهو معرفة جميع العلوم المذكورة من حيث جلالها وكاملها وحكمها . وهذا هو السر في ذكر التسييح غالبا مع الحمد لأنهما في الحقيقة بينهما صلة وهما يرجعان للعلوم . هذا ما فتح الله به كتبه عقب ورود هذا الخاطر بعد ما انتهت من نفس الصلاة والحمد لله رب العالمين .

﴿ التصل الرابع في محاجة الضعفاء والمستكبرين إذ يتحاجون في النار ﴾

ونتيجة المحاجة أن الجميع في النار ﴿

إن هذه المحاجة قد ذكرت بعد نصح المؤمن من آل فرعون لهم من باب ذكر السبب بعد السبب فان آل فرعون قوم مقلدون للرؤساء والمقلد للرؤساء بلا عقل هالك . إذن هذا من أسرار القرآن فانه بعد أن ذكر آل فرعون (وقد تبين في تاريخهم الذي ذكرناه أن عقولهم إذ ذاك قد أخذت تنحط حتى عبدوا الحيوانات ، وقد ظهر ذلك ظهورا واضحا في آثارهم) أخذ يذكر المحاجة بين الضعفاء والمستكبرين في النار والمقصود من هذا أن الله كأنه يقول : « أنا لم أذكر مؤمن آل فرعون ومحاجته مع قومه عنابة بالتاريخ كلا . وانما ذكرتها أشبه بمثال للقاعدة المذكورة بعد ، والقاعدة المذكورة بعد أن وقوف العقول هو البلاء الأكبر . وليس الاتكال على الرؤساء بنافع المرؤسين فان العقول عند الجميع ، وما اتكال المرؤسين على الرؤساء إلا كالاغترار بالمسيح الدجال ، فالمسيح الدجال يوهم الناس فيبعونه والرؤساء كذلك . إذن ماسياتي في الفصل الخامس متم لما في هذا الفصل وعلى هذا تكون الفصول الثلاثة متصلة كل فصل مكمل للآخر فضلال المصريين سببه الاغترار بالرؤساء والمرؤسون لا ينفصم الاحتجاج بالرؤساء مهما أوهموهم ، واذا كان لإيهام المسيح الدجال لأتباعه واضلال عقولهم واطهار الامور الجيبة لا يخفى أتباعه من العقاب على أتباعه لما لهم من العقول التي تركوها والمواهب التي أناموها فكيف يفلت الضعفاء من العقاب اذا اتبعوا رؤساءهم الذين لا يبلغون في المكر والخديعة عشر معشار المسيح الدجال ! - لكل ضعف ولكن لا تعلمون - وهذه الحجج القرآنية دامغة واضحة وآيات ساطعات قد ظهرت في هذا التفسير ليعلم المسلمون قاطبة في أنحاء الكرة الأرضية أن دين الاسلام قد أحاطت به تقاليد كاذبة وضلالات خاطئة ومن قرأ كتاب « الفرق بين الفرق » وعرف ما فيه من الفرق التي تبلغ نحو نيف وسبعين فرقة ودرسها درساً جيداً واطلع على بعض تلك الفرق الباقية الآن أدرك يقينا أن كثيرا من تلك الآراء قد أُلصقت بالدين لغرض واحد وهو الجاهل والثروة والمالك

والرئاسة وحوز المال والتعالى والعزة والبطش

إن هذا الكتاب ألفته للمسلمين عامة ، ولست أريد أن أوضح أكثر من هذا ، ولبس عندى لهذا الداء  
لجميع الأمم الاسلامية إلا دواء واحد وهو دراسة جميع العلوم وتعميم التعليم

### ﴿ الآراء الحديثة وآيات القرآن ﴾

انظرالى ما تقدم فى قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقرأ ما نقلته عن  
العلامة ( كانت الألمانية ) فانظر كيف يقول : « إن البصيرة متوقفة على التعليم والتعليم متوقف على البصيرة  
وهذا دور والدور محال ، ثم أجاب عن هذا الاشكال بما ملخصه أن كل جيل من أجيال الأمة يجتد فيما ورثه  
عن أسلافه ويزيد عليه ويسلمه لمن بعده جيلا جديلا حتى يصل الانسان الى السعادة »

ومما قاله أيضا : « إن المعلم اذا اتبع طريقة من قبله بلا تفعل فانه ينقص عنه وهكذا جيل ينقص عما  
قبله حتى تنزل الأمم الى أسفل سافلين »

وملخص آراء الرجل أن العلم لا يؤخذ لإمام أدلته على شريعة أن يعرف الانسان أصول الأشياء فيزيد  
شيئا ويرتقى الخلف عن السلف من حسن التصرف . أما اذا لم يكن هناك إلا التقليد المحض رجعت الأمة  
التقهقرى ، وهل فى هذه الآيات إلا هذا ؟

هذا ملخص هذه الآيات ، ومن اطالع على الشبان المسلمين فى المعاهد الدينية يجد انهم يلقتون فى صفرهم  
أن عقولنا أضعف وهمنا أقل وكل جيل يأخذ عن من قبله ويكون أقل منه حتى ان أتباع الامام الشافى فى  
زماننا ينظرون الى الرملى وابن حجر بعين العظمة ولا يقدرُونَ أن يفكروا فى البويطى من أصحاب الشافى  
فكيف اذن بالشافى رضى الله عنه وأبى حنيفة . أما القرآن وأما الحديث وأما أحوال النبي ﷺ فهذه كلها  
ينظر اليها نظرا تاريخيا لا غير أو تبركيا غالبا وهذا هو الرجوع التقهقرى

فليقرأ المسلمون جميع العلوم الطبيعية والرياضية وغيرها لتنع عقولهم ويدرسوا تاريخ كل علم ليعرفوا  
أصولها ، ثم ليكن فى كل قطر جماعة من هذه الطبقة الممتازة ، ولتكن نتائج آرائهم موازنة فى مجلس علم  
مع آراء المصطفين من الجماعات المختلفة ، وليكن لهم مجلس عام فى مكة أوفى غيرها ، ثم ليقرّر ما يجب من  
الاصول المرعية للمسلمين ، ولا يصح أن يتولى زعامة المسلمين أناس لم يدرسوا تلك العلوم ، فوائده انهم ليسوا  
أهلا لادارة شؤونها سواء أ كانوا ملوكا أم أمراء أم علماء . هذا هو المناسب لهذا الزمان . ولقد كتبت نظير  
هذا فى مواضع كثيرة من هذا التفسير

هذا هو الذى فهمته أيها التكي من هذه الآيات . فقال : لقد أجدت صنعا وأحسن وأفدت فنته الجد  
والمنة ، ولكن لا يزال بعض الاشكال قائما بل لا يزال بحاله . فقلت ولماذا ؟ قال : إن الرحمة تقضى أن لا  
يكون شئ من هذا وتكون الحياة سعادة . فقلت : هذا السؤال مكرّر فى هذا المقام وفى غيره وكم أجت عنه  
فقال نعم ولكنى أريد زيادة الايضاح . فقلت : ماذا أوضح بعد ما ذكرت لك فى أول هذا المقام من مثال  
الماء والأرض والحرارة فيهما وانها فى أحدهما أبطأ من الآخر ، وابطاء تصاعدها على مقدار إبطاء قبولها  
فهكذا الأمم اذا تدهورت بسبب الرؤساء أو شيوخ الدين أو شيوخ الصوفية أو الجهلاء الذين هم غير كاملين أو  
المستعمرين الذين يدخلون البلاد فيجعلوا الشعب أشبه بالحيوان يسخرونه

كل هذا لم يخرج عن كونه تأخيرا للرقى ، وهل هذا التأخير إلا نض إبطاء قبول الرقى ، وهذا الإبطاء  
يجعل الرقى أدم . إذن الهجالون والمستعمرون والشيوخ الجاهلون كل هؤلاء جعلوا فى الأرض امتحانا  
لعقول الأمم يؤخرون رقبهم ، فاذا استيقظوا بأمثال ما كتبه فى هذا التفسير وبالآلام والاذلال فانهم يجتدون  
فى تثبيت مدنيتهم تثبيتا أتم . أما اذا شربوا العلم شرابا بدون آلام ولا تأخير فقلما يدوم فى أجيالهم ، ولعل

قدما المصريين لم يدم ملكهم خمسة آلاف سنة إلا بعد أن قاسوا حروبا واذلالا آمادا طويلة  
فذل الأمم التي يصيبها الذل بالاستعمار والشيوخ الجاهلين كمثل الماء فيما تقدم وما أحسن ضرب المثل  
بالماء فقد جعل مثلا للعلم في آيات القرآن وعلماء الطبيعة جعلوه مبدأ لارتفاع سطح الأرض لأن سطحه منتظم  
وجعلوه مقياسا يقاس به الوزن النوعي للجوامد والغازات بحيث يكون الحجم الذي مثل حجم الماء من الزيت  
يساوي وزن الماء ١٣ مرة و٦ من عشرة ، ومن الذهب ١٩ مرة وثلاثة أعشار المرة ومن الأثير الكبير  
سبعة أعشاره لاغير إذن هذا أخف من الماء والهواء أخف من الماء ٧٧٣ وستة أعشار أى ان الهواء المساوي  
لحجم الماء يكون أخف منه بهذا المقدار

أقول : فإذا كان الماء قد جعل مقياسا في علم الطبيعة لوزن كل شئ وزنا نوعيا إذا كان على درجة ٤  
فوق الصفر من ستجراد وكانت هذه المعادن وغيرها على درجة الصفر منه ، فهو إذن معيار عظيم هكذا هنا  
هو خير معيار يجب به عن ظواهر المظالم والجهالات فنقول انها لم تفعل شيا أكثر من تأخير الرقى للأمم وهذا  
التأخير لأجل الشوق لتلك الرقى والشوق مثبت له . وهذا هو قوله تعالى - فسى أن تكروها شيا وهو  
خير لكم -

هذه هي الحكمة الإلهية في تحمل الضغط والاذلال . وعلى المفكرين في الأمم أن يحملوها على دفع  
هذه المظالم ورفع هذه الأتقال عنهم والله من ورائهم محيط . قال : لقد انشرح صدرى بهذا المقال . فلنبدا  
بالكلام على الفصل الخامس

#### ﴿ الفصل الخامس في المسيح النجال ﴾

قلت : لقد ذكرت المسيح النجال غير مرة في هذا التفسير . وكل ما أحاول أن أقوله قد مر نظيره . فقال :  
ولكني الآن أريد أن تشرحه شرحا عاما لتشرح صدرى وصدور القراء ، فأنا أريد أن أعرف كيف يقول  
ﷺ في حديث أبي داود والترمذي أن الأنبياء أنذروا قومهم به ، وأن نوحا أنذر قومه به ، وكيف نستعبد  
بالله منه في كل صلاة ، وكيف يستعبد رسول الله ﷺ منه في صلته ولم يظهر في زمانه ، إذن الأنبياء  
يستعبدون بالله ونحن والصحابة والرسول ﷺ من شئ لم يحصل وهذا محال ! قلت : إن الحيرة في هذا  
إنما تأتي لمن يجهلون علوم اللغة العربية ، فالعامة يجهلون البلاغة في كلام العرب ولكن الأدباء وهم قوم  
أعطوا حفا من علم اللغة هم الذين يفهمون أمثال هذا المقام . إن القرآن في أعلى طبقات البلاغة والبلاغة علم  
فإذا جعلنا تفسير القرآن على يد طائفة تجهل هذه العلوم حصلت لهم الحيرة . أما نحن فلا حيرة عندنا . إن في  
علم البيان (وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة) التشبيه والمجاز والكناية . والكناية باجتماع العلماء أبلغ من الحقيقة  
وأى كلام أحق بالبلاغة من القرآن . قال : هذا حسن . قلت : وما الكناية إلا لفظ له معنى ولكن ليس  
المقصود هذا المعنى بل المقصود الحقيقي معنى آخر مع ان المعنى الأول لا يزال بحاله ويراد أيضا من اللفظ . فإذا  
قال رجل للآخر « إن كلبك جبان » وكان القتال بليغا فإن السامع إذا كان بليغا أيضا يفهم منه أن هذه  
الجملة معناها انه كريم لأن جبن الكلب انما جاء من كثرة الأضياف فانهم لكثرتهم لم يتحمل الكلب كثرة  
النباح عليهم . فهذا الممدوح من جهة كريم وهو المقصود . ومن جهة أخرى يصح أن يكون له كلب وذلك  
الكلب جبان فعلا . فهذه هي الكناية . فالمقصود فيها المعنى الذي كنى باللفظ عنه . فهنا نقول : هذا المسيح  
النجال الذي يظهر الجباب وناره جنة وجنته نار وبقته المسيح ابن مريم له معنيان كسألة جبان الكلب .  
والمعنى المشار إليه هو المقصود والمعنى الأصلي جائز لامانع منه

هذا هو الذي يقتضيه علم البلاغة . وإذا لم نستعمل هذا العلم فيما خلق له وهو فهم الدين أفنقتصر في استعماله  
على أشعار العرب ونحوها . فقال : ولكن لا بد للقريئة من كناية فما هي القريئة هنا ؟ قلت : هنا قرائن

لا قرينة واحدة بل قرائن يجب علينا أن ندرسها . فقال : وماهى ؟ قلت : كيف نستعيد من فتنه المسيح ولا فتنه له الآن ! وهل يستعيد رسول الله ﷺ من شئ لا وجود له ؟ وهل ينذر الأنبياء أقوامهم بما لا وجود له ؟ فقال : إذن المستعاز منه كل من كان ظاهره الصلاح وباطنه الخداع والظلم والجور . فقلت : نعم وذلك يشمل الدجال الحقيقي متى ظهر ويشمل كل دجال من المستعمرين للبلاد ومن الشيوخ الجاهلين في الاسلام وغير الاسلام فكل هؤلاء دجالون لأن أحدهم يظهر العلم وليس بعالم ويظهر الزهد وليس بزاهد . والأمم المستعمرة تجعل أعضاها داخلة لاصلاح البلاد اذا هي تمنع العلم عنهم

كل هؤلاء استعازوا بالنبي ﷺ منهم ونستعيد نحن . فهم في ظواهرهم أشبه بالمسيح ابن مريم يريدون السلام العام وفي الحقيقة لا يريدون إلا انسخير غيرهم لهم . ولقد ابتليت أمتنا بقوم من هؤلاء . فكثير من القائمين بالملك في الأزمان القديمة كانوا لا يريدون إلا العلو على الناس لا انهم يريدون الخير للأمة . نعم الصحابة رضوان الله عليهم كان لهم اجتهاد ولكن الأمم المتأخرة كثر فيهم طلاب الملك والرئاسة . وأنت ترى آثار ذلك الدجال في الجهلة من الشيوخ الذين يحملون الأعلام ويدقون الطبول . كل ذلك آثار من آثار أسلافهم الذين كانوا يفعلون ذلك لأجل الملك . ولقد أحسن صنعا مصطفى كمال باشا في تركيا إذ أخرجهم فقاموا بأعمال تنفع الأمة ولم يبقوا عالة عليها كما هو حاصل في بلاد الهند . وقد تقدم مقال مطول شارح للاولياء الهنود في ( سورة الأحزاب ) عند آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا - الخ ذكرته هناك ليعلم المسلمون أن هذه الطوائف التي جعلت الدين مصيدة سبقنا بها البراهمة فافرقها هناك ، ومستحيل أن ترتقي الشعوب الاسلامية إلا بالاطلاع الواسع حتى يزبحوا هذه الأوهام ، ولم نرأمة من أمم الفرنجة دخلت بلادا اسلامية كبلاد السودان أو بلاد شمال افريقيا إلا اتخذت هذه الطوائف أعوانا لها . لماذا هذا ؟ لأنهم اخوان شركاء في الصيد . فالمستعمرون من أوروبا كالآساد والخنزير وهؤلاء الشيوخ كالذباب والكلدات فانها تأكل فضلات أولئك المستعمرين . ولقد أخبرت منذ أيام أن رئيس طائفة كبيرة من الصوفية ببلاد المغرب قد تزوج امرأة فرنسية . إن فرانسوا تعرف كيف تؤكل الكتف . إن أوروبا ( كما يقول غاندى مصلح الهند ) أشد خطرا من الشيطان وما أكذب الشيطان اذا نشر شره وهو يذكرك الله ( وبعبارة أخرى نقول ) إن الأحاديث الواردة في الدجال يراد منها ما هو حاصل الآن فعلا في بلاد الاسلام ، حتى يقول المسلم « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنه الحميا والممات ، ومن فتنه المسيح الدجال » فهذه الفتن كلها حاصلة والمظهرون الصدق والاخلاص في العالم وهم كاذبون كثير أفرادا وأمما . فهؤلاء الشيوخ يقولون للناس « وانظروا على الأورداد صباحا ومساء فقط » ولكن لا يحبونهم في العلم لأن أكثرتهم جهلاء والمتعلمون منهم كالمعلمين من أهل أوروبا يقولون « اذا تعلموا تعالوا علينا » وهذا المقام تقدم شرحه في مواضع كثيرة من هذا التفسير مثل ما جاء في سورة الكهف عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي سورة ابراهيم في آخرها ، وفي سورة سبأ عند آية محاجة الضعفاء والذين استكبروا مثل ما هنا وهكذا . فقال : لقد انشرح صدرى لهذا الجواب ، ولكن بقي أمر واحد وهو : « كيف يقول ابن عباس ان اليهود يتخيرون ملكا يكون لهم على يديه ، فهل هذا له أثر . فقلت : إن أمر اليهود لا يخرج عما قررت به . إنهم الآن مشقتون في كل أمة من الأمم وهم أذكياء جدا ولهم تاريخ مشهور ، فهم يحافظون على مجدهم ولأمة في الأرض تضارعهم في هذا لأن التوراة قدملت بأخبار أسلافهم ، وهم قد أخذوا على أنفسهم أن يكونوا فتنه الأمم كلها كما نقلته في هذا التفسير متقولاً عن التلمود ، فلانجد فيهم علما ولا حكيما ولا سياسيا إلا رحمه موجه الى خير أمة وان هلكت جميع الأمم . وأقرب شاهد على ذلك أن الذي أثار الحرب الكبرى في ألمانيا وأوروبا هم فلاسفة اليهود فان تشبيهه يهودى وهو الذى نشر فيها « ان الرحة في هذه الأرض خطأ فلا يبقى إلا الأقوياء » وانتشرت آراء كثيرة في هذا المعنى



فقامت الحرب بين الأمم كلها . ثم هم أنفسهم لما رأوا أن ألمانيا أخذت تفتصر نشرها في طول البلاد وعرضها  
انها أمة متوحشة فثارت الأمة على الحكومة فسلت ألمانيا لمن هم أضعف منها . وقد مضى على هذا نحو  
(١٣) سنة لأننا الآن في سنة ١٩٣٠ وإيقاف الحرب كان في سنة ١٩١٨ ونسبح أثناء طبع هذه السورة  
أن ألمانيا قامت تنفض الغبار عن وجهها ويقول رجالها في الحزب الاشتراكي القوي فيها الذي قام الآن  
فعلا « لا يبقى يهودى في البلاد » لأنه يستحيل أن يكون يهوديا وألمانيا في آن واحد . هذا هو الذي يقال  
فعلا عند طبع هذه السورة . وهامى ذه ألمانيا يقوم شبانها في هذا الاسبوع فيصطمون زجاج منازل اليهود .  
إن اليهود يريدون أن يجعلوا لهم السلطان على العالم كله ولو بطريق غير مباشر

ولقد أراحوا القناع عن أمرهم أيضا في مسألة فلسطين . فبعد الحرب التي ارتجت لها الكرة الأرضية  
وحصل الصلح أخف اليهود يطلبون أن تكون لهم دولة في فلسطين . وهذا من مكرهم وخداعهم . وأيضا  
ان القائم بأمر البلشفية في روسيا هم اليهود ولاندرى ما يتم في ذلك . فالعالم كله اليوم مخدع وأكثر الناس  
خداعا اليهود . ونحن نستغيث بالله من هذا الخداع

وعلينا أن نسي في رقى المسلمين بعلوم الأمم ثم نكمل ما نقص من أخلاق غيرنا بعد كل أنفسنا نحن .  
واذ ذلك نعم أجيالا وأجيالا يكونون صادقين لخدمة الأمم فينبغ خداع الأمم بعضها بعضا وأكاذيب السياسيين  
والدجالين وشيوخ الطرق وأكاذيب التجار بل خداع الشهوات واللذات فهي ملحقات بخداع الدجالين لأن  
الانسان مخلوق مسكين تحدعه شهوته ويخدعه غضبه ويخدعه نقص علمه ويخدعه الأمم ويخدعه الشيوخ  
الجاهلون . ولست أقول إن شهواتنا من قبيل الدجالين . كلا . بل أقول انها ملحقات بذلك مقيسة عليه .  
فلنجد نحن المسلمين في العلوم لتساوى الأمم ثم نسير على صراط مستقيم للتمهيد الى السلام العام بين الأمم الذي  
عبر عنه بزمان عيسى ابن مريم . ولن يكون زمان المسيح إلا بعد أن يقتل الدجال . إذن لنقتل الدجال من  
بلاد الاسلام أولا ، ولن يكون ذلك إلا بالعلم وبعد ذلك تقتله من الأمم ثم يكون السلام العام وهذا هو  
المقصود ، فليس في هذا أيها الذكي انكار للمسيح على حسب لفظ الأحاديث ولا للدجال على حسب لفظها ، وإنما  
الذي يجب علينا نحن أن نعمل من الآن لهدم أركان الدجالين وترقية النفوس ليصلح العالم ويم السلام .  
هذا ما أدب به وحسبنا الله ونعم الوكيل

فاما سمع صاحبي ذلك . قال : لقد نطقت بهم وأفنت بهم وشرحت صدرى ولكن ما تقوله من السلام  
العام وانه يحصل بامانة الدجالين وتعميم التعليم بعيد الحصول ، فاضرب مثلا مشاهدا أقيسه عليه . فقلت :  
أذكرك بما تقدم في أول (سورة يوسف) . ألم أكتب مقالة أجعل فيها على الحكومة المصرية لاهمالها  
حفظ الطيور النافعة . قال بلى . قلت : ألم تأمر الحكومة بحفظ هذه الطيور . قال بلى وتبلغ فوق (٣٠) عدا  
منها أبو قردان والكروان والزقواقين الشامي والبلدي الخ . قلت : فأيهما أنفع للناس : أكل أبي قردان  
وأكل هذه الطيور كما كان ذلك حاصلا قبل منع حكومتنا أم إبقاؤها لتأكل الحشرات والودود فينمو الزرع  
كما هو الحاصل الآن قال : بل إبقاؤها خير ، ونسبة منفعة أكلها الى منفعة ماتاله من بقائها أقل من نسبة  
الهواء الى الماء من حيث الخفة إذ تقدم انه أخف منه (٧٧٣) مرة قريبا . واذن تكون المنفعة في أكل  
تلك الطيور أشبه بالعدم فقلت : وماذا تقول في البقر والجاموس التي تساعدنا في الحرت والسقي اذا فرض  
انه ليس لدينا غيرها اذا ذبحناها وأكلناها ، أنا كلها أم نبقها ؟ فقال : بل نبقها كما نبق الطيور ،  
ومن أكل هذه الطيور أو هذه الحيوانات المذكورة فهو أولى بأن ينسب الى الجنون من أن ينسب  
للعقل . فقلت أحسنت ، ثم قلت انظر : هنا ماء يسقى الزرع وهواء يتنفس فيه وبأخذ منه الكربون  
كما تقدم في (سورة يس) عند آية - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - . قال نعم . قلت : وطيور تأكل

الحشرات والبهائم ، وذوات أربع تحث الأرض وتسقى الحرت . أليس كل هؤلاء تعاونوا على المزرعة . قال بلي . قلت : وهم مختلفون صفات اختلافاً بينا . قال بلي . قلت : فإذا تقول في الانسانية العامة . أليسوا مختلفين أما وأفرادا اختلافاً كثيراً أو قليلا . قال بلي . قلت : والاختلاف لغايات كالاختلاف بين صفات الانسان وصفات الطير والهواء . والتأثير تبع ذلك الاختلاف . قال نعم . قلت : أفليست الدنيا كلها مزرعة واحدة . وبنو آدم اذا قتل بعضهم بعضا يكونون في سخافة عقولهم أشبه بهؤلاء الزارعين الذين ذبحوا أبا قردان وأكلوه وذبحوا البقر والجاموس وحرموا الزرع من تلك المنافع فأصبحوا خاسرين . قال بلي والله حسن جدا . إذن الانسانية للآن في غاية النقص . قلت نعم وكما لها بذبح الدجاجة والاستعمار ، فهذا الشيخ الهندي يقول للتلميذ « انبني واترك كل علم غير ما أقوله لك » مريدا بذلك إيقاف عقله أشبه بالفلاح الهندي ذبح أبا قردان لأكله ونسى انه هو الهندي يأكل حشرات حقله ، وهذه الأمم المستعمرة التي تذلل الشعوب ليدوم خضوعهم هم أشبه بذلك الفلاح أكل الطيور وذبح البقر والجاموس وقعد يضرب أحاسا لأسداس . قال : ما هذا ؟ إذن الانسانية الآن بهذا البرهان سخيفة غبية . فقلت : حقا لا انسانية . وهذا لا يزول إلا بأن يفهم المسلمون آيات هذه السورة ويعلموا أنهم هم المقصودون بانتقال الانسانية من حقلها وجهلها لأنهم - خير أمة أخرجت للناس - . وأن اليهود لن يرجعوا عن إضلال الأمم ودرس الفتن فيها وكذلك أمم أوروبا لن ترجع عن إضلال الأمم فتصنع معها ما يصنع الفلاح الهندي يأكل أبا قردان وبذبح البقرة والجاموسة اللتين تنفعانه في نمو زرعها إلا بظهور الحقائق ظهورا تاما ونشر الثقافة في الأمم والتحلي بالأخلاق الفاضلة . حين ذلك يفهم المسلمون سر قول ابن عباس في تفسير هذه الآيات . وأن اليهود وغير اليهود لن يسلطوا على هذه الانسانية وانها لا بد من ارتقاؤها وأن الحرب ستزول ويكسر الصليب لأن ديننا اخترعه العقل الانساني واجتلبه من دين البوذية لن يبقى إلا بالبشرى وهم يحملون الصليب

فهذه وأمثلة استخف وطأتها وتعرف الانسانية الحقائق ويكون الناس إخوانا في نفس الحياة ، إنما مثل المستعمرين الذين يفشون الجهل في الأمم والشيوخ الذين يتاجرون بالدين كمثل من رأى صبيا يرضع من ثدي أمه لحكم بأن لا يترك هذا الثدي أمد الحياة وهو يرى ويعلم أن هذا الطفل له أدوار ثلاثة : دور الجنين ودور الرضاعة ، ودور الاستقلال في الطعام والشراب ، فاقصر المرء على قراءة الأوراد أشبه باقتصار الطفل على لبن أمه أمد الحياة ، واقتصر الأمم التي استعمرها الأجنبي على أن يكونوا خدما وقد قتلوا ذكاهم أشبه بذلك الصبي الذي لا يترك لبن أمه ، فهؤلاء وهؤلاء قد حرموا فوائد عظيمة فقدتها الانسانية بتأخيرهم رقي غيرهم ، وكتابنا العزيز وتفسير ابن عباس يدلان أن الانسانية ستأخذ حظها ولا يتم إلا بالسلام العام وبقتل المسيح الدجال ولا يعيش في الأرض إلا الصادقون المخلصون

ألم تر إلى قوله تعالى - إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا - أي النصر ليس قاصرا على الحياة الأخرى ، إذن فلننصر الانسانية كلها بالنصر وانهم يصلون للسلام العام لأن دين الاسلام وأمة الاسلام المستقبلية ستنصر في هذه العقيدة العيسوية المحمدية وتقتل الدجال وتحجى السلام العام الذي يقوله المسلم في عبادته فلما سمع صاحبي ذلك . قال : ما أجل هذا المقال ، وما أبهج العلم ، وما أسعد العلماء ، ولكنني أريد منك زيادة إيضاح في موضوع الدجالين . فقلت : أيها الذكي اقرأ ما تقدم في آخر سورة المائدة عند قوله تعالى - واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله - ثم انظر كيف كان هذا الدين صورة منقولة من (دين خريستا) ومن (دين بوذا) بالهند أحدهما قبل الميلاد بمئات السنين والآخر قبله بالآلاف السنين ، ونأمل فيما كتبت هناك تجد أصول الدين منقولة بالحرف الواحد وهي هناك واضحة أيما إيضاح ، وعلى هذا نرى هذا الدين له مبشرون قادمون بأمره ، محافظون على تعاليمه ، ومن عجب أنهم

يتصرفون فيها تصرفاً مزدياً ، ومن أفضله أن المخرافات التي عمت السكرة الأرضية الآن هم المشيرون بها وهم الفاتكون بالأمم وهذا مخالف لنص هذا الدين على خط مستقيم . ولقد جعل مبشروهم الدين آلة لتفريق الأمم وزلزلة العقائد حتى ان فتح مصر لبلادنا المصرية لم يتم إلا بما اتخذوا لذلك من مبشرين زعزعوا العقائد فدخلت جنودهم البلاد بعد أن دخلت شرورهم وسمومهم القلوب

وهاهي ذه فرنسا ترحب بالدين خارج بلادها لاضرار عقائد الأمم ولكنها تضطهده في داخل بلادها علما منها أن تعالجه ضارة بنظام بلادها . وبالجملة فالديانة المسيحية الآن أحبولة لاصطياد النفوس وقنابل لتفريق الجموع . أليس هذا هو أثر من آثار المسيح الدجال . وأي دجل أعظم من هذا . ونظرة في المقالة الآتية التي سطرها أحد الفضلاء في « مجلة جمعية الشبان المسلمين » تكفي لتبيان ماقلنا وذلك في عدد نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

### ﴿ من كان بيته من زجاج فلا يرحم الناس بالحجارة ﴾

يحكى أن سائحا انجليزيا رأى صبيا يصنع سخنا من الأرز المطبوخ فوق قبر فقال له متحكما : « متى تظن أن فقيدك يقوم فيأكل هذا الأرز ؟ » فأجابه الصبي بقوله « يكون ذلك متى جاء فقيدكم يستنشق روائح الأزهار التي تضعونها على قبره » هذا الرد الطريف المسكت ذكرني بكلمة لصيني آخر عن أعمال المبشرين في الصين فيها نفس المفزى وهو : « ان من كان بيته من زجاج فلا يرحم الناس بالحجارة » كنت قد قرأتها من زمن بعيد ثم رأيت أن أنقلها اليوم لقراء مجلة الشبان المسلمين كرد ( خالص ) على ذلك الاختلاق وتلك التقارير الوهمية التي يذيعها المبشرون عن انتشار المسيحية في أنحاء العالم وتراجع الاسلام تحت ضغط انتشارها باعتبار أن الكلمة صادرة عن رجل يتكلم بلسان ربيع سكان المعمورة وهذه هي : لأي غرض جاء الى بلادنا هؤلاء المبشرون ؟ هم يقولون انهم جاءوا بدين يرون فيه لنا أسباب السعادة في الدنيا والآخرة . ويسمون هذا الدين بالدين المسيحي ولأننا لم نكن في حاجة لمثل هذا الدين بالمرّة لأنه في نظرنا دون شريعة كوفوشوس وبودا لم يستطع المبشرون مدة أربعة عشر قرنا أن يؤثروا به فينا اذ لا يوجد حتى الآن بين أمتنا التي يربو عددها على أربع مائة مليون نفس أكثر من أربعين ألف مسيحي صيني ولست بحاجة لأن أعرفكم بهؤلاء الصينيين المسيحيين فهم الفقراء الذين لا يقدرّون على كسب قوتهم . ولذلك صاروا مسيحيين لأن المسيحية لديهم هي العيش ولم يستطع المبشرون رغما عن الجهد الجهد استئالة رجل ذي شأن ككاتب مطلع أو موظف أو تاجر أو أي ذي حرفة ولم يجتمع حولهم غير العساء والمقندين . وكيف يكون الأمر غير ذلك مادام بودا قد علمنا كل ما يحاول هؤلاء المبشرون تعليمه لنا مرة أخرى ومادامت فلسفة كوفوشوس أكمل وأجل قانون عرفناه الفضيلة والأخلاق حتى اليوم . على أن أساس الديانة المسيحية وحده يكفي لابعاد كل ذي تفكير حر عن المسيحية وانى أترك لكم الحكم على صحة قولي هذا . يقول المسيحيون ان الله أراد في يوم من الأيام انقاذ العالم وبما أنه القادر على كل شيء - وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون - كان يجوز أن يظهر رغبته في انقاذ العالم بكيفية بسيطة ولكن الأمر لم يجر بهذه البساطة فهم يقولون ان الله الذي كان واحدا فردا رأى أن يصير ثلاثة مع بقائه فردا فليفهم ذلك منكم من يستطيع . وكانت نتيجة ذلك أن الله رزق بكرا من بنات آسيا غلاما وهذا الغلام صار رجلا والها في آن واحد فها هذه التعقيدات والاشكالات . إنني أسألكم هل يوجد صيني سليم العقل يقبل هذه القصة ؟ أليس هذا وحده يفسر لنا لماذا لم يمجّد المسيحيون سيلا لنشر دعوتهم في هذه البلاد التي تترك الحكومة فيها للشعب حرية تامة في التفكير في مسائل الدين كما أثبت ذلك القسيس هوك . الى جانب هذا نعلم أن المسيح ( نبي البيض ) دعا قومه الى التسامح والرحمة والغفران ( كما فعل

كونفوشيوس من قبل) وأوصاهم بأن يعيشوا مع الناس في سلام وأن لا يعملوا مع الغير ما يريدون أن يعمل الغير معهم . فهل المبشرون يتبعون الشريعة التي يريدون ادخالها بيننا . كلا فالذين ماهو الا وسيلة في أيدي هؤلاء القسوس الذين جاءوا لاتقاذ ارواحنا ( كما يقولون ) بغير أن نطلب ذلك منهم لأنهم كانوا الطلائع لغيرهم من مواطنيهم وهم التجار الذين ظننا أنهم هم الآخرون أتوا لتبادل المنفعة معنا فقابلناهم بكرم ولطف ورحابة صرنا فياذا قابلوا حسن صنيعنا . قابلوه باختلال الجهات التي يسكنونها من الأراضي السيئة وادعوا أنهم ملك لهم وحكومة بقوانينهم ومحال أنهم كانوا يقبلون ذلك في بلادهم لو ادعى صينيون منا هنا ملك مثل دعواهم فتركناهم مع ذلك وشأنهم ولكنهم ما لبثوا أن أصبحوا لا يطاق لهم وجود لأنهم أرادوا أن يكونوا هم السادة أصحاب الأمر والنهي وأن نكون نحن أرباب البلاد وأسيادها خدما لهم يحكموننا بالقوة والأرهاب الخ » وهي كلمة طويلة نكتفي منها بما تقدم . والذي يلفت النظر فيها بنوع خاص هو أن المسيحية التي يدهي المبشرون أنها تنتشر في أنحاء المعمورة وان الاسلام يتراجع تحت ضغطها لم تستطع ( بعد جهد جهيد استمر نحو ١٤٠٠ سنة ) ان تجذب اليها رجلا واحدا ذاشان في بلاد الصين وان كانت فازت بعد ذلك الجهد بأربعين ألف مسيحي صيني لأظن ان العالم المسيحي الأبيض يغتبط بأخوتهم لأنهم . كما يقول ذلك الكاتب . أناس فحكوا على ذقون المبشرين ليا كانوا ( عيشهم ) والمبشرون من جانبيهم يضحكون بهم على ذقون من يمدونهم بالمال ليعيشوا هم الآخرون . فالاسلام لاخوف عليه من تهديد المبشرين ومزاعمهم

زعم الفرزدق أن سيقتل مر بها \* أبشر بطول سلامة يا مريع

مادم هذا الدين السمح الذي كفل الحرية الصحيحة للناس في حدود الفضيلة وحرر النفس البشرية وسأوى بين الناس فلم يفضل أبيض على أسود أو أحمر أو أصفر الا بالتقوى والعمل الصالح . لاخوف عليه وهو دين الحرية والديموقراطية من طغيان الدين المسيحي عليه . ذلك الدين الذي يحتفل بأبناؤه البيض ( في بلاد المدينة والعدل والحرية أمريكا . معقل رجال الدين ومصدر المبشرين ) بتعذيب اخوانهم ومواطنيهم المسيحيين السود ونحن نتحدى كاتنا من كان من المبشرين في مشارق الأرض ومغاربها أن يكذب هذا الخبر الذي نورده هنا وهو هذا

احتفل أميركيو ولاية نيويورك في مدينة نايور بتعذيب زنجي اسمه « دان دافيز » فلما شد وثاقه الى شجرة . بعد التعذيب الوحشي الشديد . لاحرقه حيا توسل « دافيز » المسكين الى ذلك الجع المحقد من الرجال والنساء بعبارة مؤثرة تستدر الدمع أن يتقدم واحد منهم ليقطع عنقه قبل أن يسام ذلك العذاب الأليم فقال لى أرجو أيها السادة أن يكون بينكم رجل عامر القلب بالمسيحية فيتقدم ليقطع عنقي ويربحني من هذا . فكان جواب الانسانية المسيحية البيضاء على هذا التوسل رنين فحركات السحرة والاستهزاء من الجنس اللطيف والجنس الحشن سواء

نم . لاخوف على الاسلام من طغيان المسيحية التي دعائها المبشرون . انما الذي بهم جماعة الشبان المسلمين أن يقفوا عليه هو أن الدين أصبح وسيلة في أيدي المبشرين يسترون تحت ثوبه مقسدة عمرانية اعتقادية تنتقل مع الأجيال وحسب القراء أن يطلعوا على تصريح رئيس وزراء فرنسا في سنة ١٩٠٠ الميوس ولدك روسو عن هذه الطائفة في خطبة علنية أمام مجلس النواب حينذاك حيث قال : ان اختلاف التربية والتعليم باختلاف المدارس بين أهلية ودينية أحدث في النساء الفرنسيين فرقتين مفرقتين قلبا وقالبا ومبدأ وغاية ففرقتي يجب فرنسا ويخلص للجمهورية ويعاهد نفسه على الصدق في خدمتها وتأييد ذلك النظام الذي اختاره الشعب وفرنسي تربي في حجر جماعة اتخذوا لباس الدين رداء رياء ورواه خداع يربون الأبناء على كراهة الجمهورية ويثبون في نفوسهم مبادئ تناقض مبادئنا الخ

واكتفى بهذا البيان على أن يترك التعليم حراً ولكنه أقفل أبواب الوظائف الحكومية في وجوه خريجي مدارس تلكم الجماعات ثم ظهر بعده من لم يكتف بذلك بل قضى بأقفال مدارس الرهبانات صيانة للأمة مما يهدد حكمها الثوري ونظامها الدستوري الذي أراقت في سبيله الدماء الغزيرة حتى ظهر من انتصر للرهبانات . ولا يهنا نحن وجهة نظر كل فريق منهم إنما نورد هنا خلاصته . فمنهم كاتب من كتاب الفريق الثاني وهو المسيو « دريمون » في جريدة « الليبر بارول » في سنة ١٩٠٢ حيث قال : في ألمانيا التي لا يحكمها أصحاب البدع والحق . يتصرف ولاة أمورهم مع الرهبانات بغير ما تصرفنا به ويعملون معاقبهم ما عملنا . فان جيراننا الألمان لم يعلموا علم اليقين أن المبعوثين أقوى العوامل السياسية والتجارية تأثيراً وأحدها أثر أمدوهم بعنايتهم وأطلوهم بحمايتهم . الى أن قال : فلم يمهدهم للانجليز سبيل فتح مصر الا المبعوثون الانجليكان . فاذا كان باقيا هناك من لم يزل يتكلم باللغة الفرنسية فانما الفضل في ذلك يرجع الى المبعوثينا الفرير أسانذة المدارس المسيحية الذين حافظوا على اجتذاب بعض القلوب الى فرنسا . نعم ليست العبرة بكلام هذا ولا بكلام ذلك من حيث وجهة نظر كل منهما إنما العبرة بمدلول كلامهما حيث كشف لنا كل منهما سوءة من سوءات المبشرين ونهبنا الى جانب من جوانب الخطر الذي يهدد الجنس الشرقى والاسلامى الملقى زمامه الى هذه الطائفة على ظن أنها تقوده الى مراقي العلم والفلاح . فليقت المسلمون الله في أبنائهم وخلفائهم من بعدهم ليتدبروا في كلام الرجلين حيث يظهر بوضوح جنابة المبعوثين الدينيين ومدارسهم على النشء وليس لهم علينا حجة بعد ايراد شهادة شهود من أهل المبشرين عليهم والظاهر أن الفتنة الأخيرة المدافعة عن الرهبانات قد انتصرت فهامى فرنسا اليوم تشهر في وجه الاسلام سيوف الاعتداء على العقائد بتعطيلها الشعائر الاسلامية في بلاد المغرب واقفالها محلات عبادة المسلمين في نفس الوقت الذي تفتش المدارس التي تلبسها ثوب التعليم ونشر الثقافة وتستر تحت هذا الثوب نفس الفكرة التي أجرى الله بها لسان الميسودريمون فظهرت الحقيقة

أما الدين الاسلامى نفسه ففرنسا ( وغيرها ) تعلم علم اليقين أنه طود شامخ ثابت بمبادئه الانسانية . سام بتعاليمه الروحية . فان جيوش المبشرين الذين تملأ بهم الدنيا لن تقوى على زخزحته عن موضعه قيد شعرة ولكن حب الاستعمار هو الذى يدفعها الى ركوب هذا المركب الخشن لأنها ترى في تعاليم الدين الاسلامى عقبة في سبيل الاستعمار ولكن لتفهم فرنسا أن نيتها مفضوحة وأن المسلمين اليوم غيرهم بالأمس . انتهى

فلعاسم صاحب ذلك . قال : لقد شرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . والى هنا تم الكلام على سورة غافر وذلك صباح يوم الخميس ١٦ اكتوبر سنة ١٩٣٠



## تفسير سورة فصلت

( هي مكية )

( آياتها ٥٤ - نزلت بمد غافر )

﴿ هذه السورة خمسة أقسام ﴾

( القسم الأول ) في تفسير البسملة

( القسم الثاني ) في التوحيد وذكر بدء الخلق من أول السورة الى قوله - ذلك تقدير العزيز العليم -

( القسم الثالث ) في ذكر إهلاك بعض الأمم التي كثرت كعاد وعود الذين هم أقرب الى المرسل اليهم ديارا ولغة وعوائد وتاريخا من قوله تعالى - فان عرضوا فقد أنذرتكم - الى قوله - فأخذتهم صاعقة العذاب الهون \* بما كانوا يكسبون \* ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون -

( القسم الرابع ) في ذكر الحشر وشهادة الجلود والحواس واختصاص الناس مع أعضائهم والقرناء واضلاهم وانهم يتتابعون في العذاب كما تتابعوا في الاقتداء وتناسى عقولهم ثم اذا ظهرت الحقيقة تنابدوا وتناكروا وتعادوا واتباع ذلك بالتواد والتحاب بين العوالم الطاهرة من الملائكة وعوالم الانس ، وكيف يبشر الأولون الآخريين قائلين لهم وقت الحياة وعند الموت « لا تخافوا مما تردون عليه ، ولا تخزنوا على ما خلفتم من الأبناء والأهل والأئم ، فستردون الجنات . وتناولون أعلى المقامات ، في ضيافة الله واكرامه ، ثم وصية المؤمن أن يكون هينا لينا ، رحما ودردا عفوفا ، يتألف أصحابه ولا يتبرم بهم ليصبحوا أحببه ، وذلك لا يكون إلا بالصبر والاحتفال وحسن الخلق والتواضع والتواضع ، وأن يستعذ بالله من قرناء السوء من شياطين الانس وشياطين الجن اذا وسوسوا له وزغوا بينه وبين أصحابه وفتحوا له باب الشر والنزاع والشجار ، وذلك من قوله تعالى - ويوم يحشر أعداء الله الى النار - الى قوله - فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم -

( القسم الخامس ) من قوله تعالى - ومن آياته الليل والنهار - الى آخر السورة ، فذكر الشمس والقمر وهما ومنافعهما ، وأن ذلك لا ينبغي أن يوقف الهمم عندهما عبادة وسجودا لأن الانسان لم يخلق في هذه الدنيا إلا للرقى ولالرقى اذا وقف عقله عند مصنوع أرضى كالآصنام أو مصنوع إلهي كالشمس والقمر ، فاذا وقف العقل عند أحدهما سواء أكان صنفا أم جوما مضيفا باهرا كان ذلك المعبود حاجزا بينه وبين ارتقاء عقله ، وكيف يبحث عن الأجرام السماوية البديعة التي شمسا بالنسبة لها صغيرة جدا ، كيف يبحث عنها اذا كان يرى أن الشمس أكبر وأعظم الأشياء لأنها معبودة والمعبود يفوق كل ماسواه ، فاذن تكون الشمس أعظم موجود ، فاذا عن عالم فلسكي أن هناك شمسا أكبر منها صدته الذين عن ذلك الاعتقاد ، فبالك اذا رأى أن هناك (١٠) آلاف مليون من الشمس أصبحت شمسا بالنسبة لها كبرتقاله بالنسبة لبطيخة بل قلعة فضلا عن شمس لانزال محجوبة عن الأنظار ، هذا هو مقصود البيانات ومقصود القرآن ومقصود العلوم ، إن الله قد أرسل ابراهيم الخليل فدك صرح عبادة الشمس والقمر والكواكب ، وتم هذا فبيننا صلى الله عليه وسلم فانطلقت العقول بعد أن كانت محصورة أيام الصابئين في عبادة كواكب معلومة ، وحجرت العقول ومنعت من الاطلاع على عوالم لانهاية لها ، ثم أتبع ذلك بما يفيد : « انكم يا أهل الأرض لستم شيئا مذكورا بالنسبة

لعوالمنا الأخرى الروحية ، فإذا أبيتهم بأهل الأرض أن تعبدوا ربكم ليتسع لكم المجال ففرقوا عقولكم لتخرجوا من العالم المادى ، فاعلموا أن هذه السموات والشموس والأقمار والنواجم ليست خالية من السكان ، إن هناك عوالم وهى الملائكة والملائكة صفوف وكلهم يعبدونى ، فإذا لم تبلغ مراتبكم هؤلاء فأنتم وشأنكم . فكم هناك من عوالم تسبح ربها عاكفة على السجود له والقيام بأمره ولا يسأمون بل عبادتهم بشوق وتوق وحب لاقتراب نفوسهم من ذلك الجلال الأبهى كما ان الشمس والأرضين دارت طائفة بنوع الجاذبية ، وإذا ظننتم أن أرضكم الحقيرة الصغيرة قليلة الشأن هى التى حظيت بالعقول والعلوم وأن العالم كله محروم منها فكبروا أربعا على عقولكم وادفنوها فى الترى ، وكيف تظنون ذلك وأنتم ترون أن البحار التى زاد عمقها عن مائتى قامة وضوء الشمس محجوب عنها قد خلقنا فيها عوالم من سمك وسرطان وأعطيناها كل ما تحتاج اليه ، وأصاها لها بضوء تصرفه على مقدار حاجتها ونطفه متى شئت ، وتوفده متى شئت ، وتطارده فريستها بهدايته ، وتتخلص من عدوها متى شئت ، فتظهر نورها الوهاج أمام عينيه كي تبهره ثم تختفي وهى أمامه ، فإذا فعلت ذلك فى قرار بحاركم الذى يصل الى ما يقرب من مائتى قامة ولا أذره يكون بلا حياة فهل أذرت الشمس العظيمة التى شمسكم بالنسبة لها لا تعد شيئا مذكورا فضلا عن أرضكم المحقورة الضعيفة التى خلقنكم فيها زمانا ما لأتقلكم الى عوالم أخرى تستأهلونها بما فطرتم عليه فى هذه الأرض من الأخلاق والأعمال أسمى بعضها بالجنان وبعضها بالنيران . كلا . فأنا لم أدع عالما حقيرا كأرضكم ولا عالما عظيما كالشمس العظيمة وتوابعها إلا أسكنت فيه عالما يليق به ، وكلما كان للسكون أرقى كان الساكن فيه أعلم وأعظم وأقرب الى ربه كما تقرب حاسة العين والسمع من العقل ، وتبعد عنه حاسة اللمس بعض البعد ، إن العين والسمع يعرفان القريب والبعيد ، واللمس لا يفتقه إلا القريب ، فأنتم يا أهل الأرض أشبه بحاسة اللمس لأن علومكم مادية والعوالم الأخرى يقرب سكانها من ربهم لبعده نظرهم وكبر عقولهم وتشبههم بربهم ، وهذا ما يأتى من قوله تعالى - يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون - . ثم ذكر أن الأرض اذا نزل عليها الماء اهتزت وزادت وتمزجت بالنبات هكذا تحيا النفوس بالبعث كما تحيا الأرض بانزال المطر عليها . ثم ذكر أن هذا القرآن محفوظ لا يتطرق اليه الخلل تذكره للام الأرضية الضعيفة لأنه نزل بحكمة وهى نعمة على الناس يستحق مسديها جدهم له ، وأن الأمم المدعوة لهذا القرآن تقابله بما قابلته به الأمم السابقة أنبياءها لأن أهل الأرض منقسمون فى المادة ضعاف العقول غالبا ألهمهم الشهوات عن الحكمة لاقترابهم من عالم الحيوان والنبات ، فهذه جيلة فيهم والله سبحانه سيجازى المسىء والمحسن منهم بما هو أهله من عقاب وثواب ، ثم إن هذا القرآن لو نزل بلغة غير العربية كما يترحم بعضهم لكان ذلك بدعا فيقال نبيّ عربىّ وقرآنه أعجمى فنقوم حجنتهم عليه ويقولون فى آذاننا وقر كلالا . بل الأمر واضح نبيّ عربىّ وقرآن عربىّ تسمعه أمة عربية وتنقله الى الأمم ثم تضيع لغتها وينشردينها وتقوم دول بها ، ولا يصح ذلك إلا اذا كان بلغة العرب ، ثم أبان أن أمر الساعة كأمر خروج السموات من أكامها وكأمر وضع الحوامل ، فهذه الأجسام الأرضية الانسانية تحمل أرواحا تربي فى الأرض بالخير والشر وتمتحن بالنعم والنقم والبلايا والرزايا وترسل لها الأنبياء ويخلق فيها العلماء فتفتح الأجسام عن أرواحها بالموت كما تفتح الأكام عن الزهر والكفر عن الطلع والحامل عن الطفل . فالأجسام بالموت تمتخص كتمتخص الحوامل وتبرز تلك الأرواح ظاهرة وانحة على حسب ما جبلت عليه كما يخرج الطفل حاملا ماورثه من أبويه وذويه ودولته وأمه فى الدنيا فيعيش على ما كان عليه فى الرحم من تلك الموارد ويتلنى كمال علومه فى الحياة ، فإذا مات فقد تمتخص جسمه عن روحه وأصبح فى عالم جديد يحمل صفات وآراء وأخلاق حتى اذا بعث برز هناك أمام الله والعالم بأخلاقه نفسه كما برز الطفل فى الحياة بما هو من جبلته . ثم قال وهذه الامور ليست بالطبع بل لا تحمل أتى ولا تضع إلا يعلمه هكذا لا يعمل عامل عملا ولا يحشر الى جنة أو نار إلا يعلمه

لأن هذا نظام له قانون لا يتعداه . ثم أخذ يذكر أخلاق أكثر النوع الانساني فوصفه بأنه لا يجب إلا الامور المادية ، فذا انقص منها شئ يش مع انه خلق ليهدب ويربي ، واذا اتم عليه نعم كثيرة وعمرها اغتر ووطن أن ذلك أمر دائم وأن النعم الروحية والأخروية تابعة للنعم المادية الجسمية ، ثم بشر الله النوع الانساني لاسيا العالم الاسلامي قائلا : « أيها الناس : إني سأفتح لكم أبواب العلوم والمعارف والحكم ، وأبين لكم الحقائق ناصحة واضحة ، وأولا أفتح للسلمين البلاد شرقا وغربا وهذه دلالة صادقة على النبوة المحمدية ، كيف لا وأن النبوة تستلزم إيجاب الأمم وترتيبها ، فدين يجمع أمة وتعيش أمدا طويلا وهو ثلاثة عشر قرنا ويضم من الشرق والغرب آلاف الآلاف ، إن ذلك لدليل على أنه من عند الله لاسيا اذا كان النبي نزل عليه ذلك الذين أتيا لا يقرأ ولا يكتب وهو في أرض حقة لاصلة بينها وبين العلم . وثانيا ان هذا القرآن قد فصح للناس باب قراءة العلوم والمعارف فانشرت الفكرة في العالم كله وجاءت الحروب الصليبية فاتعشت أوروبا وظهرت العجائب الكونية وظهر علم الأرواح وعلوم النفس وهذه معجزة للقرآن . فهنا معجزتان : معجزة فتح البلاد على أيدي المسلمين . ومعجزة ظهور العلوم في أوروبا التي أدهشت العقول وحيرت الأفكار . وقد ذكرنا كثيرا منها في هذا التفسير . فهذه العلوم هي نفسها آيات الله تعالى أظهرها الله كما أخبر القرآن . والعلوم المذكورة قسبان قسم في العلوم الطبيعية والفلكية وهي علوم الآفاق . وقسم في علم الأرواح وعلم النفس وهو علم الأنفس . وذلك كله معجزة للقرآن . والا فكيف يقول - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - أوليس ذلك لنا نحن المسلمين الآن !

يقول الله - حتى يتبين لهم أنه الحق - . فليسمع المسلمون في أقطار الأرض كلام ربهم . هذا أوانه . يقول لكم : سأريكم آياتي في أنفسكم وفي الآفاق . أيها المسلمون : هذه الآيات قد ظهرت وبهرت . ظهرت شمس وبهرت العقول . ظهرت علوم الكيمياء . ظهرت عوالم بديعة غابت عن عقول الأمم الماضية . ظهر ذلك كله . ظهرت أسرار النفوس وعلوم الأرواح . كملت الأرواح الأحياء . كلوهم بما جاء به القرآن . قالوا لهم « اتنا نغضب وننعم » . قالوا لهم : « اتنا نألم لكل ذنب اقترفناه » . قالوا لهم : « ان العلم والأخلاق الحميدة هما المسعدان لنا بعد الموت » . قالوا لهم ملخص ما جاء في القرآن

أيها المسلمون : هذا هو دينكم بأمركم أن تدرسوا كل علم وتقرأوا كل قرآن ويقول لكم الله إني عبادي قد فتحت لكم أبواب الجنات في هذه الدنيا . فتحتها على مصارعها . انظروا تأملوا ما فيها من جمال . وأين هي الجنات ؟ هي العلوم التي أبرزها الله في الأرض . إن الجنان نتائج العلوم والأخلاق . والنيان نتائج الجهل والذنوب . يقول الله - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ولقد أرانا الله ذلك . كان آباؤنا أشرف خلق الله فلكوا الأمم لاسعادها . ولما سكنت ريجهم وغابت شمسهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا فأذلتهم الأمم . وهذه أيضا من آيات الله التي أراها الله لنا . أرانا آيات في آياتنا إذ أخضعوا الأمم . وأرانا آياته في أنفسنا في مصر والشام وسوريا والحجاز وفلسطين والعراق وبلاد المغرب وفي بلاد روسيا والهند وسائر أقطار الاسلام وفيها وراء البحار . خضعت أكثر هذه الأمم للفرنجية . أذاقها الله النكال . هذه من آيات الله تعالى لأنه هكذا أوعد الله الذين لا يفكرون . أظهر الله علوم الكائنات من شمس وأقمار وكواكب صغار ومعادن وحيوان ونبات وجمال أرضي ومجائب حكمية وعلوم أرواح . كل هذا من آيات الله في الأنفس والآفاق ثم أيد ذلك بأن الله شهيد على كل شئ فهو يحقق هذه الامور كما وعد وانه عالم بالأشياء كلها وقد تم ذلك كله في هذا الزمان وسيزيد في الازمان المستقبلية

إني لأدهش أيها المسلمون حينما أرى هذا كلام ربنا وأرى انه ديننا وأقول في نفسي كيف يكون هذا دين أمة الاسلام والناس كلهم يرقون العلم أما هم فانهم نائمون



عجا لآئمة أصبحت أشبه بملك أصم - أعمى تقام له المحافل وهو غافل وتنصب له المدافع وهونام وتنصب له الحفلات وهو في سبات أو كعموس أقيم له الاحتفال ونشرت الزينات وأنشدت التصائد وهوناته غافل لا يبى ما يقال ولا يدري

يا قوم : يقول ربنا - سخرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ويقول انه شهيد على كل شئ محقق للوعد والمسامون لا يعلمون هذه الزخارف والزينات القائمة في الأرض والحجاب البارزة زفها الله اليكم ، استخرج الله منافع البر والبحر وكلم الأموات الأحياء . كل هذا أخبر به نبيكم ﷺ فكيف تقام هذه الزينات وتنصب لكم الحفلات وأتم في غفلات . نعم إن المسلمين اليوم أشبه بملك العباسيين في آخر أيامهم أو ببعض المماليك في الدولة المصرية إذ تقام لهم الحفلات باسمهم وتنصب لهم الزينات وهم مسجونون هذا ماجاش في نفسى عند تقسيم هذه السورة وهو كختصر لتفسيرها فلا بدأ في تفسير هذه الأقسام فأقول مستعينا بالله

### ﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

هذه قد أخرجتها الى اللطائف وهى أول لطيفة من ست ، وذلك لأن فهم الرجة هناك من حيث شمولها لما في السورة من الجنب يحتاج فيه الى معرفة ظواهر تفسيرها ولذلك أخرجتها

### ﴿ القسم الثانى من السورة ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم \* تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \*  
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ \* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا  
إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ \* قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ  
مِّثْلِكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ \*  
الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ \* قُلْ أُنَبِّئُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ  
لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا  
فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ \* ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا  
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ  
أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \*

## ﴿ التفسير اللفظي ﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حم) هما حرفان وهما الحاء والميم وقد علمت أنهما في سورة غافر تشيران للحمد الذي اكتنفهما والنتيجة أنهما ترشدان الى اقتناص سائر العلوم ، وهذا ملخص مامضى في هذا التفسير ، انما لكل سورة منزلة والمزية التي في هذه السورة غير التي مضت ، فانظر الى ما سألتبه عليك ، انظر كيف يذكر الله الحاء والميم المذكورين في قوله تعالى - تنزيل من الرحمن الرحيم - فالحاء والميم في كل من الاسمين ، وكيف يقول - نزلا من غفور رحيم - ، وكيف يقول - تنزيل من حكيم حميد - فالحاء والميم في الحمد والحكمة والرحمة المذكورات في هذه السورة ، ولا جرم أن الحمد أعم هذه المعاني لأنه لا يكون إلا على نعم ولا نعم بحمد عليها إلا اذا عرفت ، ومتى عرف الانسان أن الله رحيم ورحمته شملت العوالم العالوية والسفلية رحمة مصحوبة بالحكمة لا كرحمة الأمهات بل هي كرحمة الآباء مصحوبة بشدة للتوازن والحفاظة عليها . متى عرف ذلك حمد الله فإنه يرجع الأمر الى التنبيه على العلم لاسيما أن الحاء والميم في الحمد قد جا آ في أول الكلمة متتالين فأما في الحكمة والرحمة فليسا كذلك فرجعت هذه السورة كالتى قبلها مع تخصيص في هذه . ألا ترى كيف ذكر بده الخلق وانه نظم السموات والأرض وأردع فيها الأفوات والأرزاق وأعطى كل شئ خلقه وانه أمر الأرض والكواكب بالانتيان اليه فأتت له طاعة بطريق الجاذبية لا بطريق القسر والقهر وهذا الدوران مبنى على الحكمة والنظام العجيب . وكيف زين السقف الذى فوقنا بمصابيح مضيئة مشرقة بهجة تسر الناظرين فبينما الانسان ينظر في حقله فيرى أزهارا وأنوارا وجالا وبهجة وماء لطيفا شفافا تظهر فيه الوجوه والطيور تحوم حوله ويرى أنعاما وأشجارا وأنواعا شتى من الثمار في الأرض اذا هو ينظر فوقه فيرى سقفا مرفوعا مزينا بالصور الجميلة والقناديل المعلقة والرسوم البارزة والوجوه الباسمة والأوضاع المشوقة والبهجات الشارحة للصدور المنعشة للقلوب المزينة بالغموم المذكورة بالأحباب المبعدة للنصب المزينة للغوب المناجبة لدوى العقول الشريفة الملهمة لهم الجمال السارة المفكرين المذكورة برب العالمين المصفرة لحياتنا الحيوانية المعظمة للحياة الملكية الخاصة بالكبراء المنوعة عن الجهلاء المحجوبة عن ذوى الكبرياء تبرعت عن الأعيار وظهرت للأختيار وزينت وابتهجت وأبهجت . ذلك من الرحمة التي ذكرها في قوله - الرحمن الرحيم -

ثم انظر الى الحكمة التي بينها في السورة . الأتراء بين أن قرناء السوء يوسوسون الى أسئلتهم وقد زين لهم وسوستهم كما زين السماء لأصحاب العقول الكبيرة . ثم تراه يجعل الملائكة ملهمين للنفوس الشريفة في الأرض كما يبشرونهم عند الموت وعند البعث ويسلمون عليهم . أليس ذلك للحكمة . فبده الخلق رحمة . ووسوسة النفوس الشيطانية الى النفوس الشهوية وإلهام النفوس الملكية الى النفوس الفاضلة في الأرض من آثار الحكمة . ذلك أن الحكمة تقتضى أن يقرن الشبيه بما يشبهه . فالشياطين توحى الى أمثالها من الناس والملائكة تلهم من يقرب لها في الخصال ليلحقوا بهم بعد موتهم . ثم أفاد أن الملائكة يعرفون ربهم أكثر من أهل الأرض فكأنهم شموس تتبعها أرضون ، فإذا رأينا شمسا قد تبعها السيارات والأرض وتوابها ونحوها هكذا تلك الأرواح الكبيرة تتبعها أرواح صغيرة في أرضنا وغيرها فكأنها تدور حولها كما تدور أرضنا حول شمسنا ، وكما أن أرضنا تستمد من الشمس النور هكذا الأرواح الصغيرة في عالمنا تستمد العلم من أرواح فوقها أعلى منها بالالهام أو الالتقاء في الروح وهذا هو المقصود من قوله - فالذين عند ربك

يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون - وانهم يتذكرون على أهل الأرض يقولون لهم لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا . كل ذلك من الحكمة . ومن الرحمة أن الأرض تخرج النبات فينتفع به أهل الأرض . ومن الحكمة أن ينزل القرآن باللغة العربية لمناسبة المرسل اليهم الذين هم أقرب اليه . ومن الحكمة مناسبة خروج التمرات من الأكام ووضع الاناث لقيام الساعة فكلاهما تأنج وتموت لمقدمات

وبعد أن ذكر آثار الرحمة وآثار الحكمة وان كان كل منهما مصاحبا للآخر ختم السورة بما يوجب الحمد وهو انه يرينا آياته في الأنفس والآفاق . واذا ارانا آياته فعناه انه يظهر العلوم والأسرار كما ظهر لك منه كثير في تفسير هذه السورة وغيرها وبالعلم وانكشاف الحقائق يكون الحمد فرجع الأمر كله الى معنى (حم) فقوله حم إشارة الى الحمد والحمد لا يكون إلا بمعرفة النعمة والنعمة المذكورة في السورة منها ما غلبت فيها الرحمة وهي بدء الخلق وانبث النبات . ومنها ما ظهرت فيه الحكمة وهي وسوسة الشياطين لأمثالها وإلهام الملائكة لتلاميذها واتباعها ونظام الأمر كله انه يرينا الآيات وهذا سبب في الحمد . حقا ان هذه السورة روضات الجنات إن من يقرأ هذه السورة يرى ألقاظها متشابهة ومعانيها متشابهة وكأنه لا يرى شيئا جديدا فلذا أمعن النظر انفتحت له خزائن العلم والحكمة كما يحصل عند ما يسمع الانسان قوما يتكلمون بلغة لا يفقهها فانه يرى أن الألفاظ متشابهة ولا يفهمها إلا ببحثها وكما يشاهد جيشا عرمرما من بعيد فانه يراه شيئا واحدا لا اختلاف فيه وكلما اقترب ظهر له تفصيله . وكما يرى الشمس والقمر وهو على الأرض فانه يرى جسمين صغيرين فاذا ارتقى بالعلم في الدنيا أو بعروج روحه الى السماء وكان من أهل ذلك هاله عظمتها . هكذا هذا القرآن نرى اننا كلما توغلنا فيه ظهرت لنا علوم جديدة تبرز في ثناياه

هذا ما سبقنا في معنى حم فالحق والميم يعبران عن الحمد والحمد يستلزم العلم . والمسلمون اليوم مخاطبون وهم الآن أقرب الى العلوم من كل زمان لأن الله أراههم الآيات في أسلافهم وفيهم وفي الآفاق من العلوم والمعارف . فاذا قصر مسلم بعد ما بيناه فان الله عز وجل يخفف به وبأمثاله الأرض وذلك بالنفلة والهوان مم الاقراض وهذا أمر لا شك فيه وأصبحت موقنا به كل الايقان . وقوله (تنزيل من الرحمن الرحيم) أي هذا تنزيل ممن عمت رحمته عظمت الامور ودقيقاتها في أكناف السموات وآفاق الأرضين . وقوله (كتاب) خبر بعد خبر مم وصفه بأنه فصلت آياته في معان مختلفة من عجائب خلق وابداع صنع واحكام نظم وانزال غيث وانزال وحى وإلهام واضاءة سق مرفوع وتبيان الحقائق واخبار بمستقبل العلوم ووعظ واحكام وأمثال ووعود ووعيد وبهجة للتأخرين وهذا قوله (فصلت آياته) أمدح (قرآنا) موصوفا بوصفين : الأول كونه عربيا . الثاني كونه (لقوم يعلمون) ووصفه بأنه عربي من الاشارات العجيبة فان اللغة العربية اليوم لا تخلو محفل من محافل العالم شرقا وغربا من ذكرها والترجم بمحاسنها والقيام بشأنها ومعرفة تاريخها وتاريخ دينها والبحث والتنقيب عن أسرارها وآثار أهلها كما تقدم في (سورة سبأ) وأنت ترى المستشرقين في العالم الغربي مولعون بهذه اللغة ولولا القرآن لم يكن لها هذا الشأن . لقد اشتهرت الأمة العربية وما شهرتها إلا بالقرآن . لقد اشتهرت الأمة العربية وأصبحت لها صيت عظيم ومجد كبير مع اننا اليوم تحت قهر الأمم ولكن القرآن العربي جبال لنا وزينة . يدعوننا الى الرقى والسلام . أليس من العجب أن يخبرني أكبر طابع للكتب في مصر وهو الذي تهمد بطبع هذا الكتاب أن تفسير الطبري لما طبعه لم يقدم على الاكتاب فيه من مصر المسماة إلا ثمانية عشر رجلا ، ولكن ألمانيا النصرانية قد اشترك منها ثلاثون فيه ، ومن عجب أن أول ما طبع المصحف في العالم طبع في ألمانيا وهذا سرّ قوله تعالى - عربيا - مشيرا الى صيت العرب وذكورهم بهذا القرآن حتى طبعوا كتبهم ودينهم في مطابعهم !

فيا ليت شعري اذا كان هذا شأن اللغة العربية عندهم وهم مسيحيون فما بالك لو كانوا مسلمين ! هذا

كله سرّ قوله تعالى - قرآنا عربيا لقوم يعلمون -

إن أوروبا اليوم فيها خفول العلماء ، ولقد شاهدناهم وكاتبناهم فوجدناهم يدرسون اللغة العربية دراسة تامة ويعرفون أسرارها أكثر من كثير من المسلمين ، ذلك كله أشار له القرآن بقوله - عربيا - والافعلوم أن القرآن عربي

### ﴿ حكاية ﴾

كان أحد الملوك الاسلاميين وهو في سفره له سمير يحادثه ويلقى عليه الملح والنوادر والفكاهات وكان لا يتكلم معه إلا بحكمة ، فينهاهما سائران إذ لمحا بناء . فقال له ماهذا البناء ؟ فقال هذا بيت عاتكة الذي قال فيه الشاعر :

يا بيت عاتكة الذي أنزل به حذر العدا وبه الفؤاد موكل

ولما كان من عادة الخليفة أن لا يسمع من هذا السمير إلا ماله حكمة قال في نفسه . يا عجبا ! لم قال هذا البيت ؟ إن الجواب يكفي فيه أن يقال بيت عاتكة فلم ذكر المسبب فسأل خواصه وندماءه هل هناك شيء يلاحظ بالنسبة لهذا السمير ؟ فقالوا نعم أنك وعدته وعدا فلم تنجزه ففطن الى أنه يشير الى قول الشاعر :

ولأنت تفرى ما تقول وبعضهم به ملق اللسان يقول ما لا يفعل

فأعطاه كل ما كان وعده به وأجاز له حسن أدبه

فما يشير له لفظ - عربيا - أن القرآن سيصير شرفا للعرب ولوفى أيام محنتهم . إن أبناء العرب اليوم أصبحوا أضعف من آباؤهم في الجاهلية من حيث السياسة ولكن شرف القرآن ألقى عليهم شعاعا وبارقة أمل نسعها أيام هذا التفسير وسيكون لهم مجد لأنهم الآن أخذوا ينفضون غبار الكسل والذل عنهم وهم مجتهدون وفي آية أخرى - وانه لكركك ولقومك وسوف تسألون -

يشير الله الى أن القرآن شرف للعرب ولقنبي <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> والى أننا مسؤولون عنه لأننا أرباب اللغة . إن ذلك توبيخ لنا في العصر الحاضر . يقول الله اذا كنتم اتم أبناء العرب فكيف تهربون من مجدم ؟ كيف يقوم أبناء الألمان المستشرقين الذين لا يبلغون ثلثائة فيقرهون تفسيره الكبير وهو تفسير الطبري المذكور . وأتم يا أبناء العرب تعرضون عنه . يقول الله القرآن عربي فأتتم يا أبناء مصر والشام والعراق والحجاز عرب فعليكم نشره . واذا كان أبناء أوروبا الذين هم ليسوا مسلمين يطبعونه وينشرونه أفلمستم أولى به ؟

وقد أخبرني السيد مصطفى الباني الحلبي الذي طبع ذلك الكتاب . قائلا : طبعت التفسير المذكور فلما أرسلته الى ألمانيا لم يجيبهم الفهرست فوضعوا له هم فهرستا آخر من عندهم . وأخبرني أخبارا كثيرة من هذا القبيل

لقد اطلعت على عجائب في أيام حياتي . ذلك أتى وجدت كثيرا من عظماء أمتي يحقرون الدين والعرب وكل شيء منسوب لآبائهم . لماذا ؟ لأنهم ظنوا جهالة أن الدين واللغة والانتساب للعرب هو الذي جعل الفرنجة يدخلون بلادنا . وظن بعضهم انهم باحتقارهم عادتهم وتقاليدهم وانهم يندمجون في الأجانب الذين دخلوا بلادهم يرتقون ولكن تغيرت الأيام وظهر في الشرق وفي مصر رجال غيروا الرأي وأخذت العقول تنشط ولكن الى الآن لم تصل الى درجة الارتقاء التي يفيدها قوله تعالى - قرآنا عربيا - فان صبغتنا العربية الآن محجوبة وهي تظهر قليلا قليلا وسيكون لها الشأن الأكبر قريبا كما قلت مرارا في هذا التفسير . إن التعبير بلفظ - قرآنا عربيا - يفيد بقاء اللغة العربية أجيالا وأجيالا لأن القرآن حافظ لشكل اللغة لمزم جميع الأمم العربية وغير العربية المختصة بدراسة الأمم العربية أن تقرأ النحو والصرف وما أشبههما وذلك الشكل يبقى مابق القرآن

والقرآن باقى الى آخر الزمان وهذا الموضوع مذکور فى أول سورة آل عمران وهناك ملخص رواية منقولة عن أحد الألمان ملخصها أن اللغة العربية هى التى تبقى بارزة الى آخر الزمان وهى التى تحفظ العلوم لأن جميع اللغات بعد مئات السنين تتغير تغيرا كبيرا واللغة العربية تبقى لأن القرآن يحتم أن تبقى هذه اللغة على حالها بخلاف لغات العالم كلها فهى فى تغير مستمر كما هو معلوم فى علوم اللغات . وقوله (بشيرا ونذيرا) أى للعالمين به والمخالفين له (فأعرض أكثرهم) لأنه لم يتدبره (فهم لا يسمعون) سماع تأمل (وقالوا قلوبنا فى أكنة) فى أغطية جمع كنان (مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر) الوقايله الثقل (ومن بيننا وبينك حجاب) يمنعنا من التواصل (فاعمل) على دينك (إنا عاملون) على ديننا (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما إلهكم إله واحد) لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى عنه ولست أدعوكم بلغة غير لغتكم فإذا صدكم عن الفهم فتقولون قلوبنا فى أغطية وآذاننا فيها قتل وتعرضون هذا الاعراض (فاستقيموا اليه) الى الله (واستغفروه) مما أتم عليه (ودليل للمشركين) من فرط جهالتهم (الذين لا يؤتون الزكاة) لبخلهم وقلة رافتهم على الخلق (وهم بالآخرة هم كافرون) لاستغراقهم فى طلب الدنيا فلا علم لهم بالآخرة فيرعون عن الانهماك فى المال فيعطونه للفقراء ولاشفقة تدفعهم الى الاحسان اليهم ، ثم ذكر أصدادهم فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى غير ممنون به عليهم أو غير مقطوع

### ﴿ ذكر بدء الخلق ﴾

قال تعالى (قل) يا محمد (أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) فى يومين (وتجعلون له أندا) أى ولا يصح أن يكون له ندى (ذلك) الذى خلق الأرض فى يومين : نوبة جعلها جامدة بعد أن كانت كرة غازية ومرة جعلها (٢٦) طبقة فى ستة أدوار ظاهرة فى علوم طبقات الأرض ، فجمودها نوبة ونظام طبقاتها نوبة (رب العالمين) لا ربه وحدها فهو مربي كل عالم ، فلئن رباها فى يومين فقد ربي غيرها فى يومين أو أكثر (وجعل فيها رواسي) جبالا ثوابت (من فوقها) مرتفعة عليها لتكون أساسها فى الأرض وهى الطبقة الصوانية التى تقدم الكلام عليها فى علم طبقات الأرض فى ﴿ سورة هود ﴾ وغيرها بمثابة حصن حصين فوق الكرة النارية التى هى عبارة عن الأرض كلها ، وهذه الطبقة التى هى أول ما تكون فوق الكرة النارية هى التى برزت منها الجبال ، فالجبال أساسها بعيدة النور ضاربة فى جميع الطبقات واصله الى أول طبقة وهى الصوانية التى لولاها لم تكن الأرض أرضا ولم تستقر عليها ، فهذه الطبقة أشبه بنظام الأجسام الحيوانية تكون حافظة للماعتات الداخلة من الطعام والشراب والشم وما أشبه ذلك ويسترها اللحم والظفر والشعر والعروق والشرايين والأوردة والشحم وغيرها ، هكذا كرة النار التى هى عبارة عن أرضنا غطيت بالطبقة الصوانية وفوقها طبقات أطف منها تكوّنت فيها الحيوانات والنباتات على مدى الزمان كما يتكوّن على أجسامنا وأجسام الحيوان الشعر والوبر والصوف ، فأما هذه الجبال فما هى إلا تتواتر تتأت من تلك الطبقة وارتفعت فوقها عشرات الآلاف من الكيلومترات ثم ارتفعت فوق الأرض وصارت مخازن للمياه والمعادن وهداية للطرق وحبسا للسحاب والهواء حتى تحفظه ولذلك عطف عليه قوله (وبارك فيها) أى وأكثر خيرها وذلك بالأنهار المتسدنة من الجبال المذكورة الحافظة من حيث أصلها للأرض أن تتبدد الخازنة لمائها ومعادنها كالذهب والنحاس والحديد (وقتر فيها أقواتها) أقوات أهلها . كل ذلك حصل فى يومين فيكون خلق الأرض وجعل الرواسي فوقها وأكثر خيرها وتقدير أقواتها من أنواع الحيوان والنبات كل ذلك (فى أربعة أيام) فهذا كالفلك لما تقدم استوى (سواء) استواء (للسائلين) أى الذين يسألون الأقوات وهو كل حيوان على وجه الأرض قال تعالى - يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى

شأن - فالتناس والحيوان كلهم سائلون ربه بما يحتاجونه من طعام وشراب ولباس ودواء وذلك السؤال طبيعي فيهم مفروس في جبتهم ، يسأل الحيوان كالفيلة والنحلة والنحلة والشاة والذئب الرب كما يسأل الانسان سواء بسواء ، فالفيلة تطلب قوتها فتجده والنحلة والعنكبوت والخنزير والكلب والشاة والذئب ، تطلب الشاة الطعام فتجد الكلاب ، ويطلب الذئب الطعام من ربه فيجد الشاة ، فقد أجاب السائل وكل يحبه ، وقد ألقى بينهم العداوة والبغضاء ليسوم الارتقاء للآكل والمأكل ، فالغزالة تهرب من الذئب فتعطي قوة ونشاطا لولا الخوف ما كانا وذلك يقويها ويرقيها ، والذئب يجوع وقد حرم عليه أن يأكل الحشائش فهو مضطرب أن يأكل الغزالة وهو هو الخيف المزعج لها ( وبعبارة أخرى ) هو الملقوى لمضلاتها لازعاجه إياها بصوته وحلاته فيغير على القطيع العظيم فيأخذ منه غزاة واحدة أو شاة واحدة ، ذلك أجرا فله لأنه كأستاذ يعلمهم علم القوة وتربية العضلات والحذر ويقوى القوى الخيالية ، وينال مكافأة على ذلك شاة واحدة من قطع يبلغ المئات من الشياه وربما يأخذ الضعيف الهزيل منها لضعفه عن الجري أولتاخره وما تأخر إلا لضعفه ويرجع الجوع من التعفن بتلك الجثث التي تقع فيه من الحيوانات ، فهذا من معنى قوله تعالى هنا - سواء للساكنين -

ثم إن الانسان يهتم بحال ماحوله من الأرض فلذلك قدم ذكرها وبين انها هي وما عليها قد كوتها في أربع نوبات : فنوبة لتجمد المادة الأرضية بعد أن كانت غازا ، ونوبة لتكميل بقية طبقاتها ويدخل فيها معادنها ، والمزتان الأخرين إحداها للنبات ، والثانية لعموم الحيوان ، ولما فرغ من الكلام عليها أخذ سبحانه يذكر السماء على سبيل الترتيب الذكري أى ان الأرض أولا في الذكر ( ثم استوى الى السماء ) أى قصد نحوها يقال استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه ( وهى دنان ) أى مادة غازية نارية أشبه بالدخان أو بالسحاب أو السديم وتسمى اليوم في العلم الحديث ( عالم السديم ) وقد شاهدوا من تلك العوالم اليوم ستين ألف عالم تبرز للوجود من جديد لانزال على الحالة السديمية كما نقلته لك من الكتب الفرجية في غير هذا المكان ، ورأوا أن من تلك العوالم ماهو في أول تكوونه ، ومنها ما قطع مراحل في تكوينه ، ومنها ما قرب النجم وهى عوالم كمالنا الشمسى التى نحن فيه ، وسيبرز للوجود كبرزت شمسا وسياراتها وأرضها وكانت فى الأصل دنانا وستستمر فى التكوين ومدتها نوبتان ، ونحن لانقدر أن نعرف كيف تكون النوبتان غاية الأمر أن نقول نوبة للبدية ونوبة للنهاية ويكون هذا القول من الجمل العامة وفائدته أن التكوين لم يكن فى لحظة واحدة لثلا يتطرق الى العقول انه كان كذلك فى الأصل بل يريد انه جار على الحكمة والنظام وقد كوّن فى غير نوبة وكفى هذا فى كتاب مقدس كالقرآن يقول انه خلق الأرض فى نوبتين وما عليها كذلك والسموات السبع كذلك . فهذه العوالم كلها التى شوهدت بالناظير المعظمة ستبرز للوجود فى نوبتين بثوبها القشيب كما برزت أرضنا وكوتت شمسا فى نوبتين إذ قصد الله اليها والى كل شمس من الشموس التى كشفت والتي لم تكشف وهى تعد بنحو خمسمائة مليون ، بل قدرها بعض الفلكيين فى هذه السنة بما يبلغ ألفى مليون ويقولون هذا قطرة من بحر العوالم المجهولة ، فهذه كانت عالما دنانيا فدورها وكورها فدارت آلاف آلاف من السنين ، ثم خرجت منها الأرضون والسيارات كما خرجت أرضنا وسياراتنا من شمسا أثناء دوراتها ثم برزت الأرضى التى قترت على الأقل بنحو ثلثمائة ألف ألف أرض أى ان تلك الأرضى الدائرة حول الشمس وحول أنفسها بردت قبل شمسها ( فقال الله لها ) أى لتلك العوالم السهاوية ( وللأرض ) أى جنس الأرض التى دارت حولها وهى مئات الملايين ( اتيا طوعا أو كرها ) شئنا أم أبيتنا ( قالتا ) أى السموات والأرضون ( أبتنا طامعين ) وهذا دلالة على الحركة المستمرة المعبر عن سببها بالجاذبية فهى حركة أشبه بحركة المشوق فهى تجرى جرى طاعة لاجرى قسر ، والدليل المشاهد على ذلك اننا نرى الجبال على أعلى قسرا فيأبى إلا أن ينزل الى الأرض بطريق الجاذبية ، فهو مجذوب الى الجسم الذى هو أكبر منه . هكذا

الأرض مجذوبة الى الشمس التي هي أصلها وهي حركة دورية بالطوع لا بالقسر لأن الحركة القسرية كرمي الحجر الى أعلى وهي سريعة الزوال . أما حركة الطاعة فهي الدائمة مادام اللطيف متخلقا بخلقه الذي هو عليه (فضاهن سبع سموات في يومين) أي توبتين دلالة على النظام والسير بالحكمة كما تقدم في خلق الأرضين ومن هذا يفهم كيف قال - فقال لها وللأرض - الخ ، ذلك للدلالة على أن حركة الاثنيان منها مصطحبة فينما ترى الأرض دائرة حول نفسها وحول الشمس ترى الشمس دائرة حول نفسها وحول شمس أكبر آلاف الآلاف منها ، فهذا هو السبب في ذكرهما معا أي انه قال لهما معا وأجاباه معا وحقيقة الأمر كذلك لأن الأرض لما كانت من ضمن الشمس كانت دائرة من جلة أجزائها ، فالقول كان لهما معا وهو الآن لهما معا ، وإنما قتم الأرض في الذكر على السماء للسبب المتقدم أولا ولأنها تم تكوينا بعد البرودة . وأما أكثر الشمس فلا يزال هناك زمن طويل حتى تبرد وتسير أرضين (وأوحى في كل سماء أمرها) شأنها وما يتأني جعلها عليه اختيارا . ثم ذكر ما هو أهم لنا فقال (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) فان هذا العالم الذي نشاهده وهو أقرب اليها الذي نراه مرصعا بالنجوم هو الذي نسميه السماء الدنيا ، ولواننا ارتفعنا الى بعض عوالمه لرأيناه سماء أخرى بكواكب غير هذه وهكذا الى آخرها ، فهو سبحانه يقول انه زين سماءنا الدنيا بهذه المصابيح المتلألئة المتوهجة ، ثم يقول (وحفظناها (حفظا) من الآفات ومن أن يدرك سرها من لا يتأهلون لمعرفةا (ذلك تقدير العزيز العليم) البالغ في القدرة والعلم . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة

### ﴿ لطيفة في قوله تعالى - وقدر فيها أوقاتها - ﴾

اعلم أن الله لما خلق الانسان قدر أوقاته متفرقة ، وأوحى كلالا الى كل بحيث ترى من يسكن بلاد آسيا يحتاجون الى أهل افريقيا ، وأهل افريقيا يحتاجون الى أهل آسيا ، وهذه الترية يراد بها التواصل طوعا أو كرها ، فتجد القطن بمصر وبأمريكا وكل الأمم في حاجة اليه . وترى النخل لا يكون إلا بالبلاد الحارة . وليس للبلاد الباردة فيه من نصيب . وترى التارجيل في الأقطار التي هي أشد حرارة . والبندق في البلاد الباردة . وهكذا جعل لكل قطر خاصية . وأوحى الأمم الأخرى كل منها الى بقية الأمم . وكلما ارتقت الأمم ازدادت الحاجات . وهذا في الحقيقة داعية الى التواصل والتعاطف طوعا أو كرها . فتارة يتاجر بعضهم مع بعض وآونة يتصلون بالسياحات . وطورا بالكتب والمراسلات . ووقتا بالبعثات العلمية . وساعة بالحرب والقتال وهكذا كل ذلك دلالة عملية أن هذا الانسان تقدير قوته بدفوه الى التواصل والتعاطف . وذلك بدعوى حيثما الى العلم فان تقدير الأوقات لما بحثناه وجدناه يدعو الى البحث عنه . ولا يبحث إلا بعلم . فامة الاسلام أصبحت ملزمة بانساع العلوم في كل آية من كتاب الله والا فكيف يقول - وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين - وقد تقدم بقية الكلام اه

### ﴿ القسم الثالث من السورة ﴾

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ • إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ • فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ • فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنَذيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ  
الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ • وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ  
فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَاتِقُونَ •

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (فان أعرضوا) عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم صاعقة) عذابا شديدا وقع  
كأنه صاعقة والصاعقة رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود \* إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم)  
أي أتوهم من كل جانب وعموا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الاعراض . أو أنذروهم وقائع الله فيمن قبلهم  
من الأمم وعذاب الآخرة . وقوله (أن) هي تفسيرية بمعنى أي (لا تعبدوا إلا الله قالوا) أي القوم (لوشاء  
ربنا لأنزل ملائكة) أي لو شاء ربنا إرسال رسل لأنزل ملائكة . وإذا كنتم أتم بشرا ولستم ملائكة (فانا  
بما أرسلتم به كافرين) لأنكم لستم على ما شرطناه وهو أن يكون الرسول ملكا فرسلتكم لا تؤمن بها (فأما  
عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق) أي فتعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون فوليتكم عليها بلا استحقاق  
(وقالوا من أشد منا قوة) اغترارا بقوتهم وشوكتهم (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) قدرة  
(وكانوا آبائنا يمجحون) يعرفون أنها حق وينكرونها (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة تهلك بشدة  
بردها (في أيام نحسات) جمع نحسة أي نكدات مشؤمات (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) أي  
عذاب الذل فيها والهوان في مقابلة استكبارهم في الأرض (ولعذاب الآخرة أخزى) أشد خزيا وهو اسناد  
بجazy للبالغة (وهم لا ينصرون) لا يدفع العذاب عنهم (وأما ثمود فهديناهم) فدللتناهم على الحق (فاستحبوا  
العمى على الهدى) فاختروا الضلالة على الهدى (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذى الهوان (بما  
كانوا يكسبون) من اختيارهم الشرك (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والمعاصي وهم صالح  
والمؤمنون . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة

### ﴿ لطيفة في قوله تعالى - فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة - الخ ﴾

جاء في بعض الروايات أن قريشا اجتمع ملا منهم وقالوا انصروا لنا رجلا علما بالشعر والكهانة والشعر  
فليكم محمدا وليأتنا لعرف ما الذي جاء به فقال عتبة بن ربيعة أنا لها ، فلما دخل على النبي ﷺ قال له  
أنت خير أم هاشم وعدد آباءه وقال : كيف تشتم آلهتنا وتصفه أحلامنا ، ثم عرض عليه المال والنساء والسيادة  
وأن يكف عن ذلك ، كل ذلك والنبي ﷺ ساكت ، فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ حم \* تنزيل  
من الرحمن الرحيم ، الى قوله « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة » فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم  
ثم رجع واحتبس ولم يخرج ، فذهب اليه أبو جهل في جماعة واتهمه بالحاجة للمال من النبي ﷺ لأنه صبا  
اليه فغضب من ذلك عتبة وحلف لا يكلم النبي ﷺ ولكنه قال أقول الحق ما هو بشعر ولا كهانة ولا ساحر  
وقص عليهم ماجرى وما سمع وقال اني خفت أن ينزل بك العذاب

وفي رواية أخرى انه وصل الى السجدة فسجد ثم قال أسمع يا أبا الوليد فأنت وذلك فقام عتبة الى آخر  
ما تقدم وقال يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت  
منه نيا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وأن يظهر على العرب فلنكسركم وعزكم وأنتم أسعد  
الناس به فاستهزؤا به ساخرين



## ﴿ القسم الرابع من السورة ﴾

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَقَالُوا لَوْلَا جِئِدْنَاهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ \* وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ \* وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* فَإِنْ يَصِيرُوا قَالِنَارٍ مُتَوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ \* وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْءَاءَ فَرِيضَتِهِمْ وَمَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالنَّفْوَاءُ فِيهِ لَمَلَكٌ تَقْلِبُونَ \* فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ \* ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُصْلَانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ \* تَرْوَاهُ مِنَ غَفُورٍ رَحِيمٍ \* وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا يُعْمَدُ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \*

## ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار) أي اذ كرم يوم يجمعون (فهم يوزعون) يساقون ويدفعون أو يجلس أولهم حتى يلحق آخرهم لكنرتهم (حتى اذا جاءوها) اذا حضروها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) وذلك بلسان المقال أو بلسان الحال الخاصة التي لا توجد في غيرها

من الممكنات فتكون فيها علامات وشواهد دالة على أخلاقها وأعمالها وآرائها ، وذلك عبارة عن سوائل روحية متباينة كل سائل يدل على خلق من الأخلاق لا يحجب واحد منها الآخر كما يكون في أنواع النبات والشجر وأصناف مختلفة ، وكما يكون في الهواء أنواع الأصوات والروائح ، فالعلم والحلم والنشاط وحب الناس لها سوائل جيدة والجهل والطيش والكسل و بغض الناس لها سوائل رديئة . وتلك السوائل الروحية ملازمة لأربابها مضايقة لهم مشقية أو منعمة لهم مفرحة . وتختلف الناس بتلك السمات اختلافهم في الدنيا بالألوان والأشكال والأصوات وخطوط اليد وخطوط الابهام بحيث لا يشابه أحد غيره ، هكذا الأجسام الروحية بعد الموت تكون على هذا المنوال لا تشبه نفس نفسا أخرى في أوصافها ، فهذه هي الشهادة التي تشهد بها أسماعهم وأبصارهم وجلاودهم ، وههنا يبدو التجبب منهم قولاً أو حالاً وهو المعبر عنه بالسؤال والجواب وهما (وقالوا لجلاودهم لم شهدتم علينا) سؤال توبيخ (قالوا أنطقنا الله) نطقاً لفظياً أو فعلياً وهما أوضح من النطق اللفظي (الذي أنطق كل شيء) فكل شيء يدل بلسان حاله دلالة أوضح من الدلالة اللفظية . انظر هذا المقام في سورة النساء فانك ترى الكشف الحديث مجرزة للقرآن . ثم قال تعالى (وهو خلقكم أول مرة) وفيكم دلائل واضحة تخطوط اليد والابهام والأصوات وألوان الوجوه وأشكالها وظهور آثار الأخلاق على الوجوه ، كل ذلك كان في خلقكم أول مرة ، وقليل من الناس من يفتن له (واليه ترجعون) وتلك العلامات أصبحت أشد ظهوراً عند رجوعكم إليه ، ولقد كنتم في الدنيا تستترون عن الناس خوف الفضيحة والعار عند ارتكاب الذنوب وما ظننتم أن أعضاءكم وجسمكم الأنثري الذي هو على صورة الجسم الظاهري قد سطرت فيه جميع أعمالكم كأنه لوح محفوظ لها فلذلك ما كنتم تستترون عنها بترك الذنوب ، وهذا قوله (وما كنتم تستترون) خيفة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلاودكم) لأنكم لم تكونوا علمين بشهادتها عليكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) أي ولكنكم اجترأتم على ما فعلتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم) مبتدأ وخبر ، وقوله (أرداكم) أي أهلكم خبر ثان (فأصبحتم من الخاسرين) إذ صرفتم ما منحتم من أسباب السعادة إلى الشقاء به (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) لا خلاص لهم منها (وان يستعبدوا فاهم من المعتبين) أي وان يسترضوا فاهم من المرضين ، أو يقال وان يسألوا العتي وهي الرجوع إلى ما يحبون فاهم من المجابين إليها (وقيضنا لهم) وقدرنا للكفرة (قرناء) اخوانا من الشياطين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا وشهواتها (وما خلفهم) من انكار الآخرة (وحق عليهم القول) كلمة العذاب حال كونهم (في أمم) في جملة أمم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد عملوا مثل عملهم (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لتلك الضمير لهم وللأمم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه) والفتوا فيه واللفظ كثرة الأصوات فكان يوصى بعضهم بعضاً بكثارة الكلام وهو يقرأ حتى يختلط عليهم ما يقول (لعلكم تغفلون) محمداً على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً) وهم هؤلاء القائلون (ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي بأسوأ (ذلك) أي الأسوأ (جزاء أعداء الله) مبتدأ وخبر هي (النار لهم فيها دار الخلد) يقيمون فيها (جزاء بما كانوا بآياتنا يمجحسون) ينكرون الحق (وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس) وهما نوعا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت أقدامنا) نجعلهما في الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) مكاناً وذكلاً انتقاماً ، ولما أنهى الكلام على قرناء السوء وانهم بعد المودة في الدنيا يكونون أعداء في الآخرة أعقبه بالقرناء الطاهرين الخبيرين فقال (إن الذين قالوا ربنا الله) اعترافاً بربوبيته (ثم استقاموا) في العمل مع الثبات على الإيمان والاخلاص (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت وعند الخروج من القبر ، ثم فسر ذلك فقال (أن) بمعنى أي (لا تخافوا) مما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم في الدنيا من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك

(وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) أي أنصاركم وأجباؤكم نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بخلاف الشياطين كما تقدم (وفي الآخرة) بالشفاعة والكرامة أما الشياطين فانهم يكونون أعداء الكفار (ولكم فيها) في الآخرة (ما تشتهي أنفسكم) من اللذات والكرامات (ولكم فيها ما تدعون) أي تمنونه حال كونه (نزلا) رزق النزيل وهو الضيف (من غفور رحيم) \* قال العلماء : وإذا كان هذا كله نزلا وهو ما يقدم للضيف فبالك بما بعده ، وأقول : إن اللذات البدنية مهما طال أمدها لانكفي النفس الانسانية ولا أمانى للنفس إلا العالم الروحاني ﴿ وبصارة أخرى ﴾ أن تصل الى لقاء الله تعالى وترقى فوق طبقات أهل الجنة وهو المشار اليه بقوله تعالى - ولدينا مزيد - وقوله - وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - فكان الصالحين يكونون في الجنة أمدا على مقدار استعداداتهم ثم يبرحونها الى ما هو أعلى منها وهو العالم الأعلى المسمى بطليين كما ورد « أريت الجنة فإذا أكثر أهلها البله وعليون لأولى الأبواب » وفسر الامام الغزالي البله بمن ليس لهم فكر في حب الله تعالى ، فهؤلاء يقفون عند الثواب الجسمي وليس عندهم شوق الى الامور الالهية ، فهؤلاء هم الصالحون الذين يصلون ويصومون لأجل لذات جسمية في الآخرة فينالونها ، ولكن هناك من هم أرقى منهم وهم عشاق العلم في الدنيا أي نظام هذه الدنيا ومحاسنها ، فهؤلاء اذا ماتوا طاروا في عالم الجمال وتركوا اللذات الحسية لمن لم يعرفوا هذا النعيم الأعلى . انظر اوضح هذا المقام في أوائل ﴿ سورة البقرة ﴾ ثم قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله الى عبادته (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال إني من المسلمين) فيعتقد قلبه الاسلام ويتلفظه (ولانستوى الحسنة ولا السيئة) في الجزاء وحسن العاقبة ، ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان والحسنة والأحسن منها متفاوتتان كذلك ، فاذا اعترضت سيئة وحسنة نغذ بالحسنة ، واذا اعترضت حسنة في دفع السيئة نغذ في دفعها بالتي هي أحسن ، فاذا أساء اليك رجل فليس طريقه أن تسيء اليه وهناك حسنتان : العفوه عنه ، والاحسان اليه ، والاحسان أحسن من العفو نغذ به ، فاذا ذمك فلا تكف بالعفو بل امدحه وهكذا (فاذا الذي يينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الجيم مصافاة لك (وما يلقاها) أي يلقي هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان (إلا الذين صبروا) على تحمل المكارة وتجزع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس (واما ينزغك من الشيطان نزغ) النزغ يشبه النخس ، والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه أي يبعثه الى ما لا ينبغي أي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعد بالله) من شره ولا تقعه (إنه هو السميع) لاستغاثتك (العليم) بينك وملاحك . ثم التفسير اللفظي للقسم الرابع

### ﴿ القسم الخامس من السورة ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ  
الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ • فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ  
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ • وَمِنْ آيَاتِهِ أَنك تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا  
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِن الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • إِن الَّذِينَ  
يُلْعِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُؤْتَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ • إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ كُرْهُ لِمَا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ  
 عَزِيزٌ • لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ • مَا يُقَالُ  
 لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ • وَلَوْ جَعَلْنَاهُ  
 قُرْءَانًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ  
 وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ • وَقَدْ  
 آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَيْتَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ  
 لَنَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ • مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ  
 لِلْعَبِيدِ • إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنَ تُمُرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا  
 تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ • وَصَلَّ عَنْهُمْ  
 مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنَ نَجْوَى • لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاةِ الْخَيْرِ وَإِنْ  
 مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْتَوْسِقُنُوطٌ • وَلَنْ أَدْفِنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءِ مَسْنَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي  
 وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا  
 عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ • وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا  
 مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاةٍ عَرِيضٍ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَصْلُهُ  
 يَمُنُّ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ • سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ  
 الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ • أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا  
 إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ •

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لانسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنهما مخلوقان  
 مثلكم ، وقد تقدم الكلام بالاسهاب على هذا وما قبله عند تلخيص تفسيرها في أول هذه السورة ، وقوله  
 (واسجدوا لله الذي خلقهن) الضمير للأربعة (إن كنتم إياه تعبدون) ولاجرم أن السجود أخص أنواع  
 العبادات ، فمن سجد لشمس أو قمر ظانا انه يتقرب الى الله فهو في ضلال (فان استكبروا) عن الامتثال  
 (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) دائما (وهم لا يسلمون) لا يعلمون وقد تقدم  
 ذلك فارجع اليه إن شئت (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة متطامنة (فاذا أنزلنا عليها الماء  
 اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير) فيكون

فادرا على البعث (إن الذين يلحدون في آياتنا) يملون عن الحق في أدلتنا بالطعن (لا يخفون علينا) وعيد لهم على تحريفهم القرآن عن جهة الصحة وطعنهم (أمن يلقي في النار خيرا أم من يأتي آمنا يوم القيامة) تمثيل للمؤمن والكافر (اعملوا ما شئتم) نهاية في التهديد (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم (إن الذين كفروا بالذكر) بالقرآن بالطعن فيه وتحريف تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم يعذبون (وإنه لكتاب عزيز) كثير النفع عديم الظهور محيى بعناية الله (لا يأتية الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) بوجه من الوجوه (نزول من حكيم حكيم) مستحق للحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار مكة ونحوهم (إلا ما قد قيل للرسول من قبلك) أى إلا مثل ما قيل الخ من كلمات جارحة ومطاعن (إن ربك لذو مغفرة) لأوليائه (وذو عقاب أليم) لمن هم أعداؤهم ، ولما قالوا لماذا لم ينزل القرآن بلغة الجحيم قال الله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته) بينت بلسان فقهه (أعجمي وعربي) أى أكلام أعجمي ومخاطب عربي (قل هو الذي آمنوا هدى) الى الحق (وشفاء) لما في الصدور من الشك والشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ هو (في آذانهم وقروهو عليهم همي) أى صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا تتفاح لهم به (أوئك ينادون من مكان بعيد) فهم لعدم قبولهم الحق أشبه بمن ينادون من مكان بعيد للإيمان فلا يسمعون لبعد المسافة (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) ما بين مصدق ومكذب (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي فصل الخسومة يوم القيامة (لقضى بينهم) بأهلك المكذبين (وانهم) أى الذين لا يؤمنون (لنفي شك منه) من التوراة أو القرآن (مريب) موجب للاضطراب (من عمل صالحا فلنفسه) نفعه (ومن أساء فعليها) ضره (ومار بك بظلام للبعيد) فيعذب غير المذنب (اليه يرد علم الساعة) أى إذا سأل سائل عنها يقال له لا يعلم وقت قيام الساعة إلا هو والخلق محجوبون عن معرفة ذلك ، ثم أشار بطرف خفي الى نظام يوم القيامة وجزء الحسن والمسيء ليكون علما للمستبصر فقال (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) جمع كم بالكسر (وما تحمل من أثنى ولا تضع إلا بعلمه) إلا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ، فكما أن الثمر لا يخرج من الاكمام إلا وهو عالم به وأن حمل الحامل ووضعها لا يكون إلا بعلمه هكذا لا تكون الساعة إلا بتقديره ومشيئته وكما أن الثمر نتيجة الشجرة وعلى مقتضاها والولد يكون نتيجة أحوال الوالدين جسما وحالا غالبا هكذا تكون النفوس المنسلة من الأجسام الأرضية هناك على مقتضى ما كانت عليه في الدنيا - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وكان هذا العطف أفادنا بطرف خفي أن الناس يوم القيامة على حسب أحوالهم في الدنيا كالثمر على مقتضى شجره والولد على مقتضى أبيه ، وعلى هذا تكون العوالم كلها متوافقة في نظامها متسابقة الى حسن النظام والتأثير الخاصة بها ، فاذن يكون العالم كله راجعا لمبدأ واحد لأن النظام الواحد مدبره واحد ، ولذلك أعقبه بقوله (ويوم يناديهم ابن شركائهم) بزعمكم (قالوا آذناك) أعلنناك (بما كنا من شهود) من أحد يشهد لهم بالشرك ، وذلك أنهم لما رأوا العذاب تبرؤا من الأصنام (وضل عنهم) ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل وظنوا ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان من دعاء الخبير) من طلب السعة في النعمة (وإن مسه الشر) الضيق (فيؤس) من الخبير (قنوط) من الرحمة (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) أى وإذا أحلنا الصحة محل المرض والغنى محل الفقر قال ان هذا حتى استوجبته بأعمالي وهو لا يزول عني بل هو دائم (وما أطق الساعة قائمة) أى ما أظنها ستقوم (ولئن رجعت الى ربي) كما يقول المسلمون اليوم (إن لي عنده للحسنى) أى الحال الحسنى والكرامة والنعمة ، فإذا كان الله أعطاني نعمة فهو يوم القيامة يوليئني كرامته (فلنبتين الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفترون عنهم (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن النعم وبطرا النعمة ففسى الشكر (ونأى بجانبه) تباعد عن ذكر الله ودعائه

وتكبر وتعظم ، والجانب المكنان والجهة فنزلت منزلة نفس الانسان كما تقول كتبت الى جهة فلان والى جانبه العزيز أى ضه ، قوله - نأى بجانبه - معناه نأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فندودعاء عريض) كثير أى يقبل على الدعاء والابتهال والتضرع (قل) يا محمد (أرايتم) أخبروني (إن كان من عند الله) أى القرآن (م كفرتم به) من غير نظر (من أضل) ممن هو فى شقاق بعيد) أى من أضل منكم وجواب الشرط محذوف دل عليه الاستفهام أى فأتتم ضالون وإنما لم يقل منكم بل ممن هو فى شقاق بعيد أى خلاف للحق بعيد عنه لبيان حالهم وتقريرهم من غير مواجهة بالخطاب (- فريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا وظهور العلوم فى العالم الانسانى ، وكشف ما كان مجهولا فى البحر والبر ، وتحليل المركبات الى عناصرها وظهور مخبئاتها وانها مركبات بحسب لاخلل فيها كما بينا فى القرآن إذ قلنا - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - وقلنا - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقلنا - وكل شئ عنده بمقدار - وقلنا - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقلنا - والسما رفعا ووضع الميزان \* ألا تظفوا فى الميزان - وقلنا - إن الله سريع الحساب - وهذه كلها ستظهر لكم أيها الناس فتعلمون أن هذا القرآن حق . أقول : قد ظهر هذا كله اليوم وعرفنا أن النبات بحسب فى عناصره الداخلة فيه وكذا الحيوان وهكذا حركات الكواكب والمسافات التى بين كل كوكب وآخر ، كل ذلك ظهر فى العلم اليوم وكله مجزة للقرآن إذ قال الله - سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وهكذا خاطب الأموات الأحياء وكلوهم وتعارف الأحياء والأموات وفهم كل الآخر ، كل ذلك مجزة للقرآن ، وهكذا نظر الناس علم تشريح الحيوان وتشريح الانسان ونظام النبات ، كل ذلك على وتيرة واحدة - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين - فانك لا تجد خلا إلا عند الجاهلين ، فهذه العلوم التى ظهرت فى العالم الانسانى يجب على العقلاء أن يدرسوها (حتى يتبين لهم أنه) أى القرآن (الحق أولم يكف بربك) أى أولم يكف بربك أى ألم تحصل الكفاية به ثم أبدل منه قوله (أنه على كل شئ شهيد) أى محققه فيصقق أمرك باظهار الآيات الموعودة أى ألم تكفهم شهادة ربك على كل شئ أى ان هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق والأفئس سيرونه ويشاهدونه فيقيدون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب (الإنهم فى صرية) فى شك (من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط) عالم بجمل الأشياء ومفصلاتها . انتهى التفسير اللفظى للقسم الخامس من السورة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ لطائف هذا القسم ﴾

- (١) فى قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - وقوله - اليه برد علم الساعة وما نخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه -
- (٢) فى قوله تعالى - لا يسأم الناس من دعاء الخبير - الخ
- (٣) فى قوله تعالى - سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - الخ

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى إزال الماء من السماء . وانبات النبات ، وإخراج الثمرات ، ووضع الحملات أطفافق ، مع قوله تعالى - اليه برد علم الساعة - )

(١) اعلم أن المواد المعدنية والنباتية والحيوانية لاتنمو ولا تعيش إلا فى الظروف الخاصة بها ، فإذا لم تكن الظروف الموافقة فاتها تبقى فى حالة لاتغير فيها ولا تنمو ولا حياة ، ومتى لامت الظروف اندفعت ذرات العناصر

وتقاربت ونجاذبت ونجابت ، وبتربكها مع بعضها تنشأ هذه الجباب المنظورة والبدائع المسطورة والزهر والشجر والحداثي والجنات والأعشاب والأنعام والفزلان والآساد والفؤبان ، فغري النبات بما يعنوره من الحرارة والنور والرطوبة واليبوسة يهب ويرفع نارة مسرعا وأخرى مبطئا ، كل ذلك لخوزه ما يلائمه أو فقده ذلك وهذه قاعدة مطردة كانت قديما وتبقى الى آخر الزمان واتقطع الدهر وزوال العصور

(٢) يستنتج من ذلك أن مادة الحياة الأولى انما جاءت من تجميع البسائط التي لامتتها الظروف والأحوال

(٣) تركيب العناصر والمواد التي على وجه الأرض يحصل بثلاث طرق كل واحدة أقل مما بعدها وأرق

مما قبلها **( الطريقة الأولى )** أن تركيب العناصر تركيبا خاليا من صناعة الكيمياء ونظامها كما تركيب الأشجار في الجبال فان تركيبها من عناصر ليس على نظام كيمائي ولا نظام حيواني إذ ليس هناك قانون الكيمياء ولا قانون الحياة ، وذلك كحجر الجير المسمى أيضا بحجر البناء وهو كتل مختلفة الحجم ولونه أبيض أو سنجابي أو محمر وله أسماء مختلفة فيقال (دبش) و (دقشوم) وهذه الأحجار مكونة من كالسيوم وأوكسجين ، والكالسيوم فلز ذولعنان أصفر يتغير بسرعة في الهواء الرطب ، وإذا سخن على صفيحة من البلاطين يحترق بلهب شديد اللعان وهو يحلل الماء على الدرجة المعتادة ، فهذا الفلز وهو الكالسيوم مع الاكسجين يكون مخلوطا بالرمل والطفل (بفتح الطاء) وأوكسيد الحديد وكر بونات المغنسيوم ، فهذه الأشجار جميعها تكون مخلوطة بتلك الأجسام ، فاذن هذا ليس تركيبا كيمائيا بل هو أمر اتفاق لا قانون له كما بيني الناس بيوتا بمواد مختلفة **( الطريقة الثانية )** طريقة التركيب الكيمائي **( مثال ذلك )** البوتاسا الكالويه وهي عبارة عن مركب من البوتاسيوم والاكسوجين والايديروجين والكالسيوم والكربون ، فيكون ثلاثة أجزاء من الاكسوجين وجزء من الكربون ومثله من الكالسيوم واثنتان من البوتاسيوم وجزء واحد من الايديروجين فهذا المركب على هذا النظام يسمى مركبا كيمائيا ، فهذه الأجزاء تفتل فيحصل الاتحاد بغيرها ثم تروق وتصفى وتسهل بسرعة وبعد التصعيد تصهر في جفة من الفضة وتصب على سطوح من الرخام أو في قوالب معدنية وهو في حداته يكون قطعاً بيضاء معتمة ، فالتركيب من هذه الأجزاء الخمسة يصبح جسماً جديداً قد عدم جميع صفات الأجزاء التي تركيب منها فلا نجد للكربون والكالسيوم والبوتاسيوم أثراً في هذا الجسم الجديد بخلاف ما تقدمت في حجر الجير فانك تجد الفترات الرملية والفترات الطفلية وهكذا حافظه خواصها . فهذا هو الفرق بين الأول والثاني **( الطريقة الثالثة )** طريقة الحياة النباتية والحيوانية . هأنذا أيها الذكي قد تبين لك كيف كان المركب العادي قد حفظت أجزاءه خواصها والمركب المعدني قد فقد المركب فيه خواصه وأصبح عالماً جديداً بخواص جديدة تخصه . فانظر الآن فيما أقصه عليك وتأمل في هذه الأرض التي نعيش عليها . نعيش عليها ونحن لانفكر في أقرب الأشياء إلينا . أقرب الأشياء إلينا حياتنا وحياة النبات والحيوان . فإذا أخذنا الاكسوجين والايديروجين والاوزوت والكربون أعني إذا أخذنا مقادير من هذه الأربعة التي عليها العماد في تركيب كل نبات وحيوان وانسان أي ان كل شيء لابد من أنه يتركب منها مع اضافة عناصر أخرى أو أملاح وجعلنا هذه المقادير مع بعضها بلانظام كانت أشبه بتركيب حجر الجير فيما تقدم . وإذا ركبناها بطريق كيمائي بنظام تام وأجزاء ثابتة أصبحت لها صفة جديدة وفقدت خواص الأجزاء الأولى ولكن هل يمكنها أن تنمو وهل يمكنها أن تنحس وتنحرك . كلا . مم كلا . فليتركب الكيمائيون ماشاؤا فانهم لا يقدررون أن يخلقوا ورقة واحدة ولا دودة ولا زهرة . فعلماء الكيمياء أولئك الذين يركبون العناصر بنظام تام على قوانين خاصة لا يقدررون أن يذروها عاجزون جميعا عن إحداث حال جديدة للمركب بها يحس أو بها ينمو أو يتحرك إذ ان فلنبحث عن الحياة

### ﴿ الحياة سرّ سار في المادّة الأصلية للكائنات ﴾

لقد تعلم أيها القارئ أنّ المادّة تنوّع إلى نور وإلى حرارة وإلى كهربائية وإلى مغناطيسية . هكذا تنوّع إلى قوّة حيوية وهذا التنوّع سرّ لا يدركه الناس فهو أسرى يسرها وقاهر يقهرها بنوعها تنوّعات مختلفات . فما مثل الحياة إلا كمثل من رمى حجرا إلى أعلى فارتفع إلى الجوّ ولما بطلت القوّة الرافعة له التي استمدّها من الرمي كرت راجعا إلى الأرض . هكذا كل نبات وكل حيوان وكل إنسان فتكسب النطفة في الإنسان قوّة وسرا يعطيها حياة فتأخذ في الارتقاء والنمو . وهناك تكوّن في الجسم عمليتان : عملية الهدم وعملية التجديد ففي أوّل الحياة تقوى عملية التجديد على عملية الهدم كما يقوى الحجر وهو صاعد على مقاومة الجاذبية . فإذا بلغ الإنسان أشدّه تعادلت القوتان ثم تغلب قوّة الهدم على قوّة التجديد فيأخذ الجسم في الانحطاط والرجوع إلى الوراء فيصير هرما فيموت ، فاللوت إذن ناجم من نفاذ القوّة الحيوية كما نفدت القوّة الرافعة للحجر فهبط وليس الموت من أجل تلف الأعضاء وضعف وظائفها بل المسبب الأصلي للموت هو نفاذ القوّة الحيوية يتبعها ذلك الضعف ، فالضعف تابع لأصل ، ولو بقيت القوّة الحيوية بحالها لأمكن أن تقوم بالتجديد باذن الله تعالى

### ﴿ كيف بدأت الحياة ﴾

بدأت الحياة بمادّة هلامية في قعر البحر كشفها العلماء وسموها (بروتوبلازما) وهي مادّة رخوة لزجة تصيب كل الاشكال بسهولة ، ومتى تكاثفت كانت منها (حويصلات) جمع حويصلة ويقال لها (القلالي) فالحويصلة الواحدة تنقسم إلى قسمين وكل قسم إلى قسمين وتصبح هذه الحويصلات الجديدة متمتعة بحياة ونمو كالخويصلة الأولى ، والأسهل أن نسميها أيضا جمع بيضة كيضه السباحة تسهلا لفهم ، فكل نبات وكل حيوان وكل إنسان في الأصل بيضة واحدة تنقسم إلى قسمين كل منهما يصير بيضة وهكذا هاتان تنقسمان ويتردد الاقسام ويصبح كل قسم بيضة كاملة تامة الحياة تنفذى بغذاء خاص ، فكل نبات تراه وكل إنسان تراه وأنا وأنت أجسامنا عبارة عن بيضة انفلقت فصارت بيضتين كل منهما كالأولى وهكذا ، وفي أثناء الاقسام صار لنا العين والأذن والقلب والشعر وصار للنبات الزهر والورق والفروع وصار للحيوان الناب والظلف والظفر والقرن والأرجل وهكذا . هذه صورة الحياة على وجه الأرض

### ﴿ صورة ارتقاء الحياة على الأرض ﴾

إن الحياة على وجه الأرض سلسلة غير منقطعة كما قال الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فالنبات عبارة عن البروتوبلازما وقد تكوّنت فصارت بيضة فاجتمعت البيضات فكان النبات والنبات يولد ويحيا ويموت ويفتدى ويتناسل وهو محتاج إلى النور والحرارة والماء وتقتله المواد السامة وينفس وفي بعض أنواعه إحساس . ثم إن النبات من أعلاه متصل بالحيوان فإن نوع النوفيت يربط الحيوان بالنبات فهو على شكل النبات لثبته بالأرض ولكنه حيوان وبيده الاخطبوط الهلامي وهو لا يمتاز عن النبات إلا بإمكان التنقل وله معدة وبعض ظواهر الأعصاب وليس له نظر ولاشم ولاسمع . وبعد ذلك الهيدان وهو أقوى وأقرب وأكمل أعضاء من الاخطبوط . ثم الحلزون والبزاق وذوات الأصداف التي ليس لها فقرات . ثم الحيوانات القشرية التي لها قشر كسرطان البحر . ثم عقرب البرّ وله سم وبصر وله أعصاب عقدية . وبتلك الأعصاب تكون حركة الغذاء ودورة الدم . ثم ذوات الفقرات كالسمك وله دماغ ونخاع شوكي . ثم الدبابات الأرضية . ثم الطيور وأتائها تبيض . ثم ذوات الثديين . ومنها ذوات الكيس وهي تحمل فيها صغارها وهي توجد الآن في استراليا . وهكذا ترتقى الحيوانات حتى تصل إلى القرد ثم الإنسان فهذه هي السلسلة التي نظمها الله عزّ وجل من أدنى إلى أعلى . فبينما تكون الحياة مادّة رخوة في البصر



إذا هي قد ارتقت في النبات من أدناه مرتقية الى أعلاه . وفي الحيوان الأدنى مما يلي النبات وترتقي فيه الى أعلاه حتى تصل الى الانسان . ومعنى هذا أن هذه العوالم أشبه بعقد منظم موضوعة خرازته بنظام مهندم . وليس معنى هذا أن كل خوزة ولدت الخوزة التي بعدها بل معناه أن الذي نظم هذا أحسن صنعه ولم يدع في العقد موضعا خاليا ، فأما كون هذه الخوزة قد انتجت ما بعدها فليس ذلك معلوما بل قال به قوم ولم يقم الدليل عليه الآن ، وهذا لا يهم الباحث إنما المهم النظام والجمال

### ﴿ خلق الانسان ﴾

وهنا وصلنا الى مقصودنا من تفسير الآيات ، فها أنت ذا اطلعت على نظام النبات إجمالا وكذا الحيوان وانظر قوله تعالى - وما تخرج من ثمرات من أكمامها وبأحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - أأنت ترى أن الأكام التي على الشجر والحمل التي في رحم المرأة عبارة عن تلك المادة الطلامية مضاعفة أضعافا مجتمعة ، فتأمل كيف كان اجتماع تلك البيضات التي لا عدد لها متبها بفوائد متحدة أي كيف كانت نتائج الأشكال النباتية ملائمة لنتائج الأشكال الحيوانية وانها مناسبة لها غذاء ودواء . ثم كيف كان هذا الانسان إذ كان أرقاها يود أن يستولى عليها عقليا وعمليا ، فهو مغرم بمعرفة كل نبات وحيوان وبحوز كل منهما . إذن انظر في تركيبه في بطن أمه . انظر كيف كان خلقه تدريجيا لاطفرة . يقول الله تعالى - اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الانسان من علق - . وانظر كيف رأى العلماء انه يكون دودة صغيرة وهي العلقة المذكورة ثم حلزونة ثم سمكة ثم ذبابة ثم قردا ثم تنواري ذنبه ويصير انسانا . فالهودة والحلزونة والسمكة والنبابة والقرد هي التي أشار لها الله تعالى فقال : - ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة - أي مسواة وغير مسواة ، فاقبل الانسانية هي غير المسواة ، والانسانية هي المسواة ، واعلم أن هذه الصور التي رآها العلماء ليست يقينية بل هي تخمينية (انظر هذا المقام في سورة آل عمران)

وانما المهم في هذا المقام أن تفكر في أمر حياتنا فانها في أول أمرها بيضة تصلح للنبات والحيوان ثم ترتقي فتصير حيوانا ثم تصير انسانا

هذا درس ألقاه الله الينا . يقول لنا : أنا لم أخلقكم لأهينكم بل أنا أرقبكم . ففي أمد قصير ارتقيتم في بطون أمهاتكم درجات كثيرة وهي النباتية والحيوانية . فاذا عثتم على وجه الأرض رأيتم الحيوان خاضعا لكم . ثم أنزلت عليكم علوما وقلت لكم إن لي ملائكة ولي عرش وعالم أرواح وبعث الى آخره . فاذا تم فاعلموا أن العوالم التي تصالون بها عظيمة جدا لا تقاس بعالمكم . فألى ردة علم الساعة لا يغري لأنها عوالم لا تعلمونها لأنكم لم تروها ولا تدركون زمانها إذ جعلته مجهولا عندكم لحكمة أردتها ونعمة قصدتها . ألوان خروجكم من أجسامكم الأرضية كخروج النور من أكامه والولد من بطن أمه . فكلاهما نتيجة لما خرج منه وقد انتهى الى عوالم لم تخطر بباله فهل كان التفاح بشرانه يكون على موائد الملوك أو كان الجنين في بطن أمه يدور بخلده انه يوما ما يكون ذا ملك عظيم ويذهب ويحسى في الأرض ويركب الخيل ويدبر الامور . هكذا حياتكم بعد موتكم تكون في عالم نسبتته الى أرضكم كنسبة الدنيا الى بطن الأم هذا اذا كانت النفوس عظيمة . فأما النفوس الضعيفة فاما تكون هناك عمياء أشبه بالطفل الأعمى الأصم في الأرض فتكون السعة هناك على مقدار درجات الأرواح العائشات هناك . وبهذا تم الكلام على اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين



## ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( في قوله تعالى - لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشرّ فيؤس قنوط - )  
 هذا بيان لحال الانسان اذا لم يتوق العلم والدين عقائده وآراءه . إن الناس قبل أن يهذبوا ويربوا متى أصابهم الشرّ أخذوا يقلقون ويضطربون ويندبون حظهم ويمحزون ويأسون من روح الله ، ويظنون أنه لا فرج لهم ولا عزّ لهم ، وأنه قد أقفلت في وجوههم أبواب الفلاح والنجاح ، فاذا سكن جأشهم وخف حلمهم ورجعت اليهم عقولهم أخذوا يدعون ويتضرعون ويلجئون أن يعطيهم الله تعالى الفنى والسعة ، فاذا أجيئوا الى دعائهم وأعطوا نعمة نسوا ما كانوا فيه من الضيق وظنوا أن تلك النعمة دائمة لهم لا تفارقهم وهم أحقّ بها بل ربما ظنوا دوامها وأنكروا الآخرة لأن النعم أبطرتهم واللذات أسكرتهم  
 فهذا الانسان أمره عجيب ، يسلب النعمة فيضطرب ويكون مسلوب اللب يائسا حزينا . ثم اذا خفّ الأمر عليه دعا الله . فاذا كثرت النعم أصبح أعمى عن الحقائق ناسيا ربه طائفا أن ماله من الصحة والمال والمنصب والقوة دائم وهذا من غفلاته وجهالاته . وليس يخرج الانسان من هذه الجهالة العمياء إلا التذكر والتفكير ودرس العلوم والحكمة والصبر حتى يعلم الانسان أن النعمة والنقمة كل منهما درس له . فكل حال من أحوالنا دراسة لنا . فكما ندرس أطوار حياتنا في الرحم وفي الحياة الدنيا وندرس الحيوان والنبات يجب أن ندرس ما يحيى به الله لنا من المسكاره والنعم لننظر ما فائدة ذلك لنا لأننا نياأس ثارة ونغترّ أخرى فان ذلك فعل الذين عاشوا كالحیوان لا يفكرون ولا يعقلون . انتهى الكلام على اللطيفة الثانية

## ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - )  
 لقد أشبعت الكلام على هذه الآية فيما تقدم . ولكن أقول لك الآن ان هذا الزمان أخصّ الأزمنة بهذه الآية وأولهاها  
 لتعلم أيها النكّي أن هذا زمان الانقلاب . ان الله قد كشف العلوم وأظهر الجباب في جميع أنواع الحكمة والمسلمون لا يعلمون . يقول الله هنا - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - . أنت قرأت في التفسير الى هذا المقام واطلعت على ما أبدعه الله في هذه الدنيا وعلى العلوم التي أبرزها في الأرض وأن ماني هذا التفسير خلاصة العلوم وجاها وبهجتها وحكمتها ولن تراه مجموعا في كتاب . هو خلاصة علوم هذه الكرة وثمرتها . ففيه من كل فن وكل علم وكل حكمة . أفلمت ترى بعد هذا انك قد اطلعت فيما تقدم من هذا التفسير على تفسير هذه الآية أعني انك قد قرأت فيه معنى هذه الآية . فاذا سمعت الآن قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - . أفلمت تقول نعم قد تبين لي أنه الحق وأن الله حقق ذلك . وليس معنى هذا أن تقول إني آمنت بالله ورسوله فالإيمان أمر يشترك فيه الجاهل والعالم وإنما أقول انه قد تبين لك أن هذا الدين حق واني واثق انك ستقول نعم . أقول لك : إذن أصبح دين الاسلام ليس هو الذي يعرفه العامة بل هو دين الحكمة والعلم ودين الفلاسفة أى انه هو الدين الذي لما ظهرت العلوم الحديثة كانت مبنية حقيقته . واذا كان كذلك فأنت صرت شريكى في العمل أعني انه حرام عليك أن تنام . قم أيها النكّي وقل للمسلمين اقرأوا العلوم وادرسوها حتى تقوموا بنصيبيكم من إسعاد الأمم فانكم الآن عالة على أوروبا . ادرسوا العلوم وأقيموا الحق فان هذا هو الزمان الذي أظهر الله فيه سرّ كتابكم وقد قال لكم - حتى يتبين لهم أنه الحق -

فقل للمسلمين إن الاقتصار على قراءة حديث « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الخ » عار عليكم فلا تقتصروا على ظواهر الدين بل ادرسوا حقائق الكائنات يقول الله لكم - سنبريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهل رأيتم ذلك ؟ كلا . لا تزونها إلا بدراسة . فليدرس المسلمون كلهم على قدر استطاعتهم ليجتوا . والله يسأل يوم القيامة وعند الموت من يقرأ هذا التفسير ولا يقوم هو مستقلا بالعمل لرقى الانسانية

أيها المسلمون : أتم خلفاء الله في الأرض ونبينا خير الأنبياء ونحن خير أمة أخرجت للناس . وهذه العلوم يجب علينا أن ندرسها . وهذا التفسير وأمثاله جاء في وقت انتقال الأمم من حال إلى حال والمسلمون سيأخذون دورهم وأنتم حتما تأخذون دوركم فإن لم تقوموا به طوعا قهره كرها . وهذا التفسير وأمثاله تنبيه وانذار للأمم الاسلامية . وسيقرؤه النبهاء فيهم بشوق . فإن لم يوقفوا الأمم الاسلامية بأقوالهم وأفعالهم فليعلموا أن الله قد أعد العدة لكل متعاص عن العمل من الأمم والأفراد . وسينزل غضبه على كل عالم لا يعظو على كل أمة متعاصفة متقاعد - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ، وكل من حض المسلمون على ما ذكرنا من الحكمة والعمل فله أجر المجاهدين . ومن ترك ذلك فهو من المتقصرين

إن ورود هذه الآية في هذه السورة الواردة في أواخر القرآن لما يدعو إلى الحب فإن القارئ لما قبلها من السور ، المطلاع على ما حوت من بدائع الحكمة في الأفض والآفاق يقر إذا وصل إليها بأن القرآن يدعو إلى علم الأفض والآفاق . فاذن تأخرها إلى الربع الأخير من القرآن بل الخمس الأخير منه لهذه الحكمة العجيبة ألا وان هذا هو الزمان الذي سيرقى الله فيه المسلمين . فطوبى لمن بدر من العاملين . وبشرى لمن كان من المبشرين الموقظين . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين (٢٦) رمضان سنة ١٣٤٣ هجرية

### ( تذييل لتفسير هذه السورة )

( وفيه ثلاثة فصول )

( النصل الأول في إيضاح الكلام على قوله تعالى - إليه برّد علم الساعة - )

بعد أن أتمت الكلام على هذه السورة خطر لي ليلاً أن ألحقها بهذه الجواهر الثلاث فلم أذاع الخطر لأني رأيته خاطر خير . فهذه الأولى في ردّ علم الساعة إلى الله تعالى مع ذكر الحمل والوضع والخمر والأحكام سبحان من أبدع هذه الدنيا وأحكم نظامها . تأمل رعاك الله في الهرم المسكون والياقوت البديع . انظر كيف جعل للانسان هذه المراتب وهو جنين . ينقل مراتب في الرحم . فمن دودة صغيرة وهي العنقة إلى قوقعة إلى سمكة وهكذا حتى يصل إلى هيئة القرد فهية الانسان

ظنّ المشرّحون وعلماء الأجنّة اليوم أن تلك هي الأدوار التي مرّ عليها وهم بذلك يوضحون نظامه ، يمرّ الانسان على هذه الأدوار وتكون نفسه في تلك الأدوار مشاكلة لنفوس تلك الحيوانات ولكنها تمرّ عليها مسرعة ثم تقفز قفزة فتكون إنساناً ، فإذا رأينا الطفل يداعب الهرة ويحب الحمامة ويلعب بالعصفور فذلك لأنه كان بالأمس مثلها . إن المدرّس لا ينجح في تعليم تلاميذه إلا إذا مرّ على أدوار التعليم وكان تلميذاً فيمكنه أن يمثل أدوار التعليم كما مثل أمامه . إن الله لم يجعل في الأرض عظيماً في علم أوفى مال أوفى ملك إلا إذا مرّ على الأدوار المنحطة وارتقى منها فعرّفها فرجع إليها وعلى ذلك نجد الحكومات في رؤساء اللصوص الذين تابوا خير معوان على التجسس على اللصوص ، فربّ البيت أدرى بما فيه ، وهكذا نجد الأنبياء عليهم السلام يرفعون الأغنام صغاراً ويرعون الأمم كباراً . وأمهر الأطباء اليوم من يجرب السواء في نفسه يعرف

أدواره ثم يصفه في كتبه لينتفع به الناس ، هكذا هنا صرّ الانسان على الأدوار الحيوانية وهو جنين لأنه أولاً سيكون له بها علاقة في الحياة الاجتماعية زراعة وركوباً وأكلاً وشرب لبن ولبس صوف وشعر ووبر وجلد وما أشبه ذلك واحتراساً من أسد ونمر وهكذا . وثانياً ليدرسها دراسة علمية اذا كان من أهل الحكمة ورجال العلم . وثالثاً ليدرس نفسه وأحوالها فانه يجد صفات هذه الحيوانات فيه وهو يجاهد ليخرج منها الى عالم ارقى من عالم الأرض ، إن هذه الحيوانات تارة تطلب المنافع بالصبصبة كالكلب والسنور وأخرى بالحيلة كالعنكبوت وتارة بالغبلة كالأسد وتارة بالفرار كالأرانب والظباء والطيور وقد يدفع بالسلاح كالقنفذ وقد يتحصن في الأرض كالقار والموام ، وهو شجاع كالأسد ، وجبان كالأرنب ، وسخى كالديك ، وبخيل كالكلب ، وعفيف كالسمك وغفور كالغراب ، ووحشى كالنمر ، وانسى كالجمام ، ومحتال كالثعلب ، وسليم كالغتم ، وسريع كالغزال وبطيء كالذب ، وعزيز كالليل ، وذليل كالليل ، ولص كالعقرب ، وثانه كالطاووس ، وهاد كالقط ، وضال كالنعامة ، وماهر كالخيل ، وحليم كالليل ، وحقود كالجمار ، وشموس كالبلبل . ومستحل كالذب . ومضّر كالقار . وجهول كالخنزير . وغير ذلك

فهذه وغيرها من صفات الحيوان معرض لها الانسان . فهو يجد بما أنزل من البيانات وما سطر من العلوم أن يخرج من هذه القيود الحيوانية ويتعلى بالخلية الملكية ويخرج من الدائرة الأرضية الى الدائرة الروحية . وهناك يتعلى له بعض قوله تعالى - اليه يرده علم الساعة -

إن الانسان مادام مفرماً بالأحوال الأرضية فهو أبداً حول هذه الأرض بعد الموت لا يبرحها وكيف يبرحها وهو لا يجد لذة إلا فيها . ولا سعادة إلا في أكنافها فيصبح اليها مجذوباً مبعداً من عالم أعلى . ومعنى هذا الانجذاب أن يعذب بعذاب جهنم فيكون في حفرة من حفر النار . فان جهنم ملازمة لمن لا يعرف إلا المادة والجنة ملازمة لمن يتزخج عنها فيقال انه في روضة من رياض الجنان حتى اذا تخلص من ذلك بتاتا صار في جنة عرضها السموات والأرض لا ضيق جهنم الذي هو ملازم لمن كان لا يعرف إلا العالم الأرضي إن مرور الانسان على العوالم الحيوانية أعطاه أنه بالحيوان في أحواله المادية ودراسة العلوم التشريحية والخلقية وجهاده في الحياة ليخرج من حال الحيوانية الى الحال الملكية . وهذه نبذة من علم الساعة التي لا يعلم علمها إلا الله تعالى واليه وحده يرده علمها . وهذه ساعة من ذلك العلم وبرقة من سماء الحكمة . فأما العلم الحقيقي فهو عند الله « وعنده مفاتيح الغيب » وهذه من أسرار القرآن . وسر من أسرار عطف الحل والوضع على علم الساعة . انتهى الكلام على الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني والثالث ﴾

( في إيضاح الكلام على قوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - )  
فلأذكر فيه بذتين : النبذة الأولى ما كتبه في كتابي « ميزان الجواهر » تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

#### ﴿ خاتمة تتضمن فكرة المؤلف في العلوم عامة وفي فن التوحيد خاصة ﴾

مما أجمع عليه رأى الحكماء انه يجب على الانسان أن يجعل له في حياته غاية يسعى لها والا عاش عبثة مهمل . وقد كنت في ابان تلمى بالجامع الأزهر أتلقى العلوم الدينية وآلاتها من فنون العقليات والتقليبات واذا ذهبت الى بلادنا بالشرقية أنظر ماذا فرأ الله من النبات العجيب . وما أودع في الكائنات من الغرائب . وأنا تامل مافي الأنهار والغدران من سيال عجيب يذهب فكرى في ذلك كل مذهب وأقارن ما أراه بما أسمع فـ لأجد مناسبة . وأقول في نفسى : لماذا لانسمع في العلوم التي تلقاها شيئاً يحوم حوله ما شاهد كل يوم من

المزارع الخضر والجنات وبدائع الحكمة الربانية ١ وأجد في نفسي شوقا وتوقا الى ذلك . وأتخى أن يكون له مدخل في معارفنا الدينية ، ثم أكرّ كرتة نحو ما ألتقاه من الفنون الدينية فأجدها توسع المجال جدا في احكام المعاملات والميراث والحدود والمعاوى واليانات ، ولا أرى لما أشاهد في أرض الله الواسعة إلا ان العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث ونحو ذلك ، وما يذكر في أبواب السلم والربا من المكيلات والموزونات والتسلم والتسليم ، وكذلك الكلام في بيع ما بدأ صلاحه أو ما يبده صلاحه ، ومع كونه إجاليا قائما بتسليم عليه من وجهة المعاملات بين الناس لامن الوجهة الإلهية

سارت مشرقة وسرت مغربا \* شتان بين مشرق ومغرب

وكنت أسمع كلاما من أفواه أسانذني وفي كتب التوحيد أن العالم في غاية النظام وأن القرآن في غاية البلاغة ، فإذا توجهت الى بلاد الشرقية وخلفت بنفسى وتفكرت في العالم وفي القرآن أجده الأمر صعبا على جدا ، ولا أشم لهذا النظام وتلك البلاغة رائحة ، فإذا نظرت رأيت بهائم ترعى ، ونباتا يطلع ، وأناسا تذهب ونحى ، وبحارا تجرى من أرض عليا الى أرض سفلى ، فأقول ابن النظام الذى يقوله العلماء ؟ حضرت أجلس على شاطئ نهر جار وأنامل في الحيوانات الصغيرة التى تختفي في الأعشاب وأقول : لورأيت حيوانا عليه خطوط فيها هيئة انتظام لمخل عندى شعور بهذا النظام ، ثم اذا عرفت أن هذا العالم منتظم كما يقول العلماء الأخيار أكون أسعد الناس وأكثرهم نشاطا وجدًا واجتهادا إذ يكون إيماني يقينيا . وبينما أنا كذلك إذ فتح لى باب آيات من القرآن . ولم أكن إذ ذاك أعرف تسييره ، فاستحضرت بعض التفسير وطالمت آيات الهجائب وكان أول ما طالعت قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار - الى آخرها فانتقلتها تأملا صحيحا فانتفتح لى باب الفكر ، وصرت أعرض تلك الكلمات على عقلى وأنظر بنفسى في هذه الصنعة الإلهية وهكذا بقية آيات الهجائب ، فأخذ الفكر يطلب والمطالعة تزيد وحلا لى الفهم ، ثم اتصلت بالأزهر بعد انقطاع طويل وحضرت التفسير وغيره من العلوم حضور محب وله بل عاشق وصرت لا أنلوا القرآن إلا بتدبر وفهم ، ثم ساعدتنى المقادير بدخول مدرسة « دارالعلوم » فتأملت علومها تأمل من يريد أن يعرف هذا العالم . فكنت أحضرتك العلوم وأطبقتها على العالم الخارجى على حسب ما سبق فى النفس من الشوق الى ذلك حتى اتضح لى أن كل هذا العالم على غاية النظام والاحكام وفهمت آيات القرآن فى تلك الهجائب فهما يقينيا لا تقليديا وصار كل شئ من العالم دروسا توحيدية وكان للتأمل فيه يطالع عجائب القدرة الإلهية والحكم الربانية فمن درس الهندسة والحساب والطبيعة أو التشريح أو غيرها من العلوم ولم يذق منها لذة النظر من وجهة الحكمة العلية فهو صاحب صناعة يعيش بها ولم يميز عن العامة إلا بالمظاهر الفانية . وكذلك من قرأ دروس البلاغة والنحو والصرف فى أى لغة من لغات العالم من العربية أو غيرها ثم لم يستخدمها فى مطالعة ذلك الجمال الإلهى فى آيات القرآن العظيم والعلوم العالية مع استحضار الذهن ووزنها بميزان العقل الفريزى فليشرب بأنه أضع أيامه ولم يحصل من حياته إلا على مفايشه وانه يأكل كما تأكل الأنعام . فأف حياة يكون القصد منها ومن تحصيل العلوم فيها نأكل ومشرب تشاركنا فيها الحيوانات والنباتات . أولابرى المفرورون من ذوى القصور عن الامتلاص على ذلك الجمال أن الغذاء والتناسل عمان فى جميع النبات . فان كنت فى شك مما أومأنا اليك فاذهب الى الحقول وتأمل زهرة من الزهر كالقطن مثلا أو الفسرة تجدان الذكران فى زهرة الأول أربعة قد أحاطت بمحل الاناث الذى هو فى وسطها وقد ألحقتها وهكذا الذرة يلقح عاليها سافلها على منوال ما يفعله الحيوان بحيث ترى ذلك الطلع الذى فى أعلاه ينزل على شربة الكوز ويحصل الاتحاح ، ثم تلك الحبوب من جميع الأصناف هى المقصودة للانسان أوله وللحيوانات إذالنبات خادم لهما وهكذا الحيوان خادم للانسان ويجمع بالذتين تمتعا حقيقيا . فاذا استعمل الانسان عقله فيما يحصل به هاتين الشهيوتين اللتين قد شاركا فيهما النبات والحيوان

فبشت العلوم و بشت الحياة التي ترجعه من أفق الانسانية الى أفق البهيمية أو النباتية بل الحياة حياة العلوم العالية والنفوس الكاملة الشريفة التي تطالع ذلك الجلال الأبهى من هذه العوالم وهذا الكمال يشا كلها في العوالم العلوية والسفلية

على نفسه فليكن من ضاع عمره \* وليس له منها نصيب ولا سهم

ومن قرأ هذا ولم يأخذ بمجامع هواه وأعرض عنه واكتفى بما لديه من العلم فذلك داخل في قوله تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - وقوله - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - وجميع العلوم آيات ودلائل تشف عن حكمة عالية وقدرة باهرة وعلم تام . والذي أراه أن الشرقيين لا ينالون مجدهم إلا اذا رجعوا الى حالة التعليم قبل اندراس العلم لثبت فكرة التوحيد في جميع الأذهان واستحضار الخالق في جميع الحركات والسكنات ، ولا ينبغي أن علم التوحيد أخذ في أدوار تعليمه أشكالاً وألواناً شتى من ابتداء الوحي الى الآن ، ففي زمن الصحابة والتابعين لم يكن فنا له قواعد وأصول وفروع بل كان باقياً على الفطرة الانسانية المستمدة من آيات القرآن ، وكل يعطيه الله من العلم على حسب استعداده تخلف من بعدهم خلف خرجوا عن الفطرة بما تلقوه من الجدل والفلسفة وانقسموا الى طوائف وحصلت مشاغبات ومنازعات وأخذ وردّ تخاف أئمة الدين رحيم الله على العقائد فألفوا فنّ الكلام ليكون حصناً يقي من تهويش أذهان الناس بالمشاغبات فلم يكن مقصوداً لهم لذاته وإنما هو سلاح وجهاد ونحن في زمان مات فيه ذلك العدو وبادت تلك المذاهب ، فمن استعمل ذلك السلاح الآن فهو غرّ يقاتل في غير عدو وكيف وقد ظهر عدو آخر للعقائد في هذه الأيام ، فيجب على العلماء الآن أن يبذلوا جهدهم للنظر في كلام الماديين الأورو باويين وجميع المخالفين ليردوا عليهم فان اللغات منتشرة بين الأمم والأفكار تنقل وجميع ذوى الضعف في الدين يؤثر عليهم كل فكرة يسمعونها ، أما المذاهب البائدة فالكلام فيها عبث - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون - فان قلت كيف يعلم التوحيد ؟ أقول : يجب على المعلمين في المدارس وغيرها أن يتدثروا بذكر غرائب العالم من النباتات الجببية والحيوانات الغريبة والنجوم ذات البعد العظيم والقدر الكبير والسرعة الهائلة ، ثم ينتقلون من الأغرب الى الغريب الى المعتاد وذلك لأمر :

(١) إن الفطرة الانسانية ميالة الى الغرائب والاحداث أكثر عشقا لها ودلوعا بها

(٢) إن دليل الألوهية أقرب الى أذهان البسطاء في الغرائب كاللتوحشين حتى ان أهل الهند على نهر

الكنج يعبدون نباتا يتحرك في الدقيقة ستين مرة لاعتقادهم أن فيه قوة إلهية ، وما ذلك إلا

لظهور تلك القدرة الباهرة بأعظم وضوح

(٣) إن آيات القرآن كلها ناطقة بأن النظرفى العوالم هو طريق التوحيد

(٤) إن المعلم متى أوقف المتعلم على كل مجببة وذكر عند ذلك القدرة والعلم وصفات التقديس والتزبیه

بحيث تكون جميع صفات الربوبية تذكر تطبيقاً على تلك الجباب كان أثبت في الذهن ورسخ

الإيمان رسوخاً لا تزلزله الرياح العواصف

(٥) إن ذلك مع كونه علم التوحيد هو أيضاً تاريخ طبيعى وطبيعة وتشرح وفلك وهكذا فيكون ما صرفه

من الزمن في تعليمه قد اكتسب به التلميد علوماً تنفعه في دنياه وهو لا يشعر - من كان يريد

حرف الآخرة زد له في حرفه - فيكون قد أراد معرفة خالقه وهو في الحقيقة يقرأ علوماً كثيرة إذ

التوحيد هو جميع العلوم بل مثل من يقرأ توحيداً بهذا الوصف مثل انسان زرع أرضاً شجراً مثمراً

فان هذا لم يفته خروج حشائش لنوع البهائم فقد جاء القصد الأدنى مع القصد الأعلى ، إن الله

يعطى الدنيا مع قصد الآخرة ولا يعطى الآخرة مع قصد الدنيا

(٦) إن التلميذ إذا نظر العلوم العالية يرى في نفسه عند مطالعتها كأنه يطالع حكمة الباري في تشريحه وبيطرته وطبه وزرعه وحصاده وهكذا لا يعتياده على ذلك من صغره ، ولا سبب لفساد أخلاق الشبان الذين يتعلمون في المدارس إلا خلق عقولهم من استحضر الخالق فيما عرفوه من العلوم ، ومن المقرر أن الحكمة لا تفيد إلا من يستحضر الخالق بسره ويعرفه بعقله

(٧) إذا رأى علوم الدين التي أنزلها الله على نبيه لا تخالف الطبائع الكونية فإنه يشب على تطبيق دينه على ظواهر الطبيعة وينفرد ذلك في نفسه ويستشعر استنساخا تاما بذلك كما هو مقصود القرآن ، ألا ترى عراك الله أن آيات الرحمة والعذاب يؤتى بعدها بآيات عجائب الكون ، ألم يكن ذلك ليظهر للناس أن العلمين متوافقان ، ومن العجيب أن بلادنا تنقسم الى قسمين : فبعض الذين تعلموا العلوم الدينية وحدها ينكرون العلوم الكونية من الطبيعيات والفلكيات ، ويظنون أن الدين يرى منها وماهم إلا جاهلون بها ، وبعض من لم يتعلم الدين ودرس في المدارس تلك العلوم ينكر موافقتها للدين ويقول انها تخالفه - ذلك مبلغهم من العلم - و - كل حزب بما لديهم فرحون - بل كل من الحزبين مقصر لجهله بما لم يعلم ، ومن جهل شيئا عاداه ، بل الواجب على كل فرد من أهلها أن يأخذ من كل فن طرفا والاصدق عليه قول الشاعر

ومن يك ذا فم صرّ سقيم \* يجرد صرّا به الماء الزلالا

فالذي خلق هذا الكون بنواميس خاصة جارية على نسق بديع جعل من تلك النواميس قوانين وشرائع بين الناس ، فالكون من فصله وتلك القوانين والشرائع المنزلة على خواص خلقه من قوله . وهل يناقض فعل الرب الأكبر قوله - تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا - . فبين النواميس الطبيعية والشرائع المنزلة تطابق وتوافق لا يعرفه إلا من عرف العلمين . وأما من درس أحدهما وجاهل الآخر فهو حريّ بأن يدعى تنافي العلمين ، بل كثير من قارئ الشرائع لقصور عقولهم يرون نصوصها متعارضة لعدم وقوفهم على أصل مأخذ النصين وما هو المقصود منها فكيف يرون موافقتها للأشياء الخارجة عنها من النواميس الطبيعية فالخلق أن الشرائع الالهية والنواتيس الطبيعية متوافقة متلائمة وأن من أنكر فاعلمما ينكر لتصور في عرفانه وضعف في بصيرته

هذا ما أردت ذكره بالنسبة للاهيات . أما النبوات فالذي أراه أن يذكر صفات الأنبياء ومكارم أخلاق سيد الوجود ﷺ وتكون المعجزات داخلية في ضمن تلك الأخلاق حتى يشب الطفل على حب النبي ﷺ وعلى التخلق بأخلاقه ويعتقد فيه الصدق حين يسمع المعجزات وتكون الواجبات في حق الرسل قد ثبتت في الأذهان عرضا . فهذا فضلا عن كونه علم توحيد علم أخلاق فيخرج قارئ التوحيد من المدارس وقد درس علوما طبيعية وأشياء وفلكا وأخلاقا . ولنا أمل وطيد من المدارس التي تأسست بالقطر المصري بهمة ذوى الثروة والجمعيات أن تسمى في أن تسلك هذا السلك الحميد وتدرس التوحيد على هذا النمط ليم بها المقصود إن شاء الله تعالى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وبهذا تم الكلام على النبذة الأولى والحمد لله رب العالمين

### ﴿ النبذة الثانية ﴾

أذكر فيها ما كنت كتبت في مجلة «نور الاسلام» منذ نحو (٢٥) سنة . وسبب كتابتها أني كنت رأيت في المنام عقب قراءة كتاب نقله المرحوم فتحي باشا زغلول عن أمة الاسلام من الفرنسية الى العربية رأيت

أن ملكاً يعرب لى « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ » ودأب على هذا الاعراب والشرح طول الليل وهو يقول : قوله غريباً صفة لموصوف محذوف ، فالوصف نائب مناب المصدر ، ثم يقول : والمعنى المقصود انه بدأ بدأ غريباً لم يمهده له نظير وسيعود كما بدأ أى انه ينتشر انتشاراً غريباً لم يمهده له نظير ، وبقيت طول الليل وأنا أسمع هذا القول ويكرّر كأتى كنت تلميذاً يعنى الاعراب والمعنى . ولا يفتأ يقول وأنا أسمع وكنت أرى فى هذا التمهيم استعمال الطرق التى كنت ألقبها على التلاميذ لأننى كنت أعطى السنة الثالثة والرابعة فى مدرسة (الخير) كتاب النحو وأعطيهم باب المفعول المطلق ، وكنت أقول لهم ينوب عن المصدر وصفه وآلته وهكذا فصرت أسمع مثل ما أعطى وهو يقول : غريباً وصف نائب مناب المصدر الى آخره ، وكنت وأنا نائم أعلم أنى نائم وأعلم الحجره التى أنا فيها وأعلم أن هذا ملك وهو يلقى الى هذا القول ، فاستيقظت من النوم وقلت فى نفسى إن هذه الرؤيا هيبية ولكن هى أشبه بأضغاث الأحلام ومع ذلك وجدت فى النفس وجداناً غريباً ولكن كنت أشد الناس حرصاً على أن لا أكلم أحداً لأن مثل هذه يسخر الناس منها ، فإذا أفعل ؟ كتبت مقالة وضمتها هذا المعنى باعتبار انه جاء من عندى ابتكاراً وعنوانها « مما أوجب للمسلمين السقوط ، جعل اقتراب القيامة سبب القنوط » وأرسلتها الى إدارة مجلة «نور الإسلام» التى كانت تصدر بمدينة الزقازيق وطلبت أن لا يكتب اسمى تحتها خيفة التشفيخ والموم ، ثم اتى بعد نحو (٢٠) سنة بحثت عن المقالة فلم أجدها فأسفت كل الأسف ، ولكنى بعد بحث وجدتها فى مكتبتي بمجموعة فى ضمن أعداد هذه الجريدة فسررت سروراً عظيماً وهأنذا أكتبها هنا بنصها بعد اليأس منها

وبعد أن سبق الكلام على هذا المعنى فى سابق التفسير إذ ذكرت أنى فى هذه السنة اطلمت على مقالة فى الاهرام لكاتب ذكر هذا المعنى وقال انى وأنا صغير قرأته فى كلام أحد الفضلاء وعدت أسماء من المشهورين وقال فلا أدري أهم قاطماً ، وشرح نفسى ماذا كرهته لك فعرفت أن هذا المعنى وصل الى بعض الناس وقد انتشر فى الجرائد السيارة ، واذن عرفت أن هذه الرؤيا أراد الله اظهارها للأمة وانها بشاره لها ، وأنا وان كنت أكتفها عن الناس وقد ظهرت فان آمالى من ذلك اليوم صارت معلقة برقى الإسلام موقنة به ولكن ليس من هذه الرؤيا وحدها . كلا . بل هناك ما هو أصدق وأبدع وأجل وأعلى ، وليس هذا مجال القول فيها فانى رأيت أعجب من هذه بما لا يقاس . فهذا هو السبب فى إيقانى برقى المسلمين . ولهذا ألفت هذا التفسير . وهذا كله سرّ قوله تعالى - سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - . فبذلك فليفرح المسلمون . وبذلك فليسعد المسلمون . وهالك نص المقالة المذكورة

### ﴿ مما أوجب للمسلمين السقوط . جعل اقتراب القيامة سبب القنوط ﴾

سبحان من أعزّ وأذلّ وشكل الأشكال المختلفة والألوان البديعة والأصل واحد - وأن الى ربك المنتهى - أنزل من السماء ماء فسالأت أودية بقدرها - فازداد الحلو حلاوة والمرء حرارة (١) والفضاء تغذية والسواء مداواة والجبل جبالاً والقيح قبحاً والعناصر لم تتغير . فبما يجب لهذا الاحكام . وما أعجب هذا النظام وكيف من الأصل الواحد تستخرج للتناورات . وتنتج المتضادات . إن فى ذلك آيات . وينزل الخبير والجود الإلهى فيكسب كلا ما يشاء كل طبعه فنشرق الشمس على المحموم والصحيح فتزيد كلا على حسب استعداده وتجمد الطين وتذيب الجليد . فالضوء واحد والقابلية اختلفت - إن ربك حكيم عليم - وهكذا العلم والمهدى يسبب القلوب فيعطى كل قلب على حسب استعداده فيضل ويهتدى ويسعد ويشقى ويعزّ ويذل والعلم فى نفسه واحد والقابليات مختلفات

(١) ليست الزيادة عامة فى الكل اه



جاء الدين الاسلامي والناس في جهالة وعمية فأخرجهم من الظلمات الى النور. وبما جاء فيه ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وانها اقربت وحان وقتها وأن النبي ﷺ بعث هو وإياها كأنهما متلازمان حتى قال ﷺ « بعثت أنا والساعة كهاتين »

فكانت تلك الأدلة والآيات والأحاديث من أقوى ما بحث على أعمال الأمة بل هي أكبر باعث على استنهاض همم أبطال وعزائم رجال الى أعمال البر وترك الكسل والخمود إذ انبهم وقت موت الانسان وقيام الساعة التي يلاقى فيها ربه يبعث فيه روح فشاط على أن يستعد في كل نفس من أنفاس حياته للخيرات على حسب استعداده إما لنفسه أو أهله أو وطنه أو بني دينه وجنسه ، ويكون أمام الخالق الأكبر كأنه خليفة على عباده يعمل لهم ما فيه صلاحهم ، فمن هذا عرفنا أن انبهم وقت الساعة والموت من أجل سياسة إلهية كبرى كيف لا وهي سياسة ملهم الملوك ومرشد العلماء . وعلى هذا سلف الأمة الاسلامية جلتوا في الأعمال عملا بقوله تعالى - سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - لا لتكاسلين والعاجزين فلكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وكانوا يعلمون حقا أن من طلب منه عمل الآخرة فإنه طبعاً طلب منه عمل الدنيا معها إذ هي مزرعة لها وطريق إليها ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فكأنه طلب منهم عمل الدنيا وزيادة لنفع نوع الانسان ، وقد ضربوا لذلك مثلاً رجلاً زرع أرضاً أشجاراً مثمرة فإنه لا يصدم حشائش تخرج للبهائم فقد جاء القصد الأدنى مع الأعلى ، أما من زرع البرسيم مقتصرًا عليه فلا تخرج له الثمرات وعلى ذلك قال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة زد له في حروثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمها منها وماله في الآخرة من نصيب - فكان وعظ القرآن وحته داعياً لعلو الهمة وعلو الهمة من الايمان ، ومن سفلت همته فهو معزول عن الفهم والعلم ، ولا تكمل نفس الانسان إلا بآراقة ماء الحياة في سبيل منافع أمته وبلاده مع القصد الأعلى وهو التقرب للخالق الأكبر

هذه أعمالهم وهذه نياتهم ، فانظروا يا قوم كيف تغيرت الأوضاع وانعكس المعنى وأصبح ما كان وسيلة للارتقاء سبباً للذلة والهوان ، ولكن لا غرابة في ذلك فالقرآن لم يزل والقلوب تغيرت - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له - . هذه الفاتحة وأبن همم . سمع سلفنا في الدين القرآن في الساعة وقر بها فأطاعوا وصيته وحضهم على العمل ، وسمعنا فصينا وأشرب في قلوبنا حب محمول الجهل وشبان الخلاعة والأمل ، وبالتنا اقتدينا بأسلافنا في الوطن إذ مع كونهم عبدوا الجبل سارعوا الى العمل وما أشبه العلم بالماء يتلون بلون انائه ويختل على حسب مادخله في بيته وأجزائه وبالنور يظهر على حسب لون الشفاف الذي هو فيه ، فكما هتدى أسلافنا بآيات قيام الساعة ضلنا نحن بها - يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا للقاسقين -

أصبح المسلمون الآن في كافة أنحاء المعمورة ولأمل لهم في شوكه ولادولة ولا عز ولا صولة حيث يسمعون من أفواه الجهال بالدين الذين يقولون ما لا يعلمون ان هذا الدين سيمحي وأن هذا أوانه وأن الكفر يعاوه وهذا حينه ، وتمسكوا بقضايا لا يعرفون معناها إذ هي محل نظر وبحث بين أكابر العلماء ، وانتشرت تلك الفكرة بين العامة والخاصة ، وما يوجب الأسف والحزن أن الأذهان تطابقت على جمع الفكرتين وهما ان الساعة قربت جدا وأن الاسلام ينجح ، وحيث اتنا في زمان كثير أنصار الجهل فيه وجب علينا أن نبين للناس فنقول ومن الله التوفيق .

أما قرب الساعة فهو لا يدل على ما يزعمه الجاهلون إذ يجوز أن تبقى الدنيا قروناً متطاولة بل آلاف من السنين بل ملايين ، وربما استعظم هذا بعض العقلاء واستبعده جدا بناء على ما رشح في أذهان العموم مستدلاً بآيات كثيرة وأحاديث كما تقدم على أن الساعة قريبة قول له على رسلك أيها الأخ فان القرب ليس

من المعهود بيننا والاقامت الساعة في حياة النبي ﷺ أو بعده بقليل فان أعمارنا قصيرة ونحن نرى أن أقل من القرن قرب ولكن القرب على حسب علم ذلك القادر القاهر . ألا ترى الى قوله تعالى - إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا - فالأرض لها ملايين كثيرة وهي سائرة في الفضاء . فإذا نسبتنا مائة ألف سنة أو مليوناً الى تلك الملايين الكثيرة كانت قرباً بتلك النسبة . فاذن لمانع من بقاء هذه الدنيا وهذا العالم الى آلاف من السنين والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . فكل أمة أتت بمكارم الأخلاق وصلحت في أعمالها وكان صلاحها أكثر من فسادها فلك هي التي تبقى - حتى تتغير النيات وتهبط العزيمات فتزد الى أردل العمر . وهذه الأمة الاسلامية قد أخذت دورها في الضعف . ولقد آن أن ترجع الى صلاحها وتأنس رشدتها وهوم من رقدتها . ومتى برهنت أمام الله والناس انها أصبحت صالحة للقيام بالخلافة في الأرض سلعت اليها أماتها - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون - ولقد علم الله وشهد العالم المتمدين (أي العارفون بحق الاسلام منهم) أن الاسلام أعظم نصير للدنية كما يعلم بأدنى التفاتة للتاريخ . وان كنت في شك مما قصصنا عليك فاقرا كتاب «خواطر وسوايح في الاسلام» الذي ترجمه فتحى بك زغلول تأليف الاستاذ هنرى أحد فرنساويين . أو اقرأ كتاب ذلك العالم المؤرخ الشهير (سيدى الفرنسى) ترالجب الجباب من أمة ودين ومكارم اخلاق هيمنت على العالم أجمه

فجدتوا أيها المسلمون واعلموا أن أوان ظهور مجدكم وعوده قد آن . فاسترجعوا بمجدكم القديم فقد عرف العالم المتمدين وشهدت الفطر الصادقة بل شهدت العقول ودلت التجارب أن هذا زمن ظهور الاسلام ورجوع مجده القديم فلقد بدا وانتشر انتشارا غريبا لم يعهد له مثيل في تاريخ الأديان وتم من نحو ١٣٠٠ سنة وهاهو الآن قائم يعود كما كان وينتشر انتشارا غريبا كما انتشر أولا وهذا معنى ما قيل «بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا» أي كما انتشر أولا انتشارا غريبا لم يعهد له مثيل في الأمم . هكذا سيعود وينتشر بتلك الغرابة وبينها والسرعة الفائقة حتى تكون مجهزة أخرى . فقوله غريبا صفة لمقدر محذوف أي بدأ غريبا . وهاهوذا الآن أوان رجوعه بتلك الغرابة . علم الله وشهد كل عالم من علماء الأرض المحققين أن للاسلام رجعة بخافية وتقدما غريبا قد ظهرت بوادره وجاء أوانه وعلى أيديكم أيها العقلاء يكون ظهوره ذلك ان شاء الله . فجدتوا لارجاع مجدكم وحوزتكم . ومتى صحت المقدمات صدقت النتائج

لوناأمل علماءنا اكتشافات القوم الحديثة ومالديهم من العلوم لعلموا انها تفسيرا أجل في الدين الاسلامي وتوضيح لما غم علينا فيه (وبعبارة أوضح) ان تلك العلوم والأسرار إيضاح وكشف لمخبات القرآن . وأوضح من ذلك أن ذلك مقدمات ظهور سيدنا عيسى وتمهيدات له حين يأتي والناس قد استعنت فطرهم للاسلام قاطبة وتصير الأرض كلها اسلاما بأمر سيدنا عيسى وكأني ببعض اخواني يضحك من سماع مثل هذا الكلام ونحن نقول له أعر استحضار الأرواح هناك لفنة ترالجب الجباب وتجد مخبات العلوم تظهر على أيدي هؤلاء - ولتعلمن نبأ بعد حين -

جاء وعد رسولنا الصادق الأمين بأن عيسى عليه السلام يأتي في آخر الزمان ويحكم بشر بعتنا أو يظن أن ذلك يكون بدون مقدمات للاسلام ومبشرات بين يدي ذلك النبي . كلا . كلا . وهذا الظهور كل من العلماء يفهمه بما يوافق مشربه ولا تعرض له وإنما علينا ذكر النص وكل يفهم ما يناسب معارفه انظروا الى المستشرقين في أوروبا يقرؤون هذا الدين ويجيبون أى العجب . انظروا لأولئك المتعربين في أوروبا الذين يجيبهم كل شئ صدر منا وهم نظير المتفرجين عندنا فالقوم في بلادهم لا يعرفون عن الاسلام شياً إلا قليل منهم وكل من عرف شيئاً منه تشبه به . ولا بد أن يكون هذا القرن الآتي أوان ظهور شمس حقايقه في ربوع العالم المتمدين حتى تأنس ببعض معارفه الأذهان قبل مجيء ذلك النبي في آخر الزمان يحكم

بشرع خبر ولد عدنان . فكيف بعد هذا كله يقنط المسلمون من رحمة الله . وهذا وعد لهم . أم كيف ثبت في عقولهم أن دولهم تنقرض وهم الذين ورد فيهم « لانزال طائفة من أمتي قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله » فهذا الدين وهذه نصوصه . فمن ظن أن الساعة قد جاء وقتها وأن الاسلام سينقرض فقد جهل وضل وأضل<sup>١</sup> وادعى انه أعلم من رسول الله ﷺ

وانه تعالى يقول - يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو قلت في السموات والأرض لا تأنيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

فكيف جاء قوم اليوم جعلوا أنفسهم أعلم من رسول الله وزعزعوا قلوب الناس وأرجفوا وخوفوا وافتروا على الله كذبا في أمر الساعة - إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون - وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شئ قدير - ولكن إن بحثت عن هؤلاء تجد ان أكثرهم بها لا يعرفون - يستجبل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد -

فنامتوا يا قوم وافهموا القرآن فان إخفاء الساعة سرّ مكنون ومنه أن يقيم الناس دولهم ويأملوا في بقائها ودوامها . ومتى عرفوا قربها اختلت روابط الأمم ووقفت الحركة وانترعت البركة . ولذلك أعقب هذه الآية بما يشير الى ذلك حيث قال - الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز -

وإذا كان إخفاء الساعة سياسة لاصلاح العاش والميعاد معا ولطفنا من الله بالمعاش في الدارين لافي الدنيا فقد أوردنا الى أن الرزق المذكور يؤتى به كالتابع لأعمال الآخرة ولذلك أعقبه بقوله تعالى - من كان يريد حوث الآخرة زدله في حرمه ومن كان يريد حوث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب هذا ورباني من كل من اطلع على هذا أن ينشر هذه الفكرة في كافة أنحاء المعمورة حتى تنزع تلك الضلالة من الأذهان اه

### ﴿ تذكرة ﴾

إني قلت « بدأ الاسلام الح » بصفة انها حكمة عاتية .

### اللطائف العامة لأقسام السورة كلها<sup>(١)</sup>

وهي ست لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في تفسير البسملة وذ كر الراجعة فيها ومناسبتها لما ذكر في السورة من طبقات الأرض وما فيها من صور جميلة وبدائع كشفها القوم في زماننا مصداقا لقوله تعالى في آخر السورة - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الح

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - فصلت آياته قرآنا عربيا - وكيف بقيت اللغة العربية محفوظة مصداقا لقوله تعالى - لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وقوله - سترهم آياتنا - الح وفي هذه مجازان : الأولى ان الكشف أظهر أن الأرض لم تكون فجأة . الثانية : ان الأيام قد بلغت في علم الفلك مئات الملايين وهذا يقرب من أيام خلق الأرض

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم - مع

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة : المؤلف

قوله - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم - وكيف ظهر علم الأيدي والأرجل وكشفها للجنايات في الدنيا وإنما إذا قبلت شهادتها عند الله فالقضاة أحرى أن يقبلوا شهادتها وهذه مجزة أيضا لأن الأيدي والأرجل اختصتا بذلك في الكشف دون سائر الأعضاء

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - الخ

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ في قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة -

﴿ اللطيفة السادسة ﴾ في قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -

### ﴿ اللطيفة الأولى ﴾

( في البسملة وذكر الرحمة فيها ومناسبتها لما ذكر في السورة من طبقات الأرض وما فيها من صور

كشفها القوم في زماننا مصداقا لقوله تعالى في آخر السورة - سنريهم آياتنا في الآفاق - )

تجلىت الرحمت العامة في هذه السورة بصورتين اثنتين جيلتين هيتين ، صورة الحروف ، وصورة العناصر ورمز لهدى بالخاء والميم ، الرحمة وسعت كل شئ ، وتجلىت في هذه السورة في الحروف والعناصر ، والحروف والعناصر يرجعان لثنى واحد هو التحليل ، اللغات التي يعرفها الناس تقدر الآن بنحو خمسة آلاف لغة ذكرت بجلها في ﴿ سورة الروم ﴾ عند قوله تعالى - واختلاف ألسنتكم وألوانكم - فارجع إليه إن شئت ، وكلها راجعت لثنى واحد هو الصوت كما ان العناصر التي وصل المعروف منها الآن حوالى الثمانين عددا منها تركبت جميع هذه المخلوقات ، اللغات حركات في الهواء ، ومجانب الطبيعة حركات في الأنهر ، وكلها تجلى الى أصولها الأولى ، باللغات ندرس العلوم ويتعارف الناس ، وبالعناصر وتركيبها تكون حياة الحيوان والانسان

تجلىت رحمت الأصوات والحروف في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا - واللغة العربية كما تقدم في ﴿ سورة الروم ﴾ إتحدى اللغات السامية التي تدرجت من حال الى حال كما ستره قريبا ، فهي أبدا متقلبة متقلبة ، فبينما ترى قدماء العرب في الجزيرة قبل تاريخ الميلاد بيضعة آلاف يكتبون بالقلم السومري الآتي بيانه وصورته اذا هم يكتبون في الجاهلية قبل الاسلام بقلم آخر اذا هم يكتبون في زمن النبوة بقلم أقرب إلينا ، وهكذا نفس الألفاظ تتغير طبقاتها تباعا متطورات تطوّر الأزمان والقرون والسنين ، ولكن لما جاء الاسلام استقرت اللغة العربية لفظا وخطا على أساس متقاربة الى الآن مجزة لهذا القرآن كما ستره موضحا ، إذ انك ستري فيها يأتي سورة الفاتحة والاخلاص مكتوبتين باللغة الصينية ومعهما اللغة العربية ، فذلك التبدل الذي يعثرى اللغات لم يجر على اللغة العربية إلا في طريقة التحسين والبهجة ، أما تغيير الحروف لفظا وخطا تغييرا جوهريا كما يعثرى جميع اللغات فهذا لم يكن . ولما كان هذه المجزة آثارها التي ظهرت في المسكونة من أقصاها الى أقصاها قال في نفس هذه السورة - ولوجعلناه قرآنا أجميا لقالوا لولا فصلت آياته أجمي وعربي - الخ فكانت هذه الآية رمزا الى ما هو حاصل الآن من أن القرآن يكتب باللغة العربية وان كان القراء له أجميين لأنهم لو قرؤوه بلفظهم لورد عليهم هذا الاشكال . أنهى عربي وقرآن أجمي - وهذا هو السر في حفظ نفس اللغة العربية مع القرآن أيضا حل

هذه هي الرحمة التي تجلىت في هذه السورة في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لأنه لو كان أجميا لقبل هلا فصلت آياته بالعربية التي نزل بها فاذا قرئ بغيرها لم يكن مفصلا بل كان مبهما أجميا . وبهذا تم الكلام على الآيات المفصلات الناجات من الحروف

### ﴿ الآيات المفصلات في المادة الأرضية والسموية ﴾

اعلم أن القرآن لا يفرق في الآيات بين كونها متلوة بالألسنة أو بين كونها مسموعة بالأذان أو مخلوقة في الأرض

والسماوات مركبات من العناصر منظورات بالعيون . الله خلق السمع والبصر . وللمسمع جاءت اللغات ومنها العربية . وبالعربية سمعنا القرآن وبقى الى الآن باللغة العربية لفظا وخطا . وللبصر خلق الكواكب والمركبات الأرضية والبساتن . إذن الآيات مسموعات ومبصرات . وكما جاء في القرآن ذكر السمع والبصر . ويقول سبحانه - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - وما الفؤاد إلا الهيئة النفسية التي بها تفهم وتبصر فيما سمعنا وفيما رأينا ، والسورة مبدوءة بالآيات المسموعة لأن الناس في أول أمرهم يعملون بما يسمعون ، فإذا ارتقوا قليلا فهموا ما يبصرون ، فالناس أولا يؤمنون بما يسمعون بسبب صدق المنبر لهم ، ثم بعد ذلك يفكرون بأنفسهم فيما سمعوه ، فالآيات المسموعات تكون أولا والآيات المبصرات تتلوها . لهذا ذكر المسموعات وتفصيلها أولا ثم تلاها بالآيات المبصرات ، فإذا تلا علينا ؟ نلى علينا أولا اجبال هذه الدنيا وأن الأرض خلقت فيها الجبال والنبات والمعدن والحيوان والانسان ، وكان ذلك كله في أربعة أيام ، وأن السماوات خلقت وربت ونظمت وأعطيت كل سماء نظامها الخاص بها وزينت بأجسل زينة وأبهج منظر . وذلك في يومين . وكان مبدأ أمر السماء دخانا فما زالت العناية بها حتى صارت وصارت الأرضون بالحال التي نراها عليها الآن . ولا جرم أن المذكور هنا إجمال . فهنا سماء وههنا أرض أصرا أن يأتيا طوعا أو كرها ولكنهما أقل من أن يعصيا خالقهما فأطاعتا والطاعة إيمان تكون بالخدمة ولا خدمة إلا بحركة والحركة دائمة من أول خلق العالم الى فثائه ، بل نفس العالم هو نفس الحركات كما قررناه في مواضع من هذا الكتاب فالعالم كلها مسخرات جاريات متحركات وكلهن آيات . وهذه الآيات المبصرات ترجع الى آيتين اثنتين في المشاهدات آيات السماء وآيات الأرض . وكما أن مبدأ السورة فيه ذكر الآيات المسموعات القرآنية في تفصيل القرآن العربي والآيات المبصرات الكونية في خلق الأرض والسماوات ، هكذا في القسم الآخر منها تأيد كون القرآن لا بد من بقائه بالعربية الى آخر الدهر كما قدمنا وذلك في الآيات المسموعات وتبيان الآيتين الكونيتين المذكورتين أول السورة إذ يقول تعالى - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر - ويقول - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - . إذن ما جاء في أواخر السورة مبين لما جاء في أولها . فكون القرآن لا يصح أن يكون أعجميا راجع لقوله تعالى - كتاب فصلت آياته - الخ وكون السماوات من آياته وخروج النبات من الأرض من آياته راجع لما في أولها من خلق السماوات والأرض ومن قبل ذلك اتبع ذكر الآيات القرآنية والآيات السماوية والأرضية بانذار المشركين وشهادة الجلود ونطقها . والنار المؤلمة لهم . والعداوة التي تقع بينهم إذ يعذبون . ونشير المؤمنين بأن لهم ما يشتهون . ثم ذكر علم الأخلاق . وذكر حسن المعاشرة . والصبر . وجيل الأخلاق . وختم السورة بوعد جيل قائلا : إن الآيات بسمها سواء أكانت في القرآن أم كانت في السماوات والأرض سأر يكموها . فمن آيات القرآن المسموعة ان هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذا قد ظهر ظهورا واضحا فان أهل أوروبا الذين كان هذا القرآن سبب نهضتهم الحديثة أصبحوا اليوم يبطنون بالاسلام وبأهل الاسلام . ومع ذلك غلبهم هذا الدين وبقى محفوظا . والتليل على ذلك ما نراه من أنه مكتوب بالحروف العربية في بلاد الصين كما ستره في الصورة الشمسية في هذه السورة كما ذكرت آنفا . أفليس هذا هو نفس الوعد الذي في آخر السورة . وهل أحد ملزم أن يظهر هذه المعاني أكثر منا نحن الذين نعيش في الأرض الآن . المسلمون المتأخرون قبلنا لم تكن لديهم مواصلات مثلنا . إذن وجب على أنا أن أقول للمسلمين بعدنا أيها المسلمون : وعدنا الله أن يرينا آياته وهذه الآيات منها المسموع مثل ان القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وقد ظهر واتضح . وأن أقول أيضا . أيها المسلمون : إن الآيات المبصرة التي وعدنا الله أن يرينا لنا قد أراها فعلا ونشرها في الأرض . الله وعدنا أن يرينا آياته . والآيات المبصرات المذكورات في السماوات والأرض جعلت اثنتين اجبالا في السورة

ولكن هذا الاجال فصل . وتفصيل هذا الاجال جاء في علمين اثنين : علم الفلك . وعلم طبقات الأرض

(الجيولوجيا)

الله أكبر : هاهو سرّ القرآن ظهر ، هاهي العلوم ، هاهي ذه علوم الله وآياته ظهرت وبهرت ، هذا وعد الله والله لا يخلف وعده ، الله رحيم ومن رحمته أنه لا يدع عباده يتخبطون في دياجير الظلام تأهين حائرين لا يستقرون . الله سبحانه وتعالى لا يدع المسلم متحيرا يقول يارب أنت قلت انك خلقت الأرض ونظامها في أربعة أيام . وخلقت السموات في يومين . فأنا يارب في حيرة . يارب أنت أمرتنا بالوضوء والصلاة وبالزكاة والحج والمعاملات . وخلقت لنا المجتهدين كالشافعي وأبي حنيفة ومالك وابن حنبل والامام زيد والمجاهدين من الشيعة . فيارب إن هؤلاء ما بينوا لنا إلا الأعمال . والأعمال تصقل النفوس . والنفوس متى صقلت استعنت للعلم . وأنت أنزلت في هذه السورة آيات مسموعة وآيات مبصرة وأمرتنا بالاستقامة فيها إذ قلت - فاستقيموا اليه واستغفروه - . وبعد ذكر الاستقامة ذكرت لنا آيات السموات وآيات الأرض . وكما أنك أوصحت آية المبصرات وآية المسموعات في أواخر السورة بذكر كون القرآن عريا . وبيان أن السموات والأرض من آياتك أوصحت أيضا نتائج الاستقامة المذكورة في أول السورة إذ قلت - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة - الخ . ففي السورة آيات مبصرة وآيات مسموعة وأعمال مشروعة بالاستقامة وكلها فصلت في السورة . وهذه الأعمال المشروعة لصقل عقولنا ماهي إلا المقدمات للتبحر في العلوم . وكيف تدخل العلوم قلوبا غير صافية لم تصقل وصلفها بالاستقامة . ونريد ياربنا أن نكون علماء فبالعلم نصل اليك

يقول الله أنا رحيم ، رحيمى وسعت كل شىء ، أنا رحمت الحشرات جعلت لبعضها آلاف العيون لتبصر فكيف لا أعلم الانسان . هاأنذا شرحت وفصلت الآيات في علم الجيولوجيا والفلك ، فليقرأ المسلمون لأنه جليل ولأنه بهيج . نعم إن هذه العلوم الأرضية لم تصل الى غاية الكمال لأن نفوسكم لا تحتمل الكمال في العلم وأنتم الآن عندكم مبادئه بأهل الأرض لأنكم لا تؤتون من العلم إلا قليلا ، ومن هذا القليل علم الجيولوجيا والفلك . أقول أنا ولقد جاء في هذا التفسير أن اليوم إما (٢٤) ساعة وذلك بدوران الأرض حول نفسها في اليوم والليله واما أن يكون أكثر من ذلك حتى يصل الى (٣٠٠) مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل ، وهذه الثلاثمائة المليون سنة لدوران الجرة التي منها شمسنا على نفسها ، فإذا سمعنا الله يقول - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - أو يقول - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - فهذا فتح باب لمعرفة دوران الكواكب وأيامها وسننها ، وبه نعرف الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض . وهذا كله لاتسع العلوم والمعارف فليست الأيام قاصرة على ألف ولا على خمسين ألف و ٣٠٠ مليون سنة بل تكون أكثر وأقل باختلاف الشمس والمجرات والسدم . وأنا أجد الله تعالى إذ كان هذا التفسير مملوا بهذه الجباب ، فيه مفتح لكل من اطلع عليه ، فالحمد لله الذى ألهم وعلم . هذا من حيث الأيام وأن علومها اتسعت في زماننا فأصبحنا نعدّها بمئات الملايين

بقى علينا أن نبحث من علم الجيولوجيا في نظام هذه الأرض والسموات وتدرجهما من حال الى حال وأن السموات كانت دنانا وهذا بيت التصيد

فلاشرح هذا الموضوع بقدر الامكان من علم الجيولوجيا نفسيرا لقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - ولقوله - قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون لله أندادا ذلك رب العالمين \* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين \* ثم استوى الى السماء وهي دخان - الى آخره

أيها المسلمون : إن الله تعالى من عنايته بنا ذكرهنا ﴿ عشرة أفعال ﴾ في هذا المقام : « خلق ،

جعل ، بلوك ، قتر ، استوى الى السماء ، فقال ، قالتا ، فضاهن ، أوسى ، زينا ، فهذه الأفعال العشرة جاءت على وتيرة واحدة وهي أفعاله تعالى نفسه . وإذا كان الأئمة رحمهم الله قد اعتمدوا بآية الوضوء والفعل والتيمم فألفوا فيها كتباً وليس فيها إلا أفعال خمسة من أفعالنا نحن وهي اغسلوا وامسحوا اطهروا تيمموا فامسحوا هذه أفعال خمسة من أفعال العبد استقرت كتباً في المذاهب المختلفة ولم تنل هذه الأفعال العشرة التي هي من أفعال الله جزءاً من ألف مما استنفدته نتائج الأفعال الخمسة العملية في الوضوء والفعل والتيمم . أفليس هذا أعظم تقصير ! أفليس من العار أن يسمع المسلم الله يقول - فقال لها وللأرض - الخ ولا يبحث ولا يفكر ، إن ذلك جهل مبين

إذن لنبحث ونشمر عن ساعد الجد في كسب أمرين : أمر علمي ، وأمر عملي . أما الأمر العلمي فهو الجمال والبهاء والنور والحكمة والسعادة النفسية لأن علم طبقات الأرض وعلم الفلك يرقيان نفوسنا ، ولا معنى للإنسانية إلا العلم ، ومعنى ارتقت النفوس قربت من ربها إذ لا قرب إلا بالعلم ، وما العمل إلا صقل للنفس واعدادها غالباً ، هذا هو الأمر العلمي

أما الأمر العملي ، فالتأمل نال حظاً في حياتنا إلا بالعلم . وكيف نعرف خواص النبات أو الحيوان إلا بدراستهما . وكيف نستخرج الفحم من الأرض والملح والمعادن والسوائل كالبتروك والغازات اللاتي عرفها أهل أمريكا فأوقفوا بها مصايهم من نفس الأرض إلا بعلم طبقات الأرض التي وعدنا الله بتفصيلها . فأذكر لك فيما يأتي شفرات منه . وعلى المسلمين بعدنا إتمام مابدأناه فان ذلك واجب عليهم شرعاً ، فأجعل الكلام على الأرض في (باين) باب العلم ، وباب العمل

- (١) باب العلم . لأبدأ أولاً بذكر معلومات عظيمة عن الكرة الأرضية
  - (٢) ثم ألقى بذكر أهم النظريات الحديثة من حيث ان أصل الأرض كانت سديماً أي ذرات معدنية
  - (٣) ثم أتبعه بذكر العصر الأول للأرض
  - (٤) وبعده عصر الحياة القديمة
  - (٥) ثم عصر الحياة الوسطى
  - (٦) ثم عصر الحياة الحديثة وما فيه من بقايا خشب وغابات متحجرات
  - (٧) وما يقع ذلك من العصر الجيولوجي القديم
  - (٨) ثم العصر الجيولوجي الحديث . وعصر البرنز
- ثم يلي ذلك باب العمل ، وهو ذكر نبذة من تاريخ المعادن بالقطر المصري . فلا شرع في تفصيل ذلك فأقول ومن الله التوفيق

## ( باب العلم وفيه ثمانية فصول )<sup>(١)</sup>

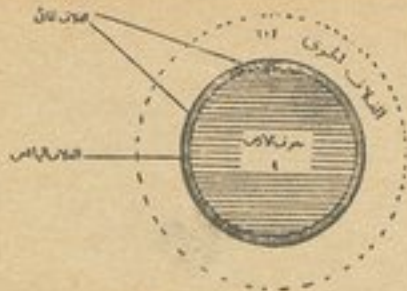
### ( الفصل الأول )

( في ذكر معلومات عامة عن الكرة الأرضية )

تطلق لفظة الأرض أو الكرة الأرضية على الكوكب الذي نكنه سواء منه اليابس والماء وعلى ما يحيط به من هواء

ويمكن قسمها بسهولة البحث تقسماً طبيعياً إلى أربعة أجزاء (انظر الشكل ١٣ في الصفحة التالية)

(١) هذا وما بعده في هذا العلم من كتاب الجيولوجيا تأليف الدكتور حسن صادق مراقب مصلحة المناجم



(شكل ١٣)

قطاع تخيلي يوضح أقسام الكرة الأرضية

وفي الواقع أن الجيولوجيا تبحث في تكوين وتركيب القشرة اليابسة وما يحدث فيها العوامل الناتجة من تفاعلات الأجزاء الثلاثة الأخرى

### (الغلاف الجوي)

يطلق هذا اللفظ على مجموعة الغازات التي تحيط بالكرة الأرضية . ولا اعتبارات عديدة يقدّر سمك هذا الغلاف تقديرا تقريبا بنحو ٥٠٠ الى ٦٠٠ ميل على أنها بحكم قلة ضغطها أو كثافتها كلما بعدنا عن سطح الأرض تكاد لا تكون محسوسة على ارتفاع ٢٥ ميلا من السطح

يتركب الهواء من الغازات الآتية بالنسبة المئوية للمبينة أمام كل منها

آزوت (نروجين) ٧٩ في المائة

أوكسيجين ٢١

ثاني أوكسيد الكربون ٠.٠٣ ر .

وهذا عدا كميات قليلة جدا من غازات نادرة مثل الأرجون والهيليوم والكريبتون والنيون والاجزينون وكذلك بخار الماء الذي يوجد بكميات متفاوتة بتفاوت سطح الأرض من حيث الرطوبة والجفاف . وهذا عدا الأبخرة والغازات البركانية والأترية الدقيقة وهي مواد وان لم تكن أساسية في الهواء لها أحيانا أهمية خاصة من حيث أثرها في العوامل الجوية

وترجع أهمية الهواء كعامل من العوامل المؤثرة في سطح الأرض اليابسة إلى صفتين :

(أولا) التأثير الكيميائي لبعض العناصر المكوّنة للهواء في المعادن والصخور التي يتكوّن منها اليابس (ثانيا) ميعة الهواء وسهولة حركته من جواء تغيير الحرارة والضغط وما ينتج عن هذه الحركة من رياح . ومن الهواء تهطل الأمطار ومن هبوبه تتكوّن الأمواج وهذه كلها عوامل ذات أثر ظاهر في القشرة الأرضية اليابسة . وسيأتي وصف كل من هذه العوامل وأثرها

### (الغلاف المائي)

يطلق هذا الاسم على ما يوجد على سطح اليابسة من ماء في المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار وما يتخلل جفواتها وشقوقها . ولو كانت الأرض كرة ملساء لاتعرج في سطحها لغطاها ذلك الماء بغلاف سمكه ميلان أما وسطح الأرض بين مرتفع ومنخفض فقد اجتمع الماء في مناطق الهبوط فتكوّنت منه المحيطات والبحار والأنهار التي تغطي نحو ثلاثة أرباع من مجموع سطح الكرة الأرضية

### (أعماق البحار والمحيطات)

يختلف عمق هذا الغلاف المائي من مكان لآخر اختلافا كبيرا فالأنهار والبحيرات غالبا قليلة العمق والبحار قد يبلغ متوسط عمقها بضع مئين من الأمتار بينما المحيطات قد تبلغ من العمق آلاف الأمتار . وقد برهنت



المقاسات التي أجرتها بواخر الاستكشاف وبواخر وضع الأسلاك البرقية البحرية أن متوسط عمق المحيطات من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر وقد بلغ أكبر عمق رصدته تلك البواخر نحو ٩٤٢٠ مترا بالمحيط الهادى قرب جزائر البوليونيز

كذلك يستدل من نتائج أعمال بواخر الاستكشاف المذكورة أن قيعان المحيطات هي عبارة عن سهول ممتدة تكتنفها سلاسل من الجبال مغمورة تحت الماء وقد يصل بعضها إلى قرب سطح الماء أو يعلوه فيتكوّن منها بعض الجزائر في وسط المحيط كجزائر القديسة هيلانة في المحيط الأطلسي وجزائر ساندوتش بالمحيط الهادى والماء هو مركب كيميائى من اتحاد الأوكسجين والهيدروجين بنسبة ذرة من الأول وذرتين من الثانى إلا أنه يوجد في الطبيعة دائماً مذاباً فيه أملاح مختلفة تتفاوت في مقدارها تفاوتاً عظيماً فياه الأنهار وأغلب البحيرات عذبة . أى لأن الأملاح المذابة بها قليلة بينما مياه البحار والمحيطات مالحة أى مذاب بها كمية كبيرة من الأملاح

وتزيد نسبة الأملاح المذابة في مياه البحار المفلقة في المناطق الحارة نظراً لارتفاع نسبة البخر وعدم تعويض المياه التي تفقدها كافي البحر الميت بفلسطين . انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثانى ﴾

( في أهمّ النظريات الحديثة من حيث أن الأرض كانت سديماً )

اعلم أن العلماء بحثوا في أصل الكرة الأرضية علما منهم بأن المركب ان لم يحلل الى عناصره والعم ان لم تعرف أصوله ومبادئه وأحواله الماضية لم ينتفع الناس به كما ان اللغات لانكون مفيدة مالم تحلل الجمل الى كلمات والكلمات الى حروف ، والحاء والميم اللذ كورتان في أول هذه السور شاهد عدل بذلك لتقوم حجة رمزية على المسلمين الذين يجهلون تحليل العلوم وأصولها لأنهم لا ينتفعون بها ولا بالحياة على هذه الأرض وإذن نشرح في آراء العلماء فنقول .

لقد وضع العالم الفيلسوف الألماني ( كانت ) سنة ١٧٥٥ نظرية لأصل هذه العوالم . فقال « إن الفضاء السهوى كان قبل تكوين الشمس العظيمة وسياراتها مملوءا بسحاب هظيم جدا مركب من مواد غازية مرتفعة الحرارة جدا ، ثم أخذت الجاذبية تلتصق بعض أجزائه ببعض بحيث صار كتلا كل كتلة لها مركز خاص يدور بعضها على بعض وتأخذ الحرارة تنقص شيئا فشيئا وهذه هي الشمس التي نسميها نجوما »

فلما اطلع على هذه النظرية ( لابلاس ) الفرنسى سنة ١٧٩٦ - ١٨٢٤ اشتق منها نظريته المعروفة وهي « ان المجموعة الشمسية كانت سديماً حاراً بلاءً فضاء واسعاً فأخذ يبرد شيئا فشيئا ، وبعد ذلك أخذت تترك حلقات حلقة وراء حلقة وهذه الحلقات تكوّنت وبردت وهي تدور حول نفسها وحول الشمس وهذه هي الكواكب السيارة ومنها الأرض ، فالأرض على هذا الرأى ماهى إلا من ذلك السديم وقد كانت جزءا من الشمس ، والشمس لما أخذت تتقلص وتبرد تركت أجزاء منها هي عين السيارات وعين الشمس الخ »

هذا رأى ( لابلاس ) الفرنسى بعد ( كانت ) الألماني . ومعنى هذا أن حرارة الأرض الآن أقل من حرارتها في العصور القديمة جدا ( عصور الجيولوجيا ) أى علم طبقات الأرض ، وهذا الرأى هو الذى كنا ندرسه وتلقاه ونحن تلاميذ مدار العلوم منذ نحو ( ٤٠ ) سنة ، ولكن هذا الرأى الآن ظهر بطلانه لأنهم لما نظروا الى الحيوانات التي استخرجوها من باطن الأرض ( وسترى بعضها ) وقد مضت عليها آلاف وآلاف من السنين وجدوها لا تحتمل حرارة أشد من حرارة الأرض الآن وأن حرارة الأرض الآن هي حرارة الأرض قديماً .

إذن هذا الرأي بطل الآن وحل محل رأى آخر وهو أن السديم ليس غازا بللغنى المتعارف بل هو معدن وهذا المعدن ذرات صلبة بينها جاذبية فتكون منها سحابة سميكة أو غبار سماوى يخضع لقانون كانه جسم واحد . أقول والقول الأول والقول الثانى فى نظر القرآن سواء لأن الله يقول - ثم استوى الى السماء وهى دخان - فنظر السماء دخان ، ولكن كون هذا الدخان شديدا الحرارة وليس معدنا أو معدنا له أجزاء طائفة فى الجوق كالغبار ، فهذان بيان فى أنهما يسميان دخانا . فالرأى الحديث الذى استقرّ عليه القوم أن الأصل الأول سديم والسديم كما قلنا ذرات معدنية صلبة طائرا مرربطات بقوانين ، أوهى غبار سماوى ، أو (دخان) وهالك صورته (انظر شكل ١٤)



( شكل ١٤ - منظر السديم المعروف فى مجموعة نجوم الجبار كما يرى بالنظارة الفلكية المعظمة )

ثم ان هنا السديم امتدت منه أذرع أخذت شكلا حلزونيا بسبب دوران شكل السديم فأصبح بذلك أشبه بالسديم الحلزونى الذى يرى فى مجموعة النجوم المعروفة بالسلاقى (انظر شكل ١٥)



( شكل ١٥ - منظر للسديم الحلزونى فى مجموعة نجوم السلاقى كما يرى بالنظارة الفلكية المعظمة )

وهكذا أخذت المعادن أثناء الدوران تفوس وتنزل فى وسط هذا السحاب . ولما غاصت تركت وراءها مادة أطف منها . فكانت هذه هى القشرة الأرضية . وهذه القشرة لما جدت بالبرودة انكمشت وصارت

مجموعة فهبطت منها أجزاء وهي المحيطات وبرزت أخرى وهي القارات . وقد أحاطت بالأرض أبخرة صارت ماء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل الثالث في العصر الأولي للأرض ﴾

جاء في كتاب الجيولوجيا ما نصه

#### ﴿ العصر الابتدائي للأرض ﴾

يبدأ هذا العصر وقد أصبحت الأرض وحدة كروية مستقلة ذات قشرة خارجية من صخور جرانيتية . وتجمعت هذه القشرة بالانكماش الناتج عن البرودة فبرزت منها أجزاء هي القارات وانخفضت أجزاء أصبحت أحواض المحيطات بفضل ما تجمع فيها من المياه التي تقطرت بالبرودة من الأبخرة التي كانت تحيط بهذا الكوكب في حالة نشأته الأولى

وتعرضت القارات الى عوامل التعرية فتفتتت صخورها ثم اكتسحت المواد المفتتة الى البحار والمحيطات من جوار بعض العوامل التي تقدم وصفها كالرياح والأمطار والأنهار فتكونت الرواسب على قيعان البحار ومن ثم بدأ تكوين الصخور الرسابية

### ﴿ الفصل الرابع : في الحياة القديمة ﴾

يمثل هذا الحقب جزءا كبيرا من مجموع الزمن الجيولوجي يقدر كإقدمنا بنحو ٣٠ في المائة من مجموع . وتدلنا الحفريات الكثيرة التي وجدت دفيئة بين صفحات صخوره أن سطح الأرض وجوف البحار كانت وقتئذ مرتعا لأنواع من الحياة تختلف كل الاختلاف عن الكائنات الحية التي نعلم وجه الأرض الآن . فكانت من بينها أجناس وفصائل ورتب قد بادت واقترضت فليس شئ يشابهها الآن على وجه الأرض كما أن على سطحها الآن من الفصائل الشائعة ما لم تكن قد ظهرت بعد . (انظر اللوحة الأولى) في الصفحة الثالثة

ومن أهم فصائل الحيوانات التي يختص بها هذا الحقب القديم الجرابتوليت والتريلوبيت التي عاشت واندرت قبل انقضاء ذلك الحقب فلا أثر لها بين صخور الحقب الذي يليه . (انظر رقمي ١ و٤ باللوحة الأولى) والجرابتوليت من فصيلة الحيوانات البحرية المعروفة بالبوريفرا . وهي عبارة عن سلسلة متصلة من الخلايا يربط بعضها ببعض عمود دقيق . وقد تكون فردية مستقيمة أو مقوسة أو حلزونية وقد تكون متفرعة الى فرعين أو أكثر (شكل ١ باللوحة الأولى)

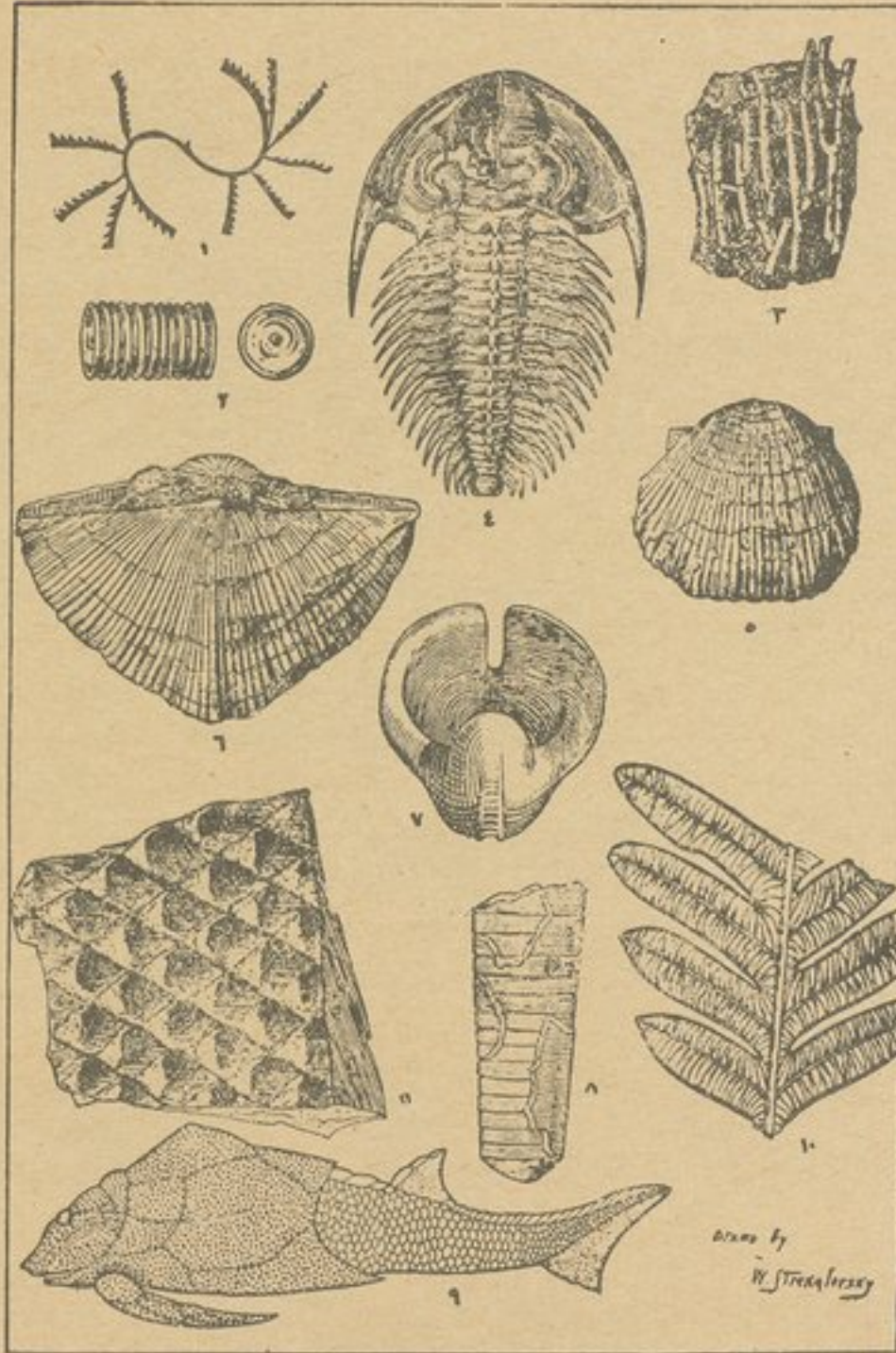
والتريلوبيت من فصيلة الحيوانات القشرية تنقسم طوليا لثلاثة أقسام هي الرأس والجسم والذنب وعرضيا لثلاثة أقسام أيضا (شكل ٤ باللوحة الأولى)

ومن أنواع الحيوانات أيضا الشعاب المرجانية (شكل ٣ باللوحة الأولى) والحيوانات المحارية (الشكلين رقمي ٥ و٦ باللوحة الأولى) وكلها من أنواع وأجناس بادت قبل انقضاء ذلك الحقب فلم يظهر أثرها بين صخور الأحقاب التالية وليس لها وجود في البحار الحالية

وقد كانت الأسماك أولى الحيوانات الفقرية التي ظهرت في البحار أبان ذلك الحقب . على أنها كانت تختلف اختلافا بينا عن أسماك البحار الحالية إذ لم تكن هياكلها العظيمة قد تعظمت تماما وكان يستعاض عنها الحيوان بدرجة خارجية تغطي رأسه وجزءا من جسمه (انظر الشكل رقم ٩ باللوحة الأولى)

ومن الأسماك نشأت أنواع الأمفبيا والحيوانات البرمائية . على أن ظهورها كان قرب انتهاء ذلك

الحقب ومنها نشأت الزواحف التي كان لها شأن عظيم في حقب الحياة الوسطى ( انظر شكل ١٦ )



{ اللوحة الأولى - انظر شكل ١٦ }

(الحفريات المينة بهذه اللوحة حسب الأرقام المينة أمام كل منها). (١) جرابتوليت (٢) كرينويد  
(٣) شعب مرجاني (٤) تريلوبيت (٥) برودكتوس (٦) سيريفر (٧) بليريفون (٨) ارتوسوراس  
(٩) سمك بريكفس (١٠) نبات سرخسي (١١) لبيدودندرون)

## ﴿ الفصل الخامس في عصور الحياة الوسطى ﴾

جاء في كتاب « الجيولوجيا » مانصه :

كان هذا الحقب فترة سدون وهدره لم تتعرض القشرة الأرضية فيه لمثل ما تعرضت له من حركات أرضية عنيفة إبان الحقب . ولم تكن الأرض في غضون هذا الحقب المتوسط مسرحاً لتفاعلات بركانية شديدة ومع أن البحار قد عدت على بعض أجزاء من الأرض فغمرتها وألقت فوقها برواسبها المختلفة إلا أن ذلك لم يكن نتيجة حركات عنيفة من نوع التي أدت في الأحقاب الأخرى اليرفع سلاسل الجبال العظمى كذلك كانت هناك براكين في بقاع مختلفة ولكنها لم تبلغ الشأ والانتشار اللذين بلغتهما في العصور السابقة وليس للصخور البركانية شأن كبير بين صخور تكاوين الحقب المتوسط

وقد كانت أنواع الحياة من نبات وحيوان تختلف في مجموعها عنها في عصور الحقب القديم \* فبادت من بينها فصائل كانت قد أينت وازدهرت في العصور الأولى كالتريلوبيت والجرابتوليت وانتشرت بدلا عنها أجناس اختلفت بها هذا الحقب كالأمونيت والبلعيت التي بدأت مع ابتداء ذلك الحقب واندثرت قبل انتهائه فأصبحت من أخص مميزات

والأمونيت (شكل ١ باللوحة الثانية) جنس من الحيوانات المحارية الرخوة محارته مستديرة الشكل مقطوعة في التواءات حلزونية بداخلها تجويف حلزوني مقسم الى غرف أكبرها الغرفة الخارجية التي كان يسكنها الحيوان . وتفصل هذه الغرف بعضها عن بعض قطاعات مجمدة . وقد كان من هذا الجنس نحو أربعة آلاف نوع يختلف بعضها عن بعض في حجمها وشكلها وزخرفها الخارجي أما البلعيت (شكل ٢ باللوحة الثانية) فهو حيوان ذو محارة سوداء مستطيلة أعلاها مجوف حيث كان يسكن هذا الحيوان وأسفله ينتهي بنقطة حادة ومن أنواع الحيوانات التي تكاثرت في العصور الجيولوجية الوسطى الشعاب المرجانية التي كانت تشبه الشعاب التي تمولآن في بحار المناطق الاستوائية (انظر شكل ١٧) في الصفحة التالية

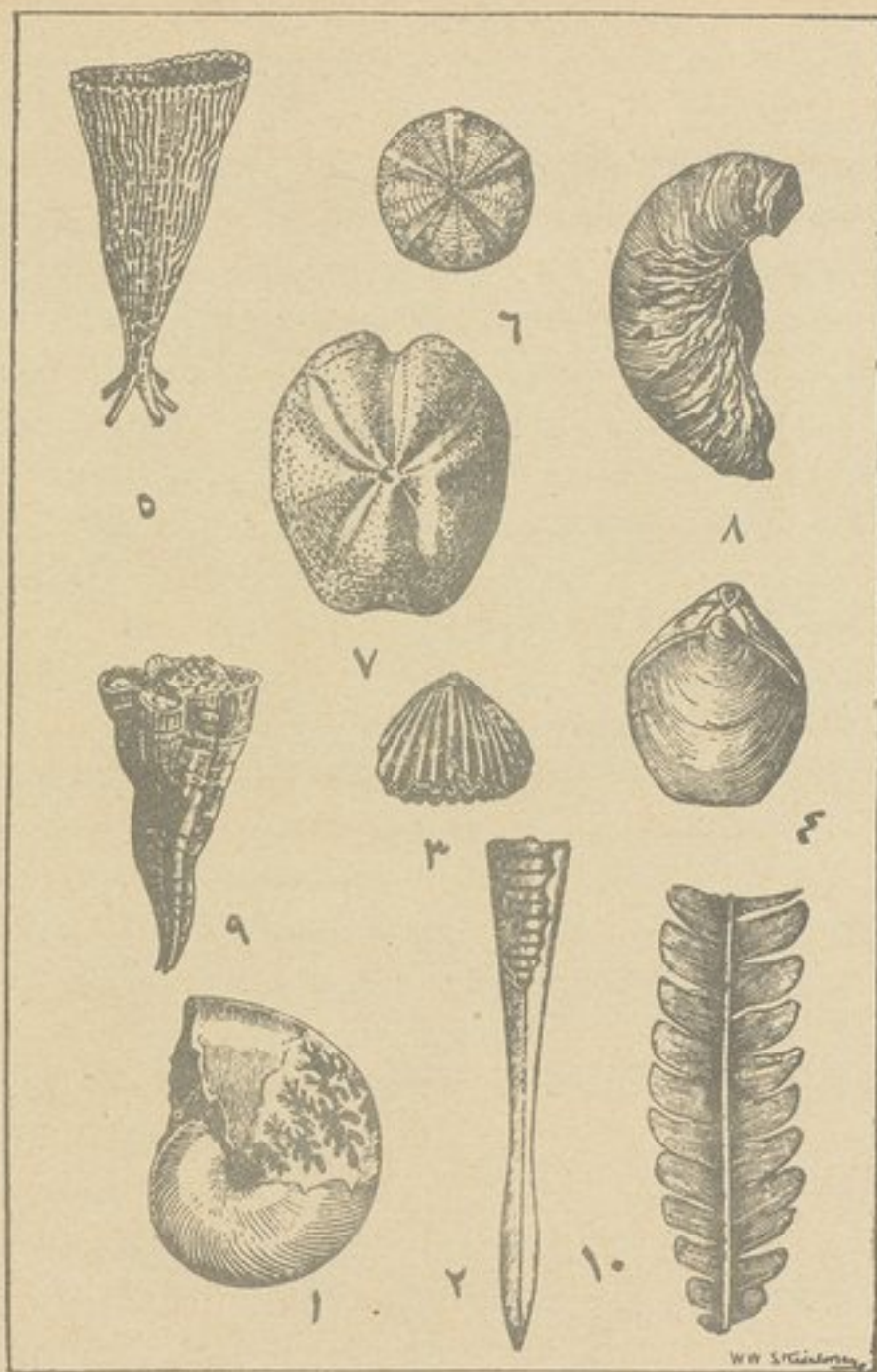
## ﴿ الفصل السادس . في عصور الحياة الحديثة . ( الكاينوزوي ) ﴾

جاء في كتاب « الجيولوجيا » مانصه .

ترجع تسميته الى الشبه الكبير بين ما كانت تعيش فيه من نباتات وحيوانات وما يعيش منها الآن مع العلم أن كلمة ( كاينوز ) يونانية معناها حديث أو جديد وكلمة ( زون ) كلمة أخرى معناها حياة وقد بدأ ظهور الفصائل والأسر والأجناس الحالية من حيوانات ونباتات مع ابتداء هذا الحقب وصارت تزايد نسبتها كلما تقدمنا فيه . فكانت مجموعة الحياة تزداد شها بالمجموعة الحالية . وكان في ذلك تدرج من الحياة الوسطى الى الحياة الحالية

وكانت أجناس الأمونيت والبلعيت التي اختلفت بها العصور الجيولوجية الوسطى قد اندثرت شيئا فشيئا قبل بزوغ الحقب الحديث كذلك بادت الزواحف الكبرى التي تفوقت في تلك العصور على باقي الحيوانات ولم تترك وراءها من تلك النسيطة سوى أجناس قليلة الأهمية صغيرة الحجم هي التي بقيت على وجه الأرض الآن كالسحالي والتماسيح والأفاعي

ومن أخص مميزات أنواع الحياة في ذلك العهد النوموليت والسريريوم وهي لم تكن قد ظهرت قبل ذلك . ومن الحيوانات الفقيرة امتازت الثديية فتفوقت على باقي أنواع الحيوانات جميعا . وبلغت المملكة النباتية



(اللوحة الثانية - شكل ١٧)

(مجموعة أهم الحفريات في صخور حقبة الحياة الوسطى بالقطر المصري)

(أسماء الحفريات المبينة باللوحة الثانية حسب الأرقام المبينة أمام كل منها هي - (١) أمونيت (٢) بلعنت (٣) رينكونيلا (٤) تريبرانولا (٥) اسفنج فنتريكولينس (٦) هولكتيوس (٧) هيماستر (٨) أوستريا (٩) رودستا (١٠) نبات سرخسي)

ما لم تكن قد بلغت قبل ذلك من تنوع أجناسها وانتشارها وتوزعها  
ويقدرون عدد أنواع الحيوانات التي عاشت في عصور الحقب الحديث بنحو ٢٠ ألف نوع أهمها تابع  
للأجناس الآتية

النوموليت وهي حيوانات من فصيلة الفورامينيفرانسكن الى هيكل جبرى مستدير يختلف حجما وشكلا  
من حبة العدس الى القطعة ذات العشرين قرشا . وقد كانت استدارتها ورقتها التي جعلتها شبيهة بقطع النقد  
سببا في تسميتها . فاذا قطعت نصفين رؤيت منقسمة في الداخل الى خلايا صغيرة مرتبة في صفوف حلزونية  
يفصل بعضها عن بعض حواجز رقيقة (انظر شكل رقم ١ باللوحة الثالثة) وقد اقتصرت حياة النوموليت  
على العصر الأول من عصور هذا الحقب وتكاثرت فيه وكان من جراء تراكم محارثها أن تكونت الأحجار  
الجيرية النوموليتية ومنها أحجار جبل المقطم وهضبة أهرام الخيزة

ومن القنافذ البحرية جنس الأكينولامياس . ومن الحيوانات الرخوة السرينيوم وهي من القواقع  
ذات المحارات الحلزونية المزخرفة من الخارج بأزرار وخطوط وقد بلغ بعض أنواعها حجما كبيرا . ومنها أيضا  
البلانوريس وكانت تسكن المياه العذبة

ومن الحيوانات الرخوة ذات المحارات المزدوجة الأوستريا (شكل ٦ باللوحة الثالثة) والبيكتن (شكل ٧  
باللوحة الثالثة) واللوسينا (شكل ٢ باللوحة الثالثة)

وقد انتشرت الحشرات انتشارا كبيرا وذلك يرجع لانتشار النباتات الزهرة . فكان من بينها أنواع النحل  
والبعوض والنمل والفراش وقد حفظت حفريات بعضها بحالة جيدة جدا داخل قطع الكهر باه (الكهرمان)  
الذى هو عبارة عن صمغ بعض الأشجار الصنوبرية التي كانت منتشرة في غابات ذلك الحقب

ومن الحيوانات الفقرية الأسماك وكانت تشبه الأسماك الحالية كل الشبه . والأمفيبيا والزواحف التي كان  
من بينها السحالي والثعابين والسلاحف والتماسيح التي لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في الوقت الحالي

واندرت الطيور ذات الأسنان التي كانت قد نشأت في أواخر العصور الوسطى وأخذت مكانها أنواع لا أسنان  
لها تشبه الطيور الحالية

أما الحيوانات الثديية فقد بلغت أقصى حدود الكمال في ذلك الحقب وتفاوتت على باقي أنواع الحياة جميعا  
ومن الهياكل العظمية التي وجدت مدفونة في باطن صخور ذلك الحقب أمكن تتبع الحلقات المختلفة في

نشوء بعض الأجناس التي تعيش على الأرض الآن

فالقيل مثلا نشأ في العصور الأولى من ذلك الحقب من جنس الماستودون وهو حيوان بلغ طوله (٥) ونصف من  
الأمطار وارتفاعه ٤ أمتار وله نابان في كل من الفك الأعلى والأسفل (انظر شكل ١٨ أى اللوحة الثالثة) في

الصحيفة التالية





(شكل ١٨ - اللوحة الثالثة)

(مجموعة أهم الحفريات في مسخور حقب الحياة الحديثة بالقطر المصري)

(أسماء الحفريات للبيئة باللوحة الثالثة حسب الأرقام للبيئة أمام كل منها هي (١) نوموليت (٢) لوسينا (٣) نانيكالونجا (٤) سرطان بحري (٥) فاكهة متحجرة (٦) أوستريا (٧) بكتن (٨) سن الحوت (٩) ورقة شجر (١٠) كليباستر)



### ﴿ الفصل السابع في العصر الحجري القديم ﴾

اعلم أن عصر الحياة الحديثة المتقدم ذكره قسمه العلماء الى قسمين عظيمين : عصر ثلاثي وعصر رباعي وفي العصرين ظهرت أنواع من الحيوانات الرخوة وهي لا تزال حية الى الآن . وقد وجدوها ستة أنواع في أزمان مختلفة . وفي هذا العصر كانت بعض الغابات المتحجرة وهي الأماكن التي تظهر على سطحها هذه الطبقات الرملية التي تحتوي على بقايا الخشب المتحجرة . وبتأثير عوامل التعرية فيها تكتسح الرمال وتبقى الأشجار المتحجرة ملقاة على السطح . ومن أمثلتها « الغابة » المشهورة الواقعة على بضعة كيلومترات شرق العباسية حيث ترى كثيرا من سيقان الأشجار يبلغ طول بعضها عشرين مترا . وهي محتفظة بدقيق تركيب أليافها حتى إنها تشبه الخشب في شكلها الخارجي إلا أنها مركبة من مادة سيليسية بدلا من مادتها الخشبية الأصلية . وقد استبدلت بالمادة الأصلية مادة السيليس ذرة لنرة في مياه معدنية سيليسية كانت قد تفجرت من عيون في نهاية ذلك العصر ( أنظر الشكل رقم (ا) والصورة الفوتوغرافية رقم (ب) باللوحة الرابعة ) ( انظر شكل ١٩ وشكل ٢٠ )

( اللوحة الرابعة )



( شكل ١٩ ) ( ا ) قطعة من الخشب المتحجر



( شكل ٢٠ ) ( ب ) منظر الغابة المتحجرة قرب القاهرة



إذا عرفت ما تقدم فلنفض الكلام على العصر الحجري وهو العصر الذي كان الإنسان يستعمل فيه الأحجار الصلبة ليصنع منها آلاته المختلفة . ولقد كانت هذه الآلات في أول الأمر مهذبة تهذيباً بسيطاً لا تدل على مهارة خاصة ثم تدرجت إلى أرقى فأرقى حتى بلغت في النصف الأخير من هذا العصر درجة كبيرة من الاتقان . ولذلك قسم العصر الحجري إلى قسمين (١) - (العصر الحجري القديم)

وكانت فيه الآلات الحجرية بسيطة الشكل غير مصقولة ومن أمثلتها المجموعة التي ترى في الشكل رقم ٢١

ومن الحالات التي توجد فيها هذه الآلات يتضح أن الإنسان كان في أول الأمر هائماً على وجهه متنقلاً في السهول والوديان باحثاً عن صيد أو هارباً من حيوان مفترس . وبعد ذلك لجأ إلى سكنى الكهوف والمغارات حيث ترك وراءه فيها هياكله العظمية وبعض آثاره من آلات حجرية

ولقد بلغ بعض ساكني هذه الكهوف مبلغاً عظيماً من الفن فتركوا على حيطانها رسوماً متقنة تمثل ما كان يعاصروهم من أنواع الحيوانات البائدة كالماموث وبعض أنواع الفزال



(شكل ٢١)

ومن آثار هذه الكهوف يظهر أن الإنسان كان في تلك العصور النائية قد دفعه فائدة النار في طهي الطعام والتدفئة . كذلك كان قد بدأ يستفيد مما عاصره من حيوانات فكان يصنع من ألياف الفيلة ومن قرون الفزال سكاكين ورؤوساً للرماح إلى غير ذلك من آلات بسيطة الصنع

## (٢) - الفصل الثامن . في العصر الحجري الحديث ومع عصر البرنز

تتمايز آلات الإنسان في ذلك العهد بسقلها ورقتها ودقة صنعها واختلاف أشكالها . فكان منها رموس الرماح والسهام والبلط (انظر شكل ٢٢)



(شكل ٢٢ - مجموعة من الآلات من حجر الصوان تابعة للعصر الحجري الحديث)

ذلك لأنه كان قد تقدم درجات محسوسة في سلم المدنية فزادت احتياجاته والحاجة كما نعلم هي أم الاختراع . ومن الرسوم التي تركها على جوانب الكهوف وعلى أيدي السكاكين يظهر أنه كان قد نجح في إخضاع بعض الحيوانات الوحشية فصارت أليفة تساعد على كفلقه في الحياة . فكان له منها الثور والحصان والحمار والكلب والقط . كذلك كان قد تعلم فنون الزراعة فزرع القمح والشعير ليطعمه وزرع التيل ليصنع منه ملابس يتق بها عوادي الطبيعة ويستعملها في الزينة . كذلك كان قد علم شيئا عن صناعة الفخار فصنع لنفسه منه أواني بسيطة

وقد هجر الكهوف في آخر الأمر إلى بناء مساكن يأوي إليها في أواسط بعض البحيرات ليأمن فيها من اعتداء الوحوش الضارية وقد بقيت آثار بعض هذه المساكن في بحيرات بسويسرا وغيرها من البلاد . ويظهر أنه كانت له وقت ذلك معتقدات دينية فقد ترك وراءه هياكل أو معابد ملقونة من جلابيد مخربة ضخمة لا بد أنها تطلبت منه مجهودا عظيما في إقامتها

### ( عصر البرنز )

هذا العصر يتفق في أغلب البلاد مع ابتداء العصر الجيولوجي الحديث أي عقب انتهاء عصر البليستوسين فكان فاتحة العصور التاريخية المعروفة

ومن الغريب أن ينتقل الإنسان من صناعة آلاته من الصوان فجأة إلى البرنز الذي هو خليط من معدنين وقد يكون ذلك من باب المصادفة

وقد شذ سكان وادي النيل القدماء عن هذه القاعدة العامة في التدرج فلم يمزوا في عصر البرنز بل انتقلوا من العصر الحجري الحديث إلى استعمال النحاس الذي كانت لهم فيه طريقة خاصة لجعله شديد الصلابة أما عصور الإنسان الحجرية في القطر المصري فتوجد آثارها من آلات من الصوان في واسب الرمل والحصى على جانبي وادي النيل وفي الوديان بالصحاري . وقد جمعت أحسن أمثلتها من طبقات الرمال والحصى بالعباسية فكان من بينها أنواع تمثل جميع درجات العصر الحجري القديم من ابتدائه إلى انتهائه . كذلك وجدت آثار العصر الحجري الحديث في بعض بقاع متفرقة في وادي النيل نفسه وعلى مقربة من بحيرة قارون ويستنبط من هذا أن الإنسان في العصر الحجري القديم كان منتشرا في وادي النيل والصحاري وقد يكون ذلك للملازمة الأحوال الجوية لتقله في هذه المناطق . على أنه في العصر الحجري الحديث قد لجأ إلى أماكن معينة بوادي النيل واتخذ عيشة أكثر سكونا من الأولى . وإلى هنا تم الكلام على باب العلم وفصوله الثمانية والحمد لله رب العالمين

### باب العمل

ولأذكر هنا نبذة من علم الجيولوجيا خاصة بالقطر المصري الذي هو بعض البلاد الإسلامية . وهناك نصها

### ( نبذة عن تاريخ التعدين بالقطر المصري )

يرجع أول اهتمام بالتعدين في مصر إلى العصور التاريخية القديمة . فقد كان قدماء المصريين يهتمون به اهتماما عظيما يظهر أثره فيما فتحوه من مناجم للذهب والنحاس وبعض الأحجار الكريمة . وقد كان لما استنبطوه من المعادن بعض الفضل في المركز الممتاز الذي تبوؤوه بين باقي الأمم . وقد ظهر من مسطوراتهم على البردي وعلى جدران بعض المعابد أنهم كانوا يعيشون إلى الصحراء بعونا بمجهزة رجال الفن المعدنيين تحرسهم فصائل من الجنود لتصد عنهم عادية أهل البدو المعادين

واستمر هذا الاهتمام بأمر التعدين طول عصر قدماء المصريين حتى عهد الرومان . ثم تولاها كاتولي باقى مرافق الثورة خول تام لم يفتق منه إلا فى عصور منقطعه إبان الحكم العربى الاسلامى فلما أن تبوأ عرش مصر ساكن الجنان محمد على باشا منشىء الأسرة العلوية الكريمة فقه بثاقب بصره أن المعادن هى أساس الصناعات جميعا ، فوجه عناية خاصة للبحث عنها ونذب من علماء الأوربيين من جابوا الصحارى المصرية باحثين منقبين . على أن المنية عاجلته قبل أن تتم جهوده الثمرة التى كان يرجوها ولم يضع مجهوده سدى . فاتجهت الأنظار بعد ذلك إلى مسائل التعدين فى مصر ومابداً القرن الأخير حتى كانت جهود قيمة تبذل فى سبيل البحث عن المعادن بالصحارى المصرية . فأعيد فتح مناجم الذهب القديمة واستمر استغلال بعضها سنين عديدة ، وكشفت موارد الفوسفات والبتروى والمنجنيز وبلغ استغلال بعضها شأنًا لا يستهان به . وسقتصر فى الكلام هنا عن أهم المعادن على حسب ترتيب أهميتها

### ( زيت البترول )

أول ما دل على وجود البترول بالأراضى المصرية ما كان ينز منه منذ القدم على سطح الماء عند سفح جبل الزيت على شاطئ خليج السويس . وكان هذا النزيبا فى تسمية الجبل بهذا الاسم ثم كشف بعد ذلك عام ١٨٨٥ بمنطقة الممشة (جسا) فى مغارات كانت قد فتحت قرب الشاطىء لاستخراج معدن الكبريت . فأدى ذلك الى البدء فى عمليات البحث التى لم تتم قبل عام ١٩١٠ . ومن ذلك الوقت بدأ استغلال منطقة جسا كحقل بترولى واستمر استغلالها حتى عام ١٩٢٧ حيث نصب أغلب آبارها فأهمتها الشركة التى كانت تستغلها ( أنظر صورة أحد آبار جسا رقم ب باللوحة الخامسة فى الصفحة التالية ) وفى عام ١٩١٤ كشف الشركة نفسها منطقة الفردقة التى تبعد ٦٠ كيلو مترا جنوب جسا ، وقد تقدمت الفردقة تدريجا حتى بلغت الآن درجة كبيرة من الإنتاج وأصبحت المورد الأكبر لزيت البترول ومستخرجاته بالقطر المصرى (الصورة (ا) باللوحة الخامسة فى الصفحة التالية) . وسنورد بعض الأرقام للدلالة على أهمية كل من هذين المكانين

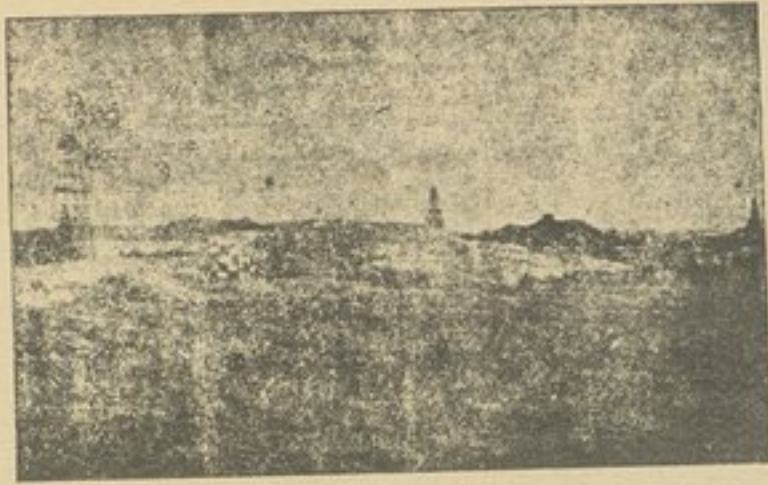
### ( جسا )

بلغ مجموع آبارها	٣٤ بئرا
عدد الآبار المنتجة	١٠ آبار فقط
متوسط عمقها	٤٠٠ متر
ومجموع ما أنتجته من البترول من وقت ابتدائها حتى أغلقت ١٨٢٤٨٨ طنا وكان البترول الذى أنتجته آبار جسا من نوع جيد غنى بالمواد الخفيفة كما يستدل من الأرقام الآتية	
قله النوعى	٨٢٧ ر .
نسبة البنزين	٢٨ فى المائة
نسبة الكيروسين	٣٢ فى المائة
نسبة المازوت	٤٠ فى المائة

### ( الفردقة )

بلغ مجموع آبارها	٨٢ بئرا
عدد الآبار المنتجة	٦٩ بئرا
متوسط عمقها	٦٠٠ متر
مجموع ما أنتجته حتى نهاية عام ١٩٢٨	٩٥٥ ٢٨٦ ٢٧ طنا

( اللوحة الخامسة )



( شكل - ٢٣ (ا) منظر لجزء من حقول البترول بالفردقة )

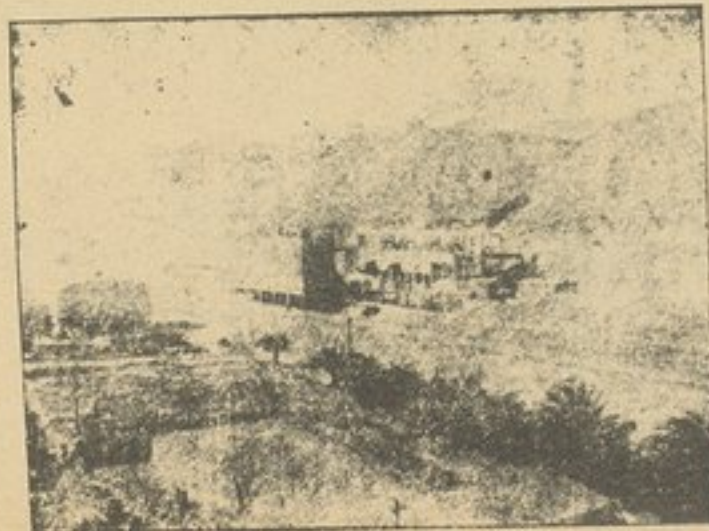


( شكل ٢٥ )

( ج ) أحد مروق الرو الحامدة للذهب  
بتناجم سمناء بالصحراء الشرقية

( شكل ٢٤ )

( ب ) بئر في أول إنتاجه يتدفق البترول من  
فوعته بقوة عظيمة - جما



( ١ ) - منظر عام لتأجير التوسعات قرب سفاجه بالصحراء الشرقية  
( شكل ٢٦ )



( شكل ٢٧ )

( ب ) - منظر منطقة مناجم المنجنيز بشبه جزيرة سينا

أما نوع البترول الذي تنتجه الآبار فهو أقل جودة من نوع بترول جسا كما يستدل من الموازنة بين الأرقام الآتية والأرقام التي أوردناها

٩٢٠ ر .	الثقل النوعي لبترول الفردقة
٨ في المائة	نسبة البنزين
١٥ في المائة	نسبة الكيروسين
٥٧ في المائة	نسبة المازوت
١١ في المائة	نسبة الأسفلت
٧ في المائة	نسبة البارافين (الجم)
٢ في المائة	نسبة الكبريت

وتخرج هذه الزيوت مختلطة بمياه مالحة تحتاج لفصلها عنها الى عمليات خاصة كما أنه تبيعت من الآبار غازات كثيرة يقطر منها الجاسولين وهو نوع من البنزين الخفيف . انتهى من كتاب الجيولوجيا للدكتور حسن صادق وبهذا تم الكلام على اللطيفة الأولى والحمد لله رب العالمين



## ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

( في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا - وكيف بقيت اللغة العربية محفوظة مصداقا لقوله تعالى - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - الخ ولقوله تعالى أيضا - سفرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ وهذه مجيزة ثالثة )  
 اعلم أيها المتكفي أن في وصف القرآن بأنه عربي ﴿ مبحثين ﴾ المبحث الأول ﴿ لغوى ﴾ المبحث الثاني ﴿ علمي وسياسي

## ﴿ المبحث الأول وهو اللغوى ﴾

جاء في كتاب « الاتقان . لعالم القرآن » في الجزء الأول صفحة ١٢٧ ما نصه :  
 « وأقوى ما رأيت لنزول غير العربي في القرآن وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التامبي الجليل . قال : « القرآن من كل لسان » . وقال قبل ذلك : وأجابوا عن قوله تعالى - قرآنا عربيا - بأن الكلمات البسيطة بغير العربية لا تخرج عن كونه عربيا ، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية . ثم قال . وروى مثله ( أي مثل ما قاله أبو ميسرة ) عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه . فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن انه حوى علوم الأولين والآخرين ونبا كل شيء ، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لئتم إحاطته بكل شيء فاختبره من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا للعرب . ثم رأيت ابن القيب صرح بذلك فقال : « من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة انها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت اليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه لغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير » اه  
 وأيضاً قال النبي ﷺ مرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى - وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه - فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وان كان أصله بلغة قومه هو اه  
 وهأنذا ملخص لك ماجاء في ذلك الكتاب مما ورد من لغات قبائل العرب المختلفة ، ثم أتبعه بما جاء فيه من لغات الأمم المختلفة ليكون ذلك ذكرى لأولى الألباب  
 ولقد اخترت أن يكون على هيئة جدول لطيف بحيث تكتب الكلمة وأمامها معناها وأمامها في صفهما اسم القبيلة ليكون ذلك أحسن وضعا وأتم صنعا وأقرب فهما وهما هي هذه في الصفحات التالية



القبيلة	معناها	الكلمة	القبيلة	معناها	الكلمة
هذيل	ناحيته	شا كلته	حبر	مكتوبا	مسطورا
»	ظنا	رجا	كنانة	الجهال	السفهاء
»	ملجأ	ملتجدا	»	صاغرين	خاسين
»	يخاف	يرجو	»	تلقاه	شطره
»	نقضا	هضبا	»	لانصيب	لاخلاق
»	مفبرة	هامدة	»	أحرارا	وجعلكم ملوكا
»	أسرع	واقصدني مشيك	»	عيانا	قيلا
»	القبور	الأجدات	»	سابقين	مجزين
»	مضى	ثاقب	»	يفيب	يعزب
»	حالم	بالهم	»	تملوا	تركنا
»	ينامون	يهجعون	»	ناحية	خوة
»	عذابا	ذنوبا	»	ملجأ	موتلا
»	المسامير	دسر	»	آيسون	مبلسون
»	عيب	تفاوت	»	طردا	دحورا
»	نواحيها	أرجائها	»	الكذابون	الخراصون
»	ألوانا	أطوارا	»	كتبا	أسفارا
»	نوماخيفا	بردا	هذيل	كفور للنم	كنود
»	خاتمة	واجفة	»	العذاب	الرخز
»	مخاعة	مسفة	»	باعوا	شروا
»	المسرف	البنز	»	حققوا	عزموا الطلاق
حبر	تجينا	تفلا	»	نقا	صدنا
»	اطلع	عثر	»	ساغاته	آناه الليل
»	جنون	سفاة	»	وجههم	فورهم
»	ميزنا	زيلنا	»	متابعا	مدرارا
»	حقيرا	مرجوا	»	مخرجا	فرقانا
»	الاناء	السقاية	»	حص	حرض
»	منتن	مسنون	»	فاقة	عيلة
»	كتاب	إمام	»	بطانة	وليجة
»	يحركون	ينغضون	»	اغزوا	اغزوا
»	بردا	حسانا	»	الصائمون	الصائمون
»	نحولا	من الكبرعيا	»	الائم	العت
»	جعل	خرجا	»	بدرعك	يبدنك
»	بلاء	غراما	»	شبه	غمة
»	البيت	الصرح	»	زواها	دلوك الشمس



القبيلة	معناها	الكلمة	القبيلة	معناها	الكلمة
ازدشنوة	مكرويين	كاطمين	جبر	أفبحها	أنكر الأصوات
»	الحارّ الهدي	غليلين	»	ينقصكم	يركم
»	تأهي حرّه	لواحة	»	محاسين	مدنين
»	حراقة	رفث	»	شديدا	راينة
مذحج	جاع	مقينا	»	بسلط	ويلا
»	مقتدرا	بظاهر من القول	جرهم	النحاس	بجبار
»	يكذب	الوصيد	»	بجموعة	القطر
»	الفناء	حقبا	»	محبوسا	مخشورة
»	دهرا	الخرطوم	»	زنا	معلوفا
»	الأتم	تسيمون	»	استوجبوا	مرض
»	ترعون	مرجج	»	ضلال	فبادرا
خشم	منتشر	عفت	»	ملا	شقاق
»	مالت	هالوا	»	كأشباه	خيبرا
»	ضجورا	شعطا	»	تيملوا	كدأب
»	كذبا	نحلة	»	يتمتعوا	تعولوا
قيس عيلان	فريضة	حرج	»	نكل	يفنوا
»	ضيق	لخاسرون	»	سفلتنا	شرّد
»	مضيعون	تقندون	»	شديد	أراذلنا
»	تستهزئون	صياصهم	»	جيغا	عميب
»	حصونهم	تجبرون	»	مقطعنا	لقيفا
»	تقعمون	رجيم	»	جانب	محسورا
»	ملعون	يلنكم	»	السحاب	حذب
»	ينقصكم	حفدة	»	المطر	الخلال
سعد العشرة	أختانا	كل	»	عصابة	الودق
»	عيال	جأجا	»	طريق	شرذمة
كندة	طرقا	بست	»	يخرجون	ربيع
»	فنت	تبتس	»	مزجا	يفسلون
»	تحزن	اخسوا	»	الطرائق	شوبا
عذرة	اخزوا	ريون	»	الحائط	الحبك
حضر موت	رجال	دمرنا	»	لاوضع	سور
»	أهلكنا	لغوب	ازدشنوة	الحبس	لاشية
»	إعياء	منسأته	»	سين	الفضل
»	عصاه	ملفقا	»	البئر	أمة
غسان	عمدا		»		الرس

الكلمة	معناها	القبيلة
بئس	شديد	غسان
سى ٣٠	كرهم	»
لا تغلوا	لا تزيدوا	مزينة
إملاق	جوع	لحم
ولتعلن	ولتقهرن	»
فجاسوا خلال الديار	تخلوا الأزقة	»
العقود	العهود	بنى حنيفة
الجناح	اليد	»
الرهب	الفرع	»
حصرت	ضاق	البيامة
تيملوا ميلا عظيما	تخطئون خطأ بينا	سأ
تبرنا	أهلكنا	»
نكص	رجع	سليم
الصاعقة	الموت	عمان
ينعق	يصيح	طوي
رغدا	خسبا	»
سفه نفسه	خسرها	»
يس	يا انسان	»
أفيضوا	انفروا	خزاعة
الافضاء	الجماع	»
خبالا	غيا	عمان
نفقا	سربا	عمان
حيث أصاب	أراد	عمان
بعدامة	نسيان	تميم
بفيا	حسدا	»
طاثره	عمله	أعمار
أغطش	أظلم	»
لأحتسكن	لأستأصلن	الأشعر بنون
نارة	مرّة	»
اشمازّت	مالت ونفرت	»
لينة	نخلة	الأوس
ينفضوا	بذهبوا	الخزرج
فأفرق	فأقص	مدين

وجاء في صحيفة ١٣٦ من الجزء الأول من كتاب الاتقان المذكور أيضا ما نصه :

وقال أبو بكر الواسطي في كتابه الارشاد في القراءات العشر : في القرآن من اللغات خمسون لغة ، منها لغة قریش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وأشعر وغمير وقيس عيلان وجرهم واليمن وأزد وشوأة وكندة وتميم وجمير ومدین ولحم وسعد العسيرة وحضرموت وسدوس والعمالقة وانمار وغسان وندحج وخزاعة وغطفان وسبأ وعمان وبنو حنيفة وتعلب وطوي وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وتقيف وجدام وبلج وغندرة وهوازن والنمر والبيامة

وفيه من غير العربية الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقطب ، ثم ذكر في أمثلة ذلك غالب ما تقدم عن أبي القاسم وزاد الرجز العذاب بلغة بلج طائف من الشيطان تحفة بلغة تقيف الأحقف الرمال بلغة تعلب . وقال ابن الجوزي في فنون الألفان في القرآن بلغة همدان الریحان الرزق والعيناء البيضاء والبعقري الطنافس ، وبلغة عامر بن صعصعة الحفدة الخدم ، وبلغة تقيف العول الميل ، وبلغة عك الصور القرن . وقال ابن عبد البر في التمهيد : قول من قال نزل بلغة قریش معناه عندي الأغلب . انتهى

ثم ذكر في صحيفة ١٣٨ وما بعدها الألفاظ الواردة من كلام غير العرب مرتبة على حروف المعجم وهذانصها

الكلمة	معناها	الأمة
أباريق	طريق الماء أو صب	فارسية
أبا	الماء على هيئة	عربية
أبلي	الحشيش	حبشية
أسباط	ازدرديه	لغة بني يعقوب وهي العبرية
إستبرق	الديباج الغليظ	الجم
أسفارا	الكتب	السريانية والنبطية
اصرى	عهدي	النبطية
أكواب	أكواز	»

الكلمة	معناها	الأمة	الكلمة	معناها	الأمة
ألم	موجع	زنجية أو عبرانية	زنجبيل	هو فارسي	
إنا	نضجه	أهل المغرب	السجل	الرجل	الخبث
أواء	موقن أو الرحيم	(البربر)	د	الكتاب	فارسي معرب
أوب	مسح	الخبثية	سجبل	أولها حجارة	الفارسية
الجاهلية لأولى	الآخرة	الخبثية	سجين	وأخرها طين	
		القبطية (فمندهم)	سراق	هو غير عربي	
		الأولى آخرة	سرايا	الدهليز أو الدار	الفارسية
		وبالعكس)	سفرة	نهر	السرانية
بطانها	ظواهرها	قبطية	سقر	القراء	النبطية
كيل بعب	كيل حار	عبرية	سجدا	مقنى الروس	هي أعجمية
بيع	الكنائس	فارسيان معربان	سكرا	المخل	الفارسية
تنور	هو فارسي معرب	هو فارسي معرب	سلسيل		الخبثية
تفيرا	هي بالنبطية	هي بالنبطية	سندس	الديباج	هو أعجمي
من تحتها	من بطها	النبطية	سيدها	زوجها	الفارسية والهندية
الجبث	الشیطان أو الساحر	الخبثية	سينين	الحسن	النبطية
جهنم	أصلها كهنام	فارسية أو عبرانية	سيناء	د	الخبثية
حرم	الخبثية	وجب	شطر	تلقاه	النبطية
حصب جهنم	حطب جهنم	الزنجية	شهر		الخبثية
وقولوا حطة	وقولوا صوابا	العبرية	الصراط	الطريق	هي كلمة سرانية
الحواريون	الفضالون أصله	النبطية	صرهق	شققهق	الروم
	حواري		صلوات	كنائس اليهود	النبطية
حوبا	إنما	الخبثية	طه	وأصله (صلوات)	العبرانية
دينار	هو فارسي	هو فارسي	طه	هو كقولك يا محمد	الخبثية
راعنا	بلسان اليهود	بلسان اليهود	طه	يارجل	النبطية
ربانيون	هي عبرانية أو	هي عبرانية أو	طه	يارجل	الخبثية أيضا
	سرانية	سرانية	الطاغوت	الكاهن	الخبثية
ريون	عبرانية أصله رخر	عبرانية أصله رخر	طفقا	قصدا	الرومية
الرحن	أعجمي	أعجمي	طوبى	الجنة	الخبثية والهندية
الزس	البئر		طور	الجبل	السرانية
الرقم	اللوح	الرومية	طوى	أرهورجل	بالعبرية
رمزا	تحريك الشفتين	العبرية	عبدت	قتت	النبطية
رهوا	سهلا دمتا	النبطية	جنت عدن	جنت الكرود	السرانية
رهوا	ساكنا	السرانية		والأعتاب	
الروم	فهذا الجبل من الناس				

الكلمة	معناها	القبيلة	الكلمة	معناها	القبيلة
العزم	المسناة التي	الحبشية	كفلين	ضعفين	الحبشية
غساق	تجمع الماء	التركية	كقورت	غورت	الفارسية
غيض	البارد المثلج	الحبشية	مقاليد	مفاتيح	الفارسية
فردوس	قص	الرومية	مرقوم	مكتوب	العبرية
»	بستان	النبطية	مزجاة	قليلة	الهجم أو القبط
فوم	فرداسا	العبرية	ملكوت	ملك	النبطية (ملكوتا)
قراطيس	حنطة	غيرعربي	مناص	فرار	القبطية
القسطاس	معروف	الرومية	مهل	عكر الزيت	أهل المغرب
القسورة	العدل	الحبشية	ناشئة الليل	قيام الليل	الحبشية
قطنا (بتشديد)	الأسد	النبطية أو	ن	أمنع ماشئت	الفارسية
قطار	كتابنا	الفارسية معربة	هدنا	وأصله (انون)	العبرانية
الفيوم	١٢ ألف أوقية	رومية وسريانية	هودا	تبنا	الأعجمية
كافور	وبرية	السريانية	هوا	حكاه	السريانية
كفر عنا	هو الذي لا ينام	معرب	وزر	الحبل والمجأ	البطية
	معرف	النبطية	بحور	يرجع	الحبشية
	اح عنا		بصهر	ينضح	البربرية

قال المؤلف : هذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين ولم تجتمع قبل في كتاب قبل هذا . وقد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين لفظا في أبيات ، وذيل عليها الخافظ أبو الفضل ابن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظا وذيلت عليهما بالباقي وهو بضع وستون فتمت أكثر من مائة لفظة . فقال ابن السبكي :

السلييل وطه كقورت بيع \* روم وطوبى وسجبل وكافور  
والزنجبيل ومشكاة سرادق مع \* استبرق صلوات سندس طور  
كذا قراطيس ربانهم وغسا \* ق ثم دينار القسطاس مشهور  
كذلك قسورة واليم ناشئة \* ويؤت كفلين مذكور ومسطور  
له مقاليد فردوس بعد كذا \* فيما حكى ابن دريد منه تنور

وقال ابن حجر

وزدت حرم ومهل والسجل كذا السرى والأب مم الجبت مذكور  
وقطنا وإناه مم متكئا \* دارت يصهرمه فهو مصهور  
وهيت والسكر والأواه مع حصب \* وأوتى معه والطاغوت مسطور  
صهرن اصرى وغيض الماء مع وزر \* ثم الرقيم مناص والسنا التنور

وقلت أيضا :

وزدت يس والرحن مع ملكو \* ت ثم سبين شطر البيت مشهور

ثم الصراط ودريء بحور ومر \* جان أليم مع القنطار مذكور  
وراعنا طققا اهدنا ابلى ووراء \* والأرائك والأكواب مأثور  
هود وقسط وكفر زمرة سقر \* هون يصدون والمنساء مسطور  
شهر بحوس واقفال يهود حوا \* ريون ككز وسجين وتغير  
بعير أزرو حوب وردة عرم \* آل ومن تحتها عبتت والصور  
ولينة فومها رهو واخذ مز \* جاء وسيدها القيوم موفور  
وقل ثم اسفار عنى كتبنا \* وسجدا مم ريون تكثير  
وحطة وطوى والرّس نون كذا \* عدن ومنظر الأسياط مذكور  
مسك أباريقى ياقوت رووا فهنا \* مافات من عدد الألفاظ محصور  
وبعضهم عد الأولى مع بطائها \* والآخرة لمعانى الضد مقصور  
هذا ما أردته من كتاب «الافتان في علوم القرآن» وبهذا تم الكلام على المبحث الأول في اللطيفة  
الثانية والحمد لله رب العالمين

### ﴿ المبحث الثاني ﴾

في اللطيفة الثانية وهو العلمى والسياسى في قوله تعالى - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون -  
وصف الله القرآن بأنه عربى ، ولاجزم أن هذا الوصف لا يحتاج في حد ذاته الى بيان أو تصريح لأن  
النبي ﷺ عربى والسامعون له عرب ، فهو معروف بداهة ، إذن ذكر هذا الوصف قد جى به لغرض  
سام وحكمة تظهر للأمم جيلا بعد جيل . ولقد ظهرت بعض آثار ذلك في أيامنا هذه . ياسبحان الله : إن  
لغات آثارا عجيبة في أحوال الأمم وتطورها وترقيها من حال الى حال  
(١) فلاذكر لك أولا اللغة اللاتينية ، وكيف كان لها السيادة في القرون الأولى بالدول الغربية ، ثم  
تلتها لغات أخرى وحلت محلها كما يقوم الابن مقام أبيه ويرث ما يملكه  
(٢) ثم أتبع ذلك بذكر دولة جوراني وهي المولة البابلية الأولى من سنة ٣٤٦٠ ق.م الى سنة ٢٠٨١ ق.م  
وكيف اقتبست القلم السومرى القديم على عهد السومريين الذى كان شكله أشبه بشكل الكتابة الهيروغليفية  
(المصرية القديمة) وكيف استخدموا اللغة السومرية في المكاتبات ، ثم تركوا اللغة وأبقوا الخط ، ثم تغيرت  
هيئة الخط  
(٣) ثم أتقى بذكر اللغة العربية قبيل الاسلام ، وكيف كان خطها النبطى والفرق بين ذلك الخط والخط  
المسارى وبينهما نحو ثلاثة آلاف سنة  
(٤) ثم أتبع ذلك بالنسبة بين هذا الخط النبطى واللغة العربية إذ ذاك في القرن الرابع بعد الميلاد وبين  
ما حدث من التغير فيهما أيام البعثة المحمدية  
(٥) ثم أذكر بعد ذلك كيف نسخت اللغة العربية لغات الأمم التي حلت بها في مصر والشام والعراق  
(٦) ثم أتبع ذلك بما هو المقصود في تفسير هذه الآية من هذا الموضوع كله ، وهو أن اللغة العربية  
سحرا حللا وفضل القرآن دامت قرونا ، أى نيفا و١٣ قرنا ولغة القرآن لم تتغير استبقاه لوصف القرآن  
بالعربية ، حتى ان هذه اللغة كلما حارت الدهور والقرون تغييرها على السنة العامة على مقتضى قانون التطور  
العام ، أبت أن تفارق اللغة الفصحى واجتذبت أهل الأقطار العربية والجمجمة المسلمة الى تلك اللغة فأصبحت  
كهر باه تصل ما بين أم وأم في عصرنا الحاضر ، وهل أعجب من أن ترى الصورة الشمسية لسورة الفاتحة وقل

هو الله أحد مكتوبتين باللغة الصينية في نفس بلاد الصين واللغة العربية بالخط العربي مصداقاً لقوله تعالى هنا - قرآناً عربياً - ولقوله تعالى أيضاً - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون -

فهنا إذن ( ستة فصول في الفصل الأول ) في مقدمة هذا المقام يذكر اللغة اللاتينية وكيف بحيث مع انها كانت لغة الدين والسياسة ( الفصل الثاني ) في عرب الجاهلية الأولى وهي دولة جوراني فيما بين النهرين ( الفصل الثالث ) في اللغة العربية قبيل الاسلام وكيف كان خطها النبطي ( الفصل الرابع ) في النسبة بين هذا الخط النبطي وبين الخط واللغة العربية أيام البعثة المحمدية ( الفصل الخامس ) في أن اللغة العربية نسخت لغات الأمم المصرية والسورية والعراقية ( الفصل السادس ) في المقصود من هذا كله في تفسير هذه الآية وهو أن بقاء اللغة العربية محفوظة الى الآن في بلاد العرب وأوروبا والصين من أكبر المعجزات

### ( الفصل الأول )

( في مقدمة هذا المقام يذكر اللغة اللاتينية وماطرأ عليها تمهيدا لما سذك من اللغة العربية وماطرأ

عليها تبينا لمعجزات القرآن )

اعلم أن الدولة الرومانية كانت صاحبة السلطان في جنوبي وغربي أوروبا فكانت حضارتها ولغتها ودينها وعادتها وقوانينها ساريات في تلك الأمم

ومن عادات الله في الأمم أنها اذا استفحلت وكل عمرانها وعظم شأنها أخذت ترجع القهقري كما يكون ذلك في الانسان والحيوان والنبات - وتلك الأيام نداؤها بين الناس - . وقيل « مصائب قوم عند قوم فوائد » فكان الرومان كلما ازدادوا في ترفهم اقتربت منهم الأمم المتوحشة حولهم وهم سكان سواحل البلطيق وأودية الطونه والرين الذين كانوا في شمال وشرق الدولة . وما زال أولئك المتوحشون يترصون بتلك الدولة الدوار ويشنون الغارات تلو الغارات الى أن كانت سنة ٤٧٦ ميلادية إذ تمكن ادوكر (وهو قائد من قواد القبائل الألمانية الذين يوصفون بالمتوحشين) من إزالة سلطان (رمبولوس) آخر امبراطور للدولة الرومانية الغربية وجعل نفسه حاكماً لرومه . وهذه الدولة الغربية غير الدولة الشرقية التي كانت عاصمتها القسطنطينية ثم احتلها الترك بعد قرون . فلما زالت المملكة الرومانية الغربية انتشرت الفوضى والهرج والمرج والفساد لأن هؤلاء قوم لا قوانين لهم ولا نظام ، فأهملت الطرق وجهلت التجارة والصناعة والزراعة ، وهناك أصبح الناس هناك جماعات كل جماعة لهم رئيس يجمعهم ليصدوا عنهم جيرانهم ، وأصبح هناك نظام معروف باسم (نظام الاقطاع) وهو المعهود في تاريخ العصور الوسطى

ومثل الألمان في الاغارة على تلك الدولة أهل فرنسا وقد عظم شأنها حينما من الدهر أيام شارلمان سنة ٧٦٨ الى سنة ٨١٤ وسميت إذ ذاك بالدولة الرومانية . والذي يهمني في هذا المقام هو اللغة اللاتينية التي هي لغة الكتابة بين العلماء ثم انحصرت بين رجال الكنيسة ، وذلك أن هناك طبقات أخرى مؤسست على اللاتينية في ايطاليا وفرنسا واسبانيا ولهبجات أخرى مناسبة لها في شمالي أوروبا ترجع الى الأصل التيوتوني . وفي آخر العصور الوسطى قد ابتداء أولئك الأقوام يتغنون بلغاتهم وان لم تكن مكتوبة ، نفى قوم من فرنسا باللغة الفرنسية الشمالية ، وجماعة من ألمانيا بالألمانية ، وظهر (داتشي) فألف كتابه المسمى « الكوميديا الالهية » باللغة الطليانية . وكتب شوسر الانجليزي حكايات كنتبري باللغة الانجليزية السكسونية القديمة . وظهرت في اسبانيا أشودة السيد باللغة الاسبانية ، فهناك تكونت أصول اللغات الأوروبية الجديدة ، وظهر أثر ذلك في ترقية معارف تلك الشعوب ، ذلك لأن أكثرهم يجولون اللغة اللاتينية التي كانت وحدها لغة العلم ، فلما

ألفت الكتب باللغات التي يعرفونها اتسعت مداركهم واستقلرت عقولهم ، وساعد على ذلك أمران : الأمر الأول الحروب الصليبية التي بها اختلط القوم بالمسلمين وحلوا كتبهم وعلومهم ، فلما رجعوا غيروا أساليب حياتهم وعرفوا الحقائق وتعلموا الصناعات الكثيرة ، وهذا التفسير قد تقدم فيه هذا موضعاً في سور كثيرة . الأمر الثاني سقوط الدولة الرومانية الشرقية سنة ١٤٥٧ باستيلاء الدولة العثمانية عليها ، فلقد كانت تلك العاصمة حافلة بالعلماء ، فلما أحسوا بدتو العثمانيين رحلوا منها ومعهم الكتب الاغريقية العظيمة في الفنون المختلفة التي كانت نجعلها أوروبا ودخلوا المدن الإيطالية فصار هؤلاء أسانذة في مدارسهم وجامعاتهم ، وهذه أهم الأسباب في نهضة إيطاليا ومنها انتشرت في أنحاء أوروبا ، وهناك سبب ثالث لا ينقص عنهما أهمية وهو أن الأندلس كان سقوطها في نفس ذلك القرن ، وأنت أيها الذكي ربما قرأت في مواضع كثيرة من هذا التصير أن ابن رشد لما نفي فترقى تلاميذه اليهود في أوروبا ورجت بهم ألمانيا وترجوا كتبه باللاتينية والديبرية وغيرها ، وأيضاً قد كان بعض بابوات رومه كما تقدم قد تعلم في الأندلس ، وبعض علماء الانجيز قبل ذلك التاريخ تعلموا العلوم الرياضية وترجوا كتباً من بلاد الأندلس ومصر

باللهج : إذن هذا القرآن الموصوف بأنه بلسان عربي هو السبب الحقيقي في نهضة أوروبا الحديثة . ذلك لأن الأندلسيين المسلمين لم يذوقوا الحروب الصليبية ثم التزم المسلمون التابعون لهذا الدين الذي نزل باللغة العربية هم ثلاثة الأتافي . إذن أول النهضة الأوروبية وآخرها هو القرآن العربي وهذا من أسرار وصف القرآن بأنه عربي وقد ثبت بهذه اللغة ولم يتغير تبعاً للتغير المستمر في جميع اللغات من قرن لآخر كما يأتي فانك ستري أن اللغة العربية في مدة ثلاثة قرون قد تغيرت ألفاظها واختلفت كتابتها اختلافاً بينا ، وهذا القرآن العربي لم تتغير لغته مخالفاً في ذلك كل لغة كاللاتينية التي حلت محلها ألسنة أخرى مبنية عليها ولغات أخرى لاصلة بينها وبينها ، وهذا من أسرار ذكر الوصف بأنه قرآن عربي ، فلغة اللاتين لغة دينية ومع ذلك تغيرت ولغة العرب لم تتغير ولو تغيرت زال هذا الدين ثم ان العداوة بين أهله وبين غيرهم كانت سبباً في طرد جماعة من القسطنطينية وآخرين من الأندلس ، كان كل ذلك سبب انتشار العلم والنهضة الحديثة ، ولو تغيرت اللغة العربية كغيرها لانمحي الدين ولم يظهر فيلسوف كإبن رشد ، ولا ملك يهاجم النصرانية كمحمد الفايح ، ولا ملك يدافع النصرانية كصلاح الدين أيام الحروب الصليبية ، والتركي لسانهم غير عربي ومع ذلك تأثروا بذلك اللسان العربي ، وبهذا كله كانت هذه النهضة الحديثة

ومن آثار هذه النهضة الثلاثة في أوروبا بفضل القرآن العربي أن التعليم في تلك الأقطار كان مقصوراً على علوم الدين والقانون الروماني وقانون الكنيسة وفلسفة أرسطاطاليس ، فإذا جرى ؟ (أولاً) قامت مناظرة بين العلماء أشهرها المناظرة التي بين (بطرس ايلارد) وبين (الأب برنارد) فالأول يقول بأن الناس يسبرون بمقتضى عقولهم ولا يقتضون على القوانين الدينية ، والآخر كان ينتصر للكنيسة ويحكمها في كل شيء

(ثانياً) ان الكنيسة قوت (برنارد) ونصرته وخذلت (ايلارد) وحققت تعاليمه ومع ذلك قامت جامعة باريس على أثر هذه المناظرة ثم تلتها سلونو وبولونيا في إيطاليا ثم اكسفورد في انجلترا (ثالثاً) ظهر هنالك العلماء مثل (توماس اكوناس) وهو من ذوى الابتكار والعبقرية ، ومثل (روجر بيكن) صاحب النظرية المشهورة وهي البحث العلمي واستنباط القواعد الطبيعية من المشاهدات

( ملخص ما تقدم )

ان النهضة التي قامت بأوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ترجع للحضارة العربية الآتية من الأندلس ومن آثار الحروب الصليبية وآثار علماء القسطنطينية الفارين من الترك ، وكل هذا ينطوي تحت هذه الآية

- كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا - ونشأ عن ذلك :

### ( الرقّ السياسي )

كان البابا والامبراطور لهما السيادة ولا راد لقضائهما فهذا له سيادة الدين وهذا له سيادة السياسة في جميع العالم المسيحي لأن هذه الأمم كانت تخضع لحكم (الاقطاعات) في الممالك المختلفة وكانت السلطات متشعبة في أيدي أمراء مختلفين وكل أمير مقاطعة ينادى الآخر ويحاربه في تلك القرون الوسطى أي التي بين سقوط السولية الرومانية الغربية وبين سقوط الدولة الرومانية الشرقية المتقدم الكلام عليهما وذلك في مدة نحو ألف سنة كما هو واضح ، ولكن العقول متى تحركت نشطت الأجسام وهبت من رقابها وقامت من نومتها ونفضت غبار نومها ، فترى أحده هؤلاء الأمراء يقوى ويشد أزره ويفلب الآخر حتى ظهرت روح القومية ودبّ حب الاستقلال التام في الداخل والخارج .

( أ ) فظهرت في فرنسا أسرة (هيوكايت)

( ب ) وفي انكلترا أسرة (الترندين) و (الابنضن)

( ج ) وفي اسبانيا أسرتان وهما (قستاله) و (ارغونه)

( د ) وقامت أسرة (هنستوفن) وأرادت تكوين مملكة قومية في (ألمانيا) في القرن الثالث عشر فعارضها البابا

( هـ ) وقام الوطني (رينزي) في منتصف القرن الرابع عشر وحاول تحرير ايطاليا وتوحيدها

( و ) وظهر «كتاب الأمير» وهو كتاب وضعه (مكيافلي) وهو كاتب سياسي من أهل فلورنسه شرح فيه أعمال الملوك ، وبين أن الأمير الذي يحفظ كيان دولته لا بد أن يخالف النعمة والضمير والمروءة والانسانية والدين في بعض الأوقات ، هنالك أخذ الملوك يقاومون نفوذ البابا الذي كان إذ ذاك له النفوذ السياسي والديني

إذن مبدأ نهضة القوم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولكنهم اعتبروها ابتدأت في القرن الخامس عشر حينما ظهرت علوم وأدبيات قديمة يونانية ورومانية أكلت ما جاء لهم من الأندلس العربي وعلماء القسطنطينية وإلى هنا تمّ الكلام على الفصل الأول والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( في عرب الجاهلية الأولى وهم دولة حوراني فيما بين النهرين )

جاء في كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » تحت العنوان التالي مانسه

### ﴿ العرب البائدة ﴾

( أو عرب الشمال في الطور الأول )

يقول العرب ان هذه الطبقة تشتمل على عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجوهم وحضرموت ومن ينتمى إليهم ويسمونها العرب العاربة وانهم من أبناء سام . قال ابن خلدون « وكان لهذه الأمم ملوك ودول في جزيرة العرب وامتد ملكهم فيها إلى الشام ومصر في شعوب منهم ويقال انهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنوحام فسكنوا جزيرة العرب بادية تخمين . ثم كان لكل فرقة منهم ملوك واطلم



وقصور الى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان» (١) وقال في مكان آخر « إن قوم عاد والعمالة ملكوا العراق» (٢)

وإذا تدبرت ما نقله العرب عن القبائل البائدة رأيتهم يقسمونهم الى قسمين العماليق من نسل لاوذ بن سام وسائر القبائل البائدة من نسل ارم بن سام (٣) . قال ابن خلدون « كان يقال عاد ارم فلما هلكوا قيل نمود ارم فلما هلكوا قيل نمود ارم فلما هلكوا قيل سائر ولد ارم ارمان» (٤)

فالعرب يعتبرون العرب البائدة ساميين من نسل ارم . أى آراميين الا العمالة فيقولون انهم من نسل لاوذ بن سام أخى ارم ويقولون انهم ملكوا العراق «بابل» ثم نزحوا منها الى جزيرة العرب . فهذا القول على اختصاره يوافق خلاصة ما وصلنا اليه بعد النظر فيما كتشفه العلماء في بابل واشور من النقوش أو قرأوه في كتب اليونان وغيرهم

ثم ذكر العمالة الذين فتحوا مصر وكانوا شمالي الحجاز مما يلي جزيرة سينا ، وأن النساين ينسبون العرب البائدة الى (ارم) والعماليق الى أخيه (لاوذ) . والنسب بهم في هذا المقام ذكره دولة جورابى أو الدولة البابلية الأولى . وسنورد هنا نبذة من تاريخها . وهالك نصها :

( تمدن دولة جورابى أو الدولة البابلية الأولى )

( من سنة ٢٤٦٠ ق.م الى سنة ٢٠٨١ ق.م )

إذ استولى سامواى أولاً على شمالي بابل نحو سنة ٢٤٦٠ ق.م وكان الجنوب في حوزة العلاميين ، وأخذ الملك ينتقل من ملك الى ملك ، وكان السادس منهم جورابى ، وهو الذى أخضع دولة العلاميين ، واستمر في الفتح الى البحر الأبيض المتوسط . ولذى يهمننا في تفسير الآية أن نذكر مدينة تلك الدولة ومن أين اقتبستها ، وما قلمها الذى كانت تكتب به إيفاء لتفسير الآية فنقول ومن الله التوفيق

كان السومريون قبل هذه الدولة قد اتخذوا ديناً ووضعوا شريعة واخترعوا كتابة ولهم لغة خاصة . فلما غلبهم الجورابيون اقتبسوا تمدنهم ونظاماتهم كالفصل العرب المسلمون بعدهم بدولة الفرس . وكان الجورابيون في أول دولتهم يستخدمون اللغة السومرية في المكاتبات ثم أمهلوها بالتدريج حتى ذهب معها العنصر السومرى . وبقى العنصر السامى كما تغلب العنصر العربى بمصر والشام بعد الاسلام بتغلب اللغة العربية . ولكن الجورابيين استبقوا الخط السومرى وهو القلم المسهارى لانهم استخدموه في تدوين لسانهم وزادوا فيه أحرفاً لم تكن في السومرية (انظر شكل ٢٨)



( شكل - ٢٨ )

( القلم المسهارى القديم على عهد السومريين لا يزال شكله سوريا )

وكان القلم المذكور فى أصل وضعه سوريا مثل الهيروغليف المصرى كما ترى فى شكل ٢٨ ثم تنوع شكله بالاستعمال وباستخدام المسامير فى طبعه على الطين فصار على هذه الصورة شكل ٢٩

(١) ابن خلدون ١٨ ج ٢  
(٢) ابن خلدون ٢٥٩ ج ٢  
(٣) حزة ١٢٢ ١٢٨  
(٤) ابن خلدون ٧١ ج ٢

أما المسلمون فأهلوا الأقاليم التي كانت شائعة قباهم في العراق وفارس والشام ومصر وهي الفهلوي والكلداني والقبلي وغيرها ونشروا قلما جلوه معهم كان يستخدمه عرب مشارف الشام وأعلى الحجاز هو الحرف النبطي وتكيف بتوالي الأجيال حتى صار إلى الحرف العربي المعروف وعم العالم الإسلامي العربي وغير العربي

أما تمدن السومريين فأقتبسهم الحوراييون ورفقوه وزادوا فيه كما فعل المسلمون بتمدن الروم والفرس وأكثرهم عناية في ذلك حورابي فإنه جمع الشرائع ونظمها وبرز بها فعرفت باسمه وقدرتها في ٢٨٢ مادة وجدوا نسخة منها سنة ١٩٠١ في بلاد السوس منقوشة بالحرف المسامري على مسلة من الحجر الأسود الصلب طولها سبعة أقدام وتدل تلك الشريعة على تقدم تلك الأمة في سلم الاجتماع إلى أرقى ما بلغت إليه تلك العصور ولاسيما في شروط الزواج والطلاق والتبني والارث . انتهى الكلام على الفصل الثاني

### ﴿ الفصل الثالث والرابع ﴾

( في اللغة العربية قبيل الاسلام وكيف كان خطها النبطي وفي النسبة بين خطها النبطي

ولهجتها وبين خطها ولهجاتها في أيام البعثة المحمدية )

جاء في كتاب آداب اللغة العربية تحت العنوان التالي مانعه

### ﴿ العصر الجاهلي قبيل الاسلام ﴾

( من القرن الخامس للبلاد الى ظهور الاسلام )

ان الحكم على ما تقدم من أحوال الجاهلية الأولى مبني على الحدس والتخمين لاستغراقه في القدم وضيق اخبار تلك الجزيرة بجمادى الأيام . ولعلمهم اذ انشطوا للحفر والتنقيب كشفوا عن حقيقة هذه الفنون الستار

( الفرق بين لغة الجاهلية الأولى والثانية )

وفي كل حال أن عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة ودينا وأدبا وخلقا . فالحوراييون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية فأكثرهم أهل بادية ونجح وكانت لغة الحوراييين أقرب إلى الأشورية منها إلى العربية . فلفة أبوب اذا كانت عربية فهي غير عربية مضر التي وصلت إليها من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيرا جدا أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر أو الشام الآن . لأن أهل هذين المصرين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأساليبه . فكما ساقته طبيعة النشوء نحو التغيير أعادهم التقليد إلى الأصل . ولولذلك لكان الفرق بين لغة عامتا واللغة النصحي أبعد من ذلك كثيرا

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدوه بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للبلاد مما قرأوه على قبرامري القيس بن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام . وذلك انهم عثروا في اطلال النخاعة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي نقش في أوائل القرن الرابع للبلاد أي قبل الاسلام بثلاثة قرون وهذه صورتها (انظر شكل ٣٠) في الصحيفة التالية

١  
٢  
٣  
٤  
٥

( شكل ٣٠ )

( رسم كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرى القيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م )

واليك نصها كما قرأ كل سطر على حدة

- (١) في نفس امر القيس بن عمرو ملك العرب كه ذو أسر التاج
- (٢) وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء
- (٣) بزجو (٢) في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
- (٤) الشعوب ووكاه لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
- (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكساول بسعد ذولمه

هذا لسان عربي تشوبه صبغة ارامية يحتاج تفهمها الى إيضاح وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو

- (١) هذا قبر امرى القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج
  - (٢) واخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد
  - (٣) النظر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معدا واستعمل بنيه
  - (٤) على القبائل وأتابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه
  - (٥) الى اليوم . توفي سنة ٢٢٣ في اليوم ٧ ايلول (سبتمبر) وفق بنوه للسعادة
- وكان أهل الشام وهوران ومايلهما يؤرخون في ذلك العهد بالتقويم البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ ليلاد فاذا أضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ ليلاد وهي السنة التي توفي فيها هذا الملك
- انظر الى الفرق بين الأصل وتفسيره والمدة بين هذين العصرين ثلاثة قرون فكيف تكون بينهما بضعة وعشرون قرنا؟ والتغيير طبيعي في كل لغة عملا بناموس النشوء . اعتبر ذلك في الفرق بين اللغة اللاتينية الأصلية وماختلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغة الانكليزية القديمة والحديثة وغير ذلك
- فآداب العرب في جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرءون ولا يكتبون . وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالأخذ عن الافواه . انتهى الكلام على الفصل الثالث والرابع والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل الخامس ﴾

في أن اللغة العربية نسخت لغات لم تقم لها قائمة الى الآن فقد جاء في كتاب تاريخ أدب اللغة العربية (لجورجي زيدان) تحت العنوان التالي مانعه :

### ﴿ الدولة الأموية واللغة العربية ﴾

أما الدولة الأموية فالهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية . لأن الأمويين كانوا شديدى الحرص على منزلة العرب كثيرى العناية في حفظ الانساب وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها

ونشروا اللغة العربية في المملكة الإسلامية بنقل السواوين من القبطية والرومية والفارسية الى العربية . وبعد أن كانت مصر قبطية والشام رومية والعراق كلدانية أو نبطية أصبحت هذه البلاد بتوالي الأجيال عربية النزعة وتنوسبت لغاتها الأصلية وهي تعد الآن من البلاد العربية . وإذا نزلها التركي أو الأفرنجي أو غيرها من أي أمة كانت ونوالدها عدتله عربيا

وظل العرب في أيام بني أمية على بدواتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم . وظل كثير من عادات الجاهلية شائعة في أيامهم كالفاخرة والمباهلة ومناشدة الأشعار في الأندية العمومية فكان أشرف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها يناشدون الأشعار ويتحادثون ويتذاكرون أيام الناس . وأهل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما يجيء . كأنهم رجعوا بمصيبتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في أيام هذه السولة . وقد تكاثروا على عهدنا وانتشروا في ممالك الأرض . انتهى الكلام على الفصل الخامس والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل السادس في المقصود من هذا كله ﴾

في تفسير هذه الآية وهو أن بقاء اللغة العربية محفوظة الى الآن في بلاد العرب وأوروبا والفرس والهند والصين وبلاد جاوه مجزة من أكبر المعجزات

انظر الى هذه اللغة التي تغيرت لهجاتها وصور أشكالها من كتابة السومريين الأولى ثم انها تغيرت ثم تحولت الى أن صارت قبل الاسلام كما رأيت في (شكل ٣٠) المتقدم قريبا ثم انظر الى طورها الرابع وهو ما كتبت به المصاحف ، وكيف بقيت الحروف محفوظة ، وهيئاتها متقاربة نيفا وثلاثة عشر قرنا . ومن أجلى الأدلة وأنصعها ما تراه في هذه الكتابات التي أمامك ، فهامى ذه الحروف العربية واضحة مكتوبة في بلاد الصين ، ومعها الخط الصيني لسورة الفاتحة وسورة الاخلاص (انظر شكل ٣١ في هذه الصحيفة وشكل ٣٢ و٣٣ في الصفحتين التاليتين)

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 其 意 我 奉 普 慈 今 世 獨 慈 後 世 眞 主 的 尊 名 起 又 接 哈 法 體

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الرَّحِيمِ مَا لِي يَوْمَ الدِّينِ

أَيُّهَا زَعْدُ وَيَا سَيِّدِي  
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ  
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ  
 عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

其感讚是惟獨勒米哈  
 接哈阿米勒  
 保養普世普慈  
 今世獨慈後世  
 迷路的人  
 他們也不見  
 執掌還報日期  
 們不受怒惱  
 的主我們惟獨  
 們上行恩他  
 拜你我們惟獨  
 求你相助哪主  
 路道你在他的  
 你指引我們正  
 道那些人的

# امين

其意。哪主。你准承我們。的。若跟隨。的。以媽同。的。人。也。同。以。媽。母。低。唸。阿。接。唸。米。勒。隨。唸。所。勒。隨。唸。那。個。不。可。言。定。或。唸。這。個。

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ  
 اللهُ صَمَدٌ  
 لَمْ يَلِدْ وَلَمْ  
 يُولَدْ  
 لَمْ يَكُنْ  
 لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

其意。你。說。是。此。主。命。聖。事。情。人。說。如。此。主。是。獨。一。的。主。是。無。求。祈。的。他。不。生。人。人。不。生。他。無。有。一。物。與。他。為。對。○

فهنا تعاون الصيني والألماني والفرنسي والانجليزي والتركي والهندي والاسباني والقازاني والعربي والجمي  
والأمم كلها على حفظ اللغة العربية والخط العربي ، فلم يدخله ولم يدخل لفته ذلك التحريف الذي حل بساحة  
لغة وخط العرب البائدة أيام جوراني ولأيام الجاهلية في القرن الرابع الميلادي قبيل البعثة المحمدية بل هو باق  
كما هو ، فهذا معنى - لا تبديل لكلمات الله - ومعنى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون -  
وهذا كله تفهم أيها الذكي لماذا وصف القرآن بأنه عربي والحمد لله رب العالمين . كتب إليه الاثنين  
(٢٠) أكتوبر سنة ١٩٣٠ الساعة العاشرة مساء . تمت اللطيفة الثانية . ويقع هذه اللطيفة الثانية جوهرتان

### ﴿ الجوهرة الأولى ﴾

( في قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما أمركم إله واحد - )  
جاء في مجلة « النهضة النسائية » تحت العنوان التالي مانصه

### ﴿ في وجود الله تعالى ﴾

( للكاتب الأمريكي الشهير ارثر برزبان )

يرغمون أن العقل البشري موجه اهتمامه بالأكثر إلى المسائل الاجتماعية التافهة مثل جمع الأموال وكيفية  
عقد الزواج وماشاكل ، أما نحن فعلى غير هذا الرأي ونعتقد أن العقل البشري لا يوجه أخص اهتمامه إلى  
هذه المسائل دون سواها ، لو أن محرر جريدة أتى على قراء جريدته سؤالاً عن « الزواج هل هو أفضل أم  
العزوبة » لوردت عليه الأجوبة الكثيرة بضعة أيام أو بضعة شهور . ثم يهجر الناس من هذه المناقشة وتقطع  
الكتابات

وكل سؤال يكون نصيبه الإهمال بعد اشتغال الناس به زمناً معلوماً محدوداً ، وأما مسائل مخلود النفس  
ووجود الله ومصير الإنسان بعد وفاته فإتاهما برحت تشغل أذهان الناس منذ البداية ، وسوف تبقى موضوعاً  
لاهتمامهم العظيم الدائم

تأتينا الرسائل في هذه المواضيع كل يوم من كل سنة في مسائل تشغل خواطر الناس على الدوام  
ينساء لون « هل يوجد إله وهل تكون النفس خالدة ؟ » وهذه الكتابات الكثيرة الهائلة تختلف في  
لغتها وطبقتها وهي الدليل على مبلغ إيمان كاتبها ، وبعض هذه الرسائل تأتينا من المرتابين المشككين والملحددين  
والكتاب ومن سائر الذين أسكرتهم تلك المعرفة القليلة التي جعلوها حكمتهم ودينهم بدلاً من ثقة الأجيال  
الكثيرة تلك الثقة بوجود الله ومخلود النفس

ويظن بعض هؤلاء أنهم اهتموا إلى طريقة جديدة مبتكرة تساعدهم على الحياة بالاستغناء التام عن  
الله وأن العلم قد وفقهم إلى هذه الطريقة الجديدة

ولكن العلم لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل إن العلم فعل ما هو مخالف على خط مستقيم لظنونهم وأوهامهم  
العلم أثبت وجود الله ومخلود النفس وليسمح لنا القاري أن نضرب لذلك مثلاً صغيراً :

رجل عنده صندوق ووضع فيه بعض قطع فقدت أمها وهي صغيرة جداً ولم تفتح عيونها بعد . اعتنى هذا  
الرجل بالقطط المدكورة وأحسن معاملةها وجعل للصندوق مجلات فكان يجره إلى ضياء الشمس لتمتع القطط  
بحرارة الشمس . كان يغذيها باللبن في مواعيد معينة بجزء التدقيق . كان يطرد الكلب الشرير إذ يحارل الاعتداء  
عليها ويخيفها ويرعبها كثيراً ، كانت هذه القطط تنق بالرجل وشعرت أنها في حاجة إليه وأن لاغنى لها عنه  
وكان هذا دور الإيمان

وحدث ذات يوم أن كلبا توصل الى قطة منها فقتلها بعد أن قطعها بأسنانه وشقوه جسمها ذلك لأن القطة قد خالفت القوانين والشرائع التي سنها لها الرجل خرجت من صندوقها فخل بها ذلك المصاب . وكانت احدى القطة قد بدأت تبصر قليلا باحدى عينيها فقالت مفرورة بالليل الذي تراه : « أنا لا أعتقد بوجود الرجل فإذا كان موجودا حقيقة فهو ظالم اذ سمح أن تقتل أختي الصغيرة وأن يمزقها الكلب لأصدق مازعمونه من أن أختي قتلت بذنبها لأنها خرجت من الصندوق والحقيقة أن الرجل غير موجود فأنما نحن القطة أولياء أمورنا وسادة الكيان وعلينا أن نحارب عدونا وندافع عن أنفسنا هذه القطة هي قطة « انجرسول » للمجد الأمريكى الشهير

ثم ان قطة أخرى بدأت تبصر بعينيها وهي أرقى من رفيقتها الأولى فقالت (أنا علة . وقد وجدت أتى غير مدينة للرجل وعنايته بشيء وانما الشرائع والنواميس ولية أمورنا . هذا الصندوق قائم على محلات يدور في نور الشمس بمجرد إرادته لا أنكر أتى أجهل ماهو الذى يدفعه ولكن أعلم أن الرجل لا يستطيع دفعه وعلمت أيضا أنه لاوجود لناموس (توزيع اللبن علينا) فأنما يأتينا اللبن فى مواعيد معينة بحكم الدور وبحيىء اللبن ناموس طبيعى فقد كان يحسب من قبل وهو يأتى الآن وسبأنى كذلك بعد . دعونى من دعاويكم الفارغة فأننا منقلبة الى فراشى لأنام ولكن لاندكروا على مسمع منى أمر رجل محب يعتنى بنا . الأمر كله نواميس طبيعية وأنا عظيمة فى ذاتى لأننى أول من اهتدى الى هذه النواميس

هذه القطة هي قطة « اسحاق نيوتن » ولكنها لم يكن لها إيمان نيوتن ويضيق بنا المجال لوأردنا أن نذكر ما قاله قطة « داروين » فقد كانت طويلة اللسان . ولكن اليك ماجرى بعد ذلك كبرت القطة التي بقيت حية بعد أن ماتت تلك التي أصابها الموت جزاء مخالفتها وشرودها عن الصراط المستقيم وافتتحت عيونهن جميعا فصارت تبصر جيدا فرأت الرجل عيانا وعرفته واعترفت به وتوسلت اليه أن يسمح لها بالاقامة فى منزلة . قالت القطة للرجل

( لاتؤاخذا ياسيدى واغفر لنا حماقتنا وجهالتنا إذ كنا صغيرات جاهلات ولكنك تعلم بأن بصرنا كان ضعيفا واننا كنا لانبصر ولا نعلم ) فقال الرجل الكريم لابأس انصرفن الى البدرين فى أسفل المنزل وتمتنعن بالراحة والقوت هناك

انتهى المثل الذى ضربناه . وانما نحن قطع عمياء فكلما حاولنا التعمق فى اكتشاف أسرار الطبيعة ومخائنها نزداد توغلا فى خفايا جديدة لاندرکها نكشف أن الأرض تدور حول الشمس ولكن لا بد لأعظام عالم من الاعتراف بهجره عن الاهتداء الى سبب دورانها يقول هذا العالم « أعطنى المحرك الأول وكل شيء سهل بعد ذلك » وهكذا قالت القطة العمياء فى صندوقها قالت ( ادفع صندوقنا دفعة واحدة وعلينا فهم الباقي )

واطلعت القطة على ناموس توزيع اللبن جعلته بدلا من عناية الرجل بها شأن الذى ادعى التمسك بناموس الجاذبية العام فظن أنه يقدر بواسطته على مجود الله . ولكن العقل الكبير الذى اهتدى الى ناموس الجاذبية العام كان عقلا متدينا تقيا علم أنه ضعيف فى ذاته لاقدرة له على إدارة كل شيء

ان نيوتن لم ينسك وجود الله . وكان أدري الناس بغموض أسرار حكمته ونواميسه . علم وعلم الناس أيضا أن ذلك الناموس مايربح عاملا منذ الأزل وهذا كل ما ادعاه وكل ما يقدر أن يدعيه سواء والعالم المصرى (لورد كلفين) من أشهر أتباع نيوتن قيل له : ماهوسر الجاذبية ؟ فأجاب : لايجب للعالم أن يحاول كشف أسرارها فأننا نجعلها تماما ولا نعرف عنها شيئا



فذلك تقول للرتابين : ارتابوا اذا كان لابد لكم من ذلك ولكن اجعلوا الحكم اساسا لريكم وارتابوا  
أولا في حكمتكم التي لازيد عن حكمة تلك القطة العمياء  
اذ كروا أنكم لا تعرفون شيئا طالعوا كثيرا ولكن لاتسمحوا لآراء غيركم القاصرة أن تسطو على  
عقولكم وتجعلكم آلة للريب والشكوك مهما فعلتم لاتعرضوا العقائد الآخريين وإيمانهم ، انشروا المعرفة وأذيعوا  
الحقائق . وأما الريب التي تزعم الآخريين وتذهب بسعادتهم فاحفظوها لأنفسكم أذيعوا ما تعرفونه عن يقين  
واكتموا مادون اليقين فهل يسمع للملحدون . وبهذا انتهت الجوهرة الأولى

### ﴿ الجوهرة الثانية ﴾

( في قوله تعالى - وجعل فيها رواسي من فوقها - )

وهي الجبال ، ولقد تقدم الكلام على الجبال في مواضع كثيرة مثل ما جاء في ﴿ سورة الرعد ﴾ عند  
آية - وفي الأرض قطع متجاورات - الخ وهكذا سيأتي في آية - أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت \*  
والى السماء كيف رفعت \* والى الجبال كيف نمبت - الخ ولكن نذكر هنا عجيبية جاءت في مجلة « اللطائف  
المصورة » فقد جاء فيها تحت العنوان التالى مانصه :

### ﴿ في أميركا الجنوبية غنى طبيعى ﴾

هناك جبل من فضة لا ينضب له معين

بوليفيا جمهورية صغيرة من جمهوريات أمريكا الجنوبية ، كانت فيما مضى مستعمرة اسبانية لكنها استقلت  
سنة ١٨٢٥ بعد حروب دموية بينها وبين الجيوش الاسبانية ، وهي صخرية جبلية يتراوح ارتفاع جبالها  
بين ٣٠٠٠ الى ٦٠٠٠ متر ، وفي وسطها اجلكت تسمى لايبونا فيها ثروات معدنية لا يحصى لها عدد ، يقتر  
ما فيها عثات بل بألوف الملايين من الجنيهات ، من بينها جبل كيه من فضة يطلق عليه اسم ( سيرودى بوتوزى ) ، ظل  
مئات السنين يدرّ الأموال الطائلة على الدولة الاسبانية ، فكان لها المورد الأكبّر الذى يأتيها من كل مستعمراتها  
الواسعة . وقد اكتشف هذا الجبل رجل هندي من هنود أميركا الملقين بنوى الجلود الجراء يسمى جوالكا  
فقد كان مسافرا في أيام الشتاء الباردة لخطر حاله فوق هذا الجبل ، ولما قرسه البرد أشعل نارا نصطفى ، لما كان  
أشدّ دهشته عند ما أبصر الصخور تذوب تحت تأثير الحرارة وتسيل معدنا أبيض جيلا ، فتأمله طويلا لكنه  
لم يدركه ، فأسرع الى سيده القبطان (جون دى فيلاروبيل) وأطلعه على الأمر ، فاستحوذ هذا على  
جبل الفضة باسم ملكه الأمبراطور شارل كان في يوم (٢٢) ابريل سنة ١٥٤٥

ولما ذاع خبر هذا الاكتشاف فى اسبانيا تقاطر الى بوليفيا كل مغامر وأخذوا يتقائلون وينتسرون فى  
سبيل الاستحواذ على جزء من هذا الجبل الذى كان يدرّ أموالا يكلّ عن إدراكها الحصر لاسميا فى ذلك  
الزمن الذى كان أقلّ مبلغ فيه يعدّ ثروة . وقد استخرج من جبل سيرودى بوتوزى من سنة ١٥٤٥ أى  
منذ اكتشافه حتى سنة ١٨٢٥ وهى السنة التى خرجت فيها بوليفيا من أيدى الدولة الاسبانية (١٦) ألف  
مليون ريال طيبلى أى ٥١٢٠ مليون جنيه فى ٢٨٠ سنة ، فيكون معتل غلته فى كل سنة من هذه  
السنين (١٨) مليون جنيه وثلاث . وقد بلغ ماناله التاج الاسباني من هذا اليراد (٦٤٠) مليون جنيه .  
وقد دفع أصحاب منجم واحد من هذا الجبل للحكومة بصفة جزية (١٦) مليون جنيه وثلاثة أرباع الملون  
وقد أراد الأمبراطور شارل كان يوما ما أن يكافئ سكرتيره الخاص الدون فرانشيسكو دى لوس كوروس  
فطلب منه أن يمنح عليه ما يريد ففهمم الدون فرانشيسكو بين شفثيه : « أريد يا مولاي (ريل) واحدا على

كل رطل « (والرطل يساوي مليمين ونصف من عملتنا) . فأجاب الأمبراطور منذهلا « أهذا كل ما تطلبه ؟ » ولما رآه مصمما على طلبه هذا الذي صغر في عيني شارل كان وقع له على الأمر وناولته إياه ، وبعد ثماني سنوات أي في سنة ١٥٦١ مات السون فرانيسكو وترك ثروة تقدر بأكثر من (٧) ملايين من الجنيهات جمعها مما عاد عليه من المليمين ونصف التي كان يأخذها على كل رطل فضة يستخرج من جبل سيروال المذكور ولم يزل هذا الجبل الى الآن مملوا بالفضة لكنها تخرج مزروجة بالتصدير . ولم تحض على اكتشاف جبل الفضة سنوات حتى أقيمت بازائه مدينة بوتوزي . وقد بلغ عدد سكانها في القرن السابع عشر ٢٠٠.٠٠٠ نسمة فكانت أكبر مدينة في أميركا الجنوبية وأكثرها سكانا وكان لكل اسباني (هيدالجو) أي منحدر من صلب اسباني صميم ليس في عروقه دم يهودي أو عربي مغربي أن يكون له حق بأن يستغل جزءا من الجبل والعادة المتبعة في ذلك والتي لم يزل معمولها الى الآن أن يأخذ الواحد له ركنا ويحفر فيه نفقا ويستولى على كل ما يجده فيه حتى أصبح في الجبل أكثر من ثلاثة آلاف نفق . وكان الهنود الجرهم القاعون بالحفر يشتغلون في الاتفاق المظلمة التي ليس فيها نور ولا يتخللها شعاع من الشمس ، وسيط أسيادهم الاسبانيين تنهال على أجسامهم اذا بدا منهم أقل وهن وأدنى ضعف . وكان المتراحون على استغلال جبل الفضة يتقاتلون حتى أذى بهم التناحر الى الانقسام الى حزينين كثيرين بينهما الاغتيال ثم القتال في صفوف مرسومة . أما اليوم فمدينة بوتوزي التي كانت منذ مائتي سنة زاهرة زاهية لم يعد فيها غير ١٥٠.٠٠٠ أو ٢٠٠.٠٠٠ شخص لأن سعر الفضة انخفض كثيرا في أوروبا وقل الطلب عليها وكثر من جهة أخرى على التصدير ، ولكن من سوء حظ البلاد أن الأرض لم تعد تفل من هذا الصنف إلا كيات أقل مما كانت تغله فيما مضى . وبهذا تمت الجوهرة الثانية وبهما تم الكلام على اللطيفة الثانية والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

( في قوله تعالى - حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون \* وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - الآيات )

قد تقدم في (سورة يس) - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - . فهنا ذكر الجلود مع الأسماع والأبصار وهناك خصص الجلود بالأيدى والأرجل ، وفي هذه مجيزتان أظهرهما الكشف الحديث فتكون مجزات هذه السورة بالكشف الحديث خمسا . ولقد ذكرت لك هناك أيها الذكي حكاية القاتل الياباني الذي قتل معشوقته التي رغبت عن زواجه ، وعرف بعد مدة بسبب آثاره ، وهذه مشروحة هناك بأسهاب وإيضاح تام ، ولكن هنا أذكر ماجرى من المحادثة بيني وبين صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير . قال : كيف تنطق الجلود وتشهد ؟ وما معنى كون الأيدى والأرجل تشهد عند الله ؟ فإله تعالى يقول في (يس) - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - ، فلم خص الأيدى والأرجل بهذه الشهادة ؟ وكيف تقول الجلود - أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - . فقلت : أعلم أن هذه مخلوقات المادية المشاهدات على قسمين : قسم لنا القدرة على التصرف فيه ، وقسم لا قدرة لنا على التصرف فيه . فالذي لنا القدرة على التصرف فيه شهوات الطعام والشراب والشيء والكلام ، فهذه خلقت فينا لأجل حياتنا وبهائنا ، وهذه تأتي بالحق وبالباطل ، فإن الانسان قد يجوع فيأكل والأكل قد يضره ، ويعطش فيشرب والشرب قد يضره ، ويشتهي

الوقوع والوقوع قد يضرمه ، ويتكلم والكلام قد يضرمه . ذلك لأن من شهوات الطعام ما تكون شهوات كاذبة ، ومن شهوات الشراب ما تكون كاذبة ، ومن شهوات الوقوع ما تكون كاذبة ، ومن الكلام ما يكون كذبا لا صدق فيه . إذن أحوالنا الحيوانية يترتبها الصدق والكذب . فمن الكلام صادق وكاذب . ومن الجوع والظمأ وشهوات الوقوع ما يصدق وما يكذب . فكثيرا ما نرى أنفسنا بعد الطعم بمدة يسيرة نطلب الطعام ، وقد نطلب الشراب قبل مضي ساعة أو ساعتين وقد تتكلم كذبا . هذا هو القسم الأول وهو الذي لنا القدرة على التصرف فيه . أما ما لا قدرة لنا على التصرف فيه من النافكة والحب والخضر والمعادن والحجر والشجر . فهذه صوادق في أفعالها ناطقات بالحق ، فلم نر حبة القمح أنبتت ذرة أو برسيا ، ولم نر بذرة القطن أنبتت كلاً أو بادنجانا ، ولم نر الشمس أصبح تينا ، ولا التين أصبح عنباً ، بل هناك نظام ، ولم نر السواء أصبح غذاء ، ولا الغذاء صار سماً ، بل هذه كلها نواطق بالحق ، لا عوج ولا كذب ولا خداع . وإذا رأى الناس أن في الطبيعة مالم يهدوه كحوادث الزلازل والبراكين فذلك ليس من أكاذيبها ، بل هذه المفاجآت جاءت لغايات صادقة وإن أخذت الناس بفتة فضاياتها شريفة . فأما غايات العواطف الناقصة في الانسان فأنها تكون شراء فالأكل بشهوة كاذبة والشراب والوقوع كلها مقصرات للحياة جالبات للمرض بخلاف حدوث البراكين في الأرض من حيث لا يشعر الناس بها فقد تكون لها منافع تربو على مضارها مثل انبعاث بخار الماء وغاز الهيدروجين المكرر وغازات أحماض كبريئة أخرى فأنها تكون هناك رواسب منها معدن الكبريت حول فوهة البركان وقد تصير طبقات سمكة تصلح للاستغلال كما نرى براكين كثيرة في جنوب إيطاليا إذ هي أغنى مورد لمعدن الكبريت وتنتج كل عام منه (٢٠٠.٠٠٠) طن ، فهذه النعم الكبريئة إنما جاءت بفضل البركان . إذن مفاجآت البراكين ليست كمفاجآت الكذب وأمثاله . ومن ذا يقول إن شرور شهوات فحوسنا وغضبنا الغضب المنفي الى القتال والدمار والمهلك والتقاطع كغضب الطبيعة بحدوث البراكين . وهل الحرارة الناجمة في (بزولس) بالقرب من نابولي بجنوب إيطاليا البالغة (٣٩٠) بميزان سنتجراد التي حوّلها القوم الى قوة كهربائية يستعملونها في الصناعات المختلفة . وكذلك نظائر هذه البراكين في جزائر (ليبيري) وفي (شيلي) يرسم بسببها الكبريت والبوريك والشب

أقول : هل هذه التي وجهت للنافع العائمة بالمعادن النافعة والأعمال المقيدة تشبه شرور أنفسنا بالكذب وآثار الشهوات الكاذبة ، فالجوع الكاذب ، والعطش الكاذب ، والعداوة المبنية على سوء الظن ، كلهن جالبات لنا السوء بخلاف ما نراه في الطبيعة ، فهو على قسمين : قسم تتأخره وانحطه لا يخلل فيه كالفنا كفة والأب وقسم لا تعرف أحواله لا تشبأه علينا كسكون الأرض فنظن أن لبراكين فيها إذا هي تائرة ، فهذه ظاهرها شر ولكن باطنها نعمة . أما نتائج الكواذب من طبائنا فهو شر محض هذه أيها التكي مقتدمات لطلبك ، فألسنة الناس تصدق وتكذب ولكن لسان الطبيعة صادق غير كاذب

فإننا لم نر الذهب يوماً زاد وزنه أو نقص فهو (١٩) بوزن حجمة من الماء وهكذا الزئبق (١٣) تقريباً واعلم أنه لا معنى للكلام إلا الحركات في الهواء ، وتلك الحركات مختلفات باختلاف الخارج ، وباختلافها امتاز بعضها عن بعض ، وبانضمام صوتين أو ثلاثة أو أكثر تكون كلمة ، وبانضمام الكلمات تكون جمل ، والجمل يدل على المعاني ، وهذه الدلالة تارة تصدق وتارة تكذب . إذن فائدة الكلام انه يدل على المعاني ، ولكن هذه الدلالة قد تخالف الواقع . فلتنظر في مخلوقات أمانا نرى الماء ونحن ظمأى فنحس في أنفسنا بمعنى . وما هو المعنى ؟ هو انه يبيل ظمأنا . ومثل ذلك النافكة والخضر والحب وما أشبه ذلك . فكل هذه لها دلالات ولكن دلالتها صادقة لا كذب فيها بخلاف الكلام الصوقي فيدخله الكذب . إذن البال إما بحرف وصوت وفيه الصدق والكذب . وإما بلا حرف ولا صوت وهذا لا كذب فيه . وكلام المخلوقات ليس بحرف

ولاصوت . وكلام الانسان بحرف وصوت

واعلم أن الكلام الذي ليس بحرف ولاصوت قسبان : قسم قدسي وهو كلام الله القديم . وقسم مخلوق وهو كلام هذه العوالم . فأما كلام الله فانه فوق عقولنا ولانسبة بينه وبين كلام المخلوق بحرف وصوت . وبلا حرف ولاصوت فهذا فوق متناول عقولنا . ولكن لما تناهت عظمته وجلت قدرته أبرز لنا في الوجود عوالم نكون نتائجها صادقة بدون كلام حرفي أو صوتي حتى سمعناه يقول - وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم - كيف كلمته الأيدي وكيف شهدت الأرجل ؟ كلامها ليس بحرف ولاصوت ففيها دلالات ثوابت

ومن باهر الصنع ودلائل الاتفاق وبواهر الرحمة والحب أن الله تعالى لما احتجب عنا فلم نعرف كيف يتكلم بلاحرف ولاصوت وكان رموزا بالعباد أراد أن يضرب مثلا بالمخلوقات . فكما عرفنا علمه وقدرته بضرب مثل بما نحس به من علمنا وقدرتنا وأن تكمن النسبة مفقودة بين صفاتنا وصفاته تعالى هكذا عرفنا كون كلامه ليس بحرف ولاصوت كما نشاهد في هذه المشاهدات من الدلالات الصادقة :

(١) على حكمته وقدرته وعظمته

(٢) وعلى معرفة الجانين بالطرق العلمية في بحث خطوط اليدين والرجلين

(٣) وبما ننتفع به من خواص ما نأكل ونشرب وتتداوى وهكذا . فهذا عرفناه بلا حرف ولاصوت - والله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم -

فقال صديقي : لقد فهمت من مقالكم أن هذه العوالم صوادق في دلالتها والانسان قد يكذب وأن هذه الأيدي وهذه الأرجل دلالتها صادقات وفيها علامات مثبتات جرائم أصحابها وليست كاذبة بخلاف السنة الانسان في الأرض فهي كاذبة . ولكن هل علم الله تعالى بأعمالنا في حاجة الى أمثال الأيدي والأرجل ؟ فقلت : كلا . هو يعلم ذلك . ولكن هذه الآيات موجّهات لاصلاح نفوسنا ولها دلالتان : أولاً ان الله عليم بأعمالنا . ثانياً انه ضرب لنا مثلاً بأن أيدينا وأرجلنا فيها علامات . واصدق هذه العلامات الدلالات على أفعالنا نسب اليها أن تخاطب بلاحرف ولاصوت من كلامه ليس بحرف ولاصوت . واذا سمع الله منها أفلا يسمع القضاة فطق هذه الأيدي فيحكمون بما تدل عليه ؟ فقال : عجب ! مالنا والقضاة ؟ فقلت : القضاء قضاء الله يوم القيامة . وقضاء القضاة في الدنيا . فاذا كان الله يوم القيامة وهو العليم بأفعالنا يقول على سبيل المجاز أو الحقيقة أن الأيدي والأرجل تكلمنا وتشهد بأعمال العباد وقد قبل شهادتها وسمع كلامها ، أفلا يقبل شهادتها ويسمع كلامها قضاة الأرض ؟ فههنا علمان جليلان : علم الطبيعة الموزونة الجليظة التي تعبر عن جلال مبدعها الذي أبدعها وجعلها بهجة صادقة . وعلم القضاء الذي يترتب على صدق مقدماتها . فاذا سمع المسامون وقضاةهم الله يقول - وأشهدوا ذوى عدل منكم - ويقول - واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء - فليس معنى هذا أنه لا يثبت إلا على هذا المنوال ، فقد أجمع علماء الاسلام قاطبة أن حكم القاضى مبنى على الظن والنبي ﷺ كان يحكم بحسب الظاهر والله يتولى السرائر ، لأننا لانزال في الأرض . واذا وجدنا أن الظن جاء معه يقين ظاهر ألغينا هذا الظن . ألم يقل الله تعالى في ﴿سورة النجم﴾ - ان الظن لا يضي من الحق شيئاً -

فاذا سمع القاضى رجلاً يقول ان الشمس لم تطلع مع أنها هي طالعة ، فهذه الشهادة لا تقبل لأنها خالفت الحق هكذا إذا دلت أصابع المجرم على أنه هو القاتل وأن آثار الأصابع ظهرت على صنجة السيف والسيف وجد على رقبة القتيل وجاءت شواهد أخرى على ذلك ، فانا اذا سمعنا شاهداً يفتي هذا يقول له كذبت أيها الشاهد . إن هذه الآيات أيها الصديق نزلت في القرآن ليفتح لنا بها في القضاء باب كان مقلداً لإقليات فان الحنفية يقولون : « إن القرآن لما دخل في إنبات الجرائم » ولكن هذا الزمان الذي ارتقت فيه الأمم

ارتقت فيها أسباب الجرائم فأنزله تعالى هذه الآيات تقرأ في كل حين تدينا وذكرا لله ثم استنباطا بعقله ذواالعقول الكبيرة . ولقد تقدم في ( سورة الكهف ) في قصة الخضر وموسى عليهما السلام مالمخصه أن قتل الخضر للغلام وخرقه السفينة راجع الى اتلاف النفس واتلاف المال وهذان أهم حقوق الناس . وإذا وجدنا ذلك في القرآن وعلما أنه قتم الحقيقة على الظن لأنه عرف أن هذا الفعل المخالف لظواهر الظنون أفضل وأحسن وهذا على طريق الكشف ونحن لاكشف عندنا بل لوكان عندنا كشف لم نحكم إلا بالظاهر ، فلنا طريق آخر وهو أننا متى تحققنا ببارق علمية أن هنا ضررا محققا قام عليه الدليل الظاهر لأهل الحل والعقد فاننا تقدم على الحكم الذي عرفناه بطريق الظن ، فارجع اليه فللقام هناك موضع بكلام الأئمة وأكابر علماء الاسلام مع دلائل العقل ، وعليه وجب على علماء الاسلام في الأرض قاطبة أن يجتدوا في جميع العلوم ومن أهمها أدلة الدين والرجلين التي ورد ذكرها في القرآن لصدق دلالتها

فقال يا عجبا : ولماذا خصت اليدين والرجلين ؟ أليس جسم كل امرئ فيه علامات تدل عليه ؟ فلا فرق بين الأيدي والأرجل وغيرهما . ثم كيف تقول ان لساننا يكذب واليدان والرجلان لا كذب فيهما كما هو شأن العوالم المشاهدة من صدق شهادتها مع أن الله سوى بينهما وبين اللسان فقال تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون -

فقلت الجواب على هذا يرجع لنصليين اثنين : الفصل الأول في قيمة شهادة اللسان . الفصل الثاني في اختصاص اليدين والرجلين بالشهادة

### ( الفصل الأول في قيمة شهادة اللسان )

يقول الله تعالى في ( سورة يس ) - اليوم نختم على أفواههم ونكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - فهنا أخص الله اللسان وأنطق اليدين والرجلين وقبل منهما الشهادة . ويقول الله في سورة أخرى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - فهنا سوى الله بين شهادة الثلاثة إذن هنا اللسان يصدق تارة وبكذب أخرى بدليل انه ختم على الفم تارة وأنطق اللسان تارة أخرى . فاذا كان الانسان بعد الموت وبوم الحساب لا يزال مالكا لقواه وعواطفه كما كان في الدنيا بحيث يتصرف كما يتصرف في هذه الحياة ويةدر أن ينطق بخلاف ما في ضميره ، فهناك نختم على لسانه وتبقى شهادة الأيدي والأرجل . فاما إذا أصبحت عواطفه غير خاضعة لارادته وليست تحت تصرفه كما نرى في النوم المغناطيسي ونحوه فهذا لاينطق إلا بالحقائق فهناك يطلق اللسان فينطق كاتنطق الأيدي والأرجل . إذن اليدان والرجلان لهما منزلة ليست للسان فباطنته بإصاح مقتضيا المساواة أراه أنا مانعامها . وبهذا تم الفصل الأول والمجد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( في السبب في اختصاص اليدين والرجلين بالشهادة دون باقي الجسم مع أن الأعضاء كلها متساوية في انها لا يظهر تغير هيئاتها الأصلية مدة الحياة )

اعلم أن الاجابة عليها ترجع لعلم اسمه التحقيق الجنائي . وهذا العلم حديث النشأة لم يظهر ولم يبرز لعالم الوجود إلا في هذا القرن أى في الزمن الذي يؤلف فيه هذا التفسير كما ستراه . وأما في الآن كتاب في هذا العلم ومؤلفه الاستاذ (محمد بك شعير) وكيسل إدارة التفتيش بوزارة الداخلية وهو مدرس بكلية الحقوق . فهناك ماقاله في ذلك الكتاب :

( بصمات الأصابع والأيدي )

« ليس ما قرؤه من الوقائع المدهشة عن (شرلوك هولمز) و (كلترز) وأمثالهما وما يكتبه الروائيون أمثال (كوتان دويل) و (ليكوك) وغيرهما ومازاه يشخص (بشديد الخفاء) في دور الصور المتحركة من الروايات البوليسية الغربية التي يتعقب فيها البوليس السرى الجناة ويتعرف شخصهم ويظهر حقيقة أمرهم من إناه لمسوه أو وعاء أمسكوه أو كوب شربوا منه أو خزانة فتحوها . ليس كل هذا حديث خرافة وإنما هي ثمرة العلم الحديث ونتيجة مجهودات العلماء الذين أتوا بالمعجزات في فن بصمات الأصابع والأيدي »  
 الى أن قال « وكان الصينيون والهنود من قديم الزمان يستعملون البصمة في العقود والمشارطات لتقوم مقام الختم والامضاء . وقد أحسنوا في ذلك لأنها لا تنشابه ولا تقبل التغيير والتزوير . فلأنا نعمنا النظر في باطن اليد وأطراف الأكتاف والأصابع وباطن القدم وجدناها مكسوة بخطوط بارزة دقيقة يتخللها فراغ . ترسم هذه الخطوط أشكالاً وتمازجاً وانحناءات مختلفة لاتتطابق في شخصين قط كما نجد ثنيات تحت عقل الأصابع وتجمعات ناشئة من اطباق اليد وفتحها (انظر شكل ٣٤)



( شكل ٣٤ )

وهذه الرسوم والأشكال تتكون والجنين في بطن أمه من الشهر السادس للحمل ولا تتغير أبداً وتبقى حافظة شكلها واتجاهاتها في سن الطفولة والشباب والرجولة والحرم بل وبعد الممات الى أن يتحلل الجسم ويبيلى كما شوهد ذلك في الموميات المصرية القديمة وفي بعض أجسام القرود المنحطة . وكل ما يبدو عليها أنها تتمو وتكبر وتفسح تبعاً لنمو الجسم كلما تقدم الانسان في السن الى أن يصل الى الواحدة والعشرين . وقد ثبت ذلك من مباحث كثير من العلماء وأخصهم (السير فرنسيس جالتون) الذي له فضل كبير في هذا الباب . ومن المجموعات الهائلة المحفوظة بإدارات تحقيق الشخصية بأغلب البلاد الراقية . والبصمات هي الوحيدة في جسم الانسان التي لا تتغير طول حياته بل تبقى حافظة شكلها في أية سن وفي أية حالة كان عليها . اللهم إلا ما يطرأ على الجلد من العوارض كالقطع أو الحرق والمؤثرات الأخرى والنعومة جد أن يصل الانسان الى سن الستين . وذلك بخلاف باقي أجزاء الجسم فإنها كلما نما الشخص وترعرع تغيرت بسرعة وبدرجة كبيرة يتغير معها

معرفة بعد بضع سنين ، فالسحنة وتقاطع الوجه والأسنان ولون البشرة والشعر ولونه وكيته حتى لون العينين يتغير . لذلك كانت خامسة البقاء على حالة واحدة في بصمات الأصابع (مع اختلاف شكلها ليس في مجموع الأصابع فقط بل في كل أصبع) الأساس الذي بنى عليه علم تحقيق الشخصية وهو أساس منين غير قابل للنقض ولا للطمع بأي وجه . ويشبهون بصمات الأصابع بأوراق الشجر فانها قد تشابه في شكلها العمومي ولكنها تختلف في تركيبها وتفصيلها

أما حكمة وجود هذه الخطوط وما يتخللها من الفراغ وما يقطعها من التجمعات والتثنيات في راحة اليد وباطن القدم فلم يمكن تعليلها بشكل صريح . وقد اختلف علماء وظائف أعضاء جسم الانسان في ذلك ، فبعضهم يرى أن مهمتها تسهيل خروج الافرازات المكونة للعرق ، والبعض الآخر يرى أن لها دخلا باللس والحساسية

ولم يكن استخدام بصمات الأصابع في الجنائيات للتعرف على شخصية تاركها وترتيبها بطريقة ثابتة للاستعانة بها في استخراج السوابق معروفا في أوروبا إلا حديثا ، فقبل سنة ١٨٩٠ لم يعرف عنها شيء في الحياة العلمية ، ولو أن بعض علماء الألمان بحثوا فوائدها في أوائل القرن التاسع عشر ، فضلا التي الاستاذ (بوركنجى) مدرس علم وظائف أعضاء جسم الانسان بجامعة برنسا محاضرة نفيضة في سنة ١٨٩٣ باللغة اللاتينية عن بصمات الأصابع وفوائدها ، وقسمها الى تسعة أنواع ، واقترح إيجاد طريقة لترتيبها وحفظها والاستعانة بها ولكن مجهوداته لم تلق ماتتعه من القبول في ذلك الوقت على أن ماتؤديه من الخدمات في الوقائع الجنائية وفي تحقيق الشخصية وارشاد المحققين والقضاة عن سوابق الجناة واضح لاجتياج الى برهان ولا أدل على ذلك من تقارير فطاحل هذا العلم المقتمة لؤتمر الجنائى السولى الذى عقد بمدينة (بورين) سنة ١٩٠٧ فقد وفى الموضوع حقه الأستاذة (لوكر) و (ريس) و (داسكريللى) و (دى جاستى) و (دى فيرى) وغيرهم . انتهى من كتاب التحقيق الجنائى

فالعجب لأمرين اثنين أيها الصديق (الأمر الأول) قول المؤلف : « إن باطن اليد وأطراف الأكتاف والأصابع وباطن القدم ، كل هذه مكسوة بخطوط تختلف باختلاف الأشخاص » (الأمر الثاني) انها تلازم الانسان من المهد الى اللحد وأن غيرها مما على جسم الانسان يتغير . حينئذ ظهر أن اختصاص اليدين والرجلين في الآية دون بقية الجسد أصبح معجزة في القرآن ، فاليدان والرجلان فضلا عما ذكرته سابقا من أنهما بافمان في أعمال القضاة هما معجزة قرآنية أنزلها الله في القرآن وأبرزها فعلا في الزمان الذى كنت أتعلم فيه في مدرسة دار العلوم وملا بها الكرة الأرضية في أثناء طبع هذا التفسير لأن سنة ١٨٩٠ المتقدم ذكرها هي مبدأ تطلى في مدرسة دارالعلوم وهذه السنة التي أكتب فيها هذا القول سنة ١٩٣٠ وبينهما (٤٠) سنة . وفى هذه الأربعين سنة ظهر هذا العلم وعملت به الأمم ، فبدأ الظهور سنة ١٨٩٠ وفى هذه اللدة انقشحت وصل الينا . ومن العجب أن مؤلف الكتاب المذكور كان أحد تلاميضى في اللغة العربية قبل سفره الى أوروبا وذلك في المدرسة الخديوية في أول هذا القرن في العشرة السنين الاول منه . ومن أعجب العجب أن نختم هذه السورة بما يفيد ذلك إذ يقول - سفرهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم - الخ كأنه يقول : اختصاص شهادة الأيدي والأرجل دون بقية الأعضاء أمر يشكل عليكم ولكن سأظهر لكم بعض سره في الدنيا وقد أظهره في زماننا ولم يظهره في غيره ، فوجب علينا أن نقول للسلمين ذلك ونخبرهم بهذه المعجزة التي لم يظهرها الله إلا في زماننا فهي معجزة من وجهين : أولا اختصاص اليدين والرجلين ثم ظهور ذلك فعلا لمكان - سفرهم آياتنا في الآفاق - الخ . والى هنا تم الكلام على الفصل الثاني والمدة رب العالمين

وظهر لك أيها التكى ظهورا واضحا علميا أن اليدين والرجلين اختصت بخامسة لم يشرف بها بقية الجسم

وانهما أيضا أصدق من اللسان ، فلم يبق إلا شرح خصائص خطوط اليدين والرجلين ، وكيف كانت الخطوط  
فيهما لامشابهة فيهما بين رجل وآخر . فأقول جاء في الكتاب المذكور أيضا تحت العنوان التالي مانعه :

### ﴿ البصمات الخفية وطرق اظهارها وحفظها ﴾

يكاد الانسان لا يستدق أن أطراف الألف ، أو أجزاء راحة اليد ، أو باطن القدم ، اذا لامست جسما  
مستويا أملكس كالورق أو الزجاج أو الصيني أو المرآة أو المعادن والأخشاب المصقولة على العموم تترك عليها بصماتها  
بكل تفصيلاتها ورسومها لأن هذه البصمات تكون غير ظاهرة وغير مرئية للعين المجردة وبخاصة اذا كانت  
على الورق ، أما على الزجاج وبعض المعادن المصقولة ، فاذا دقق الانسان النظر فيها وتداها بقليل من البخار  
الذي يخرج من الفم فانه يرى بعض شعاع منها لا يلبث لحظة حتى يزول ، وليس تعليل ذلك من العضلات العسيرة  
التي لا يمكن تصورها بسهولة بل الأمر أبسط وأسهل مما نظن فان بشرة الجلد مغطاة بطبقة دهنية خفيفة ناشئة  
من افرازات العرق ، فاذا لامست الأنازل أو راحة اليد جسما مما سبق ذكره تركت عليه بصمتها وانطبعت  
عليه الخطوط والرسوم باتجاهاتها ومميزاتها ، ولكون تلك المادة الدهنية عديمة اللون تبقى البصمة مستترة  
غير ظاهرة ، لكن قليلا من المواد الكيماوية على شكل مسحوق أو سائل يظهرها للعيان ويخرجها من سترها  
واضحة جليلة كالبصمة المأخوذة بالطرق العادية بحيث يمكن استخدامها والاستفادة منها في التحقيقات الجنائية  
إذ ليس من المقبول عقلا أن الجناة لا تلمس أيديهم بعض هذه الأجسام أثناء ارتكابهم الجرم فتترك عليها أثرا  
غير ظاهر إلا اذا احتاطوا لذلك من مبدأ الأمر بلبس قفاز مثلا أو تعمدوا لإزالة ذلك الأثر بعد انتهاء عملهم  
ولانكون مبالغين اذا قلنا انه لا تخلو حادثة من الحوادث التي تقع في الأماكن المنحصرة من وجود تلك  
البصمات التي لو عني بالمحافظة عليها وعدم اختلاطها بغيرها أو ازالتها بواسطة تعريضها للتؤثرات الخارجية كانت  
من أتم الأدلة المحسوسة وأرجحها



( شكل ٣٥ )

( النوع )

واعلم أن خطوط الأصابع ( أربعة أنواع )  
رئيسية ولكل منها فروع ، فهي منحنيات  
ومنحدرات الى اليمين ومنحدرات الى اليسار  
ومستديرات

( النوع الأول ) المنحنيات أو المقوسات  
بحيث يكون شكل البصمة فيه عبارة عن  
خطوط أفقية منضبة أو مقوسة الأعلى على الأقل  
وليس فيه زاوية ولا نواة له ، واذا وضع فيه  
زارية لا يتخللها خطوط ( انظر شكل ٣٥ )  
وهذا يرمز له بهذه العلامة ( أ ) في مصر





(النوع الثاني) المنحدرات الى اليمين ورمزه في مصر (ا) وهو ما تكون فيه نواة بشكل قناة ذات حافتين متصلتين من ناحية واحدة ، وهذه القناة تنحدر من اليسار الى اليمين وبه زاوية واحدة الى اليسار ، وقد يكون داخل القناة خط منفصل أو خطان أو أكثر (انظر شكل ٣٦)



(شكل ٣٦)

(النوع الثالث) المنحدرات الى اليسار ورمزه هذه العلامة (-) وهو ما تكون فيه نواة البصمة عبارة عن قناة ذات حافتين متصلتين من ناحية واحدة . وهذه القناة منحدره من اليمين الى اليسار وبه زاوية واحدة الى اليمين بعكس النوع الثاني (انظر شكل ٣٧)



(شكل ٣٧)

﴿ النوع الرابع ﴾ المستديرات ويرمز له عندنا بمصر بعلامة (٥) وهوماتكون فيه نواة البصمة على شكل دائري أو يضاوي أو حلزوني بين زاويتين متقابلتين إحداهما إلى اليمين والأخرى إلى اليسار كما في (شكل ٣٨)



( شكل ٣٨ )

ولما كانت آيات القرآن وتفسيرها يوجب علينا أن نستوفي هذا الموضوع وجب أن نذكر ما ظهر من آثار الرجلين في العلم الحديث كما ذكرنا آثار الدين فنقول ومن الله التوفيق :  
جاء في كتابه « التحقيق الجنائي » تحت العنوان التالي مانصه :

### ﴿ آثار الأقدام ﴾

قص الأثر معروف عند العرب من زمن بعيد فأنهم كانوا وما زالوا يتبعون الإبل والمواشي المسروقة في الصحارى والقفار ويستدلون على محل وجودها ولو كان على مسافات بعيدة ومراحل شاسعة . وجلّ اعتمادهم في ذلك على قوة الباصرة والخبرة والتجربين وقليلاً ما يخطئ نظرهم فقد أتوا في هذا الباب بالدهشات التي يحار في تعليلها الانسان فينبئك الواحد منهم بما اذا كان تارك الأثر ذكر أو أنثى طويل القامة أو قصيرها سليم النظر أو به مرض باحدى العينين أو ببعض أجزاء جسمه حاملاً شيئاً أو غير حامل . وفي النساء ما اذا كانت إحداهن حبلية أو غير حبلية وهكذا . ولا غرابة في ذلك فإن الاعرابي معتاد منذ الصغر على التجوال في الصحراء وهي أصلح مكان تنطبع عليه القدم وتترك أثرها بشكل واضح يمكن قراءته كما يقرأ الانسان في كتاب . وبما يساعد على بقاء هذه الآثار وعدم محوها واختلاطها بغيرها اتساع تلك البقاع وقلة السكان وندرة المرور فيها وعدم وجود أسباب الرفاهية وال عمران بها . فعلى مر الأيام يعرف سكان كل ناحية بعضهم بعضاً كما يعرف كل منهم أولاد الآخر وناقته وماشيته . ويمكنه في غير عناء معرفة مشية كل منهم وتمييز آثاره . ويستشهدون بها عند حدوث سرقة أو ضياع ماشية . وهذه قاعدة متبعة للآن في جميع أنحاء السودان وفي الجهات النائية

كالواحات ومصلحة أقسام الحدود . ولما كان هؤلاء القوم مازالوا على الفطرة ولم ينالوا من العلم قسطا بكنهم من التعبير عن أفكارهم وتعليل استنتاجاتهم واقناع الغير بصحتها كما ان كل عمل من هذا القبيل مهما بلغ صاحبه من دقة النظر واصابة الرأي عرضة للخطأ . لذلك وجب أن لا يعتمد على أقوالهم اعتمادا كلياً . ولا بأس بأخذها بتحفظ تام وعلى سبيل الاستئناس فقط . وهذا لا يمنعنا من الاعتراف بفضلهم وخصوصاً في الارشاد عن الاتجاه الذي سار فيه الأثر والطريق الذي سلكه الجناة

ولم تكن الاستعانة بآثار الأقدام بطريقة علمية معروفة في أوروبا الى عهد قريب . فأول حادثة اكتشفت فيها فائدة آثار الأقدام العربية وقعت في (٢٧) نوفمبر سنة ١٨٤٦ م وسترى في الأشكال الآتية صور بعض آثار الأقدام المختلفة (انظر شكل ٣٩ و٤٠ في هذه الصحيفة وشكل ٤١ و٤٢ في الصفحة التالية)



( شكل ٤٠ )  
نفس القدم وصاحبها واقف



( شكل ٣٩ )  
قدم غارية وصاحبها سائر





( شكل ٤٢ )

قدم منبسطة



( شكل ٤١ )

قدم مقوسة

هذا ما أردته من كتاب «التحقيق الجنائي» يؤلفه محمد شعيربك تفسيرا لقوله تعالى - حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون - الخ وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

آراء حكماء الأمم وعلماء الاسلام  
في الأخلاق

تفسيرا لقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألتخافوا ولا تحزنوا - الى قوله - إنه هو السميع العليم -

ولأجعل الكلام على هذه الآية في خمس أمور :

(١) الكلام على الإيمان بالله والاستقامة

- (٢) إلهام الملائكة المؤمنين بالخيرات  
 (٣) مساعدتهم في الحياة وبعد الموت  
 (٤) محاسن الأخلاق وملاطفة الأعداء  
 (٥) الالتجاء الى الله في كل شيء

في يوم الجمعة (٢١) نوفمبر سنة ١٩٣٠ بينما أنا جالس أفكر في معنى هذه الآية ، وأنا أعجب من أن الانسان يحس في نفسه مذكرا يذكره بامور علمية أو أخلاقية وهذا شائع بين الأمم ، وكيف كان هذا من مضمون الآية إذ جاء فيها - نحن أولياءكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة - على لسان الملائكة أقول : بينما أنا كذلك إذ أخذتني سنة نجيل الى آنى في روضات بهجات ، مزينات بأجل الزينات ، والزينات الفاخر في جوهج مضيء مشرق في قصر منيف ، فيه فرش مر فوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمازق مصفوفة ، وهناك من الجواهر مالا أقدر على وصفه وأدرك كنهه

فبينما أنا في دهش بمأرايت وفي عجب بمحباب إذ أقبلت فتاة أشرق نورها وأضاءت المكان ببهجة جمالها وماتحت به من أجل الخلى ، ومالبست من أبدع الحلل ، وقد عطرت أرجاء القصر بلروائح العظمية ، فسلمت وحيث . فهناك نسبت جمال القصر وبهجة الزينة والرياش وأخذت الجلال بصري وبصيرتي حتى نسبت كل شيء إلا ما رأيت من منظر ناضر وطرف ساحر وجمال باهر ونور زاهر ، فما كان إلا كبح البصر حتى خرت صعقا وغابت الفأكرة ونامت الباصرة وأخذت فؤادي تلك النظرات الساحرة ، فصرت كالسحور الذي لا يبى ماحوله ولا يدري كيف يقول . وهكذا بقيت على هذه الحال مدة . فلما أفقت من غشيتي وقت من غفوتى رأيت الفتاة أمامى وهي تبسم فكنت أخر صعقا كرتة أخرى إذ لم أر مثل هذا الجمال في الأرض أمد الحياة وخطر لى خاطر قديم . ذلك انى يوما كنت دخلت (دار الصور المتحركة) بمصر فأريت من تلك الصور التى تظهر فيها صورة ( كليوباترا ) ملكة مصر من دولة البطالسة . وقد لبست أنفرا الملابس التى يقال ان ثمنها يبلغ آلاف مؤلفة . فقلت في نفسى إذ ذلك : يا حسرة على مصر . مصر التى انتهكت حرمتها الدول وأبقوا فيها امتيازات الأجانب فأدخلوا صوراً تصد الأخلاق وتثير الشهوات . فأما فى بلادهم فأن الأكر فى مشاهد (دار الصور) أن تكون معلمة للشعب الفنون والعلوم وأحوال الحياة بأنم مظاهرها . فهذا الخاطر الذى خطر لى قبل أن تجدد لى إذ رأيت هذه الفتاة . فقلت يا ربلى ماذا أقول الآن وهل مثلى فى هذه السن يلعب الجمال بعقله أو يخاطر الغرام بلبه . إن ذلك منزه بالمشيب . وإذا كنت أخاف على الشبان من هفوات الأجسام . أفلا أخاف على أدبى وعقلى من زلات الضمير وفتنة القلوب والصبوة ولو بالخواطر والهفوة ولو بالتواطر

وبينما أنا كذلك إذ رأيتها ازدادت ابتساما وقالت سلاما سلاما لا تتريب عليك ماهذه بصبوة ولا أنت الآن فى غفلة . إنك الآن مكين أمين لا إثم ولا حرج . أنت الآن فى عالم المثال لا فى عالم الأجسام . فأنت روح وأنا مثلك . ثم أمسكت يدي فكان نورا قبض على نور . ولم أحس تلك العظام ولا العضلات ولا تقل الأعضاء الغليظة ، فقضيت العجب وقلت فى نفسى « أهذا كنه فى عالم الخيال ؟ » ولم أكد أتم هذا الخاطر حتى أخذت تقول هذا العالم هو الجمال الحقيقى ، ألم قرأ - وان الدار الآخرة لى الحيوان - ، فقلت فى نفسى : يا ليت شعرى ما اسم هذه الروح ؟ فقالت على الفور أنا اسمى (البصيرة) فتذكرت قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - وخطر لى خواطر الآية التى نحن بصدد الكلام عليها وأن الذين يعرفون الله واستقاموا يشرون ويلاحظون فى حياتهم الدنيا وبعد الموت ولهمهم الملائكة ، وقلت فى نفسى : هل هذه صورة روحية لبصيرة الانسان ؟ ويا ليت شعرى أهذه تشاكل بصيرتى أنا أم بصائر جميع الناس فى الأرض ! وهل بصائر الناس جمال فأن على هذا المنوال ، فأجابت بلا تردد ولا توان وقالت إن جمال أرضكم جزئى

إنه جمال نزل الى الأرض بقدر . ألا ترى أن جمال الرجل أو المرأة لا يبقى إلا ريثما يلدان التربة . فإنا أسنا ذهب الجمال وعمّوا بدل الجمال الظاهري محبة ومودة ورحمة بها يشتركان في تربية التربة وفي المنافع المنزلية والامور المادية . إذن الجمال في الأرض ليس مقصودا بالذات وما جاء لسبب فهو لا محالة ذاهب بذهاب سببه . أما الجمال هنا فهو أرقى من الجمال في الأرض من جهتين : أولاً ان نسبة جمال أهل الأرض الى جمال عالمنا كنسبة نور السراج في الأرض الى نور الشمس . ثانياً ان نسبة دوام الجمال عندنا الى دوامه عندكم كنسبة دوام نور الشمس الى فناء نور السراج . الجمال عندكم مقدمات وعندنا مقاصد وغايات وسعادات . ولقد أخبرتك بأننى أنا البصيرة . إن بصائر أهل الأرض جميعاً قد جعلنى الله مثلاً لها ، فأنا مثال البصيرة الكلية وعنوان لها ودليل عليها ، بل أنا هي ولست تتمكن من رؤيتها إلا على هذه الحال . هنالك قلت هذا مقام العائد بالله وبك ألا تدرينى أنخط في ظلام الأوهام ، إني أودّ المقام بجوارك أمد الدهر . فلقد قضيت دهري في حياة كلها غرام بك وحبّاً للنتائج الخلقية والعلمية التي أنت المبرزة لها . فقلت لك لا تطيقنى الآن . أولاً لأن مظهرى الآن ربما لا تحتمله اذا طال مقامك هنا ، ألم تر أنك خرت صعقا حين لاقيتني . ثانياً انك الساعة كما ذكرت لك في عالم الروح . ولقد قضت العناية أن ترجع الى عالم الأجسام باليقظة ، وعينك هنا ترى ما لا ترى عينك هناك ، وهذا الجمال الذي ظهر لك إنما هو الجمال الكاسب لهذه الدرجة الروحية ووراءها درجات متتابعة تخلق لها عيون على مقاديرها في عالم الأرواح العالية . ولو أن درجة من درجات الجمال ظهرت لأرواح لم تستعد لمشاهدتها لأهلكتها ، فإذن لا بد من رجوعك الى عالم الحس المادى زماناً لكي تكمل نفسك فلا تصعق كما صعقت الآن حين رأيتني . قلت ولكن لا صبر لي على فراقك . فقلت إن لكل مقام مقالا ، فأرجع الى الأرض عالم المادة واشهد مزارعى التي زرعتها في الأرض . فقلت أى مزارع ؟ فقلت مزارع القلوب ، قلوب الحكماء والعلماء والأولياء ، فاقراً ما ألقينته على قلب كوفوشوشوس حكيم الصين وقلب أفلاطون وسقراط وقلوب الرواقين وقلب الاستاذ ( كنت الألماني ) ، فهؤلاء وأمثالهم الذين برعوا في علم الأخلاق قديماً . وهكذا قلب الفزالي والرازي وأمثالهما من علماء الاسلام بل أمثال الشعرائى من الصوفية فهذه مزارعى التي غرستها في قلوب هؤلاء في علم الأخلاق . فتذكرت إنى قرأت في « جريدة الضياء » مقالا يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

### ( المذهب الذى يمتنقه ٥٠٠ مليون من الناس )

الكونفوشيوية هي مجموعة التعاليم التي دعا اليها كوفوشوشوش منذ ٢٥٠٠ سنة ورواها عنه أقدم حكماء الصين ، ولم يكن كوفوشوشوش يميل بطبيعته الى التغلغل في باوراء الطبيعة والتعمق في التأملات الدينية ، ولكنه كان شديد العناية بالفضائل والخلقيات فهو يوجه جلّ اهتمامه الى دراسة المسائل العملية الخاصة بالعلاقات الانسانية ويدعو الى اتباع السبيل القويم في المعاملات . وكان في حياته الخاصة شديد الاعتقاد بالقضاء والقدر ، والايمن بأن الله منه الحياة وحدد له المهمة التي يؤدّيها ، وانها تحميه كيد أعدائه ومن قوله « ما أعظم قوات الأرواح . اذا نظرنا لانراها واذا أنصتنا لانسمعها . ولكنها تدخل مع ذلك في كل الأشياء ولا يوجد شيء بدونها » وكان لا يصريح بمثل هذه الامور الا الخاصة أتباعه في خلواته ، أما تعاليمه فكانت كلها عملية ، لأنه كان معلم أخلاق ورجل سياسة . وكان يعتقد أن معرفة الله شيء يفوق قوة تصوّره . ومع ذلك فانه اعترف وهو يعزى نفسه بقوله انه ولد في السماء وان الله أوجد الفضيلة التي فيه . وأن تقته بالله لا حد لها ، فهو لا يتذمّر من الفضلاء

كما أنه لا يتجرم بالناس . وقوام عقيدته الاعتراف بضعف الانسان وحاجته الى مساعدة الاله ، ومحاولة التمتع بمباهج الحياة ومزاياها عن طريق الاتصال المباشر بالله . وتكاد الكونفوشيوية تكون طريقة مرسومة للحياة فهي الصفة الدينية لأنها تحض متبعتها على عدم مخالفة قوانين الطبيعة والتألف مع بقية الناس ، وتنتهي عن حب الذات وتأمير بتضحية النفس في حب الآخرين . وقد نجح كونفوشيوس في اكتساب العقيدة الصينية ، بفضل شخصيته القوية ، ومحافظته على التقاليد ، ولأنه اتخذ لنفسه صفة القيادة والزعامة فأمنت تعالجه مسلما بها من الجميع ، وأص الخارجون عليها في حكم الكفرة

وأساس فلسفة كونفوشيوس « التوا » وهي تقطة الابتداء ، والطريق الذي يتحرك فيه الوجود ، والنظام الذي يسير عليه العالم ، أو النظام الطبيعي . وهو السبيل الذي يبنى أن يسلكه الناس جميعا . والاتجاه الخلقى لكل انسان . وهناك طرق ثلاثة طريق السماء وطريق الأرض وطريق الانسان وهو أهم الطرق الثلاثة ولكن الطريق شيء غير منظور لا يرى إلا في أعمال الناس فهو مبدأ خلقى مستور تفرع منه فضائل الحياة اليومية . ويؤمن كونفوشيوس بثبات الطبيعة على مبدأ خلقى واحد ، فهو يقول بأن السماء والأرض قد أظهرتا نباتا معنوايا في طرفهما المطردة . والكون نظام وليس فوضى . وتتجلى في كل أعمال الطبيعة مظاهر الاخلاص التي يجب أن تعتبر تقطة السير للحياة الخلقية

ويعتقد الكونفوشيوسيون بأن الطبيعة هي خير في ذاتها ، وأن مبادئها وقوانينها انما وضعت لارشاد الناس الى التصرف الواجب . ومع ذلك فان تصرفات الطبيعة غامضة ولا يمكن كشفها . وهذا ما جعل تصرفات الناس خاضعة لأحكامها المقدرة من قبل . فعادة الانسان وشقاؤه ، وتوفيقه ونحسه كلها مقدره ، وإذا كانت لا توجد علام يمكن الانسان من السيطرة والتحكم في الحوادث الطبيعية ، فان وقوع هذه الحوادث يصبح لذلك لا يحصى عنه ولا مفر منه . ومع أن وقوع هذه الحوادث التي لا مفر من وقوعها ، ومع ما يبدو لنا من قسوتها وشذبتها أحيانا . كان وقوعها مرهونا في الغالب بتصرفات الناس أنفسهم . لأن الطبيعة ليست شريرة في أعمالها . وكل ما هنالك أنها عادلة وهي تضع دائما الخير مع الخير ، والشر مع الشر ، فالطبيعة شريفة وتتصرف بطريقة خلقية سامية . وكونفوشيوس مثل لوك وعلى عكس هوبز ، يعتقد بأن الأصل في طبيعة الانسان الخير وأنها تلتبس الخير كما يلتبس الماء الانحدار . وأول ما يتعلمه التلميذ الصيني في كتابه الدينى الصغير « الناس عند ما يولدون يكونون خيرون بطبيعتهم »

ويفسر آئمة الكونفوشيوية هذا المبدأ بأن كل انسان يملك في صميم نفسه مبدأ خيرا ، يسوقه الى العطف على الآخرين ومساعدتهم ، ومبدأ عاد لا يشهره بالخجل من كل ما يثير الخجل ، والكرهية لكل ما يستحق الكراهية . ومبدأ للياقة يحمله على احترام وتمجيد من يستحقون الاحترام والتقدير ، ومبدأ حكما يعرف به الحق ويؤيده . ويدرك به الباطل ويرزخ عنه

وهذه المبادئ ليست مخالفة للطبيعة الانسانية ولكنها مركبة في غرائز العقل الانساني ولاغنى للبشرية عنها . وليس على الانسان الا أن يطبع هذه المبادئ الكامنة فيه ليأمن العثار ويسلك الخبى الذى لاغبار عليه . ويصبح انسانا كاملا . ان الناس يولدون أظهرا بطبيعتهم غير أنهم إذا طعموا غذاء دسما . واكتسوا ملابس تشيع الدفء في أجسامهم . وسكنوا أماكن مريحة فانهم يصبحون كالبهايم تقريبا . فغاية التعليم القسوى هي استرداد العقل المفقود ، وأغلب الناس قد فقدوا عقولهم

ومن مميزات الثقافة الصينية العناية بأداب اللياقة ، وهي ظاهرة الأثر في النظام الكونفوشيوى ويضع كونفوشيوس نظاما خاصا من العوائد والاقبسة لكل العلاقات الأساسية بين الناس . وكل ما يشاهد في الصينيين من مظاهر اللياقة وحسن التصرف انما منشؤه من هذه العادات . فالأثران الذى يقابلون به أى موقف من

مواقف الحياة يرجع الى استعدادهم الداخلى الذى جرى منهم مجرى الفراز بفضل مرانهم الطويل مدى  
العصور المتعاقبة

لذلك لا يحتاج الصينيون الى كتب فى اللياقة لأنهم نشوا منذ نعومة أظفارهم على اتباع أصولها المتبعة  
فى تقاليدهم الدينية المنسوبة الى كونفوشيوس . حتى أصبح الثبات واللياقة طبيعة ثانية فيهم . فأنت لا تلمح أثر  
للجلافة عندهم حتى فى أحط الطبقات الجاهلة ، بل تراهم جميعا قوما بحسنون التصرف بلباقة فى الأحوال  
ويفضل كونفوشيوس فى كتابيه الثالث والرابع المعروفين (بتعليم الوضوء) الكيفية التى يستطيع بها الانسان  
أن يمتشى فى قوانين الطبيعة لى تظهر عناصر الخيرى المركبة فى طبيعته . وهالك بعض فقرات من الكتابين  
التناسب طريق الطبيعة . والوصول الى التناسب هو طريق الانسان . فالذى يمتشى مع الطبيعة يصيب  
الهدف من غير نصب ، ويفهم الحقيقة بدون تفكير والحكيم من يهتدى بظفرته الى الطريق القويم من غير عناء  
والتناسب أو التمشى مع طبيعة الكون هو فعل العليم فى الآداب الكونفوشية ، فالرجل الذى يصل الى  
هذه الدرجة من التناسق يصبح انسانا كاملا . ويدعو كونفوشيوس الى الاهتمام بالأمرين (شو) ومعنى الكلمة  
الحكم على الغير باختبار الانسان الشخصى . لأن التشابه بين الناس فى تفكيرهم يمكن الفرد من الحكم على  
الآخرين فلأنتى عاملت كلبا أو جوادا بما لا أحب أن أعامل به ، فليس معنى ذلك أن هذه المعاملة لا تليق  
بالكلب أو الجواد . ولما كنت أنا انسانا واخوتى الآخرون هم أيضا من بنى آدم أعرف ما يسبب لى الألم فأتى  
أمكننى أن أعرف أن الآخرين عند ما يتأثرون بنفس العامل يتألمون مثلى . وإذا اتخذت قلبى دليلا لى فأتى  
لا أعمل لغبرى مالا أرضاه لنفسى

ويعرف كونفوشيوس الرجل الراقى ، بأنه الشخص ذوالفضيلة الكاملة ، الانسان الذى رفع نفسه الى  
مستوى الكمال الخلقى . بعكس الرجل الضيق العطن العادى التفكير ، وجمع الصفات التى تتألف منها أخلاق  
الانسان الكامل هى : الاحسان . والانسانية والايثار . وإنكار الذات والروحانية والحب . أما المحبة فهى فى  
عرف كونفوشيوس غاية الحياة الانسانية . ومن رآه أن الانسان الكامل يجب أن لا ينسى هذه الغاية ولو مرة  
واحدة . أثناء تناول وجبة واحدة . أو فى ظرف يكون فيه مشغولا جدا أو عند ما يقفل فى عمل فشلا فأنها  
ويأمر كونفوشيوس بحب الناس . أى أن يشعر الفرد بمحبة النوع الانسانى وينظر الى البشر جميعا كأنهم  
اخوته ويعتبر الانسان اجتماعيا بالطبيعة . ويحلل النظام الاجتماعى الى خمس علاقات : الملك ووزيره والأب  
ورولده . والزوج وزوجته . والأخ الأكبر وأخوه الأصغر . والصديق وصديقه . فالانسان بطبيعته مغمور فى نظام  
من العلاقات ولا يستطيع أن يعرف نفسه الا داخل هذا النظام . وهذه العلاقات تتضمن فوارق ، فالخضوع ليس  
معناه محبة الحرية الطبيعية . ولكنه شىء طبيعى لا بد منه اه

فلما قرأت هذا وهى مصفية لى (وهجبت إذ رأيت المقالة أمانى كأتى أشاهدها) قالت انظر فى الآية التى  
نضرها أنت الآن . ألم ترأتى أظمت حكيم الصين أن يقول : « إن الله منح الحياة وحدله المهمة التى  
يؤدبها وأنه بحميه كيد أعدائه » . قلت بلى . قالت أليس هذا بعينه ما فى هذه الآية - تنزل عليهم الملائكة  
الأتخافوا ولا تحزنوا - الى قوله - نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة - . ثم قالت : ألم تر أن ملخص  
كلامه عن نظام السموات والأرض انه فى غاية الكمال ، وأن نظام النفوس الانسانية فى الأعمال يجب أن  
يكون على مقتضى هذا النظام (وبعبارة أخرى) إن النفوس الانسانية يجب أن تكون مخلصه صادقة  
كالاخلاص والصدق فى نظام الأرض والسماء ، وهذه المعانى هى التى برزت فى تفسيرك للقرآن لأن هذا  
التفسير سيكون نموذجا يؤمه أمم فى الشرق والغرب يسرون على النظام الطبيعى فى أعمالهم باخلاص وأمانة  
وحب لربهم . ثم إن تعريف كونفوشيوس للرجل الراقى هو عين قوله تعالى - ولانستوى الحسنة ولا السيئة



ادفع بالتي هي أحسن - وأما الحب العام الذي ذكره فهو مضمون نفس هذه الآية ومطلوب القرآن - إنما المؤمنون اخوة -

إذن آراء كونفوشيوس هي مقاصد القرآن والله أعترك عليها الآن لتكتبها فيعلم المتعلمون من المسلمين الذين قرءوا العلوم الفلسفية الأوروبية . إن آيات القرآن المبذولة للجهال والعملاء على حد سواء ليست هي كما يظنون غير مستعقبة عنيتهم بدعوى أن قراء القرآن أكثرهم جهلاء فقراء ، فإن هذا القرآن من عند الله كما أن الماء المبذول لجميع الناس من عنده وهكذا الحب المبذور والنوى في الأرض الذي تطؤه البهائم هو هو نفسه الذي يصير حبا وثمارا جنية ، فليس عموم النعمة دلالة على قصورها ولا شمولها الجاهل والعالم عنوانا على هوانها . كلا . فليعلم أولئك المتكبرون أن كبرهم في غير محله وأن القرآن تفسره الفلسفة في الشرق والغرب وحكمة الحكماء وعلم العلماء - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم -

ثم أتى تذكرت بعد ذلك بعض آراء أفلاطون من المقدمة التي كتبها الاستاذ (بارتلمي ساتهليبر) أستاذ الفلسفة اليونانية في الكوليج دي فرنس ثم وزير الخارجية الفرنسية التي ترجمها الاستاذ (أحمد لطفي السيد) مدير دار الكتب المصرية ، فأسمعتها مانسه . قال :

(١) وقد استعار أفلاطون استعارة أخرى ليجود بيان هذا الطبع المزوج للانسان فقال : (فلتتصور أن كل واحد منا هو ما كينة حية خارجة من يد الاله . فالشهووات التي نحسها هي كأنها حبال أو خيوط يجذبنا كل إلى ناحيته ، وبتعاكس حركاتها تجذبنا إلى أعمال متضادة . وهذا هو ما يقرر الفرق بين الرذيلة وبين الفضيلة ولكن الحس السليم يدلنا على أن واجبنا أن لانطارد الا أحد هذه الخيوط ونتبع اتجاهه ونقاوم شديدا كل ما يهداه من الخيوط الأخرى . ذلك هو خيط الذهب المقدس . خيط العقل الذي هو القانون العام للممالك وللأشخاص . ينبغي أن يكون الحكم للعقل مادام أنه هو عمل الحكمة وأنه مكلف بأن يسهر على النفس بتمامها ولا ينبغي ألته أن يصنى المرء في نفسه إلا إلى صوت العقل ، لأن العقل المستقيم إنما هو صوت الله يخاطب به أنفسنا . ولأن يعتقد المرء أن النفس تسمو بللعرف أو بالثروة أو بالجاه والسلطان ، ذلك ليس الا تقصا فيما يجب من تشريف مافي نفسه من الجهة القدسية ، وتفر يطامنه في إكرام نفسه ، فإن إكرامها الحقيقي ينحصر في الدأب على تمية الفضيلة فيها وحمايتها من الكبرياء والذات ، ومن الترف الذي يجعلها تجبن عن احتمال المشقات الضرورية ومن الجزع عند لقاء الموت بل حمايتها أيضا من جواذب الجليل ، فإن الجليل لا ينبغي أن يؤثر على الخير ، بل يلزم أن يقال : إن كل ما على سطح الأرض وما في باطنها من ذهب لا يستحق أن يوازن بالفضيلة . وإن المرء إن لم يقصر تثبته على الخير وحده بكل قواه ، كان موردا نفسه ذلك الكائن القدسي - موارد العار والاحتقار (١)

(٢) وقال المترجم أيضا « وبمقتضى ذلك كان الواجب الأول على الانسان ، بل الواجب الوحيد الذي يشمل جميع الواجبات الأخرى هو أن يسلك في الحياة سبيل العقل المستقيم . وإن أكبر خطيئة يرتكبها ، وأكبر جهالة يقع فيها إنما هو أن يعصى العلم والحكمة والعقل ، وهي ثلاثها سادته الحقيقيون . إنما هو أن يكره شيئا حكمه بأنه حسن جميل بدلا من أن يحبه . إنما هو أن يحب ويبغى من يحكمه هو أنه رديء . على أن النفس نجد طمأنينة تامة ، وقوة أيما قوة حينما تنفق إحساساتها وأعمالها ، فتعقب بأنه ليس لها أن تعود باللائمة على نفسها في فكرة أو عمل ظالم في حق الله أو في حق الناس . وإن أكبر حرب في الحياة هي الحرب

(١) القوانين ك ١ ص ٥٤ - الجمهورية ك ٤ ص ٢٤٠ وك ٩ ص ٢٣٢ - طباطب ص ٢٣٥ -

كريتون ص ١٣٥ - فروطا غوراس (الفسطاطيين) ص ٥٧ - القوانين ك ٥ ص ٢٥٤ - الجمهورية

ك ٩ ص ٢٠٩ - فيدون ص ٢٦٦

التي تقع بسدد صبرورة المرء فأضلا أو شربرا. (١) وقد يقع المرء في الضلالة إذا هو ظن أنه الرجل الذي له قيمة تقضى عليه أن يحسب حسابا للموت أو للحياة ، بدل أن يقصر سعيه على البحث فيما إذا كان ما يعمل هو خيرا أم شرا ، وما إذا كان عمله عمل رجل صالح أم عمل رجل سوء . كل امرئ اختار مركزا ، لأنه رآه أشرف من سواه ، أو لأن رئيسه وضعه فيه ، يجب عليه أن يقيم فيه ثابتا ، ولا ينظر إلى الخطر ولا إلى الموت ، ولا إلى شيء آخر غير الشرف . كذلك كان سقراط ، لما جرى به ليحاكم أمام الشعب الآتينى على نهمة كبرى ، لم يتأخر ألبتة عن تنفيذ هذه المبادئ بالعمل . فلما كان يخدم وطنه في ميدان القتال ، احتفظ كما يحتفظ الجندي الباسل بجميع النقط التي وضعه فيها القواد في بوييدة وفي أنفيوليس وفي ديليوم . كذلك لم يكن ليتحول عن المركز الذي خصه الله به . بل دأب على درس الفلسفة على رغم الخطر المائل الذي كان يتهتده ، حتى إنه لما مثل أمام القضاة ، لم يخطر بباله ليتق الموت أن يتنازل إلى التخضع بسؤال العقو ، ولا إلى التخليقات العادية التي اعتاد الناس أن يستدرجوا بها شفقة القضاة . وما كان الكلام هو الذي يعوزه في هذا الصدد . بل الذي كان ينقصه هو عدم الحياء من نفسه . فلم يزل عن عزته إلى سكب الدموع . وما يستبيحه المتهمون المستبينون بكرامتهم من الدنيا ، كأن الخطر الذي هو فيه لم يكن في رأيه داعيا إلى إتيان ما هو غير خليق بـرجل حر . فالتأان أمام المحاكم كالشأن في ساحة القتال ، لا يسمح للمرء أن يتسدرع بأي وسيلة من الوسائل المختلفة لحفظ حياته . فكما أنه في الحرب لا ينبغي ألبتة أن يلقى المحارب سلاحه ، ولا أن يطلب الأمان ، كذلك لا ينبغي ألبتة لقاء غيرها من الأخطار أن ينسفل (٢) إلى حد أن يقول كل شيء ، ويعمل كل شيء . كذلك مضى سقراط ، من غير أن ينحصر من شرفه شيئا إلى الموت الذي حكمت عليه به المحكمة ، وترك الذين اتهموه ملطخين بوصفات الظلم والعار التي حكم عليهم بها الحق . لزم عقابه كما أنهم لزموا عقابهم . والتأان في ذلك كما يقول هو أن كل شيء هو على أحسن ما يكون . ليس المهم أن يعيى المرء ولكن المهم هو أن يعيى عيشة حسنة . ذلك المعنى هو الذي حمل سقراط على أن يرفض خدمة المخلص « كريتون » فلم يشأ أن يهرب من السجن ليخلص من حكم ظالم لأنه يعلم أن هذا الحرب مهما برره الظاهر ، فإنه ليس في الواقع إلا مخالفة لقوانين الوطن ذلك هو إذن المبدأ الأول الذي قرره سقراط ، وأيده بالمثل الفعلي . هو أنه لا ينبغي ألبتة إتيان الشر بأية حجة كانت ، بل ليس سائغا أن يدفع الشر بالشر ، ولئن قيل : إن العدل إنما هو إتيان كل إنسان ماله ، فليس معنى ذلك في عرف الحكيم أن الرجل العادل يجب عليه لأعدائه الشر ، كما يجب عليه لأصدقائه الخير ، فليس عمل السوء لأى إنسان من العدل في شيء .

من هذا المبدأ استنبط سقراط نتيجة ضرورية ثابتة لم تكن من قبل ، وهي أن النفس متى كسبت السبب بمامل الجهل أو الضعف ، على الرغم من شدة تحفظها ، فأول ما يجب الاهتمام به هو شفاؤها من المرض الذي أصابها ، والذي يمكن أن تشفى منه . وعلاج الخطيئة إنما هو العقاب ، فلا ينبغي للذنب أن يتدمر من العقاب الذي أصابه إما بيد الله أو بيد الناس ، بل يجب عليه أن يقتبط بالبلاء الذي يكفر سيئته ويخلص نفسه مهما كان مؤلما . إن العقاب ضرب من الطب المنوى . وشأن المذنب الذي يحاول انتقائه شأن المريض (٣) الذي قد يؤثر المرض المهلك على أن يذهب إلى الطبيب الذي يعيد إليه الصحة بالحديد أو النار . ولا يعزب عن سقراط أن هذه المبادئ يبين عليها بادية بدء أنها تصادم رأى العام . وفي الحق أن من النادر في الواقع أن يوجد

(١) أفلاطون - فروطافوراس ص ٣٨ - غرغياس (البيان) ص ٢٦٢ و ٣٦٧ - القوانين ك ٣

ص ١٦٧ و ١٦٥ - غرغياس ص ٤٠٢ - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٦٥

(٢) أفلاطون - تقریظ سقراط ص ٩٠ و ٩١ و ١١٤

(٣) أفلاطون - تقریظ سقراط ص ١١٤ و ١١٥ - كريتون ص ١٤٣

جناة يأتون ليلسوا أنفسهم الى العدل الذي يقتض منهم ، ولكن قد يكون ذلك مما لا يسأبه ، فانه يلزم أن لا نهنم بما ستقوله عنا الفوغاء ، بل بما يقوله الذي يعرف العدل والظلم . وهذا القاضي الوحيد لأعمالنا إنما هو الحق ، إنما هو الله . فإذا جهد المذنب . كما هي العادة . ليخلص من العدل ، فأعما هو حقيقي بأن يرى له ، حيث يضيف الى سيئته الأولى التي هي الجنابة سيئة أخرى شرا منها . وهي بقاء تلك السيئة من غير عقوبة تكفرها . لكن القلب المخلص المستقيم متى كسب الخطيئة بالمصادفة مجمل الى طلب العقوبة راغبا فيها ، لأنها هي التي تصلح بينه وبين نفسه وبين الفضيلة (١)

(٣) وقال في صحيفة ٣٩ وما بعدها مانسه : والخبر الأكل كما عرفه أفلاطون في كتابه «فيليب أو اللذة» ليس كله في العقل ولا في اللذة ، بل هو في مزيج منهما جميعا . ونسبت فيهما مما يدق تعيينه . لكن الفيلسوف مع تقيده للذة لا يريد إهدارها كما حاولت مذاهب الفلاة من بعده بزمان ، فان لديه سعادة العيش وشقاءه مسألة كبرى ليس عنده هم أشد من حلها على الوجه الحسن ، لذلك كان شديد الرغبة في أن يبين أن الفضيلة لا يقصر شأنها عن أن تكون بأجل شيء في ذاتها . كما هو مسلم به ، الا عند العقول المريضة بل هي أيضا أرفع وأسمى ما يكون . تلك هي نقطة من الأهمية بأعلى مكان . ولما كانت شرائط الفضيلة في هذه الدنيا لا تتغير . كان توضيح سقراط لإياها يهنا كما بهم معاصريه تماما . فاننا لا نزال نشكو من الحزن المؤلمة الفضيلة كما كانوا يشكون . وإليك ما لرائته نفس الحكيم الكبيرة التي زهقت فريسة الظلم الصارخ

إنه يستشهد فيها التجربة . أجل ، متى أراد المرء تدوق الفضيلة والتزامها (٢) منذ حداثة سنه ، لا يتركها كما يفعل الرئد عن مذهبه ، فانها تقر في القلب . أجل إنها تولد لنا كثيرا من اللذائذ وقليل من الآلام في جميع مدة الحياة . من ذا الذي يفكر حقيقة ويستطيع أن يؤثر الجنون والجبن والافراط والمرض على العقل والشجاعة والاعتدال والصحة ؟ من ذا الذي تلقاه مشهد الأحوال الانسانية يستطيع أن ينكر على العموم بدلا للموازنة ، ان الفضيلة ليست أشمل سعادة من الرذيلة ؟ إنها فوق ما تحفظ على نصراتها من النعم النفيسة الباقية تكسب مكافآت الرأي العام وتوزعها عليهم . إنها لا تخدع ألبته من يعتقونها باخلاص ، فان الملائكة لا يتخلون عن أي كان يحاول بالمرور على الخبر أن يشبه بهم في الحدود الممكنة ، إذ ليس من الطبيعي أن كائنا على هذا الخلق يتخلى عنه الموجود الذي به يشبه . فالفضيلة إذن مكفولة بحماية الله . أما من جهة الناس . أفليس الأمر كذلك أيضا ؟ أليس ما يحصل للخبثين والأشرار هو عين ما يحصل لهؤلاء المستبقين الذين يجررون سراعا عند صدورهم عن مقر حافلة السباق لكن لا عند رجوعهم اليه ؟ يتبون أولا بالسرعة ولكن على آخر الشوط يصيرون في حال نعمة . آذانهم بين أكتافهم . ينزرون سراعا دون أن يتوجوا . في حين أن العدائين الحقيقيين يصلون إلى الغرض حائزين قصب السبق ويتوجون بتاج النصر . أليس حظ العادلين عادة هو كذلك (٣) ؟ أليس حقا أنهم متى وصلوا إلى آخر مشروع من مشروعاتهم . يكتسبوا من سلوكهم وعيشتهم اسما حسنا . ويحصلوا من الناس على المكافآت الواجبة لهم ؟ أليس أنهم يصلون متى بلغوا سن الرزاة إلى ما يرجون من علو المناصب ؟ أما الأشرار فانهم وإن أخفوا أمرهم على العيون في شبابهم . فان أكثرهم ينفض أمره ويرتدى بالسخرية في أخريات أيامه . ومتى صاروا أعقياء في شيخوختهم . باؤوا بمسبات الأجانب والمواطنين . بله ما يلهتهم من

(١) أفلاطون - غرغياس ص ٢٥٧ و ٢٨١ و ٢٨٤

(٢) أفلاطون - القوانين ك ١ ص ٣٣ و ٥٣ «فيليب كل المحاورة» الجمهورية ك ٩ ص ٢٠٠ - القوانين

ك ٥ ص ٢٦٧

(٣) أفلاطون - القوانين ك ٥ ص ٢٦٧ و ٢٦٩ - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨

المثلث التي تكاد تصيبهم دائما في هذه الحياة الدنيا . وما يتلقاهم يوم القيامة من عدل الله - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه -

ان أفلاطون مقتنع بصدق هذه المبادئ في العمل الى حد أنه كان يظن أنه مستطيع أن يعين بالأرقام المضبوطة مقدار المقارنة بين سعادة الرجل الفاضل وبين الشرير . وجد بحسابه خاص أن أولهما أسعد من الثاني بسبعائة وتسع وعشرين مرة . وإنه ليريد فوق ذلك أن يسحر بهذه القواعد الجميلة التي هي ثمرات تجربة يؤبدها العمل اليومي نفوس الصبيان وهي لازال لينة مطيعة . ثقة منه بأن هذا الكلام يقر في عقولهم بأسهل من كل ماعداه . ولما أقنع قلب شاب شريف مثل « غلوكون » كاد يطلق مناديا ينادى بأعلى صوته في الناس جيعا بهذا الحكم الذي أصدره ابن أرسطون « ان أسعد الناس أعددهم وأفضلهم وان أشقى الناس أظلمهم وشرهم »

الى هذه المشجعات التي لم تكن لتحط مقام النفس أضاف سقراط نصيحة من شأنها أن تطمئنها وتكبرها ان حوادث الحياة لا تستحق منا مثل هذا الاهتمام العظيم . العقل يهدي الى أن من الجليل الاحتفاظ بالبشاشة عند المصائب وأن لا يدع المرء نفسه الى الشهوة تلتقي به في اليأس . وذلك لأن الانسان يجهل (١) ما اذا كانت هذه العوارض في حكمه الله خيرات أم شرورا . ولأنه لا يكسب شيئا من وراء الحزن لها ولأن الألم ليس لإعاقها عما يلزم المبادرة بعمله في هذه المواقف . فالرجل العاقل المستقيم الأخلاق اذا حلت به مصيبة كفتقد ولد له . أو ضياع شيء آخر عزيز عليه يحتمل المصيبة بصبر لا يطيقه أي رجل آخر . وليس هو في ذلك ألبتة عديم الشعور لأن عدم الشعور في مثل ذلك الموقف حديث خرافة . ولكنه يضع حدودا لألمه سواء أ كان في جمع من أمثاله أم كان منفردا بنفسه فماذا يلزم اذن عمله في هذه المحن ؟ « أن يستشير المرء عقله فيما وقع . وأن يصلح سوء حظه بأحسن الوسائل التي يحكم بها العقل . وأن لا يروح للصدمة الأولى واضعا يده على جرحه كالأطفال يضع الوقت بالصراخ . بل أولى به أن يروض نفسه على علاج الجرح بأسرع ما يمكن . وأن يرفع ماسقط . وأن يتداوى بدلا من أن يتظير . ذلك هو خير ما يستطيع الرجل عمله في المصائب التي تحمل به (٢) »

(٤) وقال أفلاطون : « وليس من الممكن وجود صداقة مستديمة إلا بين الأخيار . وإن الفضيلة التي هي شرط للسعادة الفردية هي كذلك شرط للسعادة في الجمعية . إن الأشرار لا يستطيعون أن يألفوا زمنا طويلا . فاذا فارتبت المنفعة بينهم لحظة . فالتفت أن تباعد بينهم . بل المنفعة التي تساعد الرذيلة « وما الرذيلة إلا أسرع منها انتقالا » تسلمهم بعضهم على بعض وتصبح الجمعية . وليس فيها إلا أشرار . غير مستطعة أن تبقى يوما واحدا . ان هذه القاعدة العتيقة « الشبيه يبحث عن الشبيه » ليست صادقة إلا بالنصف . فان الرجل الخبير هو وحده صديق الرجل الخبير . أما الشرير فانه لا يستطيع ألبتة أن يعقد صداقة حقيقية . لامع الخبير ولا مع الشرير شبيهه . ولما كان الشرير لا يباته على حال متغيرا متخالفا مع نفسه ، ضادا لها . كان بعيدا عليه أن يشابه غيره ويحبه . وحيثما اقترب الشرير من شبيهه واشترك (٣) معه ، صار عدوه حتما . لأنه سيعدى عليه بعض الشيء . وكيف يكون ممكنا أن يبقى المعتدى والمعتدى عليه صديقين

(٥) وقال عن سقراط مانسه : « ولما كان محظورا عليه ألبتة أن يأتي الشر . كان لا يعمل السيء لأعدائه كالأعمال لأصدقائه . ذلك منه بعيد . فانه يعرف أن الشر الذي يقع على الأشرار يزيدهم رذيلة على رذيلتهم .

(١) أفلاطون - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٧٨ وك ٩ ص ٢٢٤ - القوانين ك ٢ ص ١٠١ - الجمهورية ك ٩ ص ٢٠٤ وك ١٠ ص ٢٥٦

(٢) أفلاطون - الجمهورية ك ١٠ ص ٢٥٥ و ٢٥٧

(٣) أفلاطون - فورطاغوراس ص ٣٨ - ليزيس ص ٥٩ - فيدر ص ٨٦

شأن تلك الدواب الشمس . يضر بها السائس الأخطل . فتصير بذلك غير قابلة للتذليل . وما فعل الشر حتى بالاشرار إلا قاعدة لايجرى عليها غير العطفة أو المجانين أمثال «فرديكاس» و«بريندر» و«اكروكيس» أما الرجل الحكيم فإنه على الضد من ذلك يطفئ الشرير بما يعمل له من الخير . أو على الأقل بما يضره له من المثل الصالح من عدالته . إن الشرير أولى الناس بالشفقة . لأنه مريض النفس قد اعتراه المرض في جزئه الأنفس حقا أن من القلوب ما قد بلغ في الفساد حدًا لا يمكن معه شفاؤها . بل أخذت منها الرذائل مأخذًا أصبح معه علاجها عسرا جدًا أو مستحيلًا . ولكن هذه هي الاستثناءات التي يندر وجودها . أما أكثر الشريرين وفي شفائهم بقية من الرجاء . فيلزم أن يكظم الغيظ في حقهم . وأن لا يؤخذوا بالمعوقات القاسية التي لا يكون من ورائها إلا أن يركبوا متن الحدة ويتعدوا عن السواء الشاق

إن ما يكسب مبادئ سقراط هذه من رفعة وميزة خاصة بها أنه لم يقصر أمره على تقريرها . بل كان يعانى تطبيقها . وما كانت حياته إلا وقفا على هذا التطبيق الطويل الشاق . فإنه منذ تلقى من إله «دلفوس» رسالته المقتسة . واستنارت نفسه بنور الحق مازال يعلم مواطنيه بأكمل ما يكون من الرعاية التي قد لا تخلو من التقرير بمحض لهم أنفع النصح . ويحمل إلى السرائر الخالصة نور سريره الساطع . وقد كان يرى أن نفع الناس وتخليصهم مما هم فيه من الشرور واجب عليه إلى حد أنه لو استطاع أن يخلصهم بتقديم حياته قربانًا . لما تأخر في ذلك . فلو قال له أهل آتينا

«يا سقراط إنا نطرح رأى (أينوس) ونحكم براءتك . لكن على شرط أن تكف عن الفلسفة وعن أبحاثك التي اعتدتها . وإبه إن وقع منك ذلك واكتشف أمرك عوقبت بالقتل لما تأخر عن أن يجيبهم بأهل آتينا إني أحترمك وأحبك ولكني أطيع الله لأطيعكم أتم . وما بقيت أنفاسي تتردد في صلبي . وتبقى حظ من القوة . لأفأ أنذركم وأنصح لكم وادعوك من لقيته باللسان الذي عرفتم مني . ولو أتى كفتت في هذه الساعة لما كان هذا خوفًا على نفسي كما قد يبدر للأذهان . بل خوفًا عليكم أن تحاربوا الله بالحكم على هذا هو اعتقاد سقراط وذلك هو إحسانه إلى الناس . فلا يجب من يسمع تقريره من أن يراه قد تقدم المسيحية نفسها إذ يقول لأهل جمهوريته : يا أيها الذين تتألف منهم المملكة كلكم اخوان . لأنه هو نفسه لم يفضل لحظة عن الاعتقاد بأنه أخو قاتليه (١)»

كفى بالمذاهب الأخلاقية التي من هذا النوع دليلًا على المذاهب الدينية التي تتوجها . فمن السهل استنباط المعتقدات الدينية لأفلاطون وسقراط من مذهبهما الأخلاقي . فإذا كان الصوت الذي يخرج من أعماق ضميرنا هو صوت الله . وإذا كان الله هو الشارع الذي يجب علينا جميعًا طاعته . وإذا كان الناس لا يؤلفون فيما بينهم إلا عشيرة واحدة ، فمن البدهي أن أباهم العام اعتماه الله الذي رضى لهم أن يجوه كما يحبون أنفسهم بعضهم بعضًا . وإن الصلة بينه وبين الإنسان دائمة فلا يستطيع أن يفر منه أبدًا . ولو صغر حتى نفذ في باطن الأرض أو كبر حتى (عرج في جوف السماء) . وأبعد من ذلك أن يستطيع التقلب على الإله أبدًا . أو يتخلص من هذا النظم الثابت الذي شرعه والذي يجب احترامه إلى مالا نهاية . ومن الكفر الين بعد إنكار وجود الله أن لا يعقد بالعناية الإلهية . فإن ذلك يستقيم القول بأن هذه العناية يمكن أن تتخلى عن الإنسان لحظة فلا ترعاه . وتسلمه بغير حساب إلى سورة رذائله أو عجز فضائله . إن أجل ألقاب الإنسان وأحسنها أنه «صنعة صنعها الله يديه» فلا شيء لدينا إلا وهو من فيض إحسانه . ولا نستطيع أن نوفيه الشكر على نعمائه بصواتنا وما تقرب من القرابين وما نأتى من العبادات المستمرة إنه هو قوتنا ولولاه لم تكن شيئًا مذكورا . «إن الله على حسب التقاليد القديمة هو الأول وهو الوسط وهو الآخر لجميع الموجودات . وهو يسير على خط مستقيم تبعًا لناموسه في حين

(١) أفلاطون - تقرير سقراط ص ٩٣ و ٩٥ - الجمهورية ك ٣ ص ١٨٦

أنه يحيط بالعالم . ووراء العدل المنتقم في الجرائم التي تقع ضد شره . فأبما امرئ شاء أن يكون سعيدا .  
فلينصل بهذا العدل الالهي ويقتف أثره خاضعا متواضعا . أما من انتفخ كبرا . وأسلم قلبه الى نار الشهوات . وظن  
أن لا حاجة له بسيد ولا هاد . فان الله يتركه الى نفسه . ولا يلبث أن يدفع الدين الى العدل الالهي . وينتهي  
أمره بأن يهلك هو وعشيرته ووطنه (١) »

مادام هذا هو النظام الثابت للأشياء . فبم يفكر الحكيم وماذا يعمل ؟ بديهى أن كل انسان عامل  
يفكر في أنه ينبغي له أن يكون من الذين يتقربون الى الله . لكن ماهو السبيل المقبول عند الله ؟ هو طريق  
واحد . لأن الله بالنسبة لنا هو المقياس المضبوط لجميع الأشياء . لا الانسان كما زعموا بطلا . فلا سبيل الى أن  
يعطى الانسان يقرب الله حتى يعمل كل ما في وسعه ليقسبه به . أعنى بمقدار ما يتيح للانسان أن يبلغ من التشبه  
بذلك المثل الأعلى الذي لا يباينه أحد . ومتى أمن الانسان على هذا الاتصال وذلك «النسب الالهي» واقتنع  
بأن عناية الله تحرسه بلاقطاع كما تحرس بقية الدنيا . وأيده ضميره الذي يرضى عنه لحسن طاعته لتنظام العالم  
فماذا عسى أن يخيفه في العالم بأسره ؟ وكيف يتمتع قلبه عن الايمان بهذه الحقيقة المعزية : أن الانسان الخير  
لاخوف عليه في حياته ولا بعد مماته ؟ فلذاتمه في هذه الحياة سوء . فكيف لا يحفظ الاعتقاد الراسخ بأن الاله  
سبب له مالا يزال يجب للأخيار من لطف في المصائب التي تصيبهم ، وتغيير في حالهم الحاضرة الى خير منها ،  
على أن التمس المعنوية التي اكتسبوها والتي ليست نعمتا زائلة أو منتقلة تبقى لهم الى الأبد ، على أمثال هذه  
الآمال وفي أمثال هذه الأفكار يجب أن يقطع المرء عمره ، يذكر بها نفسه وغيره في كل فرصة وفي كل مقام من  
مقامات الجهد واللهو (٢) »

(٦) وقد قال عن سقراط مانصه : «أظن أن سقراط هو أول من حاول من الحكماء إثبات صفة  
الله في الطبع الانساني بطريق البحث والتقيب ، وقد صدر في ذلك عن هذا المعنى العميق الذي قرره  
«انكساغوراس» وهو أن العقل أصل كل شيء في العالم فاستنتج منه كما ذكر في «فيدون» هذه النتيجة  
وهي : أن عقلا مدبرا خالقا يجب أن يكون قد أعد كل شيء على أحسن ما يكون . وليس على الباحث لمعرفة  
طبع أى شيء الا أن يبحث أحسن حالة يمكن أن يكون عليها ذلك الشيء ، فليس على الانسان في كل ما يتعلق به  
إلا أن يبحث ، كما هو الحال في بقية الأشياء . عما هو الأحسن والأكمل ولقد كان «هرقليت» يقول من قبل  
سقراط : إن أجمل القردة إذا تورن بالانسان ظهر قبيحا . كذلك الانسان الحكيم لا يظهر بجانب حكمة الله  
وجاله إلا كالقرد ، ولكن سقراط عز عليه أن يقف بحته على درس الجسم كإفعل «هرقليت» فيلسوف  
يونيه . فتمشى مع مبدأ الأحسن في درس الروح التي جعلها الجهة الوحيدة لدرس الطبع البشرى اه  
هذه هي المقالات التي تذكرتها في حضرة تلك الروح الشريفة الجليلة ، فلما سمعت هذه المقالات من كلام

أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس . قلت نم هذه من أجل مزارعى في الأرض فيما بلفكم من العلم منذ ٢٥٠٠  
سنة الى الآن . وكل هذه هي التي توضح هذه الآية وقد تطابقت كلها على «أمرين : الأول» الوازع لداخلي  
والقانون الوجداني وهو . . . فتبسمت بوقار . فقلت (البصيرة) قلت نم - بل الانسان على نفسه بصيرة  
ولو اتى معاذيره - «والثاني» إن هناك قوة عليا تساعد من أطاع هذا القانون وسار عليه . وللناس في أمرك  
أنت مدكر وموعظة حسنة . ألت تحس في نفسك بما يشد عزيمتك في أوقات الشدائد . قلت بلى والله .  
قلت : ألت في أثناء هذا التفسير تحس في نفسك بسعادة وهناء لم ترطما نظيرا مدة الحياة . قلت بلى . قلت

(١) أفلاطون - القوانين ك ١٠ ص ٢٥٣ و ٢٦٧ وك ٧ ص ٣٩ وك ٤ ص ٢٣٣ و ٢٣٥

(٢) أفلاطون - القوانين ك ٤ ص ٢٣٤ وك ١٠ ص ٢٥٣ وك ٥ ص ٢٦٦

أبست المعاني والمساعدات العلمية لانتفاً تترادف عليك وكلما ازددت في التأليف إيفالاً ازددت مدداً وعلماً وانسراح صدر وسرورا . قلت بلى . قالت فهذا هو الذي يقوله كوفشيوش وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ويقوله بعدهم الرواقيون الذين جاؤا بعد أرسطاطاليس وأغرموا بعلم الأخلاق وقالوا إن سعادة الانسان في الأخلاق وجمالها ولهم مذهب خاص بها قل أهمه علماء الاسلام من الفلاسفة والصوفية ، وقد ملأ الفزالي من علمائكم كتاب الإحياء بعلم الأخلاق وهو معروف مشهور ، هاهي ذه بعض مزارعي التي زرعتها في القلوب فاذا رجعت الى عالم المادة فأستوعب ذلك كله وأدخله في تفسير الآية حتى يعلم المسلمون أن كلام الحكماء تفصيل وتفسير لآيات القرآن وأن آية - بل الانسان على نفسه بصيرة - وآية - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الى آخره تفسران بعلم الفلاسفة . اليوم يشهد المسلمون أن دينهم أقيمت علومه على عقول الحكماء قبل نزول القرآن ، فهذه من اجمازه العجيب . إذن أنا أظهر في كل قلب بحسب درجته وتكون الجمل والانشاء على مقتضى اختلاف العقول والأمم . فانظر الى الشيخ الشمراني رحمه الله الذي جاء في القرون المتأخرة . فهذا قد ظهرت آثارى على قلبه بهيئة أخرى ، أنا واحدة ومظاهرى كثيرة كالشمس تختلف أضواؤها فينمو بها كل نبات والاختلاف يكون على حسب القوابل قوة وضعفاً ، واذا كان في العوالم المادية نظام جميل :

(١) كقوانين الجندر والتربيع في امتداد النور والحرارة والكهرباء والمجاذبية وفي قوانين الحجر الساقط في بحر (هذا في سورة الرعد عند آية - وكل شيء عنده بمقدار -)

(٢) وكقوانين الذكور والاناث في تلقيح الزرع والشجر ، وفي نظام أوراق الأشجار من حيث هندستها وحسابها (هذا في سورة الحجر في آية - وأرسلنا الرياح لواقح - وآية - وأنبتنا فيها من كل شيء موزون -)

(٣) وكنظام ممالك النحل والنمل والأرض وغيرها (في سورة النحل والنمل وسبأ)

(٤) وكجمال الأزهار والثمار ووجوه الانسان

واذا كان ذلك كله جيلاً وبديها بحساب عجيب كحساب العناصر من حيث وزنها وترتيبها في جداول منتظمة (هذا في سورة العنكبوت) أفلا يكون علمنا الروحي الذي هو أصل تلك العوالم وهو سيدها أجل وأبهى وأبدع نظاماً وساباً من عوالم المادة . إذن فلتعلم أن لنفوسكم نظاماً لا تدركون كنهه ولا تفتأ فصلحه أمد الدهر ، فتارة تظهر في عقول الفلاسفة ، وآونة في عقول رجال الدين ، ووقتا تظهر بهيئة صوفية ، والمبدأ واحد والمظاهر مختلفات ، فهل تذكر شيئاً من آراء الشيخ الشمراني رحمه الله ؟ فقلت نعم . قل في المنن الكبرى ماضه :

ووما من الله تبارك وتعالى به على عدم تكثري على شيء فانتى من الدنيا وتكثري ممن صدها عنى وذلك لعلمي ويقيني بأن كل شيء فانتى فليس هو برزق ولا قسم لي فكيف أحزن على شيء لم يقسمه الحق تبارك وتعالى لي أو أنكثرت ممن صدها عنى بالوهم وهذا خلق غريب في هذا الزمان وغالب الناس يحزن ويتكدر ممن سعى في قطع رزقه أو خروج وظيفته عنه وربما عادى من عارضه في رزقه الذي كان يتوهم انه له أهداماً عاش (وقد رأيت) خطيباً كان يخطب في الجامع الأزهر . فلما دخل السلطان سليم مصر وصلى في الجامع الأزهر قال الناس لا يخطب اليوم الا فلان لفصاحته ومعرفة بالوعظ المناسب للسلطان ومنعوا صاحب التوبة تلك الجمعة لجزئه عن مثل ذلك . فلما خطب رسم له السلطان بخمسين ديناراً فقال هذه لي ولم يعط صاحب التوبة منها شيئاً فغضب في الصلح بينهما فلم أقدر ولم تزل العداوة بينهما الى أن ماتا على العداوة فقلت لصاحب التوبة ابن قولك في الخطبة والله ثم والله ثم والله ما يعطى ويمنع ويضع ويرفع الا الله تعالى فنادى ما يقول وبالجملة فلا يقع في مثل ذلك الا جاهل محجوب عن الله تعالى فان كان ولا بد للمؤمن من أن يحزن فليحزن على ساعة مرت به لم يذكر الله تعالى فيها فان ذلك محمود ولو لم يمكن تداركه لما فيه من التعظيم لجانب الله تعالى والحزن على فوات

مجالسته تعالى والوقوف بين يديه جل وعلا كما هو شأن كل محب مع محبوبه ومن لم يحزن على فوات مجالسة محبوبه فليس له في مقام المحبة نصيب (واعلم يا أخي) أن الحزن على ما فات من الطاعات إنما هو محمود للعبد مادام محجوبا باختيار خلاف ما يختاره له ربه جل وعلا فإذا رفع عنه الحجاب لم يجد شيئا قسم له ثم فاته أبداً لأن ذلك لا يصح عقلاً ولا شرعاً (وكان) الشبلي رضي الله تعالى عنه يقول وهو في بداية أمره اللهم ان عذبتني بشيء فلا تعذبني بذلك الحجاب فلما كمل حاله صار يقول الحمد لله الذي حجبتني في الوقت القلاني عن شهوده فإنه تعالى ما حجبتني عنه إلا رحمة بي خوفاً أن لأقوم بأدب الشهود وتارة يقول اني لأشتهي رؤية الله عز وجل أبداً فقيل له في ذلك فقال ازه ذلك الجمل البديع عن رؤية محدث مثلي انتهى ولكل مقام رجال فافهم يا أخي ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين » اهـ

وقال أيضاً في صحيفة ١٨٨ من الكتاب المذكور مانصه : « ومما من الله تبارك وتعالى به عليّ - عدم قطع بري وحسنتي للناس اذا كفر وواسطتي في ذلك فاني عبد ليس لي فضل على أحد وإنما أنا مستعمل فيما أمرني الحق تبارك وتعالى به وليس لي معه ملك أرى به فضلا على أحد من عبيده مطلقاً وبتقدير رؤيتي الفضل على العباد فكأنما كفر وواسطتي توفّر لي الأجر بخلاف ما إذا مدحوني فربما كان ذلك المدح يرجع على ذلك العطاء فلا يبقى لي حسنة وقد كان سيدي عليّ - الخواص رضي الله تعالى عنه يقول أعظم الناس أجراً من يحسن الي من لا يشكره أو الي من يؤذيه من الأعداء انتهى . وسمعت أيضاً رضي الله تعالى عنه يقول من أراد النصر على أعدائه فليحسن إليهم وليتأمل في نفسه الذي يعاقب ولده وتلميذه مثلاً بقطع الاحسان اليه بجد الحق تبارك وتعالى برزقه ليلاً ونهاراً مع كونه مخالفاً له فينبغي للعبد أن يعامل عبيد سيده بالحلم والرفق والصفح وعدم المعالجة بالعقوبة كما يعامله سيده . ثم لا ينبغي أن الائتم الواقع لمن يعاقب ولده مثلاً بقطع رزقه إنما هو من حيث قصده هو والا فالعبد لا يقدر أن يرد ما قسمه الله تبارك وتعالى لغيره أبداً انتهى فافهم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشداً والله تعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين » اهـ

وقال أيضاً في صحيفة ١٨٩ من الكتاب المذكور مانصه : « ومما من الله تبارك وتعالى عليّ - حضور قلبي مع الله تبارك وتعالى حال أكل وشربي وشهودي ان ذلك من فضل الله تعالى عليّ - لأستحق ذرة منه بل لأقوم بواجب حقه تبارك وتعالى عليّ - لو سفت الرماد ثم اذا وقع لي أنني أكلت غافلاً عن ذلك المشهد أو شربت استغفرت الله تبارك وتعالى حتى يغلب علي ظني أن الله تبارك وتعالى قبل استغفاري فضلاً منه وإنما لم أقل استغفر الله مرة فقط لأن مثلنا ربما لا يقع له حضور في استغفاره الا بعد سبعين مرة وأكثر وسمعت سيدي علياً الخواص رضي الله تعالى عنه يقول ما أسبغ الله تعالى علينا التيمم بالاصالة ليجكر بنا وإنما أسبغها علينا ليجمع قلوبنا عليه ولا يخرج من حضرته تبارك وتعالى الا لعذر شرعي وكأن الحق تبارك وتعالى يقول من كنت كافيه عن الحرف والصنائع التي تحجبه عني بما سخرته له من الرزق علي يد عبادي من حيث لا يحسب ولا تشرف نفسه اليه فلا شيء يخرج من حضرتي (وسمعت) رضي الله تعالى عنه أيضاً يقول يسير استعمال الطعام نعمة كالصلاة فكأن الصلاة مباشرة الا للحضور العبد فيها بقلبه مع ربه تبارك وتعالى فكذلك الحكم في مشروعية الأكل والشرب مباشرة الا للحضر العبد فيهما مع من أحسن بهما اليه انتهى » واعلم يا أخي انه ما واظب أحد على الحضور مع الله تبارك وتعالى حال أكله وشربه الا أوره الله تبارك وتعالى القناعة والزهد في الدنيا وكفاه شر نفسه انتهى من كتاب لطائف المائت الكبرى

فلما سمعت ذلك . قلت : أي فرق بين هذا القول وما قبله إلا في العبارة على مقتضى الأحوال واختلاف الأمم ، فكل ذلك الاذعان لله والحب للناس . ثم قلت : بقي أن تذكر ما تعلمه من كلام علماء أوروبا في هذا المقام . فقلت : قال الاستاذ (بارنلي ساتيلير) المذكور في كتاب « علم الأخلاق » مانصه :



« حينما يريد الانسان أن يختبر نفسه ويدخل في أعماقها ، فهناك المشهد الكبير الوحيد الذي يكتشفه فيها عند الفكرة في بعض الأفعال التي فعلها ، بل التي ينوي فعلها ، يسمع في أعماق عقله صوتا يمدحه نارة ويلامه نارة أخرى ، ويقطع النظر عن أمثاله الذين يمكن أن يجد لديهم أحيانا صدى هذا الصوت الداخلي فإن من المستحيل عليه أن لا يلتقي اليه سمعه . ونظرا الى أنه يحمل في نفسه هذا الصوت فلا يستطيع أن ينكره ولا أن يلزمه الصمت متى أتم بأمره يشعر بأنه عمل صالحا . ومتى عقه يشعر بأنه عمل سيئا . وإنما في هذا التردد بين الطاعة وبين العصيان تنحصر كل حياته الأخلاقية فاضلة في حال ورذلة في الحال الأخرى ، ولأن يسل المرء نفسه و يلازمه الى خدمة هذه الأوامر الداخلية ويخلص لتفويضها في جميع امتداداتها من غير أدنى اعتبار للأشياء الخارجة وأن يكون دائما مستعدا لأن يضحي لها بكل الضحايا التي تقتضيها ، ذلك هو القانون الأعلى الذي يشعر الانسان بالخضوع له ولأنه لا يعرف إلا نادرا أن ينفذ مع التحرج أحكامه الصارمة . ذلك هو المثل الأعلى الذي لا ينال والذي تنطلع اليه أنظار نفس الانسان وان كان يجحد عنه في الغالب إلا أن مرجعه اليه على الدوام . ذلك هو الأمر الواقع المسلم به الذي هو بسيط وجليل معا والذي يكون الأخلاقية كلها . هل الانسان وحده هو الذي يعرف هذا القانون ويملكه لكل ما يهيم من هذا هو أن الانسان يملكه حقا وذلك هو ما يميزه عن سائر الخليقة التي يعيش فيها والتي لا تتمتع بهذه الميزة

إلى هذا الأمر يضاف أمر آخر ليس أقل منه وضوحا ولا أقل منه مجبا . إن الانسان حيال هذا القانون الذي يناجي ضميره مناجاة علو وقسوة في بعض الأحيان يشعر دائما أنه يستطيع مقاومته ، فعبثا يوصيه هذا القانون أن يلزم العدل في فعله وعبثا يركي العقل هذه الوصية . فالانسان قادر على أن يرفض تحت مسؤوليته هذه النصائح القوية الحقة . ذلك لأن له بجانب ذكائه وعقله ملكة أخرى أقوى منهما بوجه ما لأنها تستطيع دائما (متى شامت) أن تكسر نير طاعتها للعقل . تلك هي الإرادة التي لا تخضع لشيء إلا لنفسها . فوجود مثل هذه الملكة فينا وحاولها محلا من الاستقلال والسيادة في الدائرة الثانوية التي تخصصها هو ما تستطيع اللاأدرية التحدثي بها حينما تهجم على الحق وعلى التوق العام ، غير أن ما نقوله هذا يجمع عليه من الجنس البشري بل معترف به من جانب اللاأدرية نفسها إن لم يكن بأقوالها التي كان للسفسطة فيها شأن عظيم ، فأفعالها التي منها ينبجس على رغمها وضوح المبدأ الذي تنكره الإرادة في الانسان هي هذه القدرة التي يستعملها للتصميم على وجه أو على آخر من غير أن يقرشيء في الدنيا على إكراهها مادامت لا تقبل هي نفسها ذلك الإكراه ، وبين أن هذه القدرة هي كل الانسان وهي التي تقوم ماهيتنا ، إن هذا الصوت الذي يناجي ضميرنا هو فينا ولكنه ليس إيانا مادام أنه قانون يلزمنا ، نحن لم نضعه مادامنا غير قادرين على تغييره على رغم وحى المنافع وعماليات الشهوات ، أما الإرادة فهي ضد ذلك هي نحن نحن وهي شخصنا ، هي نحن وحدنا بعظمتنا وضعفنا وبقدرتنا المزدوجة على الطاعة والعصيان

ذلك هو ما يسمى بالحربة ، تلك الطبقة المعجزة الخيفة التي هي قوة الانسان والتي يترتب على قدر ما يحسن أو يسيء في استعمالها سعادته أو شقاؤه علوه أو سقوطه ذلك هو ما يسمى بلفظة (كنت) «حياد الإرادة» لامن جهة أن إرادة الانسان كما قد يعتقد (كنت) تضع لنفسها قوانينها ، بل من جهة أن الإرادة يمكنها دائما أن تطيع أو تعصى القوانين التي يملها عليها العقل والضمير ، فمضى حياد الإرادة هو أنها تستطيع أن تقرر ما يهيجها حتى ضد كل عقل وكل منفعة

يتضح بهذا أن القانون الذي هو في ضمير الانسان يناجي عقله هو المبدأ الأسمى وفوق الانساني . والإرادة الحرة التي تنفذ هذا القانون أو تخالفه هذه هي المبدأ الانساني والتابع وهما اتناهما . مصدر علم الأخلاق ومفتاحه . فالانسان يحمل في نفسه قانونا ومحكمة بوجه ما تحكم براءته أو بآدائه بحسب الأحوال ، ولها من

القوة التنفيذية إما الرضا الجليل بأنه عمل خيرا وإما الندم ووخز الضمير على كونه عمل شرا . والانسان يحس نفسه رعية لقوة هي أعلى منه منعمة لطيفة إذا أطاعها منتقمة جبارة إذا عصاها . ومتى اقتضى العدل مجلت له العقاب الخارجى بما نسومه من سوء العذاب الداخلى الذى يعرف الأثيم سره الأليم حتى لو تملمس من انتقام الهيئة الاجتماعية

هذان الأمران : القانون الأخلاقى والحريّة ، هما فوق كل منافسة ممكنة ومن ينكرهما ينزل بذلك عن اسم الانسان وينحط بنفسه (علم أوجهل) إلى ماتحت منزلة البهيمة وان كان أذكى منها بلاشك إلا أنه فاسد الأخلاق والبهيمة ليست كذلك

ليست النتائج ههنا بأقل وضوحا من المبادئ ولا بأقل عجبا فان الانسان متى قبل بارادته نير القانون فذلك يرفعه ويشرفه وبعيد أن يكون سببا في خفضه . إنه بطاعته الاختيارية يشرك بمحض إرادته شيئا أكبر منه ويحس أنه مرتبط بنظام أعلى منه يشد أزره . ولعلما يخسر بهذه الطاعة شيئا بل يكسب بهامن العظمة والوقار ما لم يكن له من قبل بدونها . إن العالم الأخلاقى الذى يدخل فيه على بينة من تحديد حريته هو العالم الحقيقى الذى يجب أن تعيش فيه روحه في حين أن جسمه يعيش في عالم مخالف تماما حيث توشك الحريّة أن لا يكون لها عمل . إمامه وفلك من الطهر والسلام حيث لأرجاس ولازعازع إلا ما يسمح لها الانسان بالسخول فيه . فالسكينة والنور فيه لاتتعلق إلا بالانسان وحده ، ومتى شاء استطاع أن يبسط في هذه السماء الداخلية صحوا لا يكدر . ويقدار ما يغفل عقله في الطاعة يكتب من القوة وتضيق الأرض التى يرتكز عليها كذلك أكثر ثباتا وخصبا . إن اعتقادات الضمير تزداد ثباتا بالمران وإن بهذه المعارضة بين اطاعة الاختيارية من جهة والقوة المكتسبة من جهة أخرى تكبر قيمة الانسان في عينه الى حد لم يكن يعرفه من قبل كبرا لا ياباه عليه تواضعه لأنه ينسب أصله الى قوة أسمى منه . من ذلك يستمد ذلك الاحساس الشريف العجيب الذى يسمى احترام الذات وهو الكفيل للره بأن يؤدى له أمثاله الاحترام الواجب عليهم والذى يؤدبه هو لهم في دوره ، ولوعودل بين هذه الخيرات الداخلية التى هي فوق كل ثمن هذه الفيوض القدسية ( كما كان يقول أفلاطون) وبين الخيرات الخارجية لقلت قيمة هذه بالنسبة لذلك ، ومع ذلك فان هذه الخيرات الداخلية يضحى بها من غير تردد بل من غير ألم في سبيل خيرات لا قيمة لها ، على أن الثروة والصحة والحبّة والحياة نفسها لا بقاء لها ، فليضح بها عند الحاجة قرانا للاحتفاظ بما هو أسمى منها إذ لا يستطيع إثارةها على الأمر الوحيد الذى يجعل لها شيئا من القيمة .

وقال في صحيفة ١٧ وما بعدها مانصه : « لا يمكن القوانين الانسانية أن تكون أساسا لقانون الأخلاق لأنها تستمد منه ، وهو الذى يقضى عليها ويدينها حينما تنحرف عن جادة أوامره الواجبة الاتباع ، كذلك التريسة التى يتعدى بها بعض الفلاسفة لانتفسر قانون الأخلاق الذى هو أكبر سلطانا عليها من القوانين العمومية ، والواقع أن التريسة مهما كانت ممتازة فليس لها من صورة إلا التشريع المسنون للطفل بدلا من أن يكون مسنونا للناس ، وهذا التشريع الضيق ليس له قواعد إلا التشريع المدنية ، فن أى ناحية نظر الى علم الأخلاق لم يوجد له من حيث أصله أثر بشرى ، وانه ليدبرشون الانسان ويلى أمره بسبب أنه ليس من عمله ، ومتى أراد الانسان أن يدرس فيه سبل الله عرف منه بوضوح وجلاء أن الله قدير وأن الله لطيف . »  
« فى العالم المادى بأسره مهما كان جيلا ومهما كان منتظما لا يجد المشاهد اليقظ شيئا يؤنبنا أقل فكرة من قانون الأخلاق ، وان الآثار التى نصادفها أحيانا عند الحيوانات الأرقى تركيبا ونظنها آثارا لقانون الأخلاق ليست إلا تخيلات فاننا نغيرها ما نحن عليه ، فنترض أن لها طبعنا إما لجهل منا قد يكون إنما متى كان يرمى إلى المنفض من مستوانا الانسانى ، واما لنوع من العطف التافه ، ولكن الحق أن قانون الأخلاق ليس له محل

إلا قلب الانسان ، وأن الذي خلق العوالم والقوانين الأزلية التي تسيرها لم يخلق شيئاً يضارع ضميرنا في العظم فان الحرية مع ما بها من ضعف هي أحسن من الطبيعة كلها مع ما بها من ثبات لا يتزعزع ، بل إن المقارنة لاحتل لها من الامكان لدى عقل قد فهم ذاته ، لأنها مقارنة سخيصة ، إذ أن رفعة العالم المنصوي لاتقاس بها رفعة على الاطلاق وأن قدرة الله تظهر حينئذ فينا بمظهر أجلى من مظاهرها في الخارج ، وان في إقامة الليل على وجود الله بهذا القانون الذي نعمله في قلوبنا وتعرف به عقولنا لبلوغنا بالاستدلال الى أجل البراهين وأرفعها ، غير أن حلم الله يسارى على الأقل قدرته ، ننظر في هذه القوانين غير الكاملة التي يسنها الناس مسوقين بدافع الحاجة لاستعمالها ، فترى دائماً في أوامرها وزواجرها شيئاً من الغلظة والوحشية ، حتى متى كانت غاية في العدل فان العقوبة التي تقع على المجرم يمكن أن تعدمه ولكنها لاتمس نفسه تخيفه من غير أن تصلحه ، الارهاب يحوله دون أن يحسن حاله ، أما هنا فلاشيء من ذلك ، في شرع الله المرء هو قاضى نفسه مؤقتاً على الأقل ، ومن أجل أنه يمكن أن يحكم على نفسه يمكنه أيضاً أن يتق الوقوع في الخطيئة التي يشعر بأها كبيرة من الكبائر ، فان الصوت الذي يناديه من داخل نفسه قد أنذره بادئ الأمر إنه يحض له النصيح قبل أن يقرعه باللوم وإنما هو يعاقبه حينما يصم أذنيه ، ولو أن قانون الأخلاق سلك في التأديب سبلاً غير معنوية محضة لكان في ذلك من التناقض ما فيه ، فكف في هذا التأديب من مجاملة تراعى في حق الجنائي ! وكف من مجهود ينفق في سبيل رده الى الخير ولا يشعر بهذا المجهود أحد إلا هو ولا يذاع خبره في الخارج ! تحفظ ورصانة أيما رصانة ، ولا شك في أن الانسان يجاوز غير مرة حدود الاعتدال بهذه الرحمة ، غير أن الشكوى منها إنما هي الجمع بين كفران النعمة وسوء الخلق . حسب الانسان استهانة برحمة الله أنه لا يفتنع بها فان كل قلب مهما قسا يجب بها ويشكر الشارع الأسمى على لطفه في جانب عظيم قدرته

« إليك نتيجة أخرى لهذا النظام القدسي ليست أقل من الأولى صدقاً ولا أخف منها وزناً . وهي أن الانسان متى أحسن من نفسه الاختيار في طاعة قانون العقل أوفى عسيانه أحسن بذلك أنه مسئول عن أعماله أمام القدير الصانع لهذا القانون ولهذا الاختيار ، فليس عليه البتة أن يخافه الخوف الذي لا يلبق إلا بالعبد ، لأن طبيعة طاعته قد تجعله يعامل أبا رحماً لاسيداً ، لكنه يجب أن يتق غضبه عليه بتعدى حدود القانون الذي يعترف هو نفسه به أنه غاية في العدل ، ولئن كان الانسان يغضب في قلبه من الخطيئة التي وقع فيها ، فمن باب أولى يجب أن يعتقد أن الشارع يغضب على من يرتكب الخطيئة وهو في مكنة من اجتنابها ، وان الانسان الذي له بقانون الأخلاق في هذه الدنيا حظ ممتاز يجب عليه أن يؤدى الحساب عما يكون قد أتفق فيه هذا الحظ ، ليس عليه حساب لأمثاله ، لأن غاية ما يعرفون هي أعماله التي يعاقبونه عليها أحياناً ولأنهم رعية مثله ففاهم وهو إلا على حد سواء ، لا يستطيعون أن يكونوا قضاته الحقيقيين ، لأنه يعزب عن علمهم ما تجبئ به الصدور من نيات جميع الأفعال ومقاصدها ، على أن النيات والمقاصد وعلى جلة من القول كل ما يتخفى بحكم الضرورة على العدل الإنساني هو مورد الحكم ، فاما أن ننكر قانون الأخلاق وحرية الانسان ومسئوليته ، ولما أن تقبل كنتيجة لازمة حياة أخرى تتلو هذه الحياة الدنيا فيها يقيم الله الوزن بالقسط ويرتب الجزاء الذي أعدّه للذين عملوا الصالحات وللذين كسبوا السيئات ثواباً وعقاباً فرد وحده بهلهمما . غير أن علم الأخلاق لا يتعدى حدوده اذا هو قرر أن هذا العدل النهائي لا محالة واجب . وأن حياة الانسان الدنيا لا يمكن أن تفهم بدون الحياة الأخرى التي يجب أن تتلوها »

الى أن قال : « فعمل الأخلاق بمجاوزته هذه الحياة الأرضية يتجه من الانسان الى الله ، ويثبت وجود الحياة الآخرة بما فيها من الثواب والعقاب كما يؤكد نظام هذه الحياة الدنيا . ليست هذه فروضاً محضة لاسند لها ، ولا هي من مسلمات العقل العملي كما قد يقول الاستاذ ( كنت ) بل هي نتائج صادقة

لازمة عن مقدمات صادقة لأجدال فيها . وفوق ذلك فإن هذه النظريات في غاية الوفاق مع الاعتقادات الغريزية للجنس البشرى تؤيدها البيانات المينة وتوضحها الفلسفة »

وقال في صحيفة ٢٢ من المقدمة مانصه : « تحمل الجسم على الاعتدال ورياضته الى حد ما وإيتاموه حقه من حاجاته وجبسه عن كل ما يتعداها ، وعلى جملة من القول جعل الجسم آلة ممثلة وخادما مطيعا ، تلك هي إحدى القواعد الأصلية للحياة الأخلاقية وبالنتيجة أحد الأجزاء الكبرى للعلم . إن اجتماع الروح والجسم أعنى العقل والمادة هو مسألة خفية ليس لعلم الأخلاق أن يثير تأثيرا لاختصاصها بعلم ما وراء الطبيعة . غير أن من واجبه أن يبحث عن ظروف هذا الاجتماع ويشرحها على نور القانون ، إنمما هو عمل يدرسه كأعمال الضمير وليس بأقل أهمية منها فإغفاله نقص عظيم وحذفه من علم الأخلاق قد يعترض الى عدم فهم الحياة الأخلاقية حق فهمها مع أن هذه الحياة الأخلاقية ليست في الحقيقة إلا ضربا من المصارعة بين هذين الأصلين المتقابلين »

وقال في صحيفة (٢٤) وما بعدها من المقدمة أيضا مانصه : « إن النقطة الأساسية لهذا العلم هي أنه بين للإنسان أن قانونه هو عمل الخير دائما مهما وقف في طريقه من العقبات التي يسببها تعقد الأشياء الانسانية ، وأن عمل الخير إنما هو طاعة لا محدودة ولا مقرونة بالتذمر مع استسلام ، بل مع ثبات وبسالة إذا اقتضى الحال ذلك طاعة لأوامر العقل المنشورة في الضمير والتي قبلتها إرادة لها من سلاسة القيادة ما لها من حدة الذكاء ، الأوامر التي يمكن أن تمثل أمام الشخص بأنها أوامر الله . ذلك هو مركز الحياة كما هو مركز العلم ولكنه مع ذلك أيضا ميدان القتال في النظريات وفي العمليات . فإن الفرد يأتي الشر على العموم إما عن عدم التفات وإما عن جهل ولا يكاد يقارف الامم أبدا بعد تدبر وروية عالما بأنه يرتكبه وان كان من الطبايع ماهوم من الشقاوة بحيث إن أجل مواهبها لا يتختم إلا الرذيلة . غير أنه في العلم لا عنر بالجهل ولا بعدم الالتفات . وإذا كان التسامح في ماجريات الحياة يلزم كثيرا حتى بالنسبة للجنة فانه لا يلزم أبدا بالنسبة للنظريات الفاسدة بل يجب دحضها بلاشفقة وإيضاح خطئها ليقول خطرها وتوجب مداعلتها أمام محكمة الضمير التزيهية وادانتها نهائيا بلا استئذان ، وليس بجانب نظرية الخير الذي هو الواجب الوحيد على الإنسان إلا حل آخر يمكن وهو نظرية المنفعة مع ما يقترن بها من التيه والحنايا التي تنشعب فيها شخصيتها وتضل طريقها فإن المنفعة تظهر على صور عديدة ، تظهر أولا على صورة من الخشونة بكان ، وتلك الصورة هي الثروة مع كل الخبرات الثانوية التي تؤلفها ثم على صورة مصقولة نوعا وهي صورة اللذة مع جوازها التي لا تقاوم ثم على صورة أقل تعينا وأكثر قبولاً تبدو في رواء حسن خداع وهي السعادة . إنه يجب على القانون الأخلاقي وبالنتيجة أيضا على علم الأخلاق أن ينكر المنفعة ويحاربها على أي شكل كانت عليه من الثروة أو من اللذة أو من السعادة نفسها وأن لا يقبل أي واحد من هذه العوامل على أنه عامل لسلك الإنسان ، لاشك في أن هذه العوامل هي المتسلطة فعلا في الغالب بل قد يكون من الحسن أن تسلط الى حد معين ، ولكن ليس لواحد منها أن يدعى السلطة ولأن يقتصب لنفسه السيادة دون مبدأ الخير صاحب السيادة وحده . إن قانون الأخلاق الذي تتمثلها القلوب الجاهلة أوالضعيفة بألوان قاسية ، هكذا لكي تسهل مخالفتها لا يحرم الإنسان من الثروة التي هي ثمرة عادية يستحقها لعمله ولأمن اللذة وهي حاجة طبيعية له ، ولأمن السعادة التي هي رائد جميع مجهوداته ، ولكنه يهدية الى أنه يجب عليه في بعض الحالات على ندرتها أن يضحي للخير بالثروة وبالذائد وبالسعادة بل بالحياة ذاتها ، وأنه اذا لم يعرف أن يقرب هذا القربان فأنما هو يعبد الأصنام ولا يعبد الله الحق ، وأن هذه التضحيات على ندرتها عند الذي يفهمها تكفي لكشف القناع عن قانون الأخلاق في أسنى بهانه . وبما أن الخير هو الذي ينال الظفر عند أكبر المنازعات وأشدّها علانية يكون بذلك هو السيد الحقيقي للإنسان . ولأن تكون جميع العوامل الأخرى المتولدة عن المنفعة على درجات مختلفة كالثروة واللذة والسعادة إلا كما يكون الظالم لرعيته ، انتهى

مأردته من مقدمة المترجم لكتاب «علم الأخلاق» وهو الاستاذ بارنلمي ساتهليبر والحمد لله رب العالمين فلما ألقيت عليها ذلك . قالت : فهذه أنوارنا ألقيت إليكم وأنا أهنيك بها إذ تطلع المسلمين على خلاصات علم الأخلاق فتشرح صدوركم وبها تعلمون أن حكماء أُم الشرق والغرب يجمعون على غوى هذه الآيات القرآنية . فعلماء اليونان والفرنسيين وحكماء الصين جميعا أيقنوا بأن لهم داعيا في نفوسهم يحاسبهم إذا قصروا ويشترهم إذا أطاعوا وبهذا يعرف الناس عظمة القرآن ، وهذا الزمان مبدأ ظهوره لحكماء الأمم شرقا وغربا ، فهذه هي آثارى ، أنا البصيرة والقرآن بصائر للناس . فهذه المقالات التي قرأتها على من هؤلاء الحكماء هي آرائى وهذا الجمال الذى شاهدته فى وراءه ما هو أجل منه ، وهناك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولن يرى الله إلا نفوس حازت صفتين : علما كاملا بهذا الوجود . واخلاصا وخدمة لنوع الانسان مع أخلاق كاملة . الجمال يحيط بالناس فى المادة وفى النفوس . وما أسعد من اعتاد النظافة والاتساق والنظام ودرس فنون الجمال فى الكواكب والبحار والأنهار والزرور والأشجار . فهذه المناظر كلما ازدادت عنده تمكنا ازدادت نفسه شغفا بالجمال الحقيقى . وهناك يشاق للذات الروحية وهى أبهى وأبهرو أجل وأكمل . وهذه الطائفة أقرب الناس الى طبيعى فاذا أسديت لهم النصائح استمعوا لها بلاتوان . لقد شاهدت فى قلبك أنت « ثلاث صفحات مكتوبات » صحيفة الكواكب فى سماها . و صحيفة الزرور والأنهار والأشجار والعوالم الأرضية . و صحيفة آراء العلماء والحكماء قديما وحديثا ، فاقرا على من صحيفة الحكماء مامنه يكون القبس مم تبسمت ، وهذه الابتسامة إشارة الى قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا لئى آنت نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - (وقد كنت فى الليلة السابقة أرددها فى الصلاة ولها صلة بأراء الفلاسفة وأصحابها) . فأسمعى من اللوحة الثالثة من قلبك آراء حكماء بعد من ذكروا الآن ومتى أتبعته بالقبس ينضح المقام أتم إيضاح . فقلت :

### آراء الحكماء بعد أرسطاطاليس

« أولا » آراء أتباعه مثل (فأورسطس) المتوفى سنة ٣٧٨ واستراقون المولود سنة ٢٨٨ المجهولة وفاته وغيرهم ممن كانوا خلف أرسطو فى رئاسة دار التعليم بأثينا ، فهؤلاء عدلوا عن الإلهيات ، ذلك لأن أرسطو اعترض على أفلاطون أستاذة وقال له : « إن المثل التى استدلت عليها بأدلتك العقلية وقلت انها معان معقولة تكون أصلا لكل موجود فى الخارج غير واضحة ولا ظاهرة هى خفية ، وخبرنا أن نبدط بما هو خبر منها من المادة والصورة وانهما أصل العلم لأن الصورة فى المادة أقرب الى الفهم من تلك المثل والمعانى التى لا نعرفها »

فرده هؤلاء العلماء التابعون لأرسطاطاليس قوله وقالوا : « إن الصورة متغيرة لاثبات لها فى المادة ، فكيف نسند العلم الى ما هو متغير ! » وأدلة كثيرة من هذا القبيل أرجبت رجوعهم عن الإلهيات « ثانيا » هنالك ظهرت فرقتان : فرقة (أبيقورس) وهؤلاء قالوا باللذة أى ان الانسان يقرأ الفلسفة لأجل اللذة المستفادة من فهمها ، وهو مولود سنة ٣٤١ ق.م ومات سنة ٢٧٠ ق.م . وفرقة الرواقيين ورئيسهم زينون توفى سنة ٢٦٤ ق.م وكرزيبوس المتوفى سنة ٢٠٨ ق.م ومذهبهم انه ليس هناك إلا جوهر واحد هو المادة والله يلقى عليها شعاع نوره ، والالهيات والطبيعات عندهم علم واحد . فهناك عقل يضبط المادة ألطف جدا له قوة تحرك العالم . فالعالم كحيوان وهو كروح . والانسان عالم صغير فى مقابل العالم الكبير . والانسان له من ذلك النور الالهى أكثر من غيره . والأخلاق عندهم عليها مدار الفلسفة . وإذا كان نور الله مشرقا على الانسان أكثر من غيره وجب عليه أن يتلقى ذلك بالترحاب . وهل يكون ذلك إلا

بالأخلاق الشريفة . وما الفلسفة إلا بستان المنطق سياجه وعلوم الطبيعة أشجاره ومحاسن الأخلاق ثمرته . فلا علم إلا بعمل ولا حكيمة إلا من بلغ من العلم والعمل الدرجة العليا . ولا قصد للحياة إلا التخلقي بأخلاق الله ولكنهم جعلوا الانسان مجبوراً لا مختاراً فصار مذهبهم فيه بعض الانتقاص . وأيضاً رجعوا الى غيبوبة النفوس وأعمالها الأفعال الظاهرة نوعاً ما وأخذوا يبعثون في معرفة ما وراء الحس والكشف . وتبعهم في ذلك بعض الأمم الاسلامية وهم كثير من فرق المتصوفة . ولم يحدث بعد هاتين الطائفتين ارتقاء في العلم هناك

(٣) ثم جاء في أواخر القرن الثاني للمسيح أمثال (نيقوماخس الجهرسيبي) الذي عاش الى سنة ١٤٠ بعد المسيح القائل بأن الأعداد هي أصول الموجودات وهو صاحب كتاب الارتماطيقي ومن فلاسفة هذا العصر جالينوس الطبيب . ولقد ظهر بالاسكندرية إذ ذاك (امونيوس سكاس) ومعنى سكاس (الجمال) لأنه كان في أول نشأته يحترف بتلك الحرفة وكان نصراني الأصل ثم انتقل الى ملة اليونان العتيقة وهي الوثنية وتعالى الفلسفة واشتهر فيها . وقد ولد سنة ١٧٥ بعد الميلاد وتوفي سنة ٢٤٢ وجاء بعده تلميذه أفلاطين المتوفى سنة ٢٦٩ م. وبعد أفلاطين تلميذه بروقيريوس ولد بصور الشام سنة ٢٣٧ م. وتوفي سنة ٣٠٤ م. وهؤلاء ومن تبعهم يسمون الفرع الاسكندري . وبعدهم ييليوخوس ومن تبعه ويسمى الفرع الشامي إشارة الى مولد ييليوخوس إذ كان باحدى بلاد الشام وتوفي سنة ٣٣٢ م. ثم سربانوس وبرفلس ومن تبعهم وهم يسمون الفرع الأثيني لكون دار التعليم إذ ذاك قد انتقلت الى أثينا . ولد بروفلس سنة ٤١١ م وتوفي سنة ٤٨٥ م كل هذا من كلام (ستلانه التلياني) في كتابه (تاريخ الفلسفة) والى هنا انتهى دور اليونان ومن تبعهم

فهذه أمم خلت ثم جاء الاسلام وكان عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبنى أمة . ويحسن أن نذكر هنا نبذة من كتاب « مبادئ الفلسفة » المترجم من اللغة الانجليزية بقلم الاستاذ أحمد أمين في الكلام على عصر العباسيين فقد جاء فيه ما يأتي :

فلما جاءت الدولة العباسية « ١٣٢ - ٥٦٥ » عظمت حضارة المسلمين ، وهضموا ما أخذوه (بالفتح) عن الفرس والروم والهند ، وقلوا علوم الأمم التي سبقتهم في المدنية ولاسيما الهند واليونان . وفي زمن أبي جعفر المنصور والرشد والمأمون ومن بعدهم ، ولاسيما المأمون توسع الناس وخاصة السريانيين (في ترجمة علوم اليونان على اختلاف أنواعها : من طب وهندسة وهيئة وتقويم بلدان ، وفلسفة بفروعها المختلفة من طبيعيات وإلهيات ومنطق ونفس وسياسة وأخلاق) الى اللغة العربية فترجموا في القرن الثاني والثالث للهجرة كتب أفلاطون وأرسطو وأقليدس وبطليموس وجالينوس وغيرهم ، وبحثوا فيها وتداولوها بشرحونها مرة وبمختصراتها أخرى ، وخصص كثير من المسلمين حياتهم لدراسة الفلسفة وتفهمها فكانوا بعد فلاسفة وكان أغلب مؤسسي الفلسفة عند العرب ومؤيديها أطباء وعلماء في الطبيعيات أكثر منهم رجال دين ، وعلى العكس من ذلك فلاسفة الغرب في القرون الوسطى فقد كان أكثرهم قساوسة . ولهذا لم يقصر المسلمون نظرهم على الإلهيات بل كان البحث في الطب القديم والعلوم الطبيعية عندهم يسير جنباً لجنب مع البحث في الإلهيات وما وراء الطبيعة ، وترجموا كلام جالينوس في الطب وأقليدس في الهندسة كما ترجموا كلام أرسطو في الإلهيات (١)

غير أنه يظهر أن ما ابتكروه من عند أنفسهم قليل اذا قيس بما نقلوه من اليونان ، نعم انهم في بعض فروع العلم كالكيمياء وعلم المعادن والطب وعلم وظائف الأعضاء كان لهم أثر ظاهر ، واستكشفوا من القوانين ما لم يصل اليها اليونان قبلهم ، ولكنهم في غير ذلك من فروع العلم كالمنطق والنفس والأخلاق كانوا أقله أكثر

منهم مبتكرين ، وكانوا في طريقهم العلمية ونظامهم في البحث وأنظارهم الى العالم وترتيب فلسفتهم وقواعدهم متأثرين تأثراً عظيماً بفلسفة أرسطو والافلاطونية الحديثة

ولهم الفضل على القرب بكل مما نقلوا أو ابتكروا ، فكثير من كتب اليونان وأبحاثهم ما كان يصل اليها الغربيون لولا حفظ العرب لها ودراسهم إيها . كما أن كثيراً من مبتكراتهم واختراعاتهم تعد ( بحق ) من أسس المدنية الغربية

ابتدأ المسلمون لأول عهدهم بالفلسفة يدرسون الفلسفة « الافلاطونية الحديثة » (وهي مذهب مزيج من الفلسفة والدين ظهر في أواخر القرن الثاني للميلاد ، وكان مقره الأصلي الأسكندرية ، حاول مؤسسه التآليف بين الدين المسيحي والمذاهب الشرقية ومذاهب اليونان ولا سيما أفلاطون وأطلق عليه « فلسفة أفلاطون الحديثة » ومن أشهر دعائه ( أفلاطون ) ولد في مصر سنة ٢٠٤ م قيل انه رحل الى فارس ودرس الفلسفة الشرقية وعلّم في رومة من سنة ٢٤٤ م ومات نحو سنة ٢٦٤ وكانت تعالجه مزيجاً من الفلسفة العلمية والتصوف الديني) والذي دعا المسلمين الى اعتناقهم هذا الضرب من الفلسفة انها كانت فاشية لعهدهم في الشام وأنها مصبوغة بالصيغة الدينية ، ثم ارتقوا منها الى النظر في فلسفة أفلاطون وأرسطو ، ولكن كانت قد غلبت عليهم فلسفة أفلاطون الحديثة ، فلما أن نظروا بعد في فلسفة أفلاطون . وأرسطو نظروا اليها بعيون متأثرة بالافلاطونية الحديثة

وأول من اشتهر من المسلمين بالفلسفة يعقوب الكندي ويلقب (بفيلسوف العرب) لأنه عرّف في صميم تبصر في الفلسفة . وقد كان تابعاً للافلاطونية الحديثة وتعالم أرسطو أكثر منه فيلسوفاً مستقلاً . وأكثر ماله من الفضل جاء من ناحية الترجمة والنقل ، وقد ظهر له في عهد المأمون والمعتمد كتب كثيرة بعضها ترجمة وبعضها تأليف وصل اليها من أسماؤها نحو ٢٥٦ كتاباً عدها صاحب أخبار الحكماء ، وفهرست ابن النديم ومات نحو سنة ٢٦٠ هجرية

وجاء بعده أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ عاش تحت كنف سيف الدولة بن جردان وكان يعرف لغات كثيرة وبرز في الموسيقى والرياضيات وعلم اللغة والفلسفة ، درس فلسفة اليونان ومهر فيها ، وقد كان كالكندي تابعاً للافلاطونية الحديثة ( وان لم يعرف هو هذا الاسم ) وتعالم أرسطو ، وكان معشوقه من فلاسفة اليونان أرسطو حتى قيل إنه وجد ( كتاب النفس ) لأرسطو وعليه بخط الفارابي ( إني قرأت هذا الكتاب مائة مرة ) وقد لقب بالمعلم الثاني ( والمعلم الأول هو أرسطو ) حلّه معميات الفلسفة اليونانية ، وكان الفارابي كسائر فلاسفة المسلمين يرون أن الاسلام من قرآن وستة حق . وأن الفلسفة حق . والحق لا يتعدد فوجب أن يكون الفلسفة والاسلام متفقين . غير أنه يؤخذ على فلاسفة الاسلام أنهم لم ينظروا الى الفلسفة اليونانية ( كما كان ينبغي أن ينظروا اليها ) من أنها مجموعة أقوال ومذاهب قد يناقض بعضها بعضاً . وأن ما يذهب اليه أرسطو في مسألة قد يكون مناقضاً لما يذهب اليه أفلاطون فيها ، بل نظروا اليها كأنها حقيقة واحدة ملتزمة ، وقالوا ان أفلاطون قد يختلف مع أرسطو في طريقة البحث أو التعبير عن المقصد ولكن آراءهما في الفلسفة واحدة ، وصلت اليهم تعاليم أفلاطون كما حكاهما فورفربروس (وهو من أصحاب مذهب الافلاطونية الحديثة) وتعالم أرسطو كما حكاهما متأخرو المشائين ودخل عليهم فيما نقل اليهم من فلسفة اليونان ، ولا سيما فلسفة أرسطو ، خلط وتشويش . يدل على ذلك أنه في زمن المعتمد ترجم أحد نصارى لبنان جزءاً من أيده أفلاطون الى العربية وسماه (لاهوت أرسطو) وتلقى المسلمون كل ذلك بالقبول ، وعصوا أقوال الفلاسفة المختلفة شرحاً للحقيقة واحدة فبدلوا جهداً عظيماً في التوفيق بين أقوال أفلاطون وأرسطو ، وزاد عليهما المتدينون ( القرآن ) وهذا ما فعل الفارابي ، فقد كان مؤمناً بأقوال أرسطو وأفلاطون منزهاً للقرآن عن الخطأ ، فخرج

الروح والقلم والكرسى والعرش والملائكة والسماوات السبع بتعاليم اليونانيين الوثنيين مع ما بين أجزاءها من التناقض ، ومحاولة ذلك تستدعي ذكاه نادرا وتصوفا و ( كشافا ) وغموضا وسبحا في الخيال وبحث الفارابي كذلك في السياسة في كتابه ( آراء أهل المدينة الفاضلة ) واختار من أشكال الحكومة الحكومة الملكية الدينية ومنهج في هذا الكتاب بين آراء أفلاطون في ( الجمهورية ) وبين أقوال الشيعة في الامام المعصوم اذ كان سيف الدولة بن جردان مقرب الفارابي وحاميه شيعيا

ومن لهم أثر كبير في الفاسفة الاسلامية جمعية شبه سرية تسمى ( اخوان الصفا ) اجتمعت في البصرة نحو منتصف القرن الرابع للهجرة ودعاهم الى جعلها سرية كره عامة الناس وعامة المتدينين للفلسفة ومن اشتغل بهار ومحاولتهم ايقاع الأذى بالفلسفة ، وقد عد القفطي في أخبار الحكماء أسماء نخبة من أعضائها وكان تصدهم نشر المعارف بين المتعلمين في جميع الأقطار الاسلامية وتغيير أفكارهم الدينية والعلمية . قالوا ( ان الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حافية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال (١) فألفوا اسدى وخسين رسالة ضمنوها خلاصة أنواع العلوم المعروفة لعهدهم فهي ( دائرة معارف ) تستمل على معارف العرب اذ ذلك باختصار ، قالوا في أول هذه الرسائل : ان الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل الاسلام تكلموا في علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة الى لغة لم يكن قد فهم معانيها ، حرفها وغيرها حتى انطلق على الناظر فيها فهم معانيها ، ونحن قد أخذنا بل معانيها وأقصى أغراضهم فيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الألفاظ والاختصار في إحدى وخسين رسالة اه )

وكانت تعاليمهم فيها كذلك مزججا من أبحاث ( الافلاطونية الحديثة ) والتصوف ومقالة ارسطو في العلوم الطبيعية ومقالة الفيشاغور يون في العدد ( الرياضة ) وقد كان لها أثر كبير في العقول بانتشارها بين الناس ولكن فيها من الخلط والتشويش ما ذكر قبل . وقد ظن بعض الباحثين أن هذه الجمعية جمعية باطنية ( اسماعيلية ) لما بين ما يجيء فيها أحيانا وبين تعاليم الباطنية من التطابق ، وقد عثر المغول عند فتحهم قلعة الموت ( وكانت في يد الاسماعيلية ) على كثير من نسخ الكتاب

وكان لأبي علي بن سينا البخارى ( ٣٧٠ - ٤٢٨ ) شهرة فائقة في الفلسفة ، وفلسفته تقرب من الفلسفة الارسطاط ليسيبة الصرفة ، وربما كانت أقرب فلسفات المسلمين اليها ، وكتابه ( القانون ) كان العمدة في الطب في القرون الوسطى عند الشرقيين والغربيين معا وله فضل كبير في نشر الفلسفة بين الناس بمؤلفاته العديدة ولاسيما الاطيات والمنطق . هذا الى كثير من أمثال هؤلاء الفلاسفة كالبيروني وابن مسكويه وابن الهيثم

وقد كان انتشار الفلسفة بين المسلمين في القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة سببا في حركة جديدة قام بها المتكلمون ( علماء الكلام ) يريدون بها مقاومة تعاليم ارسطو وأفلاطون والافلاطونية الحديثة المتعلقة بالاطيات أو الرذعليها ودحضها فنشأ من ذلك أبحاث كلامية كثيرة فبحثوا في العلة والمعلول والزمان والمكان والحركة والسكون والجوهر الفرد والدور والتسلسل ونحوها ، ولم تكن ردودهم موجهة الى الفلاسفة لحسب بل الى كل من خالف سنتهم من معتزلة وزنادقة وفلاسفة وظاهرية وحنابلة ، ومن أعلام هذه الطريقة أبو الحسن الأشعري وامام الحرمين والباقلاني ، ولكن أحدا منهم لم يخصص الفلسفة بالطنن ولارد عليها من جميع جهاتها حتى جاء الغزالي ( ٤٠٥ - ٥٠٥ ) فدرس الفلسفة اليونانية درسا دقيقا ( كما حدث هو عن نفسه ) ، ثم حل عليها حجة شديدة من جميع جهاتها وألف في ذلك كتابه المشهور «تهافت الفلاسفة» وكفر الفلاسفة لبعض تعاليمهم ، وأظهر منافاة الفلسفة لتعاليم الدين ، ودعا الناس الى الرجوع الى دينهم الصحيح الخالي من الفلسفة





(وكما كان ابن خلدون في هذا الموضوع هو السابق فلم يكن له بين المسلمين لاحق وأما من عداه فداروا في دائرة ضيقة وكانت عنايتهم بالمسائل اللفظية تفوق العقلية ، قصروا نظرهم على كتب للتأخرين محدودة لا تبعث شوقا إلى علم ولا نهيج العقل إلى بحث ، قد ألفوا في معانيها وركزوا الفاظها ، فوجه المتعلمون أعظم جهدهم إلى حل معيياتها وتفسير أغراضها وقليل من الجهد (إن كان) إلى نفس الموضوع وكان العلم والفلسفة قد سارا شوطا بعيدا في الغرب ، والشرق جامد في مكانه ، وبدأ الشرق يقالب النوم والنوم يغلبه ويصارع الكسل والكسل يصصره ، حتى أزججت الحوادث وأقلقت راحته ضواء احتكاك الشرق بالغرب ، فانتبه متأخرا أو أحسن متأخرا وتقصان علمه وضرورة التعلم حتى يستطيع مشاركة غيره في شؤون الحياة ، وما أحوج اليوم إلى هداية يضيئون له السبيل . ويأخذون بيده في هذا المعترك العجيب . وينقلون إليه زبدة ما وصل إليه الغرب فيمعن النظر فيها ويهضمها بعقله الشرق . ويكون له مدينة وعلما تنفق مع ذوقه وجوهه ودينه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - انتهى من الكتاب المذكور

فلما سمعت ذلك . قلت : لقد أجدت في اختيار النقل وحسن الاختيار ولكن للكلام بقية لابد من ذكرها . فقلت : وهل بعد ما أجلته قول في هذا المقام . فقالت : لانفس انك تفسر قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا هم استقاموا تنزل عليهم الملائكة - الخ وأن المواضيع هنا ثلاثة : معرفة الله ، والعمل الصالح ، والمكافأة عليه في الآخرة . وأنت تعلم أن معرفة الله لابد منها أولا بطريق علمي حتى يعرف العاقل أنه في هذه الحياة له مشرف يشرف عليه لا أنه مطلق من كل قيد ومجرد السماع من الكتب الدينية ليس يكفي العقلاء فوجب عليهم البحث بأنفسهم وما تقدم من تاريخ الفلاسفة إنما هو تمهيد وتوطئة للقصد ، وهل المتصود إلا تبيان الحقائق واضحة ، أزل الأشكال لجمع الناس ولكل الأمم ، إذ كره لهم أمثلة من أنفسهم ، بين اختلاف المذاهب أولا في معرفة الله وفي الأخلاق ، أوضحه أيضا تاما ، لا تقتصر في الإيضاح . بين آراء الملحددين وآراء الموحدين . وبين آراء من يقول « إن أصل كل شيء هو المادة وأنه لا إله لهذا العالم » . وبين آراء من يقول « إن العالم له إله » وأوضح مذاهبهم . ثم اذكر مذهب من يقول « إن الإنسان خلق لمصلحة نفسه وحده » ومن يقول « إن الإنسان خلق لمنفعة غيره وأن ذلك سعاده » . وبمذهبا البيان أوضح برهانك أنت بحيث تظهر الحقيقة لكل عاقل في هذه الأرض لأنك إذا لم تظهر هذه الحقيقة بالبرهان الذي يدركه كل امرئ متوسط العقل من نفسه يبقى الناس حيارى فيقولون من نتبع ؟ أنتبع من يؤمن بالمادة وينفي وجود إله ؟ أم نتبع من يؤمن بالله وعقله لا يفرق بين البراهين وأيهما هو الحق ؟ أم أعمل لنفسي فقط وأترك الناس ؟ أم أعمل للناس وأصحي بعض مصالحى . فإذا برهنت على الحقيقة في الأمرين : أمر معرفة الله . ومعرفة العمل الصالح ظهر معنى - إن الذين قالوا ربنا الله هم استقاموا - ومعنى ظهر ذلك المعنى بوجه علمي صحيح أخرجت العقلاء في هذه الأرض من حيرتهم وأصبحوا موقنين بالحقائق وهناك يفهمون معنى - تنزل عليهم الملائكة - بسبب الإيمان والعمل الصالح بل يصبحون فاهمين هذا النزول ويحسون به من أنفسهم

فكر في هذا الموضوع وأنا سأعينك لأنني أطلع على قلبك وأشاهد فيه اللوحتين تتقابلان لوحة الكواكب وأنوارها وجها لها وهي اللوحة الأولى ولوحة آراء العلماء وقد ارتفعت الثانية من أحد طرفيها وتقابلت مع الأولى بهيئة نورية مشرقة واتحاد المناظر السماوية المشرقة مع المعارف القلبية التي هي مزارعي في القلوب بنجم عنه اليقين وهذا اليقين الذي تحس به الآن وأشاهده في قلبك بعد امتحانك لآراء أوروبا في القرون الحديثة سينقل منه إلى قلوب شريفة في الشرق وفي الغرب وبه يخرج الناس من التخبط والانحلال في الأخلاق الخالصة وفي السياسة العاتية . واعلم أن قولك هذا سيكون له أنصار في كل مكان . فقلت : إني منشرح الصدر لما أمرتني به ولكن المقام بطول . فقالت : لبيك القول مختصرا والمهم هو برهانك أنت عند الفصل

بين علماء الأمم في العلم النظري والعملى بعد أن تبين للناس القبس الذى قبسته . فقلت : سأذكر ذلك بفاية الاختصار وليكن في ( ثلاثة فصول \* الفصل الأول ) في آراء علماء أوروبا في الحكمة العلمية والحكمة العملية ( الفصل الثانى ) في القبس الذى فى آية - وهل أتاك حديث موسى - الخ لشدة مناسبه لهذا المقام وكيف فهمته فى أثناء الصلاة ليلا ( الفصل الثالث ) فى بيان الحقيقة فى الحكمتين العلمية والعملية وبهذا يظهر معنى قوله تعالى هنا - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ

## الفصل الأول فى آراء علماء أوروبا

### فى الحكمة العلمية والحكمة العملية

القائلون بالمادة . والقائلون بالروح . والقائلون بالمادة والروح معا

إن الانسان اذا خلا بنفسه وأخذ يفكر فى هذه الدنيا لا يخرج تفكيره عن واحد من ثلاثة لأربع لها . إما أن يقول إن أصل العالم المادة . وإما أن يقول إن أصله الروح . وإما أن يقول إن أصله الروح والمادة معا (١) ذلك ان كلا منا ينظر فبى له جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وعضلات وشحم ودم وأعضاء مختلفات ، ثم ينظر حوله فبى الأرض والحجر والشجر والماء فيقول أنا لا أشك أن هذا هو الأول وهذا هو الآخر ، وما هذه الحركات ولا العقول ولا الاحساس إلا نتائج هذه المادة ، وهل الفكر إلا حركات فى المادة كحركات الحق والذبول ، وهل الموت والحياة إلا أحوال تعترى المادة ، وبالتأمل فى تاريخ الفلسفة ترى أن هذا الرأى دائما يكون مبدأ التفكير عند الأمم سواء فى ذلك اليونان والعرب والاوروبيون

(٢) وتارة يقول القائل . كلا . ماهذه المادة ؟ إن هى إلا عدم محض ، وكيف لا تكون عدم محضا وقد عرف الناس اليوم أن العالم لامادة فيه ، وهل المادة إلا وهم وكذب صراح ، من أين جاءت هذه المادة ؟ المادة لم توجد ولن توجد ، نحن لاشىء عندنا سوى الأثير وهوليس مادة ، والأثير إن هو إلا عالم أشبه بخيالنا لا محس به وإنما أدركته عقولنا ، وهذا الأثير بالحركات المتتابعات فيه المختلفات كثرة وقلة يكون ضوءا وحرارة وشجرا وحجرا وشمسا . فالضوء يحتاج الى حركات فى الثانية من (٤٠٠) مليون مليون الى (٧٠٠) مليون مليون والجوامد تحتاج الى نحو ستة آلاف مليون مليون حركة فى الثانية . هذه هى المادة أولها وآخرها ماهى إلا حركات فى شىء يشبه خيالنا . إذن العقل هو المسيطر على هذا العالم . لجسمى والأجسام حولى نتائج حركات ظهرت لحواسنا فسميناها بأسماء مختلفات - إن هى إلا أسماء سميتوها أتم وأباؤكم - لا غير والافهى لوجودها ولا دوام

(٣) وتارة يقول الانسان - الحق أحق أن يتبع - إن هنا مادة وروحاً تدبرها والعالم كله لم يخرج عن مادة وعن شىء آخر بحركتها

هذه هى الصور التى تجول بأفكار الأمم كلها قديما وحديثا . وإذا كانت العوالم لا يخرج عن هذه الثلاثة فلا جرم ان اختلفت العقول باختلاف أنظارها . ولأذ كر هنا ما كتبت فى كتابى ( جوهر التقوى ) فى علم الأخلاق وأنا أدرس هذا العلم لطلبة دارالعلوم أولاً وأتبعه بزمزم المصريين ورموز الرومانيين فى هذا المعنى (١) فأما ما كتبت فى ذلك الكتاب فهذا نصه :

## تحليل الأخلاق والأمور النفسية

### الترية الجسمية

لقد أضنا فيما سلف فى اثبات النفس ، وأبنا كيف بايقت الجسم وان جوهرها أشرف وأعلى وأجل وأغلى

فنيين في هذا الفصل امتزاجها بالجسم وعلاقة أحدهما بالآخر وظهور آثار فعله فيه حتى عسر التمييز بينهما ،  
ودق الفارق على الناظر الحادق . فتشابهها وتشاكل الأمر حتى ضربهما الشاعر مثلا لتزاوج المعنى بالكلم في قوله

وكم معنى بديع تحت لفظ \* هناك مزاج كل ازدواج \*

كراح في زجاج أو كروح \* سرت في جسم معتدل المزاج

ولم يقف أمد تزاوجهما وتعرس التمييز بينهما على خيال الشعراء ، بل تخطى إلى أفكار الحكماء فتفرقوا  
طرائق « وكل حزب بما لديهم فرحون » ففريق أهمل أمر الجسم وعكف على إصلاح النفس وقال ما للانسان  
إلا نفسه فهي القوامه عليه المدبرة له المحافظة لشكله . الساعية لتنميته تدبر احشائه وتعذى أعضائه وتنولى  
شأنه وان هو الا عناصر مؤلفة وعمما قليل يلحقها الردى ويعرورها البلى ولقد يموت المرء بكلمة تؤذيه ويفرح  
ويبش بخبر يسره ويرضيه فالجسم وجوده عدم . وأخرون نبذوا الروح وراءهم ظهر يا كأنهم لا يعشون ،  
واتبعوا في سيرهم أمر جسمهم وقالوا ما الانسان الا الجسم وما الروح إلا عرض من أعراضه كسواده وبياضه  
ولئن لحقه مرض أو ألم به ألم أو نقص أو تلف تعدى للنفس أثره فهو حاملها وحافظها بل جوهره عرض

وجاء قوم آخرون وهم المستبصرون وقالوا بالجوهرين وآمنوا بالزوجين وجمعوا بين الدليلين ونظروا بالعينين  
فلم يعمطوا الروح حقها ولم يسلبوا الأجسام حظها بل راعوا الجانبين وترصوا الحسنيين ونظموا إدارة الجسم  
كما أداروا مملكة الروح وانا لذلك مختارون

لذلك نظمنا جوهر الجسم في سبط عقد الأخلاق لثلا نبخسه حقه فلا يقولن امرؤ انى اذا هذبت نفسى  
وجعلتها عنوان درسى كفاى ذلك في التهذيب . إلا أنه أرا في نفوسنا وسلطانا في عقولنا ألا ترى أن المرضى  
أسوأ الناس أخلاقا وان للأغذية والماء والأجواء الممدة لأجسامنا آثارا تصل لنفوسنا كالتقبض والبسط والفرح  
والحزن فانها اذا كانت رديئة وصل للجسم انحراف على مقدار ردايتها وان كانت سالحة فالصلاح اليه واصل  
وعليه وارد . سرفى نظام جسمك على قانون الصحة يعتدل مزاجك وتصرف روحك . فلعمرك ما العلوم التى  
بها جلب الغذاء من صناعة وتجارة وزراعة ولانسلك الذى ترجوه بقاء ذكرك وظهور أثرك بنوع ما ولا نظام  
أنتك في اجتماعها وسياستها الابدع حفظ صحة جسمك وإدارة نظام هيكلك فى الرتبة وما الأموال المجموعة ولا  
الاخوان المحبوبة بمغنية عن المريض شيئا وانما من ذلك ممدده واصلاحه فلا وربك لا أمة الا من الاسرات  
وانما الاسرات مركبات من أفراد فاذا اعتلت الأجسام فلا اجتماع ولا اتلاف ولا أخلاق ولا آداب . تهذيب  
النفس شرع لتجاذب القلوب . وتحاب النفوس واتلاف الأفراد . ونظام الجمعية وتعاونهم أجمعين . فالتهذيب  
مؤخرى وجوده عن وجود الافراد والافراد قوامها الصحة

وإياك أن يبلج فى خاطرك غرابة الكلام على صحة الأجسام فى علم الأخلاق أو تقول نتركه لعلم قانون الصحة  
فانك عرفت قبلا علاقتهما وآثار أحدهما فى الآخر فلئن ذكره الأطباء فاعنا ذلك لأنه مقصود فى علمهم بالذات  
والنفس تبع . فأما علماء الأخلاق فانهم يبحثون عنه كتركب للنفس وسفينتها السائرة فى بحر الحياة اللعجى .  
ودابتها التى تركبها فالجسم فرس . والنفس راكبها والسعادة قنيصتها ولاقنيصه لمن كلت فرسه كما لاسعادة ولا  
أخلاق لمن ضعف جسمه إلا من رحم ربك . ولقد أودع الله فى فطرة الانسان من الفرائض والمشاعر والادراكات  
وأحاطه بالمنغرات للتهلكة ما ان عمل به وسار فى سبيله بنظام هدى الى طريق رشاده . ألا ترى الى الحر والقر  
والجوع والعطش وما جبل عليه الأطفال من حب اللعب وتنشيط الأعضاء بالحركة ومصادمة الأجسام ومقارعة  
الأبطال ان كل ذلك إلا مرشد للعاطلين كم من امرئ جهل أمره واستسهل الأمر البسير من شأنه كاللقمة  
يزدردها بلا كثير مضغ والحجرة يسكنها رديته الهواء أو ضئيلة النور والبيت يقطنه تحيط به الروائح الكريهة  
فأحاطت به خطوط الزمان ومن عجبات الأمراض أولم يعلم بالانسان من الحكمة والآلام الحر والبرد من الانذار

والاعلام إلا أن الغفلة عن الصغار في أمور الأجسام تجر الى الكباثر في أمر النفوس والعقول فكيف يحدث فساد الصحة من تغير في طبع المرء كسرعة الغضب والتهبج المزرى ويتعده عن تأدية الواجبات الاجتماعية والمرض اذا حل بالجسم فزال أبقى له آثارا لها فيه حتى يخبث أجلاه ويذهب عمره . لا بد من ارادة قوية يصد بها الشهوات البهيمية وعزم صارم يكبح به تلك الضاربات الهائجة حتى لا نشترى الذي هو أدنى من اللذات الخسيسة بالذي هو أعلى من الصحة وسعادة الحياة والفرح بالاخوان وبهجة الجمعية القومية ونعيم العباد في البلاد

فاعتدل في مأكلك ومشربك وملبسك ومسكنك ونومك ويقظتك واجعل لكل وقتا خاصا به ، ونظم أوقاتك كما نظمت الأفلاك في سيرها والنجوم في جريها والشمس في أبراجها وأقلل من الشرب وحرمه بعد اقتضاء الأكل حتى يهضم الطعام واجعل لك وقتا للرياضة الجسمية كالشئ والأعمال الزراعية أو الصناعية في أوقات عطلتك ليكون أجمل نشاطا لعقلك وأتم قوة لجسمك وكالحركات الرياضية في المدرسة فلعمرك انها تحرك من نشاطك وانها تفتح لك شهوة الطعام

الآن المتبصر الخاذق من سار على منهج قانون الصحة فقل مرضه . فذلك خير من بهمل الجسم فيقع في قبضة المرض فيضطره لتعاطي الدواء فالخبر في تدبير الطعام والشراب في الصحة . وقد أثنى الله على بعض عباده الأصحاء العلماء فقال (وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء) . انتهى ما أردته من كتابي جوهر التقوى

(٢) وأما ما كان بمصر فانه قد كان بها هرم في هيكلي (ابريس) وهي إلهة مصرية زوجة (اوزيريس) اشترت عبادتها من مصر الى اليونان ورومه وكانت عبادتها تنافس النصرانية . وكانت في بلدة (صالحجر) من أعمال مركز كفر الزيات تبعد عن رشيد قليلا . وقد كتب على ذلك الهرم ما يأتي : « أنا كل شيء كان وكل شيء يكون ومحال على من يفنى أن يزيل النقاب الذي تنقب به من لا يفنى »

(٣) وأما ما كان من رموز الرومانيين فذلك انه كان في إحدى حجر القاتين كان صورة شهيرة في حائط صورها (روفايل) اسمها مدرسة (أثينا) وفي مركز هذه الصورة أرسطو وأفلاطون ومع كل أتباعه وأفلاطون يشير الى السماء بأصبعه وأرسطو يصني بفتور مشيرا الى الأرض بيده اليمين ، والحق أن هذه الصورة و اشاراتها تمثل جميع أفكار الانسان من أوله الى الآن

فاذا عرفنا أن أفلاطون قد قال : « إن الشمس المشرقة المضيئة سبب ظاهري لما على الأرض من نبات وحيوان الخ » من حيث إيجادها ومن حيث هداية الحيوان والانسان بها الى السير في الأرض ، وأن ذلك يهدي الانسان الى أن هناك إله للعالم في مقابلة الشمس وقد خلق عالما لطيفا في مقابلة هذا العالم الكثيف وألقى من لونه نورا على ذلك العالم اللطيف فعرفناه وهو متعلق العلم وبه عرفنا الكليات في عقولنا وصور الجبال المجردة والكمال والحكمة والعدل كما ألقت الشمس نورها على حواسنا فعرفنا طرقنا وسرنا في الأرض . واذا عرفنا أن أرسطو يقول . كلا . فنحن لا نريد قط أن نجعل العوالم المعنوية وهي المثل الأفلاطونية متعلق العلم لسوامها بل نقول العلم يتعلق بالصورة والمادة والقواعد المستنتجة من ذلك هي كليات قائمات بالذهن ليس لها وجود في الخارج

أقول اذا عرفنا ذلك عرفنا أن هذين الرأيين هما أول العلم وآثره لاغير فلما أن نقول على المادة ولما أن نقول على الروح وأما المذهب الثالث فقد جمعهما

القائلون بالمادة منهم الاستاذ (كارل لونغ) ومن قوله : « إن المخ يفرض الفكر بعين الطريقة التي يفرض بها السكب الصفراء والكلية البول » . ومنهم الاستاذ (بجنر) الألماني وقد ألف كتابا اسمه القول الفصل في المادة . وهؤلاء لا يقولون بالروح ولا باللائكة ولا بالشياطين ولا بالله

(١) وعلماء الجواهر الفرد قديما من أنصار هذا المذهب مثل ديموقراطيس سنة ٤٢٠ ق.م وهو من الإيونيين يقول إن المادة تتحرك من نفسها  
 (٢) وجاء أبيقور سنة ٣٤٠ ق.م وقال « إن النفس والفكر والعقل والقوة أعراض للمادة » ومثله ليوكروس سنة ٩٩ ق.م المؤلف الروحاني الشهير ومن أنصار هذا المذهب  
 (٣) ثم توماس هوز سنة (١٥٨٨ - ١٦٧٩) في إنكلترا وهو يقول : « إن الروح جسم طبيعي ارتقى ولم تدركها حواسنا »

(٤) م (لامتريه) في فرنسا سنة (١٧٠٩ - ١٧٥١)

(٥) ومثله (باردن هليك)

(٦) ومثله (كلاي) أيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٥٧ - ١٨٠٨

(٧) وفي ألمانيا ظهر (مولشت) في القرن التاسع عشر وقال « لاقوة بلا مادة ولا مادة بلاقوة »

(٨) وتبعه (كلر جت) وله ويح بنجر المتقّم ذكره

فأما القائلون بالروح ، والقائلون بالروح والمادة معا . فالأولون منهم يقولون « إن المخ آلة الفكر ولكنه هوليس سبب الفكر . وقالوا : ليس من المعقول أن يكون الفكر الانساني الجيب مستنجا من مادة ميتة لا تحس ولا تعقل . فالتاعر يفكر في المادة والحكيم كلاهما لا يمكن أن يكون فكلهما مادة . فهل مادة تفكر في مادة ؟ » . وقد قال شاعر فرنسي ما يأتي

إن امرأ ظنّ المعارف أشرفت \* أنوارها من مظلم لجهول

وهذا المذهب الروحاني ظهر بعد المادى

(١) وقد أوضح أفلاطون نظرية المثل وقال إن لها وجودا حقيقيا والظواهر تتبعها

(٢) وجاء (ديكارت) فأغيا عقيدة الروحانية

(٣) ثم (لبنتر) سنة ١٦٤٦ - ١٧١٦ وهو الذي ضبطها يقول : « إن أساس الموجودات شىء واحد وهو الروح وهناك قطر روحية لا عدد لها وكل نقطة من هذه تسمى (الذرة الروحية) وهذه الذرة خلقها الله ، وكل جوهر فرد مركب من مجموعة من هذه الذرات وعدم قبول الجوهر الفرد للقسمه أمر ظاهري لا غير والا فهو يقسم الى ما لانهاية له لأنه مركب من أرواح حية وكل جسم مركب من ذرات روحية . وهذا الامتداد الذي نراه في الأجسام ناشئ من اجتماع ذرات روحية وحقائق الأشياء هي هذه الذرات الروحية . وقد جعل الله تلك الذرات مراكز للقوة ومنحها قوة إدراكية وهي مختلفة الأشكال والأحوال كثيرة النغير

فلاندوم على حال تكون به \* كما تلون في أنوارها الغول

وهذه الذرات مرآة العوالم الحية وهي ان شعرت فهي الحيوان وان لم تشعر فهي الجماد . وقال كل ذرة لها جسم وروح فلروح هي الحقيقة والجسم مظهرها

(٤) ومثل هؤلاء (جورج بركلي) سنة ١٦٨٥ - ١٧٥٣ وهو مؤلف جرمانى يقول : « المادة لا وجود لها في الخارج ، وانما ذلك خيال ، ولا وجود إلا للروح والعقل ، ولا فرق بين الصور التي تخيلها والتي زاهها ، والعقل يتصور الشىء ويسمى فيبرزه في الخارج ، وليس هناك شىء خارج عن العقل . ويقول : إن الشمس والقمر والجبل والشجر لا وجود لها اذا لم يكن هناك عقل يدركها وادراك الانسان مستمد من الله . ومتى طبعت الصور في عقولنا سمينا ذلك أشياء حقيقية . وله كتاب سماه « السلسلة » جعله خاصا بمنافع القطران وتكلم في نهايته على الموجود المطلق . قال :

« لم تكن المعاني التي ندركها أوهاما بل هي حقائق لا تتغير ، ألا ترى أن وجودها أثبت في نفوسنا من الأشياء الخارجة . المحسوسات الظاهرة تتغير وهل المتغير يصلح مناطا للعلم . وكالاتصلح موضوعا للعلم لاتصلح للإدراك

( ٥ ) وفقى على آثاره هؤلاء ( هرمان لوتز ) فشرح في كتابه المسمى « العالم الصغير » هذا المذهب

( ٦ ) ومثله ( شو بنهور ) إذ يقول : « إن الإرادة هي حقيقة الأشياء »

( ٧ ) وهكذا نغفر إذ يقول : « إن كل شيء في الوجود حي »

والذين يقولون بالروح والمادة معا هم مثل :

( ٨ ) انكساغورس سنة ٤٥٠ ق.م

( ٩ ) وأرسطاطاليس

( ١٠ ) والرواقيون

وقد يعدّ هوبارت ولوتز ونفخه من هؤلاء . وهناك طوائف يسمون ( المؤلمين ) يعتقدون بالله وبالأنبياء . وآخرون يسمون ( العقليين ) يرون أن الله يعرف بالعقل وحده ولا يحتاجون الى وحى . وآخرون يعتقدون الحلول الذي برهنا على منافاته للعقل فيما تقدم في تفسير البسطة في السور السابقة والعالم عندهم مظهر الله . وآخرون يسمون « أصحاب مذهب الجواهر الفرد » إذن المذاهب المذكورة أربعة :

( ١ ) مذهب الجواهر الفرد

( ٢ ) « المؤلمين

( ٣ ) « العقليين

( ٤ ) « الحلول

فالأول قال به ليوسيبس وتلميذه ديموقراطيس ، وقال بالثاني أرسطو وأفلاطون الخ ، وقال بالثالث تولاندوم وتندال وستانسيري وهم يقولون : إنه يدبر العالم بنظام ، وقال بالرابع كتاب (ريك فيدا) وهو كتاب الهنود المقدس وهكذا جيوردانو برونو وسبينوزا من امستردام (٢٦٣٢ - ٢٦٧٧) وهذا أعلن إعلانا مدعيا فيه لإغراق وغلق . فقال : « إن في العالم جوهر واحد وهو الله وهو مطلق لا يحد وكل الجواهر الأخرى المحدودة منبثقة منه ومظروفة فيه وليس لها إلا وجود زائل صائر الى الفناء . ولله صفتان يظهر بهما لنا نفسه الامتداد والعلم . فبالامتداد المتنوع تتكون الأجسام . وبالعلم المتنوع تتكون العقول . وهاتان الصفتان ثوبان لله نسجتهم المكوك الدائمة الحركة في نول الزمن العاصف ، وتبعه شلوجوتيه وهرد وشلوما كرو وهيني وشلي ولسنج

\*\*\*

صمت طويل وضيق صدر وألم نفس . كل هذا حصل لي بعد هذا الحديث الطويل . فلما لحت ذلك تبسمت ونظرت لي طويلا وقالت : لقد قرأت في صفحات قلبك انك الساعة مشغول من سرد هذه المذاهب المختلفة وضاق صدرك ؟ فقلت حقا اني حالما شاهدت جلالك أذهب عنى الحزن وشرح صدري ونسبت كل ألم وبه نلت كل أمل فكل ما فاتني غير قربك لا قيمة له وطلبت البقاء لديك . فقلت لي . كلا . إنك سترجع الى عالم الحس وأنت الآن في عالم الخيال ، فوطن نفسك على أن تدرس مزارعي في القلوب ، فهذه مزارعك في القلوب قرأت منها صفحات ، قرأت تناقضا في الآراء ، وتباعدا في المعاني ، فهبت في صدري اقباضا لم أعهده ، فأين صحائف هذه القلوب التي بها ظهر تاريخ الفلسفة في العالم من صحائف هذه الدنيا ، تلك الصحائف التي أقرؤها متى خلوت بنفسى وأنا منبسط فأشاهد جلالا بارعا وحسنا باهرا وبهجة في النجوم وفي مناظر المواليد الثلاثة

وقد أصبحت في الحال الاعتيادية أطرب لتمثيل الأعصاب وترخ العبدان وغوير الأعشاب وخرير الماء  
وصرير الباب ، وأشاهد في الليل إذا عسعس أوانس الكواكب ونواعس النجوم ، وألظ في الليل  
البهم سكونا مهيبا ولألاءا بهيجا في مناظر السماء ، وآنس في النهار نضرة النعيم في كل مادب وطار ، وهل  
الحشرات المنبذات اللواتي يعمل بعضها من العيون ماثت في نظري إلا لآلى وقناديل وحسن وجمال ،  
ألا ليت شعري هل تحسن أقوال هؤلاء الفلاسفة واختلافهم في العبارة وقول (اسبينوزا) قولاً موهما في  
المقام الأعلى الأقدس كما تقدم « انه ظرف العالم ومنه الامتداد ومنه العقول وبالأول كانت الأجسام وبالتالي  
كانت العقول » . نعم إن العبارات ضيقة عند أهل الأرض حين يعبرون عن ذلك المقام القدسي . ولكن  
أليس هذا بعينه هو الحلول ؟ والحلول معلول معلول

يفرم الانسان بربه فراما لاحد له فيصل للتطرف والاغراق والافراط ويقول هو كل شيء . نعم اذا أصبح  
الانسان في حال لا يسمع فيها فاته لا يبي ولا يعقل ولا يفهم ولا يدرك ولا يبصر ولا يسمع إلا ما يذكره بربه . ولكن  
لن يكون ذلك للعاقل . إن العاقل لا يسمع إلا أن يفرق بين الخالق والمخلوق . أما هذا التهويش والاغراق  
والتطرف في القول فهو محل محزن وهو في ديننا الاسلامي كفر وأي كفر ألم أ كذب هذه النظرية فيما تقدم  
في موضعين بالبرهان العقلي . وكيف يكون الرب هو نفس العبد ! نظرية خضع لها كثير من علماء أوروبا  
والهند والمسيحيين وبعض الصوفية ، وهؤلاء كلامهم موهم أيما إلهام

أقول : هل يقوم كلام هؤلاء في نفس مقام الجمال الذي ألحظه في بهجة الكون والشمس عند شروقها  
وغروبها والنجوم إبان طلوعها وأفولها ، والنجم اذا هوى ما حل تاريخ الفلسفة الحديثة ولا القديمة في قلبي  
محل هذا الجمال المنسوب والطرز الممتد في السماء والأرض

إن قراءة علم ما وراء الطبيعة والفلسفة الطبيعية وعلم النفس وعلم المنطق وعلم الجمال وعلم الأخلاق وعلم  
الاجتماع وتاريخ الفلسفة اليونانية والرومانية والفلسفة الحديثة والفلسفة الاسلامية والوقوف على ذلك كله  
(وهذه هي أقسام علم الفلسفة المتعارف الآن) ليس ينفع به إلا أفراد يقودون الأمم وهم قليل جدا ولن  
ينفعوا بهذه إلا بشرطين اثنين : الأول أن تكون قلوبهم قد أحست بالجمال في هذه العوالم الأرضية  
والساوية مع الذكاء المتوقد . الثاني أن يكونوا قد درسوا جميع علوم الطبيعة والعلوم الرياضية ثم دراسة على  
أحسن نظام . فهؤلاء اذا قرءوا تلك المذاهب الفلسفية ودرسوا فروع الفلسفة فانهم يكونون قادة لأمة الشرق  
فأما قراءة كتاب مختصر أو مطول في تلك العلوم . والاطلاع على أقوال الماديين كالذي قلته أنا الآن .  
وأقوال الروحيين . وأقوال الذين يجمعون بين الروح والعقل . وهكذا يرون قوما عقليين لا يهتمون بالوحى .  
وآخرين إلهيين يهتمون بالوحى . وآخرين يقولون بالجزء الذي لا يتجزأ وغيرهم يقول : ان الله حل في كل شيء  
فانها لا تفيد إلا ضياع الذهن وتنشيت العقل والكفر الصراح والشك المستمر . وكيف لا يكون ذلك والشاب  
حين يسمع ذلك وهو جاهل بعلم هذه الدنيا . ويرى أن هؤلاء يسمون فلاسفة . يقول : فاذا كان الفلاسفة  
أصبحوا مختلفين إذن المسألة ترجع للشك . فأنأيتها المحبوبة أقول هذا رأي في قراءة المذاهب الفلسفية . انها  
فضل كثيرا ولا تهدي إلا قليلا . فكيف أمرتني أن أرجع عن الصور الجميلة في السموات والأرض التي أنابها في  
أنس وجور ، وأن أفكر في أقوال متضاربات وأحوال متضادات لاسيما اني آليت على نفسي أن لا أكتف  
عن أجباني قرآء التفسير جلة واحدة ، وكيف أكتف أعظم محاورة وأعجبها بيني وبين محبوبة جميع النفوس  
وقرة أعين النضلاء والحكماء والعلماء والأنبياء ، ألت أنت قرّة كل عين ، ألت جمال النفوس ، ألم  
أكن أخلقك في كل ذرة وقطرة وكوكب ونجم وشجر ، ألت أنت رفيقة قلبي وشارحة صدرى ، ألت أجل  
مافي الوجود . وكيف أكتف جمال علمك عن أعز الناس عندي قرآء التفسير ، ومتى استيقظت من هذا



الخيال كتبت مدارييننا ومدارييننا حديث الفلاسفة واختلافهم وانهم فرق متشاكسون ، نعم انك لما أمرتني أن أقرأ آراء القوم قام بنفسك اني الآن لا أصلح لمجالستك ولا أقوى على محادثتك طويلا وان نفسي لم نزل بعوزها التصفية كما قلت لي من قبل ولكن ألا أستحق مساعدتك والأخذ بيدي وشد أزري والقيام بنصري ، ألتست اليوم في جهاد ، ألتست اليوم في أم أريد أن تسيقظ ، وخير العلم ما جاء في دور الانتقال ، والشرق الآن قد جاء دوره ، فهل من نظرة بها أسعد ومنك الجمال والكمال ، واذا كان الله جعل صور الجمال في أرضنا سريرة الزوال وأوقات اللذات كبرق خلب ، وكانت الحكمة في ذلك أن يذكر قلوبنا بالجمال الدائم والحسن الباقي الأكل ، فالظهور للذكرى وسرعة الزوال لتكون في مأمن من تعلق القلب بها والعكوف عليها والحنين اليها وذلك في صحيفتي السماء والأرض ، فهل هكذا الصحيفة الثالثة وهي صحيفة القلوب وآراء الفلاسفة ، إذ نرى في القول جلالا ثم يعقبه الاضطراب والاختلاط والتهويش وضياح الوقت . إن طريقي في العلم أن أقرأ صحيفة الوجود ثم صحيفة نفسي ، فهناك أرى اشراقا وجمالا . أما صحائف القلوب فاعلم تجمع الفث والسمين والصحيح والمهزبل (وبعبارة أخرى) إلى أخاف أن قرأه التفسير بعدى بسوءهم مساهني ويؤذيهم ما آذاني . وأنا أحب أن يكونوا في بهجة وجمال

\*\*\*

سمعت ذلك كله وهي صامته تبسم وهنالك رأيت وجهها قد زاد جمالا ونورا وبهجة فلم أقول على النظر اليها كما ان عيني لا تقوى على التحديق في ضوء الشمس . وهنالك أخذت تقول : لقد قلت قولاً جيلاً ونطقت بالصدق . إن الفلسفة وتاريخها لن يعقلها إلا أناس صفت نفوسهم وهم أذكيا . وقد قرؤا علوم الرياضيات والطبيعات بحب وشغف . إن الفلسفة لا يهتأ بها إلا أفراد قلائل في الأمم وماقلته في الجمال الأرضي وسرعة زواله حق وهكذا ما أبديته في جمال العلوم المنزلة على أفئدة العلماء . كل هذا أقرت عليه وأنا معينة لك فكن منشرح الصدر قويا متينا . أما أمرى لك بقراءة آراء القوم فإن أم الاسلام اذا اطلع خواصهم على آراء العلماء في الأمم انقضت عن قلوبهم سحائب الجهالة وأضاعت نفوسهم بأضواء الهداية وحلوا المبهمات وأنسوا بجمال المدرجات . ولولا اني مطلعة على قلبك وانك في الفصل الثالث (الذي بعد فصل القبس وهو الثاني) ستحل المشكلة العلمية أحسن حل وتقيم الدليل الذي يعرفه كل امرئ من نفسه في القوة العلمية والقوة الخلقية . ما أمرتك بقراءة الآراء المتضاربة فإذا لم تقدم هذه الآراء أولا لا يكون للفصل الثالث كبير مزية . وكيف تفصل في مشكلة قامت في أعظم العلوم النظرية وأعظم العلوم الخلقية من غير أن تقدم ذكر ذلك الخلاف . وكيف يقضى القاضى في نزاع بين الخصوم وهم لم يطلعوه على وجوه الدعوى وهيئة النزاع . فكن اليوم أيها الجوهرى (بمتحن) لمختلف الآراء . وانك قد أسمعتي آراء العلماء في معنى قوله تعالى هنا - إن الذين قالوا ربنا الله - فأسمعتي خلافهم في قوله - ثم استقاموا - ومتى تم هذا الفصل بسميه فحدثني بالفصل الثاني وهو القبس الذى خطر لك وأنت في صلاة التراويح قبل الفجر لأنه أشبه بضرب مثل لآراء الفلاسفة في الأرض . فقلت : لأجمل الكلام على ذلك في (مقامين من المقام الأول) في مذهب الفريزة الخلقية ومذهب التجربة (المقام الثاني) في الغاية من سلوكنا الأخلاق . فقلت : قل وأنا أحادثك . فقلت :

### المقام الأول في مذهب الفريزة الخلقية ومذهب التجربة

كما ان شعور النفوس الانسانية بالجمال فريزى في كل الأمم هكذا شعورهم بالحسن والتبجح في الأخلاق ، إن الجمال وان اختلفت مظاهره باختلاف الأذواق والأشخاص والأمم والأحوال والبيئات ثابت الأصل في النفوس . فاذا تعددت المظاهر واختلفت الفريزة حية ثابتة ثبات الحياة . فكما اختلفت أحوال الأحياء وهي

ثابتة هكذا اختلف مظاهر الجمل والغريزة ثابتة . ومثل ذلك يقال في الحسن والقيبح . فأهل الشرق وأهل الغرب كل يعرف الحسن والقيبح في الأفعال الانسانية وإن اختلفت المظاهر . وهذا المذهب قال به كارليل وبلزر . وقال به من الألمان نفته والاستاذ كنت . وقال آخرون : « كلا . إن الحسن والقيبح في الأفعال لا سبيل لمعرفة إلا بالتجربة . وإذا كان مذهب النشوء والارتقاء ظاهرا في الحيوان والنبات أفلا يكون كذلك في الحسن والقيبح ؟ أفنعيش على آراء من سبقنا في معرفة الحسن والقيبح . كلا . بل ننظر الى الفائدة من أعمالنا ونحكم عقولنا وتكون أعمالنا على مقدار فوائدها . هذا هو السبيل الأقوم »  
وقال بهذا القول وهو مذهب التجربة كارنوبى ومل و بين وهر برت سبنسر . ثم الكلام على المقام الأول والحمد لله رب العالمين

### المقام الثانى فى الغاية من سلوكنا الأخلاقى

هل الغاية من سلوكنا سعادتنا الذاتية ؟ أم السعادة العامة ؟

يقول قوم : « إننا لم نخلق فى هذه الأرض إلا لمنفعتنا الخاصة ، فكل امرئ إنما خلق لاسعاد نفسه هو ، والمسألة كلها هى حب الخير لنفس الانسان » ومن هؤلاء (هوبز) ويقول آخرون : كلا . ثم كلا (مثل هيوم وآدم سميث) إن فى الانسان عاطفة الحب العام ومن ذا الذى ينكرها فى نفسه . لقد غرست فى نفوسنا عاطفة حب الناس واسعادهم وحب الخير لهم وتكميلهم . وهذه تسمى نظرية الايثار

ومن أتباع المذهب الأول (ماكس سترنر) و (نيتشه) ومن أتباع الثانى وهو الايثار (كنت ونفته وشوبهور) . وفوق ذلك يقول آدم سميث وجون ستورث ميل : « إن الانسان عليه أن يضحي بنفسه اذا كانت تلك التضحية سببا فى سعادة غيرنا »

ويقول الاستاذ (مل) « ما أقص هذه الدنيا وما أخل نظامها إذ كان من سننها أن أحسن طريق فى تحصيل السعادة هى التضحية التامة . وإذا كان هذا هو شأنها فإلى أقرت بأن الاستعداد للتضحية أكبر فضيلة يتصف بها الانسان » . وههنا مسألة ثالثة وهى :

### ما الذى يسوقنا لحسن السلوك ؟

عرفنا أن هناك غرائز أو تجارب للتمييز بين الخير والشر . وعرفنا ما الذى قصده من السلوك . ولكن ما الذى يبعث فىنا النشاط لحسن سلوكنا ؟ ويكون مهمازا يسوقنا الى الغايات ؟ فقال الاستاذ (مل) « إن القانون الأخلاقى مقيم فى أعماق نفوسنا يساعدنا على كشف حجب الامور حتى نصل الى إدراك ما يجب علينا وله سلطان قوى وتأثير وجاهزية . وهذه نظرية (القانون الذاتى) . وهذا سموه (صوت العقل) ومن القائلين بهذا القول الاستاذ كنت »

وقوم يقولون : « إن الشعور والعواطف لها سلطان أيضا » وهذا قول هيوم وشوبهور وآدم سميث فالعقل والشعور يرجعان الى القانون الذاتى

ويقول آخرون « إن الخوف من الله . أو من الناس . أو من الذم . أو الرغبة فى المدح . أو تحصيل الثواب . كل هذه قوى خارجية لها السلطان علينا تسوقنا الى فعل الخير »

وأنا أرى أن هذه كلها لها سلطان بدرجات مختلفات وتختلف باختلاف الأشخاص والبيئات والتربية والى هنا انتهى الكلام فى ذكر الآراء فى علم الأخلاق ومناهج السلوك وبه انتهى الفصل الأول فى معرفة معنى قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - وبه فهمنا آراء الأمم فى معرفة الله وآراءهم فى الاستقامة

## الفصل الثاني في القبس المذكور في سورة طه

هنا أذكر ما وعدت به بمافهمته أثناء قراءتي آيات من ﴿سورة طه﴾ في صلاة الوتر بعد نصف الليل منذ أيام إيفاء بوعدي لك وقياماً بحقك وليكون ذلك مثلاً مضروباً لاقتباس عقولنا من آراء عقول العلماء والحكماء من الأمم جماء

كنت أقرأ قوله تعالى كما قدمت - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى \* فلما أتاها نودي باموسى إني أنا ربك - الخ ، فأخذت أكرر هذه الآيات مراراً وقد استحضرت في ذهني الحجر والشجر والبرّ والبحر والايقاد واللهب ، كل ذلك حصل في نفسى كلعج البصر ، وهذه المظاهر أصبحت كأنها مشاهدات أمام بصرى وأنا أكرر الآية وكأني في عالم غير عالمنا ، عالم الجمال ، عالم الحكمة ، وخيل لى انى خرجت من كل همّ وغمّ وحزن وألم لأن هذه عوارض عالم الحس والآية أحضرت لى عالم الخيال ، أو عالم المثال ، أو عالم البرزخ ، عالم لا كدر فيه ولا شقاء ولا أعداء ولا منافسين ، وما أجل قيام الليل ، فاذا لم يكن فيه إلا هذا الجمال كفى ، وما أحسن الصيام فهو يصنى النفوس ويذهب عنها البؤس . وما أجل الذكر . وما أحسن الفكر

فظنرت فى الأجر اذا هى لا تقبل الا لتهاب مع انها مشحونة بالنار . كيف لا وفى كل مائة رطل من الأجر (٤٨) رطلا من الاكسوجين ولن تكون نار ولا لهب إلا بالاكسوجين وهذا مصداق قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - وانما لم تحترق الأجر لصلابتها ومنايتها . ثم ظنرت فى نحو الحديد من كل جسم يعاونه الصدا فوجدت أن ذلك فيه احتراق فان الاكسوجين يأخذ فى التزواج والاتحاد والائتلاف مع الحديد ولكن ذلك الاتحاد والائتلاف والزواج لا تصحبه زينة ولا فرح . فالزينة هى اللهب والفرح هى الحرارة وهذه هى التى اعتادها الانسان متى أراد البناء بعروس أظهر الزينة والسرور والفرح . هكذا اذا أراد إيقاد النار زوج الاكسوجين بعروس فذلك العروس إن كانت عجوزاً شمطاء كالحديد لم يكن فرح ولم تكن زينة بل يتم التزوج ببطء فيكون الصدا وذلك كعاشرة هذه العجوز . وان كانت العروس خفيفة الروح شابة فهناك الحرارة وهناك اللهب . وانما يحصل اللهب بازدياد الاكسوجين مع الاودروجين ومع الفحم . وهذان العنصران يقومان معا فى كل نبات وكل حيوان . فهما فى الخشب والحشب والفحم الحجرى والزيت والدهن والورق . ففى قربت النار من الورق اشتعلت الحرارة وظهر اللهب وأخذ الاودروجين والكربون الساكنان يظهران ويريدان التخلص ولكن هيات هيات فيقمان فى قبضة الاكسوجين ولا يفلتان وهناك يتم الزواج

الاودروجين المذكور جزء من أجزاء الماء وهو متحد مع الاكسوجين فيه فهو يحب اذا صادفه فى الورق والخشب وغيرهما . والايدروجين أيضاً داخل فى تركيب الغاز (الايدروجين المكرين) أعنى اودروجين مزدوج بالفحم واسمه (غاز الاستصباح) وهو الذى تنار به الشوارع والأزقة والحارات والمخازن والحوانيت وهو يجرى فى أنابيب تستمد من احتراق الفحم فى أفران معدة لذلك وهذا معروف مشاهد . والاودروجين أخف من الهواء (١٤) مرة ونصف مرة ولذلك يجعلونه فى الطيارات فتخف وتطير فى الجوّ لأنها أخف من الهواء . هذه هى النار وهذا سرّها . والنار من أعجب العجيب فى هذه الدنيا والناس يعيشون ويموتون ولا هم يذكرون جمالها وبهجتها . والسبب فى ذلك انها مبدولة لحم بلا تعب ولا نصب مع ان ما تقدم فى آخر سورة ﴿يس﴾ من الصور المرسومة لقوم متوحشين يوقدون بها بشرى الأنفس بدل على أنها كانت مستعصية على النوع الانسانى وكانت آتمن مما على الأرض وما فى باطنها من جواهر وما فى البحار من لآلى حتى ان زرادشت قال انه جلبها من السماء وصرّ فى طريقه بجبال عماليا وكانت هذه معجزة له عند أتباعه فى بلاد الفرس .

وأخذوا يعبدون النار وهي مقتصة . لماذا هذا ؟ لعزتها ونفاستها إذ ذاك . وهكذا زعم الروم أن بروموطيه اختلست النار من عبادها (بشديد الباء) وسترتها عن أعينهم وأهدتها لأناس غيرهم ، فكان الرومانيون يقدسون النار كما يقدسها الفرس ، ولها سدنة يقومون بخدمتها ويحافظون على دوامها ، فلما أن صارت اليوم سهلة الحصول زالت تلك الهيبة من النفوس والعظمة

هذه هي النار ، وهذا تاريخها ، تاريخ النار تاريخ الحياة ، فلهب النار وحرارتها يرجعان للتفاعل والتزواج ونتيجة اتحاد العناصر أن يكون هناك نبات وحيوان وإنسان كلهن ناشأت من ذلك الاتحاد ، ويدوم ذلك التفاعل مدة ، ومتى بطل التفاعل بطلت الحياة . إذن النار سر الله في أرضه

### العلوم والمعارف

ليس في الأرض علوم ولا معارف إلا على نمط إيقاد النار ، وهل المعارف إلا ازدواج بين القضايا الذهنية إذ تكون مقدمتان ومنهما تكون النتيجة ، أليس ازدواج القضيتين في النفس يعطى فكرة كأنها حرارة وتكون النتيجة كاللهب ( وبعبارة أقرب لما نحن فيه ) أن آراء علماء الغرب والشرق متى ازدوجت في نفوسنا حصل لعقولنا نتائج وهذه النتائج يصحبها نشاط في مقابلة حرارة النار ويكون سرور في مقابلة اللهب إن انشراح الصدر بالمعارف خير من الدنيا وما فيها ، واذن يكون مافي الأرض من دهن وزيت وحب و كل هذه نشبه بها آراء علماء اليونان والرومان والألمانين والفرنسيين والانجليز الذين تقدم ذكرهم . ثم إن قلب هذه الآراء وبحثها واستخراج نتيجة تفهيمها العقول واحدة ويفرح بها أهل العلم في العالم كما سيأتي في الفصل الثالث إن شاء الله أشبه بازدواج هذه المواد وظهور الحرارة واللهب منها واشراقها للعيون

مم انى بعد أن فرغت من فهم هذه المعاني في الآية أخذت وأنا لا أزال أكررها في الصلاة أفكر في معناها وأقول : إن موسى قال لأهله امكثوا إني آنست نارا ، ورجا أن يدل منها أحد أمرين : الأمر الأول لأهله ، والثاني له هو . فأما الذي لأهله فهو القبس لأجل الاستدفاء بالحرارة . وأما الذي له هو فهو أن يرى هاديا يهديه للطريق في الجبل ولله فيعرفه طريق الوصول اليه كما قاله بعض المفسرين . إذن موسى عليه السلام قسم فوائد النار بينه وبين أهله ، فهكذا المفكرون في المسلمين بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله عليهم أن يتخذوا علوم الأمم كلها مباحث لهم ويستخرجوا منها أولا المنافع المادية في مقابلة القبس الذي ذكره موسى وثانيا المنافع العلمية والهادية الخلقية في مقابلة هداية موسى . ونتائج ذلك لأهم الاسلام أن يعيشوا بسلام سعداء وإذا ماتوا لقوا ربهم وقد آمنوا ماعليهم ، وهذا في مقابلة قوله تعالى - فلما أناها نودي يا موسى إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى -

كل هذا أقوله وهي مصغية الى سامعة لي وكلما ازددت إضاحا ازداد وجهها إشراقا . هنالك قلت لي : هل هذه المعاني تفسير لآية ؟ وضع هذه الفكرة . قلت كلا ، إنما هي معان تخطر للنفوس عند قراءتها ، والا فمعنى الآية يعرفه العامة والخاصة ، وهذه تسمى المعاني الاشارية أو الرمزية التي تخطر للنفوس على حسب استعدادها . وإذا كان هرون الرشيد قتل البرامكة وأمعن في ذلك حينما سمع المعنى يقول :

ليت هذا أنجزتنا ماتعد \* وشفت أفضنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة \* إنما العاجز من لا يستبد

فهكذا تفهم العقول الحكيمة المعاني التي تناسبها حينما تسمع القرآن من باب أولى ، والقرآن أولى من كتاب ( كليله ودمنه ) بالحكمة والعلم وهذا أمر واضح لأولى الألباب . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني في القبس وفهمه من الآية في الصلاة والحمد لله رب العالمين

## الفصل الثالث

في جلاء الحقائق العلمية وتبيان الصواب في آراء هؤلاء العلماء العملية والعملية أى النظرية والحلقية أى معرفة الله تعالى وعلم الأخلاق (وبعبارة أخرى) - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ وهي آيتنا التي نحن بسدد الكلام عليها

ههنا أخذت أستعرض آراء علماء أوروبا الحديثة وآراء القدماء وأفكر في الماديات والروحيات . وكيف نسمع قوما يقولون « لا وجود إلا للمادة » ويقول آخرون « لا بل الموجود هو الروح » وبينما أنا أفكر وهي إلى شاخصة إذ لاحت لي التفاتة إلى وجهها الجليل فأخذتني الدهشة واعترتني الغشية وغابت عني الحواس ولم أشعر بما حولي ، فلمعرك ما أدري كم ساعة قطعها وأنا في غشيتي ثم أحسست بيد ناعمة تمر على وجهي ورائحة عطرية لم أشم مثلها مدة حياتي عطرت المكان ، إذا هي قد أخذتني بين يديها لنوقظني ، فما أنستها بعد الغشية حتى قلت ما قاله ابن الفارض

ما بين معترك الأحداق والمهج \* أنا القليل بلا إثم ولا حرج  
ودعت قبل الهوى روحى لما شهدت \* عيناي من حسن ذلك المنظر البهيج

فقلت نعم لا إثم ولا حرج - لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلا سلا - . فقلت يا سيدتي أخبريني بالحق ؟ أنا الآن في عالم الآخرة ، أنا لا أعرف ما أنا فيه ، إن هذه المعاني التي تجول بخاطرى لم أعهد لها في أيام حياتي ، فلعلى مت ؟ فقلت هذا صفاء نفس لاموت ، وعند الموت تكون حالك أرقى من هذه الحال بملاحة له . فقلت : ولكن ما هذه الحال ؟ قالت : ألم أقل أنك في حال البرزخ والمثل والخيال . فقلت : وهل هذه الحال لها وجود ؟ قالت : هي أصل الوجود والصور الأرضية فرع . فقلت : أنا إذا استيقظت وأخبرت الناس بذلك طالبوني بالبرهان . فقلت : أتذكر أنك أيام الشباب رأيت صوراً جميلة . قلت نعم . قلت فهل ذرو تلك الصور الآن لا يزالون يحملونها . قلت : كلا فذهب من أصبح في القبر ربما ومنهم من أصبح عجوزاً وشيخاً هرماً أكل الدهر عليه وشرب وبيض شعره وبيس جلده وانحلت عراه . قلت فهل تغيرت هذه الصور الجميلة في خيالك ؟ قلت كلا إني أراها في نضى ثامة الجلال كما كانت لم تتغير . فقلت هذا مثل واحد ضربته لك لتعلم أن جميع الصور التي ترونها في المادة التي تتخيلونها باقية في عقولكم إلى أمد الدهر ، وبتراكمها تنتج أخلاقاً وعوائد وسعادة وشقاء على حسب ما تصورت - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - بل الإنسان على نفسه (بصيرة) - وهنا ابتسمت ابتسامة وأضاء المكان بالنور وعبق العبير . ثم قالت : إن الوجود الأصلي إنما هو ما حفظته النفوس ، فأما وجود المادة فهو تبعي لأصلي ، ألم تركيف لا يكون عمل إلا بعد فكر ، فهل الهرم ظهر في الوجود إلا بعد رسم في الخيال ، وهل الكرسي والباب والشباك والآلة البخارية والقطار السائر في الأرض والسفن في البحار والمنطاد في الهواء وكذا الطائرات والجيوش المنظمات في الجوّ وفي الأرض وفي البحر برزت في الوجود إلا بعد أن رسمت في مخائف الفكر فكان إبرازها للعيان بعد ظهورها في الأذهان . فاذا حرق الكرسي والباب والشباك وحطمت الطائرة وهزم الجيش وتفرقت جوعه فان صورها تبقى في الأذهان . ألا ترى أن أخبار معارك هنيبال وحروب رومه وقرطاجنه تنافقها القلوب وتتداولها الألسنة وتتلها الأجيال مع ان تلك الأمم قد زالت من الوجود وخلفتها أمم آخرون من نسلهم أو من أمم أخرى ، إذن الأشباح المنظورة نتائج الصور المعقولة لا فرع لها ، أولست أنك قد ذكرت في التفسير في غير ما موضع أن هذا العالم كله حركات في عالم يسمى الأثير ، وما الأثير إلا اسم تجهلون معناه ، وما هو إلا أشبه بالخيال ، ويؤيد هذا نظرية (انبشيتن) إذن لامادة ، وغاية الأمر أن هنا حركات مختلفات الأعداد

والأحوال بها ظهر للعيون وللحواس أشباح . فقلت : إذن هذا تأكيد لمذهب الروحانيين . قلت هنا أرواح  
وهنا أجسام ، إن المواد لها وجود في درجة الحواس فهي موجودة معدومة هي مترددة بين الوجود والعدم  
فأما عالم الصور العقلية فهي موجودة أبداً - وإن الدار الآخرة لمحي الحيوان - . فقلت : وهل هذه آخرة ؟  
فقلت : إن عالم المثال الذي أنت فيه الآن مقامة لعالم الآخرة ، ثم تبست وقلت : ولكن أنت الآن لم تمت  
فأنت حي . ثم انها فجأة قالت استودعك الله ، فراعتني هذه المفاجأة وقلت .

ألمت حيث لم قامت فودعت \* فلما تولت كادت النفس تزحف

فقلت أنا ما ودعتك إلا وأنا واقفة بما لديك من الهبات العلمية ، وما منعك الله من الحكمة ، وانك  
ستلقى للناس حقائق ورفائق حتى يعلموا أن آراء الفلاسفة ليست مقدسة وأنا مطلعة على قلبك أقرؤه كالصحيفة  
أمامي ، وانك ستقول للناس قطعية « إن كل فيلسوف له رأى » فهذا الرأى راجع لحال خاصة ( وبعبارة  
أخرى ) ان أنظار هؤلاء الفلاسفة جزئية لا كلية ، ومتى أوضحت كل قول وأوضحت سببه عرف الناس أن كل  
واحد له حق من وجه واحد ولكنه باطل من وجوه عدة ، هذا كله ستقوله أنت ، فأنصرتي الآن يكون  
بعد ما خبرت قلبك وانك ابن مجدتها (١) وأخوعذرتها ، وجذيلها المحكمك ، وهذيقها المرجب . فقلت : ولكني  
لا أطيق فراقك ، ومتى تمت وأنا لم أتم ما شرعت فيه من اني أسمعك ما سأكتبه في هذا المقام ينالني ما لا يطاق  
من الألم ، وان إصفاك لي وسماحك لكلامي وان كنت مطلعة على ما في قلبي يحدث فيه مسرة لأن إصفاء  
المحبوب لقول المحب أشهى اليه من الحياة وأعز عليه من روحه كما فرح موسى عليه السلام بقوله لب العالمين  
وهو يعلم ما في نفسه - هي عساي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها ما رب أخرى - ويجتد في  
قلبي حكمة إذ أطمئن على ما سأكتبه وأثق بما ألقى في هذه المسألة التي حار فيها أهل الشرق وأهل الغرب .  
فقلت : لا ترع قد أجبنا طلبك ورجنا تضرعك فأتم ما شرعت فيه

وهنا حوت من شدة الوجد والهيام ، كأني في أضغاث أحلام ، وتذكرت قول ابن المعتز في الشرق :

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا \* على الجود كنا والحواشي على الأرض

يطرزاها قوس السحاب بأصفر \* على أخضر في أحر تحت مبيض

كهيئة خود أقبلت في غلائل \* مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقول إبراهيم بن سهل الاسرائيلي في الأندلس

أشمس في غلالة أرجوان \* وبدر طالع أم غصن بان

وتفر ما أرى أم نظم در \* ولحظ ما حوى أم صارمان

وقلت في نفسي هذا أوان الجدول والفزل في صور لا تقني ولا تزول ، فأما في الأرض فانها صور زائلة وهذه هي  
السعادة التي لانهاية لها ، فان هذه الحسناء الهيفاء قد ازداد جلالها بضع مرات وهي تزداد بهجة وجمالاً وحسناً بهاء وورقة  
إن الجبال في أهل الأرض لم يجتمع لامرئ قط ، فاذا أشرق وجه الشهاب بالجبال ، فالهيام إنما يكون  
بالظواهر غالباً فيه ، واذا أضاء قلب الحكماء والعلماء أحبهم تلاميذهم وأغرموا ذلك الغرام بيوطنهم لا  
بظواهرهم لأنهم لا يستأهلون لذلك الهيام والحب إلا بعد استكمال قواهم الداخلية وتعمام عقولهم وعلومهم ،  
ولكن لم ير أحد من أهل الأرض جبالاً كما أرى أنا اليوم ، فالوجه مشرق والروائح عبقه لم أرها نظيراً على  
الأرض ، والجبال يزداد على مدى الساعات ، والحكمة والعلم يباهيان حكمة أ كابر الحكماء وعلم العلماء  
هنالك أنارت لي ان أشرع في تحقيق الحق في الآراء المتقدمة كما تقدم . فقلت : « إن الناس اذا

(١) هذه أربعة أمثال تضرب لمن هو كفه للشيء وهو به جدير بعبدة كسجدة ، وعذرة بوزن غرفة

وجديل مصفر جذل ، وعذيق على وزنه

أرادوا أن يقفوا على جلية الحق فليتنظروا لأنفسهم ، وذلك من (وجهين \* الوجه الأول) من جهة الحواس الخمس والعقل وذلك للمعرفة (الوجه الثاني) من جهة العواطف والشعور وذلك للأخلاق

### الوجه الأول معرفة الانسان من جهة حواسه الخمس والعقل

إن حواسنا خمس : أذناها المس ، وأعلاها البصر ، وفوقها كلها العقل :

(١) أما المس فأنما يستمد معرفته من المواد المحيطة به مباشرة ، فهو إذن كالأعمى يتلمس ما يحيط به  
(٢) وأما الذوق فإنه وإن كان كالمس ففيه مزبة أرقى ، وهوانه يسقط ما هو أليق للغذاء ، ولا يقبل إلا ما اختاره بخلاف المس فهو أعم

(٣) وأما حاسة الشم فهي أبعد مدى وسلطانها يكون على المسموعات اللاتي هي ذرات منفصلات من المواد والهواء السفيرين حاسة الشم والمشموم ، إذن هذه واسعة الأفق بمتدة الأكناف شريفة فيها لطف به اقتربت من عالم الأرواح

(٤) وأعلى منها حاسة السمع فهي أبعد مدى ، وأشرف مرتبة ، وأعلى مزبة ، وسلطانها يحكم في الهواء وحركته لاني ذرات منتزات من المادة فهي إذن أقرب من الشم الى عالم الأرواح

(٥) وفوقها حاسة البصر فهي لاسلطان لها على عالم المادة ولا صلة بينها وبينه فلا تتصل بنفس المادة كحاستي الذوق والمس ، ولا بنرات طائرات منها كالشم ، ولا بلطف الهواء كالسمع بل سلطتها في عالم متوسط بين المادة وبين الروح وهو عالم الأثير الذي يحمل الصور الضوئية من المادة ويوصلها إليها . فترى الأشباح والصور والأشكال وقد امتد سلطانها الى أبعد غاية . فإذا كان السمع لا يعلم إلا ما كان في عالم الهواء والهواء محدود لا يتجاوز (٥٠) ألف كيلومترا فإن البصر يمتد سلطانه الى أبعد ما كان في هذا الجوق الفسيح . فهو يرى الشمس على بعد هائل عظيم بحيث تصل القبلة لها في ١٢ سنة ويصل لها القطار السريع في (٣٥٠) سنة . وبعد الشمس الهائل لا يقطع النور في أكثر من (٨) دقائق و (١٨) ثانية . ووراء الشمس كواكب وشموس وسدم رأت العين أنوارها في أبعاد شاسعة تقدر بسير النور لابسير القطار ولا يسير قلة المدفع مائة ألف سنة بل مائة مليون سنة وأكثر . إذن تبين أن العين أعظم الحواس سلطانا وهي تحكم في عالم الأثير الحامل للنور فعالمها أقرب الى عالم الأرواح

### قاعدة

وهنا ظهرت لنا قاعدة هامة جدا « إن كل حاسة وهبت لنا لن تنفصل عن عالمها فهي به متصلة اتصالا يناسبها . فالشم متصل بعالم عظيم وهي المواد المحيطة بنا وهكذا الذوق وهكذا الشم دائما مما لاصق للهواء وكذا العين والبصر يشرف على عالم أوسع وأوسع . وكلما ارتقت الحاسة عما قبلها اتسع عالمها والعين بلغت النهاية في اتساع عالمها حتى أنها بالمناظير المعظمة لم تقدر المدى الذي تراه العين في الاتساع والعظمة والاطراف المتناهية وهي لطافة النور في عالم الأثير

(٦) - العقل

وهنا أن نبحث في حاسة فوق هذه الحواس . نعم هذه الحواس تحضر الصور وهذه الصور تخزن في خزائن الدماغ وهناك يحصل ازدواج الآراء وتحصل نتائج . فياليت شعري أى عالم اتصل بالعقل فأعطاء نور المعارف الحاضرة به ودل له : « خذ الظواهر البسيطة الآتية من الحواس الخمس وتصرف فيها واستخرج في الحساب وفي الهندسة وفي الجبر وفي الكيمياء آلاف القوانين » . إن هذه القوانين لا وجود لها في صور المادة الواصلة للحواس الخمس . فمن أين أتى ذلك العلم للعقل ؟ أجاها له من تلقاء نفسه ؟ إذن فلماذا نرى الحواس

كلها لا علم لها إلا بما حولها ولكل حاسة عالم يناسبها ويشأ كلها وهي درجات بعضها فوق بعض وأرقاها البصر وعالته وسط بين المادة والروح - وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - . إن العقل حقا له اتصال حقيقي بعالم عقلي وهو أوسع من عالم النور بما لاحد له بل هو عالم لانهاية له قياسا على ما قدمنا ، إذن الانسان يجلس وقد وضع القلم في يده وأخذ يكتب ما يعلى عليه عقله ، فالقلم متصل باليد والعقل متصل بعالم عقلي وينبوع منه يستمد الفكر ، واتصال العالم العقلي بعقولنا كانصال القلم بأيدينا ، وكأن اليد جسم كثيف اتصلت بجسم كثيف يليق لها وهو القلم هكذا عقولنا متصلات بعالم لطيف تستمد منه استمداد العين من الضوء والأذن من الصوت وحاسة الشم من الروائح في الهواء

وهذا البرهان لا يرد عليه ما روود على أفلاطون إذ استدلى على عالم المثال ووجوده كما تقدم بأنه مقيس على المخلوقات الأرضية التي كانت الشمس سبب وجودها وسبب ظهورها لعيوننا وهدايتنا لها . فالتة في مقابلة الشمس وعالم المثال في مقابلة المحدثات بسبب ضوئها وهداية الله لعقولنا كهداية الشمس لعيوننا وعالم المعاني كالجمال والخير والعدل والعظم والقوة وغيرها عالم لا يتغير باق كما ان الله لا يتغير و باق ، والحوادث الأرضية تغنى لأنها وجدت بواسطة عالم يفتى ويتغير وهي الشمس . وهذا البرهان الذي قاله أفلاطون لم يكن مقبولا عند أرسطاطاليس ففتى عالم المثال كما قلناه فيما تقدم . وقال كلا ، مم كلا . إن عالم المثال لا وجود له والعالم العقلي غير موجود وإنما الموجود عالم المادة ، ومجرد النظر للمادة والصورة كاف في أن عقولنا تدرك القوانين ، وهذا هو السبب فيما وجد مرسوما في الصورة التي رسمها الرسام الايطالى التي تقدم ذكرها من أن أرسطاطاليس يشير الى الأرض وسقراط يشير الى السماء ، وبسبب هذا اختلف الأضراب بعد أرسطاطاليس . وقد تقدم الكلام على الرواقين والأبيقوريين وكيف وقع هؤلاء في الخلول وشكت (بتشديد الكاف) طائفة وأحدث أخرى وهكذا مما تقدم في هذا المقام

وبقى العلم على هذا المنوال حتى جاء العصر الحديث وظهر العلماء في أوروبا وفيهم يقول الاستاذ (بارتلمى ساتهليبر) مترجم أرسطو من اليونانية الى الفرنسية في القرن الماضي وهو التاسع عشر في صحيفة (١٠٣) من المقدمة المترجمة ما يأتي

« بعد الرواقية وبدون أن أقف على شيشرون ولا على سنيك الروماني أقترح عشرين قرنا وأمضى الى (كنت) أكبر أخلاقي في الأزمان الأخيرة ، اننا نجد من نظرياته خليطاً من المذاهب الثلاثة الخ » أى مذهب أفلاطون ، ومذهب أرسطو ، ومذهب الرواقين

أقول : ولقد قدمت في هذا التفسير مرارا أن الاستاذ (سنتلاه التلياني) ومثله (سبنسر) الانجليزي يقولان كما يقول جميع العلماء منهم : « إن فلاسفة القرون المتأخرة بالنسبة لسقراط وأفلاطون كالبقية بالنسبة للفيل في مثل هذه المواضع الشريفة الراقية » وهاهوذا الاستاذ (بارتلمى) يقول كذلك في مواضع كثيرة من كتابه حتى جعل علماء أوروبا مدينين ليونان . كما ان العلامة (سدبواترنسى) المؤرخ جعلهم مدينين للأهم العربية الاسلامية ، وكل قال على مقدار ما وصل له من العلم . إذن (بارتلمى) لا يرى علماء نبغوا في علم الأخلاق بعد عشرين قرنا إلا الاستاذ (كانت) ، فإذا يقول فيه ؟ يقول في صحيفة (١٣٦) مانصه : « اذا كان من اللازم ترتيب هؤلاء العظماء الذين حلت أفكارهم فاني لا أتردد في أن أضع العلامة أرسطاطاليس في الصف الثالث والاستاذ (كنت) في الثاني وأفلاطون في الأول » وبني ذلك الترتيب على الاعتقاد لأن أرسطو لم يتكلم في مستقبل الروح ولا في علاقتها بالله وجعل لسعادة الانسان مدخلا كبيرا في الأخلاق مع ان الفضيلة وعمل الواجب هو الأولى بالمرعاة . وقال : إن (كنت) وان اعترف بالله وبقائه الروح فان دليله ضعيف جدا أقل من دليل أفلاطون ، فان (كنت) يقول : اذا كان الانسان يسعى لاسعاد



نفسه من جهة ولعمل الواجب لغيره من جهة أخرى فان العمل للواجب قد يتعارض مع العمل لنفسه ،  
وهناك لاينال مطالبه في الحياة الدنيا . إذن الحياة قاصرة هنا فلا بد من حياة أخرى يرقى فيها ويكون الخلود  
وهناك يكافئ الخالق كلا بما فعل ،

إذن الاستاذ ( كنت ) جعل الاقرار بالله وبقاء الروح تابعين للقانون الأخلاقي ، وهذا ضعف ظاهر  
ولكنه على كل حال أرقى من آراء أرسطاطاليس وان كان أقل من آراء أفلاطون . هذا بمجمل الكلام الذي  
ذكره وأوضحه أيما إيضاح في المقدمة المذكورة

وأنا أقول : ههنا آراء أفلاطون وهي الصف الأول ، وآراء ( كنت ) في الصف الثاني ، وآراء أرسطو  
في الصف الثالث . وقد عرفنا فيما تقدم أن آراء أفلاطون وهو في الصف الأول لم يعباها أرسطاطاليس .  
وبسبب ذلك تحببت الانسانية نحو عشرين قرنا من رواقية وأبيقورية وملاحدة أوروبية ، وظهر أمثال  
ليوكاروس وتوماس هوز في انكلترا ولامتريه في فرنسا وهكذا من الماديين ، لماذا ظهر هؤلاء ؟ لأن العلماء  
تحبوا من أيام أرسطاطاليس وهاموا فلم يجدوا من يمدحهم عن الحقيقة بأكثر مما قاله أفلاطون ، وأفلاطون  
عارضه أقرب الناس اليه وهوتليذه ، فأين يذهب الناس ؟ فلما جاء ( كنت ) أتى بمذهب وسط وترك برهان  
أفلاطون وتنزل الى برهان ضئيل

هذه هي الآراء المنتشرة في أم الأرض ، وهذا آخر العلم فيها . فأما البرهان الذي قلته أنا الآن فليس  
يرد عليه من الطعن ماورد على برهان أفلاطون فضلا عن ( كنت )

لقد برهنت ببرهان لا يقبل النقص وأقل ما فيه انه برهان الاستقراء فقد استقرينا الحواس فوجدناها  
متصلة بعوالم تحس بها ، فلماذا يكون العقل وحده هو الذي يقوم بعملية الاحساس من ذاته بلا عالم يمد  
مناسب له ؟ وهل يمد العقل إلا عقول تماثله وتناسبه ونسبته اليها نسبة الشم الى الهواء والسمع الى الهواء  
والعين الى الضياء

وأزيد عليه برهانا آخر وهو ان الأرض لم يكن في استطاعتها ومحزرت أن تعطي النبات نموًا والحيوان  
هداية . إن النبات لن ينمو إلا بحرارة وجماء ، والماء لن يكون إلا بالبخار ، ولا بخار يشور إلا بحرارة ، وهذه  
الحرارة لم تستطع ابرازها الأرض فأرسلتها الشمس . ثم ان الحيوان محتاج الى أن يرى سبله في الأرض .  
والأرض لم تقدر أن تهديه نورا من لدنها . إذن الأرض قد برهنت على محزرتها في الحرارة وفي الضوء لنمو النبات  
والحيوان ولهداية الأخير . والضوء أيضا مساعدة في نمو النبات ( كما تقدم في سورة يس عند آية - سبحانه  
الذي خلق الأزواج كلها - لأن ضوءها يساعد المادة الملونة في تعاطي الغذاء من الهواء )

وإذا محزرت الأرض عن أخس الأمرين أي الحرارة والضوء لترقى أبنائها فهي عن أشرفهما أعجز وهو  
الادراك والعقل وغرائز الحيوانات . فإذا كان الضوء استعارته من عالم السماء فهي الى استعارة العقول والغرائز  
أحوج من عالم أल्प من عالمنا

فهذان برهاتان قطعان يثبتان عالم الأرواح الثابتة ويرفعان هذا الانسان من الحضيض الذي وقع فيه  
واذن لا يرد على هذين البرهاتين ما أورده أرسطاطاليس على أفلاطون ويبقى هذان سليمين من الطعن .  
وإذا كانا أثبت من برهان أفلاطون فهما من برهان ( كنت الألماني ) أكثر متانة وقبولا . واذن ظهر معنى  
قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - الخ . وثبت بالبرهان العقلي الركن المهم في علم الأخلاق وهو بقاء  
الأرواح ووجود الله تعالى . وذلك ان هذه النفوس الأرضية متى ثبت اتصالها بعوالم روحية تناسبها فانا نقول  
هذه العقول الروحية لا بد من اجتماعها كلها بوجود أعظم منها ولا بد أن يكون واحدا كما ان أضواء الشمس  
مهما تكاثرت عددها فلها منبع واحد

وههنا تسقط تلك المذاهب المادية لأوّل وهلة وتقول لأمثال الاستاذ (كارل غلث) القائل : « إن المخ يفرز الفكر بعين الطريقة التي يفرزها الكبد الصفراء والكلى البول »  
 لقد أخطأت المرمى ولم تصب المحز ، لقد نسيت أن المخ عضو الاحساس الأعلى والأعضاء الحساسة لها أحكام غير أعضاء التغذية ، ذلك ان أعضاء الحس متصلة بعوالم خارجية وهذا عضو في داخل البدن . ثم قول له ولأمثاله : « نحن لانكذبكم لأنكم أشبه بحاسة الحس فأحكامكم موجهة الى الدرجة التي وقفتم عندها والرجل الأصم الأعمى ينكر الصوت والضوء »  
 إذن ظهر أن فلاسفة الأمم كل يقول ما وصل اليه عقله لا غير ، وعلى الحكماء في الاسلام أن يدرسوا هذه العقول في هذه الأمم ويستخرجوا الزبد ليرفعوا هذه الانسانية المسكينة  
 فقالت : لقد أحصت كل الاحسان وأجدت كل الاجادة وبهذا ثبت البرهان على أساس متين ، فشكرتها . والى هنا تم الكلام على الوجه الأول وهو معرفة الانسان من جهة الحواس وما يتعلق بها وبه نبتت المعرفة النظرية ، وهذا المقام سيزيد إيضاحا في (سورة محمد) ﷺ عند قوله تعالى - فاعلم أنه لإله إلا الله - في الرسالة التي سميتها «مرآة الفلسفة»

### الوجه الثاني

البحث في الانسان من جهة عواطفه وشعوره

وههنا أقول : قد تبين بالوجه الأول أن حواس الانسان وعقله أشبه بمدرسة يتعلم فيها الناس الارتقاء في الأحوال والسعادات ، فن وقف عند الطعام والشراب وحب المال فهو من الطراز الأدنى لأنه لم يجاوز حاسة الطعام . ونرى الناس يسارعون الى السفر برا وبحرا ، لماذا يهجرون الأوطان ويتجشمون المشاق ؟ ليطلعوا على عجائب الأمم والبر والبحر ، وآخرون يتكون الفراش الوثير والطعام اللذيذ والروائح العطرة في سباتينهم ودورهم ويترددون على دور الصور المتحركة ومحال الفناء مفضلين لذة البصر والسمع على لذات الحس والشتم والدوق . إذن المحسوس كلما كان ألطف كان أشرف وألذ . إذن المحسوسات بالعقل ألطف المحسوسات وأشدّها وأشرفها ، فن قصر في فهمها ولم يشتق الى ذلك العالم الأعلى فهو غيبي لم يدرس نفسه بهذا وبهذا وحده يفهم النوع الانساني كله أن الآخرة والأولى ندرسهما من أحوال أجسامنا ، وهذا من سرّ قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وهذا الذي عرفناه في الوجه الأول تبعه بما وعدنا به في الوجه الثاني فنقول :

إن الطفل بعد ولادته نراه لا يعرف إلا نفسه ، ويظن أن كل من حوله مسخرون له ، ثم يأخذ جسمه في النماء وشعوره وادراكه في الازدياد . فاذا تكامل شعوره وتمّ نماءه أدرك أن له أمّا وأبا واخوة ومدينة وأن عليه حقوقا وواجبات فيكون له ذرية وتلاميذ وعشيرة وأمة ، ويحس في نفسه بحب لهم غريب ، وكلما ازداد عقلا ازداد شعورا بحب الناس حتى ان الفلاسفة والحكماء بعد الأنبياء أحبّ بنى آدم للناس بحبون لهم الحبيب على مقدار علمهم . وعلى مقدار ازدياد العلم يزداد الحب . وعلى مقدار النقص يكون نقص الحب للناس . ونرى هناك تناسبا عجيبا بين الأم نحو أبنائها وبين النبي والحكيم نحو أمتهم . فهذه تحنو على طفلها وتسهر عليه وتعطي للطيب ما تملكه من مال وما عندها من حلى ولاتنام ولاتأكل ويلحقها الضنى وتبيت على الطوى مع انها قد تكون شابة فتية جميلة . ولولا هذا الطفل لأخذت زينتها وتبرجت بحلها ولكن الرحمة الآخذة بمؤاذاها قهرتها وأخضعتها لهذا الطفل . ومحبو الأمم من الحكماء يعطفون عليهم هذا العطف عينه . وهكذا القواد الصادقون يقدون أوطانهم بأنفسهم . ونرى العالم يزهد في لذته العيش ويبيت ليله ساهرا ونهاره عاملا

ليفرح باسعادته ورفقاً بأبنائها ونجاحهم وفلاحهم . ولقد كنت في أول زمان شباني أقول في نفسي « أتخني أن  
أقف على الحقائق وأكون مجهولاً لا يعرفني أحد ويكون ذلك مسرة لي » . ولما صارت سني أربعين سنة  
فأكثر كنت أتخني لواني جلست في مكان وسمعت الأمة حولي فرحة قد أقامت الأفراح لاتصالها وارتقاها  
وأنا جالس لا يملعون مكاني وتكون غاية أمني أن أعلم ذلك وأستد به وإن كانوا لا يملعون

وعلى هذا الذي ذكرناه الآن تعرض آراء الفلاسفة . فإذا سمعنا (كارليل) يقول : « إن الانسان  
يعرف قيمة الخير والشر بمجرد الإلهام والشعور بدون حاجة الى تمرين » . فذلك ظاهر في حال المرأة إذ تربي  
طفلاً وفي حال الحكماء وعظماء الرجال . وما من رجل أو امرأة إلا وعنده أثر من هذه الفرزة قليلاً أو كثيراً  
فيقل في الجهلاء ويكثر في العلماء غالباً . فإذا رأينا (كارنزي) و(مل) و(بين) يقولون ذلك إنما يكون  
بالتجربة والتمرين فنقول : نعم إن معاشر الكرماء وقراءة تواريتهم وما أشبه ذلك وكذلك تعود على  
الكرم . كل ذلك يزيد فيما تصف به الانسان بظفرته وهكذا بقية الأخلاق

وإذا قيل إن المقصد من الأخلاق هو سعادة الانسان نفسه وهي الاثرة كما يقول (ماكس سترنوتش) و  
قلنا لاغرابة في ذلك ، وهذا حق لأن الطفل هذا شأنه ، ولكن المرأة تفدى طفلها بنفسها والحكيم والقائد  
كذلك . إذن هذان نظرا نظرا جزئياً كما تقول لأمثال (كارل نغت) القائل فيما تقدم : « إن المخ يفرز  
المعقولات كما تفرز الكبد الصفراء والسكوية البول » . إنك صادق بحسب ما وصل اليه عقلك وعقلك لم يترق عما  
نلعه الأيدي بحاسة اللس ولو كنت مبصراً أوسمياً لعلمت ما علمنا . فأمثال (ماكس سترنوتش) نظروا  
نظراً صلباً في أول حياته يرى أن الناس مسخرون له

له حق وليس عليه حق » ومهما قال فالحسن الجليل

هذه هي أخلاق الانسانية وآراؤها ذكرنا نموذجاً لتحليل قضاياها العلمية والعملية ورددنا كل رأي الى  
مقره ، فأراء العلماء في هذه الأرض أكثرها راجعات لأحوال خاصة . أما النظر العام فهو الذي يكون على  
نسق ما بيناه « وما كل مصقول الحديد يماني »

وإذا قيل : « إن السائق لساوكتنا في أعمالنا هو الخوف من التعبير والدم أوجبنا مدح الناس فذلك  
قص . وإذا كان الخوف من الله أو الرغبة في ثواب الآخرة فهو أكمل ولكنه ليس في المرتبة العليا . أما  
إذا كان العمل لأحد أمرين إما لحب العمل نفسه مع النية من حيث انه جميل ومحجوب ونافع كأدائك الدين  
يفدون الوطن بأرواحهم ، فهؤلاء يجدون في هذا الاقدام سعادة ، فهنا اجتمعت سعادة الناس مع سعادة  
الانسان نفسه . والمرأة التي تسهر ليلاً على ابنها ترى في ذلك انها عملت واجبا أرضاها ولا ترضى به بديلاً . وأما  
لحب الله وطاعته بدون نظري ثواب أو خوف من عقاب . فهذا العامل هو الذي يكون كأنه في جنة عرضها  
السموات والأرض لأنه في كل حين يكون مستحضراً ذلك المقام الأقدس فرحاً به في غدوه ورواحه لا يبالي  
بالمستقبل بل يفرح بأنه قائم بواجب في حضرة ربه ويكون إذ ذاك كأنه بين يدي الله تعالى وتحدثه نفسه أن  
رب الدنيا هو نفسه رب الآخرة . ومثل هذه النفس تبجل لها السعادة في الحياة الدنيا فتكون الأعمال  
بمزوجة بالسعادة . وهذا الفريق موجود في الأرض الآن ولكنهم مجهولون ، يحسون أن الله ناظر اليهم ،  
وإذا رفقوا في العراء ظنوا انه أغرى النجوم الثاقبات لتبخر الأرض فذكرهم بحاله فيكونون حالاً في حضرة  
وان كانوا في أجسامهم الظلمانية . فإسالكون للخوف عبيد مسخرون وإسالكون للحب هم المقربون  
هذا تحقيق المقام . كل ذلك وهي صامتة لا تبدي حراكاً

فلما آتمت هذا المقال . قالت : لقد أجدت ووفيت المقام حقه على قدر ما يسمعه ، وقد أذن الله بظهورها  
في هذا الزمان لأن الأمم منذ أكثر من عشرين قرناً لم تكن تستعد لها . أما الآن فان الانسانية أخذت  
تقترب والعقول أخذت تنقيظ . وأنت من المهديين لرقبها والمهدين لاسعادها . ثم قالت : استودعك الله .

ووضعت يدها على صدرى وقرأت كلمات فلم أحسن بشدة ألم لفراقها . ثم غادرت المكان وأنا لا أزال في عالم الخيال ، وهناك استيقظت فألفيتني في مكاني لم أبرحه ، وقضيت العجب مما رأيت ، وكتبته ليلة أول ديسمبر سنة ١٩٣٠ م

وفي صباح يوم الاثنين أول ديسمبر حضر صاحبي الذي اعتاد أن يباحثني في هذا التفسير واطلع على ما كتبته . فقال : حيا الله هذه الروح التي ساعدتك على إبراز هذه المعاني ، فلقد حوت كل ما يعوزنا من الحكمة ، فهأى ذهجت آراء علماء اليونان وعلماء أوروبا وبها أدركنا ما وصل إليه فلاسفة العالم أجمع في قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - وبهذا فهمنا معنى ماورد « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا »

فإذا كانت هاتان كلمتان لم نفهمهما إلا بعد أن درسنا آراء أفلاطون مع سقراط ثم أرسطاطاليس ووجدنا الآخر يعول على المادة في العلم والأخلاق ، ولكنني أسألك في معنى السعادة عند أرسطاطاليس . فلذا كان هولم يسلم بنظرية العالم المجرّد وخالفه الاستاذ (كنت) الألمانيّ بعض المخالفة إذ أثبت الثاني العقل المجرّد ورتبه على أن قانون الأخلاق والسلوك يؤدي في نتيجته إلى أن هناك عقلا مجردا لينال جزءه جزءا وفاقا ، فهل يكتفي الأول في السعادة بمجرد عمل الواجب واللذة العقلية به . قلت . كلا . ان أرسطاطاليس يقول : « إن السعادة يلحظ فيها جانب الأهل والأصحاب حتى جال الانسان نفسه » . فالسعادة عنده رأسها سلامة العقل ووفور الحكمة . ويداها ورجلاها الزوجة والولد والأصحاب والمال

وقد قررت ذلك الامام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الاحياء وفصل السعادة الى ستة عشر نوعا وجعل للعقل أربعة وللأصحاب والولد والأهل أربعة وللأمور الخارجة عن هذا كله أربعة كالتوفيق والتأييد وما أشبه ذلك . ولاجزم أن ذلك يرجع إلى رأي أرسطاطاليس . فقال : وما الرأي في هذا ؟ فقلت : إن الرأي عند الفلاسفة قد قتمته وهو أن الفكرة العاتمة الايثار وأن يجعل المرء نصب عينيه إسعاد المجموع . فأما هذه الأقسام التي زادها هو على السعادة النفسية وتبعه الامام الغزالي فيها فهي صالحة للسعادة والشقاء . فالولد والمال والأصحاب . كل هذه صالحات لخير الانسان وشره وهي تعين على عمل البر كما تعين على عمل الشر . إذن هذه آلات صالحة للسعادة فتزيدها وصالحة للشقاوة فتزيدها . وخبر من أفصح عن ذلك هو (لغز قابس) الذي لخصناه في مواضع من هذا التفسير . وعلى ذلك لا تصلح هذه الخبرات الأرضية للفرح بها . وكيف يفرح الانسان بها وهي معرضة للزوال فيكون الحزن والحزن شر وهذا سرّ قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين - لأن الفرح يدل على قلة المعرفة بالحقائق . وهذا هو السبيل الذي انتقد بسببه بعض فلاسفة أوروبا الأخلاق عند أرسطاطاليس ، فنجد أن (بارتلمي) الذي تقدم ذكره في صحيفة (٩٨) من المقدمة التي ذكرها في النسخة المترجمة يقول : « اني أضع أخلاق أرسطو مع ما بها من عظم في مقام أنزل بثبث من أخلاق أفلاطون وسقراط . وان (بروك) أقسى منا في حكمه إذ يرى أن أخلاق أرسطو إنما جرّه إليها مظهر معيات الملوك التي عاش فيها وليس صالحا إلا إلى تكوين بطانة تهمهم ثروتهم أكثر مما تهمهم سعادتهم ، وأمرأه كالاسكندر أشغف بالمجد منهم بالفضيلة » اه

وأقول أنا : فما ذكره الامام الغزالي في الاحياء نابعا أرسطاطاليس قد لطفه هو في الاحياء كثيرا واضطر لذلك فيه لأن فلسفة أرسطاطاليس هي الشائعة إذ ذاك . ثم ان أرسطو كما تقدم جعل العلم ليس راجعا إلا إلى المادة لآلى المثل الأفلاطونية . وقد تقدم شرحه مرارا . وهذان سببان فيما تقدم من أن روافئيل المصور صوروه في الفاتيكان مشيرا إلى الأرض كما صور سقراط مشيرا إلى السماء . إذن أرسطو كما أنزل العلم النظري إلى عالم المادة وجعله مرتبطا به هكذا جعل السعادة في الأخلاق لها ارتباط بالمادة

وأذكرك أيها النبي بما كتبت في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - الخ فهناك ترى ملخص (لغز قابس) اليوناني الذي عاش في زمن سقراط قبل أرسطاطاليس بزمان ، وكان ذلك في نحو القرن الخامس قبل الميلاد ويقرب منه من حيث هذا المعنى كتاب « الكوخ الهندي » المؤلف في القرون الأخيرة بالفرنسية وقد لخصته سابقا في هذا التفسير . فقال : « أي الفريقين يؤدي القرآن ؟ فريق القائلين بأن السعادة مادية ، أم القائلون بأنها معنوية ؟ قلت : الفريق الثاني . فقال ماديليك ؟ قلت : - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - ، فقوله - ويؤثرون - الخ هو عين ما يقوله علماء الفرنجة فيما تقدم (التضحية) . ومن هذا القبيل الجهاد في سبيل الله ومنه - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم - الخ وكيف يكون المال والولد سعادة ( كما يقوله أرسطاطاليس ) في القرآن والله يقول - ولانتهبكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون - فإذا كان المال والولد عذابا كما في القرآن وفي صريح قول سقراط وقابس فكيف يكون سعادة ؟ فقال بالهيب إن حكم القرآن وأسراره هي نفس آراء أعظم الفلاسفة . وهنا أود أن سمحت أن أسألك في معنى بقية الآية فإن ما تقدم كله في معنى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ لأن النظريات العلمية ترجع لقوله تعالى - قالوا ربنا الله - والنظريات الخلقية كقضية أرسطاطاليس وكنت وغيرهما ترجع الى - ثم استقاموا - فما معنى قوله تعالى - تنزل عليهم الملائكة الأتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون \* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تقدمون بها من غفور رحيم - قلت : هذا المعنى تقدم في أول هذه المقالات . الأثرى الى ما يقوله حكاء الأمم قبل الاسلام وبعده وقد قلناه قريبا والمنقول عن علماء الصوفية بحر لا ساحل له في مساعدة الله تعالى للصالحين والمسلمون قد برعوا في هذا والسبب في تلك المساعدة والمدد طوؤا الصالحين انهم متى صلحت أعمالهم ، واستنارت عقولهم ، وعرفوا أن نفوسهم متصلة بعوالم مجردة غير مادية صاروا أقرب اليها وأصبحت عند عقولهم قريبة كقرب المادة من أجسامهم ، فهناك يحسون بالهام وبتحباب وبشائر ، ولا يعرف هذا إلا هم ، أما غيرهم فانهم محرومون من ذلك ، فثلمهم كمثل أكثر النوع الانساني من حيث مشاهدة الجمال ، فالجمال هو لهم ولكنهم لا يفرحون به لأنهم محجوبون عن جمال النجوم والشجر والأنهار والبحار والأزهار ، ذلك لأنهم من يوم أن أتوا الى الأرض لم يسمعوا عن سعادة إلا سعادة المال والسلطان ولم تفتح لهم أبواب سعادة الجمال ، فأغلب النوع الانساني محرومون من هذا الجمال والاحساس به مع انهم يرونه بعيونهم وهم محرومون منه . ولا ريب أن المحسوسات بالحواس أقرب الى عقول الجمهور . فإذا كان الأقرب لعقولهم وهو الجمال لم يدركوه ولم يعدوا به فكيف بما هو أبعد من حواسهم وان قرب من عقولهم وهو عالم الالهام والبشارة في عوالم عقلية متصلات بعقولهم وهذه العوالم صلة بينهم وبين ربهم . فهؤلاء هم المحجوبون بسبب أن أبواب عقولهم أقفلت بينهم وبين الأرواح العالية . فإذا أحسوا بالهام أوروا رؤيا فرأوها صباحا مثل فلق الصبح ثم رأوا مثلها مراهرا وتكرارا فانهم يقولون هذه مصادقات . وإذا أغشوا في حال الضيق أو ألهموا أمرا نافعا فانهم قلما يكتثرون له ويقولون هذه مصادقات وهم يجهلون انهم مغمورون في رحمة الله وهو قريب منهم وهذه علامات قر به ولكن استعدادهم الناقص حجبهم عن ربهم فلم تفتح لهم أبواب السماء . وهذا الباب يفتح للعامة بطريق الذكر والتقوى وللخاصة بذلك وبالتفكير والعلم

واعلم أن كثيرا من قرءاء هذا التفسير سيفتح لهم هذا الباب وهم المتوسطون في الفهم الذين لهم صفاء به يدركون البرهان الذي فتح الله به علينا فان أحدهم يجلس وقد أغمض عينيه وفكر فبرى أن روحه لطيفة

متصلة بعالم روحى تستمد منه . وهنالك يحس أحدهم بأنه فى عالم قدسى . وهؤلاء هم الفريق الذى ورد فيه الحديث « اعبد الله كأنك تراه الخ » فهذا باب من أبواب كأنك تراه . وهذه من أعظم درجات الناس فى الدنيا . فنحن لانرى الله بعين البصرة ولكن بهذا البرهان نراه بالبصيرة . وهناك درجة أقل من هذه وهى أن نعبد الله ونعلم أنه هو يرانا . وهذه درجة أقل من تلك لأنى اذا كنت ألحظ الله وجاله فى نفسى وفى كل ما هو حولى فان ذلك أشرف من أن أكون عبد سوء فأعبده خوفا من ناره أو طمعا فى جنته وتكون عبادتى مبنية على تلك الأسباب مرتقبا منه لزاحة ناره عنى أو أن يدخلنى جنته . وغير من هذا أن أكون كأنى أراه فى الحياة فإذا مت فأتى أراه بعد موتى ورؤيتى له فى الآخرة أجل من الجنة وهو المعبر عنه بقوله تعالى - ولدىنا مزيد - والقول فيه - وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة -

ولما وصلت الى هنا فت وتوضأت وسجدت لله شكرا على نعمة العلم فى هذا المقام وصاحي يشاهد ذلك فقال : لقد شرحت صدرى ، وصرت موقنا لإيقانا تاما ، وأصبح المسور مبسورا ، والمجهول معلوما ، وعلمت أنا ما لم أكن ولا كثير من أمثالى نعم وكان فضل الله علينا كثيرا . فقلت : الحمد لله رب العالمين

### تذكرة

إنى غادرت القاهرة وتوجهت الى مزرعتنا بالمرج يوم الاثنين أول ديسمبر سنة ١٩٣٠ م وسرت على قدمى نحو أربع ساعات لمجرد الرياضة ، وهنالك خطرت لى هذه الخواطر فكتبتها يوم الثلاثاء ٢ منه وهى :

### نواضر الجواهر ، لنفائس العرائس

فى خلاصة ما تقدم هنا من الحكمة العلمية والعملية

ذلك إنما مثل النفس الانسانية مع حواسها كمثل الشمس مع سياراتها ، فكما أن للشمس سيارات على كرجل والمشتري تدور حولها ، وسيارات سفلى كالزهرة وعطارد ، هكذا للنفس مدركات عليا كالعقل والعين ومدركات سفلى كاللمس والذوق ، وباعتبار آخر ان المدركات ( ثلاثة أقسام ) قسم أعلى كالعقل . وأوسط كالعين . وأدنى كبقية الحواس ، فباعتبار التقسيم الأول كان الفلاسفة على قسمين : قسم أقرب الى المادة وهم المادويون ، وقسم هم أقرب الى العقل وهم الروحيون ، وكل لم يقل إلا ما وصل اليه جته واجتهاده لأقل ولا أكثر ، فالمدويون أشبه بالصم العمى لم يعرفوا إلا ما تلمسه أيديهم ويشمونهم ويدوقونه ، والآخرون لهم عيون ولهم عقول . والصورة التى رسمها روثايل فى الفاتيكان مظهر لذلك التقسيم . فأرسطو القسّم الأرضى وسقراط للقسّم السماوى . وباعتبار التقسيم الثانى يكون أفلاطون كالعقل والاساذ كنت كالبصر وأرسطو كالحواس الملابسة لعالم المادة . ذلك ان برهان الأول فى إثبات وجود الله وخلود الروح أرقى من برهان الثانى وبرهان الثانى لا يحتمل المصادمة لأنه علقه على قوانين الأخلاق وأن من الناس من لا ينالون بكافآت فى الحياة فلاجرم تكون للناس حياة أخرى وإله يجزى بالعدل . وبرهان أفلاطون رجع الى الشمس وما خلقه الله بسببها وهدايتها للحيوان وأن ذلك يقاس عليه وجود الله ووجود عالم المثال

وهذا هو خلاصة عقول الناس منذ (٢٥) قرنا ، فأولم أفلاطون مع سقراط ، وهذا هو برهانه الذى نبذه أرسطو وعول على المادة والصورة فى برهانه تغلفه تلاميذه ، فأخذت الانسانية كلها تتخبط الى وقتنا هذا فكان الرواقية والأبيقورية قبل الميلاد ، فالرواقية وقعوا فى الحلول ، والايبيقورية قالوا بالذنة الروحية بالفلسفة . وتعالى الرواقية فى الفناء وفى البحث عن كشف ما وراء الحس

فأما بعد الميلاد فقد نشأت الفرق الثلاث . الاسكندرية والأثينية والسورية . وأشهرهم أفلوطين وشيخه بمدينة الاسكندرية وهؤلاء هم الأفلاطونية الحديثة

ثم انتقلت الفلسفة الى الأمم الاسلامية والأمم الاوروبية ولم يظهر بعد الرواقيين في الأخلاق عند أوروبا إلا الاستاذ (كنت)

هذه خلاصة الأمم تجلت وانحنت جليلة ، وقد عرفت أهم آراء هذه الأمم كلها ، وعرفت براهينهم بغاية

الجلال والوضوح

أما تفسير الجواهر فقد أتى يرهانين (الأول) المدركات كلها مغموسة مغمورة ومتصلة بعوالم تناسبها ، وهذه العوالم تكون أعظم وألطف وأجمل وأوسع كلما كانت أرق ، فاذا وصلنا من أدنى الحواس الى أعلاها وهي الخمس ووجدنا هذه القاعدة مطردة فمن الجهل ومن البله ومن الحق أن نحرم المدرك السادس وهو أعلاها بل سيدها على هذه المزية وأن يكون متصلا بعالم يشاكله ويكون أعظم وألطف وأجمل وأوسع من العالم المتصل بالمدرك الذي يليه مباشرة وهو العين . وهذا البرهان حديث النشأة لم يذكره أحد من هؤلاء الفلاسفة ، ولن يرد عليه أى اعتراض مما ورد على الاستاذ (كنت) ولا مما ورد على أفلاطون وسقراط ، واذن تستأنف الانسانية اليوم دورا جديدا في العلم والحكمة بعد هذا البرهان (البرهان الثاني) يساوى البرهان الأول في القوة ان لم يكن أقوى منه ، وذلك أن قول ان الأرض محجرت عن إيجاد حرارة بها تثير البخار من البصر وتثير الرياح فيكون مطر من السحاب المحمول بالرياح ، ومحجرت أيضا عن ضوء يساعد النبات على التغذية والحيوان على الاهتداء في جناح الأرض ومسالكها والانتفاع بالحياة فيها ، ونجدها استعارت الحرارة واستعارت الضوء من الشمس ، فاننا نجد الحيوان لا يرى غذاءه ولا يميز عدوه من حبيبه إلا بالضوء ، وزرى المطر والرياح لا يكونان إلا بحرارة باعثة ، وزرى أوراق النبات لا تجذب غذاءها من المواد الغذائية في الهواء إلا بمساعدة ضوء الشمس لها (انظر ما تقدم في سورة يس عند آية - سبحانه الذى خلق الأزواج كلها - الخ فهناك ترى الأوراق مرسومة مشروحة وتفهم ذلك هناك فهما تماما)

فاذا رأينا أرضنا محجرت عن إمداد أبنائها بالحرارة والضوء واحتلجت الى الشمس في ذلك فهمى عن إمداد ما يكون عليها من حيوان بالادراك والفرايز والعواطف والعقول أولى ، ومن محجرت عما هو أسهل وهو المحسوس بحواسنا من الحرارة والضوء فهو عما فوق ذلك مما تدرك عقولنا أشد محجرا . فثبت بهذا البرهان أن المادة لا تقوى على إحداث نفس أو عقل أو فرزة أو شعور في الحيوان لأننا وجدناها قد أظهرت محجرتها ولم تسعنا بما هو أسهل وأقل عنا.

فهذان البرهانان اللذان وضحا تماما بهما طاحت تلك المذاهب البائدة وبهما تخرج هذه الانسانية من خطل الرأى والاعتزاز بالألقاب الفخمة العريضة الطويلة التى يفتر بها الأحداث في المدارس فيظنون بمهون بسبب سوء التقليد بلا عقل ولا هدى ولا كتاب منير

هذا هو نهاية الكلام على الحكمة العلمية . وبما يلحق بهذا مسألة الحررية وهل نحن أحرار في أفعالنا واذا لم نكن أحرار فم العقاب ! واذا كنا أحرار فأي ن هي تلك الحررية ! فأفلاطون أجمل في هذا ، وآخرون استدلوا على وجودها بما اتفق عليه العقلاء من التمييز في العقاب بين العاقل وغير العاقل وهكذا فضل ذلك على أن هناك حرية تتمتع بها ولا أطيل في هذا الآن

### الحكمة العملية

ملخص ما تقدم

(أولا) إن في الانسان إلهاما يميزه بين الحسن والقبيح في الأعمال كما يميز بين الجليل وغير الجليل في الأجسام والتجربة تعين الانسان على ذلك

(ثانياً) إن غاية سلوكنا إما أن يكون نفعنا الخاص بنا وهي الآثرة ولما أن يكون النفع العام  
 (ثالثاً) ما الذي يحمينا الى تلك الأخلاق ؟ أهو صوت باطنى فى نفوسنا أم هو أمر خارجى كالخوف من  
 الله أو من الناس ، أو حب المنح ، أو حصول الثواب

هذه آراء الأئم ، أما ما جاء فى تفسير الجواهر فهو أننا كما فعلنا فى القسم النظرى إذ عولنا على النظر فى  
 المدرجات الست للانسان هكذا فعلنا فى القسم العملى الخلقى وقلنا لننظر الفرق بين طفل يستخدم جميع مواهبه  
 فى الاستعانة بما حوله وبين حكيم وعجب لوطنه وأم ترضع ولدها وأب ينفق عليه ، فهؤلاء فى النروة العليا من  
 العطف والاشفاق والرحمة والايثار وذلك فى السرك الأسفل فى الحياة ، وطى ذلك يزول خلاف الفلاسفة لإجمالاً  
 فن قال لا أعمل إلا لنفسى قلنا له : هأنت ذا عرفت درجتك ، فأنت إما طفل ، وإما صبى ، وإما مرهق ،  
 والناس درجات لا حصر لها كدرجات الانسان فى حياته ، فهذا المثال لا يفرمذها إلا دخل فيه ، فن قال  
 بالهداية الثانية فهى مشاهدة ، ومن قال بالتجربة فكذلك ، ومن قال أخدم المجموع . فهأهى ذه الأم مع  
 ولدها وهكذا فلثال واضح جلى . وقيمة الفلاسفة تختلف باختلاف معارفهم . وأذ كياه قراء هذا التفسير هم  
 الذين يكونون شهداء على الناس . ذلك لأنهم يقرؤن علوم الأئم لكنهم هم الذين يحكمون على الفلاسفة  
 بمقوهم على منوال ما جاء هنا فى تفسير الجواهر . أما ترك هذه الانسانية تتخطى فى ديجور الظلام فهذا لا يجوز  
 ولا يصح ونحن خلفاء الله فى أرضه

### ( جمال العلم فى الحكمة العلمية والحكمة العملية )

أقد ضربنا المثل بالانسان فى الحكمة العلمية والحكمة العملية ورأينا أن قوته العقلية كما تتخذ الحواس  
 الخمس آلات لها فى اكتساب المعارف الجزئية تستمد من العالم العقلى الكليات والكليات هى العلوم الحقيقية  
 أما مدارك الحواس فهى قليلة جزئية ويعتبرها الخطأ فان العين قد ترى الكبير صغيراً كالشمس . وترى الصغير  
 كبيراً كالأصبع فى الماء . وكم للحواس من خدع ولا يصلح تلك إلا العقل السليم  
 إذن كل ما عندنا من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها مستمد من عالم عقلى وهو مستمد من المبدأ الأعلى  
 الفيض القدسى كما تشرق الشمس بأنوارها على أرضنا وعلى السيارات الأخرى . فهكذا فى أخلاقنا وأعمالنا  
 وشعورنا وعواطفنا نقول ما قلناه فى القسم النظرى : « اذا عجزت المادة عن أن تمد الأجسام بالحرارة  
 والعيون بالضوء ، فما أشد عجزها وأضعف قوتها وما أوهى حيلتها فى إلهام الأم حب ولدها والهايم الاستاذ حب  
 ارتقاء تلميذه وشوق نفوس الحكماء الى التاكيف للأجيال المقبلة التى لم يروها ولن يروها ، فن أين أنت محبات  
 الأقارب والأصدقاء والأزواج والنربية ؟ بل من أين أنت هذه الشهوات الطالبات ملابس وأغذية وأزواجاً  
 وذرية ومساكن وملكا عظيماً ، ومن أين أنت هذه البواعث الشديدة فى نفوسنا من المحافظة على العرض  
 والشرف والنجدة وحياة التمار ، فاذا قلنا ان ذلك من نفس المادة التى خلقت هى فيها ، وأن تلك العواطف  
 والحب والغرام والشوق كلها ناجت من نفس الطبيعة يكذبه أن هذه الطبيعة الميتة عجزت عن إحداث الحرارة  
 اللازمة لها وعن إحداث الضوء وبالأولى عجزت عن إحداث عقل وإدراك ، فهكذا هى أشد عجزاً عن إثارة  
 الحب والغرام والعواطف والشهوات

فتبت إذن أنه كما ان الحرارة تثير البخار من البحار وتثير الرياح ويحمل الأخير الأول فيكون مطر  
 ويحدث نبات وحيوان هكذا هناك فينا شهوة فى مقابلة الماء وغضب فى مقابلة الرياح ، وهناك لهث من أعلى  
 لامن الطبيعة يثير أنواع الشهوات لتغذى ونلد ونلبس ونسكن ، ويثير الهمة فى الحفاظ على الشرف والمال  
 والعرض ، وهذا الباعث المسلط على نفوسنا آت من العالم الأعلى كما ان الإدراك فى القسم النظرى صدر منه ،  
 فصدور هذا الباعث هنا من العالم الأعلى القدسى فى مقابلة صدور الحرارة من الشمس فى العالم الهيسى والضوء



وإثارة السحاب والرياح ثم هداية الحيوان على الأرض ، ونتيجة ذلك كله البهجة والجمال والحسن والكمال  
 فإذا جلست أيها الذي في خلوتك وفكرت في نفسك وأقنت أن عقلك وجميع علومك لها اتصال بعالم  
 عقلي أنت فرع منه وهذا العالم العقلي أوسع من عالم النور وهو مستمد من الله ، فهناك محس - بأنك في عالم  
 جميل بهيج ، وإذا لم تنهج بذلك ففكر حالا في جمال النجوم ليلا والشجر والزهر والأنهار نهارا وهكذا ترجع  
 الى ما أهدمت من عواطف ، وما منعت من شرف وحجاسة وعفة وكمال وحب عام لرقى نوع الانسان ورقى  
 أهلك وعشيرتك . وقد علمت أن هذه إن هي إلا قبس من ذلك الفضل العميم والحب الأعلى والاحسان  
 الكامل وأن إحسانك وحبك وعطفك كل ذلك مقتبس من العالم القدسي وأن العوالم التي يستمد منها عقلك  
 هي نفسها التي تستمد منها عواطفك الحب والاحسان والرفق والغرام بالنفع العام . فترى نفسك إذن كأنك  
 عالم صغير وتفرح بأن لك صلة بجمال لاحد له وكمال لانهاية له . فترقب الموت ارتقاب الفرح بالكمال القبل على  
 سعادة لانهاية لها . ولن يتم لك ذلك الحب والغرام إلا باطالة التفكير والبحث وتصفية النفس وكثرة الصيام  
 والقيام . هذا هو سر هذا الانسان . وهذه هي سعادته . وهذه هي النفس المطمئنة التي توديت فقيل لها  
 - يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي -

### خطاب الله عز وجل شكره له

لك الحمد اللهم على الاطعام والانعام والحكمة والجمال ونعمة العلم والنور . علمتنا وأثرت بشارنا فنحن  
 نعلن شكرنا وننتي عليك الثناء كله . أرىنا آياتك في الآفاق وفي أنفسنا . نظرنا في قوسنا وفي الآفاق فألفينا :

(١) أولا صورا جميلة في الكواكب وفي الزروع والشجر والنهر والقمر وفي المعادن والحيوان وفي الانسان  
 وجمال وجهه في محاسن الخدين والعينين والأنف والقدم

(٢) ثانيا أثرت في أنفسنا شهوات لا قوام لحياتنا إلا بها . وهل نعيش إلا بالطعام والشراب واللباس  
 والمسكن . وهل نحافظ على هذه الهياكل الجسمية إلا بحفاظ يحفظها وهي القوة الغضبية التي بها  
 ندافع الأعداء من الخارج ونهذب أنفسنا من الداخل ولا نفرط في حقوق الجسم والحفاظة عليه  
 بإثارة الحية لأجل حب البقاء

(٣) ثالثا جعلت لنا عقلا ينظم القوتين السابقتين فهو يتراسهما ومعلمهما ومهندسهما ومنظمهما  
 ولما عز علينا فهم تلك الدقائق ومعرفة تلك القوى العاملة فينا أرىنا ما في الآفاق فعرفنا الحقائق . أرىنا  
 الماء وأرىنا الهواء ومنهما تثير الحرارة البخار وترجي الرياح ويحمل الريح الماء على منته ويسوقه الى الأرض  
 البعيدة مرغما لسقي الأرض فيكون النبات والحيوان ، فيكون الضوء مساعدا على تغذية النبات أولا وعلى  
 هداية الحيوان ثانيا

فهما علمان : عالم حامل ، وعالم محمول أثارتهما الحرارة وجاء دور الضوء فكان الغذاء لتمام الاشكال  
 وللهداية للسبل

فلما نظرنا في هذه الحرارة وفي هذا الضوء وجدناهما جاءا من عالم الأثير بسبب الشمس وعالم الأثير وسط  
 بين عالم المادة وعالم الأرواح . والضوء في هذا العالم الوسط يجرى بسرعة هائلة بحيث يدور حول الأرض نحو ٧  
 مرات في ثانية واحدة . هذا هو العالم الوسط بين المادة وبين الروح الذي أثار الماء وأثار الهواء ونظم الغذاء  
 والهداية في جناح الأرض . والأرض لا قبل لها بالحرارة ولا قبل لها بالضوء

فلتنظر فيها هو أبعد مدى من ذلك فإنا نجد أمرا عجيبا . نجد أولا قوى تبعث على الغذاء . وأخرى تحافظ  
 على هذه الهياكل داخلا وخارجا وهي الغضبية وأخرى هادبة مرشدة . وهذه تقابل الحرارة والضوء في عالم المادة

فن أين أنت هذه القوى الثلاث؟ أمن المادة أنت؟ كلا. لأنها مجزأة عن أحداث الحرارة والضوء وهما وسط بين الحسى والعقل، أجات من عالم النور الآتى من الكواكب وهو العالم المتوسط بين العالمين - كلا. فأين النور وأين العقل مثلا الذى هو أطف منه. إذن هذه القوى بريئة من المادة وهكذا القوى المنظمة للعالم الكوكبية والنباتية والحيوانية اللاتى تحدث التزييق والجمال

فهذه كلها لن تكون إلا من عالم فوق عالم النور وهو عالم الأرواح، وهذا العالم فاض من النيات القدسية كما فاض النور من جرم الشمس. إذن كل جمال فى الانسان والعوالم حوله، وكل قوة فيه علت أو سفلت فانها من عالم روى متصل بالقدس الأعلى

وبهذا فهم قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - ، فكل جمال فى شجر أو زهر أو كوكب روىه فهو قبس من العالم القدسى وهكذا قوانا الباطنية من عقلية وغذائية والقوى المحافظة على ذلك فكما نور معنوى وزرع على منافعنا من ذلك الجمال الأقدس

وهذه الأنوار الداخلة فى أجسامنا، الظاهرة فى جمال ماحولنا، وفى وجوهنا يشملها قوله تعالى - مثل نوره كشكاة فيها مصباح - . إذن يارب أنت فى علمك القديم علمت مجزنا عن أن ننظر أنوارك ثلاث أرضنا بأنوار جعلتها فى مقابلة نورك، وكل نور منها مشكاة، فعواطفنا وعلوونا وجمالنا والقوى الداخلة فينا وبهجة القمر والنجوم والأزهار كل واحدة منها كأنها مشكاة من نورك، ولكن لم نبح لنا أن ننظر نورك نفسه لأننا لا نقدر عليه غاية الأمر أننا نفكر أو ننظر جمال الشجر أو الزهر أو الوجوه الجميلة، أما وجهك فلا. أنت يارب بالنسبة لعقولنا كالشمس بالنسبة لأبصارنا، مجزأت أبصارنا عن أن ننظر إليها فهكذا مجزأت عقولنا عن أن تراك ففرحت بالمشكاة إذ لا تطبق أكثر منها، المشكاة فى أرضنا مستمدة من الشمس وعقولنا وجع الجمال الداخلى والخارج عندنا مستمد من أنوارك الجميلة

إن نبينا ﷺ رأى وهو فى حال الاحتضار ذلك الجمال والكمال والحكم والحب العام والرحمة، وغاية الجمال الذى كل جمال فى الأرض ماهو إلا مشكاة، فإذا قال؟ « قال اللهم الرفيق الأعلى »

رأك بعين بصيرته ولكننا الآن عرفنا ذلك بمجرد الفكر، نحن الآن نطبق الفكر فى هذا ولكننا لا نطبق جمال « الرفيق الأعلى » ولا أنواره إلا اذا كملت نفوسنا، إن جمال عقولنا وكمال نفوسنا أشبه بنا فنحن نطبقه، ورسولك لما رآك وقدر أن يراك فغاطبك قائلا « اللهم الرفيق الأعلى » لأنه رأى جمالا نسبت إلى جمالنا كنسبة نور الشمس إلى نور السراج فوصفك بالأعلى يعنى ونحن رفقاء ولكننا أدنى، وإنما كنا أدنى لأن علمنا وجمالنا وحلمنا وجمال صنع صناعتنا ورحمتنا لعبادك ضئيلة جدا، فيرحم أحدنا طفلا وله له ومرضا أشرف على اهلاك. ولكن لضيق الرحمة بمنذنا وضيق الحب لم نبذلها إلا لعدد محصور لأن رحمتنا محصورة وحبنا محصور على مقدار ضعف نفوسنا لأن، كلا منا مشكاة. فاذن كل منا رفيق أدنى. ولما رآك ﷺ واطلع على رحمتك وجمالك وحبك لكل مخلوق وأنت منعم على الكل ترك هؤلاء الرفقاء الضعاف واشتاق إلى الرفيق الأعلى. انتهى والحمد لله رب العالمين. كتب ليلة الخميس (٤) ديسمبر سنة ١٩٣٠ م

\*\*\*

وقبل الفراغ من هذا المقام يحسن بنا أن نختمه بما يناسب الآية التى نحن بصدد الكلام عليها وذلك ﴿ زهرتان: الأولى ﴾ فى قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - وهى الحكمة العملية ﴿ الثانية ﴾ فى قوله تعالى - ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون \* نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم - وهى الحكمة العملية. فلا شرع فى ذكرهما فأقول مستعين بالله

## زهرة تان في بستان الحكمة العملية والعملية

الزهرة الأولى في قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - وهي الحكمة العملية

جاء في جريدة الضياء بتاريخ يوم الأحد أول شعبان سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالي مانصه :

التوفيق بين العلم والدين

رأى العلامة سرجيمس جينس

إن عقولنا تتحيز للتفسير الآلى ، ويرجع بعض السبب في ذلك الى طريقة نشأتنا العادية الأولى كما يرجع السبب فيه أيضا الى أننا ننظر كل يوم الامور نسير آليا ميكانيكيا . لذا كان التفسير الميكانيكي هو التفسير الأسهل الذى لا يحتاج الى كثير عناء أو الى مجهود فكري ضئيل ، وهو علاوة على ذلك تفسير طبيعى ، ولكن اذا نظرنا الى الحالة العامة نظرة دقيقة وثاقبة غير متأثرين بنوع تربيتنا العلمية والى شعورنا الشخصى نرى أن المادة قد فشلت فشلا مروعا سواء أكان ذلك فى العلم أم فى الفلسفة ، ويوجد الآن شبه اجماع بين العلماء أن العلم يتجه نحو الحقائق غير الآلية وصار ينظر الى العالم كأنه يمثل فكرة عظيمة بعد أن كان يعتبره آلة ضخمة وابتدأ العلماء يشعرون بأن المادة ليست غريبة عن العقل ، ثم أخذوا يرحبون بالعقل ويعتبرونه منظما للادة لا يقصد بذلك عقل الانسان ولكن يقصد العقل الذى منه تمت عقول الناس إن العلم الحديث يلزمنا أن نغير موقفنا الذى اتخذناه بدون طویل بحث أو روية ، ذلك الموقف الذى كنا نجاهر فيه أن العالم مادى لا أثر للحياة فيه ولا علاقة له بالعقل ، ذلك الموقف الذى كنا فيه نعتقد أن بين المادة والعقل عداوة قائمة ، يجب أن نغير ذلك الموقف لأنه لا عداوة أو خلافا بين المادة والعقل بل هما يتفقان وذلك لأن المادة وليدة العقل وهوسببها ومن هذا يتبين أن التفسير المادى للكون قد صار قديما وأن العلم قد ارتقى فترك هذا التفسير أثره بعد عين ، و بشعر علماء النفس الآن أن فى العالم حقائق روحية ونفسية لا يمكن ادراكها إلا اذا اعتقدوا بصحة الدين وضرورته . انتهى ما أردته من الجريدة المذكورة . تمت الزهرة الأولى

### الزهرة الثانية

جاء فى كتاب اخوان الصفاء ما يأتى :

« ذكر أن رجلا من المترفين وأرباب النعم ممن قد بسط له دنياه ومكن فيها جعل أكثر جهده وكده طول عمره ليلا ونهارا فى تنعم بدنه ورفاهة جسمه ولذة عيشه واصلاح شهواته حتى لم يكن له فى طول نهاره شغل إلا دخول الحمام وخلق رأسه وتمرح بدنه أو تغيير لباسه أو تبخير ثيابه وبدنه واستنشاق طيبه أو تذلل من مجلس الى مجلس فى تجديد لذاته واصلاح شهواته حتى لم يكن يأكل ولا يشرب إلا أطيب الطعام وألذ الشراب ، ولا يلبس إلا أنعم اللباس ، ولا يقعد إلا على أوطأ المراكب وألين الفرش ، وكان لا ينام إلا على سرير معلق فى الهواء فى وسط قبة له مخافة ديب يمرضه أو غبار يصيبه ، فعاش على هذه الحال زمنا طويلا حتى شعر فى الناس بطيب عيشه ولذته شهواته ، وجعل الراضعون فى شهوات الدنيا يتمنون حاله ويخطون به فيما فيه ، ويتشبه به المترفون من أهل زمانه وأرباب النعم كل واحد بحسب امكانه واتساع حاله حتى صار قوة لطالبي اللذات فى اتباع الشهوات ، وكان مع هذه الحال كلها لم يكن يعرف شيئا من اصلاح نفسه ولا تحسين أخلاقه ، ولا تفقها فى الدين ، ولا تزودا لآخرته ، ولا تفكرا فى أمر معاده ، ولا رغبة فى علم ، ولا طلبا لأدب

ولافكرة في زوال الدنيا ولاذكرا للوت بل كان مقبلا على طلب شهواته محتقرا لأموال الناس مزريا على من  
دونه معرضا عن الفقراء مهاجرا لأهل العلم متهاونا بأمر الدين ثم أراد الله تعالى أن يذمهم من نوم غفلته ورقدة  
جهالتهم ويرى للعباد قسوته ويجعله عبرة لغيره وعظة لمن سواه فبينما هو ليلته نائم على فراشه فوق سريره معاظما  
لحييته وأبواب داره مغلقة وستوره مسبلة وحول سريره شموع تزهو وعلى أبواب داره خدمه وغلمانه مستيقظين  
إذ رأى فيما يرى النائم كأنه في بركة قفرة وحده وهو عريان جائع عطشان وبدنه مسود وشعره طويل وجسده  
ملوث برجيع ماني جوفه وعلى ظهره ثقل ثقيل وإذا هو بأسودين منكر خلقتهما طويل قامتهما وعبونهما  
تبرق ومن مناخرهما يخرج الدخان ومن شديهما تلتب النيران وبأيديهما حواب حداد وهما يقران نحوه  
ليأخذاه فلما رأى هاربا من بين أيديهما وهما يتبعانه حتى إذا أمعن في هربه إذا هو بجبل شاهق فيه  
طريق ضيق وعمر مسلكه سلكه بمشقة شديدة وعناء طويل حتى إذا انتهى إلى قلة هوى من الجانب الآخر  
في واد منكسا على رأسه حتى وقع في بئر يخرج منها دخان معتكر يأخذ بالأنفاس ولهب يشوي الوجوه  
والاسودان في أثره لا يفارقاه . فن هول ما رأى وعظم ما عاين وشدة ما لقي صرخ في منامه صرخة واضطرب اضطرابا  
شديدا ووقع من سريره إلى الأرض وانقبه كل من كان في داره ومن حوله من جيرانه من شدة زعقته وطاش  
عقله وشخصت عيناه وارتعدت مفاصله وانفلق لسانه واجتمع حوله كل من كان في داره من خدمه وغلمانه  
وأقربائه يسألون ما الذي أصابه فلم يطق جوابا بقية ليلته حتى أصبحوا وجعت له المعزومون والراقون وظنوا أنه  
أصابه لم من الجن أو سحر من الأعداء ووسواس من الشيطان . فقال لهم ليس بي ما تظنون ولكن رأيت رؤيا  
هالتي وأفزعني وأدهشتني جمعت له المعبرون وقصت عليهم رؤياه (فقال) بعضهم أضغاث أحلام وقال بعضهم  
هذا من خلط سوداوي ومزاج غليظ . وقال آخر لا بل فكر ردي وتخيل فاسد . وقال آخر لا بل هو من الجن  
وجعلوا يرجون الظنون حتى جهنم الليل لجمع خدمه وغلمانه وأقربائه في مجلس واحد حول سريره ونام هو  
بينهم فوق فراشه وجعلوا يقرؤن الرق والعزائم والعود ويبخرون الدخن حتى كان من ذلك الوقت من الليل  
فاذا هو برؤياه ذلك بعينه بل هو أعظم وأهول وأصرخ ففر من فراشه وأفرغ كل من كان حوله . ثم أدركوه  
وجعلوا يسألون عنه وهو مرعوب لا ينام ولا ينامون توجعا له إلى الصباح وتسامع الناس بخبره وجعلته  
الأطباء فوصفت له الحمية والاستفراغ والشربة وظنوا أنه نافع من هذا العارض ففعل وما نفع شيء . فلما كان  
من الأسبوع الداخل في مثل ذلك الوقت من الليل فاذا هو برؤياه بعينه بل هو أعظم وأهول فأنبه مرعوبا مرعوبا  
إلى الصباح مانام . فلما كان من الغد جعل له المنجمون والمعزومون والعرافون وسئلوا عن موجبات أحكام  
النجوم فذكروا أن مثل هذا العرض إنما يعرض للإنسان من أجل أنه يكون في أصل مولده من اسقلاء  
النحوس على درجة طالعه أو أحد الأوتاد في نحو بل السنين والشهور . فقيل لهم فما الدواء النافع فيه والمنجى  
له فقالوا نختاره يوما يكون القمر متصلا بالسعود وطالعا جيدا يكون السعود في الأوتاد والنحوس سواقط عنها  
ويتحول من ذلك الوقت من بلد إلى بلد أو من محلة إلى محلة أو من دار إلى دار ففعل ذلك وما نفع الدواء له  
وشاع حديثه في الناس وتسامعت به الأخبار في البلاد وصار في موضع رحمة بعد أن كان بحال غبطة وأصبح الذين  
تمنوا مكانه بالأمس خائفين أن يصيبهم مثل ما أصابه من البلوى والمحن وجعل أهل المدينة ليس لهم حديث في  
مجالسهم ومحافلهم الأحديث ولا عظة إلا ما أصابه فينما يوما جماعة من جيرانه يعود على الطريق في حديثه إذ مر  
بهم رجل يعرف بالناسك وكان من أهل العلم والدين والسر قد رزق العلم والإيمان . فقيل له كيف غمك على  
فلان جارك قال كم أب مشفق طيب على ولد عليل فقيل له وكيف ذلك قال لأن عندى تأويل رؤياه ودواء  
دائه . فقيل له لم لا تقصده وتعرفه ما عندك قال لانه لا يسمع قولي ولا يقبل نصيحتي فقالوا ولم ذلك قال لأن أزهده  
الناس في علم الرجل جيرانه ولكن أخبركم انا وعرفوه أتم ولانذ كروني عنده فاني خائف ألا يقبل استصافرا

لما أقول أو يفعل من غير يقين فلا ينفعه قالوا له عرفنا نسمع ما نقول ، فقال أما رؤيته البرية القفرة فهو براءته من الدنيا وبرائها منه يوم يموت وأما فقره فهو فقره بعد الموت وشدة الحاجة في الآخرة الى الزاد ، وأما عريه فهو عري من الأعمال الصالحة التي لها ثواب الآخرة ، وأما جوعه وعطشه فهو رغبته وحوصه في طلب شهوات الدنيا وأما سواد بدنه فهو سواد وجهه عند الله لسوء أعماله وأما طول شعره فهو شعور حزن طويل في الآخرة وأما تلويث بدنه برجيع مافي جوفه فهو خوف واكتئاب يناله في الآخرة بمنى الرجعة الى الدنيا ولا سبيل له الى ذلك . وأما الثقل القمى رأى على ظهره فهو ثقل أوزاره وسوء أعماله ، وأما الشخصان المنكران فهو منكر أفعاله ونكير أخلاقه وسوء عادته لا يشارقان نفسه حيث ماذهبت بقبعائها . وأما الجبل الشاهق فهو جبلته وعادته التي هو عليها مشقة والشاهق شقاء يناله بعد الموت الا أن يتوب ويرجع الى الله عن أثمه . وأما المسلك الوعر فهو طريق الآخرة التي لا بد له من سلوكها بنصب وعناء ، وأما الوادى فهو وادى جهنم والبئر المهوى هي الهاوية التي اليها تصير نفوس الأشرار وأرواح الفججار فقولوا ان هو بادر وتدارك وتلافى قبل الموت فسيكون مصير نفسه الى هناك بعد الموت فان الله تعالى أراد بهذه الرؤيا أن يعظه ويذكره ليتوب ويرجع عما هو فيه من الغفلة في أمر الآخرة والحرص على الدنيا ، فقالوا له فنادواؤه ، قال ينوى نية صادقة ويعزم عزمًا صحيحًا ويرجع الى الله ويتوب مما قد سلف ويتصدق بشطر من فصول ماله على الفقراء والمساكين ويلبس الحشن من الثياب ما يبرى العورة ويصوم في كل أسبوع يومين ويمشي الى المساجد خاضعًا وينفق في الدين ويستعمل القرابين ويصلي في ظلمة الليل ويستغفر في الأسحار ويسأل الله تعالى أن يكشف ما به وانه تعالى يفعل ذلك ان شاء فقام القوم من ساعتهم ودخلوا عليه وعرفوه بما أصابه وبما عوانف مترقب له ثم أخبروه بما قال لهم الناسك فقال لهم من أين لكم هذا التأويل ومن وصف لكم هذه الرؤيا فقالوا أخبرنا العالم في الدين الناصح الذي لانكشك فيما قاله فقبل قولهم وجع جماعة من العلماء والفقهاء وأهل الدين فأخبرهم بما قيل له ، فقالوا حقًا ما قيل وصوابًا ما وصف فسألهم عند ذلك عن التوبة النصوح كيف تكون وعن فقه الدين وطريق الآخرة وأمر المعاد وصفة الجنان وثواب الأخيار وأين يكون منقلب الأشرار فوصفوا له ما هو مذكور في كتب الأنبياء عليهم السلام فقبل ما قالوه وفعل ما أمره بين شك ويقين وخوف ورجاء ، فلما كان في الأسبوع الآخر مثل ذلك اليوم صام نهاره وصدق عند افطاره وأكل يسيرًا من الطعام وقام يصلي ليلته ، فلما كان من ذلك الوقت وهو ساجد إذ غلبه النوم فرأى في منامه كأنه في تلك البرية بعينها وقد اخضرت من العشب والسكلا وقد تفتحت زهر الرياحين وفاح نسيمها فاذا هو على رأس قلة عليها عين من الماء الزلال وكأنه قد اغتسل من ماها فتأثر عن بدنه ذلك الشعر والدرن وقد ألبس ثيابا جددًا ففوح منها رائحة الطيب واذا هو بشخصين قائمين أمامه كأنهما صورتان من النور تشف أبدانهما عليهما زى الجبال ومحاسن السكال ووروق الشبَاب وهيبة الوقار وهما يتسلمان في وجهه كلمتبتشرين له يشيران اليه بالنظر الى قدام فتأمل اذا هو بفضاء فسيح يقصر دونه الطرف و بأنوار قدملات الآفاق من الضياء واذا في ذلك الفضاء رياض خضر كان بينها نسج الديباج من الزهر والنور والزعفران واذا في وسطها أنهار تجري على أرض بيضاء كان حصباءها الدر والياقوت والمرجان ، وعلى حافات تلك الأنهار أشجار كأن أوراقها الحرير والسندس والأرجوان واذا هب نسيم تخشخت أوراقها كأنها أصوات نغمات أوتار العيدين و بين تلك الأوراق ألوان الخمر متفتنة الأشكال والطعوم والألوان واذا بين ذلك قصور شاهقة كأنها جبال من رخام أبوابها مفتحة وسحون واسعة وابوانات متقابلة فيها سرر موضوعة عليها فرش مرفوعة وعمارق مصفوفة وبينها سادة كرام متكئين متقابلين عليهم زين الجبال ومحاسن السكال وهيبة الوقار بأيديهم التحف يسى بينهم ولدان وغللمان وجوار حسان أتراب مبرقات بالمحاسن والجبال ، فلما رأى تلك المحاسن قال لصاحبيه ماهذه قالوا هي الجنة دار السلام ومعدن الأرواح ومسكن نفوس الأخيار ومستقر الأبرار

فإن أنت دمت على ما أنت عليه إلى الموت فسيكون مصيرك إلى هناك بعد مفارقتك جسديك فتجد لذة العيش  
وسرور النعيم صافيا بلا تنغصص ما بقي الدهر فمن فرح ماسمع وسرور ما بشر استغزه ذلك فانتبه دهشا متفكرا  
يخني عسى أن ينام فيرى تلك الرؤيا ثانيا بعد أن كان كارها للنوم مخافة أن يرى رؤياه الأولى ، فلما أصبح  
فصدق بجميع ماله وأعتق كل عبده ولبس السوح وكان طول نهاره صائما وسهر ليله قائما بجانب الناس لا يكلم  
أحدا بل يصلي نهاره با كيا حزينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة حتى فشاخه في الناس وتسامت به في المدينة  
والبلاد فقصده الناس من الآفاق يسألونه رؤياه ويسمعون تأويله ويتعظون به ، ثم صار بعد ذلك يتكلم على  
الناس في المجالس بالحكمة والموعظة ويضرب لهم الأمثال ، ويدلهم على طريق الآخرة ويرغبهم في ثواب الجنة  
ويزهدهم غرورها وأمانيتها ويحذرهم الاغترار بها . فقيل له من أين لك هذه الحكمة والموعظة وأنت لم تكتب  
الحديث ولم تسمع الأخبار ولم تقرأ الكتب ، قال أجد قلبي كللراءة يتراءى فيه حقائق الأشياء وأجد لسانى يجرى  
على الصواب من غير تكلف منى وأجد نفسى كالترجان تسمع من وراء الحجاب وتعبى وتؤدى إلى أبناء جنسى  
عما سمع بلا تصنع منى . فعلم عند ذلك أنه مؤيد بملك من الملائكة يلهمه بذن الله جل ثناؤه ، ثم صار ذلك الرجل  
قدوة في الدين لأهل زمانه فبينما هو يوما في محفل والناس حوله يسألونه عن أمر الدين وهو يفتهم والناس ما بين  
مستمع مصدق وشاك ومتعجب منه كيف كان بالأمس أرغب الناس في الدنيا وقدوة لطالبي الشهوات وكيف هو  
اليوم في أمر الدين امام لطالبي الآخرة إذ وقف في المجلس رجل من أولئك الذين دخلوا عليه يعودونه  
فراى ذلك الناسك في مجلسه يسأله عن مسائل من أمر الدين ويستوصف منه طريق الآخرة فدنا منه وقاله  
شبه للمتعب هذا صاحبك الذى فسرت منامه ووصفت دوامه وأنت اليوم تسأله عن أمر الدين وطريق الآخرة  
قال نعم ولكن قد جاءه من العلم ما لم يأتنى وقد قبل نصيحتى أمس فنفتحه اليوم وأنا أقبل منه اليوم ما عسى  
أن ينفعنى غدا وكانت صفته له أمس تعليما بشريا وصفته اليوم تعليم ملكى ، ثم ان ذلك الرجل التائب بقى مدة  
من الزمان مجتهدا في عبادة الله على عادته حتى قرب أجله ووقت مفارقتة فراى في منامه كأن روحه قد خرجت  
من جسده وإذا هى على صورة مثل شكل الجسد وهيكته سواء غير أن هذا الشكل جسمانى وتلك صورة  
روحانية شفاقة لا ينالها المس ولا حس وإذا هى قد ثبتت في الهواء حيث شامت وكيف شامت بلا كلفة ولا عناء  
وهى تجرد من ذاتها خفة وراحة وسرور اوروحا ولذة وفرحا لا يوصف بمثلها حال الأجسام ونظرت إلى جسدها إذا  
هو مطروح لا حراك به فحنت إليه لطول الصحبة وإلف العادة . فلما دنت منه وتاملته فاذا هو كأنه قد أتى عليه ثلاثة  
أيام بعد الموت وهو منتفخ منتن الرائحة يسيل منه الدم والقيح والصديد ويجرى بين لجه ودمه الديدان ويخرج  
من فيه ومنخره وأذنيه الديدان والقمل . فلما رأته ذلك الهائل اشهارت منه وتأخرت عنه وأفتت من الدنو  
إليه وجعلت تغط حالها حين فارقتة وخرجت منه ونجت من وسخه ودرنه ووحشته وعاره ووباله ثم التفت فاذا  
هى أبواب السماء قد فتحت والمعراج قد امتد من السماء إلى الأرض والملائكة نزلت وامتلأت الآفاق من  
النور والضياء وسمعت مناديا ينادى - يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى  
وادخلى جنتى - فانتبه من نومه ذلك ، ثم أخبر بما رأى وأوصى وصيته وما مكث إلا أياما حتى توفى ومضى  
لسبيله : انتهى ما أردته من اخوان الصفا والحمد لله رب العالمين

ويتبع هذا ( حكمتان : الأولى ) بعنوان ( حكم عامة ) فى موازنة عطف الأم على ولدها بنفع  
الحكيم لأمتهم ( الثانية ) فى السعادة المزيفة وهاك فهما فى الصحيفة التالية

## حكم عامة

الحكيم	الأم
الحكيم يغذى الأئمة والأمم بعلمه مع شفقة ومحبة	الأم تغذى ولدها مع شفقة ومحبة بلبها
...	...
الحكيم يسهر على الأئمة والأمم ويكلؤها بعطفه	الأم تسهر على ولدها وتكأه
...	...
الحكيم لا يبالي بالمشاق في سبيل إسعاد أئمة	الأم لا تبالي بالمشاق في سبيل تربية ولدها
...	...
الحكيم يبذل ماله وما يقدر عليه من عمل ووقت في إسعاد أئمة	الأم تبذل مالها وكل ما تقدر عليه وتصرف وقتها في إسعاد ابنها
...	...
الحكيم يستلذ النصب والتعب في إسعاد أئمة	الأم تستلذ النصب والتعب في تربية ابنها
...	...
الحكيم يحسن بلذة رقى الأم بعلمه أعظم من لذة الأم ، نسبتها إلى لذتها بولدها كنسبة الجوع الكبيرة التي هداها إلى الولد الواحد الذي ربته الأم	الأم تحسن بلذة رضاهي ما تراه من رقى ولدها

## السعادة المزيفة

- (١) القائمون بأمر الأم أغلبهم ذوو سعادات لفظية
  - (٢) الملوك منهم والأمراء اكتفوا بالنساء وكثرة المال والحصول على الشهوات
  - (٣) هؤلاء الحكام يتقنون بما ظنوه سعادة ، مع ان القوى الجسمية كلما ازدادت تعاطيا للشهوات ضعفت وقلت لذاتها ثم فقدتها
  - (٤) فإذا ضعفت شهواتهم أخذوا يستعوضون عنها بالرنب والنياشين من الملوك ، وما كان لرتبة ولا نبشان ولا ألقاب تعظيم أن تنيل القلب سعادة ، أو تصرف الهم عن القواد
  - (٥) وإذا ملئت خزائنتهم بالمال وقد ولى العمر وحالت الحال رجعوا إلى أنفسهم فوجدوها خاوية على عروشها فازدادوا انقباضا وبسئ المصير
  - (٦) إذن مكافأة الجهلاء من نوع الانسان أشبه بمكافأة الأطفال بالدسم واللعب والأثواب المزرکشة ، والولدان يعلمان أن ذلك وقتي قليل القيمة . هكذا العناية الإلهية كافأت أطفال الرجال بما يشبهه مكافأة الأطفال استصغارا لعقولهم ورحمة بأهمهم ، فهم أشبه بفداء لأهمهم يسهرون على راحة المجموع ويكافئون بما أكثره شؤم عليهم لأنهم لا يعقلون اه
- واعلم أيها الذكي أن هذا المقام العام ملخص في تفسير البسملة في سورة الدخان ، وفي رسالة ﴿ مسألة الفلسفة ﴾ في سورة محمد ﷺ عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - فانظره هناك إن شئت . وإلى هنا تم الكلام على قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة - الخ والحمد لله رب العالمين

### اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى - ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - الخ وفي  
قوله تعالى - سخرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ  
في هذه اللطيفة فصلان

### الفصل الأول في قوله تعالى : فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت

جاء في مقال في جريدة الاهرام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٠ تحت العنوان التالي مانصه :

### وحدة الحيوانات والنباتات

يعتقد أغلب الناس أن بين الحيوانات والنباتات تباينا كليا واختلافا تاما ، وأن كل فريق منهما مستقل عن الآخر . وقد كانوا يعلموننا في المدارس أن هناك عالم الحيوان وعالم النبات أو ما يعبر عنه الغريون بمملكة الحيوان ومملكة النبات . ومما لاشك فيه أن من يلقي نظرة سطحية على الحيوانات والنباتات الراقية يجد أن بينها اختلافات ظاهرية . فالحيوان يتحرك ويتغذى ويتأثر . أما النبات فهو ثابت في مكانه ولا يظهر أنه يتحرك أو يتغذى أو يتأثر على أن من يعين النظر ويحقق في البحث يتضح له أن هذه كلها اختلافات ظاهرية لاحقيقة لها

ذلك لأن كل مميزات الحيوانات مثل الحركة والتأثر والتغذى والتنفس والتولد توجد كلها في النباتات . وهي في الواقع تعتبر الى حد ما مميزات جميع الكائنات الحية من حيوان ونبات فالحركة لا يختص بها الحيوان . فان هناك حيوانات عديدة ثابتة منذ نشأتها الى موتها مثل كثير من الحيوانات المسماة بالجوفاء كالرجان . وكذلك الحيوانات التي تعيش في قاع البحار وتشبه في شكلها النباتات والأزهار . ومنها الحيوانات المسماة بالتونسية أو القمصية السابقة للحيوانات الفقرية أو بالأحرى إحدى الحلقات المتوسطة بين الفقرية واللافقرية . فانها تكون عند ولادتها متحركة مثل سائر الحيوانات . ولكن صفاتها لا تثبت أن تثبت على صخر في البحر وتظل هكذا باقى مدة حياتها الى أن تموت كما أن هناك من جهة أخرى نباتات متحركة مثل النباتات المقترنة فان لها أعضاء خاصة تنقبض على ما يقع عليها من التراب والحشرات والحيوانات الصغيرة الأخرى وتنطبق عليها وتفرز حولها عصيرا هضميا مثل عصير الحيوانات فتضم ما يقبل الهضم منها وتمتصه ، ومن النباتات المتحركة النبات المعروف للعامه باسم « المستحبه » ومنها فصيلة كاملة من النباتات الطحلبية المائية المسماة « أوسيلير » فانها في حركة اهتزاز مستمر مثل رصاص الساعة ، وأبلغ من هذا حركات بعض النبات الأولية ذات الخلية الواحدة فان لكثير منها شعرا صغيرا عديدة ولها أشعرة واحدة طويلة في مؤخرها مثل الذنب تستعين بها على العوم في الماء فتذهب وتجيء مسافات تذكرا لفرق بينها وبين الحيوانات ، وكذلك بذرة أوبويضات النباتات الطحلبية المائية وبذرة صف « الموس » وصف النباتات ذات التولد الخفي . فان تلك البذور تستعين بذنبا . أى بالشعرة التي في مؤخرها للتحرك في الماء بحيث لا يستطيع الانسان أن يميز من أول وهلة بينها وبين الحيوانات الصغيرة التي من حجمها . ولهذا سميت بالبذرة الحيوانية

هذا كله في الظاهر أما اذا حققنا النظر في الأمور فاما نجد أن الحركة نتيجة لازمة للعادة الحية على الاطلاق سواء أكانت نباتية أم حيوانية . وتفصيلا لهذا الاجمال ، نقول ان أنسجة جميع الحيوانات لا ترى إلا



بالميكروسكوب ، وشكل هذه الخلايا وتركيبها واحد في الحيوانات والنباتات فالخلية مكونة من مادة زلاية أو بالأحرى من خليط من مواد زلاية مختلفة ومواد دهنية . ومواد سكرية أو نشوية . وقليل من بعض مواد معدنية . وفي وسط كل خلية نواة تركيبها واحد في الحيوانات والنباتات . وللخلية في معظم الأحيان غلاف خارجي من مادة زلاية أخرى مرنة عند الحيوانات ومن مادة جامدة تسمى بالسيليولوز عند النباتات . وهي مادة القطن وورق الكتابة

وردة الخلايا التي يسمونها بروتوبلازما أو المادة الحية (خليط من المواد الزلاية والدهنية والسكرية) من أهم خواصها الحركة أي أن أجزاءها في حركة مستمرة مادامت حية . ولاشك في أن هذه الحركة نتيجة تفاعلات كيميائية دقيقة مترتبة على حرق المواد الغذائية . التي تصل الى الخلايا بعد المضم والامتصاص ومثل حركة المواد الحية حركة السوائل . وهي تفتل والآلات الميكانيكية بسبب حرق الفحم أو البنزين أو الزيت وغيرها

ولافرق في ذلك بين الخلايا الحيوانية والخلايا النباتية . ولكن لما كانت أغشية الخلايا الحيوانية من مادة زلاية مرنة كما تقدم كانت الحركة التي تبدأ في واحدة منها تنتقل الى جارائها وتأخذ في الامتداد فتتحرك المجموع بعكس الخلايا النباتية فان مادة كل خلية منها محبوسة داخل أغشية صلبة من السيليولوز . فالحركة التي تقوم في بعضها لا تستطيع الانتقال الى مجاورها من الخلايا ولا الانضمام اليها . ولهذا كانت مواد كل خلية نبطية تنحرف في مكانها داخل غلافها ومجموع النبات ثابت . والحلاصة أن الحركة من خواص جميع المواد الحية النباتية والحيوانية على السواء

وفي الحقيقة والواقع ليست الحركة رقفا على الأحياء ولكنها تعمل في الجاد وجميع المواد المعدنية . وتم كل مافي الكون من أكبر الأجرام الفلكية الى أصغر ذرات المادة أو الجواهر الفرد . وما هو أصغر منها مما اكتشف أخيرا ونفى اليون أو الالكثرون . فاذا رفعا نظرنا الى السماء نجد أن جميع الكواكب والشموس والسيارات ( بما فيها أرضنا ) والأقمار وذوات الذنب في حركة مستمرة لا تعرف الكلال . وكل ما يحيط بنا على الأرض متحرك كذلك بلا انقطاع من أمواج البحار ومياه الأنهر وهواء الجوق والزوابع والزلازل وتساقط الأمطار والتلج والبرد ودوى الرعد واقضاض الصواعق وغير ذلك من العوامل الطبيعية التي دكت الجبال الشاهقة وغيرت من شكل الكرة الأرضية مرات عديدة في الأعصر الجيولوجية القديمة مدة ملايين من السنين الغابرة . وكذلك الحال بالنسبة لجزيئات المادة وجواهرها الصغيرة وذرات هذه الجواهر فانها في حركة مستمرة تزداد بارتفاع الحرارة وتنقص بانخفاضها . وبالجملة فان الحركة هي التاموس الأساسي الذي يدبر الكون بأسره منذ الأزل الى الأبد

وما يقال عن الحركة يقل عن التأثير فانه صفة لازمة للمواد الحية الحيوانية والنباتية على السواء . فاذا مارس الانسان بسلك رفيع مثلا خلية من الخلايا الحيوانية أو النباتية . وهي تحت الميكروسكوب يراها تتأثر وتتحرك فتتكمش أو تمتد . وهذا الذي يحدث عرضا بفعل الانسان يحدث عادة وعلى الدوام بفعل المؤثرات الطبيعية والكيميائية التي تعمل في أجسام الحيوانات والنباتات او في البيئة التي تحيط بها وتؤثر عليها ولا فرق في خاصة التأثير بين الحيوان والنبات ، وكل مافي الأمر أن أغشية خلايا النباتات تحول دون انتقال التأثير من خلية الى خلية نظرا الى جودة تلك الأغشية فيظهر النبات في مجموعه كأنه لا يتأثر . والحقيقة أن مواد خلاياه تتأثر . ولكن يحجب هذا التأثير مادة السيليولوز الجامدة

على أن التأثير ليس في الحقيقة من مميزات المواد الحية دون غيرها ، بل يشترك فيه كثير من الجاد مثل المواد المفرقة ومثل المواد الكيميائية غير الثابتة التي تتأثر بالنور كمواد التصوير الشمسي (الفوتوغرافيا)

أو بالرطوبة أو بالحرارة أو بالكهرباء وغيرها . ومن الأمثلة على تأثر الجادات أمر معروف في علم الصوت (جزء من علم الطبيعة) وهو أنه إذا دق انسان دقة على وتر من آلة موسيقية وكانت في الغرفة آلة أخرى مثلها فان الوتر الذي يقابل فيها الوتر الذي دق عليه بالآلة الأولى يهتز من تلقاء نفسه اهتزازا خفيفا ولكنه يظهر جليا بواسطة الآلة المكبرة للصوت

أما من جهة التغذية فمن المعلوم أن النباتات تتغذى مثلها في ذلك مثل الحيوانات فإداتها الخضراء (الكالوروفيل) تستعين بضوء الشمس لتحليل حمض الكربونيك (ثاني أكسيد الكربون) المنتشر في الجو وتأخذ منه الكربون اللازم لغذائها وتمزجه بالماء فتكون أولا السكر والنشاء والسيليلوز (مادة القطن وورق الكتابة) ومادة الخشب وغيرها . ثم تكون أحيانا عضوية تركب منها المواد الدهنية . وتمتص من الأرض الماء وبعض المواد المعدنية المشتملة على الأزوت مثل الأزونات أو النترات وتمتزج هذه بالمواد السكرية والنشوية والأحماض العضوية فتكون المواد الزلالية وهي أهم غذاء لها وللحيوانات . وبالجملة ان النباتات تتغذى كالحيوانات . وتناول لغذائها نفس المواد التي تتغذى منها الحيوانات وهي المواد الزلالية والدهنية والسكرية فضلا عن الماء وبعض الأملاح

والتغذى ليس قاصرا في الحقيقة على الاحياء من حيوان ونبات بل يحدث لكثير من الجادات بقعة الصدا التي تبدو صغيرة على قطعة من المعدن ثم تكبر الى أن تنتشر على سطح المعدن كله انما هي تغذى في الواقع من بخار الماء والحامض الكربونيك المنتشرين في الجو ومن مادة المعدن القائمة هي عليه فتتنامو وتوسع كما نمو ويكبر الجسم الحى والبلورات الصغيرة المنطسة في ماء مشبع من محلول موادها تتغذى من المادة الغائبة في الماء فتتنامو وتصبح بلورات كبيرة . والآلات الميكانيكية المتحركة تتغذى بالفحم أو البنزين أو الزيت . وليست مواد الوقود الاغذاء تلك الآلات الميكانيكية تحرق فيها فتولد القوة اللازمة لحركتها وقيامها بأعمالها ويلحق بالغذاء التنفس . وغير خاف على كل من درس علم الفسيولوجيا النباتية أن النباتات تنفس مثل الحيوانات ولها مسام صغيرة في أوراقها وغصونها يدخل منها الهواء ومعه الأوكسجين الذي هو العنصر الأساسي في التنفس أن الغرض من التنفس واحد في الحيوانات والنباتات وهو احراق (أى تاكسد) المواد الغذائية داخل الخلايا لتوليد القوة اللازمة للحياة وقد عرف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها حريق أى تاكسد مستمر . وما الأجسام الحية الا آلات لتحويل القوة الكيميائية الكامنة داخل مواد الغذاء بواسطة احراقها الى حرارة وحركة حركة انتقال . وحركة افراز . وحركة نمو . وحركة تولد وما الى ذلك من القوى الحيوية . مثلها مثل الآلات الميكانيكية التي تتغذى بالفحم أو البنزين أو بالبترو

وقد أثبت علماء الفسيولوجيا هذه الحقيقة بتجارب حاسمة حيث وضعوا حيوانات داخل كالوريمتر دقيقين (آلة لقياس كمية الحرارة . وهي خلاف الترمومتر الذي لا يقيس الا درجتها دون كميته) وكانوا يقيسون حرارة ما يتناوله الحيوان من الغذاء وما ينتجه جسمه من الحرارة . بعد خصم الكمية التي لم تهضم ولم تمتص من الغذاء فوجدوا أن الكميتين متعادلتان وقد طبق اثنان من العلماء الامر وكان هذه التجربة على الانسان وهما اوتو وبنيدكت فصنعا كالوريمتر كبير حجمه كالغرفة المتوسطة واتخذوا كل الوسائل الدقيقة والاحتياطات الشديدة ، وكانا يقيسان مقدار الهواء الداخل من جهة والخارج من جهة أخرى ودرجة حرارتهما وما يستعملان عليه من اوكسجين وحامض الكونيك . وقيسان في كالوريمتر صغير على حدة ما تنتجه من الحرارة كمية الطعام الذي يتناوله الشخص الذي تعمل عليه هذه التجارب وغير ذلك من الاجراءات . فكانت النتيجة تعادل كمية القوة التي تدخل جسم الانسان في هيئة غذاء وكمية القوة التي تخرج منه في شكل حركة وحرارة . ومعنى هذا أنه لا توجد في الجسم الا القوى الطبيعية ولا تعمل فيه الا القوى الطبيعية

أما التلقيح والتولد والنمو والتطور وكافة مظاهر الحياة فلا حاجة للقول بأنها مشتركة بين الحيوانات والنباتات . و بطول بنا المقام لو أردنا أن تثبت أن هذه المظاهر كلها مع التفاوت في الجاد أيضا ينتج مما تقدم أنه لا يوجد أي فرق جوهري بين الحيوانات والنباتات . وقد سار العلماء في إيجاد حذافصل بينهما أو محك للتمييز بين بعض الأحياء السفلى المتبسط في أمرها وهل هي حيوانات أم نباتات فلم يجدوا أمامهم سوى فاصل واحد يقرون بأنه سطحي ظاهري وهو مادة السيليلوز المكونة منها أغشية الخلايا النباتية فان هذه المادة لا توجد لها في الحيوانات

ولكن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات في جميع أدوار حياتها لأن هناك بعض نباتات سفلى من صف النباتات الفطرية من الفصيلة السمية ميكروميسيت تقضى حياتها كلها أو معظمها وخلاياها شائعة بلا أغشية تفصلها عن بعض . ولكن اذا سامت الأحوال الجوية واشتد البرد وتهاطلت الأمطار أو الثلوج تفرز هذه النباتات حولها أغشية سيليلوزية لتحبس نفسها داخلها فتتقي هكذا خطر تقلبات الجو . أما في الفصول المعتدلة فانها تعيش خالية من هذه المادة . فهي تشبه من وجوه كثيرة . وهي على هذه الحالة بعض الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة مثل الاميبا التي يسبب نوع منها مرض الدوسنطاريا

ومن جهة أخرى في بعض الحيوانات مادة تقرب كثيرا كيمياويا من مادة السيليلوز وهي الحيوانات التوتيسية أو التيمبية المتوسطة بين الحيوانات القوية وبين اللاقوية مما تقدم لنا الإشارة اليه . كما أنه في جميع الحيوانات مادة هي شقيقة السيليلوز من الوجهة الكيميائية وأغنى بها السكر فكلتاها مكونة من لحم وماء . ولذا أطلق على مجموع هذه الفصيلة الكيميائية اسم هيدرات الكربون

وهناك فاصل فسيولوجي بين الحيوان والنبات قد يكون أوجه من الفاصل المتقدم وهو كيفية التغذية . قلنا فيما تقدم انه لا بد لغذاء الحيوانات والنباتات من مواد زلالية ومواد دهنية ومواد سكرية . ولكن الفرق بين الحيوانات والنباتات هو أن الحيوانات تتناول هذه المواد مركبة جاهزة كالمحلى من أجسام النباتات أو الحيوانات الأخرى التي تأكلها بعكس النباتات فانها لا تجد أمامها . هذه المواد الضرورية لغذائها كما تجدها الحيوانات (مع استثناء النباتات المفترسة) فتضطر أن تركيبها على الوجه المتقدم بيانه . قبل أن تتناولها . وبالجملة فان الحيوانات تتناول طعامها جاهزا أما النباتات فتكدر وتنشقي في تركيبه قبل أن تتغذى به . على أن هذا الفاصل غير شامل لجميع النباتات فيوجد صف نباتات هي النباتات الفطرية لم تجد عليها الطبيعة بالمادة المخضراء (الكلوروفيل) فلا تستطيع أن تركيب غذاءها بنفسها لهذا هي تتصرف في الحياة كالحيوان بمعنى أنها تتناول طعامها جاهزا من حيوانات أو نباتات أخرى ومن أجل هذا نجدها كلها طفيلية تعيش على غيرها من الحيوانات والنباتات الحية أو على أجسامها الميتة . وعلى هذا فتكون الفصيلة الفطرية الحلقة المتوسطة بين الحيوانات وبين النباتات . ولولا وجود السيليلوز فيها لجزم العلماء بأنها حيوانات فهي نبات من جهة السيليلوز وحيوان من جهة كيفية تغذيتها

وفي هذا برهان واضح على وحدة الحيوانات والنباتات وتسلسلها من أصل واحد وهو الجاد . وقد جاءت المباحث والتجارب الجليلة التي قام بها العالم الهندي الكبير السربوز مؤيدة لهذه الحقيقة التي أصبحت الآن أساس العلوم الطبيعية . وقد كان لاختراعه للآلة التي تكبر حجم الخلية الحية عشرة آلاف مرة تأثير كبير ونتائج هائلة في العلم . وعلماء أوروبا يتحدثون في جامعاتهم وفي مؤلفاتهم باكتشافاته ومباحثه الأخرى منذ أكثر من عشرين عاما ومع ذلك ترى قوما هنا يحلمون على هذا العالم الشرقي الجليل لأغراض بأبها العلم وشرف النفس

نصيف المنقبادي الهامبي

خريج كلية العلوم بجامعة بلريس (السوربون)

ويلاحظ بهذا ما جاء في جريدة الاهرام أيضا يوم الجمعة ٤ يولييه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه

### رأى في علاج الأزمة المالية

كاد ينقضى على انشاء وزارة الزراعة عشرون عاما . ومع ذلك لم يتم شي من المهمة التي أقيمت على عاتقها بينا نرى اختصاصات وزارات الزراعة في الدول الاخرى لا تقتصر على تبخير الأشجار وعمل الاحصاء السنوي لكمية المنتظر من محصول القطن . أو الارشاد الى ادخال تحسينات نافهة على الزراعات القائمة . أو مقاومة بعض الآفات مقاومة لا تجدى ولا تنفع . أو الحصول على بعض الأسمدة والبذور الخاصة بالنباتات التي تزرع عادة . لو أن مهمة وزارة الزراعة اقتصرت على ذلك لكان الأمر على الجمعيات الزراعية الأهلية . ولا كتفت الحكومات بمعاونتها دون انشاء وزارة خاصة بالزراعة . ولكن المهمة أجمل وأسمى من ذلك . المهمة خاصة بانماء الثروة الأهلية بادخال زراعات جديدة تستثمر فيها رموس الأموال المتجمدة من الزائد عن النفقات الزراعية والنفقات المعاشية للفلاح . المهمة خاصة بايجاد مشتل من صنع الاخصائيين بنمو ويكبر على توالى الايام داخل معامل التحليل والابتكار والتطعيم لتزويد البلاد برأس مال جديد في كل عام لا أن يقتصر الأمر على ايفاد بعثات زراعية سنوية الى مختلف البلاد ليعود أعضاؤها ويشغلوا الوظائف الكتابية أو وظائف التفتيش الرئيسية فتخدم فيهم الحمية وروح الابتكار ولا ان يكونوا في مكاتبهم وفوق كراسيهم كالدبلوماسيات وشهادات الامتياز جنبها الاطار الراجع ولا قيمة لها الا في أعين جلتها . مع ان الواجب كان يقضى أن تكون قيمتهم في نظر الأمة وللأمانة حتى تستطيع أن تقرر بحق انها استثمرت ما أنفقته عليهم من أموال في تخصصهم وتعمقهم . ويستطيع الآباء أن يعلنوا مباهاتهم بثمره كدتهم وتعبهم في سبيل تربية أبنائهم . والا فإذا أدخلت وزارة الزراعة المصرية على زراعاتنا من جديد يعاون في سبيل الاحتفاظ بثروة الأمة بعيدا عن تهديد الازمات والأخطار التي تصيب محصولا لا نعول الا عليه ، لتقل لنا الوزارة ماذا صنع مع عمل زراعة المناطق الحارة حتى الآن وأي نتيجة لتجارب أدت الى ادخال عامل زراعي جديد في مصر مع أن زراعة المناطق الحارة قد درست في مصر قبل الآن درسا عميقا أيام حكم ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوي الأسبق والمؤلفات والتقارير الزراعية عن نباتات المناطق الحارة في عهده تكاد تزيد عن الضروري . وما كنا في حاجة الا الى مراجعتها لتعلم أي الزراعات تدخل في مصر حتى تعدد الحاصلات وتجنب الأضرار الجسيمة التي يلحقها القطن بثروتنا العامة بين آونة وأخرى وتكرها على البكاء والعيوب مادامت مصر في عهد اسماعيل هي مصر الآن جوا وتربة وماء مع مراعاة ان العمار قد ازداد والسكان قد تضاعفوا والأيدي العاملة قد ربت وطرق المواصلات قد تعددت والمسالك الزراعية نظمت والترع كثر . لقد تكلمنا فيما تقدم عن زراعة الكاوتش في مصر ورجونا من المصريين أن لا ينتظروا الا نتيجة جهدهم وكدهم في ادخال هذه الزراعة الفنية بحاصلاتها في مصر حتى ينقذوا أنفسهم بأيديهم من مخالب الافلاس الذي يتهددهم دائما أبدا بسبب تحكم مستهلكي القطن أو زيادة المحصول الأمر يبيح الخ واليوم نقول كلمة أخرى عن زراعة المناطق الحارة الصناعية وما يجوز ادخاله في مصر بناء على آراء الاخصائيين ولما كنا قد بدأنا بزراعة الأشجار في سبيل أحياء عصر الغابات في مصر وجب علينا الاستمرار في هذه السبيل مقتصرين في بياننا على الجهات التي تستورد منها هذه النباتات ومنافعها

(شجرة البقرة) ان هذه الشجرة من « كرا كاس » وساقها معتدل باسق . وطول أوراقها بين ٢٥ و ٣٠ سنتيمترا في عرض عشرة سنتيمتر . وثمرتها كالبنديقة الخضراء . وترجع شهرة هذه الشجرة الى طبيعة ألبانها التي نحاكي من كافة النواحي لبن البقرة ولذلك فان اهل « كرا كاس » يتغنون منه . ويمكن الحصول عليه بحز ساق الشجرة في عدة نواح . ولقد أثبت المسيو « ريفيرو » والمسيو « بوسينجو » ان صفات هذا العصير

السكرى كصفات لبن البقرة مع فارق بسيط هو أنه لزج قليلا وله رائحة كرائحة البلسم أماخاصة الكيمائية فلها تختلف عن خصائص ألبان البقر إذ الأحماض لا تؤثر فيه أما «الاسبرتو» فإنه يؤثر فيه الى درجة معينة حيث يجمد قليلا اذا أضيف له قدر منه واذا وضع في «حمام ماري» استخرج منه عطر كذلك الذي يستعمل في ايطاليا لتنظيف التفازات . ولكنه مع ذلك يختلف مع سائر العصارات اللزجة لانه لايشمل أى كمية من السكراتش وقد زرعت هذه الشجرة في بروكسل . ومن باب أولى أن تزرع في مصر لاستعمالها غذاء وواسطة لاستخراج عطرها . وتصديره وتصدير هذه الألبان في زجاجات خاصة

(ذات اليد) وهي شجرة يغطي قم فروعها بر أشقر اللون وتستعمل ثمراتها المحمرة في اسوداد لعلاج الصرع ويمكن استيراد هذه الشجرة من البرازيل كما يمكن استيرادها من أوروبا بأبخس الأثمان ومن السهل شتلها بواسطة الفسائل في فصل الربيع (حشيشة الورق) وهي شجرة صغيرة من بلاد الصين ترفع الى خمسة أوتة أمتار ويستخرج لباب ساقها ليصنع منه الورق الناعم في الصين التي تصدر في العام ورقا بما قيمته ٦٤٩ و ٩٧٧ و ٣ (هاى لوان تايل) أى ربال ولكنه غير ثابت القيمة. ودائما يتراوح بين ٦٦ في المائة من الدولار وبين دولار وثلاث . ولقد أدخلت هذه الشجرة الجيلة ضمن الزراعات المصرية في سنة ١٨٦٨ ونجحت نجاحا عظيما ولكن لسوء الحظ لم تستخدم في الغرض الذي جلبت من أجله وهو استخراج لبابها لصناعة الورق الناعم مع أن زراعتها في مصر من السهولة بمكان اذ يكفي وضع عقل الفسائل في بطن الأرض وتغطيتها بقليل من التراب فلا يضي وقت قليل حتى تنبت

(شجرة الحرير) وهي شجرة من نوع الأشجار العملاقة . وليس هذا التعبير لمجرد الخيال وإنما هو الحقيقة فإن الميسو (برتران بوكانديه) قد حكى أنه رأى في كازامانس مراكب طولها ١٥ مترا في عرض مترين ونصف تصنع الواحدة من ساق إحدى هذه الأشجار وتسع كل مركب من هذا النوع ثلاثين ثورا وستة عشر بحارا للتجديف وثلاثة رجال للعزف على الموسيقى . فضلا عن هذا فهي تحتوي على غرف ومطبخ وحمام الخ . أما نوعها فهو من المراكب السريعة ذات الشراعين والمجاديف . وهذا ما يكون عندنا فكرة من محيط ساق هذه الشجرة . غير أنها لا تعيش أكثر من قرن . ولذلك فإن الأهالي يزرعون شجرة منها عند ميلاد كل ولد من أولادهم فاذا ما بلغ الطفل السن التي تبيح له الاستقلال بمعيشته وجد في هذه الشجرة كل ما يلزمه لبناء منزله دون أن يمس باستمرار نمامها

واذا ما بلغت هذه الشجرة سن الاتاج أثمرت فاكهة يخرج منها بر قطنى حربرى في كمية جسيمة تترامى على الأرض الى مسافات بعيدة تراها وكأن السماء أمطرت لؤلؤا وثلجا . ويستخدم هذا الوبر في صنع الوسادات والسكنبات وغيرها ويمكن غزله لاستخدامه في صناعات مختلفة . ولقد أدخلت هذه الشجرة في مصر بواسطة الدكتور فيجارى بك وبوجد منها نوع في قصر العينى (أما حشيشة الملوك الشوكية) فإن ارتفاعها يصل الى عشرة أمتار وساقها ضخمة وشائك . وتزرع هذه الأشجار بصنفها بذرة أو عقلة

(شجرة الدهن) وهي شجرة متوسطة الطول وتزرع في الأراضي الرطبة من الصين . ولها لوز نحوى كل واحدة منها ثلاث حبات وأهميتها فيما يغطيها من طبقة دهنية بيضاء سميكه صلبة الى حد ما ويضيف الصينيون واليابانيون الى هذه المادة قليلا من شمع النحل وزيت الكتان لصنع الشمع الأبيض الذي يضيء مدة طويلة ، ولإستخراج هذا الدهن يجب سحق البذرة وإبقاء مسحوقها في ماء على درجة الفليان حتى تطفو المادة الدهنية على وجه الماء فيسهل استخلاصها (ومن جهة أخرى) هم يستخرجون من هذه الحبوب نوعا من الزيوت الصالحة للوقود ، وقد وجدت شجرة من هذه الأشجار بمدرسة الطب ، ولكننا لاندرى ماذا صنع بلوزها ، كذلك زرع في حديقة الروضة شجرة من هذا الصنف ، ولاندرى لماذا لا تزرع

هذه الأشجار في مصر مع أن زراعتها سهلة سواء من ناحية البصرة أو العقلة  
 ﴿ شجرة البهار ﴾ هي شجرة من مدغشكر طويلة جميلة المنظر، وتستخدم أوراقها وجلدها ككبار  
 ودواء. وهذه الشجرة تنمو في الحدائق المصرية. وتوضع أوراقها في الطعام خضراء. ولا بد لزراعتها في مصر  
 من الحصول على بذرتها من مدينة مدغشكر أولاً فأولاً  
 ﴿ شجرة الثعابين ﴾ وهي شجرة صغيرة في البرازيل طولها يقرب من متر. وتستعمل جذورها دواء  
 للشفاء من لسعات الثعابين. وهذه الشجرة تصلح في مصر فقط لأنها لا تزرع إلا في الطينة الصالحة للزراعة  
 والمناطق التي جهزت بمعدات الري وتزرع عقلاً  
 ﴿ شجرة الاراروت ﴾ وهي شجرة ذات جذور سكرية لها ساق طوله يقرب من متر ونصف متر.  
 وجذوع هذه الشجرة غذاء قوى للأطفال على ما نعرفه جميعاً. وهي تزرع على الخصوص في جزيرة الاتي  
 وأمريكا الجنوبية. وهي صالحة للزراعة في التربة المصرية  
 ﴿ الكمثرى الأمريكاني ﴾ أو كمثرى المحامي: وهي شجرة تدرّ اللبن الذي يتجمد في صلابة القشدة  
 ويستخدم في التأثير على القماش بإشارات لا تمحى، أما الفاكهة ذاتها فانه غذاء جيد، وتدخل هي والأوراق  
 في كثير من الأدوية، وهي تزرع بطريق البزور التي تجلب من البرازيل. ويمكن استخدام العقل (بضم  
 العين وفتح القاف) في زرعها بعد أن تنبت وتشتد في مصر. انتهى ما أردته من الجريدة المذكورة

### بهجة العلم

في قوله تعالى أيضاً - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت  
 إن الذي أحيها لمنحي الموتى إنه على كل شيء قدير -

يقول الله تعالى في أول هذه السورة - كتاب فصلت آياته - ويقول في سورة أخرى - يدبر الأمر  
 بفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون - ، إذن الايقان بلقاء الله تعالى مرتب على تفصيل الآيات ، فلايات  
 المنفصلات في هذه العوالم هي التي تعطينا اليقين ، واليقين هو الذي لا يعتبره شك ، فهل لك أن أريك اليقين  
 في هذه الآية بعينك حتى تتمكن من نفسك كنص الآية ، وتمم الى أي مدى وصل هذا القرآن اليوم ،  
 وهل تفصيل الآيات المورث لليقين إلا ما قام عليه البرهان أو ثبت بالمشاهدة . فهناك ﴿ محجبتين به إحداهما ﴾  
 من علم الحيوان ، والأخرى من علم الأرواح

### ﴿ العجيبة الأولى التي هي من علم الحيوان ﴾

جاء في كتاب (بول بيرت) العضو بالأكاديمية العلمي وأستاذ السربون ووزير المعارف العامة بفرنسا  
 المترجم بقلم زوجته الاسكتلندية الى اللغة الانجليزية (وقد نقلت عنه في هذا التفسير كثيراً) فقد جاء فيه في  
 صحيفة (٧٩) و(٨٠) تحت عنوان « أنفاسوريا » مانصه :

« إنني سأريك نبأ عظيماً عن مخلوق مدهش غريب يختلف اختلافاً كثيراً عن سابقه ، وأين يكون هذا  
 الحيوان ؟ إنه يكون فيما تعافه النفوس وتحتقره العيون مما يكون على جسم الحيوان الذي فسدت جنته  
 بالتعفن والنبات الملقى المزدرى ، وهذه المخلوقات أكثرها يسمى في علم النبات باسم (أنفاسوريا) وسترى  
 صورته قريباً . ولكن هناك حيوانات ليست منه عجيبه الأشكال ومع ذلك ليست قليلة الفائدة . انظر الى  
 هذه الزباجة التي فيها الماء التي أحضرت فيها بعض اليريس (أي مثل البرسيم الجاف المعروف في بلادنا)  
 أمسك الزباجة واجعلها بينك وبين ضوء الشمس حتى ترى بوضوح وتفصيل كل ما تحويه ، أنت ترى فيها

أشياء صغيرة تتحرك في الماء (انظر شكل ٤٣ الآتي قريبا) . إن المنظار الزجاجي يجعلك قادرا أن تبين هذه المخلوقات بطريق أوضح ، ولكن (المكسكوب) يجب الاستعانة به لتكوين الرؤية أكمل ، إن هذه كأنها قضا غير متميزة صورها ، وفي الحقيقة هي حيوانات تعيش وهي آلاف مؤلفة ، هانت ذات ترى في الزجاجية حيوانات صغيرة ذات صور مختلفات وأشكال متباينات بعضها قد صفر جدا ، وليس يظهرها لعيوننا إلا الآلات الزجاجية المكبرة بمقدار عظيم جدا ، وآلاف مؤلفة منها تعيش في قطرة ماء . وهنا أخذ يسأل التلاميذ قائلا : من أين جاءت كل هذه الأشياء اللاتي أعشت أبصاركم ؟ ثم أجاب قائلا : إنها جاءت من العصف المأكول والتبن والبريس . ثم قال : كيف كان كل هذا ؟ وأجاب بقوله : هذه المخلوقات جافة كأنها بيض فهي تعيش هكذا وهي بهيئة طحلب لا يشعر به فوق سقوف المنازل وهي جافة أثناء الصيف ، فإذا نظرناها بالآلة المكبرة فإنها تظهر لنا بهيئة حبوب صغيرة من رمل أخضر ، ولكن إذا أنزلنا عليها قطرة ماء وهي على هذه الحال فانتنا نراها قد تحوّلت حالا وامتد جسمها وأخذت تبحث عن رزقها ومباة حياتها ، فإذا غاض ماؤها أو صار بخارا رجعت خامدة لا حركة لها ، جامدة لا حياة لها كما كانت من قبل متربصة عطول آخر من الماء ينزل عليها فتحيا به . هذه مخلوقات عجيبة أألت ترى ذلك ؟ وهذه تريك أن أعظم ما يسرّ النفوس وأبدع العجائب ليس خاصا بالحيوانات الكبيرة (انظر شكل ٤٣ و ٤٤)



(شكل ٤٣)

(أفاسوريا) لآ ترى بالمعين المجردة  
وقد طاشت في قطرة من الماء الآسن



(شكل ٤٤)

حيوان البكتريا وهو لا يرى بالمعين المجردة

### العجيبة الثانية التي هي من علم الأرواح

نذكر في هذه العجيبة ما جاء في إحدى المجلات العلمية وهي مجلة « كل شيء » بعدد ٢٣٤ في يوم السبت (٣) مايو سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

#### توفيق دوس باشا يخاطب روح والده

زيارته لكيية علم الأرواح في لندن

لما سافر الوفد الحكومي المصري الرسمي إلى لندن برئاسة عدلي يكن باشا لمفاوضة الحكومة البريطانية في حلّ المسألة المصرية . رافق الوفد يومئذ سعادة الاستاذ الكبير توفيق دوس باشا بصفة مستشار قضائي وسعادة شريف صبرى بك وحضرة الاستاذ عبد الملك حمزة بصفة سكرتيرين . وبعد وصول أعضاء الوفد إلى لندن بقليل أخبر الاستاذ عبد الملك حمزة صديقيه توفيق دوس باشا وشريف صبرى بك انه من المهتمين بدرس علم الأرواح وأنه يود أن يدعوها إلى زيارة « كلية علم الأرواح » التي تديرها المستر ستيد ابنة المستر ولیم ستيد الصحافي الانجليزى المشهور الذى غرق في الباخرة « نبتانك » في سنة ١٩١٣ فسألاه عن هذه الكلية وأغراضها فقال لها انها معهد علمي يؤتمه الأشخاص الذين يأنسون في أنفسهم قوّة الوساطة فيستحن المعهد هذه القوّة فهم بين الأرواح التي في الآخرة وسكان هذا العالم مهمان كثيرين من العلماء الذين

يستغلون بعلم الأرواح يترددون على هذه الكلية لاجراء تجاربهم العلمية فيها فهمي ليست والحالة هذه دارامن دور النسب التي يدخلها بسطاء العقول ليدفعوا جنبها أو جنبيين مقابل (مخاطبة الأرواح) وهنا ندع الكلام لتوفيق دوس باشا لكي يصف لنا زيارته لتلك الكلية ، قال :

ولما سمعت هذه المعلومات من الاستاذ عبد الملك حجة تولدت في رغبة في زيارة كلية علم الأرواح لأميظ اللثام عن حقيقة ما كنت أعتقده تدجيلا ، فرافقني حضرته اليها ومحبنا شريف صبرى بك ولما بلغناها قدما للسزستيد فطلبت منها أن تحيلنا الى وسيط من القادرين على مخاطبة الأرواح فمررتنا بشخص اسمه المستر يتر ولما اختلينا به طلب إلى أن اضمر الشخص الذي أريد أن يستحضر لي روحه بدون أن أسر اليه باسمه فاضمرت والدي جلس الرجل على كرسي أمامنا وماهى الأثوان قليلة حتى أخذت عضلات وجهه وشرايين حلقه تنفخ انتفاخا أزعجني منظره ثم لم يلبث أن نام نوما عميقا وأخذيتكم باللغة الانجليزية وهى اللغة التي كان والدي يجيها تماما فقال لي : « أنا والدك » فقلت له « وما ذلك على ذلك ؟ » فقال « أنا أطول منك قليلا » فقلت : (هذا لا يكتفى) فقال (وأخف قليلا) فقلت « وهذا لا يكتفى أيضا » فقال (ولى حية خفيفة لعب الشيب بجزة منها) فقلت له (وكيف انتقلت إلى العالم الثاني ؟) فقال . (بعملية عملت لي هنا) (وأشارالى مكان الأمعاء والمثانة والكبد) فقلت له . (هذا لا يكتفى) فقال . (عملى العملية طيبين وفي أثناء انهما كهما بعملهما دخل عليهما طبيب ثالث وعاونهما . ولما انتهوا من مهمتهم قالوا لكم ان العملية نجحت ولكننى توفيت في اليوم التالي) فقلت . (وهل تعلم لماذا نحن في لندن ؟) فقال (لأجل مسألة كبيرة) وفتح ذراعيه على وسعهما فقلت . (وهل تنجح فيها ؟) فقال ( كلا وبجانبى سيدة تزاحنى لكي تخاطبكم بدلامنى . ) وهنا أخذ الوسيط يتكلم بلسان هذه السيدة فوصفت نفسها وصفا ينطق تماما على عمه زوجتى فقلت . (وهل لك أولاد ؟) فقالت لي . ( ابن وابنة) فقلت . (وهل هما بعيدان عنك ؟) فقالت (بيني وبينهما بحر كبير) فقلت . (وهل هما في مصر ؟) فقالت . ( كلا )

قال لنا توفيق باشا . (واذا استئذينا هذا الجواب الأخير (أى هل هما في مصر فأجابت كلا) فان جميع الأجوبة السابقة والبيانات التي تضمنتها تطابق الواقع . وقد عزوت ذلك في بادى الأمر الى مايسمونه علم قراءة الأفكار وقلت في نفسى ان هذا الوسيط له قوة قراءة أفكارى فيسترشد بها على الاجابة على أسئلتى ولكن هذا الاعتقاد زال عنى لما قال لي الوسيط . (ان هناك سيدة تزاحم والدي لتتكلم معى) فأننى لم أكن أفكر قط في عمه زوجتى ساعتئذ لكي يقال ان الوسيط قرأ أفكارى في صدها أيضا ولذلك لأعرف كيف أعلن هذا الحادث على الاطلاق

ومضى توفيق باشا في حديثه معنا فقال . (وقيل لي بعد ذلك ان في الكلية وسطاء لهم قوة استحضار وجوه الأرواح بحيث يستطيع تصويرها بالفوتوغرافيا فذهبت الى الكلية في يوم آخر مع شريف صبرى بك وعبد الملك حجة بك وأخذت معى زجاج التصوير (البلاك) متعالمكل تلاعب ولما قابلنا المسترستيد قلت لها . اننى أريد تصوير وجه والدي) فقادتني الى أحد الوسطاء القادرين على استحضار وجوه الأرواح فدعانا الى قاعة طليت جدرانها باللون الأبيض وأجلسنا على ثلاثة كراسى متلاصقة وأخذ يرتل بعض الصلوات والأناشيد الدينية ثم فتح آلة التصوير وصور بها ولما انتهى من عمله أخذت زجاج الصورة وكان شريف بك قد وقع عليها بامضائه لثلا تستبدل بلوحة غيرها وعينت بتحريضها في محل للتصوير باشرافى فاذا بالصورة التي ظهرت فيها تختلف عن . لاجع والدي تماما فقصت في الغد الى المسترستيد وقلت لها : (انكم تسخرون منا فان الرسم الذي ظهر في الصورة ليس رسم والدي) مطلقا فقالت « قد يحدث ذلك أحيانا ويكون سببه أن شخصا أقوى من والدك على تصوير نفسه بواسطة الوسيط بزاحه على الصورة فينجم عن ذلك أن يظهر رسمه بدلامن رسم والدك



فقلت لها : اننى سأعمايك الآن فرصة أخرى لاقامة الدليل على صحة كلامك فهيا بنا الى الوسيط ولما اجتمعنا به قلت لهم ( اغلقوا الباب ) فأغلقوه فناولتهم زجاج التصوير فوضعوه فى الآلة أمامى ، فقلت للمسترسيد عندئذ : ( اننى سأطلب من الوسيط رسم وجه والدك المسترسيد وأظن انه أقدر الأرواح على تصوير نفسه ولا يستطيع أحدان بزاجه على ذلك وقد أمضى حياته فى درس علم الأرواح و فأخذ الوسيط برتل وينشد الاناشيد الدينية وبعد قليل التقط الصورة ولما حضاها ظهر فيها رسم المسترسيد فجزت فى تحليل هذا الحادث فقلنا لتوفيق باشا : ( هل لاحظتم فى أثناء التقاط الصورة أن هناك شعبا غريبا ظهر فى القاعة ؟ ) فقال : ( لامطلقا ) فقلنا . ( إذن كيف يظهر على زجاج التصوير رسم لوجود لصاحبه فى القاعة ) فقال ( سألتهم عن ذلك فكان جوابهم أن عدسة آلة التصوير أقوى من العين جدا وانها لذلك تستطيع رؤية شبح الروح الذى لا تراه العين العادية ) فقلنا . ( وهل أتم واقنون من أنه لم يقع تلاعب فى زجاج التصوير ؟ ) فقال ( أنا واثق من ذلك ولا فائدة ، من أن تعبوا أنفسكم بالأسئلة فقد اتخذت يومئذ جميع التدابير التى خطرت لى لمنع أى غش كان ) فقلنا له ( وكيف تعلمون ذلك ؟ ) فقال ( اننى لأؤمن بعلم الأرواح ولكننى لأجد تعليلا لما رويته لكم ) فقلنا . ( ألم تسألوا المسترسيد عن التعليل ؟ ) فقال . ( سألتها فكان جوابها لوجهك رجل من عشر سنوات فقط وقال لك انهم سيخترعون تليفونا لاسلكيا أفلا كنت تقول عنه انه مصاب بمس فى عقله فلماذا لا يعقل أن تقتنع بعد سنوات بصحة علم الأرواح وحقيقته ) وهنادفع الينا توفيق دوس باشا بالصورت التى صورت يومئذ بحضوره فى كلية الأرواح ففسرنا اثنين منها مع هذا الحديث ، وهاك صورتها . ( انظر شكل ٤٥ و ٤٦ )



( شكل ٤٦ )

توفيق دوس باشا والى يساره شريف مسرى بك  
والى يمينه عبدالملك حمزه بك وفوقهم الرأس الذى ظهر فى الصورة  
عند استحضار روح والد توفيق باشا . وترى فى أعلى لأمضاء  
شريف بك على زجاج الصورة



( شكل ٤٥ )

رأس المسترسيد كما ظهر فى الصورة التى صورت لوجهه بحضور  
توفيق باشا دوس

ولما كتبت هاتين الجيبتين حضر صديق العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى هذا التفسير . فقال : وما يفيدنا فى هذه الآية من هاتين الجيبتين ؟ أنت أوضحت لنا فى الجيبة الأولى كيف تكون الحيوانات الحقيقية معدودة بالآلاف فى قطرة ماء ، وانها تموت اذا فارقتها الماء وتحيا اذا وصل اليها ، فالوت والحياة يتناوباها ، وقصصت علينا فى الثانية نبأ رجل مصرى فى البلاد الانجليزية خاطب والده الميت واحدى قربياته واحترس أشد الاحتراس فى المحاورات وفى أخذ الصور وتصويرها . فأى علاقة لهذين بالآية ؟ الله تعالى يقول - ومن

آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير . . . فقلت : إن هاتين العجبتين مناسبتان للآية أشد المناسبة . لقد تجلى في العجبة الأولى أن الحياة شاخصة أمامنا في كل ما يحيط بنا . فهذه الأوراق والحطب والوقود وكل ما يحيط بنا تعلق به مواد لانهاية لها . وهذه المواد الدقيقة تحيا إذا جاءها الماء وتفارق الحياة إذا تحلى عنها . إذن الموت والحياة في المواد المحيطة بنا كالنوم واليقظة ، فومتها وحياتها أشبه شيء بنوم النحل والزناير مدة الشتاء واستيقاظها في زمن الربيع ، وهكذا نوم أمثال الحيات والثعابين شتاء واستيقاظها في زمن الربيع وبعض السمك في الطين إذا جف وفي الثلج إذا تراكم عليها ثم تنوم هذه إذا نزل الماء على الطين وذاب الثلج . ولقد تقدم في آخر سورة الأعراف أن بعض حبوب القمح تحتوي على أكثر من عشرة آلاف حيوان ، تجفف هذه الحيوانات بعض العلماء وبعد التجفيف نذاهها بالماء فرجعت لها الحياة ، بل تمدد العلامه (بيكر) فندى القمح بالماء بعد ما جف (٢٨) سنة فرجعت الحياة ، وقد جزم العلماء بأن تلك حياة جديدة . إذن الحياة والموت أمران عاديان حولنا ، وهذه الحيوانات التي لانها تموت ثم تبعث ثانيا والحياة والموت عندها أمران عاديان (وعبارة أخرى) ان الموت ليست له تلك القيمة والخوف التي جسمها الانسان

هذا ما قرؤوه في تلك الحيوانات المحيطة بنا الصغيرة ، وهذه الحال بعينها هي حالنا ، فإذا رأينا الحيوانات الضعيفة تحيا وتموت ولا حاجز بين الموت وبين الحياة إلا شفاف رقيق ، هكذا رأينا الأمر بالنسبة لأنفسنا نحن ، يعيش الانسان أمدا ما ويكون له أصدقاء وذرية فيموت أو يموت أهله أو ذريته أو أصدقاؤه فيخلع اليأس قلبه قائلا « إني مفارقهم الى الأبد » فسمع أولا أرباب الديانات وكبار الفلاسفة يقولون . كلا . لا موت وإنما هو ثوب تزعموه ولستم توبوا آخر ، فيشك أكثر الناس ويقولون . كلا . لم نر شيئا من ذلك فاقضت الحكمة أن تحضر الأرواح فتظهر فيشك قوم أيضا ، فيبحثون حتى يصل بعضهم الى الحقيقة فيطمئن لها ويبقى آخرون حتى يعرفوا أن نتيجة القارورة والماء الذي فيها في العجبة الأولى وحضور الأرواح في العجبة الثانية واحدة ، ومعنى ذلك أن الانسان لا يموت لأن روحه المتصرفه في جسمه هي التي تبقى بعد الموت في جسم شفاف كجسمه الحالي لأن هذه الأجسام التي نعيش بها أنوار متراكمة قد انطلعت بهذا التراكم ، فإذا تركنا هذه الظلمات رجعنا الى أنوار أخف منها ولكن على هيئة هذا الجسم فصرنا في حالة إطلاق لاغير ، غاية الأمر أن هذا الجسم الذي هو مدرستنا يكسبنا العمل به نتائج زاهيا في حياتنا في الجسم الآخر اللطيف وليست هذه الظاهرة التي قدمناها في العجبة الثانية فريدة في بابها ، فلها نظائر تعدد بالآلاف المؤلفة ، وكل في عالم الأرواح من عجائب ، وأن هذه الروح التي حلت محل روح ذلك المصري وظهرت صورتها في الصورة روح من الأرواح المتأخرة لأن هذا فعل صياني لا أثر للعقل فيه ، فقد ظهر عند العلماء اليوم أن الأرواح السخيفة في هذه الحياة هي أنفسها سخيفة بعد الموت وطأ ربع درجات مشروحات في كتابي « الأرواح » ولعلك ترى هذا المقام مشروحا في آخر (سورة الاسراء) . فالروح السخيفة الطفلة في الدنيا هي نفسها السخيفة السمجة بعد الموت . وقد ثبت بظهور نفس صورة (استيد) المتوفى ثبونا لا يشك فيه من صدق الخبر به أن الأرواح تكون بهيئتها بعد الموت ويعرفها الناس في الدنيا . أي ان الأرواح بعد الموت بتلك الهيئة الدنيوية لا أقل ولا أكثر . وبالاختصار ان العلم الآن قد قرب لنا مسافة الحياة بعد الموت لنفهم سر قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير - . وذلك ليرجع قلوبنا من مخاوف العدم المحض . فالحياة إذن مستمرة والسعادة بالأعمال الصالحة . كتب صباح يوم الخميس (٨) مايو سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الفصل الأول من اللطيفة الخامسة



حالة حياتها تتحمل البرودة تحت الصفر الى الدرجة التي يصير فيها الهواء سائلا وهي درجة (١٩٠) تحت الصفر ، ومعنى هذا أننا كما نرى البخار اذا قلت حرارته صار ماء ودرجة حرارته فوق الصفر ، هكذا اذا نزل الهواء تحت الصفر الى درجات تبلغ (١٩٠) فانه يصير سائلا ، فهذه الخلايا التي تعيش بيننا لا تموت في هذه الدرجة ولكنها لا تتحمل الحرارة أكثر من (٥٥) درجة فوق الصفر ، فهي إذن ذات قدرة عظيمة تفوق قوة النبات والحيوان المعروفين . فقال : أنت قات انها لا تموت في هذه الدرجة ، فهل معنى هذا انها تكون كالنباتات المعروفة ذات حياة . فقلت نعم . فقال : ومتى تموت تلك الحياة . فقلت تموت وتصير أشبه ببيضة الدجاجة اذا صادفت وسطا لا يلائمها . فقال : فاذا يحصل ؟ قلت يحيط بها غلاف سميك يحفظها كقشر البيضة وهناك تعيش سنين كما تقدم في المقال الأول موضعها وتبقى الحياة كاملة ، ومتى صادفت وسطا مناسباً رجعت لها الحياة ورمت القشرة الحافظة وعاشت حالا كما تقدم . فقال ماصورتها ؟ فقلت هاهي ذه (انظر شكل ٤٩)



(شكل ٤٩)

فقال : ههنا أريد أن تبين كيف تكون هذه نافعة ؟ فقلت لولاها لم نعش على الأرض . فقال أوضح . فقلت إن هذه يسمونها (البكتريا) وهذه منها نوع يسمى (بكتريا التعفن) وذلك انها هي التي تحلل المواد المركبة المنبثقة في الأرض وترجعها الى عناصرها الأولى ، وبهذا يمكن النبات أن يمتص من الأرض غذاءه . فهذه الجنود المجتهدة هي التي تعين على نمو النبات . فهي أشبه بالطحالب والمجانين والحزازين لنوع الانسان عليهم تتوقف حياة كثير من الناس . فقال : والله إن هذا لجهب ! فقلت إن النبات كالقطن والقمح لا يستطيع أن يتعالى عنصر (الاوزون) مثلا وهو من أهم العناصر المكونة للنبات إلا بحالة خاصة وهذه الحالة الخاصة لا تحصل تكون الجراثيم في البكتريا إلا بعمل هذه الخلايا في المواد العضوية المعقدة التركيب . إذن هذه نعمة من الله على الناس - إن الله لرفوض على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - وكيف يشكرون وهم يجهلون . وبهذا ظهر السر في أن هذه النباتات في حال خودها كما في (شكل ٤٩) تقدر أن تتحمل الحرارة الشديدة وتأثير المواد السامة أكثر من التي هي غير خامدة بل حية ، ويسمون الحية خضرية . والتي خدت يسمونها بالجراثيم . فقال إذن هذه النباتات التي لا ترى تقوم بتحليل العناصر والنبات المعروفة عندنا تقوم بتركيبها . قلت : لقد أحسنت ، فلولا صحة التحليل وصدقه ما أمكن التركيب . فقال : وهل لها فعل غير هذا ؟ قلت كثير :

(١) بعض أنواعها يكون سببا في الخلل ، ذلك كما قلنا انه يحيط بنا : فهو ينزل في نحو التبيذ والجمعة فينمو ويتكاثر فيكون الخلل

(٢) ولا يمكن دبع الجلود إلا بعد قيام نوع آخر منها بعملية خاصة فيها ، وهذه الزبدة التي نأكلها لا يحسن طعمها ولا رائحتها إلا بعد أن يختمر اللبن بنوع من هذه المخلوقات الخفية . وهكذا اللبن ان يكون (لبناً زبادياً) إلا بواسطة هذه المخلوقات . فهي التي تنسكث فيه حتى يختمر . إذن هي تحضر لنا غذاءنا كما تحضر للنبات غذاءه

فقال : إذن فاذ كر لي ضررها ؟ فقلت هي تدخل أمراضا كثيرة في الانسان بطرق مختلفة ويجب على الانسان أن يتقيها وأول من أوضحها الاستاذ (باستور) فنها :

(١) مرض التسمم

(٢) والطاعون

(٣) والتيفود

(٤) والتيفوس

(٥) والالتهاب الرئوي وهو السل

ويدخل للإنسان بالأول من طريق الجرح في الجلد ، وبالثاني من طريق البراغيث ، وبالثالث من طريق القمل ، والرابع من طريق الغذاء جارياً في القناة الهضمية ، فيكون هنالك الاسهال الشديد والسل الرئوي والتيفود كما قدمنا . كل هذا سببه هذه الحيوانات . وبالخامس من طريق الرئتين وللوقاية من هذه نجب النظافة واستعمال المطهرات والمعقمات في الأول ، والنظافة وابادة الحشرات في الثاني والثالث . وابادة النباب واستعمال الماء النقي وتعقيم اللبن وحفظ الأغذية في أما كن نظيفة وهكذا في الرابع ، وتجنب الأماكن التي فيها التراب ، ومعالجة الزكام والبرد بسرعة ، وتجنب البسق ، والابتعاد عن المرضى ، وتناول الطعام الجيد ، والمحافظة على الصحة بوجه عام في الخامس

فما سمع صاحب ذلك . قال : لقد أحسنت وشرحت صدري ، ولكن هل هذا نعمة ؟ قلت أجل نعمة فهذا يعطى للناس دروس الجِدِّ والاجتهاد في الحياة . فلذا كان بعض هذه الجراثيم الخضر والحيوانات الدنيئة تقوم بتحليل المواد العنصرية ليعيش زرعنا ويدرّضنا فهاهي ذه بعضها تقوم بتقويم العقول وتنمية الملكات وتهذيب الأخلاق ، فهي التي تدعونا لتنظيف أمكنتنا وثيابنا وطعامنا وشرابنا ونكون رجالاً نشطين لاخامدين . إذن هذه جيوش مرسله من الله لاطعامنا ولاحداث النشاط فينا بسبب مقاومتنا لها ، ومماثل هذه النباتات الترابية التي تحلل العناصر لتغذية النبات فعيش بها ، والتي تحدث الأمراض من طريق الجلد والقناة الهضمية والرتة إلا كمثل النحل ودودة الحرير وهكذا الحيات والعقارب فكما ان الحيات والعقارب والحشرات الأخرى تحسنا على تنظيف أفئتنا ومنازلنا وثيابنا ، والنحل ودود القز تفيدنا غذاء وملبساً هكذا هذه النباتات فيها القسبان الضار والنافع ، فبالضار يكون الاحتراس والابتكار والاختراع وتقدم الطب وانشاء الكليات ومدارس الطب وارتقاء علوم كثيرة ، وبالنافع يكون نمو النبات ومنافع أخرى كصلاحية الزبدة والحل للتعاطي فقال : لقد استوفيت هذا المقام ، فأرجو أن تبين لي هل هذه الجراثيم والخلايا النباتية التي شرحتها الآن ذات ألوان كالنباتات المعروفة ؟ فقلت هي ثلاثة اقسام ، قسبان منها لالون لهما ، والثالث له لون وهو الطحلب واللذان لالون لهما أحدهما يسمى الفطر والثاني يسمى البكتريا ، فقال

البكتريا ما ترى في (شكل ٥٠) الذي أمامك الآن



ها أنت ذا شاهدت العقد المحيطة بهذه البكتريا العقدية ، أتدري من أين أتت هذه العقد ؟ أتت من تلك الجراثيم ، فانها تعيش وتتكاثر فوق النبات وتتغذى بطعامين اثنين : طعام هو الكربون الذي في الشجرة ، وطعام هو الاوزون الذي هو أحد أجزاء الهواء . فلا يزال يتكاثر حتى يموت بانتهاء آجاله ومن الذي يرث هذا الميت ؟ يرثه نفس هذا النبات الذي قبله في ضيافته فخل بساحته ، فإذا يجد النبات عند حصره التربة ؟ يجد أن الكربون الذي تمثل في جسم تلك النباتات الصغيرة موفراً بحاله ومعه أمر آخر وهو الاوزون الذي حصله ذلك الضيف من الهواء وهو كان قبل ذلك محتاجاً اليه ليقوى به . إذن هذه النباتات نافعات للنبات من جهة ومن جهة أخرى تكسب الأرض خصوبة باضافة اوزون جديد الى تربتها

فلما سمع صاحب ذلك . قال : أود أن توضح لي مسألة الطحلب . فقلت سأريك الآن العجب العجيب في مسألة الطحلب . وذلك ما ستراه من الأشكال البديعة في الصفحات التالية . فهناك ما جاء في كتاب «علم النبات» وهذا نصه

(شكل ٥٠)

رسم العقد التي تشاهد على جذور النباتات البقلية

## الطحالب

الطحالب نباتات ثالوسية مركبة من خلية واحدة أو من خلايا عدة ، وهي بسيطة التركيب لانتيمز فيها  
جذور أو سوق أو أوراق ، وتحتوى خلاياها على مادة الكلوروفيل ، وتعيش في الماء المالح أو العذب ، والقليل  
منها يعيش في التربة أو على جذوع الأشجار

والطحالب أهم غذاء للأسماك ، ويستخرج من بعضها اليود والبوتاسا ، ولدراستها أهمية عظيمة من  
الوجهة العلمية إذ أنها في بدائة تركيبها وطرق معيشتها تساعد على تعرف طرق معيشة النباتات المائية . ومن  
المتفق عليه أن الكائنات الحية نشأت في الماء . والطحالب على أنواع تختلف في ألوانها وأحجامها :

(الطحالب الخضراء) تعيش طافية على سطح الماء أو مثبتة على الصخور الواقعة على الشواطئ معرضة  
للسوء . وهي في الغالب صغيرة الحجم . وحيدة الخلية . أو كثيرة الخلايا . مكونة خيوطا متفرعة أو غير متفرعة  
أو مستعمرات (انظر شكل ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤)



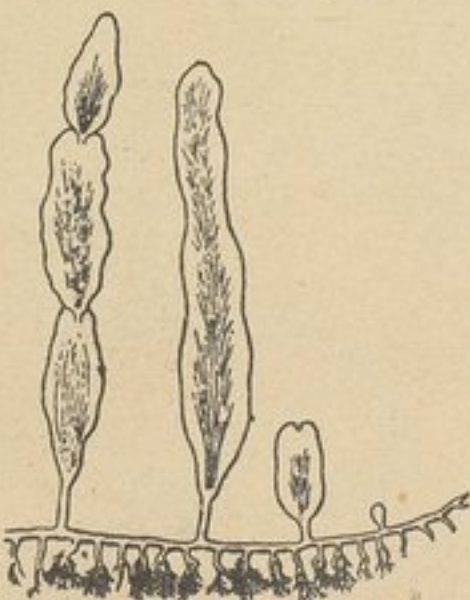
(شكل ٥٢)

مستعمرة من الطحالب الخضراء



(شكل ٥١)

طحالب خضراء وحيدة الخلية



(شكل ٥٣)

طحالب أخضر وحيدة الخلية أعضاؤه تشابه أعضاء النباتات الراقية

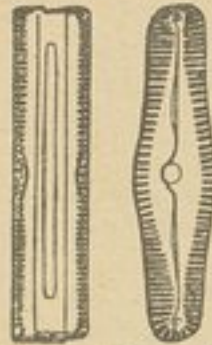


(شكل ٥٤)

طحالب زرقاء مخضرة

(الطحالب)

(الطحالب البنية) تعيش على عمق يسير من سطح الماء . أوطافية عليه . ومن هذه أنواع مركبة من خلية واحدة يحيط بها هيكل سيليسي (انظر شكل ٥٥) وعند موتها ترسب هياكلها وتتكون منها طبقات سيليسية



شكل ٥٥ - طحالب بنية وحيدة الخلية (دياتومات)

وفي الغالب تكون الطحالب البنية مثبتة على الصخور الموجودة على مستوى ماء الجزر فتعرض للضوء مدة الجزر وتختفي قليلا مدة المد . وهي تختلف في أحجامها من طحالب صغيرة الى طحالب كبيرة الحجم (الطحالب الحمراء) تعيش على أعماق كبيرة من سطح البحر . وأغلبها صغير الحجم خيطي التركيب . وكل الطحالب على ألوانها المختلفة تحتوي على مادة الكلوروفيل ولكنه يوجد في الطحالب البنية والحمراء فضلا عن الكلوروفيل مواد ملونة تخفي لونه الأخضر

ومن الطحالب ما يماثل النباتات الراقية في وجود مثبتات لها تشبه الجذور يعلوها جزء اسطوانى يشبه الساق ويخرج منه ما يشبه الأوراق . وقد يبلغ الواحد منها أحيانا حجم شجرة كبيرة . وتتكاثر بعض تلك الطحالب الكبيرة كالسرجاسوم (انظر شكل ٥٦) في مناطق معينة . منها منطقة في المحيط الأطلسي تعرف ببحر سرجاسو . ولشدة تكاثرها وكبر حجمها تعد خطرا على الملاحة في هذه المنطقة . وبعض الطحالب الحمراء يفرز هيكلا خارجيا من كربونات الكالسيوم يحيط به ويساعد على تكوين الشعب المرجانية (انظر شكل ٥٦)



( شكل ٥٦ - السرجاسوم : أحد الطحالب البنية الكبيرة الحجم )

### الفُطْر

الفطر تشبه الطحالب في بساطة تركيبها . غير أنها كالبكتريا خالية من الكلوروفيل . ولا تعتمد الكلوروفيل فيها تأثير كبير على طرق معيشتها . فهي غير قادرة على تمثيل الأغذية غير العضوية . ولذلك تحتاج الى مواد عضوية مجهزة . وتنقسم الفطر بالنسبة لمصدر غذائها الى قسمين :

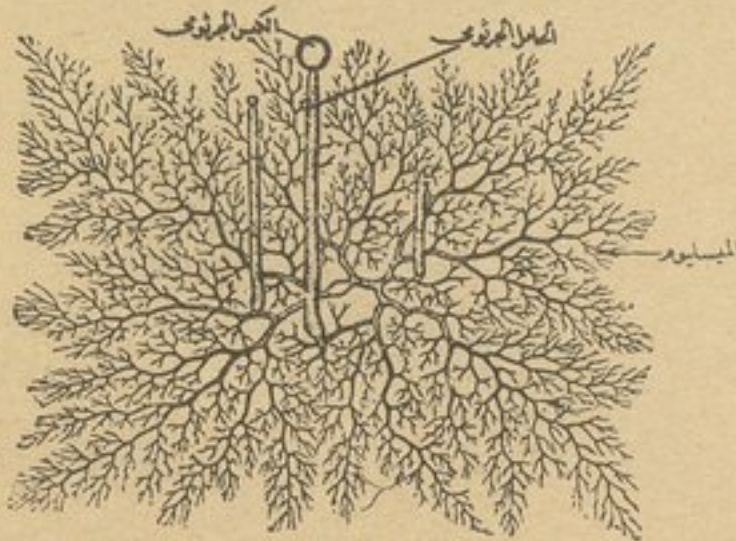
(١) فطر رمية وهي التي تتناول غذاءها المجهز من المواد العضوية الميتة . وهذه الفطر أهمية كبيرة في الطبيعة إذ أنها تساعد البكتيريا على تحليل المواد العضوية الميتة وتحويلها الى مركبات بسيطة . وبعضها يسبب فساد كثير من المواد الغذائية . فتعفن الخبز والمربات وكثيرا ما يقرب عن إصابة هذه المواد بأنواع مختلفة من الفطر

(٢) فطر طفيلية . وهي التي تتناول غذاءها من (بروتوبلازم) الكائنات الحية مباشرة . ومنها ما يصيب النباتات فيسبب لها أمراضا مختلفة قد ينجم عنها خسائر فادحة في المحاصيل الزراعية

ومن الفطر ما يصيب الحيوانات والانسان . فالقراخ مثلا يسبب من إصابة جلد الرأس بنوع من الفطر الطفيلية . والفرق بين الفطر الرمية والفطر الطفيلية غير واضح في بعض الأحوال لأن بعض الطفيليات قد يستمر على التغذي من عائله بعد موت ذلك العائل كما ان بعض الفطر الرمية قد يتحول الى طفيليات في ظروف خاصة

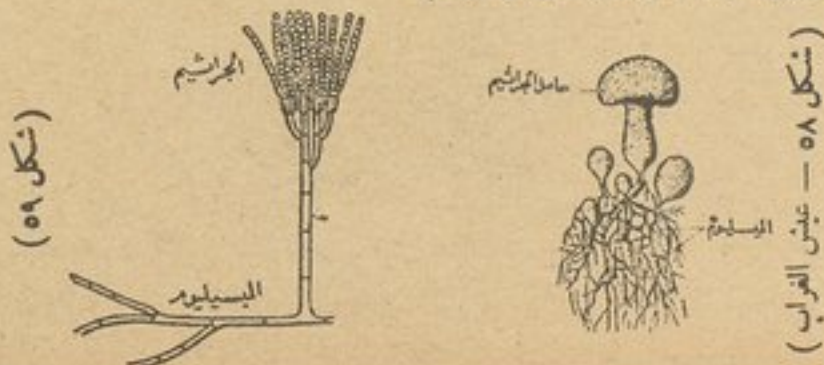
### ﴿ تركيب الفطر ﴾

يتركب جسم النبات الفطري إما من خلية واحدة كالجيرة . وإما من أنابيب رفيعة كثيرة التفرع تسمى كل منها (هيفا) ومجموعة هيفات الفطرة الواحدة تعرف بالميسليوم كما في (شكل ٥٧) وقد تكون الهيفات مقسمة بحواجز عرضية (شكل ٥٨) أو غير مقسمة (انظر شكل ٥٧)



( شكل ٥٧ )

وقد تتكاثف هيفات بعض الفطر وتلاصق فتتكون منها كتلة تشبه أنسجة النباتات الرقيقة كما هو الحال في « عيش الغراب » (انظر شكل ٥٨ و ٥٩)



( شكل ٥٩ )

( شكل ٥٨ )



﴿ جمال العلم في قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - مع قوله تعالى - وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين - ﴾

سبحانك اللهم شملتنا باحسانك . وبهرتنا بجمالك . ونحن الى جالك أشوق . والى علمك أكثر بهجة وأفرح قلوبا

سمعناك ياربنا تقول - وقدر فيها أقواتها - . فأخذنا نستقرئ هذه الأقوات . فوجدنا عجبا ! وجدنا أن أسبابها هي المشرقات الجيبات من الشمس والكواكب والأقمار . أدركنا الطرف الى تلك المشرقات فألفيناها لا تفتأ تلقى الأشعة والأنوار على أرضنا الجيلة البهجة الحسناء . ووجدنا أن حركات تلك المشرقات لها حساب لا خلل فيه ولا خطأ ولا خطل . ورأينا صيفا وشتاء وربيعا وخريفا وليلا ونهارا كلهم بحساب . ثم إن الأنوار الواصلة الى الأرض مختلفات ضعفا وقوة باختلاف ذلك الحساب . وعلى مقتضاه وجدنا النبات في الأرض فقلنا لعل الحساب في تلك الكواكب وحدها . أما النبات فلا حساب فيه . بل هو خارج بمقتضى المصادفة . ولكننا لما نظرنا في أمر النبات وأخذنا نستقرئ أنواعه وأجناسه وجدناه بحساب إذ رأيناه موضوعا أيضا بدقة لأنه محمول لغذاء الحيوان والانسان . والانسان يحتاج في اليوم والليلة من الغذاء الى مقدار أقله نحو نصف كيلوجرام وأكثره نحو كيلوجرام . وسأئتي تفصيل هذا المقام في أول ﴿ سورة الجانية ﴾ فراجعه ولا تعول إلا على التفصيل هناك ولن يجعل بعضه هنا فنقول

رأينا أن الانسان يحتاج الى نوعين من الطعام : نوع هو مواد عضوية مركبات من مواد نشوية ومواد دهنية ومواد زلالية (آزوتية) . ونوع هو مواد غير عضوية كالألاح المختلفة والماء . والجرام من المواد الدهنية يعطى الجسم حرارة تولد نشاطا فيه وحركة . وتلك الحرارة لها وحدة يسمونها ( كالورى ) أو ( سعر ) وبمجموع ما يحصل من جرام الدهن ( ٩ ) كالورى . وما يكون من جرام النشاء ( ٤ ) كالورى . وما يكون من جرام الزلال ( ٤ ) كالورى ، فإذا كان في الطعام ( ٣ ) كلوجرامات من كل واحد جرام كان فيه ( ١٧ ) كالورى ( سعر )

﴿ غذاؤنا لا بد فيه من مواد دهنية ، وأخرى نشوية ، وأخرى زلالية ﴾

فالدھنية كالزيت ، والنشوية كالأرز ، والزلالية كالبيض واللحم وهكذا ، فهذا الذى نحتاج اليه في طعامنا أليفنا في النبات وفي الحيوان ، ثم وجدنا نسبة مختلفة ، فتارة يكثر الزلال ، وتارة يكثر الدهن ، وتارة يكثر النشاء ، ولنا أحوال مختلفات من صحة ومرضى وضعف وقوة وعلى مقتضاه تختلف أطعمتنا ، فتارة نكثر من النشاء . وتارة نكثر من الدهن . وتارة نكثر من الزلال . ثم اتنا لمباحثنا النبات وجدنا هذه فيه بنسب مختلفة أيضا ففررنا أن ههنا حسابا موضوعا بدقة لنستعمل ما يوافقنا منه بعد التروى والبحث والتنقيب . وهالك مثلا لذلك :

﴿ المواد النشوية ﴾

رأينا المادة النشوية تكثر في الارز والتمر والقمح والبرلة الناشفة والفول الناشف واللوية الناشفة والعسل والبلح الناشف . فهذه الأنواع التسعة يكون النشاء فيها من نصفها الى ثلاثة أرباعها . ونرى الكرنب والطماطم والسبانخ والخمض وكشك الماز والخيار والشمام والبطيخ والبرتقال والليمون فيها أقل من عشرة في المائة مواد نشوية . ونرى الفول السودانى والتفاح والكمثرى والخوخ والتوت والعنب واللوز والتين واللوز والبندق والجوز وأبوفروه وجوز الهند والفسدق والصنوبر . كل هذه فيها النشاء أكثر من عشرة في المائة .

## ﴿ المواد الدهنية ﴾

وزى المواد الدهنية تكثر في اللوز والبندق والجوز والفسدق وجوز الهند والصنوبر فهى في هذه أكثر من النصف . وزى الدهن في الديك الرومى والأوز والضاني والبقري والقول السودانى والبيض أكثر من عشرة فى المائة . وزاه فى القمح والتمر والبن والبطاطس والبطاطة واللوية الخضراء وما أشبه ذلك قليلا جدا

## ﴿ المواد الزلالية (الآزوتية) ﴾

اتنا ترى المواد الزلالية فى الديك الرومى والأوز والفراخ والضاني والبقري والصنوبر والفسدق والجوز والبندق واللوز والقول السودانى والعنيس واللوية الناشفة والقول الناشف والبرلة الناشفة فى كل هؤلاء أكثر من عشرة فى المائة . وزاهما أقل من عشرة فى المائة فى البرلة المقشرة وفى الكرنب والطماطم وهكذا عجبا يارب بنا : وزنت سير الثبرات . وأدهشتنا بعلم الفك . ولكنك فى خلق الحيوانات والنباتات وجدنا حسابك مر كبا مضاعفا . فانك جعلت أجسامنا مركبة من مواد دهنية ومواد آزوتية ومواد نشوية . وخص هذه المواد وجدناها بمقادير مختلفة . ثم سمعناك تقول فى كتابك - وقدر فيها أقواتها -

يارب تبا للجهالة . تبا للجهال . يسمع المسلم - وقدر فيها أقواتها - فتمر عليه الكلمة غالبا كأن لم يسمعها . أو اه لأم الاسلام النائمة . أفلم يدبروا القول إذ جاءهم ا

إن هذه المات كل قد وزنتها الأمم حولنا ونظروا فيها نظراتهم . فهل يبقى المسلمون مكتوفى الأيدي . إن للمسلمين بعد انتشار هذا التفسير لجولة ودولة وصوله واسعادا لنوع الانسان . هذه النباتات طلاس وألغاز لا يحلها إلا علماء جيع النوع الانسانى لابعضه . والمسلمون يلفون نحو الجنس أو الرعب من نوع الانسان ، فطليهم أن يقوموا بما عليهم حتى اذا درسوا ما أنتجته قرائح آبتهم . ثم ما أنتجته قرائح الأمم المتأخرة بدهم قاموا إذن بتصحيح من البحث فى الأغذية وأنواعها قيما بحق قوله تعالى - وقدر فيها أقواتها - إذ وضعها بوضع مقدر فكانت المواد النشوية والمواد الأزوتية والمواد الزلالية كل منها له نسب خاصة فى المواد الضوية وذلك لاختلاف الآكلين والأمزجة والأمكنة والأشخاص ، وذلك يعوزه كثرة البحث والتنقيب حتى تكون هناك نتائج بها يخصص لكل قبيل ولكل امرئ ما يناسبه زمانا ومكانا ، هنالك تقل الأمراض وترقى العقول وتعدد الانسانية . ولن يتم ذلك إلا اذا ساعد الغربى الشرقى ، والشرقى الغربى ، فى درس هذه الدنيا ونظامها ورموزها

## خطاب المؤلف لربه

يارب فى القلوب حبك ، وفى العقول شكرك ، وفى الألسنة تناؤك ، لاسعادة فى الحياة إلا بالحب ، ولاحب

إلا بعد العلم

تحبك الدواب والأنعام لأنك تسدى إليها الغذاء ، وتحبك العائمة من نوع الانسان لأنك تطعمهم من جوع وتغنيهم من فقر ، وهذا حب كح عبيد العصا يحسون بحب ساداتهم اذا رفعوا عنهم ضرب العصا ، فهو حب على دفع الألم بعد حصوله ، وهل اللذة إلا بعد الألم . ويحبك بعض آخر من العائمة لأنك فوق ماغذيتهم بالطعام ملكتهم منه كثيرا ، وأنعمت عليهم بالمال الوفير والخيرات والبركات وآيتيتهم ملكا فى الدنيا . ويحبك الأطباء لأنهم اطلعوا على أسرار الأغذية وخواصها فشفيت بها مرضاهم . ويحبك الحكماء وحجهم لك أعلى من حب السابقين

## ﴿ تذكرة ﴾

إذا أردت أن تعرف كيف ترب غذاءك فقرأ ما تقدم فى آخر سورة ص عند قصة آدم عليه السلام ،

وفيه أيضا في آخر سورة طه ، وفي سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - وفي سورة الحجر وفي سورة الأعراف عند قوله - وكلوا واشربوا - الخ وفي سورة البقرة عند آية - أنستقبلون الذي هو أدنى بالذي هو خير -

انهم يحبونك لعلك الذي ظهرت آثاره في نحو تقدير الأقوات ولرحمتك التي تجلت في عنايتك باستيفاء أنواع أغذية الحيوان ، ولجمالك الذي تجلت آثاره في صور النبات وأشكاله وبدائع الحيوان ، ولحبك الذي أمد بعضه القلوب فأجبت الاحسان والجمال والكمال . إن سعادتنا بالحب . ولا كمال للحب إلا على مقدار العلم بالمحبوب . يصلى المسلم فيقول « الحمد لله رب العالمين » ويسبح ويكبر . فبالسبح يتصور أن ذلك المحبوب أرفع من كل ما يعلمه . وبالتحميد يتذكر إحسانه وعلمه فيزداد حبه . وبالتكبير ينسى كل مخلوق ويفرح بذلك الوجود الأكمل ، وهناك يفهم - وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا -

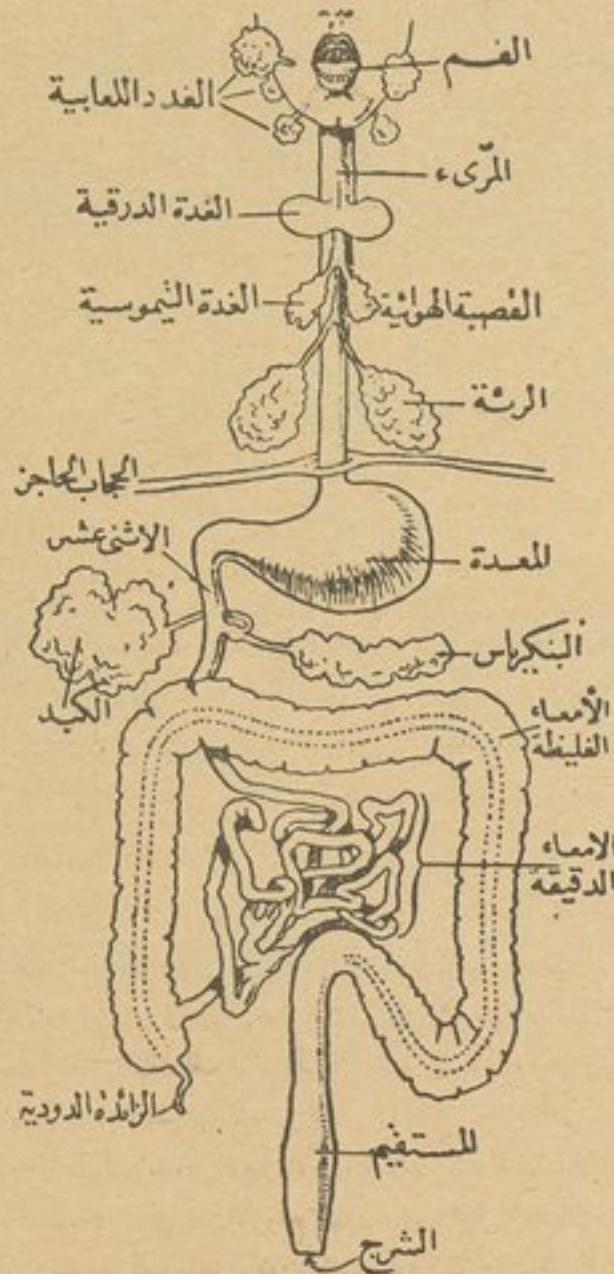
بازدياد العلم يزداد الحب . وبازدياد الحب تزداد السعادة . وأفضل سعادة الدنيا هو الحب . وأفضل سعادة الآخرة هو الحب

( نور على نور وضرب مثل بما نحن فيه لما يلهب القلوب حبا ويملؤها جلالا ويبرها أنوارا )  
أريد أن أضرب مثلا ببعض أنواع النبات ونظامها وموافقها للجهاز الهضمي . ياسبحان الله : ترى الانسان يعوزه في اليوم ( ١٨٠٠ ) سعر اذا كان في فراشه . وقد عرفنا ما هو السعر فيما تقدم قريبا أن الذي يحده في الجسم هو المادة الدهنية والنشوية والاوزوتية . وهو يحتاج الى ( ٤٠٠٠ ) سعر إن كان في شغل شاق والى نحو ( ٣٠٠٠ ) اذا كان في شغل متوسط . ولقد عرفنا أن الجرام من المادة النشوية ومن المادة الزلالية يحدت ( ٤ ) سعر ( كالورى ) ومن المادة الدهنية يحدت ( ٩ ) كالورى فلننظر في القرة والقمح والسنوبر والبقول السوداني فإذا نجد ؟ نجد الجدول التالي

القيمة الغذائية للطل المصري	نشوية	دهنية	آزوتية زلالية	ماء	الصف
١٥٦٤	٧٤٨٨	١٠١	١٠٠٨	١٢٠٨	قمح
١٥٤٧	٧٦٠٣	٢٠٨	٩٠٩	٩٠٣	أذرة
٣٠٤٠	١٧٠٣	٦١٠٩	١٤٠٦	٣٠٤	سنوبر
٢٤٣٤	٢٤٠٤	٣٨٠٦	٢٥٠٨	٩٠٢	فول سودانى

إنما اخترت هذه الأغذية لأنها تعطينا ضروب التفاوت في مقدار السعر وفي المقادير الدهنية والاوزوتية والنشوية ، فقد ارتفع الفول السودانى في المادة الاوزوتية ، والسنوبر في الدهنية ، والقمح والذرة في النشوية وارتفع السنوبر في قيمة التغذية . ويلي الفول السودانى وأقل منهما الذرة والقمح  
هذه صورة تظهر لنا مقادير الأغذية في النبات ، إن كل نبات لا يتخلو من هذه المواد ، ففيها الماء ، وفيها المواد الثلاثة ولكن النسب مختلفات كما يختلف الناس أوطانا وقوى وأجساما وقبائل وعادات فاختلفت النباتات كما اختلفوا . وهنما مدهشات وهجائب هو أمر الشمس وأمر جذور النباتات وأمر أوراقه والجهاز الهضمي للانسان مثلا . أليس من العجيب أن الشمس ترسل الأشعة ف تساعد تلك المادة الملونة التي تقدم وصفها في ( سورة يس ) عند آية - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - يارب عجبا ( انظر الموضوع هناك إذ ترى صور الورقات ، ووصف الحجرات في كل ورقة ، وانها تكون مئات وألوف وملايين في الورقة الواحدة والمادة الملونة في تلك الحجرات يساعدها ضوء الشمس في اجتذاب الغذاء من الهواء ، ولولا هذا لم يكن نبات) وهكذا

تري جنسور الأشجار والزرور ذات مسام شعرية تختلف فتحاتها اختلافا على مقتضى اختلاف النبات بحيث تكون الفتحات الشعرية لكل نبات صالحة لاجتذاب وقبول المواد التي يتحمل بها النبات ، وفتحات هذه الأنابيب هي مفاتيح سرّ النبات ، فتكون في الصنوبر غيرها في الفول السوداني غيرها في النرة والقمح بحيث لو اختلت أو اضطربت فدخلت مواد تزيد في المادة الدهنية أو الفسوية أو الأوزونية عما هو مقرّر لكل منها لم يكن في الأرض فول سوداني ولا ذرة ولا قمح ولا صنوبر ، فنظام هذا العالم نظام أدبي عجيب ، لو اختلت الأوراق في سجراتها أو الجذور في فتحاتها فدخلت ذرات لا توافق حساب المواد المقررة للنبات لم يكن ذلك النبات وفسد هيكله ولم يمش حيوان ولا إنسان قال تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - . والأمر الأعجب أمر الجهاز الهضمي ( انظر شكل ٦٠ )



( شكل ٦٠ - رسم الجهاز الهضمي )

تجب لهذا الجهاز . انظر كيف نظمت مصانعه على مقتضى نظام النبات . ومعنى هذا انه جاء مطابقا للمواد الداخلة في النبات ، فكما ترى في كل نبات :

(١) مادة نشوية وتغلب في الحبوب كالقمح والشعير والأرز ، وفي الخضراوات كالبطاطس والبطاطة واللفت والجزر والبنجر ، وفي البقول كالفول والعدس واللوبية والبرزلة (الجافة)

(٢) ومادة زلالية أوزوتية وتغلب في البقول والمحوم

(٣) ومادة دهنية وتغلب في الزيوت (والسمن والزبدة ودهن الحيوان والطيور)

هكذا ترى في هذا الجهاز المرسوم في الصحيفة السابقة :

﴿ أولا ﴾ - (١) مصانع في القم وهي (٦) يتابع تهضم بعض المواد النشوية (٢) وما بقي من النشاء بلاهضم يهضمه البنكرياس بخميرة خاصة به ويزيد هذه المادة هضمًا (٣) عصارة الأمعاء الدقيقة

﴿ ثانيا ﴾ المواد الدهنية وهي تهضم بعصير يخرج من مصنعين : أحدهما البنكرياس ، وثانيهما ما يفرزه الكبد من الصفراء

﴿ ثالثا ﴾ المواد الآزوتية وهي تهضم بالعصير المعدي والبنكرياس

المواد	الهواضم
النشاء . . . . .	(١) لعاب القم وهوست يتابع
الآزوتية . . . . .	(٢) العصير المعدي
الدهنية . . . . .	(٣) الصفراء
النشاء الآزوتية . . . . .	(٤) البنكرياس
النشاء . . . . .	(٥) عصير الامعاء الدقيقة

فإذا نحن جاوزنا لعاب القم أفينا عجبا ! أفينا البنكرياس يهضم الأنواع الثلاثة بأنواع من الهواضم مختلفات ، وأفينا العصير المعدي والصفراء والامعاء قد وزعت عليها أنواع الأغذية الثلاثة توزيعا عادلا فساعد كل مصنع في هضم مادة من المواد ، إذن لكل مادة نوعان من الهواضم اذا استثنينا لعاب القم للمواد النشوية ههنا ننظر في ضوء الشمس ، وفي سحجات الأوراق ، وفي فتحات الأمايب الشعرية ، فنجدها قد حسبت حسابا متقنا حتى حصلنا المواد الغذائية ، ثم نبعث في الجهاز الهضمي فنجد المصانع فيه موزعات على هذه المواد انى عملت فيها عوامل الأضواء والأوراق وفتحات الجذور الشعرية

﴿ نظام الأم الأرضية ، والشوق الى مبدع النظام ﴾

فياليت شعري يا معاشر بني آدم ، أغفلتم عن هذا النظام ، ألم تعلموا أن هذا مثل فضله الله للناس بنفس نظام ما سكننا ، وقال لكم : « لولم يكن هناك البنكرياس مع العصير المعدي ، ولولم يكن البنكرياس مع الصفراء ، ولم يكن البنكرياس مع عصير الامعاء لم تهضم المواد الآزوتية والمواد الدهنية والمواد النشوية » - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون -

فهذا هو التفصيل ، وهذا هو التدبير ، وبهذين يكون الايقان ، واليقين هو العلم الذى لا يدخله الشك . لو أن مصنعا من هذه المصانع الهواضم للمواد لم يكن في الجهاز الهضمي لاختل نظام الهضم . ألم يعلم هذا النوع الانسان أن الأرض جيعها أشبه بالجهاز الهضمي وأن عقول بني آدم أشبه بهذه المصانع الهواضم لهذه المواد وأن اختلال عقول أمة أضعف قوتها يحرم المجموع الانسان مما تنتجه تلك العقول كما يحرم الانسان من هذا

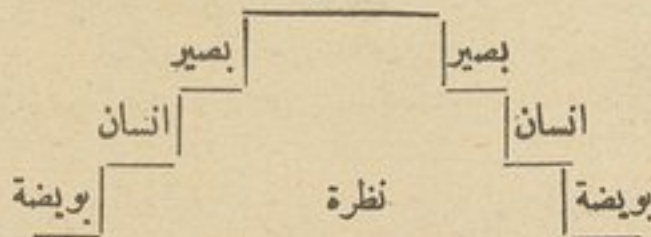
الانتفاع بنشأه وبدهن وبزال لم يجد ما يهضمه . أرى فرق أيها الناس بين القوى الماضيات المواد والأغذية المختلفة وبين العقول المختلفة الموزعات على الناس ، أليس هذا النظام الجسمي العجيب مشاكلا كل المشاكلة للنظام العام . اللهم إني أكتب هذا القول في كتابك وأخاطب عبادك جميعا في الأرض ، وأقول : «مادامت هذه الأرض فيها أمة واحدة لم يستخرج ما عندها من القوى العقلية وما في أرضها من القوى المادية فأهل هذه الأرض جميعا معذبون على مقدار ما نقصهم من فوائد تلك العقول كما تنقص سعادة الإنسان الواحد بما قصه من القوى الهواضم لمواد طعامه ، وهذا القول أنا به موقن

عروج النفس الى العالم الأعلى

لقد قدمت في غير ما موضع من هذا التفسير لاسيا في آية - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ في هذه السورة أن المادة عجزت عن إمداد عوالمها بالحرارة والضوء فهي عن إمدادها بالتصوير والادراك والعقول والفراز والقوى أشد عجزا ، وأقول الآن : إن العلم اليوم في العالم الإنساني أثبت أنه لا وجود للمادة لأنها عبارة عن حركات تتوعدت فإن كانت من ٤٠٠ مليون مليون في الثانية الى ٧٠٠ مليون مليون فيها فذلك هو الضوء ، وإن كانت نحو ٦ آلاف مليون مليون في الثانية فهي العناصر ومركباتها ، فليحذف النوع الإنساني من صحائفه ذكر الفلاسفة الماديين ، فإذا لم تكن مادة فكيف يكون لها فلاسفة ولكن الناس يذكرونهم وهم غافلون عن رقى العلم اليوم .

فلم يبق إلا أن هناك علما ورجة وجمالا وجبا استمدت منه الناس علمهم ورجاتهم وحبهم وصورت العوالم بالصورة الجلية التي لا تقدر عليها المادة الموهومة ، فهنا نتيجتان : نتيجة سياسية ، وهي أن الأمم الأرضية لا تزال مضطربة معذبة حتى يستقر قرارها بنظام يشمل جميع نوع الإنسان فيكونون كجهاز هضمي واحد يقوم بجميع ما في الأرض من الأعمال ، ونتيجة علمية ، وهي أن أسعد حياة للإنسان أن يدرك هذه الحقائق بعقله من غير تقليد ، وهناك يرى أن عقله والرجة التي عنده ، والجمال المبدع في العوالم حولنا ، والحب المثلث في العوالم كل هذه آثار لعلم ورجة وجمال وحب واسع ، فهي أحسن ذلك دخل في عداد السعادة في هذه الحياة ، ويكون ممن قبل فهم - لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون -

## عاقل



وسياتي تفصيل هذا المقام في تفسير البسملة في سورة الدخان ، وسترى هناك كيف خيلت لي درجات رقى الإنسان أولا في بطن أمه وثانيا في درجات إحساسه ثم في عقله ، وهناك ترى رسما أظهر من هذا الرسم إذ يكون بويضة في الرحم فيرتقى إلى أن يصير ذبابة وقردا وإنسانا ، ثم بعد الوضع يلمس ويدوق ويشم ويسمع ويبصر ثم يعقل وهناك وصلت في الخيال إلى القدرة العليا ، وعلوت إلى ذلك المستوى الرفيع ، وغادرت عالم المحسوسات ودخلت في عالم العقولات ، غصت ولى نظرتان : نظرة إلى أعلى ، ونظرة إلى أسفل وبعبارة أخرى نظرة إلى عالم العقل والروح والحب والجمال ، ونظرة إلى عالم المادة كالأرض ومن عليها وأشجارها وزروعها وأحجارها ورمالها وجبالها وبحارها ، هنالك تبينت لي الحقائق ، وابتهجت نفسي بالمعارف ، وأخذت أوازن ما بين هذين المنظرين وبين الصلاة في الإسلام ، فتارة كنت أحصر الفكر في العالم اللطيف الذي أسكرني غشيته

وأبهجتى حكمته ، وأسعدتنى بهجته ، فأعرف إذ ذاك كيف يكون الحمد على النعم والشكر عليها والرحمة العاتمة ومبدأ الهداية الى الصراط المستقيم ، وتارة أنظر الى العالم الأرضى أسفل هذا المعراج ، فأفهم لماذا يسلم المسلم على الأنبياء وعلى الصالحين وعلى نبيه ﷺ وعلى نفسه تارة ، ويصلى على نبينا ﷺ وعلى الأنبياء قبله تارة أخرى ( وعبارة أخرى ) ان النظرة الأولى لعالم الأرواح والجمال والعقل منبع للنظرة الثانية وأصل لها ، فالأنبياء هم الذين يفشون السلام فى الأرض مما اقتبسوه من ذلك العالم ، فالقائحة أقرب الى عالم الجمال والعلم وماسعهما والتشهد فى الصلاة مفرع عليها ، فاذا كان هؤلاء الأنبياء هم مبدأ السلام فى الأرض اقتبسوه من عالم العلم والجمال ، فالسلم يسلم عليهم ليقلدتهم بسبب كثرة استحضارهم فى نفسه فيصبح ذلك ملكة راسخة فى نفسه فيفشى السلام فى الأمم كما أفشوه ويستعمل أهم الطرق لتلك ويتدى بتحية الله عز وجل وهذا سر السلام على كثير من الأنبياء فى ( سورة الصافات ) وانتهت السورة بتسبيح رب العزة والسلام على المرسلين كلهم واعلان الحمد لأن هذا الحمد الذى تشمله القائحة المبني على العلم والرحمة الخ مبناه وأصله سبب فى أن الأنبياء أفشوا السلام فى الأرض ، ومن هذا يضم المسلمون سر قوله ﷺ « افشوا السلام » وسر تسليم المؤمن على أخيه كلما قابله . انتهى مساء ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

### بهجة الحكمة وجمال العلم

فى قوله تعالى أيضا - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت -  
أنا الساعة أظن انى نجحت فى مشاركتك أبها الفكى فى فهم مقادير النبات ونسبتها الى جهازنا الهضمى  
والى الشمس والضوء والأنابيب الشعرية وفتحاتها المختلفة ، فحق لى أن أريك الآن جدول الأطعمة من  
كتاب « الغذاء فى الأمراض » تأليف الدكتور حسن عمر . فقد جاء فيه تحت العنوان التالى مانصه :

### تحليل الغذاء كيميائيا

إن معظم المواد التى يتغذى بها الانسان إما أن تكون عضوية أو غير عضوية . فغير العضوية هى عبارة  
عن مختلف الأملاح التى يأكلها الانسان فى غذائه ومشربه . أما المواد العضوية فهى غالبا مركبة من مادة  
نشوية ودهنية وزلالية ( آزوتية ) . هذا وسترى فى الجدول الآتى قائمة فيها تحاليل معظم ما كولاتنا فى المائة  
مع ذكر قيمتها الغذائية للجسم فى الرطل المصرى الواحد ( انظر هذا الجدول )

القيمة الغذائية للرطل المصرى بالسعر	نشوية	دهنية	أزوتية ( زلالية )	ماء	الصف
١٥٦٤	٧٤٠٨	١٠١	١٠٠٨	١٢٠٨	قمح
١٥٤٠	٧٩٠٤	٠٠٤	٧٠٤	١٢٠٤	أرز
١٥٤٧	٧٦٠٣	٢٠٨	٩٠٩	٩٠٣	أذرة
٣٢٥	٥٠٠	٤٠٤	٣٠٣	٨٧٠	لبن
٦٨٥	٠٠	١٠٠٥	١٤٠٨	٧٣٠٣	بيض
٢٩٧	١٤٠٧	٠١	١٠٨	٦٢٠٦	بطاطس
٤٥٠	٢١٠٩	٠٦	١٠٤	٥٥٠٢	بطاطه
١٣٦	٤٠٧	٠٣	٢٠٣	٨٩٠٣	لوبية خضراء

القيمة الغذائية للرطل المصرى بالسعر	نشوية	دهنية	آزوتية (زلاله)	ماء	الصف
٣٢٠	١٣٧٧	ر٤	٣٣٤	٨١٧٨	بزله بقرونها
٤٦٧	١٦٧٩	ر٥	٧٧٧	٧٤٣٦	بزله مقشره
٢٤٥	٩٣٨	ر٢	٣٣٦	٨٥٣٣	بزله فى العلب
١٥٧٨	٦٢٣٠	١٣٠	٢٤٣٦	٩٣٥	بزله ناشفة
١٥٨٩	٦٥٣٥	١٣٥	١٨٣١	١٠٣٤	فول ناشف
١٥٢٧	٥٩٣٦	١٣٨	٢٢٣٥	١٢٣٦	لوية ناشفة
١٥٣٧	٥٩٣٢	١٣٠	٢٥٣٧	٨٣٤	عس
٢٤٤٣	٢٤٣٤	٣٨٣٦	٢٥٣٨	٩٣٢	فول سودانى
١٥٠	٥٣٨	ر٤٠	١٣٨٠	٨٩٣٦	كرب
١٥٠	ر٤	ر١٠	٥٣٦٠	٩٧٣٤	» مطبوخ
١٢٠	٥٣٠	ر٢٠	١٣٣٠	٩١٣٩	طماطم
١٢٠	ر١	ر٢٠	١٣٠٠	٩٤٣٥	طماطم مطبوخة
١٣٢	٣٣٨	ر٥٠	٢٣٥	٩٠٣٦	سبانخ
١٨٩	٢٣٦	ر٤٠	١٣٤٠	٩٤٣١	خص
٩٨	٢٣٩	ر٢٠	٢٣٢٠	٩١٣٧	كشك الماز
٥٨	٢٣١	ر١٠	ر٨٠	٩٥٣٩	خيار
٢٥٠	١٢٣٥	ر٥	ر٤٠	٨٢٣٥	قلاح
٢٣٨	١١٣٥	ر٦	ر٤٠	٨٣٣٩٠	كبرى
٢٥٧	١٣٣٤	ر٢	ر٥٠	٨٨٣٨٠	خوخ
٥٢٤	١٥٣٤	٥٣٧	١٣٣٠	٨٤٣٧٠	توت
٣٣٣	١٥٣٥	١٣٠٠	١٣٠٠	٧٩٣٠	عنب
٢٦٦	٧٣٦	٣٣٠٠	ر٧٠	٨٩٣٨٠	شمام
١٢٤	٦٣٥	ر١	ر٣٠	٩٢٣٩٠	بطيخ
٤٦٢	٢٢٣٩	ر٧	١٣٥٠	٧٤٣٠	موز
١٩٥	٨٣٧	ر٦	ر٩٠	٨٦٣٧٠	برتقال
٢٠٠	٨٣٣	ر٩	١٣٠٠	٨٣٩	ليمون
١٣٢٨	٦٥٣٧	٢٣١	٤٣٤٠	٢٣٠٨	بلح ناشف
٣٩٥	١٨٣٨	ر٩	١٣٥٠	٧٣٩١	تين
١٥٥٨	٧٤٣٧	٤٣٧	٢٣٥٠	١٣٤٠	زيب
٢٨٧٣	١٧٣٣	٥٤٣٩٠	٢١٣٠	٤٣٨	لوز
٣١١٦	١٣٣	٦٥٣٣٠	١٥٣٦	٣٣٧	بندق
٣١٣٣	١٤٣٨	٦٤٣٤٠	١٦٣٨	٢٣٨	جوز
١٠٧٤	٤٢٣١	٥٣٤٠	٦٣٢	٤٥٣٠	أبوفردة



القيمة الغذائية بالارطل المصرى بالسعر	نشوية	دهنية	آزوتية (زلاليه)	ماء	الصف
٢٦١٩	٢٧٢٩	٥٠٠٦٠	٥٧	١٤٢١	جوز هند
٢٨٥٦	١٥٢٦	٥٤٢٥٠	٢٢٢٦	٤٢٢	فسدق
٣٠٤٠	١٧٢٣	٦١٢٩	١٤٢٦	٣٢٤	صنوبر
٩٨٥	٠٠	١٢٢٥	١٦٢١	٥٢٢٥	بقرى بيت الكلاوى
٨٤٨	٠٠	١٢٢٨	١٩٢٠	٦٧٢٠	بقرى نخذه
٥٩٠	٠٠	٧٢٩	١٥٢٥	٦٠٢١	بنلو نخذه
٨٥٥	٠٠	١٤٢٧	١٥٢١	٥١٢٢	ضاني »
١٣٧٠	٠٠	٢٨٢٣	١٣٢٥	٤٢٢٠	ضاني كستليتة
٢٨٣	٠٠	١٢٤	١٢٢٨	٤٣٢٧	فراخ
١٤٢٩	٠٠	٢٩٢٨	١٣٢٤	٣٨٢٥	أوز
١٠٢٠	٠٠	١٨٢٤	١٦٢١	٤٢٢٤	ديك روى

﴿ قسمة علم النبات بيننا وبين الأطباء ﴾

يقول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالتهاب والسبايا \* وإنما بالملوك مصفدينا

ويقول عنتره العبسي :

لى النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب

يقول إني عظيم القدر شريف المنزلة ، لا أجعل نفسى وقفا على الامور المادية ، واذا قنعت الطيور بلحم من أجندلم في الميدان ، وقنعت الوحوش بالعظام ، ورجالى بما طى القتل من دروع وملابس ، فاني أكبر نسا وأعز شرفا ، فكفاني أنى أنا القاتل . فهو لاء مقاصدهم مادية ، فأما أنا فأرى أشرف قدرا وهو انى قاهر الأقران موصوف بالشجاعة والعلو والقهر ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لئانى روحية ولئانى هو لاء حسية ، واللذة الروحية أعلى مرتبة وأشرف غاية وأكمل سعادة

واذا رأينا هذا الشاعر فى البادية يفخر باللذة الروحية ولا معارض له مع انها لم تمتاز عن لذة اللحم ، ذلك لأنه قد يقتل الحيوان ليجرد القتل لا لست جوعه ، ولولا استلذاذه بالقتل ما فتك لغير داعية الجوع ، فهذه إذن لذة سبعية لا لذة عقلية شريفة . أفلا يحق لنا أن نقول للأطباء : دأبها الأطباء لكم المرضى فافرحوا بشفايتهم اذا عرفتم هذه المقادير ولكم الأصحاء فملسوهم مقادير الأطفمة ليحترسوا من الوقوع فى المرض . أيها الأطباء هذا هو النبات وهذه مقاديره ، وهذا علم الطب بقسميه : علم حفظ الصحة ، وعلم مداواة المرضى ، وقوموا بهما واشفوا المرضى من غلظهم وأمراضهم ، ونسأل الله سبحانه و

ولكننا نحن نريد مقاما أعلى لهذه الانسانية بعد أن نكونوا أتم قتم بصحة أجسامهم وحفظ صحتهم ليفهموا كلامنا لأن المريض قلما يفهم ما نقوله ، وهناك حقول مختلفات فى الدماغ تتوفر فيها أنواع العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية والأدبية والسياسية وهكذا كما دل عليه الكشف الحديث ، ذلك ان فى الدماغ محال محصنات لكل علم قامت عليه الأدلة التشريحية بحيث تنمو تلافيف خاصة باستعمال علوم معلومة ، وباحمال تلك العلوم لا يكون لهذه المحال فى الدماغ نمو . فاذا كان الجهاز الهضمى قد اقتسم المواد النشوية والدهنية

والاوزونية ، فهكذا نجد المنح اقسام المواد العلمية من رياضية وطبيعية وأدبية وهكذا . وكما وجدنا أن للأغذية مبدأ وهي الشمس أشرف الموجودات المحسوسات هكذا نجد لأغذية العقل المنصرف في الدماغ الذي هو أشرف من الجهاز الهضمي مبدأ وهو أشرف الموجودات الغائبة عن الحس وهو الذات القدسية ومنه انبعث العلم في نفوس هي وسائط توصل لنا الادراك والفهم والعلم على وزن توسط النبات بيننا وبين ضوء الشمس وحرارتها . وإذا كانت كل حاسة من حواسنا الظاهرة متصلة بعالم يماثلها . فلتكن عقولنا متصلات بعوالم عقلية هي مستمدة من الله عز وجل

إن هذا البرهان يقيني كالبرهان الذي تقدم في قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ

في هذه السورة

### ﴿ هذا زمان ظهور الحقائق ﴾

هاهي ذه براهين أرسطاطاليس وسقراط وأفلاطون ومن بعدهم من الأمم الى وقتنا الحاضر قد شرحتها لك واضحة فيما تقدم وأبنت طرقها . ولقد اختلفوا خلفاء تلك البراهين على الذات القدسية أن الله عز وجل لم يشأ أن يظهر الحقائق للأمم مرة واحدة . إن الله نظر الى الأمم كلها نظره الى نفس واحدة . وهذه النفس الواحدة أخذ يعلمها بالتدرج والطفرة محال فألمهم سقراط ما عرفته هناك . وألمهم أفلاطون تدرينه . وأومحزالي أرسطاطاليس أن يرد البرهان . وكان ذلك سببا في ظهور فرق متشاكسات من أبيقوريين ورواقيين قبل الميلاد والى الأفلاطونية الحديثة . ثم الى فرق متعددة في الاسلام وفي أوروبا . ولكن اليوم إذ ظهر سرّ النبات وانتشر واستعدت قلوب الأمم للعلم

ظهرت البراهين الآن في هذا الكتاب جلية واضحة بحيث يسهل على المتوسطين فهمها وسيسهل الاختلاف فيما كتبناه في هذا المقام وأوضحناه في هذه السورة . ولقد جاء في كتاب « المذهب الروحاني » لمؤلفه عبادة الباسي أحد الروحانيين الشرقيين في صحيفة ١٤١ أسئلة تناسب المقام . وهاك نصها :

(س) هل يمكن للطبيب أن يستحضر المرضى الذين ماتوا على يده ، ويستوضح منهم بعض الدلائل يزداد بها خبرة ومعرفة ؟

(ج) قد يصح ذلك وينال المساعدة من الأرواح العلوية ذاتها بشرط أن ينكب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء لا بنية حشد المال وكسب المعارف من دون جد ولا عناء

(س) هل يمكن استرشاد الأرواح في المباحث والاكتشافات العلمية ؟

(ج) إن العلم هو صنع العقل ، ولا ينكسب إلا بالعمل ، وبالعامل وحده يتقدم المرء في طريقه ، أي فضل يبقى للإنسان اذا أمكنه أن يعرف كل شيء باستنباه الأرواح ؟ أليصبح الغيبي الجاهل بهذه الطريقة عالما ؟ ثم ان لكل شيء وقتا معينا يأتي في حينه أي عندما تكون الأفكار مؤهلة لقبوله وأما بتلك الطريقة فيقلب الانسان نظام الأشياء ، إذ يقطف الثمرة قبل نضجها

(س) ألا ينال إذن العالم والمخترع عوناً من الأرواح في مباحثه ؟

(ج) إن العون لا ينقصه عند ما يكون أوان الاختراع قد دنا فتوافيه وقتئذ الأرواح وتلقى اليه بعض الإلهامات الفكرية فينقرها هو ويستغل بها الى أن ينتج منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعاً له ، فلما كم إذن والزيغ عن محجة الروحانية والتطرف الى أمر لا يلحقكم منه إلا الخداع والسخرية (١) اه

(١) اتصل الجهل ببعض عند ظهور الحوادث الروحانية الى أن يتطلبوا من الأرواح نسخة في صفة الشعر ، وعلاج اللامامل فأصبحوا موضوع السخرية عند ما أشاعوا فيما بعد التراكيب التي نقلوها من الأرواح الماكرة

أقول : فبناء عليه نقول إن هذه البراهين التي جاءت في هذا التفسير قد استعدت لها الأذهان . الأثرى  
 أن طائفة الماديين اليوم لا وجود لهم لأن المادة لا وجود لها عند علماء القرن العشرين ، وإذا سمعت عنهم  
 كالهدى نقلناه فيما تقدم فانما هو أمر تاريخي لا غير ، لأنك علمت أن علماء عصرنا أجمعوا أنه لا مادة ، فالمادة  
 كلمة تطلق على كل ما محسوس به وليس هو بمادة ، بل هو حركات في أمر خيالي سموه (أثيرا) وهذه الحركات  
 باختلافها ظهرت لنا أنوار وحارة ومغناطيس وعقاقير ومركبات أخرى وعناصر بسيطة ، وإذا سقطت المادة  
 باجماع العلماء في عصرنا فقد سقط معها المذهب المادي اللهم إلا عند المدرسين في المدارس النظامية في  
 الشرق الأدنى كعصر والعراق وسوريا وما أشبه ذلك لأن هؤلاء يكررون على مسامع تلاميذهم ما قرءوه في  
 كتب منقولة عن علماء القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، أما قراء هذا التفسير فانهم علموا أن النوع  
 الانساني كانت معارفه مبثورة قبل النبوة . فلما أشرفت النبوة المحمدية قال الله على لسانه ﷺ - غريهم  
 آياتنا في الآفاق - الخ وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهم سيقولون عرفنا يارب ووصلنا اليك  
 بعقولنا وآماننا يشارتك ، ياربنا قبلنا البشارة التي بشرتنا بها . إذن لتكن أعمالنا ياربنا من الآن موصولة  
 برحمتك ، مستمدة من نور علمك ، موقنين بأننا معك واننا سنكون خير أمة أخرجت للناس . و بمن  
 الذين يوقنون ربهم وتكون أعمالهم في الحياة أعمال قوم كأنهم في حضرة ربهم . فاذا رأوا النمل والنحل  
 وحشرات الأرض كل من أفراد هذه الممالك تعمل وهي فرحة بأنها أرضت الملكة الجالسة على عرش الملك  
 المرسومة في السور المنقمة . فهكذا نحن قراء هذا التفسير ومن نحاهم نعمل وقد أيقنا إيقانا أشبه بالعيان  
 بأن الله مع كل نفس منا ومطلع على أعمالنا ، فنحن جزاؤنا في نفس عملنا لأننا نعمل بمحبة وإخلاص .  
 وإذا وجدنا الصبي مخلصا في عمله لأبيه ، فرحا بأن أباه راض عنه . فهكذا نحن أصبحنا موقنين بأننا نعمل  
 والله راض عن أعمالنا ونحن نحسن في أنفسنا بسعادة وانشراح صدر صادقين من صانع العالم المطلع على  
 سرائرنا وتلاحظه عقولنا كما تلاحظ الشمس وضوءها عيوننا ، فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا  
 لغفور شكور

الناس وان كانوا أحرارا فهم إما هائمون بالجمال إن كانوا سعداء ، ولما مستعدون بالشهوات إن كانوا  
 أشقياء . قال ابن الفارض :

أنت القليل بأى من أحييته \* فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى

اللهم انك أريقنا بالجمال في زروعك وشجرك وزهرتك وفرحك ونجمك وشمسك . اللهم انك ملأت قلوبنا  
 جلالا وأبهجتنا بصنعك ومنحت بصائرنا التمتع بالجمال في هذه الحياة وكشفت الفسادة وأحطت بالأنوار  
 ورأيك ألهمت الشيخ الدباغ فيما نقله عنه الشيخ أحمد بن المبارك إذ يقول : « إن فتح الحواس الظاهرة  
 عبارة عن لذة تحصل في الحواس الظاهرة ، وذلك بفتح العروق بما أدركته الحواس ، وهذه اللذة يكمل  
 البسط ، ففي البصر لذة بها يحصل الميل الى الصور الحسنة وعن ذلك ينشأ العشق والانتفاع الباطني للظهور ،  
 وفي السمع لذة بها يحصل الخسوع عند سماع الأصوات الحسنة والنفحات المستقيمة وقد ينشأ عن ذلك اضطراب  
 واهتزاز في الذات وهكذا سائر الحواس ، ففي كل حاسة لذة زائدة عن مطلق الإدراك ، والفرق بين فتح  
 الحواس الظاهرة الذي هو من البسط وبين كمالها أن فتح الحواس يزيد على كمالها بفتح العروق فان فتح  
 العروق زائد على الإدراك الذي هو في كمال الحواس وبذلك الفتح الحاصل في العروق والتكيف الجاذب  
 لصاحبه يقع الانتفاع الى المدرك . فترى صاحبه يتقطع مع كل نظرة الى كل ما يراه وقد تحصل له غيبة خفيفة  
 مع ذلك الانتفاع بخلاف مطلق الإدراك فانه لا يحصل معه هذا الانتفاع . فكم امرئ يرى أمورا حسنة ولا  
 يتأثر بها . وكمن آخر يسمع أصواتا حسنة ولا تقع منه على بال . وبهذا الفتح والتكيف يحصل كمال البسط »

اتهى كلامه بالحرف

هذا كلام ذلك الأبي وهو الشيخ الدباغ ، ذلك الذي لم يتعلم أنى لنا بسر وهذا السر يحيط بنا ولكننا لانظن له . هذا السر هو أن جمال هذه الدنيا وشموسها ونباتها مباح للناس . نحن جميعا نراه فثنا من هو مغمور بالحماس فرح بها سعيد مبتهج . وهذا الابتهاج وهذا السرور أمر آخر وراء مطلق الادراك . نحن ننظر . نحن نسمع . نحن نتعلم . نحن نقرأ العلوم الرياضية . نحن نقرأ العلوم الطبيعية ولكن النظر والسمع والقراءة والفهم والتفكير وحوز العلوم والفوز في الامتحان والتفوق على الأقران في العلم . هذا كله شيء وذوق المسموع والبصر والمعلوم الرياضي والطبيعي والالهي والفرح بها والاستلذاذ والابتهاج بها شيء آخر ، فأول الرجلين وهو الذي لا يحسن قلبه بجمال مدركاته الحسية والعقلية نجده دائما يبحث عن حبيب يبهجه ويفرح به فلا يجد له مناما من حبيب يأسرفؤاده مادام ذلك المدرك ليس حبيبا له ولا معشوقا ولا هوامثا به . وإذا كانت المدركات العلمية بقسمها ليست محبوبه له ولا جميلة فهو لا محالة يختار ضدها وهي الشهوات فيبحث عن الجليل للشهوة الحسية وعن المال للاستمتاع الجسمي والفخر الظاهري وعن السلطة التي بها يرهب الناس . وبالجملة ان المحبوب إذ ذاك شهوة البطن والفرج وشهوة الغلبة والصيت والولد والمال . وهذا كله أمر آخر غير الجمال . إذن صدق قول ابن الفارض « اننا قتلنا من نحبه » فان أحيينا الجمال انقطعنا اليه وكفانا . وان لم نحب الجمال أحيينا الشهوات وعلى هذا الثاني أكثر هذا النوع الانساني وعلى المبدأ الأول القليل أو النادر منهم وهؤلاء هم أشرفه وساداته وعظماؤه وحكامؤه

فلننظر في حال المسلمين اليوم وفي عالم النبات الذي كلامنا فيه . النبات بتحليله أرانا انه جيل ومحكم مشوق لتلك الذات القدسية هام بها عند رؤيته قوم وكفاهم حبه والفرام به يبهجم أنى سارولو يكونون في الحياة سعادة لأعمهم . ولكن أكثر الناس في الاسلام كان هذا النبات سببا لاستعبادهم وشقاؤهم مثل سائر عرض الحياة الدنيا ، فإذا كان الأولون قتلوا الجمال ، صرعى الحب والفرام ، يهيمون بالذات القدسية الرفيعة العلية ، مغرمين بتعليم الأمم وارشادها قد أعدوا أنفسهم خلفاء الله في أرضه ، قوامين على عباده ، يبشرونهم بالخير وينذرونهم بالشر فان الآخرين وقد حرموا من الاستلذاذ بذلك الجمال يقعون لا محالة في الهيام بظواهر الشهوات فيكونون عبيدا لها ، ومن استعبده الشهوات استعبده الناس

مثلا نحن في مصر نزرع القطن ولكننا قوم محرومون من النبوغ في الصناعات وكثرتها ، فنحن نبيع القطن بأبخس الأثمان ويصنع في أوروبا ونشتره ملابس بعشرات بل بمئات أضعاف ما بعناه به وقد رجع الينا ملونا بألوان زاهية فرحنا بها . إن بلادنا المصرية المسكينة هائمة بملابس الفرنجة وتقليدهم في كل شيء وخزينة الحكومة مفتحة الأبواب للعاملين فيها ، فهؤلاء يأخذون ثلثها بصفة مرتبات لهم ويصرفونها في الملابس والمآكل والحمر والهوا واللعب وهكذا نساؤهم ورجال ونساء ذوى القصور والضيعات والعقارات الواسعة ، فهؤلاء وهؤلاء لما حرموا الاستلذاذ بالحكمة والعلم لم يجدوا لهم مناصا من غشيان أبواب الفجور والتباهي بالتياب الملوثة المصبوغة بألوان من القطران المستخرج من الفحم كما تقدم تفصيله في أول سورة سبأ ، وكأني وأنا أكتب هذا أشاهد أكثر قومي ومن على شاكتهم مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران وتفشى وجوههم النار ، تراه بصبرتي

سبحانك اللهم وبحمدك . أنت محسن رحيم جليل حكيم . حبست أرواحنا في هذه الأرض لأنها ليست أهلا لمكان أرقى . وحبستنا في لذاتنا وشهواتنا . وكلما ازدادنا شهوة انقلت الأغلال على أعناقنا . ذلك بما كسبت أيدينا . أفليس الناس اليوم مبعدين من الأغلال . اللهم لا وأى غل أشد وطأة من غل الأخلاق والآراء والعادات . تعس الانسان ما أجهله

بأنى التجار من أوروبا بالملابس المصبغة والخيوط الملونة والخرافات والشهوات الفاتنة ، فكتب عليها ولا تقوم نحن بعمل ما ولا صناعة ما ورجالنا ونسأونا ووجهنا ما مقتنعون بأن ذلك هو الرقى ، فنذهب الثروة للأجانب وهؤلاء هم الذين يسيطرون على الشعب ويمنعونه من الرقى ومن العلم ومن الاستعداد الحربى . فاذا عجز الناس عن فك أغلالهم فى الدنيا فهم عن فكها فى الآخرة أهجى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا -

هذا ما خطر لى وأنا أصلى الصبح يوم الأحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وأنا أقرأ هذه الآية - وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب - فأتى أثناء القراءة كنت أشاهد بالبصيرة أن هذا منطبق انطباقا تاما على حال كثير من أم الشرق الأدنى ومنهم كثير من أهل بلادى اللهم إنى أشاهد الأغلال من الآن موضوعة فى أعناقنا فى أرضك ومن أشدها الملابس المصنوعات المزخرفة التى قتلت المسلمين لجهلهم وقلة الدعاة والوعاظ فيهم وكثرة جهلهم حتى ان القطن الذى زرعه نحن فى مصر ينسج فى صير أغلالا لنا واستعبادا والاستعباد اليوم راجع للتجارة . إن التجارة اليوم هى الأغلال فى الأعناق وهى السبيل التام لذلك . فأخرج المسلمين فى مصر وغيرها من هذه المآزق . إنك أنت الرؤوف الرحيم . انتهى فى صباح يوم الأحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الأول من اللطيفة الخامسة فى قوله تعالى - فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت - والحمد لله رب العالمين

### ﴿ الفصل الثانى ﴾

من اللطيفة الخامسة

فى قوله تعالى - سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم -

فى هذا الفصل ثلاث مباحث

(١) فى المخاطبة على بعد عشرة آلاف ميل

(٢) فى الصلة بين علماء الشرق والغرب

(٣) فى أحوال نفس المؤلف

### ﴿ المبحث الأول ﴾

بإيه فى إحدى المجلات العلمية تحت العنوان التالى مانه :

### بين القطب الجنوبي ونيويورك

فى غرفة فى الدور الثالث من إحدى ناطحات السحاب النيويوركية القائمة فى قلب المدينة عند ميدان التيمس جلس شاب على أذنيه سماعتان سوداوان . وعلى وجهه أمائر تدل على انه سمع شيئا مع ان السكون سائد فى الغرفة حتى تكاد تسمع دقات القلب . ولاشئ أمامه إلا صندوق أسود قائم على طاولة . وإذا بيده تمند الى قضيب نحاسى فى نهايته عقدة سوداء قبلها لسالطيفا فيلمع النور فى غرفة مظلمة فى الدور السابع عشر من ناطحة السحاب ذاتها ويسطع من صف من المصابيح من غير أن يحدث انفجار كهربائى أو أى صوت آخر . ليس فى الغرفة أحد . فاذا انقطع لمعان المصابيح اتسعت الغرفة بسود حالك

أنفت الرجل الذى فى الدور الثالث قليلا ثم أخذ قلما بيده وكتب العبارة التالية ؟ « اصغ الى الطيارة « النجوم والحطوط » فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة صباحا ، ولعت المصابيح ثانية ناظلة الى مصدر

الرسالة السابقة جواب الشاب « اننى حاضر »

في القارة المنجمدة الجنوبية على عشرة آلاف ميل من نيويورك - من العرفتين اللتين يقيم فيهما الشاب وتلمع المساييح - مقر البعثة التي أعتدها الأدميرال برد الأميركي لزيارة المناطق المنجمدة الجنوبية والوصول الى القطب الجنوبي عن طريق الجوّ. انه يعدّ طيارته الآن - أي حين وردت الرسالة الى العامل اللاسلكي في نيويورك قاصداً أن يخلق بها فوق مفاوز الجليد بفرض الوصول الى القطب الجنوبي

الساعة الثالثة والدقيقة الرابعة عشرة ! ونيويورك نائمة ولكن العامل اللاسلكي الفتي مستيقظ ، مقبم في غرفته منتظر انباء الاميرال برد وطيارته

الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة . لقد انحنى الفتي والتقط قلمه وكتب « الطيارة على وشك الارتفاع من سطح الجليد . انتظر »

ويجلس مفتاحاً آخر أمامه فيدوى في اذنيه - وهو في نيويورك - صوت محركات الطيارة وهي تستعدّ للتحليق في الجوّ فوق مفاوز القطب الجنوبي .

وتخلق الطيارة في الجوّ فينتقل الاتصال اللاسلكي من محادثة تدور بين المحطة اللاسلكية في مقر بعثة برد وبين العامل اللاسلكي المذكور - الى محادثة تدور بين العامل اللاسلكي في الطيارة المحلقة في الجوّ ثلاثة آلاف قدم فوق مفاوز الجليد والعامل اللاسلكي المذكور التاج لجريدة نيويورك تيمس . هذه هي أول مرة في التاريخ تمكن فيها رجل يخلق بطيارة أن يخاطب صديقا له على بعد عشرة آلاف ميل كأنه يخاطبه على بضعة أقدام في مكتبه أو صالونه . ان صوت العامل اللاسلكي في طيارة برد كان ينتقل أمواجاً لاسلكية فوق مفاوز الجليد القطبي وجانب من المحيط الباسفيكي ثم فوق أميركا الجنوبية وخط الاستواء الى أميركا الشمالية والولايات المتحدة - من عواصف القطب الثلجية الى صيف أميركا الجنوبية الى قيط خط الاستواء الى نيويورك المعطاء بالثلج . كل هذا كان يتم في غفلة عين أو أسرع أي بسرعة ١٨٦ ألف ميل في الساعة

وارتفع ستار الليل وأخذ الفجر يفتجج وأخذت الاشارات اللاسلكية في المحادثات المذكورة تضعف رويداً رويداً ولكنها تتراوح بين الضعف والقوة حتى بادت تماماً عند شروق الشمس وهكذا ضرب النور ستارا بين ممثلي الرواية القطبية وسائر العالم . وصدرت صحف المساء - بعد الظهر - وعلى صفحاتها الأولى عنوان بحروف ضخمة سوداء مؤداها « ان كلمة واحدة لم تسمع من الرواد الشجعان في اثناء عشر ساعات » فاضطرب الجمهور وقلق ، مع ان رجال اللاسلكي كانوا يعلمون ان الصمت ليس دليل الفاجعة ولكنه ناشئ عن تعذر التخاطب في اثناء النهار بالأمواج القصيرة . وظل الجمهور مضطرباً قلقاً حتى وافت الساعة الرابعة مساء فأخذ ستار الليل يفسدل رويداً رويداً وأخذت الاشارات اللاسلكية تزداد وضوحاً كلما زاد انسداد الستار . وما أقبلت الساعة الخامسة حتى كان العامل اللاسلكي النيويوركي يتلقى نبأاً من الجنوب يفيد أن برد وصحبه حلّقوا بطيارتهم فوق القطب الجنوبي وحاموا حوله ، وان برد أول رجل بلغ القطب الشمالي عن طريق الجوّ هو كذلك أول رجل بلغ القطب الجنوبي عن طريق الجوّ . فيبعث العامل بالنبأ الى محرر نيويورك تيمس . وهذا يستعمله ليحزّر لجريدته فوزاً صحافياً عظيماً . انتهى ما أردته من مجلة المقتطف

### المبحث الثاني

بين الشرق والغرب . حول زيارة ناغور لانجلترا

جاء في جريدة الاهرام في يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٠ مانصه

لندن في ٢٠ مايو - لمراسل الاهرام الخاص - أثارّت زيارة رابندرات طاغور ، شاعر الهند وفيلسوفها

الكبير اهتماما كبيرا في إنجلترا لأنه مضي وقت ليس بالقصير على زيارته الأخيرة لهذه البلاد ولأن لمؤلفاته مقاما كبيرا بين رجال الأدب الإنجليزي . وقد ألقى ناغور مساء أمس المحاضرة الأولى من محاضراته الثلاث في قاعة المحاضرات بجامعة أكسفورد التي ازدحت حتى الأبواب بينما لم يستطع الكثيرون الدخول للمرة ومن الملاحظات التي تسترعى الاهتمام أن الفيلسوف الهندي يقابل بمظاهر الترحيب أينما حل على الرغم من الحالة في الهند والانباء التي ترد كل يوم عن انتشار الاضطرابات والقتل فيها . وكما ان دوائر الأندية الرياضية ترحب بدوليب سنهجن بطل الكريكيت الهندي وتطلب أن يكون واحدا من الأحد عشر الذين سيمثلون إنجلترا . في المباريات التي ستجرى مع استراليا ، كذلك ترى رجال الادب . والعلماء يتهافتون على سماع طاغور ويقدمون فروض التجلة والاحترام الواجبة لهذا العبقري العظيم وربما كان الكثيرون على رأى جريدة المانشستر جارديان فيما قلته اليوم وهو : ان خبير سفير للهند ليس المهاتما غاندى وإنما هو طاغور الشاعر والمفكر فمن الصعب معاملة غاندى سياسيا لأن السياسة من أعمال الرجال العاديين أما غاندى فقديس ، والقديسون رجال شواذ أما طاغور ففي وسعنا أن نتفاهم معه لأنه ليس قديسا بل شاعرا ومفكرا ، فهو من هذه الوجهة يستطيع أن يفهمنا ويعطف على أفكارنا نحن الرجال العاديين ، وإذا قرأنا مؤلفاته أو سمعنا أقواله رأينا أن الهندي العادى لا يختلف عن الأوربي العادى ، وان النزاع الأبدى بين الشرق والغرب ليس قضاء الطبيعة المنتم انتهى من جريدة الاهرام . تم المبحث الثاني

### المبحث الثالث

آيات الله في صحة جسمي بسبب تديير الأغذية

في هذا اليوم (١٥) مايو سنة ١٩٢٩ صباحا نظرت في عضدى وفي جنبي وفي صدري فראيت أمرا عجبا ! وهذا العجب لا تعرفه أبها الذكي إلا بمقدمة فهاهي ذه :

لقد كانت أيام حياتي سلسلة تجارب في الطعام والشراب ، واقدتركت اللحم منذ نحو (٨) سنين ، ولما تركته وجدت تحسنا مطردا في جسمي ، ولكنني وجدت هناك أمرا عجبا ! وجدت أن في عضدى وفي جنبي وفي صدري بقعا جلدية مخالفة للجلد في اللون ، وهذه نارة تظهر ونارة تختفي ، وقد كانت كذلك قبل ترك اللحم ولكن لما تركته زاد ظهورها ونارة تختفي ، فأذهلتني هذا المنظر ، وقابلت الأطباء فوجدت أقوالهم لا تشفي من عله ، ولا تروى من غله ، فقال قائل منهم : « خذ هذه الأعشاب واشرب منقوعها كل يوم » فلم يفد . وقال آخر : « كل الزيت الطيب وادهن به » . وأخيرا غصني طبيب أعلم ممن قبله . فقال : « هذا داء ليس معديا ، وليس له دواء ، وهذه البقع إنما تظهر في الأعضاء التي لا تظهر للشمس وأكثر ظهوره في زمن الصيف ، وسببه نقص في التغذية » وبعد ذلك عملت تجارب كثيرة فلم تفد . ثم اني لم أعرف ما سبب نقص التغذية المذكور الى أن اطلعت على الكتب الطبية الحديثة . ورأيت في كتاب الاستاذ ويلسكوكس ما يفيد أن الناس يأكلون الخبز من دقيق القمح الذي نخلوه . وأن ترك النخالة نقص في التغذية . وأن الدم مركب من (١٦) عنصرا . وهذه العناصر كلها ثابتة في البر . وإذا ترك الناس النخالة ونحوها ففناهم انهم تركوا عناصر من دماهم . إذن الناس يفتقدون النخالة والمادة الأخرى المسماة سنا (بشديد النون) من القمح إنما يفتقدون قوى أبدانهم وصحة أجسامهم وسعادتهم

فلما قرأت هذا وأيقنت انه مبنى على العلم عرفت جهل هذا الانسان وغفلته وأن عقول الناس في ناحية وأعمالهم في ناحية فلم أتردد في العمل بالعلم كما تقدم في سورة طه وفي سورة الحجر فهذا المقام مستوفى هناك هنالك أكلت الخبز الذي يصنع من دقيق البر كاملا غير منقوص . وهاهي ذه سنة مرت على تلك الحال .

هذه هي المقدمة

فلما أقبل الحرّ هذا العام نظرت في جسمي وأعضائه المغطاة ، فرأيت أمرا عجيبا رأيت البقع الملونة التي كنت أراها كل سنة لم تظهر . فقلت : يا سبحان الله هاهوذا الحرّ أقبل وتلك البقع التي عودتني الزيارة كل سنة بالظهور على جسمي في العضد وفي الظهر وفي الصدر وفي الجنبين لم تزرني هذه السنة بعد أن أقبل الحرّ ، ولقد كان من شأنها أن تقبل إذا أقبل فصل الربيع والصيف وبعض الخريف ، فهاهي ذه لم تحلّ بساحات جسمي ولم يكن لقدمها علامات ولا مقتمات ، ذلك اني كما قدمت الآن أخذت آكل الفواكه والخبز المذكور وزيت الزيتون والتمر غالبا ، وهذه الأغذية مستوفية ما يجب لجسم الانسان فليس يهوزها مواد أخرى ، فالبرقال الذي آكله ومعه بعض الطعام في بعض الأيام فيه مادة الفيتامين من درجة عالية وهكذا الخبز المذكور فيه جميع مواد التغذية . هاأنذا تركت اللحم والخضراوات هذه السنة . واللبان واقتصرت على الفواكه والحبوب فصحّ الجسم وصحّ التفكير بحسب ما أعرفه وما أحسن به من نفسي الآن . وههنا أقول يا سبحان الله : أرىنا يا الله آياتك في أنفسنا وفي الآفاق ، ذلك ان هذا الجسم الذي سكتته نفسي مكون من مواد مخلوقة في أرضنا ، وهذه المواد لها حساب وجهلنا بما تقبل منها وما نترك هو الذي جعلنا مرضى الأجسام تارة والعقول أخرى

سبحانك اللهم . أنت حكيم وقد ملأت أرضك بالحكمة وعلى مقدار تقصنا في فهم مصنوعاتك تنقص صحتنا وعقولنا ومدنيتنا . هذا المثال الصغير مثال جسمي مع العوالم الأرضية المحيطة بنا يبين لنا أحوال هذا الانسان . يظهر لي انا لوعرفنا الحقائق حق المعرفة لكننا أما راقية سعيدة سعادة تامة في الأرض تبين لي أن تقص سعادتنا في الأرض مبني على تقص معرفتنا وعلومنا . تبين لي أن أم الأرض لم يظهر فيهم حكماء وعلمااء يظهرون جميع الحقائق ، ولو أن الأرض برز فيها أناس على هذا النمط لأصبحوا جميعا سعداء فأول الشقاء وآخره الجهل ، وأول السعادة وآخرها العلم ، فبكاء الباكيات على الميت ، وحزن الحزين على الفقر والذلّ وما أشبه ذلك كل ذلك للجهل الذي غطى على العقول يظهر لي أن هذه الانسانية يوما ما يفيج فيها نابغون يظهرون ما كمن في هذه الدنيا ، ومتى ظهر ذلك سعد الناس في هذه الحياة نفسها ، وأكبر الحزن يكون للموت أو للمرض أو للفقر أو للذلّ وكل ذلك مبناه الجهل بهذا الوجود ، فلو عرف الناس ناموس الموت وأيقنوا بأن الميت انتقل الى عالم أعلى ، وهكذا لو انهم عرفوا الأسرار الخبوءة في الأغذية والأدوية والفواكه والملابس ودرسوها حتى دراستها عرفوا ما في الطبيعة من عجائب واستعملوها لقلّ المرض والفقر وبطل الاستعمار وصار الناس أصدقاء

لا تجيب أيها الذكيّ من أن أقرن حال جسمي وصحته بحال الأمم والأفراد وأوصابهم وأحوالهم فانه لافرق بين الأمرين . نحن نعيش في عوالم تجهلها وعلى مقدار جهلنا نحسّ بالآلام . إذن تقصنا مبناه جهلنا لأقلّ ولا أكثر ، ودليلي على ذلك ما عرفته في نفسي ، فاني لما أسكت المواد التي استوفت شرائط غذاء الجسم زالت البقع من جلدي ، ولما كنت آكل بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير كانت هذه البقع تظهر تارة وتختفي أخرى . ولا فرق بين جسمي وجسم العالم الانساني كله فهو لما فيه من جهل يحارب بعضه بعضا غباوة وجهلا بحال الوجود وحال الانسانية . ومتى ظهر فيه حكماء وأعلموه بأن المعاونة العاتمة خير وأبقي وأن يكون كل امرئ في عمل خاص ينفع المجموع الانساني فان هذا النوع الانساني يصبح سعيدا ومتى حلت السعادة في أهل الأرض لم يحسوا بحزن لأنهم يكونون قد عرفوا ما هو الموت وتقل الأمراض والعداوات بينهم لأنهم قسموا الأعمال في الأرض على مواهبهم التي خلقت في أجسامهم وعقولهم . هنالك يعلم أهل الأرض قاطبة أن المصائب التي تحلّ بالأمم وبالجماعات أشبه بالبقع التي كانت تظهر على جسمي وأن قيام كل فرد من أفراد الأمم



بعمل نافع قائم مقام أخدى لجميع عناصر التغذية بطريق العلم . فهنا أمران ثانيهما مركب على أولهما في جسمي وفي الأمم . فإذا قامت الأمم كلها في الأرض كل منها بعملها الخاص لها وجميع أفرادها فان المجموع الانساني يصبح سعيدا كما ان جسمي لما أعطيته الأغذية الكافية لتغذيته ذهبت عنه تلك البقع التي تظهر على ما هو مستور منه ، وإذا قصرت الأمم في ذلك أو بعضها فان المجموع الانساني تظهر فيه قائص على مقدار التقصير كما ان جسمي أصابته البقع لما كنت أجهل أصول التغذية ، إن الأمم اليوم والأفراد سيان يتبعون شهواتهم وعاداتهم ، فالناس يأكلون ويشربون مقلدين لأبائهم أو متبعين حواسهم هكذا دوطم في سياستها يتبعون التاريخ حذو القذة بالقذة ، والتاريخ مملوء بالكيد والحبث والمكر فليكن في الأرض حكام ، وليكن فيها نظم سياسية أرقى مما كان قبلا وذلك هو قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - . لجسمي الذي حلت نفسي فيه ما هو إلا ذرات مجتمعات من الآفاق وله ارتباط وثيق بهذه الآفاق فان جعلت ذرات جيدة باختيارى وعقلى كان جسما نافعا حسنا وان جعلتها بهيئة غير حسنة ولا مرتبة ولا منظمة ضعف الجسم وتبعه العقل ، والسياسة العامة في الأمة كالسياسة الخاصة في الجسم يؤخذ من هذا كله اننا جئنا هذه الأرض لأمر واحد وهو العلم ، فلا حرب ولا مرض ولا فقر ولا لذة ولا ألم إلا لأجل حثنا على العلم وعلى مقدار علمنا تكون أرواحنا في درجات لها بعد مغادرة هذه الدار . انتهى الكلام على المبحث الثالث والحمد لله رب العالمين

### اللطيفة السابعة

في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

### إيضاح بعض كلام الشيخ الدباغ

في مسألة الجنة والنار والتوحيد

هنا سألتى صديقي العالم . فقال : يقول الشيخ الدباغ إن على وجه الأرض عجائب لو شاهدتها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا الى دليل ، فمنها ما يعرف بالوحدانية ، ومنها ما يعرف بوجود الجنة ، ومنها ما يعرف بوجود النار ، وكل ذلك بلا إقامة أدلة على ذلك . فأنا أرجو أن تشرح لي هذا المقام . فقلت : يا سبحان الله أرتظن اني في مقام الشيخ الدباغ حتى أطلع على ما يعرفه ! نحن قوم كلفنا بالنظر والبحث العقلي . فقال : ولكن أرجو أن أسمع منك ما تتوجه نفسك اليه في هذا المقام ، ولست أطلب منك ما هو فوق متناول عقولنا لأنني أعلم انك تخاطب العقلاء عموما لأهل الكشف وحدهم ، ثم إن أهل الكشف وان كثروا في الاسلام فانهم لم يحدثوا في الأمم الاسلامية رقيا عاما ، فعلاهم خاصة بطائفتهم . فقلت : أما اذا أردت هذا فاني أقول ما يفتح الله به الآن . فقال : أيّ العجائب تعرفنا التوحيد بلا إقامة دليل ؟ فقلت : جميع العجائب التي وردت في هذا التفسير وأمثاله تعرفنا الله بلا إقامة دليل . فقال عجب هذا ! إن نفس العجائب أدلة أو مقدمات لأدلة فقلت : إنه يريد ان بعض العجائب حين نشاهدها تكاد تخترق القلوب ويحصل للنفس انفعال برؤيتها وتنقل النفس من هذا الخلق الى خالقه وهذا هو مقصوده فيما أظن أنا . فقال : ما مثال ذلك ؟ فقلت : مثاله أعين اللذباب وأعين النمل . هذه حشرات صغيرة يزدريها الانسان وهي تعيش على ما تعافه النفس من القاذورات والعفونات والتمامات والفضلات ، وعلى ما هو منبوذ من الحبوب وفضلات الخبز والقطع المشثورات في الأرض وقد جعلت أشبه بالكناسين والزبالين لأنها تنظف الأرض من عفوانتها ومن بقايا فضلاتها وتحيلها الى أجسامها ومع هذا كله تراها قد أعطيت عيوننا كثيرة ، فللملة فوق (٤٠٠) عين كل عين مستقلة عن الأخرى ،

والذبابه نحو أربعة آلاف عين كل عين مستقلة عن الأخرى . ومعنى هذا أن للنملة خمسة عيون ثلاثة منها مفردات موضوعات على هيئة مثل وانثنان منها موضوعتان في مقدمة الوجه بهيئة أعيننا نحن وفي كل واحدة منهما نحو مائتي عين ، ومثل ما قلنا في النملة تقول في الذبابه ، ولكن نذكر أربعة آلاف عين فيها بدل (٤٠٠) عين . فقال : هذا محج ! وهل العقل يتصور ذلك ؟ فقلت : إذن أنت لم تقرأ ما تقدم في (سورة النمل) وأن هناك رسالة سميتها «عين النملة» وفيها هذا المقام موضح . فقال : ورأيت بنفسك عين النملة انها مركبة من مائتي عين والعينان معا فهما نحو (٤٠٠) . فقلت إى ورى رأيتها بعيني رأسى أراها لى صديقى شوقى بك بكبرى فى منزله بمدينة حلوان تحت المنظارالمعظم وهو من كبار علماء التاريخ الطبيعى ، وصلى به انه كان قبل ذلك تلميذى بالمدرسة الخديوية . فاذا رأى العاقل ما رأيت أنا فى النمل أوفى النحل أوفى السباب فانه لا يسمعه إلا أن يتذكر الخالق عند النظر الى هذا الجلال فى المخلوق . فقال : أريد أن أسأل سؤالاً آخر ؟ فقلت : سل ما بدا لك . فقال : لم جعل الله هذه الجباب التى فوق طوق البشرى أسقر حيوان . فقلت : ذلك من مقصود كلام الشيخ المبلغ . قال : وكيف ذلك ؟ فقلت : إن الإبداع والاعراب اذا ظهر فى جبل بهى الطلعة حسن الشكل مرغوب فيه لم تكن له روعته فى الحقب المنبوذ . النفس الانسانية يدعها أن ترى فى الحقب المنبوذ حكماً لاحد لها بل ترى أعظم جمال وأجل حكمة فى الحقب

ترى أربعة آلاف عين ، وكل عين لها طبقت ورتوبات وألوان فى داخلها ومجائب ونظم مدهشة ، واذا فقت إحداها لم تطل البقية كما هو واضح هناك . فهذه عند العقلاء أشبه بمن كان يحفر فى منزله فخر على كنز جفأة فهذه المفاجأة فى الكنز يقابلها المفاجأة فى أمر مجائب الحشرات مثلا . فكما أن الفقير اذا عثر على كنزدهش وحصلت له حال غريبة وانفعال ، هكذا العاقل اذا اطلع على هذه الجباب فى أحقر المخلوقات فانه يجد فى نفسه حالا هيبية تذكره بالصانع من غير استدلال ببديل وذو العقول الصافية فى نوع الانسان لا يسمعون تلقاه هذه الجباب المدهشة (فى الامور الحقبية التى ليست محلا للجمال بحسب العادة) إلا التهجب وهذه الحال لا يعلم بها ذلك الذى قرأ علم المنطق وعرف الاشكال وقرأ علم التوحيد المعروف وأخذ بقرآنك البراهين فيدخل فى ساحات وأحوال عويصة وينسرب الشك الى قلبه من حيث لا يشعر لاسيما اذا قرأ أدلة الحدوث والتقدم التى نقلت عن اليونان . وقد تبين فيما نقلته عن علماء الفرنجة فى نفس هذا التفسير أن أ كابر فلاسفة اليونان كانوا يقولون أيام سقراط « ان العالم حادث » بطريقة مشوقة تقدمت فى هذا التفسير ببعض ما جاء فى كتب علماء التوحيد والفلاسفة مرربك للعقول مهوش للأذهان نقلوه عن علماء الاسكندرية أيام دولة الرومان بمصر وهؤلاء كانوا مقلدين . أما طيباوس الحكيم الذى كان أيام سقراط فقد شرح هذا المقام ونقل بعضه فى مواضع فارجع الى بعضه فى سورة الروم وغيرها . فقال الآن فهمت كيف كانت تلك الجباب مذكرة بالله فكيف تكون تلك الجباب مذكرة بالجنة والنار وبها يعرف الانسان أن هناك بعد الموت جنة ونار مع ان الجنة والنار من السمعيات . واذا كان العقل لا يصل الى السمعيات فكيف توصل اليها مناظر الجباب . فقلت : ما الجنة والنار الا اداران ممتازان . فإحداهما فيها كل محبوب . وثانيتها فيها كل مكروه . ونحن فى هذه الأرض لانعرف المحبوب إلا ما وافق حواسنا الحس من صور جميلة ونضمت لذينة وروائح طيبة وطعوم لذينة وملبوسات موافقة كأن تكون ناعمة مثلا . ذلك للبصر والسمع والشم والنفوق والحس وهكذا اذا تخيلنا تلك الصور ولكن حضورها فى الخيال أقل لنة من حضورها فى الحس وهكذا المعانى الشريفة الموافقة لعقولنا من العلوم الهبجة وانكشاف الحقائق بالبراهين واقتناع النفس بالمعلومات . فهذه بهجتنا . فلكل قوة فينا بهجة تناسبها . فالمعقولات بهجة للعقل . والمحسوسات بهجة للحس . والصور الخيالية بهجة لخيالنا . فهذه المذكورات هى مجامع ما يحبه فى هذه الدنيا . والذى نكرهه يقابل ذلك فكل قبيح صورته مشوه خلقته أو غير طيب الرائحة أو غير متزن النغمات

أوغير لذيذ الطعم أو غير ناعم مثلا فاننا نكرهه كما نكره تصوّره في خيالنا . وهكذا خلق عقولنا من العاوم  
وجعلها وغاوتها وعدم معرفتها حقائق الأشياء وتخطيها في المعارف تحبّطا بزرى بها . كل ذلك مكروه عندنا .  
إذن الجنة دار تجمع مانح وجهنم دار تجمع مانكره ، ولكن الحياة الدنيا فيها مانع ومانكره معا ، فيها  
امتزج المحبوب بالمكروه . وأصحاب العقول الثيرة اذا طافوا في هذه الأرض ودرسوا هذه الجباب يدهشون  
من نحو ما أذكركه ويحصل لهم علم من غير كد ولا نصب بالجنة والنار . فقال : هذا هو الذي سألتك عنه  
وكيف ذلك ، فقلت لترجع الى مثال الثباب والنمل مع جميع الحشرات ، ألت ترى أن الثباب والحشرات خلقت  
لتنظيف الجوّ كما تقدم لأنها هي وأمثال التاموس والخنافس وغيرها تقتذى بالمواد الفاسدة التي لو بقيت ملأه  
الانسان والحيوان . فقال بلى . فقلت ألت ترى أن الأغذية على قسمين : قسم هو طعام شريف مثل الحبوب  
واللحوم والحشائش وأمثالها وهذه يأكلها الانسان وذوات الأربع من نحو الأنعام والسباع . قال بلى . قلت  
وقسم هو قاذورات تقتذى بها الحشرات كما أوغمته الآن . قال بلى . قلت ألت ترى أن ماهو قاذورات على  
قسمين : قسم هو بقايا الرم الملقاة في الفلوات عقب الغزوات والحروب والاهلاك والتدمير واقتراس الحيوان  
في البرارى والتفار . وقسم ليس كذلك بل هو عفونات وقاذورات ليست ناشئة من اقتراس الحيوانات المعروفة  
ولامن قتال الانسان . قال بلى . قلت : لننظر في أمر هذا الانسان الذي يسمع بالجنة والنار فاننا نجد له  
عقلا وهذا العقل لا تخلو حاله من حالين لا ثالث لهما ، فهو إما أن يتحوّل بالحكمة وادراك الحقائق ، وإما أن  
تكون سلوته بالغبية والتميمة والشهامة وتقع العورات والفتنك بالأعداء ومسابقة الأقران وحوز الصيت  
والمال والملك وما أشبه ذلك

فإذا أغرم العقل بالحكمة والعلم وادراك الحقائق فان غذاءه أشبه بالغذاء الشريف في المحسوسات كالفاكهة  
والحب والخضراوات من كل ماهو غذاء للحيوانات المعروفة والانسان . فأما اذا كانت لذاته خاصة بتفوقه على  
الأقران أو شهائته في الأعداء أو انتقامه منهم ، فهذا الغذاء العقلي يشبه غذاء الحيات بالصفادع وغذاء الصقور  
والنسور والشواهين والكلاب بالرّم الملقاة في الفلاة ، وتكون منزلة هذه العقول لا تزيد في معقولها على منزلة  
الصقور والكلاب في تعاطي ريمها ، واذا كانت لذات العقول لا تغادر حوز العقار وبناء الدور وشراء الحقول  
وحوز المال والرهيم والدينار ، فهي في درجة الثباب في أكل القاذورات والعفونات

وبهذا الايضاح صارت الدرجة الثانية درجتين : درجة القوة الغضبية ، ودرجة القوة الشهوية . هذه  
هي الدرجات الثلاث للعقول في هذه الأرض . فهي إما عقول تحب الحقائق ، وإما عقول يغلب عليها التفخار  
والانتصار ، وإما عقول لا تفرح إلا بالمال والشهوات الحيوانية في مقابلة الأغذية الثلاثة المتقدمة لقوات الأربع  
ولنحو الطيور الكواسر ولنحو الثباب . ولن يتخلو عقل على هذه الأرض من هذه الحصال الثلاث  
اجلس مع من نشاء وحادثه فانه يهشّ ويضطرب لما يناسبه من حكمة ، أو من ذكر الحرب والضرب ،  
أو من ذكر لذات الأجسام الحيوانية

فإذا سمعت الرجل يظهورا برفع القضاب والانتصار أمام القضاة فهومن الفريق الثانى ، أو بحوز المسكيب  
والمال فهومن الفريق الثالث ، أو بالعلم والحكمة فهومن الفريق الأوّل  
هذا هو نوع الانسان أوّله وآخره عقولهم جميعا موزعة على العقولات الثلاثة كما وزعت أنواع الحيوان  
على أنواع الأغذية

فقال : أحسنت لقد فهمت هذه الثلاثة وقد كانت في أوّل مقالتي لى غامضة علىّ ولكن الآن وضحت لى  
وضوحا تاما مع ملاحظة أن ذكر الحيوانات وأغذيتها في هذا المقام مجرد تنظير لتقريب الفهم ، ولكن الى  
الآن لم نصل الى الحقيقة التي سألتك عنها وهي ان النظر في هذه الجباب يكون معرفة بالجنة والنار . فقلت

كل ما ذكرته الآن مقدمة لذلك ولولا مبادرتك لي بالاستحسان لأتيت بالنتيجة . فما أنا ذا الآن أقول  
لوانك أخذت الجمل ووضعت أمامه لحما أفيأ سكه ؟ قال لا . قلت : فلوانك أتيت بأسد ووضعت أمامه  
حشائش أفتراه يأكلها ؟ قال لا . قلت : فاذا وضعنا الباب في مكان نظيف لارطوبات فيه أيعيش . قال كلا  
قلت إذن ماتنتجج من هذا ؟ قال أستنتج نتيجة واحدة وهي معنى هذا المثل « إن الطيور على أشكالها  
تقع » ومعنى هذه الآية - قل كل يعمل على شاكلته - ، وبصرح العبارة كل حيوان لا يفادر عاداته في  
طعامه . فقلت : حسن وهكذا في العقول بطريق قياس التمثيل ، فلا عقل يستلذ إلا بما عرفه كما لا حيوان  
يستلذ إلا بما ألفه . قال حسن جدا . قلت : اذا عرفت هذا فانظر في هذا الانسان اذا فارقت روحه جسده  
وربى العقل وحده في الجسم الأثيرى بعد الموت فأى معان تحمل فيه ؟ فقال : طبعا المعانى التى غلبت عليه  
في الحياة . قلت : وهذه غذاء عفى له كما ان للأجسام غذاء ماديا . قال نعم . قلت : فاذا كان الشرير في  
الحياة لا ينعم تنهما عقليا إلا بمزاولة الشر ثم مات فان هذا الخلق يلزمه ويريد أن يفك بمن اعتاد الفتك بهم  
أو يقاضهم فلا يجد منهم أحدا فيكون ذلك عذابا له ، واذا وضع مع أقرانه وعاش معهم في عالم الأرواح فإنه  
يفعل معهم ما كانوا يفعلونه في الدنيا لأنهم لا يعرفون غير ذلك ، واذا كنا نجد المصوم وقطاع الطرق  
لا يفرحون إلا بأخوانهم . ولا يألون مجالس العلماء والحكماء ، فهكذا تكون أرواحهم بعد الموت لا تألف إلا  
أبناء جنسها لأنها اعتادت الاجرام وهم مجرمون وهي بهم فرحة وهناك تكون مسرات وقتية بعدها آلام  
وهكذا . قال : حقا لا يكون غير ذلك . قلت واذا رأينا الباب لا يفرح إلا بالقاذورات فهكذا فليكن أولئك  
الذين انغمسوا في المادة وحوت عقولهم من الأدب والكمال لا يبلذ لهم إلا مثل ما كانوا فيه في الدنيا ، فهم  
لذلك يعبثون مع أمثالهم وأصحابهم ويفرح بعضهم ببعض وقتا ويلعن بعضهم بعضا في وقت آخر كما كان  
شأنهم في الدنيا . فقال : حقا لأن الطباع لا تتغير . فقلت إذن بهذا القول اتضح الحقائق ، وأن الدنيا  
دار امتزج فيها المحبوب بالمكروه ، والآخرة دار امتاز فيها المحبوب من المكروه وهناك يكون الناس في مراتبهم  
وكل طائفة لا تعاشر إلا أقرانها ، ومن كانت أخلاقهم وعقولهم كاملة في الدنيا يكونون في لذة ذات نظام وسعادة  
ومن تغلبت عليهم شهواتهم الحيوانية أوقواهم الفضية ، فهم في الدرك الأسفل كل على مقتضى خلقه وطبعه  
(وبعبارة أخرى توضح هذا المقام) ان الجنبات المشاهدة في هذه الحيوانات أرتنا تفاوت الأغذية بتفاوت  
أنواع الحيوان ونظيره العقول ، فكل عقل له غذاء يناسبه فان كانت صور الغذاء العقلى شريفة فيها والا  
فهى خسيسة ويوضع في مرتبته هناك

وكما اتنا نرى في الحياة الجرذان والحشرات ذليلة هكذا نرى بعد الموت النفوس التى تشابهها ذليلة ، ولو  
قبل لا مرى في الدنيا أيهما خير لك أتموت أم تصبح فأرا ، فإنه لا يتردد في أن يقول العدم خير من الوجود  
اذا كان على هذا المثال ، ومن هذا قوله تعالى - قلت يا لبقى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - . إذن  
درجات النفوس بعد الموت ظاهرة واضحة في الحيوانات المشاهدة ، وهذه العقول قد تربت في هذه الأجسام  
وصارت درجاتها مختلفة اختلاف هذه الحيوانات فمن عقولهم في تنزها تشبه الحشرات تعيش معا في المكان  
المسمى بجحيم ، ومثالا النفوس التى أشبهت الصقور ، ولكن اذا كان هذان القسمان قد هذبوا وألتي العقل  
عليهما والدين فصائح فانهما يكونان في الجنة بشروط خاصة

وبالجملة فان أحوال أهل الجنة لها نظير في العالم المشاهد ، وهذه المعانى التى ذكرتها الآن مع طولها  
تمر ببعض العقول في وقت قصير جدا ، ومن النفوس الصافية ما تحظر لها هذه الخواطر حالا ، ولكن عدم  
مزاولة العلوم واللغات يقعدها عن التعبير . هذا ما أمكنتني أن أجيبك به الآن . فقال لقد فهمت حق الفهم  
وأنا لك شاكر ، ولكن هل من فوائد ترتب على ما تقدم في أحوالنا المدنية ؟ فقلت : اذا تفضلت بإيضاح

السؤال أمكنني الاجابة . فقال : لقد ذكرت أن أمثال الذباب تعيش على العفونات والرطوبات ، وجعلت هذه مثالا للنفوس الشهوية ، وذكرت أمثال الصقور والشواهين وجعلتها مثالا للنفوس الغضبية ، ولقد اتينا من تفسير كلام الشيخ الدباغ وأن هذه بذكرة لأحوال النفوس بعد الموت ، فهل من سبيل الى الانتفاع بهذه العلوم اللطيفة في مصر والشام والعراق وبلاد السودان وافريقيا . فقلت حسن ما تقول ، نعم انظر الى الأمم المستعمرة تدخل بلاد الشرق وتعطيهم من العلوم قسورها ومن الصناعات أضعفها وتمنع عنهم نور العلم وتعدهم أشبه بالحيوانات الغليظة ، فهي تسهل ادخال المشروبات الروحية من الخمر والمخدرات ، وتسهل لهم أحوال البطالة والكسل بما شجع أرباب المحال التي تستهوي العقول فيجلس الشبان أكثر النهار بلا عمل فيها ، وتوعز للذين يأتون بالصور المتحركة (السينما) أن تكون كلها أوجها حافلة بالشهوات والمجازي وكل ما يسقط النفوس في المهاري ، فهذه المناظر وتلك المشارب جعلتها الأمم المستعمرة شبكات لاصطياد العقول القوية بها يصطادونها فلا تقدر بعد ذلك على الخلاص ، وهذا هو الذي يبقى الاستعمار ، وهكذا يذيعون الروايات المملوءة بما يحط قيمة النفوس الانسانية ، فتتحول العقول في تلك البلاد الى حال تشبه حال الجمادات . ولكن الأمم الحرة لا تدخل شريطا للسينما إلا اذا وجدته مهذبا للأخلاق رافعا للنفوس معلما للأمة ما تعيش به كالفلاحة والصناعات المختلفة ، فبدل أن تكون السينما والروايات لتشويق النفوس الى كل ما يهدم الانسانية تكون لاعلاء شأنها ورفع قدرها وتعليمها الصناعات وشوقها الى المعاني والمعالى ، فالروايات والسينما وأمثالها إما مهيئات نفوس الناس الى منزلة من منازل الجنة ، وإما الى حفرة من حفر النار . والسبب في ذلك هم المستعمرون من الفرنجة الذين هم خلفاء المسيح الدجال لأنهم يظهرون أنهم مصلحون وهم يفسدون . هذا هو الذي كنت تريد أيها التقي . فقال نعم هو والله جزاك الله خيرا . قلت : هل بقي لك سؤال ؟ فقال سؤال واحد وهو انه ظهر لي أن قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ظاهرا أكثر ظهور في علوم عصرنا الحاضر . فقلت حقا فان مشاهدة أعين النبابة وأعين النملة مثلا ونحو ذلك من الجوانب المذكورة في هذا التفسير تدعش العقول وهو هو من مصداق انه يرينا ، فهنا رأينا ذلك بالبصر بالمنظار العظيم والكشف المتتابع ، وذلك لم يكن فيما مضى . واذا كان البرهان مبينا على المشاهدة كان الى اليقين أقرب . واذا كان الله شهيدا على كل شيء والملائكة يشهدون العوالم . فهامم العلماء في زماننا يشهدون في عالم الحس عجائب الصنع وهذا قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - . فهل بقي لك سؤال أيها الصديق ! فقال إن أذنت لي . فقلت : سل ما تريد . فقال : لقد ذكرت أن الدنيا امتزج فيها الخير والشر . أليس كمال الشيء أن يكون تاما لاناقصا والوجود لا يكون تاما إلا اذا كان فيه الأمران معا فانك أثبت في هذا التفسير أن الرحمة لا تتم إلا بوجود الضدين معا والضدان هاهما الآن في الدنيا إذ الخير والشر امتزجا فيها . فقلت : إن العقول الشريفة في أرضنا جل اهتمامها بالبحث والنظر وأفعال الله في كل وجود كاملة وعقولنا اليوم تعيش في وسط الكمال والجمال غاية الأمر ان أكثرها لا يكشف له عن ذلك الجمال لغلبة المادة عليه . فاذا خلصت الروح من المادة ظهر لها الجمال فتكون أشبه بالمحبوس لم يرب في السجن إلا صورة ضئيلة مما في الخارج فاذا خرج منه كان في حالة أشرف وأجمل . واذا شهبناه بالجنين حين خرج من بطن أمه صح التشبيه . فقال قد اكتفيت ولم يبق في نفسي شيء . فقلت الحمد لله رب العالمين . والى هنا تم الكلام على اللطيفة السابعة في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ كتب في صباح يوم الاثنين ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٠

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء التاسع عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم )

وبليه الجزء العشرون . وأوله تفسير سورة الشورى )

## فهرست

( الجزء التاسع عشر )

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيفة

- ٢ تقسيم السورة أربعة أقسام
- ٣ القسم الأول في تفسير البسملة . وتبيان أن الرجعة فيها موجهة الى العرش والخافين به المذكور في آخر سورة الزمر وفي أوائل سورة المؤمن ، إن العرش ذكر في سورة التوبة ويونس وهود وهونك مشير الى أن عروش الأمم القاطنة في بلاد عاد وثمود والأرض التي كان يقطنها ابراهيم ولوط وشعيب وموسى المذكورة في تلك السور كلها اليوم بلاد اسلامية ولا تزال الى الآن في أيدي المسلمين ، فعروش تلك البلاد في قبضتهم الى الآن وهكذا ذكر هنا في السورتين لمكان العلم والتعلم ، والعلم راجع للتسبيح والتعظيم والتعلم راجع للاستغفار ، لاعرش في الأرض يقوم إلا على دعامين من العلم ودعامين من العمل ، ودعامتا العلم هما العلوم الطبيعية والحياة السياسية ، والعمل بالقدرة ، والقدرة بالمال والرجال ، فهنا أربع دعائم لكل عرش في الأرض ، والعمل والقدرة المذكوران في شرح الكرسي المذكور في آية الكرسي ، والذي يهم في مقامنا هذا أن يكون المسلم متبعا للملائكة الخافين من حول العرش فيكون عالما مفيضا للعلم على الناس ، والعمل إن لم يحقق المحسوس المشاهد فما أحجزه عن ادراك المعقول الغائب وذكر الغفران والتوبة مع العرش لصفة العلو والعظمة ، وفي هذه السورة مباحث ، مباحث رحمانية كفضايج الأرض الواسعة ، والسموات والأرض والأنهار ، وتدرج الانسان من تراب مم من نطفة ، والالتجاء اليه ، وقبول دعوته اذا أخلص ونصر المصلحين وهكذا
- ٦ ( القسم الثاني من السورة ) فيه آيات السورة من أولها الى قوله تعالى - إن الله هو السميع البصير - ثم تفسيره المنطلي
- ١١ لطائف في قوله تعالى (حم) وقوله - الذين يحملون العرش ومن حوله - وبيان أن (الم) في أول سورة البقرة سبقت للجهاد ، وفي العنكبوت سبقت لكشف نسب العناصر بعضها لبعض وهكذا بقية السور أفلا تكون هنا الحاء والميم إشارة الى حمد الملائكة ، ولا معنى للحمد ولا للتسبيح إلا بدراسة صفات الجلال والاكرام ، ولن يتم ذلك إلا بدراسة علوم الأمم حولنا ، إن من ينكر الملائكة الخافين حول العرش جاهل بما عرفه علماء الشرق والغرب كالامام الغزالي والرازي وأصحاب اخوان الصفا إذ قالوا : « إن أرواح الناس التي فارقت الأجساد تعين الأحياء على الأعمال » . وهكذا يقول أكبر عالم طبيعي انجليزي « إني ناصبت الأرواح وحادثتهم وهم يهتمون بنا »
- ١٣ ذكر الأحاديث الواردة والآثار في هذا المقام كقول كعب وكقول جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ، وبيان معنى كون العرش يكسى كل يوم بألف لون من النور وأن ذلك واضح لمن قرأ العلوم اليوم ، وكقول وهب بن منبه : « إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف » وأن تلك المعاني يعرفها إجمالا من درس علم الفلك ، وبيان أن الحاء والميم فتحا هذا الباب
- ١٤ الكلام على صلاتنا نحن معاشر المسلمين وأن تسبيحنا فيها متبوع بذكر السمع والبصر والمنح والعظم

- والعصب الخ: ولا معنى لهذا كله إلا العلم ، إذن تسبيحنا في الصلاة ومأمعه يراد به التشويق للعلم . فاذا سبح الملائكة فنحن نسبح والنتيجة هي العلم بنظام هذه العوالم الجيلة
- ١٥ ﴿ القسم الثالث من السورة ﴾ من قوله تعالى - أولم يسبروا في الأرض - الى قوله تعالى - بالمشى والإبكار - والتفسير اللفظي
- ١٩ ﴿ القسم الرابع ﴾ من قوله تعالى - إن الذين يجادلون في آيات الله - الى آخر السورة وتفسيره اللفظي
- ٢٣ لطيفة في قوله تعالى - ويريك آياته فأى آيات الله تنكرون -  
تذييل التفسير في سورة حم غافر ، والكلام فيه على مقصدين
- ٢٤ ﴿ المقصد الأول ﴾ فيه الكلام على النفس الرثوى لأنه في الانسان والحيوان . و بيان صفة الرثة العامة وعلاقتها بالقلب وما فيه من طبقتي الأذنين والبطنيين
- ٢٥ ﴿ المقصد الثاني ﴾ في قوله تعالى - النار يعرضون عليها غدواً وعشيا - و بيان ما جاء في كتابي المسمى (الأرواح) الذي ألقته بعد أن منعت موانع السياسة من مواصلة درسه في دارالعلوم . وفي تلك المدة تمكنت من تأليف كتاب الأرواح المذكور . وفيه جاءت عجائب هذا العلم الذي منه ذكرت ها في التفسير مقدمته لمناسبتها لهذه الآية وأن الأرواح قد نطقت في المحافل العلمية بأمر يكا وشرحت ما شاهدته في عالم البرزخ . وأن المسلمين سيحبون من الحاكم الألماني الذي استغاثت روحه من اضطهاد يقيمين ومن روح محاسب في مدينة (ونسبرج) ارتكبت خيانة فطلبت المساعدة ومن روح غني تخيل عذبت روحه بالمال وأن ذلك كله هو مقتضى آيات القرآن بل هو محور دين الاسلام وأصوله
- ٢٧ ووافق هذا ما قاله الغزالي إذ يقول : « إن الميت في أول أمره يعذب بفرقة المشتبهات وثانياً بالخجل من الفضائح وثالثاً بالحسرة على فوت ما هو محبوب من الأعمال العظيمة ، و بيان أن العذاب والنعيم أمران لازمان للطاعات والمعاصي . فأنه لا ينتقم وإنما هو عدل . وهنا كلام (اخوان الصفاء) الموافق للغزالي من وجه . و بيان معنى الحيات والعقارب والتنايين الواردة في عذاب القبر وانها إما أن تكون صوراً حقيقية لا تظهر إلا لأهلها فعدياً لهم كما يظهر للملائكة للأنبياء تغليظاً لهم لا لغيرهم . وأما أن تكون أشبه بحال النائم . وأما أن يكون المقصود الآلام المشبهات آلام العقارب ومأمعها لأن المقصد هو العذاب وهو حاصل . و بيان أن الآلام جسمية وروحية الخ وههنا شرح طويل و بيان للإمام الغزالي
- ٢٨ ﴿ المجلس الرابع ﴾ في الروح التي أخبرت بموتها وزمنه وفي قوة علم النوع الانساني وموازنات شتى بين أقوال الأرواح وبين القرآن والحديث الشريف . وذكر القليل الألماني الذي مضى له (١٧) سنة وأخبر بموته وطابقت الحكومة على قوله
- ٢٩ الطائفة الهامة لأقسام السورة كلها ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة - مع قوله - الله الذي جعل لكم الأنعام - الخ و بيان أنه لا معنى لشكر النعمة ولا للحمد عليها إلا بتقديم العلم بها ، فاعلم هو الأس الذي يبنى عليه الحبّ وتناء اللسان ونشاط الجوارح في الأعمال والعلم بهذه الأنعام وعجائب الخلق قد تقدم في سور كثيرة مثل النحل والحج وطه والتور والنمل وسبأ والروم والمؤمنين وفاطر والسجدة ، ومع ذلك فأننا هنا نزيد مسائل لم نذكر في تلك السور مثل السحالي والبرص والحرباء ، ضارة هي فقتلها أم نافعة فنبقها ؟ وأي فرق بين الثعابين السامة وغير السامة ؟ وهل ما يحمله الحوأة (المشعوزون) من الثعابين سام أم غير سام ؟ وما هو الحيوان الذي يولد في ماء ثم يهاجر الى المسكان الذي خرج منه أبواه وهو لم يره ! وهل الهدأة ضارة ؟ وإنما ذكرت هذه هنا لأن الآية فيها

٣٠ ذكر الأنعام وانها ثمانية أزواج ، وهذا يقتضى تقسيم الحيوان الى أنعام وغير أنعام ، فهذا من القسم المقابل لما فى الآيه ، وفى هذا المقام يقسم الحيوان الى ناقص الحلقة ونام الحلقة ، والأول مقدم على الثانى ويقسم أيضا الى أشرف وما هو أقل شرفا وذلك بحسب الحواس ، فهو إما ذوحاسة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس ، فذو الحاسة كاللهد فى حب الثمار ، وذو الحاستين كاللهد الذى على ورق الشجر وزهره ، وذو الثلاث فلا سمع له ولا بصر وهو الحيوان الذى فى قعر البحار والأمكنة المظلمة غالبا وذو الحواس كلها ماعدا البصر وهو الطوام والحشرات التى تدب فى المواضع المظلمة مثل (الحلقة) والكامل ما فوق ذلك وبيان أن منها المتدحرج والزواحف والذى ينساب أو يدب أو يعدو أو يطير أو يمشى ، وهذا له رجلان أو أربعة أو ستة أو ثمانية أو أكثر ، والذى يطير من الحشرات ماله جناحان وأربعة وستة أجنحة ، ومنها ماله حمة وقرون ومشافر ومخالب وحظوم ، ومنها ماله فكر وروية وتميز وتدير وسياسة ، ومنها ماله أعضاء مختلفة مهندسة مفصلة مغطاة بالجلد وعليه الشعر والوبر والصوف والريش والصدف والفلس خارجا ، وفى الداخل الدماغ والرئة والقلب والكبد والطحال والكليتان والثانة والأمعاء والمصارين والأوراد والمعدة والكبرى والحوصلة والقانصة ، وفى الظاهر الأرجل والأيدى والأجنحة والأذنان والمخالب ، وههنا الفرق بين البهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح والهوم والحشرات . وبيان أن كبير الجثة يمكث فى الرحم طويلا لتدور الشمس دورتها فيستكمل فى الرحم ، وهذه خلقت أولا عند خط الاستواء ثم تناسلت وانتقلت الى مواطن أخرى ولكن أرحام الاناث حفظت تلك الحرارة . وبيان أن الناس يتنجسون من خلقه الفيل وهم لواعبوا لتجيبوا من خلقه البقرة أكثر لأن لها أرجلا أكثر وتزيد الأجنحة وغيرها ومع ذلك هى تؤذيه . هذا بالاجال تقسيم المتقدمين . أما تقسيم المتأخرين فهم يقولون إن الحيوان إما ذوخلية واحدة وهو الأذى ، وإما ذوخلايا ، والأول كحيوان الملاريا الذى لا أعضاء له ويعيش فى الكرات الحراء فى الدم ، وذو الخلايا الكثيرة منه الاسفنج وحيوان المرجان وذو الجلد الشوكى وتنفذ البحر والديدان المفرطحة كدودة الكبد والبلهارسيا والديدان الاسطوانية كدودة الانكلستوما وكالدودة الحلقيه والمفصليه ومنها الحيوانات الرخوة والفقرية ومنها السمك والضفادع والزواحف والطيور وذوات السدى . والحيوانات السبعة المتقدمة من ذوات الفقرات فهى مشاركات للذكورات فى الآيه وهى الأنعام . فأولها السحالى وهى من أنواع الورل (شكل ١) صحيفة (٣٤) وهى حيوانات نافعة للانسان لا ضرر منها . وثانيها الأبراص جمع برص وهى حيوانات نراها فى منازلنا ونظن جهلا انها ضارة وهى نافعة فوجب أن لا نتقل (شكل ٢) صحيفة (٣٥) وكذلك الحرباء (شكل ٣) صحيفة (٣٥) وهى حيوانات نافعة أيضا

٣٦ الثعابين منها ماهوسام (شكل ٤) صحيفة (٣٦) وشكل ٥ صحيفة ٣٧ والثانى هو الكوبر المصرى أى الناسر . والحية المقرنة (شكل ٦) صحيفة (٣٨) والثعبان ذوالجرس (شكل ٧) صحيفة (٣٨) وهناك ثعبان غير سام وهو فى القطر المصرى كثير وهو رملى يميل الى الاحرار عليه بقع ذات لون بنى وسطه السفلى أصفر وهذا هو الذى يحمل الحواة (الشعوذون)

٣٩ (شكل ٨) صورة ثعبان يسمى (البيتون) وهو أيضا غير سام الكلام على ثعابين السمك وهى قسبان : قسم يعيش فى أنهار أوروبا وشمال افريقيا . وقسم يعيش فى أنهار الولايات المتحدة التى تمسب فى المحيط الاطلانطى . ومن ثعابين السمك نوع بمصر (شكل ٩) فى صحيفة (٤٠) وأكبر مده يتم فيها نمو ثعبان السمك سبع سنين . ومتى تم نموها تجتمع وتهاجر من الأنهار



وتترك مصابها وتنزل في البحر الى بوغاز جبل طارق فالمحيط الاطلانطيقي جزائر برمودة القريبة من الولايات المتحدة وتعاين أنهار أوروبا ففعل هذا كله ، وهناك تضع الاناث بيضها وتفرغ الذكور مادتها المنوية عليها في الماء فيتم انصاب البيض وربما تضع الأنثى أكثر من مليون بيضة ، ثم يموت الذكور والاناث وتخرج الذرية وترجع الى المحال التي خرج منها آبؤها وأمهاها وهي لم ترهن  
٤١ ولن تفضل ذرية تعابن السمك الأمريكي ولا الافريقي طريقها بل كل يرجع الى المكان الذي خرج منه الآباء والأمهات

٤١ الكلام على دودة الأرض (شكل ١٠) وهي ذات أشواك صغيرة ولها جلد رطب مخاطي  
٤٢ وترى في (شكل ١١) حجمها مكبرا والذي تقدم هو حجمها الطبيعي ، وهي تخرج أثناء الليل لتبحث عن غذائها فتأكل الفضلات من الأوراق والأزهار الساقطة وتسحبها الى داخل الأرض ، وكذا بذور النبات والبويضات والحشرات والديدان وهي تتوالد

٤٣ (شكل ١٢) رسم دودتين في حالة الاجتماع ، وهذه لها منافع للناس ، فهي تصيد السمك ، ولغذاء الطيور ، وهي تحوّل الأرض فيدخل الهواء فيها ، وتساعد الجذور على التعمق فيها ، وبأكلها الطين يدخل فيه مواد عضوية فيكون سمادا ، وهي بقذفها الطين ترفعه الى سطح الأرض فيقابل الشمس فهي أشبه بالحمرات ، وتسحب الأوراق الى بطن الأرض فيكون سمادا ، وقد يكون في الفدان الواحد من أرض الحدائق (٥٣) ألف دودة يمر من أجسامها (١٠) أطنان من التربة وهو يغطي نصف سنتيمتر تقريبا

٤٤ ﴿ العلق ﴾ تعيش في المياه العذبة في البرك والمستنقعات وبعضها في الأرض الرطبة وهي تعيش في اللحم وهي خنثى وهي تتعلق بكل حيوان تعثر عليه ، وأهمّ هذا النوع هو العلق الطبيعي  
٤٥ الكلام على الحداة ، وبيان انها تأكل صغار الدجاج والبط والأوز والجرذان والضفادع والثعابين والسحالي ودود الأرض والحشرات والرم ، وهي مفيدة جدا في تنظيف الشوارع من الرمم وسطوح المنازل من بقايا الماء كل ، وضررها أقل من نفعها  
خاتمة في الحيوانات النافعة مثل المذكورة في يوسف عليه السلام

٤٦ تجارة الجراد في بلجيكا ، وبيان أن الحكومة المصرية اليوم لم تسبق لمنفعة الجراد الذي هجم على مصر مع ان في بلجيكا شركة تصنع منه زيتا ، ولم تبال بالطلب الذي قدّم اليها ، فعلى من بعدنا أن يربوا الحكام تربية أرقى من هذه لأنهم لو باعوه لعوضوا النقود الضائعة في مطاردته

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ مع ملاحظة آية - خلقكم من نفس واحدة - وقوله - لا إله إلا هو - فهنا وحدة النفس المتصرّفة في الأعضاء ووحدة الله ، ولا فرق بين وحدة نفوسنا مع كثرة أعضائنا وبين وحدة ملكة النمل وملكة النحل وملكة الأرض (جمع أرضة) . وقد وصل تيار من وصلوا الى القطب الجنوبي الى الذين في الممالك المتحدة في لمح البصر بمجرد الضغط على الزر . إذن اتصال الخبر بين النمل والنحل بنفس طريقة كطريقة الراديو يوم إذن العالم ذو وحدة لها محرك واحد وبه تفهم - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة -

٤٨ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - الله الذي جعل لكم الليل - الى قوله - كن فيكون - وفيها ذكر الليل والنهار ، وخلق كل شيء بسبب هذا التعاقب وأن الأرض قرار ونظام خلقنا وتدرجه وحياة كل حي وموته ، في هذه المسائل الخمس تدخل العلم الطبيعي واللاهوتي والفلسفي

٤٩ إن الحرارة والبرودة في الأرض يرجعان الى الليل والنهار ، والحيوان والنبات موزعان على مناطق الأرض المختلفة بسبب سير الشمس ، ثم إن المكان الذي كثر نباته أو قل لا يعيش فيه الانسان ، أما الذي اعتدل نباته فهو الذي يمكن عيش الانسان فيه ، فالغابات الاستوائية والأقطار الباردة لا يصلحان لسكناء ، فالانسان كما يجب الاعتدال في أخلاقه ويجب الاعتدال في محل سكنه ، ومن عجب أن جسمه مفصل على مقتضى هذه العوالم حوله ، فأعضاء الجسم للعلم بالموجودات ، والرجلان لحركة الانتقال ، واليدان لحركة العمل فكأن الانسان الورقة المصورة بصورة الشجرة وهي هذه الدنيا . إذن العالم مقسم على أعضائه علما وعملا كما تقدم في أول ( سورة ص ) وهذا الانسان اليوم جاهل لم يدرس جسمه ومن درس جسم الانسان وجسم العالم عرف أن الانسان والعوالم حوله أشبه بالروح والأعضاء الجسمية فكأن أعضاءنا مطيعة لأرواحنا هكذا العوالم حولنا يجب أن تطيع الانسان والانسان سائر الى هذه الحال ، وأضرب لذلك مثلا : رجلا بنى لأبنائه بيوتا منفصلة بماء البرك وهم ينتقلون الى بيوتهم بالسفن والأبنية لا تبلغ إلا الثلث والباقي ماء ، وبهذه الطريقة كانوا يتحاربون ، وهذا القتال هو السبب في نشاطهم ومعرفة أسرار الماء والأرض وهكذا ، وفي آخر الأمر قرءوا عليهم على ما يأتي :

ذلك ان أحدهم . قال : أيها الاخوة إن أبانا حكيم لأنه لم يشأ أن يعطينا مجانا بل أراد أن نفكر بأنفسنا . انظروا . ألسنا نحافظ على الطيور كالزقراق البلدي والشامى وأبى قردان ونحافظ على البقر والجاموس ، فهذه قد أجهنا أننا اذا أكلناها ولم نبقها لتنفعا في زرعنا إما بالتقاط الديدان وأما بالحرن والسقي فإتانا تلك لاجلنا ، وهذا برهان يقيني واذا حافظنا على العنكبوت لأكله الذباب وعلى الحشرات لمنفعتنا أفلا نحافظ على الانسان نفسه الذي اذا أبقيناه ساعد مساعدا أتم من مساعدة الحشرات وغيرها وبهذه زال الحرب بينهم ، الأب ضرب مثل لله تعالى والاخوة بنو آدم والمنازل هي القارات والماء هي المحيطات المعلومة . إن الانسان لم تقتصر العداوة على أن تكون بين أفراد بل انه حرم من المناطق الباردة القطبية والحارة الاستوائية المملوءة نعما وخيرات لاحد لها . انه لم يحظ إلا بسكنى المناطق المعتدلة أما غيرها فلا . إذن هذه المناطق محبوبة لهذا الانسان وهي عاصية عليه حتى يجتمع كفه ويتحد ويصبح جميع الناس أمة واحدة وهم أولى بالاتحاد في هذه الأعمال من اتحادهم مع أبى قردان والجاموس والبقر تلك الحيوانات التي أتحدت معهم في المنفعة ، فهل منفعة الانسان أقل من منفعة الحيوان ! إن الانسان جهول والأنعام اليوم أرق منه . اللهم إني أشكو اليك هذه الأمم ، وأهل أميركا يقتلون السود جهلا وخبثا لجرّد اللون . وأهل انكارترا يطردونهم من مطاعمهم لجرّد اللون

٥٣ الانسان وتوزيعه على المعمور . شروط صلاحية القطر للسكنى . مغالبة الانسان طبائع الأقطار التي يسكنها أسباب قلة سكنى الغابات الاستوائية وموازتها بالغابات المعتدلة . التغيرات الفصلية تعدد القطر للسكنى وهكذا التغيرات الدهرية . الحرف وتأثيرها في عدد السكان

٥٧ أسرار العلوم المحبوبة في هذه السورة ، وذ كرخسة أسئلة (١) الذنوب ومغفرتها (٢) الكفر والايمان (٣) محاور مؤمن آل فرعون (٤) محاجة الكفار في النار من المستكبرين والضعفاء (٥) ما يقوله بعض المفسرين في آية - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - فان ابن عباس يقول : إن ذلك اشارة الى السجال وأن الآية رد على اليهود الذين يقولون إن الدجال يرجع طم ملككم . والاجابة على السؤال الأول والثاني أن الآلام كالضرب والكسر والصدم والجرح والأسقام كلها منذرات . واللذات نصف الرحمة والآلام نصفها الآخر . ثم ان ما تقدم في أول سورة الزمر من أن في الحق (١٦) طبقة سببها

الغبار والدخان ، وهذه الطبقات تحجب ضوء الشمس صباحا بحيث يكون أقل (١٣٥٠) مرة منه وقت الظهيرة . وهذه الحجب ودخانها الضار بأجسامنا المقصر لأعمارنا أصبح نعمة ، فنفعه أكثر من ضرره ، فهكذا الذنوب فهمي منعت أفضة العلوم على عقولنا دفعة واحدة لئلا نهلك . ثم ان الأرض أسرع قبولا للحرارة من الهواء وأسرع تخلصا والماء بالعكس وهكذا كل حيوان أو نبات أبطأ في النمو كان أكثر نفعا والعكس بالعكس . فهناك فرق بين النحل والقرع وبين الحصان والكلب . وهكذا هناك فرق بين الهرم وبين أبنيتنا من حيث الاتقان المناسب للدوام . هكذا الكافر والمذنب اذا صلح حالهما بعد العناء الشديد كان صلاحهما وإيمانها أتم لأنه بعد عناء . وهذا هو السر العام في كل ما نحن فيه من الشقاء والنصب في هذه الحياة

### ٦٠ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في محاجة مؤمن آل فرعون لقومه وفيه ثلاثة جواهر

٦١ الجوهرة الأولى في لمح من تاريخ قدماء المصريين وهذا التاريخ ثلاثة أدوار: الدولة القديمة ، والدولة الوسطى والدولة الحديثة ، وتاريخ الدولة القديمة يتدأ بالملك (مينو) الذي جمع ملك الوجهين البحري والقبلي وعاصمته (تانيس) أو طيبة بجوار جرجا ، ثم انتقلت العاصمة بعد ذلك الى منفيس عند ميت رهينة بقرب القاهرة ، وهناك شيد (زوسير) الهرم المدرج وسنفردهري ميدوم ودهشور وخوفو وخفرع ومنقرع اهرام الجيزة الثلاثة وساحورع ونوفرارقرع وأمنرع وأونس وتيتي وبيبي الأول والثاني وممنرع الأول والثاني ، فهؤلاء منهم من شيد اهرام أبي صير والمعبد الشمسي ، ومنهم من شيد اهرام سقاره . ثم تلت هؤلاء حروب وجاءت الدولة الوسطى ، وهؤلاء من الوجه البحري ، وجعلوا مدينة طيبة مقرهم ، وحكموا النوبة ، وأقاموا المعابد ببلية ، وشادوا اهرام دهشور والشت والفيوم ، وبنوا قبور بني حسن والبرشه ومستين من حجر الصوان لإحداهما بالمطرية ، والقصر الذي هو شرقي بركة قارون . ثم نقلت في الأسرة الرابعة عشرة الى الوجه البحري في (سخا) ثم سقطت الدولة ودخل الهكسوس وجاءت الدولة الحديثة فرجعت الى طيبة وعظمت مصر وعظم سلطان الكهنة ، ثم أصبحت العاصمة (صالحجر) بالقرية وتل بسطه بالشرقية . وفي هذا الوقت ابتدأ الانقسام فدخل الآشوريون وضعفت مصر ثم دخل الفرس ثم دخل اسكندر المقدوني . كل ذلك بالانقسام . والمهم في الآية أن هذه الأمة وأمة العرب في الأندلس مقشاهتان في الانقسام فالصيريون عبدوا الطير والسماك والحيات والتماسيح والقطط والكلاب كما تقدم في ﴿ سورة النمل ﴾ واقتتلوا على ذلك ومتى خربت العقول ضاعت الأمم . وهكذا الأندلسيون افترقوا عشرين دولة صغيرة فأهلكهم الآشوريون . وهذا هو السر في قول مؤمن آل فرعون لهم - يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا - الخ فبأس الله هو التفريق والانحلال الذي جاء بعد هذه النصيحة لأنه كان في الدولة الوسطى . وأعقب ذلك الزمن الدولة الحديثة التي كانت هي انتهاء دولة المصريين كما انتهت دولة العرب في الشرق والغرب بنفس هذا الانقسام بعينه ومينه مع خراب العقول وضاعها بالتقليد الأعمى . وهذه هي حال المسلمين اليوم . ولقد فعل الفرنجة بأهل مصر في زماننا ما حصل لهم أيام الفراعنة . فأولئك لما أراد الله اهلاكهم سلب على عقولهم الخرافات فجعلوا الحيوانات في البرجة الأولى من الألوهية والمعبود الحق في البرجة الثانية فتفرقوا . وههنا تفرقتنا نحن بسبب المبشرين المنبئين في البلاد الذين زلزلوا عقائد الأكارب فأضاعوا البلاد ودخل الانجليز مصر وأصبح المتعلمون إلا قليلا منهم يتشبهون بالفرنجة في كل أحوال حياتهم . فما أشبه الليلة بالبارحة . إذن قصة مؤمن آل فرعون منطبقة على حالنا اليوم . إن الرياء والحداع هما الرامحان . وقد

يقوم بأمر البلاد أخص النفوس وأضعف العقول والسفهاء وأصحاب الماضي الخبيث والسيرة القبيحة ،  
وقليل من يتولاها من ذوى النفوس الشريفة الصادقين ، والمصريون اليوم عرب لهم صلة بالعرب في  
شمال افريقيا والحجاز واليمن والعراق الخ

٦٦ فهناك نصيحة الدكتور يحيى المرديبر إذ رفع صوته في صحيفة الشبان المصريين قائلا : « لابد من اتصال  
المصريين بالأمة العربية ، فأما الاقتصار على الوطنية المصرية وحدها وعدم اتساقها بالوطنيات الأخرى في  
العراق والشام الخ فغناه الموت والهلاك ومعناه الاتقسام ( وعبارة أخرى ) ذكر المصريين بروابط  
الدين واللغة والنسب مع العرب الآخرين . فهذه نصيحة مصرى في عصرنا لماوازناها بنصيحة مؤمن  
آل فرعون وجدنا بينهما مشابهة ما ، وعسى أن تكون هذه النصيحة يعقبا ارتقاء الأمة وان كانت  
نصيحة مؤمن آل فرعون أعقبها هوان الأمة لأنهم لم يعظوا

٦٩ نورالعلم في صلاة الوتر بعد صلاة العشاء ، ههنا ذكر المؤلف معنى الاستغفار ، فم يستغفر رسول الله  
ﷺ ؟ أمن ذنبه وهول ذنبه له . كلا . إذن استغفاره ﷺ هنا راجع الى إزالة سبب الذنوب أى  
دوام ذلك الزوال كما تقول اهدنا الصراط المستقيم ، والفتح المذكور في سورة الفتح ترتب عليه الغفران  
بهذا المعنى إذ الفتح هناك راجع لفتح العلم وهو يحدث الأثر في نفوس السامعين فينشرون العلم بفتح  
البلدان ، إذن الفتح والمغفرة راجعان للفتح العلمى واصفاء النفس وخلوصها من سبب الذنب . أما  
التسبيح والتحميد فهما أمران عجيبان : ان النعم التي نشاهدها غزيرة ولكننا نراها ممزوجة بالشرور  
وهذه الشرور تحدث عندنا خوفا من الله ويكون الحب لله على مقدار ما يكون من اللطف الذي نحس  
به بعد كل شر يصيبنا فنكون عبيد سوء لانعرف النعمة ولا نحس بها إلا اذا أصابنا الشر لنفرق بين  
النعمة والنقمة ، ولكن اذا أدركنا بعقولنا ودراسنا العلوم الرياضية والطبيعية ، وتحققنا بعقولنا أن  
الشرور لا بد منها لتمتعنا أصبح حبنا لله لاحد له وهناك فقط نفهم معنى الرضاء بالقدر ومعنى « الإيمان  
بالتدريج به وشره من الله » وهناك هناك فقط تكون سعادة هذا الانسان ويكون الحب الحقيقي ، وهل  
السعادة إلا الحب ، والحب هو النعم كله والسعادة كلها ، فلادنيا إلا بالحب ، ولانعم في الآخرة بحق إلا  
بالحب . هذا هو سر الاستغفار والتسبيح والتحميد

٧٣ ( الفصل الرابع ) في محاجة الضعفاء والمستكبرين في النار . وبيان أن ذكر المسيح الدجال بعد محاجة  
الضعفاء والمستكبرين للدلالة على أنه اذا كان المسيح الدجال ( مع ماله من المكر والدهاء التي لا يباينها  
في الخديعة الرؤساء الضالون والشيوخ الفاشون ) لا يحلى أتباعه من العقاب لأن لهم عقولا فأولى بالعقاب  
هؤلاء الذين يتبعون المضلين من الشيوخ والأمراء المضلين . إن المحاجة بين المستكبرين والضعفاء في  
آية تفرغ للمسلمين الخاليين الذين تركوا مواهبهم وعقولهم ونسوا أن كتاب « الفرق بين الفرق »  
الذي اشتمل على ( ٧٣ ) فرقة من فرق المسلمين ، كان كل اختلافهم المذكور فيه غالبا لا يرجع إلا الى سبب واحد  
بحسب الأصل وهو الجاه والثروة والملك ، ولادواء لهذه الأمة عندهى إلا دراسة العلوم الرياضية والطبيعية  
وجميع علوم أهل الأرض ، ولا يصلح لقيادة هذه الأمة رجال يجهلون هذه العلوم ، فلا رجال الدين ولا رجال  
السياسة ولا الأمراء ولا الملوك ولا رؤساء الجمهوريات في أمة الاسلام يتأقمن مالم يتحلوا بهذه العلوم .  
وكفى كل واحد من هؤلاء أن يلم بأكثر ما في هذا التفسير . فأما غير من أنصفوا بذلك الوصف فهم  
لا يصلحون لرقى هذه الأمة لأنهم جهلاء غالبا جهلاء مركبا

٧٥ ( الفصل الخامس ) في المسيح الدجال . لقد تكلمنا على المسيح الدجال في مواضع كثيرة من هذا

التفسير، وفي كل موضع فائدة ليست في الموضوع الآخر. فاختلاف العبارات باختلاف المواضع كاختلاف الزروع. لكل وجهة وفائدة، إن المسيح الدجال أنذره الأنبياء قومهم، وليس من المعقول أن يندروا بالذي لا يحدث لأمتهم، وليس من المعقول أن يستعبد المسلمون ١٣٥٠ سنة من شيء لم يكن له أثر، إن الدجال والغش والخداع محيط بأمم الإسلام من جميع الجهات، فمن شيوخ لاعلم عندهم بغرور الأمة ٧٧ ويقولون «لاموجب لقراءة العلوم» فتنام الأمة، ومن قوم يأتون بتجارة أجنبية تبتز الثروة والأمة نائمة عن الصناعات، ومن أمم أوروبية أو مسلمة شرقية تحتل بلاد الإسلام. وبذل الرعية، فالأوتون بحجة الإصلاح الكاذب، والآخرون بحجة أنهم على ديننا، فكل هؤلاء من أتباع المسيح الدجال، ولا ينافي هذا أنه يظهر في آخر الزمان، ولكن نحن ننظر لما هو حاصل الآن، فليكن هو كناية وهي معروفة في علم البيان. فكل هؤلاء استعاض منهم النبي ﷺ ومنهم نستعين نحن فظواهرهم كالمسيح ابن مريم وبواطنهم أنهم دجالون، فاستغن الصحابة والتابعين وأمثال صلاح الدين وعمر بن عبدالعزيز وضع يدك على من تشاء مجدهم مترفين منعمين دجالين إلا قليلا كانوا مخلصين. إن المستعمرين ما دخلوا أمة من أمم الإسلام إلا أصبح شيوخ الطرق غالبا دعاة لهم. وأما قول ابن عباس «إن الآية واردة في اليهود» فهو حق وظهوره الآن والأفاذا نرى. إن الحرب العظمى ما أشعلها إلا ألمانيا بسبب الفلاسفة اليهود ٨٠ مثل نيتشه والبلشفية في روسيا رؤساؤها اليهود مثل لينين وفتنة فلسطين وطعمهم في الوطن القومي ظهرت في هذه الأيام وهي من اليهود. أليس هذا هو عين قول ابن عباس بل هو مجزة وهو أنهم سيتكلمون في ملكهم على المسيح الدجال وهاهي ذه الدول المستعمرة هم الدجالون وعليهم اتكل اليهود وابن عباس قال لا يبالغون شيئا. فعلى المسلمين أن يرقوا تطعيمهم ليزول خداع الأمم وتفك أغلال العالم على أيدي المسلمين والا فان نفع الانسان لأخيه الانسان أقوى ألف مرة من نفع (أبي قردان) الذي حافظنا عليه لزرعنا، فهل (أبو قردان) أفنع من الانسان للانسان؟ إذن الانسانية اليوم بلهاء جاهلة، وعلينا نحن أن نرقبها لنقتل الدجل منها، ومن أهم الدجل إبقاء الأمم جاهلة بسبب الاستعمار تارة وبسبب الشيوخ الجاهلين تارة أخرى، ومن أهم الدجالين المبشرون الذين يزلزلون العقائد لاصطياد الأمم، وجاء في إحدى المجلات العلمية وهي مجلة «الشبان المسلمين» مقالة بهذا المعنى عنوانها «من كان يئته من زجاج فلا يبرجم الناس بالحجارة» وأن الصينيين يقولون: تعاليم المسيح عرفناها من قبل لإرساله لكم ولم نتالوا من الصين أكثر من (٤٠) ألف نصراني يكسبون منكم رزقهم، وههنا سرد حكاية عيسى وهم مع أنهم يدعون الى السلام ما دخلوا أمة إلا أهدنوا فتنة وادعوا ملكا وثارت الحرب فهل هذا هو السلام. ولما علمت ألمانيا أن رجال الدين هم الذين مهدوا للانجليز دخول مصر بسبب بث العقائد الزائفة أخذوا يستعملون هؤلاء للبشرين لما يريدونه

٨٢ ﴿سورة فصلت﴾ وهي خمسة أقسام: تفسير البسملة والتوحيد. ذكر بده الخلق. وذكر إهلاك بعض الأمم كعاد ونمود. وذكر الحشر. وشهادة الجلود والحواس الخ والخامس في ذكر أن الليل والنهار آياتان الى آخر السورة

٨٥ ﴿القسم الثاني﴾ من السورة الى قوله - العزيز العليم - قد كتب مشكلا

٨٦ التفسير اللفظي لكلمة (حم) وهذان الحرفان يرجعان للمحمد والجد على نعم، وههنا سرد المؤلف نعم الله التي في هذه السورة

٨٩ ذكر بده الخلق - قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين - الخ

- ٩١ ( القسم الثالث ) من قوله تعالى - فان أعرضوا - الى قوله - وكانوا يتقون - وتفسيره اللفظي
- ٩٣ ( القسم الرابع ) من قوله تعالى - ويوم يحشر أعداء الله - الى قوله - فاستعد بالله - الخ قد كتب مشكلا ، ثم تفسيره اللفظي
- ٩٥ ( القسم الخامس ) من قوله تعالى - ومن آياته الليل والنهار - الى آخر السورة قد كتب مشكلا وبعده التفسير اللفظي
- ٩٨ لطائف هذا القسم : هي ثلاثة . الأولى في إنزال الماء من السماء وانبات النبات الخ
- ٩٩ اعلم أن المواد المعدنية والنباتية والحيوانية لاتتكامل إلا في وسط موافق لها وأقل درجات الاجتماع أن تكون العناصر لافيه تركيب كيميائي ولانظام حيواني كحجر الجير ويسمى حجر البناء (والدهش) و(الدهشوم) فهذه مركبات من كالسيوم وأكسوجين ، وأرقى من هذه التركيب الكيميائي كالبوتاسا الكاوية ، ففيها البوتاسيوم والاكسوجين والادروجين والكالسيوم والكربون ، فباتحادهذه بنظام خاص تصبح جسمه له خواص جديدة ، وأرقى منهما طريقة الحياة النباتية والحيوانية ، فلنأخذ الاكسوجين والادروجين والآزوت والكربون التي لا بد من وجودها في كل نبات وحيوان ، فهذه يركبها الكيميائي ولكنه لا يقدر أن يخلق فيها الحياة ، ان الحياة فيها سر البناء والهدم كرفع الحجر الى أعلى فيرتفع الى حد خاص ثم ينزل الى الأرض . إذن الموت ناجم من نفاذ القوة الحيوية ، وأصل الحياة مادة هلامية (بروتوبلازما) تصير حوصلة والأحسن أن تسمى بيضة والبيضة تنقسم بيضتين و٤ و٨ و١٦ و٣٢ وهكذا (انظر هذا في سورة مريم مع الموسيقى ومع حساب بيوت الشطرنج) فأنا وأنت وكل نبات وحيوان أصلنا هذه البيضة ويحصل الاقسام وفي آتائه تكون العين والأذن والقلب الخ
- ١٠٠ الحياة سلسلة والنبات من أعلاه متصل بالحيوان كنوع (الذوفيت) فهو على شكل النبات ولكنه حيوان ، ثم الاخطبوط الهلامي ، ثم الديدان ، ثم الحلزون والبزاق وذوات الأصداف ، فالحيوان القشري فعقرب البر فذوات الفقرات كالسمك ، فالديدان الأرضية ، فالطيور فنوات الثديين وهكذا الى القرود فالإنسان
- ١٠١ ( خلق الإنسان ) انه يخلق تدريجيا في الرحم فيكون دودة حلزونة فسمكة فذبابه فقردا فالإنسان سويا وهذا هو معنى قوله - مخلقة وغير مخلقة -
- ١٠٣ ( اللطيفة الثانية ) في آية - لا يسأم الإنسان من دعاء الخير - . أمر الإنسان بحب ا يسلب النعمة فيضطرب ، فاذا خف الأمر عليه دعا الله ، فاذا كثرت النعم أصبح أعمى ، وليس يخرج من جهله إلا العلم ( اللطيفة الثالثة ) في قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق - الخ فهاهوذا قد تبين الخ في زماننا ، وأنت أيها التكي اذا قرأت ماتقدم في التفسير أيقنت أن مافيه خلاصة علوم الأمم في أرضنا . إذن أنت اطلعت على معنى هذه الآية بقراءة ماسبق في هذا التفسير . إذن أصبح دين الاسلام دين الحكمة والفلسفة . إذن أنت شريك في الفكرة حرام عليك أن تنام
- ١٠٣ أيها المسلمون القارئون هذا التفسير : أتم خلفاء الله في أرضه تذييل لتفسير هذه السورة وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول في إيضاح قوله (اليه برد علم الساعة) المحب ان الإنسان يرتقي في الرحم كاتقدم في درجات الحيوانية ، فاذا رأينا الطفل بلاعب الهرة ويجب الحماية ويداعب العصفور فذلك لأنه كان بالأمس مثلها . إن التلميذ يجب أن يمر على جميع درجات التعليم حتى يتمكن أن يعلم (لذلك لم يكف المسلمين أن يعلمهم قوم من الذين نالوا الكشف لأنهم لم

بمروا على الدرجات كلها كما مرّ الجنين

١٠٤ ﴿ الفصل الثاني والثالث ﴾ في إيضاح الكلام على آية - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ  
 وذكر نبذة من كتابي « ميزان الجواهر » تتضمن البحث في نظام علم التوحيد في بلاد الاسلام  
 وأن المؤلف وهو في حال الصبا كان يمتحن لوأن المسلمين درسوا هذه المشاهدات في المعاهد الدينية .  
 وانه شاهد بعض الحيوانات الصغيرة المرقشة فأدهشته ، وأخذ ينظر بعقله ، وقرأ التفسير في الحقول  
 وهو بعيد عن دور العلم ، فخلاه الفهم ، ثم اتصل « بدارالعلوم » وأصبح موقفا بأن هذا العالم له نظام تام  
 ففرح بذلك فرحا شديدا وأخذ يقول : « تبالم نمرّ عليه هذه الحياة وهو لا يعقل هذه العجائب ،  
 أما التناسل والماء كل فأمران عامان . فمن استعمل عقله في هاتين الشهوتين فقط فالبهائم خير منه  
 وهو أعمى » وههنا سبعة أمور : - (١) ميل الفطرة الانسانية للفرايب (٢) دليل الاولية في  
 الامور القريبة أقرب الى أذهان البسطاء (٣) آيات القرآن ناطقة بذلك (٤) ويجب أن يطبق العلم  
 على صفات التنزيه والتحميد عند كل مجيبة (٥) فذلك مع كونه علم توحيد هورقي للانسانية (٦)  
 مطالعة العلوم على هذا النمط ازدياد علم بالله (٧) بهذا يشبّ الطفل على حب الله

١٠٧ ﴿ التنبؤ الثانية ﴾ ما كتبه المؤلف في مجلة « نور الاسلام » لأنه رأى رؤيا وأن ملكا في النوم كان  
 يعلمه معنى « بدأ الاسلام غريبا » وأخذ يفهمه طول الليل أن الاسلام سيظهر وينتشر انتشارا غريبا  
 اليوم كأنشاره أولا . فأخذ المؤلف هذه المعاني وجعلها من عنده في مقالة تحت عنوان « مما أوجب  
 للمسلمين السقوط . جعل اقتراب الساعة سبب القنوط » . جاء في القرآن أن الساعة آتية لا ريب فيها  
 وانها قريبة وذلك لاحداث النشاط للعمل . فالفلسف كانوا مجتدين في العمل بهذا السبب ولكن نفس  
 هذا السبب اتخذه جهال المسلمين سببا للبطالة إذ يقولون : « قربت الساعة فلماذا نعمل » وهناك  
 جاء الكسل . ولكن قرب الساعة ليس يفهم كما يفهم الجاهل . ان أعمارنا قصيرة فالقرب عندنا عشرات  
 السنين . أما القرب بالنسبة لصانع العالم فهو مبني على النظام العام القديم الزمان . واذا نسبتا مائة ألف  
 سنة أو مليون سنة الى مئات الملايين كان ذلك قريبا . وهذا معنى - أنهم يرونه بعيدا وزراه قريبا -

١١١ الطوائف العائمة لأقسام السورة كلها وهي ست لطائف

١١٢ ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في البسمة ومناسبتها لما ذكر في السورة من الرمز الى طبقات الأرض وما فيها من  
 صور كشفها القوم . الآيات المفصلات في المادة الأرضية والسموية . للسمع جاءت اللغات . وللبصر خلقت  
 المشاهدات . والسورة بهدف بالآيات المسموعة ثم تلتها الآيات المبصرة والأرض وما عليها كلها في (٤)  
 أيام . والسموات في يومين . العوالم كلها ترجع الى سماء وأرض . وتفصيلهما يكون بعلمين : علم الفلك  
 وعلم طبقات الأرض . يقول الله : « أنارحيم رحمت الحشرة بالآلاف العيون ورحمتكم أنتم بعلم الجيولوجيا  
 والفلك لتقرموا الجبال »

١١٥ وسيكون في الجيولوجيا بابان : باب العلم . وباب العمل . أما العلم فبذكر معلومات عامة وأهم النظريات  
 الحديثة . والعصر الأول للأرض . وعصر الحياة القديمة . والحياة الوسطى . والحياة الحديثة . والعصر  
 الحجري القديم فالحديث وعصر البرنز . في ذكر معلومات عامة

١١٦ قطاع تخيلي يوضح أقسام الكرة الأرضية (شكل ١٣) الغلاف الجوي والغلاف المائي وأعماق  
 البحار المحيطات . ويبان أن سمك الغلاف من (٥٠٠) الى (٦٠٠) ميل . ويبان تركيب الهواء الخ

١١٧ الكلام على أهم النظريات الحديثة من حيث ان الأرض كانت سديما . آراء الاستاذ ( كانت ) سنة

- ١٧٥٥ « انه كان هناك سحب مركب من غاز » ومنها اشتق (لابلاس) مذهبه . ومعنى هذا أن حرارة الأرض الآن أقل من حرارته قديما ، وهذا الرأي باطل الآن
- ١١٨ منظر السديم المعروف في مجموعة نجوم الجبار (شكل ١٤) منظر للسديم الجزوي في مجموعة نجوم السلاقي بالمنظار الفلكي ، والأول يمثل كوكب الشمس دنانا والثاني يمثلها وقد امتد منها ذراع
- ١١٩ الفصل الثالث والرابع في العصر الأول للأرض . العصر الابتدائي والحياة القديمة . وفيه الكلام على أشكال الحيوانات البحرية القديمة
- ١٢٠ لوحة فيها (١٢) صورة لحيوانات قديمة في ذلك العصر ونباتات وأنواع من المحار
- ١٢١ عصور الحياة الوسطى ، وفيه وصف البحار وقد طفت على اليابسة . وكيف ظهرت حيوانات واقترضت أخرى . وذكر انه كان هناك بعض الحيوانات الرخوة المحارية (الامونيت) وكان من هذا الجنس وحده (٤٠٠٠) نوع مختلفات وقد كثرت فيه الشعب المرجانية . والكلام على عصور الحياة الحديثة
- ١٢٢ لوحة فيها (١٠) صور فيها أهم الحفريات في صخور حقب الحياة الوسطى بالقطر المصري
- ١٢٣ وهنا وصف التناهد البحرية والايستريا وأن الحشرات انتشرت انتشارا كثيرا الخ
- ١٢٤ لوحة فيها أهم الحفريات في صخور حقب الحياة الحديثة بالقطر المصري فيها عشر صور منها فاكهة متصجرة وسرطان بحري وسنن الحوت وورقة شجرة وغيرها
- ١٢٥ العصر الحجري القديم . وهنا اللوحة (٤) فيها (١٩) رسما تشتمل على (١) قطعة من الخشب المتحجر و(ب) منظر الغابة المتحجرة قرب القاهرة . وههنا ذكر الغابة المتحجرة القريبة من العباسية فيها أشجار تبلغ عشرين مترا
- ١٢٦ العصر الحجري القديم والحديث . وعصر البرز . وههنا ستة أشكال منها آلات من الصوان الحجري القديم بالقيوم وبمجموعة من الآلات من حجر الصوان تابعة للعصر الحجري الحديث
- ١٢٧ وهنا ذكر أنهم وجدوا رسوم أيدي السكاكين التي أخضعوا بها الحيوانات والوحش كالثور والحسان والحمار والكاب والقط . وقد عرفوا الزراعة والصناعة ثم هجروا الكهوف وسكنوا وسط البحيرات خوفا من الحيوانات
- ١٢٨ عصر البرز ومن الغريب الانتقال من آلات الصوان الى البرز والمصريون وحدهم انتقلوا الى عصر النحاس وهو هج !
- (نبذة من علم الجيولوجيا خاصة بالقطر المصري) اهتم قدماء المصريين بالمعادن وفي زمن الرومان ثم أيام المغفور له محمد علي باشا وفي هذه الأيام اتجهوا كرهة أخرى
- (زيت البترول) كان يتر عند سفح جبل الزيت على شاطئ الخليج وكشف عام ١٨٨٥ في جسا في مغارات قرب الشاطئ كانت معدة لاستخراج الكبريت
- ١٢٩ هنا أشكال : شكل ٢٣ منظر لجزء من حقول البترول بالفردقة (شكل ٢٤) يتر في أول الانتاج يتدفق البترول من الفوهة بقوة عظيمة من جسا (شكل ٢٥) أحد عروق المرواحاملة للذهب بمنجم سمناء بالصحراء الشرقية (شكل ٢٦) منظر عام لمنجم الفوسفات بسفاجه بالصحراء الشرقية (شكل ٢٧) منظر منطقة مناجم المنجنيز بشبه جزيرة سيناء . موازنة بين أنواع البترول بهذه الجهات
- ١٣٠ اللطيفة الثانية في آية - كتاب فصلت آياته - الخ وهو بحثان : مبحث لغوي ومبحث علمي سياسي والمبحث اللغوي جاء فيه قول ابن النقيب : « إن القرآن وإن كان كله بلغة العرب قد دخل فيه من



لغات الأمم ألقاظ لأنه سبب مرسل للجميع

١٣٢ وهننا جدول بالألقاظ تقرب من (١٥٠) لفظة من قبائل العرب المختلفة مثل : مسطورا أى مكتوبا بلفه حبر ، ومثل السفهاء أى الجهال عند كنانة ، ومثل كنود أى كفور للنعم عند هذيل ، ومثل : أنكر الأصوات أى أقبحها عند حبر ، ومثل : بجبار أى بمسلط عند جرهم ، ومثل لاشية أى لاوضع عند أزدشنوة . ومثل رفث أى جاع عند مذحج . ومثل مريج أى منتشر عند خثم . ومثل محلة فرضة عند قيس عيلان . ومثل حفدة (أختانا) عند سعد العشيرة . ومثل بخاجا أى طرقة عند كندة ومثل اخسوا أى اخزوا عند عنزة . ومثل ربيون أى رجال عند حضرموت . ومثل طفقا أى عمدا عند غسان . ومثل لاقلوا أى لا يزيدوا عند مزينة . ومثل أملاق عند لخم . والعقود عند بني حنيفة وحصرت أى ضاقت عند اليمامة . ومثل تملوا عند سبأ . ومثل نكص عند سليم . والصاعقة لعمان . وينقى عند طي . وأفيضوا عند خزاعة . وخبالا عند عمان . وأمه أى نسيان عند نيم . وطائره عمله عند أعمار . ولأحتكن عند الأشعرين . ولينه نخله عند الاوس وهكذا . هذا فى قبائل العرب . وهكذا لغات الأمم مثل : أباريق فارسية . ابلهى حبشية . وأسباط لغة بني يعقوب . واستبرق هجمية . وأسفار أى كتب (سريانية وقبطية) . امصرى أى عهدى (نبطية) . أليم أى موجع (زنجية) . وإنه فضجه (أهل المغرب) . وأواه موقن (حبشية) . الأزل أى الآخرة وبالعكس (قبطية) . بطائنها ظواهرها (قبطية) . كيل بعير (حار) عبرية . جهنم فارسية . حرم أى وجب (حبشية) والحواريون الفساون (نبطية) . وراعا بلغة اليهود وهكذا . وغساق : البارد المنان . وفردس (رومية) والقيوم سريانية . ويصهر ينضج بربرية

١٣٦ وهننا نظم لأربعة وعشرين لفظا أوله (السبيل وطه الخ)

١٣٧ (المبحث الثانى) وهو السياسى العلمى فى قوله تعالى - كتاب فصلت آياته - الخ وهذا المبحث فيه الكلام على العرب أيام جاهليتهم الأولى وجاهليتهم الثانية . فهم فى جاهليتهم الأولى أيام حوراني إذ كانوا بالعراق تغلبوا على السومريين حوالى سنة ٢٤٦٠ ق.م وكتبوا بالقلم السومرى وهو أشبه بالقلم الهيروغلىفى المصرى . وفى أول أمرهم لما تغلبوا على السومريين استعملوا لغتهم وقلمهم ثم أهملوا لغتهم وحفظوا قلمهم . وله صورة بديعة فى صحيفة ١٤١ (شكل ٢٨) وهذا الخط لازال يتغير حتى كانت سنة ٣٢٨ ب.م إذ أصبح بشكل ما كتب على قبر امصرى القيس بن عمر . وهو خط يضاير الأول (شكل ٣٠) فى صحيفة ١٤٣ ولاجزم أن هذا كان قبل البعثة بثلاثة قرون . ومن زمن البعثة الى الآن بقى الخط العربى بهيئته الأصلية ومعه التحسين والخط واللغة محفوظتان (انظر شكل ٣١ و٣٣) وهى رسم لسورة الفاتحة وقل هو الله أحد بلغة العربية والصينية وذلك فى صحيفة ١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ ومن يقارن ما حصل فى اللغة العربية من حفظها بجده مخالفا لما حصل فى اللغة اللاتينية التى كانت لغة الدين والعلم والسياسة . فان المولة الرومانية صاحبة تلك اللغة لما هجم عليها المتوحشون وهم آباء هؤلاء الاوروبيين ونبت منهم أمة الألمان وحكمت رومه وكانوا همجيين سنة ٤٧٦ ب.م واختل الأمن أخذت كل أمة تكتب بلغتها وأصبحت اللغة اللاتينية لغة تاريخية لاغير وحلت محلها الألمانية فى ألمانيا والانجليزية فى انكلترا وهكذا . وهذا بخلاف اللغة العربية فانها لم تحل محلها لغة أخرى . فقد أعدمت لغة القبط بمصر والروم بالشام والنبطية أو الكلدانية بالعراق وحلت محلها الى الآن ولما نشأت منها لغات أخرى وهى لغات العامة بمصر والمغرب والشام بقيت هذه الأمم تحافظ على العربية

الأصلية . وكلما تباعدت عنها أخذ القرآن يقرّبهم منها . إذن هذه الآية ظهر سرّها الآن إذ رأينا اللغة اللاتينية التي كانت سائدة في أوروبا دينا وسياسة بطلت والعربية بقيت . هذه هي المهجزة القرآنية المذكورة في هذه السورة - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - مع قوله - سترهم آياتنا في الآفاق - الخ وهذا من مدهشات القرآن

١٤٧ ههنا جوهرتان : الأولى في مقالة للكاتب الأميركي إذ يقول : « إن جميع المسائل يكتب الناس فيها أياما وشهورا ويكتون ، ولكن معرفة الله وخلود النفس لا تنفق الكتابة فيهما في الماضي والحال والاستقبال ، وضرب مثلا للعلماء بالقطط العمياء التي وضعت في صندوق والرجل يرفعه ويفذي القطط بالبن ولكن إحداها قتلها الكلب لأنها خرجت من الصندوق ، فقالت قطّة منهنّ : أين الرجل ؟ لو كان موجودا ، لارجل هنا ولاحتو ولاشفقة ، فهذه تشبه (أنجرسول) الجاحد الأميركي ، وقالت أخرى إن الصندوق يجري على نواويس طبيعية . أما الرجل فلا وما هذا اللبن إلا أمر نظمي طبيعي لا غير . أما الرجل فلا وهذه القطّة تشبه ( اسحق نيوتن ) ولكنه هو مؤمن ولكن القطط بعد ذلك أبصرت فرأت الرجل فاعتذرت له قبل عنرها

١٤٩ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في آية - وجعل فيها رواسي - وان من الرواسي وهي الجبال جبل الفضة بأمريكا الجنوبية الذي عثر عليه رجل أمريكي أصلي تابع للقبطان (جون) فاستولى عليه باسم ملكة سنة ١٥٤٥ وبقى معهم ٢٨٠ سنة ، وهذا الجبل بمملكة بوليفيا وقد خرجت من يد الاسبان سنة ١٨٢٥ وقد كسبوا منه ١٦ ألف مليون ريال أي ٥١٢٠ مليون جنيه ، فيكون الكسب منه كل سنة ١٨ مليون جنيه وثلاث ، والفضة اليوم قلت قيمتها ، وفي الجبل قصدير ، ولا يصدر منه إلا قليل الآن

١٥٠ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - حتى اذا ماجاوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم - الخ ، وذكر آيات أخرى مع هذه مثل آية - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم - هنا علم عجيب ، ذلك انه لما ذكرت الأيدي والأرجل وحدها في الشهادة ، ولماذا شهدت مع اللسان نارة ونارة وحدها والتم محتوم عليه ، وجواب ذلك أن اللسان يشهد معها اذا كان الانسان أشبه باللحم تنويما مغناطيسيا لاجربة له ، فأما اذا كان مستكملا فواء فانه يكذب فاذا كذب شهدت هي وحدها ، واختصاص هذين العضوين بالشهادة لسرّ قد ظهر في عصرنا ، فان الناس سنة ١٨٩٠ وهي التي دخلت فيها دارالعلوم استندوا في علم المباحث الجنائية الى هذين العضوين لأنهم وجدوا هذه الخطوط لا تتغير أمد الحياة من المهد الى اللحد ، فهي ترسم في الجنين وتبقى الى ما بعد الموت بخلاف بقية ظواهر الجسم فهي كلها متغيرات تغيرا تاما . وهذا هو الذي عليه الاعتماد اليوم في تحقيق الجنائيات . وهذا الذي يجب أن يعمل به قضاة الشرع الاسلامي . فاذا تعارض قول الشاهد مع هذه الآثار التي تركتها الأيدي والأرجل على نيب القاتل أو على السيف أو نحو ذلك . فهذه يقينية وشهادة الشهود ظنية بالاجماع . واليقين مقدم على الظن . واذا قبل الله شهادتها وهو ليس في حاجة اليها فالقضاة أولى بقبولها مع حاجتهم اليها . وهذا السرّ ظهر الآن في هذا التفسير وأنا أعلنه للمسلمين بعدنا . وههنا (٩) أشكال للأيدي والأرجل من نمرة (٣٤) الى (٤٢) وهي مرسومة في الصفحات من ١٥٤ الى ١٦٠ وهي تبين بوضوح أشكال الأيدي والأرجل . وتبين أن خطوط الأصابع أربعة أنواع رئيسية فهي إما منحنيات واما منحدرات الى اليسار . ولما منحدرات الى اليمين واما مستديرات . ثم الاقدام إما أن تكون لرجل

صاحبها سائر . واما أن تكون لرجل صاحبها واقف . ولكل واحد من هذه الأحوال شكل من الأشكال المتقدمة ، ومن الأرجل ما هي مقوسة ، ومنها ما هي منبسطة . هذا هو الاجال

١٦٠ ( اللطيفة الرابعة ) في آراء حكماء الأمم وعلماء الاسلام في الأخلاق تفسيرا لقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ وذلك ان المؤلف بينا هوجالس إذ أخذته غشية فأحسن ككأنه في عالم آخر وقد رأى فرشاً مرفوعة وأكواباً موضوعة ، وهناك فتاة رائعة الجمال . فلما رأها خوس صريها لهنته من الجمال ، ولما اشتاق وأشفق أن يكون ذلك حراما عليه لأنه هام بالجمال الحسى . قالت له هذا ليس حراما عليك ، انك في الحال الروحية ، وأفهمته أنها هي البصيرة ، فهي رمز لبصائر الناس جميعا في الأرض ، فاستغاث بها أن لاتفارقه ، وأخذ يقول لها : أنا مفرم بك ، إن كل حياتي فسكر والتسكر منك وفيك . فقالت له . كلا . ولكن انظرالى مزارعى في عقول علماء الأمم . فهناك امتثل أمرها . وأخذ يقرأ عليها آراء كونفشيوش الصينى قبل ٢٥٠٠ سنة ، ويتبع مذهبه ٥٠٠ مليون نفس ، وهذا المذهب ملخصه أن يحب الانسان جميع الناس شرقا وغربا ، وأن الطبيعة موزونة ، وأن الانسان له بانه صلة ، والله يرعاه ويرعى كل مخلص في الأرض ، ويقول هو : « إن تقته باقه لاحد لها وهو يساعده ، وهو الذى عين له الوظيفة التى يقوم بها الآن ، والطبيعة التى خلقها الله لاسر فيها ، والانسان له بجميع الناس علاقة ، والحب هو نهاية المقاصد فى الدنيا فيحب جميع الناس كما يحب العلم ويحب ربه . وفى كل انسان مبدأ للخير . ومبدأ للعطف على الناس . ومبدأ لما يثير الخجل من عمل الشر . ومبدأ يميزه الخير من الشر . والحق من الباطل . والناس يولدون أطهارا . والترف والنعيم وكثرة الطعام والدمس والدف تجعلهم بهائم . على هذه الأخلاق درج الصينيون . هذا ملخص آراء كونفشيوش

١٦٥ وهاك آراء أفلاطون فى قربة منها . يقول : « إن الشهوات والأهواء تتنازعنا فعلىنا أن نسمع صوت العقل واكرام النفس فى شىء واحد وهو الفضيلة . إن الفضيلة تمنع الروح . ان الفاضل وان تفر فى أول أمره فانه يسعد سعادة حقيقية داخلية فى أول أمره . وداخلية وخارجية فى آخر أيامه إذ يسمع الثناء الحسن والاحترام من الناس جميعا . إن الفضيلة فوق المال والمتاع وكل ماقتنيه ونحجب به »

١٦٦ ومثال ذلك سقراط قام بما عليه فى ميادين القتال وامثل أمر رؤسائه . وهكذا لما صار يعلم أبناء أيتنا العلم ووقف موقف الموت اختار الموت ولم يترك العلم والعدل ولم يرض بالهروب من السجن لأنه يعتقد أن ذلك شر والذى يقابل الشر بالشر لئيم . وعلق الاستاذ (بارتلمى ساتهلبير) على هذا بما يفيد أن المصائب ما هي إلا عقوبات والعقوبات يجب قبولها بالسرور ولايجوز الهرب منها

١٦٨ ونقل عن سقراط ما يأتى : « إن محبة الأشرار ليست محبة . ومحبة الأخيار هي المحبة . إن الأشرار يخون بعضهم بعضا . فأين المحبة إذن ؟ وما دام الانسان يرى انه يمتاز عن صديقه بمال أو بكرامة أو غيرها فلا صداقة بل هناك أحوال متغيرات واضطراب . ثم ان عمل الشر مع الأشرار يزيدهم شرًا فيجب أن لايفعل الشر معهم »

١٦٩ وقال أيضا : « أصحاب النفوس الشريرة لايجوز انفاضل أن يقابل شرهم بالشر لأنهم مرضى . وهذه المقابلة تزيدهم شرًا . وأكثرهم يرجع بالبين . والنادر ليس كذلك . فيجب كظم الغيظ والعفو ، وقد ضرب سقراط نفسه مثلا لذلك . فانه لما علم من الكهانة انه أعلم الناس شمر عن ساعد الجذ وقام بنشر

العلم امتثالا لأمر الله وقدم نفسه للقتل ولم يهرب من السجن مع تمكنه حفظا للفضيلة . إن في القلب صوتا من الله يأمرنا بالأعمال الفاضلة مع الجليح ، فكيف نفرّ من هذا الصوت والله هورب الجليح ، الله صنع الانسان وهو معان به براعى من يلبي هذا الصوت ، ولا سعادة لاصري إلا بذلك . فأما من أسلم قلبه للشهوات فان الله يتركه لنفسه . ليقنع كل امرئ بأن الله يحرسه دائما فهو إذن لا يخاف شيئا في عالما ، لا خوف على الانسان الخبير في الدنيا ولا في الآخرة ، وإذا مسه الشرّ فانه يرى لطفها فيه متعاقبا

١٧٠ ليقطع للره عمره بهذه الآراء . وقال عن (سقراط) انه قرّر مائة أنه أنكساغورس : « إن العالم صدر عن عقل ، فالعقل أصل كل شيء » . وعليه رأى سقراط أن نبعت عقولنا حتى نعرف طباعها . وههنا ذكرت الروح التي تحدث مؤلف هذا الكتاب أن الله يساعده دائما في هذا التفسير ، وأخذت تسمع منه ما يقوله الشيخ النعراي في العفو عن الشرير وعن الهوى يسى في قطع الرزق عنه . وذكر ما حصل بين خطيبين لأجل دنائير أهداها السلطان سليم لأحدهما . وذكر أيضا أدبه في الأكل وانه فيه يحضر قلبه مع الله تعالى . وأطنب في العفو عن المذنبين

١٧٣ ههنا ذكر المؤلف آراء أهل أوروبا في الأخلاق وعصم بالذكر (الاستاذ بارنلمي) الهوى قرّر أن ههنا أمرين في داخل نفوسنا : أمر فوق مستوانا . وأمر هو عملنا ، أما الأوّل فهو أن الصوت الهوى نحسّ به في كل وقت يؤنّبنا نارة ويمدحنا أخرى ، وههنا ليس منا بل هو من الله بدليل انه يورثنا الندم ويعاقب نارة ويفرحنا ويمدحنا أخرى . إذن هو أعلى منا . أما الأمر الثاني فهوى الارادة . إن لنا في داخلنا اختيارا ، فلنا أن نطيع ذلك الصوت ، ولنا أن نصيه ، فهو معلم ولكن الارادة منفذة فهوى نصي ويطيع كما نشاء هي لا كما يشاء ذلك الصوت الداخلي ، وليس في العوالم حولنا هذه الحرّية ، بل كل العوالم تسير بقوانين أو بواضت لانفرقها . نفاصية الانسان إذن هي الارادة التي هي المتمتعة بالحرّية . إذن الضمير والارادة هما أصل علم الأخلاق ، وقبول الارادة ذلك القانون يشرف الانسان ويرفعه في أعين الناس والله أيضا يرعاه ، وليس في العوالم المشاهدة أشرف من ضائرنا وهي مؤدبة لنا تأديبا شريفا تهجز عنه قوانيننا . وبهكذا يعرف الانسان انه مسؤول أمام خالقه ، وعلم الأخلاق يقرّر عدلا إلهيا بعد الموت وخلودا للروح لتنال جزاءها الهوى لم يتم في الدنيا خيرا أو شرا

١٧٦ سعادة النفس والسرور الوجداني بالفضيلة أحبّ الى نفوسنا مما دون ذلك من المتاع والمال والبنين أولا ، ومن اللذات ثانيا ، ومن السعادة ثالثا ، بل الانسان قد يختار أن يفد هذه كلها ليحيا حياة السعادة النفسية ، وماهذه المذكورات إلا أمور ثانوية

١٧٧ آراء الحكماء بعد أرسطاطليس . آراء أتباع أرسطاطليس بعده . وهم أولا قادوفرستس والستراتون ومن نحما نحوهما ، فانهم لما وجدوا أدلته واهية في اسناد العلم الى الصورة القائمة بالمادة وانها سبب في حضور الكليات في أذهان الناس تركوا التكلم على الإلهيات . وثانيا الايقوربون . وأوّلهم ابيقورس القائلون باللذة (أى في الفلسفة خلافا لما هو مشهور) . وثالثا الرواقيون ورئيسهم زينون توفى سنة ٢٦٤ ق م القائلون : الله والعالم جوهر واحد (وهذا كفر في ديننا) والاهليات والطبيعات علم واحد والمدار عندهم على الأخلاق ليحلّ النور الإلهي في جسد كامل بالأخلاق

١٧٨ مم (نيقوماخس) صاحب علم الأعداد سنة ١٤٠ ب . م وههنا ثلاثة فروع : فرع أثيني ، وآخر شامى ، وثالث اسكندري . وأشهر الاسكندريين بعد الميلاد أفلوطين . وأشهر الشاميين بيليوخوس . وأشهر الفرع الأثيني سرياقوس . وبههنا انتهت الفلسفة القديمة اليونانية وفروعها

ثم جاء الاسلام وفتحوا الفرس والروم والهند وقرأوا علوم الأمم وترجموها وكان المترجمون رجال علم بخلاف فلاسفة أوروبا في القرون الوسطى فهم كانوا قسيسين ، فبحث فلاسفة الاسلام في أكثر العلوم بخلاف الآخرين ، ان ما ابتكره العرب قليل بالنسبة لما ترجموه ولكن لهم الفضل فلولاهم لم ترق أوروبا على هذا المحط

١٧٩ المسلمون درسوا الفلسفة الأفلاطونية الحديثة أولاً ، ولما عثروا على آراء أفلاطون وأرسطو كانت الأولى قد تمكنت فيهم وفيها مزج العلم بالدين ، وأول الفلاسفة يعقوب الكندي والقارابي القتي اتبع الأفلاطونية الحديثة ، ويظن انها تعاليم أرسطو ، وقد قرأ كتاب النفس (١٠٠) مرة ، والفلسفة اليونانية متناقضة ومناقض بعضها للدين ، فيها خلط وتهوؤيش

١٨٠ والرواقيون أفرموا بالكشف ومعرفة ما وراء الحس ، والصوفية في الاسلام مشتقون من هؤلاء ، وكتاب القارابي المسمى « آراء أهل المدينة الفاضلة » له مزج بين آراء الشيعة وبين آراء جمهورية أفلاطون واخوان الصفاء ظهر في القرن الرابع بالشرق ، وانتقل الى بلاد المغرب ، وهو دائرة معارف والواضع لها جعية سرية كانت بالبصرة عند القفطي من مؤلفيها حجة ، وقصدتهم أن يتقوا الفلسفة من الخلط والصعوبة ، وأن يهذبوا الدين ويصلحوه بها . ومن الفلاسفة أبو علي بن سينا في القرن الرابع الهجري على رأي أرسطو طاليس وكتابه « القانون » عمدة في الطب وأن علماء الاسلام ردوا على الفلسفة ، ولكن الامام الغزالي هو الذي صد الناس عنها بقوة بيانه ورجعهم الى التصوف

١٨١ ولما انتقلت الفلسفة الى الأندلس وساعد في رواجها الحكم الثاني الأموي في القرن الرابع وتبع ابن باجه وابن طفيل مؤلف (سحر بن يقظان) الذي ترجم الى اللاتينية وظهر سنة ١٦٧١ سنة ١٧٠٠ وبعد عشرين سنة من ظهوره ظهر رواية (روبنسون كروزو) ثم ان ابن رشد أشهر فلاسفة العرب تبع أرسطو ورد على الغزالي ، ومن كتبه فصل المقال المشهور ، وأكثر مؤلفاته بغير العربية ، ولكن الموجود ترجمتها مع شرح أقوال أرسطو مع الرد على الغزالي في ١١ مجلداً وكتابه في الطب لاتيني ، وله كتب بالعبرية ، وطارت شهرته بالمدارس والكنائس الى ابتداء القرن السابع الهجري أي الثالث عشر المسيحي . ولما انتهى القرن السادس عشر وقف المسلمون فلابحث لهم . وبقى المسلمون في الألفاظ تقديمها وتأخيرها وذكرا وحذفاً ولكن نبيغ ابن خلدون في مقدمته في علم العمران وطلب أن يجه من بعده . فأجاب طلبه (أوجست كومت) أما المسلمون فلا . ولم يظهر بعد ابن خلدون نابغة اسلامي ولكن بقي الشرق نائماً حتى أيقظته الحوادث اليوم . فها هو ذا قائم ينفض غبار الكسل

١٨٢ فلما سمعت هذا المقال . قالت : لقد أحسنت . وأخذت تذكر المؤلف بقولها : لانس انك في تفسير آية من القرآن - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - الخ وأن تاريخ الفلسفة تمهيداً لتحقيق في ذلك التفسير . فلا بد من تحقيق آراء الفلاسفة في معرفة الله وفي علم الأخلاق . وهنا أجب المؤلف تلك الروح قائلاً : سأبحث هذا الموضوع في ثلاثة فصول

١٨٣ وشرع في الفصل الأول في الحكمة العلمية والعملية مبيناً أن المذاهب ثلاثة في الانسان : أهو الروح ؟ أم الجسم ؟ أم هما . ناقلاً ما كتبه في كتابه ( جوهر القوى ) في ذلك

١٨٤ ذكراً أن الروح والجسم متحدان فيشبهان على الناس كلزجاج والتمر . وهذا هو السبب في الخلاف إذ يقول بعضهم : « الانسان هو الروح والجسم لاشيء » وعكس آخرون الخ وعلم الطب ينظر لعلم الصحة فظراً تاماً . إذن الطيب يهجم الجسم . فهو إذن يقول بالروح والجسم . ذلك لأن آثار النفس

تعطى الجسم صحة وسقما كما يفعل الجسم في الروح اقتباسا وانبساطا  
 ١٨٥ وههنا بقية المقال كمنصحة الانسان أن يعتدل في مأكله ومشربه وهكذا ، ثم ذكر المؤلف ما كان  
 بمصر من العبادة المصرية التي كتب على قبرها «أنا كل شيء» وهكذا صورة أرسطو وأفلاطون  
 واختلاف اشارتهما الى السماء والأرض ، كل ذلك له آثار في علم الأخلاق ، فإذا أيقن الانسان بقول  
 أفلاطون وبرهانه على أن الله بالنسبة لعقولنا نظير الشمس بالنسبة لعيوننا فإنه يكون سعيدا بهذا الايقان  
 وأن الصورة التي رسمها رواقيل الدالة على سقراط وأفلاطون هي نبراس أول العلم وآخره لأن الأمر  
 دائر بين الروح والجسم .

١٨٨ من القائلين بالمادة (كارل نغت) وبخفر وديمقراطيس . وههنا ذكر أبيقور ونوماس ثم (لامتريه)  
 وكاياني وغيرهما . وبالجملة في هذا المقام سر العلماء القائلين بالروح والقائلين بالجسم من أيام اليونان  
 الى الآن إجمالا مثل أنكساغورس وأرسطو والرواقيين وأصحاب الجوهر الفرد والمؤلفين والعقليين  
 وأصحاب الحلول . أما سينوزا فقد أعلن أن هذا العالم جوهر واحد وهو الله وهو إعلان مدهش والعالم  
 فرع منه

١٨٩ وههنا تألم المؤلف من سرد هذه المذاهب ، واعترض على الروح وقال لها : كيف أمرتني بسر المذاهب  
 الفلسفية وهي مملوءة بما هو مهووس صربك للفكر مع ان قلبي فيه صهيقتان أجل من ذلك وهما صحيفة  
 جمال السموات وجمال الأرضين . إن قراءة تاريخ الفلسفة صار فوافقت على ذلك ، وإنما فعها  
 يكون لأناس قليل عددهم وقالت انك لا بد من اطلاعك عليه لتبين الحقيقة للناس ، وهل القاضى  
 يحكم بغير معرفة أقوال الخصمين ، وفي أثناء ذلك يقول المؤلف انه برؤيته وجهها افشرح صدره بعد  
 اقتباضه بقراءة هذه الآراء ، وأجابته قائلة : أنا أعلم من اطلاعى على قلبك انك ستحل المشكلة للعالم  
 كله فقل وأنا معك . وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في آية - إن الذين قالوا ربنا الله -

١٩٠ فأخذ يتحدث عن المقام الأول في مذهب الفريزة الخلقية ومذهب التجربة ، وبكل قال علماء ، فبالأول  
 قال (كارليل) وبالثاني قال (كارنوبى) وغيره ، والمقام الثاني في الغاية من سلوكنا وفيما يسوقنا الى  
 ذلك السلوك ، فهل الانسان خلق لمنفعة هوأم لمنفعة العموم ؟ بكل قال قوم ، وخبرهم من يقول  
 بالتضحية مثل الاستاذ (مل) ، والذى يسوقنا لحسن السلوك إما القانون الأخلاقى في أعماق نفوسنا  
 واما العواطف ، واما الخوف من الله ، أو ذم الناس ، بكل قال قوم . والمؤلف يقول : « إن الناس  
 درجات فلكل وازع يناسبه »

١٩١ (الفصل الثانى) في القبس المذكور في سورة طه وايضاح أن الحجر والشجر والزرع كلها مملوءة  
 بالنار . فالجبر فيه (٤٨) جزءا من مائة جزء كلها اكسوجين . ويمنع اتقاده بالنار وجوده . والحديد  
 يحصل فيه التأكسد أى الصدا وهو نوع من الاحتراق بطى . وأما الخشب والنعيم والورق والزيت والدهن  
 فبها كربون وأودروجين . ومتى قربت النار منهما أخذتا يفران فيقبض عليهما الاكسوجين . فههنا  
 زواج وارتباط . والحاررة أشبه بالقرح القلبي . واللهب أشبه بالزينة التي تقام في العرس

١٩٢ إن ازدواج التضايا العلمية ، وآراء علماء الشرق والغرب أشبه بازدواج الكربون والادروجين مع  
 الاكسوجين ، والمسلمون بعد قراءة هذا التفسير سيقررون غلوم أم الشرق والغرب ويصطفون منها  
 ما هو حسن وتكون النتائج مستعملات في المنافع المادية في مقابلة القبس عند موسى لأهله ، وفي  
 المنافع العلمية في مقابلة قول موسى - أو أجد على النار هدى - . إذن منافع القبس العلمى متوجهة

للماديات وللعنويات كقبس موسى عليه السلام حذو القذة بالقذة

١٩٣ (الفصل الثالث) في جلاء الحقائق العلمية والعملية ، وامتحان آراء علماء الأمم الخلقية : أخذ المؤلف يفكر في آراء الأمم أمة أمة ، وكيف يقول قوم بوجود الروح وحدها ، وآخرون بالمادة وحدها ، وكانت تلك الروح الجميلة البهجة تنبسم وهي صامته ، فنظر المؤلف الى جلال وجهها ، فرآه ازداد جلالا وبهجة وحسنا ، فأغشى عليه ، فأخذت هي تلاففه وتمرّ بدها عليه حتى استيقظ ، وأخذ يتغزل بكلام ابن الفارض : \* ما بين معترك الأحداق والمهج \* الخ وأخذ يسألها : أنا الآن في حال البرزخ وقد مت ؟ فقالت كلا بل هو صفاء نفس ، فسألها : هل هذه الحال لها وجود مع انها خيال ؟ فقالت : هي أصل الوجود مستدلة بدليلين : أحدهما اننا نرى الصور القديمة في عقولنا لا تتغير بخلافها في المادة ، ثانيهما ان كل عمل نعمله في الخارج أصله من الآراء التي تجول بأذهاننا ، بل المادة لا وجود لها لأنها نتيجة حركات الأثير الواقعة على حواسنا . إذن هي موجودة في مرتبة الحواس لا غير فهي وجود عدم ، وههنا أخذ المؤلف يتغزل فيها ككرة أخرى لبهجة جلالها والأنس بها وأن صورتها أجل صورة رآها لأن المعشوق في الأرض إما حسن الظاهر خاوي الباطن ، وإما بالعكس ، وهذه جلالها ظاهر باطن معا ، وأرادت أن تنصرف ، فاستغاث بها ، فقبلت البقاء معه ليتمتع بسماها لكلامه ، فأمرته إذن أن يحقق الأدلة للناس في مقام العلم والعمل في علم الأخلاق فأرجعها معا الى الانسان ، فالتظر الى حواسه الخمس والى عقله يفهمنا أن هناك عالما روحيا ، كما ان نظرنا الى عواطف الأطفال من حيث انهم يرون جميع من حولهم مسخرين لهم ، وفي عواطف الحكماء والقواد الذين يرون انهم مسخرون للعطف على سائر الناس ويقذفون بمهجمهم في منافع أهمهم ، فهذا النظر يبررنا لماذا خلقنا ويوقننا على حقائق الأعمال الخلقية ، وهاتان النظريتان اللتان ظهرتا للمؤلف في حضرة تلك المشوقة هما معيار علم الأخلاق الذي ابتكره المؤلف ، وكل نظرية ، أو رأي مؤلف قديم أو حديث تندرج فيهما ٢٠٠ فاذا سمعنا أن أفلاطون وسقراط ثم أرسطو ثم الاستاذ كانت ، قد أتوا بأدلة في إثبات الله ، فدليل الحواس الانسانية والعقل أقرب الى اليقين لأن كل حاسة من لمس أو ذوق أو عين لها محسوسات ترتقي بارتقاء الحاسة والعقل الذي هو اللطيفها تكون مدركاته لها اتصال به وهي تناسبه . إذن عقولنا متصلات بعقول كبيرة . إذن نحن سعداء الآن حتما ، فلا اعتراض على هذا كما اعتراض أرسطو على (المثل) التي قالها أستاذه أفلاطون . واذا وجدنا علماء أوروبا وغيرهم يختلفون : هل نحن مخلوقون لنفوسنا أم مخلوقون للمعوم ؟ فما تقول لهم لاخلاف . فمن كان كالأطفال فهو لنفسه . ومن كان كالحكماء فهو لغيره . والأمير ظاهر واضح . بهذين البرهانين خرجت الانسانية من مأزقها في العلم والعمل الخلقين وهذه نهايات علوم العلماء (٢٥) قرنا . وهذا هو الامتحان الذي قدمه المؤلف لأمة الشرق والغرب ٢٠٢ (نواضر الجواهر ، لنفائس العرائس) هذا مقال موضح لما قبله ، يشرح صدور القراء ويهيج نفوسهم يقول المؤلف فيه ان براهينه قد وصلت الى تمام الحكمة في هذا المقام بعد دراسة الحكمة السابقة في (٢٥) قرنا . ويقول ان برهانه لا يحصل فيه خلاف كلفني حصل لبرهان أفلاطون ولأرسطو إذ قامت بعد ذلك فرق وهي الأبيقورية والرواقية وفرقة الاسكندرية والأثينية والشامية قبل الاسلام ، وفرق الصوفية بعد الاسلام ، وههنا استعرض برهان الاستاذ كانت وبرهان أفلاطون ، وأفاد أن برهان « تفسير الجواهر » أثبت ، فان الانسان اذا علم أن عقله متصل بعقول أكبر منه كاتصال العين بنور واسع المدى فانه يوقن إيقانا تاما بعالم الأرواح . واذا وجدنا أن الأرض قد عجرت عجرا تاما عن

٢٠٤ إمداد أبنائها بالضوء والحرارة للحياة وللهداية ، واستعارت لهما ذلك كله من الشمس فهي إذن عن امدادهن بالقول والعواطف والفرائز أشد مجزا . وهذا برهان آخر واضح . فلاحاجة إذن الى برهان الاستاذ ( كانت ) الألماني ولاأفلاطون اليوناني لأن هذا البرهان أيضا يقيني . هذا في الحكمة العلمية أما الحكمة العملية فأمرها ظاهر في الموازنة بين طفل وحكيم في عواطفهما . إذن سقط خلاف علماء الأمم الأوروبية

٢٠٥ ثناء المؤلف على ربه لأنه ألهه الحكمة وعلمه هذه البراهين وأن هذه البراهين التي علمها الله للمؤلف جعلته ينظر الى الجمال في الصور السماوية والأرضية ، وإلى الشهوات التي في النفوس ، وإلى العقول الانسانية ، وإلى الماء والهواء والحرارة التي تثيرهما فيحمل الهواء الماء ، وإلى الضوء ، وأن الله لما علم ضعف عقولنا عن فهم المنبع الذي وردت منه هذه الصور الجلية وهذه العواطف والقوى والعقول أي المادة نفسها أم شيء آخر أظهر لنا الحرارة والضوء من الشمس وقال لهما : يا أيها الحرارة ويا أيها الضوء : لتقم الأولى بإثارة البخار من البحار وبإثارة الرياح فيكون سحب ، وليساعد الضوء في التغذية وفي هداية الحيوان لطرق معاشه ، وأتيا لستا من الأرض بل من عالم آخر غيرها . ليقول نوع الانسان اذا مجزت أرضنا عن الضوء والحرارة وهما حسيان فهي أمجز ألف مرة عن إحداث صور الجمال وخلق العقول والعواطف والقوى الشهوية والنفسية والفرائز الحيوانية ، ههنا يفهم المسلمون مامعنى قوله ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى » عند الاحتضار

٢٠٧ زهرتان في بستان الحكمة العلمية والعملية . الزهرة الأولى : رأى الاستاذ ( سرجس ) في أن الناس فكروا في المادة لأنهم متأثرون بها ، والحقيقة أن المادة وليدة العقل ، والعلماء اليوم عندهم شبه إجماع على هذا ، فالقول بالمادة قديم ، والقول بالعقل قول حديث

الزهرة الثانية فيما جاء باخوان الصفاء ، وذلك أن رجلا من المترفين المنعمين أصحاب القصور والخور والولدان والتياتب الفاخرة والمجالس والشراب بمن يقدّمهم المترفون ويتزيا بزيمهم الغافلون رأى رؤيا أفزعته وتكررت هذه الرؤيا ، إذ رأى انه في أرض مقفرة وهو مشوّه الوجه عار كئيب جانح شعره طويل وجسده ملوث بالقاذورات ، ووراءه أسودان منكران يخرج السنان من شدقيهما وبأيديهما حراب وهما يطاردانه فهرب منهما ، فعارضه في طريقه جبل شاهق ، فطلع عليه ، وسلّكه بمشقة ، ثم هوى منكسا في حفرة عميقة فيها دخان معتكر ولهب ينسوي الوجوه ، فصرخ صرخة أفزعته أهل القصر ، فحضر العلماء والمنجمون والأطباء ، وكلّ قال ماخطر له ، فلم تنجع العزائم ولا البخور ولا الأشربة ولا الأدوية ، فان الرؤيا رجعت بعينها ككرة أخرى بأشد من الأولى وهكذا مرة بعد مرة ثم انه أخيرا عبرها له عالم فقال : ان ذلك كله انما هو إشارة الى سوء أعماله وسلوكه وحرمه على الدنيا وزهده في الآخرة ، وأن كل وصف من أوصاف المتام راجع الى وصف من أوصاف حاله يوم القيامة وبعد الموت من الهوان والعقاب والحساب والعرض والنيل والهوان . ثم وصف له البراء وهو التصديق بفضول ماله والصوم نهارا والصلاة والتهجد ليلا ، ففعل ذلك وصار قدوة في الدين بعدما كان قدوة في الشهوات ، وصارت الحكم تلقى على لسانه من غير تكلف وهناك ملك موكل به يلهمه هذه الحكم حتى ان ذلك العالم الذي وصف له ذلك صار يتلقى العلم عنه ، وهذا هو معنى قوله تعالى - تنزل عليهم الملائكة - الخ

٢١٠ وههنا ست حكم علمته في الموازنة بين الأم مع ولدها والحكيم مع أمته والأم كلها . وبيان أن سعادة



الحكماء حقة وهناك سعادة مزينة للإمراء والملوك الذين لم ترتق عقولهم فان الحكمة الإلهية علمتهم معاملة الطفل مع أبيه ، فانه يضحك عليه بالصور الملوقة التي لا قيمة لها ، هكذا الله يفضل ذلك مع صغار العقول من بني آدم في الأمم الجاهلة ، فيطلى هذا الأمير مالا كثيرا ، وقصورا ونساء ، ويضع له باب الشهوات ، ويجعل هذا مغريا له حتى أن يحفظ البلاد ، فلانا المسكين أن ذلك هو المكافأة ، وما يرى أنه هو نفسه تضعف قواه الصحية والتناسلية بكثرة مزاولتها ، وبعد ذلك يرى نفسه خاليا من تلك العظمة اللفظية ومن تلك اللذة الجسمية

٢١٢ ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ في آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ وفيها بيان الكلام على وحدة الحيوانات والنباتات ، وأن الفصل بين هذين الجنسين عسر فالحركة والتغذية والتناسل والنمو وغيرها مشتركة ، فأين الفاصل إذن بينهما ؟ ففي النبات نبات مفترس ، والافتراس معه حركة ، والنباتات المستحبة تتحرك ، وبذرة بعض النباتات الطحلية ، وبذرة صف الموس لها شعرة تتحرك بها ، وهكذا بعض النباتات ذات الخلية الواحدة تعوم بشعر كثير أو بشعرة واحدة ، بل الأمر فوق ذلك كله ٢١٤ إن الحركة لازمة للحياة على الإطلاق ، إن خلية النبات ، وخلية الحيوانات مركبتان من مواد مختلفة ، ولكل خلية نواة ، وللخلية غلاف خارجي زلالي في الحيوان جامد في النبات من المادة التي يكون منها القطن وورق الكتابة . والفرق بين خلايا الحيوان وخلايا النبات أن الأولى غلافها مرنة فحركتها الدائمة فيها تنتقل الى جاراتها فيتحرك الحيوان ، وغلاف الثانية جامد فلاننتقل الحركة من الخلية الى جارتها ، إذن الحركة دائمة عامة ، والفرق إنما هو الانتقال وعدمه فيهما ، على أن هذا الفارق بين النبات والحيوان ليس علما ، فمن الحيوان ما يتحرك الحركة ، ومن النبات ما يتحرك كما تقدم . فان بعض النباتات الفطرية تكون خلاياها شائعة بلافاصل بينها كخلايا الحيوان . ثم ان التغذية في الحيوان معلوم . ويستعين النبات بالمادة الخضراء (الكوروفيل) على التغذية إذ يتحد بضوء الشمس لاستخلاص الكربون من الجو فيمزجه بالماء فيكون السكر والنشاء والسيليلوز ومادة الخشب ثم يكون أحيانا عضوية تكون منها المواد الدهنية . ثم النبات يأخذ الماء من الأرض وكذا المعادن التي فيها أوزوت وتمزج كلها بالمواد السكرية والنشوية والأحماض العضوية فتكون المواد الزلاية التي هي أهم غذاء للحيوان . ثم إن التغذية ليس قاصرا على ملكتي النبات والحيوان فبقعة الصدا على سطح المعدن تتغذى من بخار الماء ومن المعدن وغيرها . والبلورات الغموسة في ماء مشبع من محلول موادها تتغذى من المادة الذائبة في الماء فتكبر . والآلات الميكانيكية المتحركة تتغذى بالفحم ونحوه وهكذا الحركة لا تختص بهاتين الملكتين فان الكواكب والزواج والأمواج وجيع الجزئيات والجوهر الفرد كلها متحركات . وهكذا التأثير فاذا تأثر النبات والحيوان فان للمواد المفرقة والكيميائية غير الثابتة تتأثر بالنور كمواد التصوير الشمسي وبالحرارة وبالرطوبة . واذا دق على وتر آلة موسيقية وفي الفرقة نظيرها تحرك الوتر المماثل لذلك الوتر

٢١٦ ههنا موضوع في علاج الأزمة المالية في مصر . ولكن المقصود منه ما فيه من عجائب النبات مثل : شجرة البقرة ذات الثمرة الخضراء كالبندفق ولينها يحاكي لبن البقرة وأهل كرا كاس يتغذون منه وله عصير سكري . ومثل : شجرة ذات اليد . وشجرة الحرير . وشجرة الدهن . وشجرة البهار . وشجرة الثعابين . وشجرة الأرابوت . وشجرة الكمثرى الأمريكاني . فهذه الشجرات من أولها يصنع الورق الناعم في الصين . ومن ثابتهما يخرج وبر حريري قطني يتزل على الأرض كاللؤلؤ والتلج ويفزل

٢١٨ ويدخل في صناعات مختلفات . ويبلغ طول الشجرة (١٥) متراً فأكثر وعرضها على الأقل متران ونصف متر تستعمل مسكناً وهي لا تزال مزروعة ، ومن الثالثة تستخرج حبات لها دهن يساعد في صنع الشمع الأبيض الذي يضيء مدة طويلة . وفي استخراج زيت صالح للوقود ، ومن أوراق الرابعة وجلدها بهار ودواء ، ومن جذور الحامسة دواء للشفاء من لسعات الثعابين ، ومن جذوع السادسة غذاء قوى للأطفال ، ومن السابعة يدر لبن يتجمد في صلابة القشدة

٢١٩ بهجة العلم في قوله تعالى - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ وفيها عجبتان : العجينة الأولى من علم الحيوان ، آلاف مؤلفة من حيوانات صغيرة تعيش في قطرة ماء ، وهي تخلق على الورق الجاف والتبن والبريس وهي هيئة طحلب فوق سقف المنازل وهي تجف أثناء الصيف وتظهر بالآلة المكبرة هيئة حبوب رمل أخضر ، ومتى نزل عليها الماء تحوّلت حيواناً حياً ، فإذا غاض الماء أوصار بخاراً رجعت ميتة لا حراك لها ، فإذا نزل عليها الماء تحركت حياً (انظر شكل ٤٣ و ٤٤)

٢٢٠ العجينة الثانية : زيارة توفيق دوس باشا لكلية علم الأرواح ، وأنه كلم روح والده وعرفه بعلامات ، وذكر له أحوالاً يعرفها ، وطلب أن يأخذ صورته فأجيب إلى ذلك ، ولكن لما صورته وجد صورة أخرى في الرسم ، فسأل بنت الأستاذ (ستيد) عالم الأرواح المشهور فأجابت أن روحاً أخرى أقوى من روح والدك تقمّت للصورة ، فطلب تصوير روح والدها واحترس أشد الاحتراس فأجيب لذلك وظهرت صورة والدها ، ففجأ لذلك ! وسأل : كيف أمكن تصويرها وهي لا ترى ؟ فقبل له أن عدسة الآلة المصوّرة تصل إلى مالاتصل إليه عدسة عيوننا . وههنا شكل ٤٥ و ٤٦ يبينان الصورة التي جاءت غشاً من عالم الأرواح وصورة (ستيد) في صحيفة ٢٢١

٢٢٢ وههنا ذكر المؤلف أن مسألة العجينة الأولى تذكرنا بنوم النحل والزناير مدة الشتاء واستيقاظها أيام الربيع ، وكذلك الحيات والثعابين ، وبعض السمك الذي يكون في الطين إذا جف ، وفي الثلج المتراكم ، وهذه كلها تقوم إذا زال المانع . إذا عرفنا ذلك فهمنا أن الموت والحياة في هذه الحيوانات النورية أشبه بالنوم واليقظة في الحيوانات الكبيرة . إذن الموت أمر مبهود لا أهمية له ، فكيف أعظم أمره هذا الإنسان ! إن العجينة الأولى في الحيوان والعجينة الثانية في الأرواح من واد واحد كلاهما أظهر أن الموت ليس أمراً عظيماً ، فإذا كانت الحيوانات الدقيقة تموت وتحيى بكل سهولة ، والأرواح ظهر أن لها وجوداً بعد الموت . إذن الأمر سهل

٢٢٣ إيضاح لما تقدم . إن أكثر النبات هو مالانزاه (انظر شكل ٤٧ و ٤٨) مثل بكتريا حلزونية وبكتريا عضوية وبكتريا كروية . فهذه أصغر النباتات مركبة من خلية واحدة . فهي كبيضة لها غشاء ومادة داخلية فيها . وهذه الثانية لها نواة هي أصل الحياة . وهناك ما هو أصغر منها ولكن لانزاه . وأحدها يكون واحداً من الألف من المليمتر ، وهذه تتغذى وتنفس وتتمو وتلد وتموت

٢٢٤ الكلام على ماتعيش على مادة غير عضوية . والبيضة الواحدة إذا وجدت مكاناً صالحاً تتمو وتصير في ٢٤ ساعة نصف مليون رطل وهي تعيش على درجة ١٩٠ تحت الصفر وهي الهرجة التي يصير فيها الهواء سائلاً كالماء . ولكنها لا تتحمل الحرارة أكثر من ٥٥ درجة فوق الصفر . إذن هذه نباتات أقوى على التحمل من كل نبات نعرفه . ومتى خدت يصير لها غلاف سميك يحفظها وتبقى سنين حتى إذا صادفها وسط مناسب رجعت لها الحياة كرة أخرى (شكل ٤٩) رسم تكوين الجراثيم في البكتريا

إن البكتريا تعين على نمو النبات . فهي كالطحالبين والطحالبين . إن القمح والتفاح وكل نبات كبير لاقدرة له على امتصاص عنصر الآزوت من الأرض إلا بحال خاصة ، وهذه الحال الخاصة لا تتم إلا بتحليل البكتريا الصغيرة له فيسهل على النبات الكبير تناوله . والبكتريا أيضا تكون سببا في الخلل ودبغ الجلد وقبول طعم الزبدة ورائحتها واللبن الزبادى فهذه من منافعها ، ومن مضار البكتريا مرض التسمم والطاعون والتيفود والتيفوس والالتهاب الرئوى والسل

٢٢٥ والوقاية من الأمراض المتقدمة بالنظافة واستعمال المطهرات الخ وبيان أن هذه المخلوقات (البكتريا) من حيث ضررها وتفعها أشبه بالنحل ودودة الحرير والحيات والعقارب ، فنها يكون العسل والملابس ومنها يكون الضرر . والجراثيم النباتية ثلاثة أقسام : قسمان منها لالون لهما . والقسم الثالث له لون وهي الطحالب . ثم ان اللذين لالون لهما أحدهما يسمى الفطر (بضم الفاء والطاء) والثانى يسمى البكتريا (انظر شكل ٥٠) فهذه البكتريا تغذى بالكربون الذى فى الشجرة وبالآزوت الذى هو جزء من الهواء ، ولا تزال هذه تتكاثر على جذور النباتات البقلية حتى تموت بانتهاء آجالها فيمرث النبات هذه البكتريا وينتفع بالبراث ، فقد كسب منه أمرا فوق الكربون الذى أخذه منه وهو الآزوت الذى أخذه من الهواء ، فهذه البكتريا أعطت للأرض أمرا جديدا هو الآزوت الذى حوّلته من الهواء الى الأرض

٢٢٦ (الطحالب) من شكل ٥١ الى ٥٤ وهي أشكال جميلة بهجة تبين الطحالب الخضراء والزرقاء المنخضرة ، والتي أعضاؤها تشبه أعضاء النباتات الراقية ، ومنها ما هو مستعمرة من الطحالب

٢٢٧ (شكل ٥٥) طحالب بنية وحيدة الخلية ، (وشكل ٥٦) أحد الطحالب البنية الكبيرة الحجم ومن الطحالب ما هي حياء تعيش على أعماق كبيرة من سطح البحر

٢٢٨ (تركيب الفطر) (شكل ٥٧ و ٥٨ و ٥٩) ههنا تتكاثف بعض الفطريات فتكون كتلة تشبه أنسجة النباتات الراقية كما فى عيش الغراب

٢٢٩ جمال العلم فى آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - مع قوله تعالى - وقتل فيها أقواتها - الخ مخاطبة المؤلف ربه ، يقول له : « ياربنا أخذنا نستقرى هذه الأقوات التي قتلتها فنجينا من أن المشرقات تجرى بحساب ، ووجدنا نفس النبات الذى ظهر بسبب أنوار المشرقات أيضا بحساب ، ورأينا أننا نحتاج فى طعامنا الى مواد دهنية وآزوتية ونشوية ، وهذه الثلاثة وجدناها فى النباتات بسبب مختلفة ، فنها مازاد فيها الدهن ، ومنها مازاد فيه المادة النشوية وهكذا ، إذن أنت كما حسبت شمك وكواكبك حسبت قيمة الغذاء الداخلة فى كل نبات من دهن ونشاء وآزوت »

٢٣٠ خطاب المؤلف لربه أيضا ، يقول له : « يارب فى القلوب حبك ، تحبك السواب لعلفها ، والعامه لطعامها أولامواهم ، وهؤلاء عبيد العصا . والأطباء لاطلاعهم على أسرار الغذاء . والحكماء جههم أعلى من السابقين . انهم يحبونك لعلك الذى ظهرت آثاره فى تقدير الأقوات ولرحمتك ولجمالك »

٢٣١ نور على نور . وذكر بعض أنواع النبات كالقمح والثره والصنوبر والقول السودانى . وأن منها ما مادته الآزوتية كثيرة أو الدهنية أو النشوية . وهذا الاختلاف تابع لاختلاف الفتحات الشعرية فى الجذور وعند امتصاص الغذاء واختلاف الأوراق أثناء امتصاص الكربون من الهواء عند مقابلة نور الشمس وتعاونهما على ذلك الامتصاص . وهكذا هيئة الجهاز الهضمى المرسوم فى صحيفة ٢٣٢ (شكل ٦٠) فيه آلات وأدوات لهضم المواد النشوية ، وأخرى لهضم المواد الدهنية ، وأخرى لهضم الآزوتية .

إذن يار بنا ههنا هج اشمس تضىء وتساعد الورق بفتحات مختلف باختلاف الأشجار ، وهناك يمتص من الهواء كربونا وتمتص جذور الأشجار بفتحات أخرى أغذية من الأرض فيكون حب على مقتضى هذه المقتضات له تركيب خاص من أنواع الأغذية فيحصله الانسان فيأكله فيلتقاه الجهاز الهضمي فتكون الأغذية موزعة على الآلات الهاضمات في الجهاز الهضمي ، إذن يار بنا هناك مناسبات تامات بين الضوء والنبات وفتحات أوراقه وجذوره ثم حبوبه والآلات الهاضمات في الحيوان ، إذن أكثر النوع الانساني في جهل عميق

٢٣٣٣ تجب لهذا الجهاز الهضمي الذي حوى ما يهضم المواد الثلاث التي في النبات بحيث كانت فيه مصانع للنشاء وللآزوت وللواذ الدهنية ، ولكل واحد من هذه الثلاث نوعان من المصانع ماعدا النشاء فله ثلاث مصانع في نفس الجهاز الهضمي ، فاذا جاوزنا هذا الجهاز الى ضوء الشمس وفتحات الأوراق والحجر التي فيها والى فتحات الأنابيب الشعرية في الجذور ألقينا الحساب هناك متقنا اتقاننا بديما بحيث نرى الأنابيب الشعرية والفتحات كلها لا تدخل في النبات غير المواد المخصصة له

٢٣٣٤ نظام الأم الأرضية والشوق الى مبدع العالم ، وبيان أن بني آدم غافلون عن هذا النظام ، والا فأى يقين لهم بعد هذا التفصيل ، إن المجموع الانساني أشبه بالأجهزة الهضمية ، والأرض وما عليها أشبه بالحب والنبات وما فيهما من المواد الثلاثة المختلفة ، فاذا لم تسلط مجموع العقول على جميع المنافع في الأرض أصبحت بعض المنافع عاطلة لم تجرد من يستخرجها وهذا قصص للجميع وهذا هو قوله تعالى - من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا - الآية

(عروج النفس الى العالم الأعلى) وبيان أن في تفسير قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله - إضاح أن المادة لججزها عن إحداث ضوء وحرارة لما عليها برهنت على أنها عن إحداث عقول وعواطف وخرائز أشد حجرا ، وتزيد على هذا أن المادة اليوم ثبت عدم وجودها ، إن هي إلا حركت في الأثير إذن الفلاسفة الماديون سقطوا من قوائم الفلاسفة ، إذن هناك علم ورحمة وجمال وحب منها استمدت الحيوان والانسان ما لديهم من ذلك العالم القدسي ، والانسان متى أحسن - أن علمه ورحمته مستمدة من هناك أحسن - بالسعاد في هذه الحياة ولا يحجزه الفرع الأكبر ، والانسان اذا وصل الى ذلك المقام نظر الى أعلى والى أسفل فاستمد وأمد

٢٣٣٥ بهجة الحكمة وجمال العلم في آية - ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة - الخ . يقول المؤلف انه نجح في أن القارىء شاركه في فهم مقادير النبات وفي نسبتها الى الجهاز الهضمي ، فهنا يبين أن المواد غير عضوية كالأملاح وعضوية وهي النشوية وأختها ، فهنا ذكر الجدول لبيان أكثر النباتات : قمح أرز ، ذرة ، بطاطس ، بطاطه ، لوبية الخ . وبالجملة في هذا الجدول (٥١) أكثرها نبات وبعضها حيوان ، وهذه المواد هي التي يتعاطاها الناس غالبا ، وقد ظهر لكل مادة قيمتها الغذائية في الرطل المصرى الواحد

٢٣٣٧ قسمة علم النبات بيننا وبين الأطباء ، الطيب يفرح بهذه المقادير ليحافظ على الأسماء ويشفي المرضى ، ولكن الحكيم يرتقى فوق ذلك فيقول : « أنها الأطباء ، لتفرحوا بشفاء مرضاكم وبقاء صحة أسمهائ الناس ، ولكن نحن ننظر في توزيع العلوم على مناطق الدماغ كما وزعت آلات الهضم على مختلف النبات ، واذا كانت الأغذية لها مبدأ وهي الشمس ، فهكذا للدرا كات مبدأ وهي الفات الغائبة عنا القدسية ومنها انبعث العلم في نفوس هي واسطة بيننا وبينها كما كان النبات واسطة بين ضوء الشمس

وبين أجسامنا

٢٣٨ وههنا أبان المؤلف انه أوضح آراء الأمم من أيام سقراط الى الآن ، وقد عاملها الله كلها في (٢٥٠٠) سنة معاملة نفس واحدة ، وأزل العلم قليلا قليلا ، وفي هذا التفسير صار أقرب الى عقول الأمم الحاضرة ، والاستئناس على ذلك بما قوله الأرواح ، وهو أن العلم لا يلقي الى الناس إلا اذا استعدوا له ، وبيان أن هذا التفسير جاء في زمان استعدت له الأذهان فيها . فاذا قلنا ان المادة التي ثبت أنها لا وجود لها بسقوطها سقط الماديون . فقد بينا كلامنا على إجماع علماء العصر الحاضر . فأما هؤلاء المدرسون في مصر وسوريا والعراق ونحوهم فانما يكررون على مسامع تلاميذهم صدى صوت العصور الفاتنة في القرن الثامن عشر . وههنا خاطب المؤلف ربه . انه يحسن في نفسه بالشرح وسرور عظيمين . وانه موقن أن المسلمين سيكونون خيرة أمة أخرجت للناس بعد ظهور هذا التفسير . وههنا أردف هذا القول بشرح قول الشيخ الدباغ . وهي ان الاحساس بالشيء غير الانتهاء به . فكم من جيل زاه ولا يتأثر بحمالة لإقليل وهذا سار في جميع الحواس . والمؤلف يقول : إن جميع المعلومات والحسوسات يشترك كثير من الناس فيها ولكن ادراك الجمال قليل . وأكثير الناس إذا عجزوا عن ادراك الجميل اهتموا بشهواتهم التي كأنها ظل من يحوم لبارد ولا كريم لأنهم مترفون . إذن الانسان مغرم بما أحبه . فان أحب الجمال العلمي فهو منهمك فيه . وان أحب الشهوة فهو منهمك فيها . ولما كانت الشهوات مسيطرة مع الكسل على كثير من المسلمين ككثير من أهل مصر كان القطن الذي زرعه سببا في إذلالنا إذ نبيعه ثمن بخس ونشترى منسوجه بأعلى الأثمان . هذه أغلال في أعناقنا . بل هذه هي السراويل التي من قطران الشبهات ما في الآية - سراويلهم من قطران - لأنها مصنوعة بقطران الفحم كما هو معلوم . وذلك خطر للمؤلف وهو يتلو الآية في صلاة الصبح

٢٤١ ( الفصل الثاني ) من اللطيفة الخامسة في آية - سفرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ وبيان أن الأمبرال (رد الأمريكى) الذي زار المناطق الجنوبية الجلمدة . ووصل الى القطب بالطيارة . وصلت الرسائل منه بالتلغراف الذي لا لك له الى نيويورك . والمسافة عشرة آلاف ميل . وكأنه يخاطب عامل التلغراف على بعد أقدم فقط ( المبحث الثاني ) ان الانجليز قابلوا ناغور الهندى بالاكرام مع ان الأمتين بينهما عداوة واضطراب شديد . فهذا يدل على أن نوع الانسان قابل للسلم ( المبحث الثالث ) فيما شاهده المؤلف في صحة جسمه . كانت في جسمه بقع ملونة تظهر وتختفي وقال له الأطباء انها ليست معدية . ولكن لا يعرفون دواها . وأخيرا قالوا سببها نقص في التغذية . ولما أكل الفواكه والخبوز وزيت الزيتون والخبز الذي لا ينخل والبرنقال ونحوه ذهبت تلك البقع . وههنا يقول المؤلف : « إن نقص السعادة الانسانية لنقص العلم بطرقها قياسا على صحة جسم المؤلف بالعلم ومرضه بسبب الجهل .

فعلى الأمم الاسلامية أن تتصافر وتتعاون في البحث عن طرق سعادة هذا الانسان

٢٤٥ ( اللطيفة السابعة ) في آية - سفرهم آياتنا - الخ وفيها تبيان معنى كلام الشيخ الدباغ : « إن في الأرض عجائب تعرف الوحداية بلا دليل . وتعرف وجود الجنة كذلك والنار » ويشرح المؤلف ذلك بأن التوحيد يعرف بالعجائب المذكورة في هذا التفسير بلا حاجة الى براهين علم التوحيد كعيون العمل والذباب والنحل وتعداده بالمثل . فان هذه العجائب لما ظهرت في حشرات منبذات فيما تعافه النفس كانت عجبا ! أشبه بكثير ظهر بخفاء

٢٤٦ هذا ولما كانت النفوس الانسانية إما مفرمة بالحكمة . واما مفرمة بالقهر والغلبة والنزاع . واما مفرمة بالشهوات . والأولى أشبه بمن يأكل الفواكه من الانسان . والثانية أشبه بكل حيوان يأكل الرمم والثالثة أشبه بالنسب آكل العفونات . كانت جهنم تؤخذ اعتبارا من القسمين الأخيرين . والجنة تؤخذ من القسم الأول . إذا تفاوتت الأغذية بتفاوت الحيوان . هكذا تفاوتت أغذية العقول على مقتضى درجاتها . وبالجملة أحوال الآخرة لها نظير في العالم المشاهد

( تمت )



## ﴿ التقاريف ﴾

لما كان هذا التفسير قد قرظه كثير من علماء الشرق والغرب وأطنبوا في مدحه  
رأينا أن نشرها تباعاً تباعاً للفائدة

### التقريف الأول

جاء في جريدة المقطم يوم ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ بحجبه تحت العنوان التالي مانسه :

### كتاب (الجواهر)

في تفسير القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الفيلسوف حكيم الاسلام الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس سابقاً بدار العلوم والجامعة المصرية

إذا كنا بحاجة الى كتب مفيدة نافعة تناسب حالات العصر وتنسق وما نحن عليه من اختراعات واستكشافات  
وظهور مافى الطبيعة من مكنونات . فان حاجتنا أعظم الى تفسير كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسوله عليهم  
الصلاة والسلام لما فى ذلك من تثقيف العقول وتفجير ينابيع الرحمة فى قلوب الخلق . ولقد طالعنا كتب التفسير  
فلم نوفق الى تفسير يشفى العلة وينقع الغلة حتى صادفنا « الجواهر » وهو تفسير للقرآن الكريم وضعه الأستاذ  
الجوهرى فأذابه بمتاز على غيره من التفاسير بكثير من المزايا . منها ان عبارته سهلة مشوقة لا يملها المطالع . وانه  
جمع فأدعى فكأنه دائرة معارف جامعة . وفيه أكثر من مائة مسألة من مسائل العلم الحديث تضمنها القرآن  
وسبق لها وهي مجزة النبوة . وانه ألمّ بقصص الأنبياء فأظهر أن المقصود منها تتابيحها والاتعاض بها . وانه  
نظر الى المسلمين نظرة حكيم وحضهم على الاكباب على العلوم العصرية والأخذ منها بقسط وفير . وانه لم يفسح  
على منوال أولئك الذين يذلون جهدهم فى الجدل اللفظى وشرح الكلمات شرحاً ملاماً . وانه راعى تطبيق الآيات  
على خلاصة الفلسفة العصرية والعلوم الحديثة وما تضمنت من الرياضيات والفلكيات والمعدنيات والنباتيات  
والحيوانيات . واما سبيله فى التفسير أن يبدأ السورة بحصر مقاصدها ثم بيانها اجلالاً ثم يأخذ فى تلخيص تلك  
المقاصد اجلالاً حتى ان المطلع بهذا يدرك ملخص السورة . ثم هو من بعد ذلك يشرح فى تفسير تلك المقاصد  
مبتدئاً بكتابة المقصد من القرآن بخط مشكل ليقراها المطلع قبل تفسيرها ثم يفسر مافى المقصد من ألفاظ ثم يعقب  
على ذلك بمافى الآيات من أحكام شرعية عامة وما تضمنت من العلوم جميعها فنعم العمل وحجذا المهم

### التقريف الثانى

جاء فى مجلة (المرشد) وهى مجلة علمية أدبية دينية تصدر بمدينة بغداد بتاريخ (١) محرم سنة ١٣٤٦  
هـ بحجبه تحت العنوان التالي مانسه :

### تفسير الجواهر

لا يشكره العلماء المسلمين اليوم من النزعة الى تفسير القرآن واظهاره بشكل بلائم روح العصر الحاضر ،

وما لهم من الرغبة في استكشاف ما أقره العلم ووصل اليه من آي القرآن المجيد كالانتسرحاجة المسلمين الشديدة الى ذلك . ولقد سبق للأستاذ الشيخ محمد عبده أن فسر القرآن تفسيراً كان في بابه فاتحة دور جديد في التفسير ولما لم يكن وافياً بالمقصد تماماً ولم يستوف الأجزاء والسور القرآنية مقتصر في أكثر إبعائه على السياسة ومعارضة الوثنيات المتغلظة في طوائف المسلمين بحسب ما اعتقد مما جعل النفوس تشرب الى وجود كتب تفسير أخرى تلائم العصر الجديد وعالومه بصورة أوسع

ولقد قام العلامة الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى الأستاذ بالجامعة المصرية بمهمة تفسير القرآن بجاء بتفسيره المسمى (الجواهر) فكان آية من آيات العصر لأنه أفاض في ذكر المخترعات والمكتشفات الحديثة واجتهد في ذكر الأحاديث الناطقة بها والآيات الهدالة عليها سواء في مباحث السياسة وال عمران أو في مباحث العلم والفن . وقد امتاز مع ذلك كله بأسلوب أخلاقي أدبي نفيس ينفع جدواوعاظ المسلمين وخطبائهم . وقد أثبت هذا التفسير ما قاله سماحة العلامة الأستاذ السيد هبة الدين الشهرستاني الأنظم في مؤلفه الأستاذ الجوهري (انه رازى عصره ، ووزالى مصره) . وقال أيضا : «وهذا التفسير على ما هو عليه من الامتياز قد جاء بطبع متقن وعلى ورق صقيل . غررى بأن لا تخلو منه مكتبات رجال العلم والفضل فانه كاف عن اقتناء مئات من الكتب الممتازة»

### التقريظ الثالث

جاء في مجلة (المرشد) أيضا في غرة شهر رمضان سنة ١٣٤٦ هجرية تحت العنوان التالى مانصه :

كتاب تفسير الجواهر

الجزء ١ - ٥

ان للأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى أبايدى يضاء على الأمة الاسلامية بمقام به نحوها من الخدمات العظيمة التي لم يحرز قصب السبق في مضمارها سواء فهذه تآليفه الكثيرة في شتى العلوم والفنون وكلها شاهدة على فضله وجلال قدره وطول باعه ، وهي اما تخدم الأمة الاسلامية مباشرة أو بواسطة . وان النزعة التي كانت تتخلج ضائر علماء المسلمين وتغلظت فيها هي تفسير القرآن الحكيم على نمط بلائم روح العصر الحاضرة وبتخلو من شوائب الدس والخرافات التي ليست من الدين الاسلامي في شيء . وقد وفق اليها العلامة «طنطاوي» فتفسيره هو التفسير الوحيد الذي جاء على هذا النمط وهو الذي يطلعنا على أسرار الشريعة الاسلامية وحقاقتها الناصعة وما خفي قبلا على المفسرين

### التقريظ الرابع

جاء من صاحب الفضيلة مفتي إيران في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ هجرية ما يأتي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السالكين على منواله وسلم انه من عبد الله مفتي الديار الإيرانية السيد أبي القاسم الكاشاني عفا الله عنه الى روضة العلم التي أربعت أزهارها ، وشجرة الفضل التي أينعت أثمارها ، الفاضل النحرير ، والكامل العديم النظير ، من اذا قيس عليه قس لفصاحته كان ازدرابه به ، وان شبه بأدبه أدب سبحان كان تنقيصا في أدبه الامام الأعظم ، والهمام الأقوم ، حضرة الأستاذ الحارثي ، أعزّ المفاز الشيخ الجوهري الطنطاوي ، لازال كوكب فضله مشرقا وشجر نله مورقا .



و بعد فن فضل الله علينا ، وإحسانه الأسنى إلينا ، ان سرّح أنظارنا في تصنيفاتكم الشريفة . ونور  
أبصارنا بتأليفاتكم المنيفة ، التي هي للعيون جلامونور ، وللقلوب بهجة وسرور ، فوجدتها بعدما اتقدتها ، والحق  
يقال عديمة المثال ولاسيما التفسير الذي هو فقيده النظير فكم بدت به نجوم مجتلى زهرها ، وزهت فيه نجوم  
مجتلى زهرها ، يقبس منها مايرام من الأنوار ، ويقتطف منها مايشاء من الأنوار ، كأنه مسك به الأرجاء تمسكت  
وروح به الأرواح تمسكت ، بلوح منه شعاع يجمع كل شعاع دائم ، لك فضل استباق الغاية في تفسيرك البديع  
الجليل الغاية .

فسرت وحى الله في حسن النسق \* فراق لفظه ومعناه ورق  
أطربت في تفسيرك المثاني \* من لم يكن يطرب بالمثاني  
راق بيانه وما أرقه \* اذ احتوى من البيان حقه  
سحر حلال حل في البيان \* فأبهرت آياته ياتي  
لما فؤاد واع إلا اعتلقا \* بها اذ الناطق فيها نطقا  
يتلوها القراء سورة الفلق \* حفظا لما حازته من حسن النسق  
بديع تفسير به المعاني \* راتقة فاتقة البيان  
لابدع في مبدعه ولاعجب \* فانه رب الكمال والأدب  
سما المعارف العليم الحاوي \* صحاح جوهر الهدى الطنطاوي  
شمس سما الفضل والفقاهه \* وبدر أفق النبل والنباهه  
العلم الفرد الذي به اجتمع \* شمل العلوم وسناؤها اتسع  
منار مجتلى الرشاد والعلم \* ومفرد الفضائل الفر العلم  
علت مزايده النجوم عددا \* وانها هيات أن تصدأ  
في وصفها الزائق ما أقول \* جمل الوصف له فصول  
أصرت عنه لقصور في القلم \* عن وصف تفسير حوى جم الحكم  
فالمسح كل المدح إبداء الجيز \* عن أن ينال بالأقل المجزي  
دمت منارا للورى ومجتلى \* نور الهدى لمن سناؤه اجتلى

وفي الختام نهدي جزيل السلام

السيد أبي القاسم الكاشاني

خادم الشرع الشريف ومفتي الديار الإيرانية

عني عنه

(٨) ربيع الآخر سنة ١٣٤٨ هجرية



## التقريظ الخامس

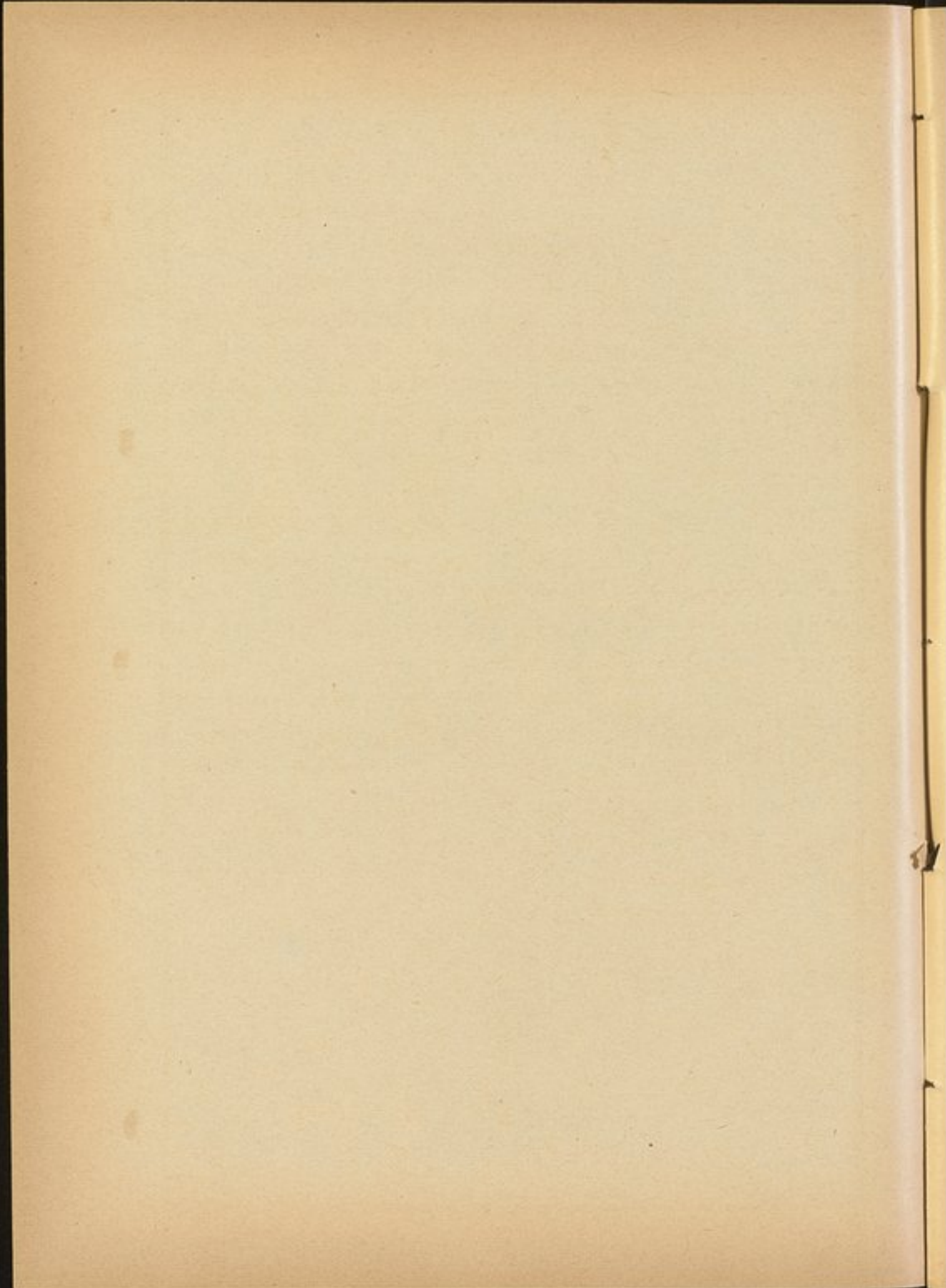
جاء في مجلة المجمع العلمي العربي الشهري التي تصدر في دمشق في الجزء الخامس والسادس من المجلد العاشر بتاريخ ١ ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية ما يأتي

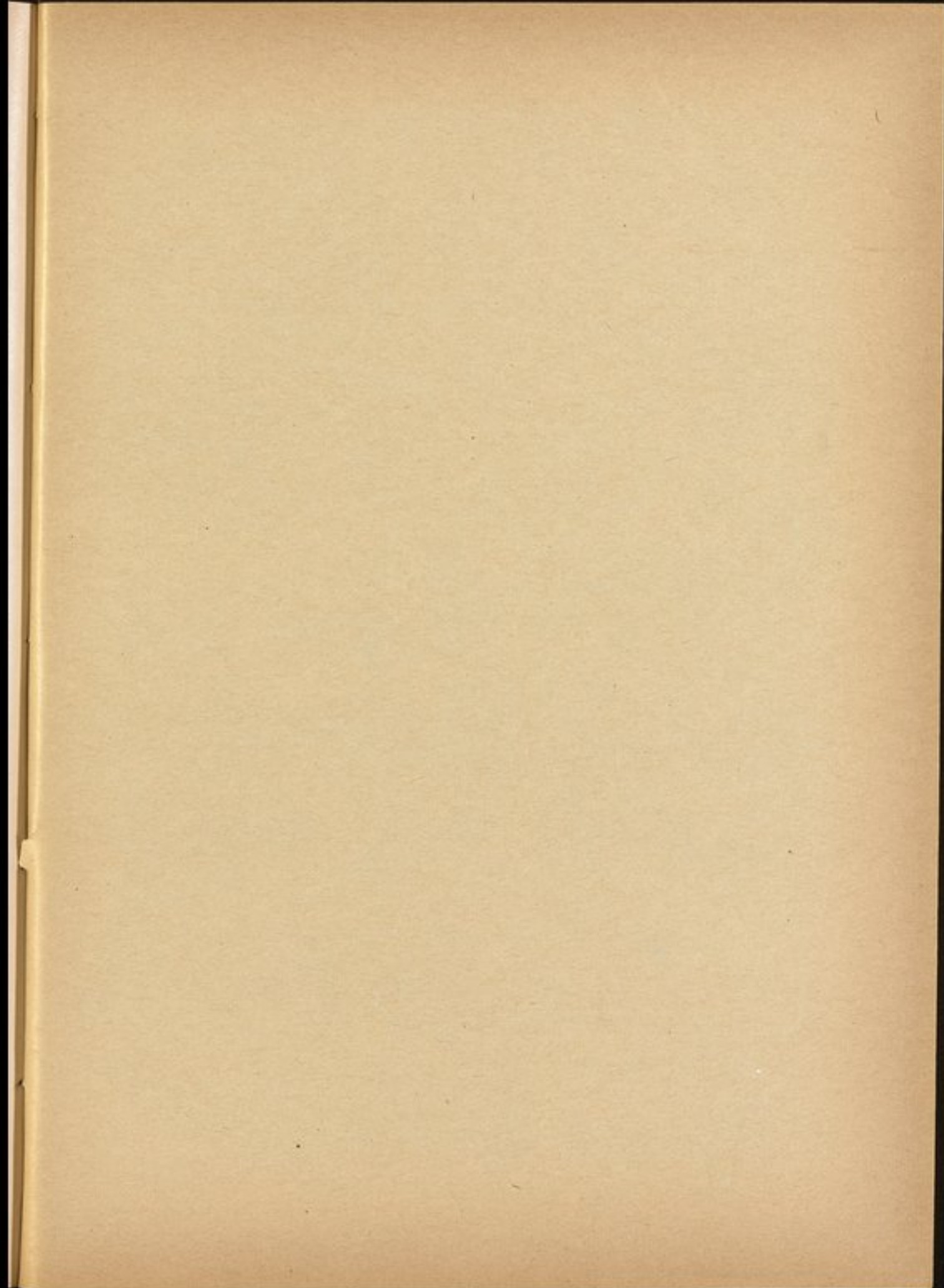
## الجواهر في تفسير القرآن الكريم

أهدانا السيد مصطفي البابی الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الأجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسمى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءا تأليف العلامة الأستاذ «طنطاوي جوهرى» وقد قضى الأستاذ سنين طويلة في تخيير هذا التفسير ولما يتم . وقد بلغ فيه سورة فاطر . ومن تصفحه أدرك سعة علم الأستاذ كما أدرك مبلغ العناية الذي كابدته في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، وتنسيق مباحثه . وأول ما يحظر للناظر فيه أنه لا ينظر في تفسير قرآن وإنما هو ينظر في « دائرة معارف » على القرآن تضمنت شرحا لآياته ثم تاريخا وأدبا وأخبارا وفلسفة وسياسة واجتماعا وزجرا ووعظا وتنبيها وتحذيرا حتى أنه لم يخل من ذكر نظرية « انيشتين » والاستشهاد بها على ما هو بصدده من تفسير الوحي الالهي ، وكثيرا ما يقع نظارك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فيقنن لك اذذاك وجه المناسبة ولو ضئيلة بين هذا البحث وبين الآية المفسرة . افتح مثلا الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت أرقام متسلسلة ثم تقرأ تحت الرقم الأول مانسه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام . ويجب أن تتمتع به في الحال . وبينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق أنك تقرأ تفسيراً للقرآن فترجع أدراجك الى ما سبق من المباحث مبحثا مبحثا فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصنت . . . . . وجعلناها وابنها . . . . . ان هذه أممكم . . . . . كل اليناراجعون)

فتفسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب الجول . ولا للضجر الملول . وإنما ألف لازمة الوقور . الجليل الصبور . وزجو أن يكثر أمثال هؤلاء بين أبنائنا . وانا لنشكر للمؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن أمتهما خير الجزاء







الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المسئل على عجائب بئع الكون وأغرب الأرباب باهراً

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقاً  
معاقه المسلمين بحياة أمين

الجزء العشرون

الطبعة الثانية

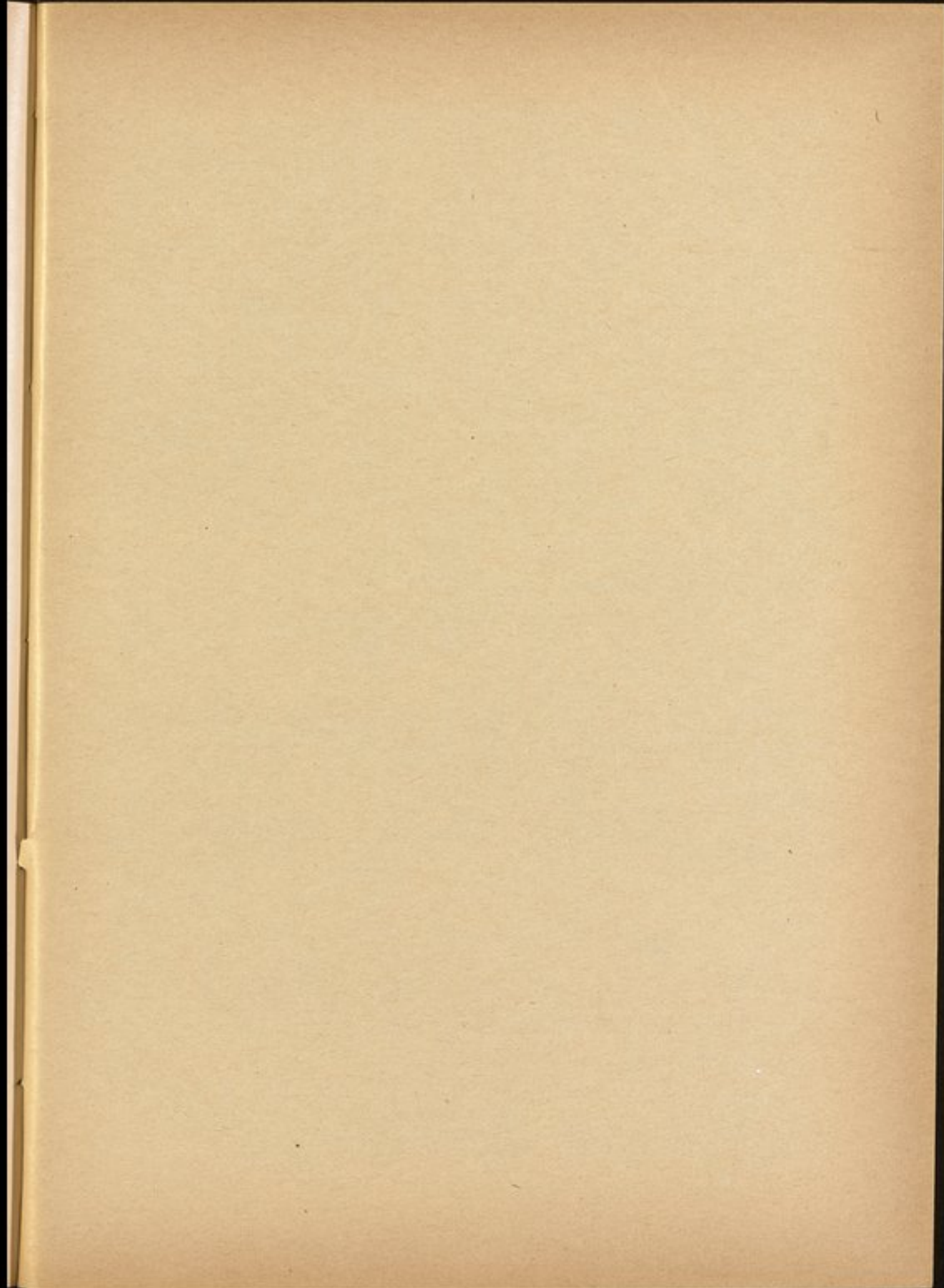
١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع بطبعة

مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر

مباشرة بميامين عمران



الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

لشمس علي عجائب بين المكنون وغريب الأرباب باهراً

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقاً  
متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء العشرون

الطبعة الثانية

١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع مطبعة

مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر  
مباشرة بميامي عثمان

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »

(قرآن كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الشورى

هى مكية

إلا أربع آيات من قوله « أم يقولون افتري على الله كذبا فإن يشأ الله نختم على قلبك » إلى قوله « والكافرون لهم عذاب شديد » مع قوله « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » مكية

آياتها ٥٣ - نزلت بعد فصات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم \* عسق \* كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \*  
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ \* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ  
فَوْقِهَا وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِيَّاكَ اللَّهُ  
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ  
بِوَكِيلٍ \* وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ  
الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْحَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ \* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً  
وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* أَمْ اتَّخَذُوا مِن  
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ  
مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ \* فَاطِرُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ



شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ \* لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ  
 إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا  
 وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ  
 مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ  
 مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ  
 الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ \* فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا  
 أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ  
 اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا  
 وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ \* وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ  
 رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ \* اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ  
 وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ \* يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ  
 مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا الَّذِينَ يُمَازُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ \* اللَّهُ لَطِيفٌ  
 بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ \* مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ  
 فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ \* أَمْ لَهُمْ  
 شُرَكَاءُ أَشْرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ  
 الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ  
 الْكَبِيرُ \* ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ  
 عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 شَكُورٌ \* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ  
 الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ \* وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ \* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا  
 فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ \* وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ  
 مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْأَحْمَدُ \* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ \* وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا  
 كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ \* وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ \* وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ \* إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ  
 فَيَظْلَمَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* أَوْ يُوقِفَهُنَّ مَعَا  
 كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ \* وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ \* فَمَا أُوتِيتُمْ  
 مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \*  
 وَالَّذِينَ يَحْتَدِبُونَ كِبَارًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا  
 لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ إِذَا  
 أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ \* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى  
 اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَنِ اتَّصَرَ بِعَدُوِّهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا  
 السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \*  
 وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ \* وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ  
 وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ \* وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا  
 خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيِّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا الْخَالِسِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
 أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ \* وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ  
 يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ \* اسْتَجِيبُوا لِلرَّبِّ كَمَا مَنَعْتُمْ أَنْ

يَأْتِي يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلَاجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ \* فَإِن  
 أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلاَّ الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً  
 فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ \* اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ يَلْقَى مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّا ثَمَّ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ اللَّهُ كُورٌ \* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ  
 ذُكْرَانًا وَإِنَّا ثَمَّ وَيَجْمَعُ لِمَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ \* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ  
 إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَسِيمٍ \*  
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ  
 جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ  
 اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .

اعلم أيها الذكي أن هذه السورة تشتمل على قسمين : القسم الأول من أول السورة إلى قوله « لهم عذاب شديد » وفي هذا القسم :

( ١ ) أن الله ملائكة يقومون بتدبير شئون العالم المادي من جماد وحيوان وإنسان . وأيضا يقومون بإلهام الناس ما ينفعهم في أمورهم الدينية والدينية تنميا لقوله « سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » فإن ما يعرفه البشر من العلوم والمعارف يكون بإلهام ، فإذا استعد الإنسان لعمل نافع دنيوي أو أخروي أحس في قلبه بفكرة ، ثم هو نفسه بعد ذلك يتصرف فيها بعقله ، لأنهم لا يلهمون إلا من وجدوا عنده استعدادا للإلهام .

( ٢ ) وأنه صلى الله عليه وسلم أنزل عليه قرآن عربي لينفخ أهل مكة ومن حولها . وذلك بالوحي الذي أنزله الله عليه بواسطة الملائكة المذكورين كجبريل . وليس الوحي لقوم والإيمان والكفر لآخرين إلا على مقتضى الاستعداد . وهذا العالم لا يمكن أن يكون جميع أفرادها على حال واحدة . فهم مختلفون في جميع الأحوال وهذا الاختلاف نجم منه الاستعداد للإيمان والاستعداد للكفر . فعالمنا هذا لا يصبح إلا على هذا الضرب من الاختلاف .

( ٣ ) وكما اختلف الناس في أحوالهم كالإيمان والكفر اختلف كل شيء في السموات والأرض كالذكر والأنثى والإنسان والأنعام ، فأما هو فليس كذلك شيء ، وإنما مفاتيح العوالم بيده ؛ فمن شاء وسع له في رزقه ومن شاء ضيق عليه ، فإذا اختلف الناس إيمانا وكفرا ، واختلفت المخلوقات ذكورة وأنوثة ؛ وتتنوعا في الحايقة فهكذا اختلفوا في الأرزاق بحسب الاستعداد والنظام ضيقا وسعة .

( ٤ ) ثم رجع القول إلى الوحي والدين والنبوة ، فأفاد أن الوحي الذي أنزله الله على الأنبياء جميعا كنوح ومحمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وموسى وعيسى يدعو إلى أمر واحد وهو الإيمان بالقلب والطاعة بالعمل

وأن لا يختلفوا في هذا الأصل ، ثم إن شرائعهم تتفرع كل بحسب زمانه كما تفرعت الحيوانات إلى أنواع وذكران وإناث والأصل واحد وهي الحركة والنمو ، ثم إن الأمم بعد ما عرفوا أن النفرق ضلال وأن رسلمهم حق وقد قرءوا كتبهم وعقلوها تفرقوا ، وهكذا هؤلاء الذين دعوتهم كبر عليهم ما تدعوهم إليه وكذا أهل الكتاب في زمانك أصبحوا في شك مقلق .

(٥) فاصدع بأمرك ، وادع للدين ، واستقم على الدعوة ، ولا تتبع أهواءهم ؛ وكلهم في القوة العملية والقوة العملية ، وحججهم لا تقوم ضد الحقائق الثابتة .

(٦) ثم إنه سبحانه أبان أن نظامه كامل والعالم كله موزون منظم ، وهذه الكتب الدينية إنما نزلت لإقامة العدل بين الناس بحسب الظاهر ، فمن كان باطنه غير كامل وهو ظالم فأمامه العدل العام في السموات والأرض يتلقاه يوم القيامة ، وهذا برهان إما خطابي وإما عقلي على اليوم الآخر كما ستراه بعد ، والناس فربقان : في أمر الساعة ، فربق مستهزى بها ، وفربق مصدق خائف . إن الله وسع في ملكه البار والقاجر والصالح والطالح ، فلم يهلك المستهزى ، بل أمهله إلى يوم القيامة . وإن أمر الرزق ليس تابعا للعقائد بل هو تبع للمشيئة والصلحة العلومة عنده تعالى . وأمر الآخرة يرجع إلى إرادة الإنسان نفسه . فمن جعل همه العاجلة نالها لا غير . ومن جعل همه الآجلة أعطى التعمتين . وذلك على حسب النظام العام . والعدل أن لا يعطى الإنسان إلا على مقدار ما يستحقه وما يقبله استعداده . ولذلك يكون الظالمون يوم القيامة وجلين خائفين من ذنوبهم والصالحون منعمين . وهذه هي البشارة التي بشر الله بها عباده الصالحين . ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لا يسألهم على التبليغ أجرا وإنما يسألهم أن يودوا الله ورسوله في تقربهم إليه بالطاعة والعمل الصالح وذلك ليكونوا في روضات الجنات .

وأما القسم الثاني وهو من قوله تعالى « ولو بسط الله الرزق لعباده » إلى آخر السورة ففيه أن تسخير العباد في جلب الرزق لم يكن عبثا بل هو لتدريبهم على العمل ، ومن فوائد ذلك عدم التكبر والبطر والظلم ولأجل ارتقاء نفوسهم وتدريبهم على الصبر جعلهم بين رجاء وخوف وضيق وسعة ، فلا ينزل الماء عفوا بلا طلب بل يجعل الأرض يابسة ليطلبوا الماء ويشتاقوا إلى المطر ، ثم ينزل ليكون ذلك أدعى للتفكير والتدبر والاستبصار والشكر ، وإذا ركبوا في البحر جرت الرياح جريا غير متصل ليحصل لهم الخوف والرجاء كما حصل في المطر .

على أنه إذا نزل المطر وعم الحصب واستقامت السلامة ، فليس كل هذا له معنى في نفسه إن ذلك متاع الحياة الدنيا ، ولكن الفضائل النفسية والأخلاق والعلوم هي الباقية ؛ فمن تلك الفضائل الشورى بين المسلمين والإحسان ، والجود بالمال على مستحقه ، والعفو عن المذنب ، وأن لا يكون عقابه إلا على قدر ذنبه ، وخير من هذا العفو ، فهو خير وأبقى .

ثم ختم السورة بما يفيد اختصاصه بالملك ، وأنه يفعل ما يشاء على مقتضى حكمة يعلمها ، وأن الناس مختلفون في الذرية من حيث الذكران والإناث والتنعم وعدمه ، وهكذا في القرب منه حتى خص الوحي بفريق مستعد لذلك ومع ذلك فلكلام الله معهم شرائط وأحوال ثلاثة . انتهى إجمال المقال على السورة .

## التفسير اللفظي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حم . عسق ) الحاء والميم يرجعان للحمد كما تقدم في السور السابقة، والحمد يرجع لأمر الدنيا والآخرة فهو متضمن معرفة النعم وذلك يستوجب سائر العلوم، وقد جاء الحمد في السورة السابقة في قوله تعالى « تنزيل من حكيم حميد » وفي هذه السورة في قوله « والملائكة يسبحون بحمد ربهم » والعين في العزيز والعظيم والعلی ، واقاف من قدير في قوله « وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » والسين من الساعة ، فهذه الحروف داخلة فيما تقرر في أول « آل عمران » وغيرها، وتختص بما اختصت به آل حم في أنها حاضرة على الحمد وازدياد العلم والحكمة ، لاسيما بما سيأتي من البرهان على الساعة وقيامها . فإن هذا البرهان عقلي أو إقناعي ترتاح إليه النفوس وتطمئن القلوب كما ستراه لأنه مستمد من علوم الخليفة والنظم الطبيعية . فانه يقرر في النفوس قدرة الله على جمع النفوس البشرية يوم القيامة . وهذا دلالة السين واقاف . أما العين فمرجعا لجلال الله وعظمته وكبريائه وعزته وعلوه فهاهنا محامد وعلوم يراد بها القربى من ذي العزة والعظمة . وبهذه العلوم تعرف البراهين الدالة على عدله وأنه لا يدع أمر العالم سدى بل لا يدع من بعثهم وحسابهم ، وكأن هذه المعاني التي تشير لها هذه الحروف أهم ما في السورة فإن العلوم جميعها وأخصها ما تعلق بالله وباليوم الآخر ليس بعدها مزيد لمستزيد . قال تعالى : ( كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ) أي مثل ما في هذه السورة من المعاني يوحى إليك الله العزيز في ملكه فلا يكلم أحدا إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، ذلك لعلوه وعزته وحكمته ، فلغزته ترفع عن أحوال الحوادث ولحكمته كلمهم على مقدار حالهم . ثم وضع عزته وعلوه فقال ( له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم ) هذه الجمل كلها لتبيان عظمته وعلوه وكبريائه وحكمته ( تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ) أي يتفطرن من علو شأنه وعظمته أي تكاد كل واحدة تنفطر فوق التي تليها من عظمة الله تعالى . ولذلك ترى هذه العوالم التي نعيش فيها واشتقت منها المادة ما هي إلا أثر أي عوالم لا لون لها ولا طعم ولا وزن فهي في الحقيقة عوالم ذائبة منفطرة بل تكاد تكون حركات مضطربات لا مستقر لها ومنها كونت الشمس . فهذه الشمس السارحات في عالم الأثير تكاد تنفطر وذلك من عظمته ، إنه على ، وإنه عظيم ، ولعلوه لا تتناوله الحواس وهكذا المادة التي خلقها هو ودربتها الملائكة لا تصيبها الحواس وإنما الشمس والأقمار والأرضون هي التي تنالها الحواس . وهذه على شفا جرف هار ، فهي أيضا مستعدة للانفطار والانشقاق كما ثبت في علم العصر الحاضر ، فما من كوكب أو شمس أو قمر إلا وهي مستعدة يوما ما لأن ترجع أثيرا ، فهي تكاد ترجع للطبيعة كرة أخرى لأنها مغروسة في العالم الأثيري اللطيف فتكاد ترجع لأصلها ، وإنما الذي يحفظها ويقوم أمرها هم عوالم الملائكة بإذن ربهم وهذا قوله ( والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ) فهم يحافظون على هذه العوالم خيفة أن يتطرق إليها الخلل بنواميس سنها لهم ، ويلهمون الناس ما يحتاجون إليه ، فأمثل للملائكة إلا كمثل الضوء يعطي الحياة بحرارته ويعطي الهدى بنوره ، هكذا هؤلاء الملائكة يحافظون على الشمس والأرضين بقوتهم المستعدة من ربهم ، ويلهمون الخير لمن استعد لذلك . فالشموس التي تراها والأرضون لولا الملائكة لدابت في الأثير والحافظ لها الملائكة . وإنما نبه الناس على ذلك ليفكروا في ذلك ويعلموا أن هذا العالم الذي نعيش فيه كله حياة وحكمة . فعلى الإنسان أن يفكر في أن يكون عضوا نافعا في جسم

هذا العالم السكى حتى يلحق الملائكة الأعلى . فليكن من الصالحين في الأرض على قدر طاقته . ولا جرم أن  
إلهام الملائكة ومحافظتهم على الناس بأمر ربهم مفيدة للناس ، وذلك دلالة على أن الله كثير الغفرة والرحمة  
إذ سخر الملائكة للاستغفار لمن في الأرض فغفر لهم ورحمهم وذلك قوله ( ألا إن الله هو الغفور الرحيم . والذين  
اتخذوا من دونه أولياء ) شركاء ( الله حفيظ عليهم ) رقيب على أعمالهم فيجازيهم ( وما أنت عليهم ) يا محمد  
( بوكيل ) بموكول إليك أمرهم ( وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ) أى مثل المعنى الذى فى الآية التى قبل  
هذه من أن الله رقيب عليهم لا أنت . بل أنت منذر ؛ وقد تكرر فى القرآن فى مواضع كثيرة : أوحينا إليك  
قرآنا عربيا ( لتنذر أم القرى ) أى أهل أم القرى وهى مكة ( ومن حولها ) من العرب ( وتندريوم الجمع ) يوم  
القيامة يجمع الخلائق فيه والأرواح والأشباح والأعمال والعامل ، وقوله ( لا ريب فيه ) جملة اعتراضية وهم  
بعد جمعهم ( فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ) مهتدين أو ضالين ( ولكن  
يدخل من يشاء فى رحمته ) بالهداية ( والظالمون ملهم من ولى ) يدفع عنهم ( ولا نصير ) بمنهم من العذاب  
( أم اتخذوا من دونه أولياء فأنه هو الولى ) هو وليك يا محمد وولى من اتبعك ( وهو يحيى الموتى وهو على كل  
شئ قدير ) وكيف يستحق أحد أن يكون وليا إلا من كان بهذه الصفة ( وما اختلفتم ) أنتم والكفار ( فيه  
من شئ ) من أمر من أمور الدنيا أو الدين ( لحكمه إلى الله ) مفوض إليه ، فهو عيّن الحق فينصره من المبطل  
فيخذه ( ذلكم الله ربى عليه توكلت ) فى مجامع الأمور ( وإليه أنيب ) أرجع فى العضلات ( فاطر السموات  
والأرض ) خبر آخر لتدلكم ( جعل لكم من أنفسكم ) من جنسكم ( أزواجا ) حلائل ( ومن الأنعام أزواجا )  
أصنافا ذكرانا وإناثا ( يذروكم ) يخلقكم أو يكثركم ( فيه ) فى الرحم ( ليس كمثل شئ ) كلمة التشبيه  
كررت لتأكيد نفي التماثل أى ليس مثله شئ . ( وهو السميع ) لسائر السموات ( البصير ) لسائر المبصرات  
( له مقاليد السموات والأرض ) مفاتيح الرزق فيهما ؛ فى السماء بالمطار وفى الأرض بالإنبات ، ولذلك  
أعقبه بقوله ( يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء ، ذلك لأن مفاتيح  
الرزق بيده ( إنه بكل شئ عليم ) من البسط والتضييق ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى  
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ) أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من أرباب  
الشرائع أى الأصل المشترك بينهم وهو المبين بقوله ( أن أقيموا الدين ) الإيمان والطاعة ( ولا تفرقوا فيه )  
ولا تختلفوا فى هذا الأصل ، فأما فروع الشرائع فهى مختلفة ( كبر ) عظم ( على المشركين ما تدعوهم إليه )  
من التوحيد ( الله يجهت إلى من يشاء ) يجتلب إلى الدين ( ويهدى إليه ) بالإرشاد ( من ينيب ) يقبل عليه  
( وما تفرقوا ) أى الأمم السابقة ( إلا من بعد ما جاءهم العلم ) بأن التفرق ضلال ( بغيا بينهم ) عداوة وطلبا  
للدنيا ( ولولا كلمة سبقت من ربك بالإمهال ) إلى أجل مسمى ( هو يوم القيامة ) لفضى بينهم ) باستئصال  
المبطلين ( وإن الدين أورتوا الكتاب من بعدهم ) يعنى أهل الكتاب المشركين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم  
فإن هذين القسمين أوتوا القرآن وشكوا فيه بعد ما تفرق قدماء أهل الكتاب وهم يعلمون أن التفرق ضلال ،  
فقوله ( لئن شك منه ) من الكتاب أى القرآن ( مررب ) مقلق ، أو مدخل فى الريبة ( فلذلك ) فلاجل  
ذلك ( فادع ) إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ( واستقم كما أمرت ) واستقم على الدعوة ( ولا تتبع أهواءهم )  
الباطلة ( وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ) أى جميع الكتب السماوية ( وأمرت لأعدل بينكم ) فى  
الحكم إذا تخصمتم فتحاكمتم إلى ( الله ربنا وربكم ) أى كلنا عبده ( لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ) كقوله  
« لكم دينكم ولى دين » ( لاجحة بيننا وبينكم ) لاختصومة لأن الحق قد ظهر والحجة قائمة عليكم  
( الله يجمع بيننا ) يوم القيامة ( وإليه النصير ) المرجع ( والذين يحاجون فى الله ) يخاصمون فى دينه ( من )

بعد ما استجيب له ) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى الجاهلية ( حجتهم داحضة ) باطلة ( عند ربهم وعليهم غضب ) بكفرهم ( ولهم عذاب شديد ) في الآخرة ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق ) ملتبسا به بعيداً من الباطل ( والميزان ) أي العدل والتسوية وهو النظام العام ، ولا جرم أن الكتب السماوية من نوع الميزان العام والعدل الشامل الذي ظهر في عالنا الأرضي والسموي . ولما كانت الأحكام القضائية لا تعتمد إلا على الظواهر وكان هناك مواطن مجبوءة أرجحت لقيام الساعة حتى يكون الميزان الإنساني تاماً كالميزان العام فكان سائلاً يقول : يارب إنا نرى الناس في الدنيا يفتشون ويكذبون ولا عدل بينهم والقضاء يحكمون بالظاهر ، وأيضاً ربما رأينا الصالح حقيراً أو الشرير عظيماً فآين الميزان في عالنا ؟ فأجاب ( وما يدريك لعل الساعة قريب ) منك أي لعل الساعة قريب وأنت لا تدري ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ) استهزاء ( والذين آمنوا مشفقون منها ) خائفون منها ( ويعلمون أنها الحق ) الكائن لا محالة ( ألا إن الذين يمارون في الساعة ) يجادلون فيها ( لفي ضلال بعيد ) عن الحق ( الله لطيف بعباده ) في إيصال المنافع وصراف البلاء من وجه بلطف إدراكه ( يرزق من يشاء ) يوسع رزق من يشاء إذا علم مصلحته ، وفي الحديث : « إن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك ثم قال ( وهو القوى العزيز ) الباهر القدرة المنيع الذي لا يغلب ( من كان يريد حرث الآخرة ) أي كسب الآخرة ، أي من كان يريد بعمله الآخرة ( نزل له في حرثه ) بالتضعيف ( ومن كان يريد حرث الدنيا ) أي يريد بعمله الدنيا مؤثراً لها على الآخرة ، سمي ما يعمله العامل مما يتغنى به الفائدة حرثاً مجازاً ( نؤته منها ) شيئاً ( وماله في الآخرة من نصيب ) إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ( أم لهم شركاء ) أي بل لهم شركاء ( شرعوا لهم ) بالزينة ( من الدين ما لم يأذن به الله ) أي لم يأمر به ( ولولا كلمة الفصل ) القضاء السابق بتأجيل الجزاء ( لقضى بينهم ) بين الكافرين والمؤمنين ( وإن الظالمين لهم عذاب أليم ) أي وإن للشركيين لهم عذاب أليم في الآخرة وإن لم يعذبوا في الدنيا ( ترى الظالمين ) المشركين ( مشفقين ) خائفين ( مما كسبوا ) من جزاء كفرهم ( وهو واقع بهم ) نازل بهم لا محالة ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات ) والروضة أطيب بقعة في الجنة وأزهرها ( لهم ما يشاءون عند ربهم ) أي ما يشتهون ثابت لهم عند ربهم ( ذلك هو الفضل الكبير ) على العمل القليل ( ذلك ) الفضل الكبير ( الذي يبشر الله ) به ( عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه ) على التبليغ ( أجرأ ) نعماً منكم ( إلا المودة في القربى ) أي لكن أسألكم التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح وهذا قول الحسن ويدخل فيه مودة النبي صلى الله عليه وسلم ومودة قرابته ومودة القرابة من المسلمين ، فمن تقرب إلى الله أحب رسوله وأكرم قرابة الرسول وقرابته هو من المسلمين ، وهكذا يكرم أبويه إذا كانا كافرين ، فهذا القول يجمع سائر الأقوال ، ومن إكرام قرابته صلى الله عليه وسلم تعليمهم إذا جهلوا ، وتذكيرهم إذا غفلوا . وأما إكرامهم بمعنى التعظيم وحده فهو قصور معيب وجهل بديننا القويم ( ومن يقترف حسنة ) ومن يكتسب طاعة ، سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم ( نزل له فيها حسناً ) أي في الحسنات بمضاعفة الثواب ( إن الله غفور شكور . أم يقولون ) بل يقولون ( افترى على الله كذباً ) افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن ( فإن يشأ الله نخم على قلبك ) أي إن يشأ الله خذلناك نخم على قلبك لتجترى بالافتراء عليه . ثم استأنف فقال ( ويح الله الباطل ) حذف الواو من يحو خطأ ولفظاً وهي مثبتة في مصحف نافع ، فهو فعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو ( ويحق الحق بكلماته ) أي بما أنزل من كتابه على لسان نبيه . وهذا وعد قد تحقق . فهو محابطهم وأثبت حق الإسلام . وأيضاً لو كان ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم مفترى لحقه الله جرياً على

عادته أنه يحو كل باطل ( إنه عليم بذات الصدور ) فهو يعلم للبطل والمحق فيعامل كلاهما هو أهل له ( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ) بالتجاوز عما تابوا عنه . والتوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب وأن لا يجد حلالة الذنب في القلب عند ذكره ( ويعفو عن السيئات ) وهي مادون الشرك ، فهو يعفو عن من شاء بلا توبة ( ويعلم ما يفعلون ) من التوبة والعصية ( ويستحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ) إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم ( والسكافرون لهم عذاب شديد ) في الآخرة ( ولو بسط الله الرزق لعباده ) أي لو أغناهم جميعاً ( لبغوا في الأرض ) أي لبغى هذا على ذلك . وذلك على هذا . فالغنى يبطر أو يتكبر ( ولكن ينزل بقدر ) بتقدير ( ما يشاء ) ما اقتضته مشيئته ( إنه بعباده خبير بصير ) يعلم خفايا أمرهم وظواهر حالهم فيعطى كلا ما يناسبه ( وهو الذي ينزل الغيث ) المطر الذي يغيثهم من الجذب ( من بعد ما قنطوا ) أي سوا ( وينشر رحمته ) في كل شيء من مخلوقاته ( وهو الولي ) الذي يتولى عباده بإحسانه ونشر رحمته ( الحميد ) المستحق للحمد على ذلك ( ومن آياته خلق السموات والأرض ) مع عظمهما ( وما بث فيها من دابة ) أي وما فرق من الدواب في الأرض وحدها والتعبير بهذا كالتعبير في قوله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » مع أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من البحر الملح كما يقال بنو نعيم فيهم شاعر مجيد وإنما هو في أخذ من أخذهم . هذا إذا وقفنا عند النظر السطحي . فأما إذا فكرنا فإننا نجد هناك من العوالم ما تستحق أرضنا بالنسبة له . ولقد بطن علماء الهيئة الآن أن أقل عدد يظن من الأرضيين لا يتقص عن ثلثائة ألف ألف أرض فيها سكان قياساً على أرضنا التي نحن عليها ، هذا ما يقوله علماء الفلك فأما علماء الأرواح فإنهم لما استنطقوها قالت : « إن هناك عوالم في هذا السكون مسكونة تستحق أرضكم بالنسبة لها ، وما أنتم بالنسبة لهم إلا كالمثل بالنسبة لكم » .

وهالك جملة من كلام روح غاليلى لما استحضروها قال : « إن الملايين من الشموس المؤلفة منها مجرتكم يحيط بأكثرها سيارات وعوالم تستمد منها النور والحياة ، فمنها ما يماثل نجم ( سيروس ) الذي يربو حجمه وبقاؤه على شمكم ألوفا من المرار والسيارات المحيطة به تفوق سيارات الشمس كبرا وسناء ، ومنها شموس مثناة : أي نجوم توائم مختلف وظائفها الفلكية عن وظائف شمكم ، ففي السيارات المحيطة بتلك الشموس المثناة لاتعد السنين والأيام كما في أرضكم ، وأحوال الحياة فيها يتعذر عليكم تصورها ، ومن الشموس مالا سيارات لها إنما أحوال سكانها خير الأحوال » انتهى المقصود منه .

فما هو ذا ( غاليلى ) لما استحضروا روحه أفادنا أن من السيارات ما هو خير من أرضنا كما أن شمسنا أحسن من شمسنا ، ومن السيارات ما يسكن نفسه وتكون السكنى فيه والحياة خير آمن سواء . وأن السيارات التي تتبع الشموس التوائم تكون الحياة فيها كأنها جنة بالنسبة لأرضنا . وعلى ذلك أصبح ما كان عند الفلكيين ظاهراً عند علماء الأرواح يقينا ؛ وإذن يكون هذا تفسيراً للقرآن [ وبعبارة أخرى ] هذا هو سر القرآن إذ يقول الله تعالى « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » في السورة السابقة . وأي آيات أبداع من هذه . يقول الله « وما بث فيها من دابة » ويقول العلم الحديث ظاهراً وإقناعاً أخرى ؛ إن أرضنا لا قيمة لها والحياة فيها حقيرة . والحياة هناك أجمل وسعادتها أتم ، بل جاء في مقال هذه الروح أيضاً أن هناك عوالم أقل من أرضنا استعداداً وأهلها أكثر شقاء من أهل الأرض ، إن ذلك معجزات القرآن قد أرانا الله آياته في الأنفس والآفاق ، والمسلمون مقصرون في البحث والعلم والتفكير . فليجدوا في علوم الفلك والطبيعة والأرواح ، وقوله تعالى ( وهو على جميعهم إذا يشاء قدير ) أي في أي وقت يشاء متمكن منه . ثم إن قولنا في هذا اللقمة إن اللؤلؤ لا يخرج إلا من البحر الملح كذب العلم الحديث أيضاً فسيأتي في سورة [ الرحمن ]



أن الماء العذب يخرج منه اللؤلؤ . فهذه معجزة ثمانية للقرآن ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم )  
 المراد بالمصائب الأحوال السكروهة من الأوجاع والأسقام والقحط والغلاء والعرق والصواعق ، والذي كسبته  
 أيدينا هي الذنوب والمعاصي ( ويعفو عن كثير ) من الذنوب فلا يعاقب عليها . وهذه الآية في المجرمين .  
 أما غيرهم فإن مصائبهم لرفع درجاتهم بالأجر لصبرهم عليها . وفي رواية عن ابن عباس : « أنه ما من خدش  
 عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » . وروى عن علي كرم الله وجهه « ألا  
 أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم  
 ويعفو عن كثير . وسأفسرها لكم يا علي : ما أصابكم من مصيبة أي مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت  
 أيديكم والله أكرم من أن ينفي ( بتشديد النون ) عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فإله أحلم من  
 أن يعود بعد عفوه » ، وروى عن غيره ما يفيد أن المصائب إما لرفع درجة أو لمغفرة ذنب . هذا ما يخص  
 ما عليه جمهور أمتنا الإسلامية . وقالت طائفة تميل إلى التناسخ . [ لو لم يكن للأطفال حال كانوا عليها قبل  
 هذه الحالة ماتلوا ] . وأجاب العلماء بأن الآية مخصوصة بالمكافئين كما هو السياق . وإذا أردت تحقيق  
 اللقاع عقليا فارجع إلى ما في هذا التفسير في [ سورة البقرة ] عند قوله تعالى « وبشر الصابرين » الخ فإنك  
 ستري كيف كان القرآن معجزا . وكيف كان الفيلسوف قابس ألف كتابا على هذا المعنى يسمى [ لغز قابس ]  
 وأما اللثام عن هذا اللقاع . هناك تعرف سر القرآن وأن العلوم كلها له برهان . فوالله ما قات لك هذا  
 وأنا من المتكفين وإنما أنا من اللوقنين . وإلا فكيف تتحد العلوم الفلسفية والآيات القرآنية . وكيف  
 يقول قابس في رسالته التي ترجمت إلى جميع لغات أوروبا إنه لا ينال السعادة في هذه الدنيا إلا الذين عرّكهم  
 الدهر وطحنهم بكلسكه ومرنهم على تحمل المصائب وأذاقهم العذاب الهون حتى صقلهم بصقاله وآذاهم ببناله  
 وقتلهم بسيوف رجاله وحوط بساحاتهم ونزل بديارهم وأجلب عليهم غيظه ورجله وشاركهم في الأموال والأولاد  
 ولم يعبأ بالعلوم وفهمها ولا بالآداب ودرسها ولا بالنعم وحوزها ولا بالأموال وكثرها . وجعل ذلك كله  
 يصيب البار والفاجر والعالم والجاهل كالليل والنهار والحرب والبرد والحسن والقبح فأى علاقة لسعادة الإنسان  
 بما يعتره من الأحوال أنه لا سعادة له كاملة إلا بأن تصقله المصائب صقلا وتنزل عليه تفصيلا وجلا حتى يتكامل عقله  
 ويكظم غيظه ويتم احتماله ويظهر جماله بهذا يظهر جمال القرآن ويعرف الناس سر الفرقان ، ولكن بعد أن تدرس  
 ما كتب في سورة [ البقرة ] وكأن الإنسان خلق وفيه نقص كثير يطبعه ، وهذا النقص لا يذهب إلا بأعمال  
 شريفة وعلوم منيفة ومصائب تساعد على ارتقائه . فالكسب ربما كان لما هو أعم مما جبل عليه الإنسان  
 من النقص وما فعله بيده من الذنوب « والله هو الولي الحميد » ثم قال تعالى ( وما أنتم بمعجزين في الأرض )  
 أي فائتين ما قضى عليكم من المصائب ( وما لكم من دون الله من ولي ) يحرسكم منها ( ولا نصير ) يدفعها  
 عنكم ( ومن آياته الجوار ) السفن الجارية ( في البحر كالأعلام ) كالجبال ( إن يشأ يسكن الريح ) التي  
 تجرى بها السفن ( فيظللن رواكد على ظهره ) أي فيبقيهن نوابت على ظهر البحر ( إن في ذلك لآيات لكل  
 صبار شكور ) لكل مؤمن كامل صبر على المصائب وشكر على النعم وحسب نفسه على النظر في آيات الله  
 والنفسر في آلائه الذي هو نوع من السكر ( أو يوبقهن ) أي أو يهلك أهلهن ( بما كسبوا ) من الذنوب  
 بإرسال الريح العاصفة المفرقة ، والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو يعصفها فيعرقن بعصفها ( ويعف عن  
 كثير ) من الذنوب فلا يجازى عليها أي إن يشأ يهلك قوما ويذبح آخرين على طريق العفو عنهم ، وإنما يوبق  
 من يوبقهم بما كسبوا لينتقم منهم ( ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ) في إبطالها ( ما لهم من محيص ) مهرب من  
 العذاب ( فما أوتيتهم من شيء ) من زينة الدنيا ( فتتاع الحياة الدنيا ) أي ليس هو من زاد المعاد ( وما عند الله

من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وحينئذ يكون المؤمن والكافر مستويين في متاع الحياة الدنيا فإذا صار إلى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الإثم كالقتل والزنا والسرقة والفواحش) ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أي يكظمون الغيظ ويغلمون (والذين استجابوا لربهم) أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه من الطاعة (وأقاموا الصلاة) المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي أشدة يتقظهم وحذرهم ، يقال « ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم » (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (والذين إذا أصابهم البغي) الظلم والعدوان (هم ينتصرون) ينتقمون من ظالمهم من غير تعد . قال النخعي كانوا يكرهون أن يذلو أنفسهم فإذا قدروا عفوا . فالؤمنون إذن قسمان : قسم ينفون فبدأ بذكرهم وهو قوله « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » . وقسم ينتصرون من الظالم وهو المذكور في هذه الآية . ثم لحصصها فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الثانية سيئة للازدواج (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وفي هذا تعظيم للموعود به (إنه لا يحب الظالمين) المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) بعد ما ظلم (فأولئك ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة والعاقبة (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) ينتدثون بهم بالإضرار (ويغفون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) على ظلمهم (ولمن صبر) أي لم ينتقم (وغفر) تجاوز عن ظلمه (إن ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) أي مما ينبغي أن يوجه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه ، وحذف الضمير الراجع لأنه مفهوم أي إن ذلك منه الخ . واعلم أن هذه الآيات كلها لإيضاح المقام وتبيينه ، ففيها ذم الظلم بالابتداء أو مجاوزة الحد ، وفيها أنه لا عتاب على من عاقب بمثل ما عوقب به ، وفيها إعظام أمر العفو ، فهنا ظلم وانتصار وعفو (ومن يضل الله فماله من ولي من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون هل إلى مرد من سبيل) أي إنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) على النار (خاشعين من الذل) متذللين خاضعين (ينظرون من طرف خفي) يسارقون النظر إلى النار خوفا منها واذلة (وقال الذين آمنوا إن الحاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بتعرضهم للعذاب المخلد (يوم القيامة) ظرف خسروا (ألا إن الظالمين في عذاب مقيم . وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فماله من سبيل) أي وصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقب (استجيبوا للربكم) أي أجبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) لا يردده الله بعد ما حكم به (مالكم من ملجأ) مفر (يومئذ وما لكم من نكير) إنكار لما اقترتموه لأنه مكتوب في صحائفكم وتشهد به ألسنتكم وجوارحكم (فإن عرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيقا أو محاسبا (إن عليك إلا البلاغ) ليس عليك إلا البلاغ . وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) كالغنى والصحة (فرح بها وإن تصبهم سيئة) قحط أو مرض (فإن الإنسان كفور) نعم الله المترادفة عليه كأنه يقول : إن هذا الجنس موسوم بكفران النعم أي إنه إذا مسه الشر يكون جزوا كما إذا مسه الخير فإنه يكون منوعا . ولكن تهذيب نفسه بالعلم والدين يجعله محتلا صابرا . ومن تأمل النفوس الإنسانية وجدها كالمجولة على اليأس ونكران النعمة وقت هجوم المصائب ، ولا يخرج الناس من هذا المأزق إلا الدين والعلم والصبر ، وما ابتلى به الناس فيجعلهم يكفرون النعم أمر الذرية ، فيقول من لا ولد له ياليت لي ولدا ، ويقول من رزق بنات ياليتي أعطيت ذكرا ، ومن عنده ذكور يقول ياليت لي من البنات ولو واحدة ومن عنده القسمان ربما اعتراه أحد أمرين ؛ إما الإعجاب والطفيان ، وإما كفر النعمة من الفقر والنصب في تغذيتهم وتربيتهم ، فليعلم الناس أن ذلك منهم رعوثة ، فليرض كل بما قسم له فإنهم إنما

خلقوا في الأرض ليتعلموا الصبر والقناعة ، وهم لا يطيطرون إلى العالم الأعلى إلا بقواهم النفسية ، فلا ذكر ولا أنثى عند الموت ولا مال ولا جند ولا أعوان ، إن الله رب الجميع وهو مالك السموات والأرض ويعلم المصاحبة ويعطي زيدا مامنع عمرا لحكمة أرادها ، ويغص كلا بمنزلة ، فيعطي من لا ولد له منزلة أخرى ، ويعرم من له ولد من بعض الزايات وهكذا (لله ملك السموات والأرض) فله أن يقسم النعم والنقم كيف يشاء (يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور) فلا يولد للأول ذكر ولا للثاني أنثى (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) ليجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث (ويجعل من يشاء عقيبا) فلا يولد له ولد (إنه عالم) بما يخلق (قدير) على ما يريد أن يخلق فيفعل ما يفعل بحكمة وعلم ، هذا في تقسيم النعم البدنية . وأعقبها بتقسيم النعم العقلية وأفاد أنها أيضا على مقتضى الحكمة ولا اعتراض على القسمة فيها . فالناس محجوبون عن ربهم لأنهم في عالم المادة وهو منزله . ولكن منهم من رق حجابها وخلصت نفسه .

(١) فيحس بمعاني تلقى في قلبه وهو معنى النفث في الروع كما روى (نفث في روعي) أو يرى رؤيا منامية كرؤيا الخليل عليه السلام بديع ولده .

(٢) أو يسمع كلاما من وراء حجاب كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه . فالعبد هنا سمع كلاما ولم ير المتكلم .

(٣) أو يرسل الله ملكا فيوحى للملك إلى النبي بإذن الله ما يشاء . ومن النوع الأول نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدائها فإنها كانت في المنام ستة أشهر ؛ ومن الثالث ما بعد ذلك ، فقد كان جبريل ينزل عليه بالوحي . وأما الثاني فهو ما حصل لموسى عليه السلام . وهذا قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) أي وما صح أن يكلم الله أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا . وقوله (إنه على) أي عن صفات المخلوقين (حكيم) يفعل ما تقتضيه الحكمة (وكذلك) وكأوحينا إلى سائر الرسل (أوحينا إليك روحا من أمرنا) نبوة أو قرآنا فهو به حياة الأرواح (ما كنت تدري) قبل الوحي (ما الكتاب) أي القرآن (ولا الإيمان) أي شرايته (ولكن جعلناه نورا) أي جعلنا القرآن أو الإيمان نورا (نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي) أي لندعو (إلى صراط مستقيم) دين الإسلام (صراط الله) دين الله الذي شرعه لعباده (الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) أي أمور الخلائق فيضع كلا في درجته من جحيم ونعيم . انتهى التفسير اللفظي للسورة كلها .

### لطائف هذه السورة

(١) في قوله تعالى «تسكاد السموات يتقطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض» .

(٢) وفي قوله «جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا» مع قوله «يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور» الخ وقوله «ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير» .

(٣) وفي قوله «الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان» الخ .

(٤) وفي قوله «الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز» .

(٥) وفي قوله «وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون» .

(٦) وفي قوله «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا» الخ .

(٧) وفي قوله «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» .

### اللطيفة الأولى والسادسة

( ١ ) في قوله « تسكاد السموات بتفطرن من فوقهن » الخ .

( ٢ ) وفي قوله « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً » الخ .

أقد جاء في هذه الآية الثانية وجه آخر غير ما تقدم فيقال : لا يكلم الله البشر إلا بأحد طرق ثلاث : إما أن يوحى إلى الأنبياء بالملائكة ، وإما أن يكلم الأمم بواسطة هؤلاء الأنبياء الذين تلقوا عن الملائكة ، وإما بأن يكلم الأنبياء من غير أن يروه كسأله موسى عليه السلام : وإذن نشرح في عجائب هاتين الآيتين فنقول :

اعلم أن الله عز وجل جعل العالم المادى والعالم الروحى بينهما تشابه كما قال تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » وقال « ووضعت الميزان . ألا تظنوا في الميزان » فالعالم الروحى والعالم الجسمى مختلفان جوهرًا ويتحدان في النظام العام . فانظر أولاً في هذا العالم الشاهد ، وتأمل تجد الناس يعيشون في وسط الأنوار فأما الظلمات فهي قليلة . إن الشمس لا تسكاد تعد ولا تعصى ، فأما السيارات حولها فهي مستضيئة بها . وكذلك التوابيع : فأرضنا وقرنا يستضيئان بنور الشمس . وكذلك السيارات . ويظن أن للشموس سيارات ولكن لا يستضىء منها إلا ما كان جسمه معتماً كالأرض أي برد سطحه وصار مثلها . وجميع الأقسام تنقسم إلى ثلاثة أقسام : أجسام مضيئة كالشموس التي هي هذا العالم كله ، حتى إن أرضنا كوكب مضمء لولا قشرتها ، فأما باطنها فإنه نار على حاله ، فأكثر أجسام عالمنا مضيئة ، والنادر جدا ما لا ضوء له وهي أمثال قشرة أرضنا الصغيرة ، وأجسام معتمة كسطح الأرض والقمر والنبات والحيوان والأحجار ، وأجسام شفافة كالهواء . فأول يفيض النور ، والثاني يستضىء ، والثالث يقبله ولا يحجبه عن العتم . والأجسام المعتم منها ما هو صقيل كسطح المرآة فإنه يقبل النور ويحجبه عما وراءه ولكنه يعكسه على ما أمامه . هذا هو العالم للشاهد وأقسامه ، فلتنظره نجد أن الشمس تفيض النور والهواء شفاف منفصل وجرم العين شفاف متصل بالأجسام فلتنظر في عالم العقل والروح نجد أن في العالم الإنسانى من يقبلون العلم بالتعليم وهم جمهور الأمم ، فهم في قبولهم العلم أشبه بهم حين يقبلون الصور التي وردت من طريق العين الواردة من الخارج ، ونجد الأنبياء والعلماء فيهم أشبه بالعيون المركبة فيهم ، فكما قبلت العيون الصور بسبب ضوء الشمس وأدتها إلى النفوس هكذا قبل الأنبياء وهم عيون الأمم العلوم ووصلوها إلى أممهم . فإذا تبين لنا أن العالم للشاهد أوضح لنا ست مسائل من ثمانية ، وإيضاحه أننا نقول : في العالم الروحى نفس متعلمة وأنبياء معلمون وملائكة موصولون والله مبدأ الفيض ، فنحن لا نعلم من هذه الأربعة إلا اثنين : نعلم النفس المتعلمة ، والنفس المعلمة ؛ ولكن الإثنين الباقيان محجوبان عنا ، وهما الله والملك ، فأرانا الله هذه الأقسام الأربعة في العالم المادى وقال : انظروا تجدوها واضحة ، أجسام مظلمة تستضىء ، وأجسام شفافة متصلة تقبل ، وأجسام شفافة منفصلة ، وأجسام مضيئة للنور . فهذه القسمة تامة في العالم المادى وقد رأيت اثنين في العالم الروحى ، فبطريق الإفتاح تعرفون أن هناك ملكاً ووراء الملك إله كما كان وراء العين هواء ووراء الهواء شمس ، وهذا لمن لم يقرأ علم الأرواح . فأنه تعالى هو العلم وهو الذى يكلم الناس بالملك وبالأنبياء كما أن الشمس تضيء على الأرض وتوضح لنا الصور بطريق الهواء الشفاف وبطريق العيون والفضل كله راجع للشمس ، هكذا العلوم الدينية والعلمية والصناعية ، وجميع ما فى الأرض من علم مكمل لأهلها مصدره الله تعالى ، غاية الأمر أنه تارة يكون بوسط

للجمهور وبغير وسط للنفوس الشريفة . وهذا بوضع لنا قول عدائنا : [ إن الله عميم الجود ليس يمنع له  
عن أحد ، ولكن الفيض يكون على مقدار الاستعداد ] .

فإذا سمعنا أن زيدا قد ألهم العلم ونشر الحكمة ، فلنعلم أن في نفسه صفاء استعداد به أن يتقبل الحكمة  
العامة المغروسة في قلوب نفوس الأرواح الحائمة حولنا وهي مستمدة من الله كاستمداد الهواء النور من الشمس ،  
وإذا سمعنا أن عمراً اتبع هواه وأغراه الشيطان فلنعلم أن النفوس التي ألهمته منحرفة وهو يشابهها في  
الانحراف كما نرى الزجاج الملون تلون الماء الذي وراءها فنراه أصفر أو أخضر أو أحمر تبعاً لها مع أن  
النور عام والناس مطلعون عليه ولكن لا قدرة لهم على تغيير الطباع ، فالأرواح الشريفة يرون الشياطين  
أمامهم أشبه بذلك الزجاج الملون ، ويرون الأحياء الذين يشاكلونهم مغرمين بأرائهم عاكفين  
على الإساءة إليهم .

هذه مجامع الحكمة في هذه الآيات . إذا عرفت ما ذكرته لك . فانظر في هذه الآيات . ذكر الله السموات  
والأرض وأن عظمة الله تكاد تنفطر فيها السموات . ثم أتبعه بذكر الملائكة مشيراً إلى ما ذكرنا كأنه يقول  
انظروا إلى السموات والأرض وإلى عظمي فهما فإنكم ترون الظلمات والأنوار الخ فانظروا إلى الملائكة  
إنهم يسبحون ويحمدون . فهم يعرفون جلال الله وإكرامه أي صفات التقديس وصفات الإكرام فهم يعرفون  
بعده عن مشابهة المخلوقات ويقدمونه تقدساً ويقرون عجائب صنعه وحكمته وقدرته المعبر عنها بالحمد . فهم  
يعرفون أن ذاته كاملة نقيض الخير . فقدم التسبيح لأنه يرجع لسكالات الذات وأخر الحمد لأنه يرجع لتكميل  
الغير وإفاضة النور فالمقدس ذات منزهة كاملة ، والمقدس المأمود ذات كاملة مفيضة الخير والكمال على غيرها  
وبهذه العلوم والمعارف كانت الملائكة أرقى من أهل الأرض لأن أرواحهم لعلقت فلم تلامس هذه المادة ولا  
تعيش فيها فأصبحت كالهواء من حيث قبول النور العلمي وإفاضته ، وليس يمنع الناس عن ذلك السكالات إلا  
الجهل كما قال سقراط : [ الناس لا يعذبون إلا لجهلهم ، ولولا سعة علم الملائكة ما ارتفعوا عن السادة وما  
كانوا مسيطرين عليها ، وعلى مقدار جهل الإنسان يكون بعيداً عن العالم الروحي ] .

فهذا ملخص ما يفيد قوله « يسبحون بحمد ربهم » . وأما قوله « ويستغفرون لمن في الأرض »  
فهو إفاضة الخير ، فهم من حيث التقديس والتحميد يفاض عليهم من الله ، ومن حيث الاستغفار مفيضون  
الخير على الناس . ولما كان الإنسان لا يقدر أن يرى النور إلا بآلة متصلة به وهي العين هكذا لا يقدر الجمهور  
من الناس أن يدركوا العلم إلا بنفس تكون منهم تشبه العين في جسم الإنسان ، فهي تتصل بالملائكة من  
وجه وتتصل بالناس من وجه آخر ، أي أن الأنبياء بروحانياتهم متصلون بالملائكة وبماديتهم يتصلون بالناس  
كما اتصلت العين بالضوء من جهة الهواء واتصلت بالمخ من الداخل واتجهت الصور منها إلى النفس فأدركتها  
فهى قابلة موصلة والأنبياء قابلون موصولون ، فآله كالم الأنبياء بالملائكة وكالمنا بالأنبياء ، ويشير إلى هذا  
المقام أيضاً ما جاء في [ سورة النبأ ] « رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً .  
يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » .

وبهذا نفهم الآيتين في أول السورة وآخرها ، وهذا المقام من عجائب العلم والحكمة ، إن الناس يرون  
هذا كله بأعينهم الجهال والعلماء ، ولكن لا يدركه إلا من افتتحت بصيرته إليه . انتهى الكلام على اللطيفة  
الأولى والسادسة .

### اللطيفة الثانية والرابعة

(١) في السلام على التناسل واختلاف الكور والإناث في الحيوان والإنسان .

(٢) ولطف الله في تغذيته .

فمن الثاني ماجاء في كتابي [جواهر العلوم] في صحيفة ٩١ وبعدها وهذا نصه :

فقال إبراهيم : اعلمى نورك الله بنور العلم أن الخالق جل اسمه جعل تركيب الأسماك مناسبة للمعيشة في الماء كما جعل للطيور أجنحة تساعدها على الطيران في الهواء . فقالت : وكيف ذلك ؟ فقال : إن الأسماك تحتاج في تصرفها في معاشها وتقلبها في أطوارها إلى أن تعوم في الماء من جهة إلى أخرى أو تنخفض تارة وترتفع أخرى أو تتجه يمينا ويسارا لتبحث عن غذائها أو تهرب من عدوها أو تطلب صيدها فجعل الله سبحانه وتعالى لها عوامات كجاذيف السفينة تشاهد في الأسماك في الجوانب وعلى الظهر ومن خلفها وحوصلة تسمى حوصلة العوم، وهي عبارة عن كيس مملوء هواء خالصا تضغطه إذا أرادت أن تغوص في الماء فيصغر حجمها وتمدده إذا أرادت أن تطفو على سطحه فيكبر حجمها وجعل ذنبها مستعدا لأن يديرها يمينا وشمالا في البحر فكما أن السمكة عوامات تخر بها الماء كذلك جعل للسفينة مجاذيف وشرعا تديرها حينما أراد الإنسان وكما أن لها ذنبا يكون مواذنا لجسمها عند الانحراف يمينا وشمالا كذلك جعلت الدفة (السكان) للسفينة حتى يسهل التفاتها يمنا ويسرة، فلو انقطع ذنب السمكة مثلا ما أمكنها أن تنحرف إلى إحدى الجهتين بل تتجه دائما جهة الأمام ولو انعدمت عوامتها التي في جوانبها وعلى ظهرها لوقفت في مكان واحد وتعطت عن اكتساب معيشتها ومن العجيب أن الأسماك جعل شكلها على هيئة تناسب احتراق الماء فلم يجعل رأسها مفرطحة حتى تقاومها الحجج الياه فتعوقها عن السباحة، فما أدق صنعه سبحانه وما أعظم رحمته وكل حي يغدو ويروح في بحار نعمه مشمولاً بسوابغها قال عز وجل « وما كنا عن الخلق غافلين » فمخاطب الكون ظاهرة والناس عنها غافلون بلذاتهم وشهواتهم . قال عليه الصلاة والسلام : « لولا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض » فالإبل مثلا قصرت أذنانها لاستغنائها بطول أعناقها وعكس ذلك في البقر، وكمن حكم ضربنا عن ذكرها صفحا ليراجعها بحب الحكمة في العلوم الطبيعية « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

#### ﴿ فصل : في حكمة خلق الحشرات ﴾

فقلت ياسيدي إنى أعتقد أن كل هذه العوالم مؤسسة على حكم تحارفها العقول ولكن إلى الآن لم أصل إلى حكمة خلق الحشرات من نحو الزنايبير والذباب والبعوض فهل عثرت على ذلك في كتاب؟ قال نعم إن الله عز وجل يخلق الشيء لحكم كثيرة منها ما يعرف ومنها ما لا يعرف . أما هذه الحشرات كالزنايبير والذباب وغيرها فإن حكمها كثيرة؛ منها أن العفونات الفاسدة التي على وجه الأرض لو بقيت لفسد الهواء وجاء الوباء وانتشر الملاك وعم الحراب، خلق الله سبحانه وتعالى تلك الحيوانات منها ليصفو لحمها ولا يعرض لها الفساد الذي هو سبب الوباء وهلاك الحيوان ولذلك تربي الزنايبير والديدان والحنافس في دكان القصاب (الجزار) والذباب<sup>(١)</sup>

(١) الدباب: هو صانع الدبس، وهو ما يسيل من الرطب .

أكثر مما يرى في دكان البراز (القماش) والحداد فاقضت الحكمة الإلهية صرف العفونات إليها ليصفوا الهواء منها ونسلم من الوباء . ومن الحكم العجيبة والأسرار الطبيعية الإلهية أنك ترى أن نحو الحيات والعقارب تسكن عادة وتكثر في الأماكن العتيقة والمحال الفاسدة وهكذا خشاش الأرض من الخنافس والضراير وغيرها ، وتربن (الناموس) لا يتولد إلا في المحال المستنقعة وكذا الذباب يكثر في المحال القذرة وذلك كله لظف من الله بعباده ورحمة بهم فهذه كلها فضلا عن كونها تحيل إلى جسمها المواد الفاسدة وتنقي الهواء فهي من جهة أخرى مؤذية بطبعها ينفر منها الإنسان فتحمله على إزالة ذلك السبب فكان لسان حال الحيات والعقارب يقول إن لم تصلح هذا السكان أو تخرج منه وإلا لدغتك .

ولما كان الهواء الفاسد الحامل للمواد للضرة لا يحس الإنسان بضرره فيحدث الضرر في الأجسام أو يمت الإنسان وهو لا يشعر به جعل الحكيم الخبير تلك الحيوانات وأودع فيها مما يحس بألمه الإنسان فيتنبه فيتخذ الاحتياطات اللازمة للابتعاد عنه وهو مع ذلك لم يقصد منه إلا البعد عن تلك الأماكن العفنة فضلا من الله ونعمة .

وهكذا ترى أن من على وجهه قدر يعلوه الذباب لينقي ما عليه وخلق في الإنسان كراهية طبيعية لذلك حتى يضطر أن يغسل وجهه فيزيل ذلك القدر فكان الذباب شرطي ( جندي ) يلزم أهل القدر ويأمرهم بالنظافة وإلا ضربهم بسوط يؤلمهم وهو الكراهية الشديدة ، فسبحان من أودع في كل صغير وكبير من الحيوانات من الحكم والغرائب ما يحمله أكثر الناس وهو نافع لهم ولذلك ضرب الله بهذه الحيوانات الأمثال حتى قال (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) فأنكره الجاهلون من المشركين فرد عليهم بقوله (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها فأمأ الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ثم بين أن الذين يفهمون ذلك هم العالمون فقال في آية أخرى ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ) فأفاد بهذه الآية أنه لا يفهم تلك الحكم إلا أصحاب النفوس العالية الشريفة الناظرون في ملكوت السموات والأرض الذين عبر عنهم بالعالمون بكسر اللام . هذا ؛ ومن عجيب الحكم أنه عز وجل جعل صغارها مأكولة لكبارها ولولا ذلك لامتلا وجه الأرض منها فليس في ملكه ذرة إلا وفيها من الحكم ما لا يحصى ؛ وأعجب من هذا أن كل ما جعل سببا لهلاك حيوان جعل لحمه سببا لدفع ذلك السم فإن الأطباء الأقدمين قالوا إن في لحم الحيوان قوة دافعة لسمه فأدخلوا اللحم في الترياق والتجربة تشهد أن من لدغته عقرب يلطخ الموضع برطوبة لحمها فيسكن ألمها في الحال ، ثم إن هذا النوع من الحيوانات يختلف حالها عند الشتاء فمنها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ؛ ومنها ما يكمن فيه ولا يأكل شيئا كالحيات والعقارب ، ومنها ما يدخر ما يكفيه لشتائها كالنحل والنمل ، فتأمل تلك الأفعال العجيبة واعلم أن هذا العالم كله حكم ومصالح (وما يعقلها إلا العالمون) فربما ظهر للخاصة من حكمه ما لا يظهر للعامة وظهر للخاصة الخاصة ما لا يظهر للخاصة فإن من رأى تلك الحشرات الصغيرة لم يدرك في خلقه أن لها بعض تلك النافع والحكم من تلقيح الأشجار وإسقاء الجو من العفونات فهي من العينات على ما كنا وبقاء حياتنا ، وإن من أجل الحكم والطفها وأدقها أكل الحيوانات بعضها بعضا فكم في الجبال والأودية والسهول والقفار من حيوانات لو بقيت جثتها لفسد الهواء ثم هبت الرياح إلى ما جاورها من البلاد وعم الحراب ولذلك قال الشيخ كمال الدين الدميري في [ حياة الحيوان الكبرى ] إن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد

فياً كلة والجراد يلمس فراخ الزنابير فياً كلاًها، والزنبور يصيد النحلة فياً كلاًها والنحلة تصيد الذبابة فناً كلاًها والذبابة تصيد البعوضة فناً كلاًها اه على أن في ذلك فضلا عن تصفية الجو تغذية الحيوانات وعدم ضياع ذلك الجسم سدى بلا فائدة فلو ترك بلا أكل لتعطلت حكمته إذ ليس في الملك ما تضيع حكمته ألبتة ففيه دفع مضار وجلب منافع اه .

ومن الأول ما جاء في كتاب جواهر العلوم أيضا وهذا نصه :

« ومن عجيب صنائعه كفيات التناسل التي ليست على نمط واحد ، فإن من الحيوانات ما يتم جنينه في داخل جسده ثم يلد كالحوانات اللبونية ، ومنها ما يخرج بيوضها منها ثم يتخلق الجنين فيها مهيئاً له داخلها جميع ما يلزم من الغذاء وذلك كالطير وبعض الحيات ومن ذلك كفيات الإلقاح وتغذية الجنين فإنها كفيات متباينة تؤدي إلى مقصود واحد فبعض الحيوان لا يتم تلقيح ذكره إلا إذا وصل للثى في باطن الأنثى ولو تعرض للهواء لفسد كالإنسان وكثير من الحيوان ومنه ما يلقى منه على بيض أثناءه بعد خروجه منها فلا يفسده الهواء ، ومنه ما سفاده في وقت معين ، ومنه ما لا يعين لوقته ، ومنه ما يعلو أثناءه عند السفاد ، ومنه ما يديرها ومنه ما يلصق جنبه بجانبها ويحماها حتى تلقى بيضها وهو يلقى منه على تلك البيوض فيلحقها وذلك كبيض الأسماك ومنها ما يغذى صغاره بلبن أعده الخالق الحكيم الرحمن الرحيم في ثدييه أو أئذيته التي تكون على عدد أولاده في الغالب ، ومنه ما يزرق أولاده زقا كالحمام ، ومنه ما يسمى بأولاده ويبدلها على أفتاتها كالذجاج ؛ ومنه ما يشترك في تربية أولاده الذكر والأنثى وذلك عندما تكون أولاده غير قادرة على السعى من أول ولادتها وذلك كالعصافير والحمام والإنسان لأن انفراد الواحد بالتربية مع سعيه على رزقه أيضا يكلفه فوق طاقته ، ومنه ما تنفرد أثناءه بالتربية وذلك عندما تكون أولاده قادرة على السعى وذلك كالذجاج والحجل فإذا تأمل العاقل في هذه العوالم وجدها تسعى لمقصود واحد خاضعة لإرادته متجهة لنظام السكون متعاونة على إكاله ، فالعلويات والسفليات مرتبطة ارتباطا تاما بقواتين الجذب العام والناقل وعقول بني آدم وإدراك الحيوانات وما بينها من المحبة والألفة والشوق فالجذب العام كحبة عمومية بين جميع أجزاء العلويات والسفليات وحب الحيوانات لبعضها وشوقها روابط جزئية بين أجزاء صغيرة من هذا السكون فكل ما تراه في الحقيقة إنما يسعى للنظام التام وهو يظن أنه يسعى لمصاحته الخاصة ، انتهى ما أردته من كتابي جواهر العلوم .

### اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى « الله ألدى أنزل الكتاب بالحق والميزان » الخ<sup>(١)</sup>

اعلم أن هذه الآية قد كنت رأيت في المنام منذ نحو ٢٧ سنة حينما كنت أؤلف كتاب جواهر العلوم وأنا مقیم بالجيزة أن قائلا قرأ هذه الآية أمامي ؛ وألقى في نفسي أن معناها ما تقدم من أن النظام تام في هذه الدنيا ، وأن الأحكام الشرعية والقضاء تكون على حسب الظاهر ولم يبق إلا الباطن فيرجع إلى النظام العام وهو يكون يوم القيامة ، ولذلك لما استيقظت من النوم كتبته ثم أدرجته في الكتاب ، فأنا اليوم أحمد الله عز وجل إذ حيت على هذه الأرض حتى أتيت لي تفسير القرآن ووصلت إلى نفس الآية ، وأقول الآن إنى لما استيقظت من النوم إذ ذاك وفكرت في الآية ؛ لم أكن لأصدق أن الآية كما رأيت في النوم ؛

(١) سيأتى في اللطائف العامة دلائل بقاء الأرواح ألقاها خطيب مصرى على سبيل الخطابة وهكذا آراء أفلاطون والمؤلف مع بدائع التفسير هناك .



بل ظننت أنها حصل فيها تغيير ، فلما سألت مدرس القرآن بالمدرسة قرأها لي كما رأيت ، ونظرت  
 المصحف فوجدتها كما هي طار فني فرحاً ، وكتبت للمعنى في كتابي « جواهر العلوم » ، وقد  
 كتبت في نفسي ، وما أنا ذا اليوم أكتب لك ما جاء في « جواهر العلوم » وإن لم أذكر فيه من أين جاء  
 وهذا نصه :

### ﴿ الفصل السادس عشر ﴾

في الاستدلال على اليوم الآخر وعلى وجود الله بأدلة عقلية قريية غريبة

ثم قال إبراهيم : قد تسكنا في مجالسنا السابقة على كثير من دلائل قدرة الله عز وجل ، وهي  
 في الحقيقة أدلة عقلية ، فهل عندك من دليل غير ما يذكره في كتب علم الكلام بحيث يكون مقنعا للعقول  
 فأنا كثيرا ما أسمع قولهم في كتب التوحيد إن دليل الآخرة سمعي ، أي إننا نأخذ من الأدلة الشرعية لا من  
 العقل . قالت الفتاة : أنا لا يمكنني أن أقول غير ما سطر في كتب التوحيد . فقال إبراهيم . أنا قد خطر لي  
 دليل لا يفهمه إلا أولو الألباب والراسخون في العلم . فأشرق وجه الفتاة وقالت هات ما عندك :

فقال من نظر بعين البصيرة ، فيما أودع في هذا العالم من الحكم والعدل والقوانين السارية في العلويات  
 والسفليات والحيوانات ولقائتها وإدراكاتها وعقولها حكم بالدهاءة على أنها جارية على نواميس حقة وحساب  
 منظم دقيق لا يأتينا الباطل من بين يديها ولا من خلفها هذه السكواكب والشمس والقمر ساخرة في مداراتها  
 على قوانين لا تقبل التغيير والتبديل ثم لننقل نظرنا إلى السفليات نجدها حذت حذو العلويات في النسق  
 والترتيب والنظام فأى حيوان تمدى طوره وأى نبات تجاوز سنته ثم لتنظر العقول البشرية نجدها مفضورة  
 على حب العدل والنظام وحذت حذو ذلك النظام الأعلى فلا ترى إنسانا على وجه الأرض إلا واستحسن العدل  
 واستقيح الجور ولذلك ترى أرباب القوانين المخترعين لها من نوع الإنسان بل السنتبين لها في الحقيقة من  
 الشرائع الإلهية يبحثون على بواطن القضايا كظواهرها هذه الدول الغربية أماننا كم ينفقون الأموال ويرسلون  
 إلى الجهات المتباعدة من يبحث على الجاني ولو أنفقوا ما أنفقوا وكل ذلك ثيل العقول إلى العدل ، وأن يحازي  
 المحسن بإحسانه والسيء بإساءته ومالنا ولأرباب القوانين والسياسة فلننظر إلى سيد العائلة فانه يعاقب على  
 ذنوب أهل منزله ويحازي كلا بما فعل بل أى إنسان ولو من أضعف الناس عقلا وأقلهم إدراكا . رأى رجلا  
 يضرب آخر فإنه لا يتألك نفسه أن يأخذ بناصر الضعيف « فطرة الله التي فطر الناس عليها » دعينا من الإنسان  
 وانظري الحيوانات فإنه مركوز في جبلتها العدل أيضا لما شوهد كثيرا فيها بل كثيرا ما علم أنها تعاقب بالقتل  
 على التهمة بالزنا وغير ذلك مما هو مشاهد فثبت أن هذه الفطرة منبثة في كل حي على وجه البسيطة بل هي من  
 الموازين التي قامت بها السموات والأرض واستقر بها كل موجود ، ومن المعلوم لسكل من اطالع على علم الهيئة والفلك  
 والنبات والحيوان والإنسان وعلوم الأحكام والمنطق وعلوم الأدب كاللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان  
 والبديع وغيرها أن هذه العلوم كلها قوانين تدلنا على سريان النظام في كل شيء من الموجودات وعلى نهجها  
 وضعت قوانين للجرمين في هذا العالم وتجري على يد الإنسان ولكنها مهما بالغ العقلاء فيها لانحيم لإعلى الظواهر  
 ولا يمكن وصولها إلى الحقائق بوجه ما ، فهي أشبه شيء بالجمال الظاهري فإنه يدل في الغالب على الجمال الباطني ومن  
 غير الغالب قد تختلف القضية فكذلك الأحكام بالقوانين الشرعية أو الوضعية تابعة لأقوال الشهود والقرائن  
 ودلائلها ظاهرية فقط وقد قدمنا أن كل شيء في العالم يسير على نهج الحق والصدق والميزان العدل فلا بد أن  
 يكون لباطن هذه القضايا حاكم يحكم فيها في وقت آخر حتى يكون ميزانها على حسب الموازين الأخرى الصادقة

من العلويات والسفليات وأيضاً قد تقرر أنه لا يضيع شيء سدى في هذا العالم كما هو مقرر في العلوم الطبيعية فلا تضيع حركة ولا حرارة ولا كهربائية قط بل تنقلب الحركة حرارة والكهربائية تكون حرارة ثم ضوء فهكذا تنقلب هذه الأعمال في الآخرة نعيماً أو عذاباً ألياً فتذكروا يا أولى الألباب، فلم تضيع أفعال العباد والذين لم يؤخذ بنصرهم أو الذين أحسنوا في هذه الدنيا ومن تأمل فيما قلناه فهم معنى قول الشاعر :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الشر إبان

وقول الآخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازه لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول الآخر :

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوغيت من زاد

ألا ترى أن زارع الورد لا يجني الشوك وزارع النخل لا يجني الذرة . وعلى هذا القياس تربى النفوس تتأثر بأقوالها التي تصدر منها حسناً وقيحاً فمن أكثر من ذكر شيء أحبه بل خاطر الإنسان يؤثر على أخلاقه شرفاً وضعة فعلنا أن هذه القاعدة مطردة في المحسوسات والعقولات وجميع الموجودات ومن فهم ما قدمنا جزم يقيناً أنه لا بد من يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين حتى يقوم بين الناس بالقسط لما ثبت أن كل هذا العالم قائم بالعدل وبقية أفعال الإنسان لم توزن إلا وزناً ظاهرياً فلا بد من وزن آخر ليكون فصلاً حقاً بيزان عدل لا يخس شعيرة وكيف ينتقم رئيس الأسرة وسيد العشيرة من السيء ويحسن إلى المحسن ولا يفعل ذلك رب الأرباب ( أفجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ) ( أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ) ( أخلصتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ) ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محيماً وممانهم ساء ما يحكمون ) ثم إن كل ما صرح به أو لوحت في هذه المقالة من بحر آية من القرآن وهي قوله تعالي ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ) قد فسر بالعدل والتسوية كما في الحازن والنسفي ( وما يدريك لعل الساعة قريب ) فلي تأمل العقلاء وما يدريك لعل الساعة قريب بعد قوله « أنزل الكتاب بالحق والميزان » وليلاحظوا ما ذكرناه في هذه المقالة يظهر وجه هذا التعقيب العجيب، ثم أعقب ذلك بقوله جل شأنه ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة ) يخاصمون فيها أو يشكون ( لقي ضلال بعيد ) عن الحق لعدم فطنهم وإدراكهم موازين هذا العالم وفطرة حيوانه على الجزاء وعدم تدبيرهم ما أنزل في الكتب السماوية المطابقة تمام المطابقة لما يرى في العوالم بالعقل والنظر الصحيح على أن لنا وجهاً آخر في ذلك وقد عرضته سابقاً على أكابر العقلاء والعلماء فاستحسنوه جداً وهو أن كل بني آدم على أي دين تراءم يحبون تخليد أسمائهم إما نقشاً على الأحجار أو في الكتب المؤلفة أو على ألسنة الناس وأيضاً يحبون الخلود وطول الأعمار ولا ترى أحداً يحب الفناء إلا من شد شذوذاً بيننا ثم ذلك الشذوذ لا بدوم وأيضاً ترى جميع أهل الأرض قاطبة يزورون موتاهم ويتصدقون على أرواحهم وإذا نظرنا إلى هذه القطر الثلاث المنفرسة في نفوس البشر دللتنا دلالة واضحة على أن لنا بقاء بعد موتنا إذ جميع فطرتنا التي فطرنا عليها صادقة وليس فيها كاذبة البتة ولعمري لا يفهم ما قلناه إلا من درس جميع العلوم وعرفها حق معرفتها ألا ترى شهوة الغذاء والتناسل والغضب وما فينا من حياة وجبن وكبر وشجاعة وغير ذلك فسكل هذه الفطر خلقت فينا لمصالح صحيحة ومنافع عظيمة وكلها فطر صادقة كما يعرفه أهل العلم فكذلك هذه الفطرة نجبتنا البقاء وتخليدنا أسماءنا دليل على أن لنا بقاء بعد الموت وزيارة الأحياء للأموات وعموم هذه العادة في جميع بني آدم دليل على وجود أرواح الأموات وإلا

فما هذا التهاوت على المقابر والتصديق على الأموات ولنا وجه آخر وهو أننا لا نقنع في هذه الدنيا بما لا علم مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال) وكل نفس من النفوس البشرية تستشعر في نفسها لذة أعلى من جميع اللذات في العالم المشاهدة بل دليل أنها لا تقف عند حد محدود بل كلما ارتفعت زهدت فيما وصلت إليه وأحبت أعلى منه وما سمعنا بأن أحداً قال غير هذه العبارة (هل من مزيد) فهذا لاستشعار النفوس جميعها بأن لها لذة أعلى من هذه فلا بد أن تكون في عالم آخر الذي يطابق وصفه ما أحبته النفوس وحنّت إليه .

وهذه الأدلة كلها لم أرها في كتاب وإنما هي سوانح (١) ويقرب من هنا أن كافة بني آدم يميلون إلى عبادة الخالق في كل صقع من أصقاع الأرض حتى أهل جزائر المحيط الهادى الذين تباعدت ديارهم عن المتمدينين وإنما اختلافهم في تعيينه فمنهم من ظنه شجراً ومنهم من ظنه تمثلاً ومنهم من لا يخصص كما هو معلوم مستفيض شائع ولا شك أن هذه الفطرة وحدها كافية للاستدلال على صانع هذا الملك العظيم . فأعجب الفتاة ما قال إبراهيم وقالت ما سمعت أدلة أوضح وأبين من هذه اه ما جاء من كتابي جواهر العلوم .

فالحمد لله الذى وفقنى إلى تأليف هذا التفسير والشكر له على أنى عشت حتى وصلت إلى تفسير هذه الآية وذكر ما كان خطري منذ ربع قرن فأكثر . وما كان ليخطر لي إذ ذاك أى سأكتب هذا أو أنشره بين الناس فالحمد لله رب العالمين .

### اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى «وأمرهم بينهم»

أذكر في هذا المقام ما اتفق لي أثناء هذا التفسير إذ ألقى الترك دولة الخلافة وأقاموا الجمهورية مقامها وكتب المسلمون في ذلك . وطلب منى بعض أصحابي أن أكتب في هذا الموضوع فكتبت رسالة في جريدة «القطم» وقد تقدمت في سورة النساء .

هذا ولتذكر هنا ما جاء في جريدة «وادي النيل» يوم الخميس ٢٩ ربيع أول سنة ١٣٤٧ هجرية الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م في معنى هذه الآية . وإنما ذكرناه هنا لما فيه من الأخبار لزيادة الفائدة . فقد جاء فيها مانصه :

### الدين والدستور

جاءتنا هذه الرسالة ونحن ننشرها عملاً بحرية النشر محتفظين برأينا الذى أبديناه من قبل في هذا الموضوع ثارت مناقشات عنيفة بين الشيخ محمد شاكر والسيد وحيد الدين الأيوبي في مرجع الضمير من قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» وقوله تعالى «وشاورهم فى الأمر» فجعله الأول خاصاً بأولى الراى المعتد بهم فى الإصلاح

(١) اطلمت بعد هذا على استدلال أفلاطون بحب البقاء والخوف على الحياة على أن هناك أمراً ثانياً وهو صورنا الدائمة فى عالم آخر ثم اطلمت على بقية هذه الوجوه فى كلام الحكماء بعد تأليف هذا الكتاب بستين فخدمت الله حمداً كثيراً اه المؤلف

وجعله الثاني عاما لجميع الأفراد ، ومع كثرة القالات في أعداد القطم واتساع نطاقها خرج الفريقان من الميدان على غير نتيجة للقراء .

ولما كان البحث دينيا يجب تحجيصه لخلوص العقيدة انتظرنا العودة إليه من غيرها فلم يكن ، فكان حقا علينا وعلى جريدة وادى النيل بالأخص - لأنها المدافعة عن الدين الإسلامي والشرق - أن نفتح هذا الباب مرة أخرى لفحص علله وضآئه فنقول : إن المشاورة في الأمر هي المشاركة في الآراء للحصول على النتائج النافعة لاقتنائها أو الضارة لاقتنائها . ولئن تسكون كذلك إلا من أهل الحكمة والفقه والتقوى والأمانة قال تعالى « فاسألوا أهل الذكركم إن كنتم لا تعلمون » وروى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان - أي وزيران - بطانة تأمره بالمعروف وتنصحه عليه وبطانة تأمره بالشر وتنصحه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى » قال في القسطلاني فيؤخذ من هذا الحديث مشروعية أن يكون عند الحاكم أهل مشورة من أهل التقوى والعلم والأمانة اه .

وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم خواص أصحابه في غزوة بدر ثلاث مرات ولم يستشرهم كلهم . وفي ثالث مرة قال له زعيم الأنصار سعد بن معاذ : يا رسول الله كأنك تعرض بنا ولعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاطمن حيث شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تابع لأمرك فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من عمان لنسيرن معك ، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر حضناه معك ، وقال له المقداد : لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكننا مقاتلون عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين وإني قد رأيت مصارع القوم اه » .

وروى البخاري « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين أذن له المسلمون في عتق سبي هوازن وكانوا جاءوه مسلمين وطلبوا منه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم ، فمن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيهم إياه من أول ما يفي الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا فقال صلى الله عليه وسلم إني لا أدري من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فارجع الناس فسلكهم عرفاؤهم فرجعوا ( أي العرفاء ) إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا له أن يعتق السبي اه من الفتح . وكان هؤلاء العرفاء زعماء المجاهدين وكلمتهم نافذة ولم يرجع العرفاء لكافة المسلمين في هذا الحكم الديني بل إلى البعض ويشترط في العريف أن يكون كفؤا عالما فطنا وقورا له رأي بارز لأنه عضو عامل في المملكة كالعضو العامل في الجسد ولكل عضو من الجسد خاصية يمتاز بها عن غيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجلا يدعونهم إلى الإسلام ويرغبونهم في الدين فأبعث ابن أبي كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى ابن مريم عليهما السلام فقالوا يا رسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم هما لا بد لي منهما ، هما مني بمنزلة السمع والبصر » اه يعني أن يستشيرهما في الأمر وهما خواص من خواصه في الشورى ولو كانت عامة لاستغنى عنهما بغيرهما .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاة الله عليكم » رواه مسلم والناصح هي المشاورة في الأمر ، والناصح لا يكون جاهلا أو مفسدا . وقال صلى الله عليه وسلم « العرافة حق ولا بد للناس من عريف والعرفاء في النار » رواه أبو داود ، قال في الفتح ( قوله ) والعرفاء في النار يشعر بأن العرافة على خطر ، ومن باشرها غير آمن

من الوقوع في المخطور وترك الإنصاف المفضى إلى الوقوع في العصية فلهذا يجب أن يكون من ذوى الأمانة والعلم والتقوى .

ولما طعن سيدنا عمر رضى الله عنه قيل له استخلف ، قال إن هذا الأمر شورى بين ستقرهظ من قريش وأرسل إليهم وهم على بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله (وكان غائباً) والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحينما اجتمعوا لديه (ماعددا طلحة) قال يامعشر المهاجرين الأولين إنى نظرت في أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً فإن يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة أيام فإن جاءكم طلحة إلى ذلك وإلا فأعزم عليكم بالله لاتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فإن أشرتم بها إلى طلحة فهو لها أهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة أيام التي تشاورون فيها فإنه رجل من الموالي لا ينازعكم أمركم وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار وليس لهم من أمركم شيء وأحضروا معكم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس فإن لهما قرابة وأرجو البركة لكم من حضورها وليس لهما من الأمر شيء ومحضرا بنى عبد الله مستشارا وليس له من الأمر شيء . ثم قال : إن الناس إن يعدوكم أيها الثلاثة (يعنى عثمان وعلياً وعبد الرحمن) ثم قال : فإن كنت ياعثمان في شيء من أمر الناس فائق الله ولا تحملن بنى أمية وبنى أبي معيط على رقاب الناس وإن كنت ياعلي فائق الله ولا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس وإن كنت ياعبد الرحمن فائق الله ولا تحملن أقاربك على رقاب الناس ومن تأمر من غير إمرة فاقنوه اه .

خضر سيدنا عمر الشورى في ستة رهط فقط والنس منهم إحضار بعض من يوثق بأرائهم وتلتبس بركاتهم مع أن الأمر في الخلافة هو أهم ما يستشار له ويهتم به كافة المسلمين اه .

أمين إبراهيم الأزهرى

### اللطيفة السابعة

في قوله تعالى «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» الخ

لقد عرفت مجمل ما قاله العلماء في الآلام التي تصيب الأطفال والبهائم والإنسان . وأزيد الآن أن بعض علماء الإسلام يقول : ( إن الأطفال والبهائم لا تألم ) وهذا القول قال به بعض علماء أوروبا من الفلاسفة وعملوا تجارب على ذلك ومنهم فيلسوف ألماني عظيم كان يقطع عضواً من أعضاء الكلبة بلاشفقة ولارحمة وهي ترضع ولدها ولم يلمها قطع رجلها عن إرضاعها ولدها فكان هذا بعض أدلتهم .

ولأذكر لك الآن طرق النوع الإنساني في حال الإنسان . فإن القرآن قد فتح المجال ليرقى العقول . اعلم أن أمم الهند ترى أن الناس بعد الموت يبقون في حال أشبه بما كانوا عليه في الدنيا من الأخلاق فإن كانوا أشرار عاشوا عيشة بطريق التناسخ تكون عقاباً لهم . والأخبار يعيرون في حال أجمل حتى إذا خلاصوا من المادة رجعوا إلى ربهم .

إليك خلاصة ما أثبتته العلامة (جاكوليو) و (ديبوا دي جانيني) و (هالمهدوسيه) و (برونوف) و (روديه) و (بونسن) وكثير غيرهم . أثبت هؤلاء أن الهنود تركوا تعاليم عجيبة وفلسفة وحكمة . وبما كانوا قد اعتادوه أنهم كانوا يؤرخون موت ملك أو انتخاب (براهمانا) أى بابا البراهمة . أن يسطروا على كتاب خاص النقطة التي بلغت الشمس في منطقة فلك البروج في الدرجة والدقيقة والثانية .

يقول مؤلف الكتاب : إن معنى هذا أنهم كانوا يراعون مبادرة نقطة الاعتدال التي تتقدم كل نحو

ألقى سنة برجا واحدا. وفي نحو (٢٥) ألف سنة (١٢) برجا. ويقول علماء الهند إنها (٣٦) سنة لا (٢٥) سنة فلنرجع إلى ما نحن فيه فنقول:

إن هؤلاء الهنود لهم أربعة أسفار مقدسة عندهم، يقولون إن الله واحد، قيوم بذاته. موجود في كل الكائنات لاتصيه الحواس المادية. بل الروح وحدها وهو المنزه عن كل ما يرى.

وقال كولوكا الهندي: «إن المؤمنين الأقدمين مع أنهم ألخوا الطبيعة المتعددة لم يعتقدوا إلا إلهها واحدا مبدع الكائنات، أزليا غير مادي حاضرا في كل مكان. منزها عن كل كدر وهم. وهو الحق بذاته ومنبع كل عدل وحكمة. مدبر الكل، والمرتب نظام العالم. لاشكل له ولا صورة ولا حد ولا نسبة».

وكان البراهمة يقولون لمن دخل عندهم في الدرجة الثانية هكذا: «يا بني إنه لا يوجد إلا إله واحد فقط رب الجميع، وعلو الكائنات، والواجب على كل برهمن أن يعبد في الباطن. وهذا سر يجب عليك كتمه عن العامة والجهال».

ومن تعاليمهم: «إن الكائنات نشأت من الله، وإلى الله سوف تعود بواسطة الترقى والنشوء الدائم، والنفس عند انفصالها من البدن لا تنفقد المادة تماما وإلا لهلك في السكون العظيم، بل يبقى لها جسم مصوغ من النار، والإنسان شرارة أو شعاع من النار الإلهية تبقى مع جسمها اللطيف الهنيء، ثم بعد زمن تتحد بجسد جديد منظور عند ما يأتي وقته» اهـ.

فانظر وتعجب كيف وحدوا الله كما نوحده نحن، وكيف يقولون: «إن الميت تكون روحه في جسد ناري هنيء جميل» ولعل هذه النفس هي الصالحة وتكون الشقية معذبة بذلك الجسم الناري، كما أن حرارة الشمس تنفعنا تارة وتؤذيها تارة أخرى. وانظر كيف يقولون: «إنه يرجع بعد زمن جسما منظورا» وهذا هو البعث عندنا في دين الإسلام إما إلى جنة وإما إلى نار على حسب الأعمال. وكانت لهم عبادة قلبية وأخلاق ذكرها (مانو) المشرع الفيلسوف قبل موسى عليه السلام بآلاف السنين: «الصبر ومقابلة الإساءة بالإحسان، والقناعة، والاستقامة، والطهارة، وكبح جماح الحواس، ومعرفة الكتب المقدسة، ومعرفة الله، والصدق: واجتناب الغضب». فهذه هي الوصايا العشر عندهم، وبها يخرج الإنسان من العذاب بعد الموت.

وكان للهنود نساك يتفردون في الغابات. ويعبدون الله. ويفسرون الكتب الدينية. ويعرفون أسرار الطبيعة، ولهم بقية الآن. وعلى هؤلاء تعلم (خريستا) وهو أول مؤسس دين ظهر في التاريخ سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد للسيحي، فهناك بعض تعاليمه مما يخص ما نحن فيه أو ما يقرب منه. قال: «إن الجسد فيه النفس وهو زائل وهي باقية، النفس سمردية لا وزن لها، ونصيبها بعد الموت يرجع لسر التماسخ إذا انحل الجسد عن الروح، فإن غلبت الحكمة على النفس طارت إلى الأقطار العلوية ورأت الله. وإن كان الهوى متمسكا رجعت إلى الذين هم متعلقون بالأرضيات، والولود شقيبا كان أو سعيدا نتيجة عمل سابق».

وهنا سر أعظم من هذا، وهو أنه «من رام بلوغ السكالك فليكسب علم الوحدة التي هي أجل من الحكمة أي يلزمه أن يتعالى إلى الكائن الأسمى الذي هو فوق النفس المستقر في كل منا، إن في باطنك صدقا إلهيا لاتعرفه لأن الله مستقر في باطن كل امرئ، ولكن قل من يعرف أن يجده، فمن يضحى رغباته وأعماله للكائن الأزلي الذي منه نشأت مصادر الأشياء كلها وبه تكون العالم، ينال بهذه التضحية السكالك لأن من يجده في ذاته سعادته وفرجه ونوره فهو واحد مع الله، فاعلموا إذن أن النفس التي وجدت الله تعتق من المولد والموت والشيخوخة والألم وتشرب من ماء الخلود»؟

ثم جاء قبل التاريخ المسيحي بستائة سنة ( بوذا ) المسمى ( ساكيا موني سودوا دانا ) ملك كايلافاستو فلما بلغ العشرين من عمره أخذ يتأمل في حال شعبه ، وما دخل في الدين من الطقوس والحرافات ، وله وصايا عشر وتعاليم أشبه بما تقدم ، ووصاياه هي :

« لا تقتل . لا تسرق . كن عفيفا . لا تشهد بالزور . لا تكذب . لا تخلف . تجنب كل كلمة نجسة . كن خالي الغرض . لا تأخذ بالثأر . لا تعتقد اعتقادات باطلة » ا هـ .

لملك تقول : ها نحن أولاء اطلعنا على الدرجات الثلاث لدين البراهمة ، فما فائدة ذكرها هنا ؟ أقول لك ذكرتها لتتأمل في تعاليم الأمم وتفكر في العقائد والأخلاق ، انظر إلى عقيدة التناسخ فإن الدين القديم قبل ظهور ( خريستا ) لا نص على التناسخ فيه ، بل قال إن الروح لها جسم نارى بهى وتبقى أمدا حتى تلبس جسما منظورا متى قضت بذلك شريعة الله ، ولم يقل جسما بعد جسم ؛ فلا تناسخ ولا أجسام . فهذه الشريعة أشبه بشريعة الإسلام إذ جاء فيها : « إننا نعذب أو ننعيم إلى يوم البعث ويكون لنا أجسام منظورة » .

ثم انظر . لما جاء خريستا ، ماذا فعل ؟ تكلم عن التناسخ . أى أن الإنسان بعد الموت إذا كان مذنبا يدخل في جسم أرضى ويعيش مثل ما يعيش نحن . ويعتبر هذا قضاءا لتدبير ارتكابها . وكل مصيبة تصيبه تكون لأجل ذنب مضى .

انظر كيف يتوسع صاحب الدين للتأخر في المعنى الذى قاله للتقدم : ثم انظر من جهة أخرى إلى وصايا ( خريستا ) وإلى وصايا ( بوذا ) ، فوصايا خريستا أرقى لأنها ترجع إلى العلم والأخلاق الباطنة ، ووصايا بوذا ظاهرة كالحلف وما أشبهه . فسكان القوم أيام ( خريستا ) كانوا أرقى ، وانظر إلى أمتنا الإسلامية كيف كان الصحابة والتابعون رضى الله عنهم يراعون البواطن من الإخلاص والصدق ، وكيف تأخر المسلمون اليوم فلم يعرفوا إلا العبادات الظاهرة وأكثروا عن البواطن معرضون فلا يحاسبون عليها .

ثم انظر نظرة إجمالية في قول الهنود : « ان الله في باطن كل امرئ » وانظر كيف يقول الله تعالى : « وهو الله في السموات وفي الأرض » ويقول « وهو معكم أينما كنتم » وكيف يقولون : « إن الإخلاص لله هو الذى يعتقنا من العذاب » وانظر إلى القرآن كيف كان كله على هذا النمط .

ثم انظر إلى علماء الإسلام رحمهم الله تعالى ووازن بين آرائهم وآراء الهنود لتقف على الحقائق : انظر كيف يقول علماء الهنود المتأخرون فيما تقدم : ( إن المولود يكون على حسب ما كان له في التجسد السابق . إن كان شريرا يكون هنا في ذل ، وإن كان صالحا يكون في حال سعيدة ) .

وانظر إلى علمائنا رحمهم الله تعالى كيف نظروا الآية التى نحن بصددها وهى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » الخ ؛ فقال قوم منهم ، ( إن الإسلام لا تناسخ فيه ) وهم جمهور الأمة ، فحصل هذه المصائب ليس بذنب سابق وإنما هو امتحان وتكليف لاعتقوبة ، ومعنى قوله تعالى « فيما كسبت أيديكم » أى إن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم لأن الدنيا ليست دار جزاء . بل هى دار تكليف .

وقال أهل التناسخ من أمة الإسلام : ( إن هذه الآية تفيد التناسخ ، ألا ترى أن الأطفال والبهائم يحصل لهم الألم فلا بد أن يكون لهم وجود سابق ، والألم نتيجة ما كانوا عليه سابقا » .

وقال الذين ينفون التناسخ : كلا . فالبهائم والأطفال لا ألم عندها . والقول بالتناسخ فاسد . وقالت طائفة : ( دعونا من هذا كله ) يقول الله « فيما كسبت أيديكم » هذا الخطاب للعقلاء ، فأى دخل للبهائم والأطفال ! .

## ﴿ رأى المؤلف ﴾

اعلم أن الأمم من هنود ومسلمين وغيرهم إنما يكامون الناس على قدر عقولهم حتى نفس الأرواح كما سيأتي وإلا فالنتيجة واحدة . وإيضاحه أنه إذا فرضنا أن الناس كان لهم وجود سابق وأذنبوا فيه . فما الذنب إلا من النفس في النفس . ولو كانت كاملة ما أذنبت . فلو قيل نقصها نشأ من الذنب السابق تقول يلزم التسلسل وهو مستحيل . فالأصل هو النقص ، والله سبحانه وتعالى يرقى النفوس بالألم كما يرقىها بالعلم والعمل وغاية الأمر أن علماء الأمم لا يريدون أن يزيدوا على ما ورد في كتبهم والله أعلم .

## ﴿ آثار هذه الآية في الأمة ﴾

عن الحسن رحمه الله قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد فقيل له ، إننا نغتم من بعض ما نرى فقال : لا تفعلوا فوالله إن أحبه إلى الله أحبه إلى ، وقرأ « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » فهذا بما كسبت يداي ، وسيأتي عفو ربى اه .

ولعلك تقول . وما رأيك في هذا القام ؟ أقول لك : أمارأي الذي ألقى الله عليه فهو أمر عام واحد لا غير وهو أن النفس الشريرة تلاقى ألما . والنفس الفاضلة تلاقى خيرا ، وهذا هو العبر عنه بجهنم والجنة ، وجهنم ليست خاصة بالنار بل ورد فيها الزمهرير ، وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم . « إنهم يحرقون بالزمهرير كما يحرقون بالنار » وهو عجب جدا لأن العلم الطبيعي أثبت هذا وهو أن البرد الشديد يحرق الأجسام كالنار وهكذا فيها الحيات والقارب . وجميع أنواع العذاب الروحي والجسمي ، والجنة بالعكس فيها جميع أنواع اللذات يقول الله : « فيها ما تشبه الأنفس وتلد الأعين » ويقول : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

فالمسلم عليه أن يعتقد الاعتقاد العام وهو سهل بسيط أن بفعل الخير يقدر الإمكان ويحترس من الشر ويرتقب رضا الله .

## رأى الأرواح

واعلم أن العلماء الذين يحضرون الأرواح برونهم مختلفين في هذه المسألة فمنهم من يقول هناك تناسخ ومنهم من يقول : كلا وهذا إما أنهم حججوا عن الحقيقة وإما أنهم عرفوا : ولكن كل يعطى تعاليمه على حسب ما يرى من السامع . ونحن نقول : مالنا ولهذا كله لانهم بالتفصيل فلنجد لنخلص من المادة ورجع إلى الله ونخلص نفوسنا من الطمع والغل والحسد وما أشبه ذلك ونملأ القلب بالمعارف والعلوم اه

## ﴿ اعتقاد قدماء المصريين ﴾

إن اعتقاد قدماء المصريين مشتق من اعتقاد الهنود وكما رأيت أن (خريستا) صرح بالتناسخ ولم يكن صريحا في دينهم القديم لأن الشعب كانت حاله تقضى أن يقال لهم ذلك ، ترى قدماء المصريين لما أخذوا هذه العقيدة ألبسوها لباسا آخر ، فماذا فعلوا ؟ اعتقدوا أن الروح لها جسم ، وهذا الجسم اسمه ( خات ) وبعد الموت يتحول إلى جسم روحي ( سمجو ) وهذا الجسم يعيش مع اللاشك في السماء . وبالاختصار الإنسان عندهم :

( ١ ) جسم فان .

( ٢ ) جسم روحي .



(٣) قلب .

(٤) ازدواج .

(٥) نفس .

(٦) ظل .

(٧) روح (أى مادة أثرية لطيفة مضيئة غير مدوسة) .

(٨) (شكل إلهى) .

(٩) اسم .

ويقولون : ( إن الإنسان بعد الموت يأكل مواد لا تنفعن ، ويشرب حمرا لا يفسد ) وبالجملة فعقيدتهم أشبه بالقرآن من حيث النعيم .

( فنوح الرحمن الرحيم ، ونور الدين الإسلامى )

انظر أيها الذكى تعجب من أمر الأمم ودين الإسلام ، انظر واصغ لما أقول ، وتعجب من العلم وكيف أضاء الله للمسلمين الدنيا ، وأشرفت الأرض بنور ربها .

ألا تعجب معى فيما أقول لك ؟ أقول لك ما فتح الله به الآن فقط . أنا الآن أقرأ ماسطره علماء أوروبا يوم (٢١) أغسطس سنة ١٩٢٤ ومنه مقالة عن عقيدة قدماء المصريين . انظر كيف جاء فيها أن شريعة التحنيط إنما جاءت سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد ، وانظر إلى ما ذكرته لك ، وهو أن ( خريستا ) جاء قبل المسيح بنحو سنة ٤٨٠٠ وتأمل ما قلته لك ، وأن التناسخ لم يكن مصرحا به فى كتابهم القدس وصرح به ( خريستا ) . وانظر إلى قدماء المصريين . فإنهم استعملوا التحنيط خمسة آلاف سنة أى من سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد إلى سنة خمسمائة بعد الميلاد . أفلا ترى معى أن عقيدة ( خريستا ) انتقلت إلى مصر فى ثلثمائة سنة وأنهم فهموها فهما معكوسا فقالوا : « إن الإنسان إذا مات يبقى زمنا طويلا فى السماء منعا ، أو فى الجحيم معذبا . وذلك بما غلب على نفسه من صلاح أو طلاح » مثل ما قال البوذية سواء بسواء ، ولذلك جعلوا هناك ٤٢ قاضيا ولهم ميزان يزنون به قلب الميت وأعماله فتغلب الحسنات أو السيئات ويكون الجزاء على مقتضى تلك الغلبة كما رأيت فى تعليم الهنود وكما جاء فى القرآن سواء بسواء . فسكان العالم كله يفهم شريعة متشابهة من حيث الأصول . ثم انظر كيف يقول الهنود قبل المسيح بأربعة آلاف وثمانمائة سنة : ( إن الإنسان يرجع بعد أمد إلى الأجسام ويولد ثانيا ، ويكون فى حال على مقتضى حياته السابقة ، ولا يزال يعود مرارا حتى يظهر وبعد ذلك يرجع إلى الله مع الملائكة الأعلى ) .

وقد قلنا لك إن هذه جاءت من ( خريستا ) لا بمن قبله أشبه ببدعة دينية . ثم انظر كيف نقلها المصريون بعد ثلثمائة سنة محرفة . فقالوا : ( يرجع الإنسان إلى جسمه الأسمى ) .

يا عجباً ! إن الأمم تأخذ العلوم على مقتضى أخلاقها . قد كان قدماء المصريين يعالجون عظام موتاهم بالقار لأجل حفظها من الفساد ، فلما سمعوا هذه الفكرة عن الهنود قلبوها إلى عادتهم وقالوا : يرجع الإنسان لنفس جسمه الأسمى ، فأخذوا يحنطون الأجسام خمسة آلاف سنة .

إياك أن يهرك الفلسفة والعلم والحكمة عند قدماء المصريين ، فتقول : لم خرفوا ؟ فاعلم أن فلاسفة كل أمة ينشأون على العقائد التى عندهم ، فإذا رأيت الزخرفة والنقش والحكمة ، وما أذاعته الجرائد عن قبر الملك ( توت عنخ أمون ) وأن فيه مسرجتين من مرمم لما أوقدوا الصباح فهما ظهرت صورة الملك والملكة بألوان باهرة ، فلما انطلقا الصباح ظهرت المسرجتان بحالهما تماما لا صورة فيهما ، وقد قيل إن هناك (٣٠)

صندوقاً محتومة بحتم الملك لم تفتح وستفتح فيما بعد ، والسائحون من سائر أقطار العالم يقدون على بلادنا لمشاهدة هذه العجائب .

وظهر قبر آخر بجوار الحرم على بعد (٣٠) متراً من سطح الأرض ، ويقال إنه كشف عظيم الأهمية أقول : إذا سمعت ذلك فلا تدهش لأن الأمم كلها أشبه بعالم عند صاحب العقيدة . فترى الفيلسوف والصانع والأمير والمزارع ، كل هؤلاء ينطقون بفكرة واحدة . أعنى أن أكبر فيلسوف عندهم لا يقدر أن يقول إن هذا خرافة بل يقدره كما يقدره القوم . والمهندس والصانع وأمثالهما . كل هؤلاء يتقنون الصناعات وهم عند الفكرة الدينية أشبه بحاشية الملك والرعية كلهم يقدرونه ولو كان فاسقاً وبطيئاً . هكذا عقيدة التناسخ التي ظهرت في الهند وغيرها في مصر إلى رجوع النفس إلى جسدها نفسه بقيت أمداً طويلاً حتى جاء دين المسيح ودين الإسلام فغيرت العقيدة .

تعيش الأمم آلاف السنين ولا تزحزح عن عقائدها . حتى إذا جاء مصلح غيرها ، فهاهنا جاء الإسلام ونزل في القرآن أننا بعد الموت نعدب أو نتم ، وأنا نخشع على مقتضى سابق حياتنا . وأن منا من ينظرون ربهم . ومنا من يحبون عنه وهكذا . فلم يذكر رجوع الجسم للولادة مرة أخرى ولا رجوعه لجسده ثانياً ثم انظر إلى الأمة الإسلامية كيف احتجبت أنظارها الآن عن أسرار السكون وبدائعه وغاب عنها ذلك وتشبثت بالوقوف على الظواهر ، وأن الله اليوم يريد رجوعها إلى أصل دينها ، وما أصله إلا النظر في عجائب العلم والحكمة ، ودراسة السكون الذي نسكنه حتى نلاق ربنا ونحن نعرفه ونحبه ، ونسكون في الدنيا قد قضينا ما علينا لأمتنا وللأمة حولنا ، فإننا نحن - خير أمة أخرجت للناس .

ليكن المسلم خليفة الله ، ليكن العالم كله تحت رعايتنا . لنسكن خلفاء الله فندرس نظامه ونكفل عباده لأنهم إخواننا ، فمن دخل في ديننا فيها ، ومن لم يدخل أعناه ، وراعيناه وأحطناه ، وإن اعتدى أديناه ، هكذا جاء ديننا ، ولترجع إلى أخلاق السلف الصالح من الشفقة والإخلاص ومراعاة أحوال القلوب ، وذلك هو الذي يرمى إليه الإسلام ، بل هو مستقبل الإسلام والمسلمين .

#### ﴿ سؤال ورد على المؤلف ﴾

ولما وصلت إلى هذا المقام . قال لي أحد الفضلاء : كيف يعقل أن يحنط المصريون موتاهم بمجرد ما سمعوا التناسخ عن ( خريستا ) بالهند . قلت له : إن للقوم قصة خيالية لهذا الغرض قد تقدم ذكرها في هذا التفسير ، يزعمون أن ( أوزيريس ) كان عبداً للمصريين ولنوع الإنسان كله ، وأخذ معه ( توت ) وسار بجيوشه وفتح الأرض كلها باللاطف لا بالحرب ، فلما رجع إلى مصر حسده أخوه ( سيت ) ، فصنع صندوقاً جميلاً ، وصنع وليمة ، وقال : من كان هذا الصندوق على قدر جسده فليأخذه لنفسه ، فكان ذلك على قدر ( أوزيريس ) فأطبق الصندوق عليه خيانة ورموه في النيل ، فقامت زوجته إيزيس وجزعت وقصت شعرها وبحثت عن الصندوق فوجدته على شاطئ فينيقية ، فأرزلوه في سفينة إلى آخر ما تقدم ، وإنها وضعت عند غابة ، فعثر عليه ( سيت ) فقطع أخاه أربع عشرة قطعة ودفنها في مواضع كثيرة : ثم جمعها وحنطها وهنا بيت القصيد ، فكانت إيزيس حنطت أوزيريس زوجها هي التي أنارت هذه الثائرة . ولكن الذي أقول إن هذه الخرافة لا تسكني في هذا العمل الشاق ، فلا بد أن تكون العقيدة هندية لانفاق التاريخين . فأما هذه الخرافة فهي لا تستعبد أمة بتامها . انتهى والله أعلم .

## اللطائف العامة للسور كلها<sup>(١)</sup>

### المطيفة الأولى

بهجة العلم في الحكم للودعة في بسم الله الرحمن الرحيم . حم . عسق .

بدائع أسرار التنزيل

( بسم الله الرحمن الرحيم )

في ليلة الجمعة ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٠ استيقظت قبيل الفجر . ولكني لم أستطع أن أقوم بعمل ما من عبادة أو علم لعارض جسمي طاري\* على ، تخيل لي كأنني انسلخت من هذه العوالم المادية ، وكأني أنظر إلى المجرات وشموسها ، والسدم وأحوالها . ولا جرم أن الخيال تسكل امرئ\* لا يعدو ما عرفه . ونحن نعرف أن مجرتنا التي شمسنا فيها قد عرفت الأمم أن شمسها بحسب ما وصل إليهم تبلغ عشرة آلاف مليون شمس وهذه مجرة واحدة من آلاف الملايين منها . وهكذا خيل لي أيضا أنها كلها دوائر وحولها سياراتها وأراضيها وأقمارها . وكل شمس لها حركة خاصة كما أن كل سيار له حركة خاصة حول شمسه وكل قمر حول الكوكب السيار فإذا اجتمعت هذه كلها مرة واحدة ولا حظها الإنسان خيل له كما خيل لي أن العالم كله موسيقى فوق ما يتصوره للفكر . ونغمات بهجات فوق ما يبتهج به المبتهجون .

الله أكبر . هنالك ازدادت في الخيال تعمقا . وتوغلت النفس في صورها . وابتعدت عن العالم المحسوس إلى عالم الخيال المحض ، فهنالك هنالك خيل لي كأن إنسانا تراهي لي ، وجسمه من النور ، ولكن له جميع خصائص الإنسان الجسمية ، إذا هو يحقق ببصره إلى ؛ فأخذ فكري يحول في أمره ، وفي نظراته ، وفيه يتفرس من أمرى ، وأنى الأمور يريد أن يحدثني بشأنه ؟ فابتدرني قائلا : ( وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ) فقلت : خبرني ماذا تريد رحمتك الله ؟ فقال : أحدثك في أمر نفسك وأمر المسلمين في الأرض ، فقد اتبع خيالك علمك ، وراح يحول في ساحات واسعات ، وباحات صفت فيها الصور ، وظهرت فيها الحكم ، وبهر النور ، هذا الخيال الذي تبدي لك اليوم تابع لما قرأت من كشف الحقائق ، ولكن هناك بعد مفارقتك هذا البدن سترى ما هو أعجب وأبعد ، نظراً حقيقياً لا خيالياً ، وإذا كانت المسرة التي تحس بها نفسك الآن تكاد تكون فوق طاقتها ، فذلك لأنها محبوسة في المادة ، ولكن إذا انطلقت منها ستحتمل من اللذات ما لا حد له ويكون ذلك على مقتضى العلم ومقتضى العمل « ولكل درجات مما عملوا » .

أنت الآن تتخيل الموسيقى في العالم العام تخيلاً وهناك سيكون ذلك حقيقة . فقلت وكيف تقول إن هذا العالم موسيقى ، وهل هذا للنظر الذي يخيل لي له مناسبة ما بالسور التي تطبع الآن في التفسير ؟ إن الله عز وجل عودني أثناء طبع هذا التفسير أن لا يمر بخاطري فسكر قوى إلا كان مناسباً أشد مناسبة لما أنا بصدده فهل هذا الخيال من هذا القبيل ؟ فقال إى وربى . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن هذه المناظر سيتجلى بها بعض أسرار « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . عسق » ، فإزداد عجبى ! فقلت : فلا تركنى برحمتك الله . فقال : كلا لا أتركك فاستبشر وقر عيناً ، فأنى مرسل من عالم آخر لأقر عينك في هذا التفسير ولكني لم أحضر في خيالك إلا الآن . فقلت : كيف أعرف أن هذه المناظر مفسرات لما ذكرتم . فقال لأسألك أولاً :

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة . المؤلف

- (١) ما صفة الموسيقى عند القدماء .  
 (٢) وما هيئتها عند علماء العصر الحاضر .  
 (٣) ثم ما صفة الموسيقى في العالم كله الذي تخيلته أنت الآن ، وهل هذا النظام البديع تابع لعلم عالم حكيم أم هو مصادفة .  
 (٤) ثم ما نتائج هذه النظم كلها من الرحمت .  
 (٥) ومتى أحس العقلاء بالرحمة وعلموها حمدوا مسديها .  
 (٦) وهناك يتجلى معنى البسملة والرحمة فيها ، ويتجلى معنى الحاء والميم والعين والسين والقاف ، إذن في المقام ستة فصول ، فما أناذا سائلك في :

### الفصل الأول والثاني

ما صفة الموسيقى عند القدماء ، وما صفتها عند علماء العصر الحاضر  
 فقلت يا سبحان الله . أنا لست من علماء الموسيقى حتى تسألني هذا السؤال . قال نعم . أنت لست من علمائها . ولكن لك إلمام بها إلماما علميا ، فاذا ذكر ما تعرفه . فقلت أنا أتذكر أن ( فيثاغورس ) الفيلسوف سمع مطارق حداد فأطربته رناتها ، وسرته مناسبتها ، فوزنها فكانت نسبتها هكذا ٦ و ٨ و ٩ و ١٢ فأتى بأوتار أربعة متساويات طولاً وممكاً ، وعلق فيها أثقالاً على هذه النسبة ، فكانت مطربة مفرحة تشرح صدور البائسين . هذا كان أول ما خطر له ووضعه . فقال هذه العبارة بالحرف من كتابك «الموسيقى العربية» ولكن هناك أمر آخر أقرب من هذا . فقلت نعم في كتاب [ إخوان الصفاء ] فإن أوتار العود لها نسب غير هذه والأوتار عند القدماء أربعة وهي ( الزير والثني والثالث واليم ) وهي مرتبة من أعلى إلى أسفل ، وقد كانوا يظنون أنها مناسبات لسكرة الأثير والهواء والماء والأرض بهذا الترتيب ، الأعلى مماثل للأعلى والأدنى مماثل للأدنى ، وقد قالوا :

« إن وتر الزير مركب من ( ٢٧ ) طاقة من الحرير ، والثالث يزيد عليه الثلث فهو ( ٣٦ ) طاقة والثني يزيد عليه ثلث ( ٣٦ ) فهو إذن ( ٤٨ ) واليم يزيد على ما قبله ثلثه وهو ( ١٦ ) فيكون ( ٦٤ ) وبهذا انتظمت النغمات وابتهجت النفوس » .

قال هذا هو الذي كنت أريد أن أسمعه منك ، هذا في القديم ، فهل تذكر نظير ذلك في الموسيقى الحديثة . فقلت : لا أذكر الآن . فقال عجباً ! تذكر ما في كتابك في الموسيقى وقد مضى على تأليفه سنون ولا تذكر ما كتبت في ( سورة مريم ) من الموسيقى الحديثة ، فقلت نعم أتذكر الآن أنني ذكرته هناك وهو « إدراك الإنسان للأصوات ينحصر في ( ١٠ ) دواوين أي أبعاد كلية موسيقية ، فإذا ورد على الأذن ( ١٦ ) موجة في الثانية ، فهذا أقل الأصوات ثم ٣٢ - ثم ٦٤ - ١٢٨ - ٢٥٦ - ٥١٢ - ١٠٢٤ - ٢٠٤٨ - ٤٠٩٦ - ٨١٩٢ - ١٦٣٨٤ » .

ومعنى هذا أن أسمعنا تفرح بنظام الحركات بأي شكل كان ، ففي العود العربي القديم تفرح نفوسنا بالنظام المبني على ازدياد الطاقات بالثلث ويكون ذلك منتظماً . وهاهنا تفرح النفس بما تحس من نظام للتوالي الهندسية البديعة . فنفسنا هي عي قديماً وحديثاً لانفرح إلا بما هو منظم ، وأقرب شيء لها الأصوات التي يعرفها الجهلاء والعلماء . فقال أحسنت أحسنت ، أتم القول . فقلت : أما نظام الأفلاك وحركاتها وعجائبها ونظام الطبيعة فليس يدركه إلا الأقلون . فقال هذا هو الذي أريد أن أختبرك فيه .

## الفصل الثالث

### في النظام العام في العالم

خُذْنِي إِذْنِ : هل النظام العام على مثال ما رأيت الآن في الموسيقى القديمة والحديثة . قلت نعم . فقال :  
فاضرب لي أمثالا . فقلت :

(أولا) إن أبعاد السيارات تتبع نظاما معلوما ، فإذا أخذنا الأرقام التالية وهي ( ٣ و ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤٨ و ٩٦ ) ثم أضفنا ( ٤ ) إلى كل رقم كانت سلسلة متتابعة تفهمنا نسبة مسافات السيارات وأبعادها عن الشمس وهي ( عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ) فهي على هذا الترتيب في بعدها عن الشمس أي أنها على مقتضى المتواليات الهندسية ( وبعبارة أخرى ) هي أشبه بالدواوين المتقدم ذكرها في الموسيقى الحديثة التي يدرسها الفرنجة الآن في قسم من أقسام العلوم الطبيعية ، فأما الأقدمون فكانوا يدرسونها في العلوم الرياضية ولكل وجهة صادقة ، فالموسيقى ترجع للصوت أولا وحسابه ثانيا ، فالقدماء جعلوها في علوم الرياضة لمكان حسابها ، والمتأخرون جعلوها في العلوم الطبيعية لأن الصوت أمر طبيعي لأنه حركات في الهواء .

(ثانيا) إن الحجر إذا نزل من أعلى الجبل إلى أسفل البركان حسابا هكذا : في الثانية الأولى يقطع ( ١٦ ) قدما إنجليزية ، وفي الثانية الثانية يضرب هذا العدد وهو ( ١٦ ) في ( ٣ ) ، وفي الثانية الثالثة يضرب هذا العدد في ( ٥ ) وهكذا ( ٧ ) و ( ٩ ) و ( ١١ ) و ( ١٣ ) إلى ما لا يقناهى .  
وإذا ربعتا التوائى وضربنا المربع في ( ١٦ ) يكون الحاصل ما قطعه الحجر جميعه ، فإذا مضت ثانيتان ضربنا ٢ في ٢ يساوى ٤ ونضربها في ١٦ ، وإذا مضت ثلاث ثوان ضربنا ٩ في ١٦ وهكذا ، فهذه كلها مضاعفات منظمت كما انتظم ما قبلها .

ثم توقفت عن القول برهة . فقال : فكر فيما كتبت في [ سورة الرعد ] عند قوله تعالى « وكل شيء عنده بمقدار » .

(ثالثا) وذلك في أمر الصوت والنور والحرارة والجاذبية ، فهذه الأربع تفل بمقدار ما يزيد من البعد عن الجسم الحار والجاذب والمنير والذي منه الصوت فتذكرت ذلك ، وهناك أمثلة تبين المقصود فلم أشأ أن أكتبها هنا خيفة الإطالة ، وهناك نظام وحساب في سير الأجرام الفلكية أقرب ما تقدم في [ سورة يس ] وفي [ سورة الزمر ] وتجد في [ سورة يس ] أيضا موازنة ما بين الشعر والموسيقى وحساب الفلك ، كل ذلك تقدم موضعا .

فهذه النظم في أبعاد السكواكب ، وفي سقوط الأحجار ، وفي سرعة الأصوات والأنوار الخ تحيط بالمادة وكلها منظمة أنظمة جميلة حسابة موسيقية ، فإذا رقيقنا قليلا رأينا نفس النور على هذا النمط: أي أنه جار على حساب باعتبار ألوانه السبعة ، ذلك أن العين لا تتأثر من تجموع الأثير الذي يزيد عدد درجاته في الثانية عن ( ٧٩٠ ) مليون مليون ، أو ينقص ذلك العدد عن ( ٤٠٠ ) مليون مليون . فأقل الألوان وأولها الأحمر وأكثرها توجات وآخرها البنفسجى وبقية الألوان بينها ، إذن حاسة السمع آلة لسباع حركات في الهواء ، وحاسة البصر آلة لالتقاط حركات الأثير فتظهر لها بهيئة نور ، إن هذه العوامل كلها حسابة موسيقية عجيبة . فما وافقنا سميناه جميلا لندينا ، وما لم يوافقنا سميناه قبيحا مؤلما ، فهذه الحركات في الهواء المحصور ما بين التهايتين الكبرى والصغرى فيما تقدم ، وهكذا عددها المحصور ما بين التهايتين

في الضوء كلاهما قد أحدث آثارا في أسمعنا وفي أبصارنا ، والمسألة ترجع إلى نفس الآلة ، وهكذا نقول في نعومة الحرير وخشونة الخيش ورائحة الورد والروائح الكريهة وطعم التفاح والحنظل ، فهذه منها المكروه ومنها المحبوب ، ولا حب ولا كره إلا على مقتضى الملازمة والنافرة ، ولا ملازمة إلا على حسب النظام المحسوب حسابا جاريا على قوانين توافق حواسنا ، ولا منافرة إلا على مقتضى اختلاف القوانين المذكورة فإذا هذا العالم كله إلا حركات ، وغاية الأمر أنها باعتبار الآلات القابلة فينا أصبحت هذه نورا وهذه صوتا وهذه رائحة وهذه ذوقا الخ .

ألا ترى رعاك الله إلى ما قررناه سابقا أن كل الجوامد وكل السوائل مثلها كمثل الأنوار في أنها حركات وتلك الحركات تمثلت لنا أجساما وأنوارا ، ومن الأجسام سوائل وجوامد وغازات ، كل هذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير .

فلما سمع ذلك . قال : أحسنت كل الإحسان ، فلنشرع في الكلام على :

### الفصل الرابع ، والخامس ، والسادس

وهو الكلام على نتائج هذا كله وهي الرحمات ، ثم ما يترتب عليها من المحامد

ثم معنى الحياء والميم ، والعين والسين والقاف .

قلت : أما هنا فإني أرجو أن تفتح لي الباب حتى أفهم هذا المقام . فقال انظر انظر بالبصيرة ، فنظرت . فقال ما ترى ؟ قلت أرى المجرات والشموس والسيارات كلها كأنهن حفلات ذات بهجات ، وكأن النور انقلب أصواتا ونغمات ، بل هذه العجائب أله عند عقلي من أن أسمع نغمات العود والمغاني ، فهاهنا جمال وإبداع وحسن وكمال . فقال من الذي يدبر هذه الكواكب ؟ قلت : نفوس عالية وهي الملائكة . فقال فإذا سألت أهل الأرض وقالوا لك ما البرهان ؟ قلت : أقول لهم قد تقدم في سورة ( حم السجدة ) عند آية « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة » الخ أن النبات على قسمين . قسم يحل للواد في الأرض . وقسم يركبها فالخمل للمواد هي ( الفطر والبكتريا ) وهذه وإن جلب بعضها الأمراض فإن أكثرها لولاه لم نعش يوما واحدا لأنها تخضر الأغذية في خبايا الأرض وتجهزها للنبات الذي بقيتنا ، بل أزيد على ذلك أن هذه الفطر ( بضم الفاء والطاء ) ونحوها تعيش في الأمعاء الغلاظ تربيص الأغذية التي تمر في الجهاز الهضمي وقد عجز عن هضمها أنواع الماضبات من الينابيع الستة التي في الفم ومن البنسكرباس ونحوها ، فتلقاها تلك الفطر التي لا تراها العيون ، فتحلل ما بقي فيكون بذلك تمام أغذيتنا ، ولولا هذا لم يكمل غذاؤنا ، بل نموت جوعا وإن كنا آكلين . فإذا كان غذاء النبات وغذاء الحيوان وغذاء الإنسان لا يتم الانتفاع به إلا بهذه المخلوقات التي لا ترى وما كان أحد في الخلق يظن أن ذلك يحتاج لفاعل يفعل فكيف تكون شموس وكواكب وأرضون وأقمار ومجرات تجرى ولا مجرى لها ؟ فإذا كانت الأمراض كالسكوليرا والنيفوس والجدرى ، وإذا كانت الأغذية كل هذه لفعالها أسباب موجودة ، فكيف يحتاج أحقر المخلوقات إلى فاعل ولا يحتاج أعظمها إلى فاعل ؟ إن ذلك يخالف العقل والمنطق والصواب .

وعليه أقول : إن هناك ملائكة هي التي تدبر هذه الكواكب والمجرات والشموس وبسبب هذا الدوران المختلف حصلت لنفسى مسرات أكثر مما تسرها نغمات الموسيقى . فقال : حدثني ، أهؤلاء ليس لهم قائد ؟ قلت بلى وهو قاهر فوقهم . فقال إذن أنت فهمت الجواب . قلت لم أفهم . فقال بل فهمت والله ، ألا تذكر أن الرحمة في البسملة . قلت أذكرها ، فقال هذه الكواكب والعوامل هي آثار هذا النظام والحساب فهي رحمت والرحمة لا تكون إلا مع علم كما تقدم في آية « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » ، فالرحيم

لا تتم رحمته إلا إذا كان عالما بمواضع الحاجات لمن يرحمهم . قلت أي ورني . قال الحاء والميم في ( حم ) تذكرة بالرحمة أولاً وتذكرة بالحمد ثانياً ، ألا ترى أن مبدأ الخلوقات علم الله ، ثم إنه على مقتضى العلم خلقها ، ولما أحسننا بالنعمة وعدلناها حمدناه . فقلت حسن . قال هذا هو ملخص الآيات ، علم الله فرحمة منه فعدلنا فحمدنا ؛ الرحمة في البسملة والحمد في قوله « يسبحون بحمد ربهم » فالرحمة مبدأ والحمد نهاية ، ولا رحمة إلا مع علم ولا حمد منا نحن إلا مع علم . ثم إن هؤلاء الملائكة المدبرين لهذه الكواكب مسكنهم في السموات ، وهم عارفون بجلال الله فهم يسبحون ( السين ) وبهذا نزل الوحي وهو القرآن ( القاف ) وملخص هذا أنك لما تخيلت هذه العوالم :

(١) عرفت الرحمة السابقة والحمد اللاحق ، ويشير لها الحاء والميم .

(٢) وتفكرت في أن الملائكة في السموات يعرفون جلال الله وهم يدبرون هذه الكواكب بهذا النظام اللوسيقى ، وهذا ظهر في قوله « السموات والتسبيح » لأن كلا منهما مبدوء بحرف السين (٣) ولا حظت في عقلك أن الله فوق الجميع علماً وقدرة ، وهذا في قوله « العزيز . العلي . العظيم » كلها مبدوءة بحرف العين .

(٤) وهذا الوحي نزل في القرآن ، وهذا حرف القاف ، وأيضاً هذه العوالم كانت في أزمان سابقة وهي لا تزال كذلك إلى الآن ، وهذا في لفظ من قبلك ( القاف ) .

ولا جرم أن قوله تعالى « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض » أصبح واضحاً مما تقدم ، لأن العوالم حركات لا غير كما أثبتته أنت في التفسير مراراً ، وما الأثير إلا كالحيال في النفوس البشرية ، والحيال متى تركه صاحبه طاح وذهب ، والأثير أشبه بهذا الحيال لأنه ليس مادة ، فهو يكاد يتفطر لأنه في الحقيقة لا شيء والحركات هي التي تتجلى لكم . ثم إن الملائكة لهم [ صفتان ] صفة معرفة الله ، وصفة تعليم الخلق ، وللأولى « يسبحون بحمد ربهم » وللثانية « ويستغفرون لمن في الأرض » وفي كليهما السين ؛ وهذه هي الحصلة التي تجب على كل عالم في الإسلام علم بجلال الله وجماله ؛ ثم أن يكون مفضلاً منبعا للخير فيأصا ناقماً للناس . هنالك قلت يا ليت شعري . إذا كانت هذه الحروف لم تفهم منها الآن إلا ملخص الآية من حيث إنها رمز لها فماذا أفادتنا ؟ فقال إنها جمعت العوالم العلوية والسفلية في نظر النفس وأصبحت كأنها هيئة بهجة تشرح الصدور وتمرف جلال الله وجماله . وهذه تأنس بها الأرواح والإشارة أبلغ من العبارة ، وهذه لا تدرك إلا بالذوق ، وإنما الفرق بين هذه المزايا التي جاءت في هذا التفسير وبين المزايا التي فهمها المتقدمون أن مزايا هذه الإشارات هنا تحت على التعقل والتفكير ، فأما ما جاء عن بعض المتقدمين أن هذه الحروف مقتطفات من اسم الله ، أو أنها تشير إلى أعداد خاصة كالجمل (بتشديد الميم) كما زعم اليهود ، أو أن تكون إشارة إلى مافي العوالم العلوية من المنازل كما تقدم في أول (سورة آل عمران) فإن ما ذكر هنا أقرب منه إلى رقي الأمم الإسلامية ، وأي بهجة ونعمة أبهج وأكمل من استحضار صور العلوم كلها وكأن الله مشرف عليها والنفس تطالع ذلك وهي مغتبطة أي اغتباط وذلك عند النطق بخمسة حروف جمعت العوالم ، ثم فصلت تلك المعاني بعد ذلك في السورة .

## منافع الموسيقى العلمية

### وضرر الموسيقى العملية

قلت له : لقد طال المقال في نظام الموسيقى العلمى في السموات والأرض . وإن المطلعين على هذا التفسير ربما يرون أن الموسيقى في الأرض عند العامة والجهلاء كالموسيقى التي أبدعها الله لأننى وازنت ما بين العود ونظامه والسموات ونظامها . فقال : حقا إن هذا يتبادر إلى الذهن . فبين هذا المقام هنا؟ قلت : لقد ذكرت في أول (سورة الصافات) ما في التعليم العربى في الأمم الإسلامية من النقص الفاضح والجهل للربيع من حيث الشعر العربى . ولا جرم أن بين الشعر والموسيقى صلة نسب وإتقان واتصال . إن الأمم الإسلامية منيت بأشعار العرب قبل الإسلام وبعده وفيها الفث والسمن . ولقد سرت هذه الفكرة سريان النار في الهشيم . وظنوا أن هذه الأشعار على علانها تعرف أسرار القرآن . والحق الذى لا مفر منه أن كل ما أخل بالأخلاق من الأشعار . وما كان منه فيه مجون أو غرام فهو لغو بل ضار . لأن ذلك يعلق فى النفس من صباها فلا يتركها فيصبح خلقا فيها . وتلازم الغرام والصبوة فى الشباب فعلا وفى الشيخوخة قولا وأمانى . وإنى ليدهشنى والله أن أرى هذه الأمة فى الأندلس وفى الشرق لا تفرق بين الشعر الممرض على العفاف والشعر المزرى بالمروءة ولم أجد من يعذر من ذلك الخلط ، لافى زماننا ولا فى الأزمان السابقة، وهكذا أجدهم فعلوا ذلك فى الموسيقى وفى الأغانى ، فكل هذه أباحها القوم ولا نسكير إلا عند الفقهاء ، وأسمعهم يروون جميع الأشعار فى كتبهم وفى سمرهم وفى مجالسهم ، بل أرى الصوفية رمزون بالغزل إلى الذات العلية ، وأجد العلامة الغزالي يبيح السماع بشروط ، والعلامة ابن سينا يجعله هو وطائفة من الصوفية مرقيا للنفس بشرائط خاصة كما هو واضح فى آخر (كتاب الإشارات) .

والحق الذى لا يحصى عنه أن أكثر الأشعار وأكثر الأغانى وأنواع الموسيقى ضارات بمجموع هذه الأمة . إن ما يقوله الإمام الغزالي رحمه الله من جوازها بشرائط ، وهذه الشرائط ترجع إلى أمر واحد وهو أنها إذا سمعها الإنسان لم تتوجه نفسه إلى محرم بل تتوجه إلى إدراك المعانى وشريف الحاصل . أقول : إن ما يقوله حق ، ولكن أكثر الناس غير مستعدين لذلك ولا هم يذكرون ، فأكثر الأشعار وأكثر الموسيقى ضارة بمجموع هذه الأمة ، والقليل منهما هو النافع ، إذن ليست موازنة الموسيقى فى الأرض عند الناس بالموسيقى فى السماء عند الله من حيث الحساب تفيدنا أنهما سيان فى الكمال . كلا . فهناك الموسيقى نظام جميع العلوم ، وهنا استعمالها أكثره مزر بنوع الإنسان وهكذا الأشعار .

ولقد أسمى (سقراط) فى الكتاب العاشر من الجمهورية على طائفة الشعراء ، وأخذ يلوم (هوميروس) الشاعر ويحط من أقدار هذه الطائفة ويقول إنهم لاهم فى العير ولا فى النفير ، قوم لا حقائق عندهم ولا علم ، وما هم إلا مقلدون للحقائق ، وما مثلهم إلا كمثل الرسام الذى رسم لجام الفرس واللجام صنعه صانع وهذا الصانع وضعه بالهيئة التى طلبها ركب الفرس ، فراكب الفرس هو الذى يطلبه والصانع يعمل على مقتضى الطلب ولكن الراسم يقلد الصانع ، هكذا الشاعر فما هو إلا راسم للمعقولات ، لا متعقل ولا عالم ، إذن الشعر خيال والخيال غير الحقيقة .

عجب أن تكون أكثر الشعراء هذه قيمتها ، والله يقول « والشعراء يتبعهم الغاؤون » . وهاهنا عجب وألف عجب أن نسمع القرآن يذم الشعر . وقد وافق فى ذلك الفيلسوف من قبله . وهذا قوله تعالى « بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » .



ثم إن المسلمين في الشرق والغرب طاحت دولهم وذهب مجدهم في الدولة العباسية والدولة الأندلسية بما تركوا مواهبهم ، ولم يكن لهم هم في الأكثر إلا في الشعر ونسوا المعقول وتركوه للأعاجم . لذلك ذهبت ريحهم وأصبحوا أثرا بعد عين .

إن « حم . عسق » جاءت رمزا لنظام العالم العلوي والسفلي وهو الموسيقى الجميلة والعلم والحكمة . أما شعر الشعراء في الأرض وغناء الغنّين فصرهما أكثر من نعمهما ، فليفسر العلماء في الإسلام بعدنا في قوانينهم للشعر النافع وللموسيقى ، وليحتاطوا في ذلك ، وليفرقوا بين النافع والضار ، فلا تكون للموسيقى إلا حيث يكون إنعاش النفوس للمعمالي والعلوم وأشرف الأخلاق ، وكذلك الأشعار . فأما إذا كان كلاهما لتيسير الزوات فيحرم بتاتا . إذن هناك فرق بين ما دلت عليه « حم ، عسق » وبين ما يغري بأعطاط النفوس الإنسانية .

فلما سمع ذلك قال : أجدت ووفيت المقام حقّه . وبعد أن سمعت هذه الجملة منه انصرف الخيال من أماني ، ونظرت في نفسي ، فوجدت أنني لا أزال في الفراش ، وعجبت من نفسي كيف كان حوارى مع خيالها النورى تخيلته هي ، ثم أخذت أفكر في هذه المعاني فوجدتها معقولة ، بل فرحت بها فسطرتها تبصرة وذكرى لى ولأصدقائى قراء هذا التفسير والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأحد ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م .

### إشراق شمس هذه المقالة

في سحر ليلة الإثنين ٣ من شهر نوفمبر سنة ١٩٣٠ استبان لى من حوى هذه المقالة أن ( حم عسق ) رسمت للحكماء والعلماء في هذه الأرض أربعة منازل وهي :

( ١ ) انبعاث النفوس من الخلق إلى أنوار الحق .

( ٢ ) ثم ائتناسها بتلك الأنوار .

( ٣ ) ثم يكون الاقتباس بعد الائتناس .

( ٤ ) ثم الإفاضة على الناس من تلك الأنوار .

فالمنزلة الأولى هي الانبعاث ولها ( حم ) وذلك أن تشاهد أنفس أهل العلم بهجة هذه الكرات السماوية وتطلع أنوارها وحسابها وأعدادها وعظمتها ، فإذا امتلأت بتلك الأنوار وأشرفت بها أيما إشراق تكون المنزلة الثانية ، وهذه المنزلة الأولى تشير إليها الحياء والميم لأن تجليات العوالم وظهورها من العدم سر الرحمت والرحمة يسبقها العلم والعلم به النظام وتقدير الحركات والدرجات . ويدراك ذلك الجمال ترتقى النفس إلى المقام الأعلى وهو المنزلة الثانية ( ع ) الائتناس إذ تنجلي للفكر تلك العزة والعظمة والعلو اللاتى أشرفت بها أنوار العين في ( عسق ) . وهنا ارتقت النفس من المقدمة إلى النتيجة ، ومن الخلق إلى الخالق ، ومن الأثر إلى المؤثر ، ومن الرحمة إلى الرحيم ، ومن الجمال إلى الجليل ، ومن الصنعة إلى الصانع ، وهناك تنجلي أعمال الملائكة الحافين حول العرش ، وهم يشاهدون العوالم كلها ، مطلعين على بدائعها ، منظمين لحركات السموات ولم يتم ذلك إلا بعد إشراق نفوسهم بما استمدوا من علم وما استفادوا من حكمة من العلى العظيم العليم ، وهذه هي المنزلة الثالثة وهي الاقتباس ( السين ) من ( عسق ) فإذا كانت المنزلة الأولى ارتقاء من الصنعة إلى الصانع ، والثانية تفكير في أوصافه ومشاهدة أنوار الآثار ، فالثالثة الاقتباس ؛ ألا ترى أن المؤثرين

الدين لم نرهم شاهدنا آثارهم ، وعلى مقدار اختلاف الآثار يكون اختلاف المؤثرين ، وهم الذين سميناهم ملائكة ويضرب لهم المثل في نظام العوالم بنظام أعضائنا ، فكما أن في كل عضو قوات خاصة ، هكذا في كل عالم ملائكة مختصون به يدبرونه ، وكما أن أعضاءنا تطيع القوات المدبرة لها هكذا العوالم للشاهدة تطيع الملائكة المدبرين وكما أن الإنسان منا له نفس واحدة ، وهذه النفس لها قوى كثيرة لا تقدر أن نحصيها نحن والله يحصيها هكذا الله واحد وله ملائكة ينفذون أمره وهم كثيرون ، وكما أننا نحس في أنفسنا بأن هناك في عقولنا قوى مختلفة مثل : ( الخيلة ، والفكرة ، والحافظة ، والذاكرة ) وفي أجسامنا قوى أخرى أقل منها درجات من القوة الجاذبة والمهاضمة والماسكة والدافعة والغاذية والتنمية والمولدة ، ومثل العدد المختلفات كغدة الصفراء والبنكرياس وغدة اللعاب اللاتي في الفم وهي ست ، وهكذا مما تقدم إيضاحه في ( سورة فاطر ) هكذا في العالم :

( أولا ) ملائكة سماويون يدبرون العوالم تديرا محكما بنظام متقن ، وهم يستمدون ذلك من المقام الأقدس كما تستمد الحافظة والفكرة ونحوها من الروح الإنسانية معارفها واختراعها ، إذ لولا أرواحنا ما كانت هذه القوى اللاتي تحت سيطرتها ولا كانت معارفها ولا أعمالها .

( ثانيا ) ملائكة أرضيون يدبرون الزرع والشجر والبر والبحر كما ترى للماسكة والمهاضمة الخ والغدد المختلفات تعمل في أجسامنا أفعالا مختلفات وأطوارا متباينات وهي أقل منزلة من قوى الدماغ لأن تلك للعلم والتدبير وهذه للعمل وإحداث الآثار .

وما هذا الذي ذكرته إلا ضرب مثل « وقه المثل الأعلى » فإذا ضرب الله لنوره مثلا بالسراج للعموم فما أسهل ، وما أبدع ، وما أجمل أن نبين لدوى العقول السليمة والحكام والعلماء في الإسلام قاطبة .

( ١ ) إن نفوسنا وأجسامنا وقوانا توضح هذه الآيات إيضاحا شافيا ، وأن وحدة النفس مثال لوحدة

الله تعالى وإن كان الفرق شاسعا بين المثل والممثل له كالبعد ما بين نور الله ونور السراج .

( ٢ ) وأن قوانا في الدماغ ضرب مثل للملائكة السماوية الحافين حول العرش .

( ٣ ) وأن قوانا الجسمية من البنكرياس والصفراء وأمثالها ضرب مثل للملائكة الأرضيين .

إذن ظهر بضرب المثل معنى قوله « وترى الملائكة حافين من حول العرش » في سورة أخرى ، وإياك

أن تظن أن الشبه كالشبه به ، فقول القائل (وجهه كالقمر) ليس معناه أنه هو نفس القمر أو أنه مثله من كل وجه ، فهذا أمر واضح هكذا هنا ، فإذا كانت قوانا الجسمية لا عقول لها مستقلة فالملائكة ليسوا كذلك فهم ذوو عقول مستقلة بها يدبرون ، ولكن لهم صلة برهبهم صلة القمر بالشمس يستمد منها .

هذا معنى كونهم حافين من حول العرش فهمناه فهما إجماليا ، وأما كونهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، فهذا موضع الاقتباس . فإن قوانا المختلفات في الدماغ اللاتي لها وظائف عامة من فكر وحفظ وذكر وهكذا لم تتركها أرواحنا سدى بل لها صلة بها ولن تكون أعمالها إلا على مقتضى ما وصلت إليه أرواحنا ، فليس حفظ ولا فكر ولا تذكريد مشابها كل الشبه لهذه الثلاثة عند عمر ووعنى هذا أن هذه القوى مستمدات الاستمداد التام من نفوسنا بدليل أنها مناسبة لها لا غيرها . فكذلك نقول في الملائكة « وقه المثل الأعلى » إنهم لم يكن لهم عمل إلا على مقتضى علومهم المستمدة من ربهم . ولذلك نجد النتائج منتظمة . فهم إذن عارفون بصفات الجلال وصفات الإكرام أي الصفات السلبية من أنه مخالف للحوادث ، وأنه لا أول له الخ وصفات الإكرام وهي صفات المعاني كالقدرة والعلم الخ والأولى تدخل تحت التسبيح والثانية تدخل تحت الحمد . فقول « يسبحون بحمد ربهم » دخل فيه العلم بالجلال والإكرام (وبعبارة أخرى) صفات التزيه وصفات الإفاضة والحلق والرحمة .

ليس من المعقول أن يكون للسمع عالم الأصوات ، وللبصر عالم الأضواء ، وللذوق عالم الطعوم وللشم عالم الروائح وليس عالم الحشن والناعم الخ ثم لا يكون للعقل عالم يناسبه وهو عالم كله عقول ؟  
 ليس من المعقول أن كل فعل من الأفعال الطبيعية له فاعل من جنسه كما تقدم في النبات وفي الحيوان من أن هناك ( الفطر والبكتريا ) التي تحلل المواد الأرضية لغذاء النبات والمواد التي في الأمعاء الغلاظ لإكمال الهضم كما تقدم قريبا ثم تكون آراؤنا وأفكارنا لم تستمد من عالم عقلي يشبهها ؟ إذن هنا ملائكة وهؤلاء هم الذين يمدوننا على حسب قوانا . وسيأتي إيضاح هذا المقام إيضاحا تاما في كتابي السمي «مرآة الفلسفة» أذكره عند آية «فاعلم أنه لا إله إلا الله» وهناك يزول ذلك الإشكال الذي بقي ٢٤ قرنا في أمر العقول والنفوس والمادة وعلاقتها بصانع العالم ، وقد وصلت بحمد الله لحل هذا الإشكال المعقد ، وسترى هناك مراتب الفلاسفة في العالم ، وكيف كان أفلاطون يقول بالمثل الأفلاطونية ، وكيف رد عليه تلميذه أرسطاطاليس بأن هذه المثل ليست محل المشكلة ، والصواب عنده أن العلوم مرجعها غير تلك المثل وهي الصورة القائمة بالمادة ؛ ولما جاء بعدهم قوم آخرون رأوا الخلاف عسيرا والحل صعبا . توقفت العقول عند هذا الحد . فتركوا الإلهيات واقتصروا على العلوم الأخرى . وسترى أن (سبنسر) الفيلسوف الانكليزي والاساذ ستلان الفيلسوف التلياني يقولان . «إننا بالنسبة لأصول الفلسفة أمثال هذه المسألة لا قدرة لنا على حلها . ونحن بالنسبة لأمثال سقراط ومن معه كالبقعة بالنسبة للقبيل .

وأنا أعلن المسلمين خصوصا والعالم الإسلامي عموما أن الله عز وجل قد من على بالتوفيق في تلك الرسالة وسترى فيها طريقا غير طريق هذين الحكيمين خالبا مما ورد عليهما من الإشكال . فقد بينت لك هناك إثبات برهان وجود الملائكة ومعرفة الله بطريقة كطرق الهندسة يفهمها الخاص والعام من أهل العلم . وهناك ثبت عالم الملائكة ثبوتا هندسيا .

وود تقدم في السورة السابقة في آية « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » بعض ذلك واضحا وتامه سيأتي في الرسالة المذكورة إن شاء الله تعالى .

وبناء على ذلك نفهم قوله تعالى «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط» فالعلم منه وهو يفيضه على الملائكة والملائكة يفيضون على الناس . فقوله تعالى «والملائكة يسبحون بحمد ربهم» راجع ذلك لاستمدادهم منه بالبرهان الذي ستراه في (سورة محمد) عليه الصلاة والسلام والناس يستمدون من الملائكة . فاستغفروهم لمن في الأرض لن يتم لهم إلا لما نالوا من العلم بجلال الله وإكرامه . والناس من الملائكة يستمدون وهذه هي المنزلة الرابعة من المنازل المتقدمة .

فالمنزلة الأولى نظام العوالم . والثانية إدراك صانعه . والثالثة إدراك الملائكة . والرابعة العلماء في الأرض فهم يعرفون العوالم كلها ثم يفيضونها على الناس . ولهذا الإشارة بقوله «يوحى إليك وإلى الذين من قبلك» فالوحى هو القرآن وهذا هو حرف القاف (وبعبارة أخرى) «يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض» فهم يتبعون الملائكة حذو القذة بالقذة والملائكة يستمدون من الله .

هذا ملخص (حم ، عسق) فهي أربعة منازل : هي نظام هذه الدنيا وعقولها وعلومها وهيام القلوب بصانعيها ، وهل هذه المنازل الأربعة إلا أشبه بما جاء في (جمهورية أفلاطون) من المغارة والنار .

## حم . عسق . ومغارة أفلاطون

اعلم أن ماقررناه من النازل الأربعة في (حم . عسق) هو نفسه الذي قرره أفلاطون في جمهوريته كما تقدم في هذا التفسير . ألم تر أنه تصور جماعة في مغارة وجوههم متجهة إلى مؤخرها . وأمامهم ضوء نار على ذلك المؤخر وهم مسلسلون بحيث لا يرون ماوراءهم من النار التي تضيء وراء سور ، وهناك أناس يسبرون وهم يحملون أنواعا من الحيوان والنبات والنار ترسم تلك الصور في مقابلة وجوه هؤلاء الذين في المغارة . وهؤلاء سموا هذه الصور بأسماء وقالوا إنها هي الحقائق بعينها . ثم إن أحدهم خرج منها وأخذ يتعمرن على نور القمر في الماء وكذا النجوم ليلا ثم يراها بأنفسها ، يرى صورة الشمس في الماء ، ثم يراها بنفسها (وبعبارة أخرى) أنه أخذ يتدرج في النظر فأدرك أن هذه الصور التي على الحائط ماهي إلا آثار صور الحيوانات الحقيقية وأن النار نفسها ماهي إلا أثر من آثار الشمس . وبه تعرف الفصول والسنون والشهور والأيام . فإذا جعلنا الشمس بدل النار ، وجعلنا سكان الأرض بدل سكان المغارة ، وجعلنا النبات والحيوان بدل الصور التي على الحائط تم لنا المقصود وظهر المثل بأوضح معانيه . وعليه تكون الشمس ضربت مثلا لله والنبات والحيوان يكونان على مقتضى عالم المثال الذي يقول به أفلاطون ، وسكان أهل الأرض كسكان المغارة . فهم جهال وليس يدرك الحقائق إلا أناس تركوا آراء الجمهور وعشوا فعرفوا المعلوم . ثم إن ذلك الذي خرج من المغارة وعرف الحقائق في مثال أفلاطون رجع ثانيا إلى إخوانه وقاسى الشدائد في تفهيمهم كما قاسى المشقات في تمرين عينيه على نظر الأنوار الحقيقية ، إذن هنا صعود من المغارة ؛ ثم تعلم ثم رجوع إلى من فيها وتعليم لهم .

أفليس هذا كله هو عين (حم . عسق) ارتقاء عن المادة ، معرفة بالله والملائكة ، ثم رجوع إلى الناس وتعليم لهم على مقتضى ما تعلم .  
هذا هو معنى قوله «والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض» فالحمد لله على نعمه الوافرة ؛ وآلائه الفاخرة اه .

## جوهرة في آية : الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان

### وما يدريك لعل الساعة قريب

إن المتعلمين أكثرهم يبد الكلام على الآخرة والدين وإن ذلك تقدم في التفسير . وهذه أول مرة قام فيها رجل له همة وله احترام من المتعلمين بهذه الخطبة ، وهذه بشارة أزفها بأن الجو في متعلسى الشرق الأدنى أخذ يتغير إلى الأحسن بعد أن كانوا يحتقرون هذه الآراء ؛ وهذا الإحتقار أصاع بلادهم . وهاك نص الخطبة المذكورة .

## بأي ميزان ترن الحياة ؟

( محاضرة الأستاذ توفيق دياب )

ألقاها في ألف ومتى مستمع

أخواني وإخواني :

ذلك السر الغامض الذي يبدأ بالميلاد وينتهي بالوفاة . ذلك السر الغامض الذي نسميه الحياة ، ونرى أنفسنا في غماره متدافعين إلى الأمام أو متراجعين إلى الوراء . ذلك البحر الخضم الذي تلقينا بين أمواجه يوم نولد قوة خفية ، حتى إذا سبحنا فيه شوطاً قصر أو طال ، نزعنا منه تلك القوة الخفية حين يحل الأجل ، هذه الحركة التي نساقي إليها غير مختارين ، ونفصل عنها غير مختارين . هذه الحياة ماهي ؟ وما غايتها ؟ ولماذا ولدنا ؟ ولماذا نموت ؟

ليت أحداً يستطيع الجواب عن هذا السؤال في كلمة أو كلمتين . إذن لاستراح الفلاسفة وأصحاب المذاهب المختلفة في كنه الحياة . فقد بما كان ، وإلى اليوم مازال هذا السر الرهيب موضوع البحث والملح ومثار الجدل العنيف بين العلماء والمفكرين . وليس عجباً أن يفكر الفلاسفة في مرمى الحياة ، وإنما العجب ألا يفكر في مرمى الحياة جميع الناس .

نولد أجنة وندرج أطفالاً وننشأ صبية ونزاهق فتياناً ونستوى رجالاً ونبلع الكهولة وتدركننا الشيخوخة إن قدر لنا أن نعلم ؛ ثم ماذا ؟ ثم نجف الشجرة وتذوي الأزهار ويتساقط الورق ، وما هو إلا نفس أخير نلفظه فإذا نحن رفات . وذلك دون أن نفكر يوماً لماذا ولدنا ولماذا حيناً ولماذا نموت ، ودون أن نفكر من أين جئنا وإلى أين نعود ، وهل جئنا من عدم لنعود إلى عدم أو جئنا من وجود لنعود إلى وجود ؟

وأنت مع ذلك إذا أخذت سنة من النوم ، ثم استيقظت فوجدت نفسك في غرفة لا عهد لك بها ، فلن تستقر على حال من الدهش ؛ حتى تعرف ما هذا المكان ومن ذا جاء بك إليه وكيف جاء بك ولماذا ؟ ستظل من نوافذ الغرفة لترى على أية حديقة أو فناء تشرف ، ستفتح الباب فإن كان موصداً عاجلته حتى يفتح أو ينحطم ، فإذا خرجت من الغرفة جعلت تنظر بمنة ويسرة في ذهول وحيرة . ثم جعلت تطوف بأرجاء الدار متسائلاً نفسك أين أنا وما هذه الدار ولمن هي وفي أية مدينة ؟ ولن يهدأ لك بال أو يستقر لك حال حتى تلقاك سيدة هي أشبه ما تكون بالمرضات فتنبئك بأن هذه الدار (عافاك الله) مستشفى ، وإن إنعماء طارئة غشيتك تخاف عليك والدك فأسرع بك إليه ، حتى إذا بشر الطبيب أبالك بأن الأمر هين لا خطر فيه . آتراك الإقامة هنا أياماً إلى أن تستعيد صحتك فترجع إلى دارك سليماً معافاً .

حينئذ تدرك حقيقة المكان ومن جاء بك إليه وما السبب ؟ فإذا عرفت أن الغاية هي استشفائك بما بك ، لم يزدك عنك بهذه الغاية إلا أخذاً بأسبابها واستيفاء لشرائطها ، حتى يتم لك منها ما أرادته والدك وما أصبحت تريده لنفسك .

هذا شأننا من الدهش والتساؤل إذا طوحت بنا الطوائح إلى مكان مجهول . فما بالنا تبعثنا إلى هذه الدنيا قوة خفية على غير قصد منا ولا اختيار ثم تتوفانا مستضعفين على غير قصد منا ولا اختيار ، نظهر ونختفي على

سطح هذا المحيط الهائل . كالفقايق تنتفخ وتنفجر في مثل نوح البصر ، دون أن يأخذنا دهش يدعونا إلى الحيرة والتساؤل والتفكير .

لماذا بعثنا القوة الخفية القديرة الجبارة إلى هذه الدنيا . ألقى في هناها أو عنائها ، في صحتها أو مرضها في غناها أو فقرها ، في عدلها أو ظلها ، في إختائها أولدها ، في رفقها أو جفائها ، أو في مزيج من هذا كله ستين أو سبعين عاما إذا طال بنا العمر .

وما ستون أو سبعون عاما في امتداد الأزل الذي لا أول له . وفي امتداد الأبد الذي لا نهاية له . إن العلماء ليحصلون السنين التي سلختها الإنسانية على هذا الكوكب بالملايين بالألوف ، ويقدرون لها البقاء فيه ملايين أخرى تربو على الإحصاء . فما أنا وما أنت ، وما نصيبي وما نصيبك في هذا السرمد الذي تحار فيه الألباب . ذرة ضئيلة من جبل أشم ، قطرة هينة من محيط مترام .

وإذن فما حياتك وما حياتي وما حياة هذا الجيل كله وما حياة الأمم الحاضرة كلها ، حتى نجعل موضوع هذه المحاضرة ( بأى ميزان تزن حياتك ؟ )

إن التاريخ المدون أو المكتوب لا يعد وستة آلاف من السنين . وهي التي شغلت أقلام المؤرخين ، وهي التي ظهرت فيها حضارات واختفت حضارات . وارتقت أمم وانحطت أمم ، وهي التي وقع فيها من الظالم والحروب ، وطفى فيها من الرق والاستعباد ، وتقلب فيها من العقائد والأديان ، واختلف فيها من طرائق الخير والشر ، وتعاقب فيها على الجماعات والأفراد من السعادة والشقاء . وأظلم فيها من الضلالات والجهالات ، وأضاء فيها من العارف والعلوم ( ماتضيق عن الإحاطة به مئات الألوف من المجلدات ومئات الألوف من العقول . وهذا كله تراث ستة آلاف من السنين . وما هي من ماضي الإنسانية المجهولة ومن تاريخها غير المكتوب ، وما هي من مستقبل الإنسانية الذي لا تترامى إلى حدوده عين الخيال ) إلا بمثابة الدقيقة الواحدة من ألوف الأعوام .

إذن أليس من العرور أن أتكلم عن حياتك وحياتي وعن ميزان حياتك وميزان حياتي ، ما حياتك وما حياتي إذا قستها بهذا المقياس الخفيف . إنك لو نظرت إليها بالميكروسكوب لعز على الميكروسكوب أن يكشفها لمن ينظر إليها من أفق الأزل القديم والأبد الخالد .

ألا تصدق ؟ إذن ألا تعلم أن كوكبك هذا الذي عاش فيه أجدادك من البشر ملايين السنين وسيعيش فيه أحفادك ملايين أخرى لا يحصها العد ، إن لم يصطدم به جرم سماوي آخر فاذا أراضك هباء في مثل قصف الرعد أو خطف البصر ( ألا تعلم أن هذه الأرض بماضها الزاخر ومستقبلها العظيم الباهر إنما هي شظية نظارت من الشمس كما تطاير الشرارة من التنور الهائل المستعر ، فجالت شرارتك في الفضاء حتى أخذت مدارها من نظامنا الشمسي واستحالت حصة ( مستقلة ذات سيادة ) .

أنا وأنت وهو وهي وهم وهن آحاد في عداد ملايين الأمة المصرية . والأمة المصرية إحدى العشرات الكثيرة من أمم هذا العصر . وأمم هذا العصر حلقة قصيرة من سلسلة ترجع إلى ماض لا يدرك الخيال مبتداه وتمتد إلى مستقبل لا يدرك الخيال منتهاه على هذه الأرض وهذه الأرض شظية كانت ملتصقة بتأثر من الشمس فدارت من نظام الكون حيث تدور ثم ماذا عسى تكون حياتي وماذا عسى تكون حياتك ، لاسيما وأنت تعلم أن نظامنا الشمسي ليس إلا واحدا من نظم كثيرة تماثله . لو أطلنا التفكير في كتبها وفي تلك القوة الخفية التي تسخرها لقضينا أعوامنا الستين أو السبعين في التفسير ، دون أن نزداد في تفهمها إلا ذهولا وحيرة .

سيداتي وساداتي :

هل تختملون منى كلمة جريئة ؟ إذن تفضلوا فاسموها :

إذا كانت الحياة هي الأعوام الستون أو السبعون التي نعيشها في هذه الدنيا ، من غير أن نكون مرتبطين قبل قدومنا بقوة هي التي بمثلنا الحكمة ، ومن غير أن نكون مرتبطين بعد رحيلنا بقوة هي التي استدعتنا إليها الحكمة ، إذا كانت الحياة مصدرها العدم ومصيرها العدم ، إذا كان مولدنا في هذه الأرض مصادفة لم تقصدها قوة مريدة مدبرة ، وكان موتنا مجرد انتهاء لهذه المصادفة ، إذا كان وجودنا مجرد نتيجة آلية عضوية لمجرد تفاعلات آلية عضوية ، وكان زوالنا نتيجة مادية لأسباب مادية لا أقل ولا أكثر ، إذا كانت أيامنا في هذه الدنيا برزخا تعاسيين بلقيين : بلقع الماضي قبل أن نولد ، وبلقع المستقبل بعد أن نموت ، إذا كنا في هذه الدنيا مجرد أحلام زائلة وأشباح حائلة ، إذا كان كل هذا العناء وهذا الكدح وهذه الآلام وهذه الأمراض وهذه المخطوب التي نشاهدها أو نختملها أو نكافحها في سبيل الإنسانية ، إذا كانت كل هذه الحضارات وهذه العلوم وهذه الفنون وهذه الآداب التي تسمو إليها الأمم جيلا بعد جيل ، إذا كانت هذه الشرور كلها وهذه الخيرات كلها ليس وراءها إلا مطلب واحد ( هو أن يعيش كل فرد من الناس خمسين أو ستين عاما محدودة بمحددين : عدم مطلق منذ الأزل وعدم مطلق إلى الأبد ما عدا هذه الأعوام الخمسين أو الستين ) . إذا كان الأمر كذلك ، فما أحق الأحياء الذين يؤمنون بهذا العدم من قبل ومن بعد ثم يعيشون . إن الانتحار أولى بهم وأجدر ، أما أنا فلو كنت منهم لا نتحرت . إن هذه الأعوام الستين التي يعيشها المرء في هذه الدنيا لا تساوي في ذاتها عضة الفقر ولا ذلة الحاجة عاما واحدا . إنها في ذاتها لا تساوي برحاء المرض المعض نصف عام . إنها في ذاتها لا تساوي احتمال ظلم الظالمين ولا جبروت التجبرين . إن المرء ليصادف في هذه الأعوام الستين أو السبعين من ضروب الأذى ما لا يختمله إلا لشعور واحد ، هو أن الحياة سر قديم خالد . لا حياة الجماعة تحسب بل حياة كل فرد من أفرادها كبر أو صغر ، جل في نفوس الناس أو هوان .

إذا سألت بعض علماء الدين يرون حياة الفرد مسبقة بعدم منتهية إلى عدم ، إذا سألتهم لماذا يعيشون . قالوا نعيش طوعا لغريزتين : غريزة الحرص على بقائنا ، وغريزة الحرص على بقاء النوع . أما حرصنا على بقاء أنفسنا فواضح حتى في الطفل يتجنب السقوط من عل ويتجنب النار اللاذعة والحفرة العميقة . وأما حرصنا على بقاء النوع فواضح في الأم تسهر على ذرارها . والأب يعول أبناءه ، حتى ولو كانت الأم حيوانا أعجم .

ونحن نفهم هذا التعليل بقوة الغريزة من غير السادة العلماء . فأما وهم من أهل التفكير الذين من شأنهم أن يرجحوا حكم العقل على اندفاع الغرائز ، فقد كان الأولى بهم إذا لم يؤمنوا بأن الحياة الفرد اتصالا وثيقا بالخلود كان أولى بهم أن يدركوا هذه الأعوام القليلة التي ستسلمهم عما قريب إلى فناء لا وجود لهم بعده . هذه الأعوام لا تستحق منهم عناء البحث والتنقيب في مظاهر كاذبة وزبارج باطلة ، ولا تستحق منهم هذا المكوف على العامل والآلات والمنظار الكبير والمنظار الصغير والتعليل والتحليل والكدح بالليل والنهار للوصول إلى حقائق مهما تكن في نظرهم جلية فهي تافهة مادامت هذه الحقائق الإنسانية والسادة العلماء في طبيعتها كائنات تافهة تظهر اليوم من ظلام العدم لتنتهي في الغد إلى ظلام العدم . كان أولى بهم أن يقفوا مبشرين بالفناء ، وأن يقولوا للناس فيم الكد وفيم العناء في سبيل غاية مقفرة مظلمة ، إلى العدم العاجل بيدك أنت أيها الإنسانية مختارة طائعة ، فذلك أكرم وأروح للبال من أن يحل بك العدم غير طائعة ولا مختارة .

يقولون إن حياة الإنسانية شيء، وحياة الفرد شيء آخر، حياة الفرد إلى العدم. فأما حياة الإنسانية فإلى البقاء، لذلك يخدمون الإنسانية بالعلم والفن والأدب، ليحيى الجيل اللاحق خيرا من الجيل السابق، ولتجىء الحضارة الآتية أعظم وأروع من الحضارة الماضية، وهذا في الحق سخف عظيم، لأن معناه أن جميع الأجيال الماضية وجميع الأجيال الآتية كانت وستكون مجرد عتبات ومدارج، أو مطايا وبرازع، يعلوها في النهاية آخر جيل تتممخص عنه الإنسانية، فإذا استوى الجيل الأخير على قمة الجبل لم يكن مجده خالدا، بل كان مجده زائلا كذلك، ولو عمر الإنسان الأخير بفضل العلم ألفت سنة. ثم ينقضى هذا الجيل الأخير بانقضاء صلاح الأرض للحياة، وانتهت الدنيا إلى غايتها، وفنيت حضارة الشمس، وانطلقا ضياؤها، واستحالت البحار جليدا والشجر والنبات هباء أمست الإنسانية عدما مطلقا إلى آخر نسعة فيها، ولم يبق للإنسان المسكين حتى ولا الذكرى، إذ من ذا يذكر الإنسان وقد انمحي من صفحة هذا الكون آخر إنسان. وانمحي لا ليمسوا إلى عالم آخر ولكن ليبقى غريبا في غمرات الفناء، خالدا فيها أبدا أبدين.

هل هذه إذن غاية الإنسانية؟ هل غايتها أن تقضى مئات الملايين من السنين لتنتضج جيلا واحدا هو الجيل الأخير. ثم يكون هذا مصير ذلك الجيل الأخير؟ أتعرف الساحر الذي يخرج علبة من جوف علبة ثم يخرج الثالثة من جوف الثانية. والرابعة من جوف الثالثة والخامسة من جوف الرابعة وهكذا حتى تعد عشرات من العلب يخرج بعضها من جوف بعض حتى ينتهي بك إلى علبة لا تسكاد تراها لضوئها. ثم يوهمك بأن فيها قطرة من سائل هوماء الحياة. فاذا تناولها المتناول وأسرع بالقطرة إلى فيه ليرزق الخلود خر على الأرض فاقد الروح. تلك صورة فكاهية من الحياة الإنسانية كما يفهمها أولئك الماديون.

سيداتي وسادتي:

هل تريدون مني كلمة جريئة أخرى؟ هذا الإنسان أكبر وأعظم من الأعوام السبعين أو المائة التي تمتد إليها حياته في الدنيا. لكن هذا الإنسان متناقض عجيب. أتذكرون أيامه القابرة؟ أيام كان يأوى إلى السكوف ويأكل الصيد نيئا. ويضرب في الغابات عاريا. ولا تسكاد تميزه من سائر الحيوان.

هذا الإنسان ما الذي هداه إلى ما هو اليوم فيه؟ ما الذي صعد به إلى المستوى الذي بلغه في القرن العشرين معجزة القرون؟ في الدنيا حروب وفيها عدوان وفيها آفات وفيها عيوب. ولكنها عيوب الصاعد إلى المثل الأعلى رويدا رويدا، ولا سبيل إلى أن ينجو من تراث الماضي وغرائز الأناية الأولى كل النجاة في ألف عام كلا ولا في عشرة آلاف. قد يشن الحروب ويعتدى على الحقوق. ولكن لطيفة خفية تنزع به إلى السلام والانصاف بعد النزوع. له اليوم قوانين وشرائع إن طغت عليها يدالعدوان يوما. فان الجماعة كفيلة بردالحق إلى نصابه وإن كره المعتدون. له اليوم علوم قيعة وفنون جميلة وآداب أفسحت أمام عقله سبحات الهناء للعبودية. له تعاون على البر والاحسان. يلطف من تعاون الأشقياء على الغدر والاساءة. له أديان مشروعة ومثل من الأخلاق موضوعة. له طائرات في الجو وغائصات في البحر وله أسباب ممدودة تراها العين أسلاكاً برقية أو تلفونية أو لاتراها، لأنها أسباب من الأثير تحمل الأصوات وتخفي عن النظرات.

وهو مع ذلك متناقض عجيب. ذلك الذي دوخ الأرض وسخر الجو والبحر ونفذ في الصخر وكشف من الأسرار عجائب كانت قبل عشرة أعوام أو عشرين في عداد المعجزات. ذلك الذي يقف وراء المدفع الضخم فيطلقه على البرج المشيد أو القرية العامرة فإذا هي أطلال. ذلك الذي كشف أسرار الأفلاك والكواكب والنجوم. وعرف مزاج بعضها وتأليف مواده وتركيب عناصره وقاس أبعادها وحنق حسابها حتى ليتنبأ لها بحوادثها وبجرباتها قبل أن تقع بمئات الأعوام. ذلك الذي اتخذ من الغاز مموما. ومن الهواء غذاء. ومن



حرارة الشمس وهدير الماء قوة مستعملة أو مذخورة . ذلك الذي أضاء الليل بثريات مكهربة فكأنها شمس وأقمار ، ذلك الذي يطوف الآن حول الأرض على متن الهواء قبل أن يطوف أخوه البدوي مناخ قبيلته على ظهر البعير . ذلك الذي كشفت له الأشعة مكنون الجسوم واخترقت له حجب الغيب فأصبح يرى ما لم تكن تراه العيون .

ذلك الإنسان تقتله البعوضة وتمرضه نسمة الهواء ؛ وتشرقه جرعة الماء . وبصرفه الهوى عن الجادة ويريد الأمر المستطاع فيصرفه عنه التخاذل ؛ ذلك الإنسان يعدل ويظلم ، ويقسو ويرحم ويتخذ العلم للشر ويتخذ العلم للخير ؛ فما هذه القوة وما هذا الضعف ؟ وما هذا النور الساطع وما هذا الخلك الدامس . وكيف يجتمعان ولأيهما الغلب آخر الأمر . وهل نستطيع أن نستخلص من بين هذه الأطوار المتنافرة ، والمظاهر المتناكرة حقيقة الحياة وغاية الحياة وميزان الحياة ؛ نعم وأييك يجب أن نستطيع .

سيداتي وسادتي :

هل تريدون مني كلمة جريئة أخرى ؟ نحن تلاميذ القوة العظيمة التي بعثتنا إلى هذه الدنيا يوم ولدنا . والتي تتوفانا يوم يحل الأجل نحن تلاميذها وهي تعلمنا من حيث لا نراها ؛ وقد أودعنا سرا يسميه الفلاسفة عقلا ، وتسميه الأديان روحا . وأنا لاهمني ماذا نسميه ، هو قبس من هذه القوة العظيمة وشعاع من نورها وليس يولد إنسان إلا وينطوى على هذا القبس أو هذه الشعاع كأمنة ؛ وإنما توقظها تجاريب الحياة من ألم ولذة وحرمان وإحراز ومرض وصحة وإخفاق ونجاح ؛ فالألم يوقظ هذا السر السكين ، وبروضه على النظر كيف ينجو من الألم . واللذة تبعث فيه حب الاستزادة لحب الحركة في سبيل إحراز تلك اللذة والحرمان يبعث فيه حب التحصيل والإحراز ؛ ولذة الإحراز تدفعه إلى طلب المزيد ، والمرض يعلمه التوق ويعلمه الصبر والجلد ، والصحة تشعره الهناء ، والإخفاق يغربه بالسكوح ومعاودة العلاج ، والنجاح يزيد به حمة وعزيمة .

كان هذا منبت الفرائض في الإنسان الأول ، ثم رأى ذلك التلميذ الناشئ على كر الأجيال أن في بعض لداته إبلا ما لاخوته ، وأن في بعض سمادته شقاء لسواه . فازدادت فيه الحساسية ، فوازن قليلا بين سمادته وشقاء الآخرين ، فانصرف قليلا قليلا عن الأنانية المطلقة ، ومازج تقديره شيء من العطف على سواه . السر الدفين يستيقظ ، الشعاع السكينة ترسل ضوءها خارج نفسها لأول مرة ، بذرة الإنصاف والعطف والغيرة تستجيب نبتة مزهر ، التلميذ يتعلم في مدرسة الحياة درس العدالة ، فيحاكي المعلم الأعظم الذي بعثه إلى مدرسة الحياة ، التلميذ يدرس منهاج الفضائل في مدرسة الدنيا مكرمة بعدمكرمة ، ومحمدة بعدمحمدة . أليس المعلم الأعظم كريما حميدا ؟ وهذا تلميذه أودع فيه قبسه لينقدح بزمام الحوادث والتجارب . أهى البسالة والإقدام ؟ إن للمعلم الأعظم يعلو عن المخاوف فهو القوى المتين ؛ أهو الدأب والسكفاح والعزيمة لا تعرف اليأس ولا القنوط . إن المعلم الأعظم شديد اللراس يعلو عن الفترة والوهن . أهو البر والإحسان ؟ إن المعلم الأعظم هو المحسن البار وهو ينبوع البر والإحسان .

ومامن فضيلة ولا مكرمة الا اشتق أصلها من تلك القوة المهيمنة ومن ذلك المعلم الأعظم . ولكن المعلم الأعظم لا يعلمنا الشجاعة ولا قوة العزيمة ولا البر والإحسان إلا عن طريق الحوادث والتجارب . فقبل الشجاعة ساد الجبن حتى استيقظت شعاع المعلم الأعظم في التلميذ فاحتقرت الجبن والجبناء ؛ وقبل الوفاء ساد القدر ، وقبل البر والإحسان سادت القسوة والجفاء .

وفي هذه المدرسة مازال التلاميذ يدرسون ولن يزالوا ؛ وإلى جانب الأخلاق التي تروضهم عليها حوادث المدرسة وبقطة السر السكين ، يتجه ذلك القبس إلى محاكاة المعلم الأعظم في العلم والقدرة والإرادة فضلا

فتأ الأضمة الأزلية الخالدة التي تصل قلوبنا بعظمتها ، لا نفتأ تبحر وتقب في أسرار هذا الوجود ، فتستكشف اليوم قانونا من قوانين الطبيعة وتستكشف غدا جوهرها من جواهرها الخفية ، حتى استطاع التلميذ بحركة من أصبعه أن يحيل العرفة للظلمة نورا وهاجا ، لأنه عرف سر الكهرباء ، فما كان بالأمس معجزة يرتاب في جوازها العقل ، أصبح اليوم حقيقة مألوقة لا يدهش لها الأطفال .

واستطاع التلميذ أن يشافه صاحبه بكلمات تلوكها الألسن وتسمعها الآذان ، هذا في جنوب العمور وذلك في شماله من غير حاجة إلى أسلاك . واستطاع التلميذ أن يشارك الطير في ارتياد الجو فكان كل مخلوق في الجو مسلما . وغاص مع الأسماك في مساربها . وتبعها إلى مهابها .

ذلك أن المعلم الأعظم يريد لتلاميذه أن يحاكوا عظمته في العلم والإرادة والقدرة ، كما يريد لهم أن يحاكوه في المحامد والسكريم ، أليس المعلم الأعظم قد يراد على كل شيء ، أليس فعلا لما يريد ، أليس يقول للشيء كن فيكون ، وها هو ذا تلميذه ، هاهو ذا سره وقبسه في هذه الدنيا الإنسان قد استطاع أن يسخر الهواء والماء والكهرباء ، وكثيرا مما نرى ولا نرى من قوى هذه الطبيعة العنراء .

سيداتي وسادتي :

إذن لا يرو عنكم أن تكونوا ذرات صغيرة الأحجام محدودة الأعمار في هذه الدنيا ، إذن لا تستبينوا بأنفسكم إذا قستموها بما سبقكم من الأجيال وما خلفكم منها حتى إذا رجعت الماضي إلى الأزل وامتد إلى الأبد ، ولا يهولنكم أن يكون كوكبكم شظية تناثرت من الشمس ، فكل واحدة منكم سيداتي ، وكل واحد منكم سادتي يحمل بين طواياه سر الوجود . هذه الأرض ستفنى . والشمس التي هي أصل الأرض ستفنى ؟ والنظم الشمسية على اختلافها قد يجعلها المعلم الأعظم مظاهر أخرى لقدرته وصورا جديدة لإرادته لكن ذلك القبس الذي هو نفحة من روحه جلت روحه وعلت عن الأرضين والشموس والأقمار ، ذلك القبس الذي يصلكم به صلة أزلية خالدة لا تنفصم ، ذلك القبس هو سر الوجود .

فيأى ميزان وزن الحياة ، أميزان الطعام والشراب والفقر والغنى والدور والقصور والبنخ والمناعم والوظائف والمناسب ، أم بميزان المحامد والسكريم والعلم والإرادة وكبريات الصفات التي تحاكي بها مملك الأعظم ؟ نحن لا نعتقر الطيبات من الرزق ولا نبغض إليكم كسب المال وإنفاقه في سبيله الحيرة ، بل نحض على ذلك فقيه حفز للهمم وعود على النفس وذوى القربى وأهل الحفاصة بالمتاع الحلال . ولكن الأمر كل الأمر الذي أريد أن أذكر نفسي به وأذكركم ، هو أن كل مرافق الحياة من متاجر ومزارع وصناعات ، ومن مطاعم ومشارب ومساكن ، هي أدوات ووسائل لا بد منها ولكنها ليست غاية الغايات أذكر نفسي بهذه الحقيقة الأولية وأذكر بها حضراتكم لاغضا من الوسائل ولا صرفا لكم عن اتخاذ الأدوات ، ولكن لأنك لو أحصيت في زماننا هذا أولئك الأبقاظ الذين لم تصرفهم وسائل الحياة عن غاية الحياة ، لألقيتهم نورا يسيرا لا يبلغ عددهم فيما أحسب واحدا في كل ألف .

أولئك يزنون الحياة عامة ، وزنون حياتهم خاصة بما تحوى جيوبهم من مال ، لا بما تحوى نفوسهم من خصال ، وبما يشغلون من مناصب لا بما يخدمون من مبادئ .

سيداتي وسادتي :

هذه الأرض مدرسة بعثنا إليها بديع السموات والأرضين . وهذه حقيقة الحياة ، حياة الأفراد وحياة الأمم . وغاية هذه الحياة هي أن تحاكي صفات المعلم الأعظم ، تحاكي عظمتها في غير

صلف ؛ نحاسي رحمته في غير ضعف . نحاسي علمه وقدرته في غير زهو ولا غفار . نحاسي إرادته في غير  
نجبر ولا غرور .

سيداتي وسادتي :

في هذه المدرسة الربانية الكبرى تلاميذ مختلفة درجاتهم فمنهم البرز ومنهم المتخلف ، فلا تمجبوا إذن  
لبعد ما بين الناس من تفاوت في الأخلاق والعزائم والعرفان ، لكن حين يعلم الناس أنهم هاهنا تلاميذ وأنهم  
لم يرسلوا إلى الحياة لعباً ولا لهواً . وأن معلمهم هو ينبوع النور والعرفان والفضائل في كل قلب مضى ورأس  
عاصر بالعلم ونفس خفاقة بالشعر أو بيدائع الفن الجميل . حين يعلم كل ذي موهبة . وكل ذي فضيلة وكل صاحب  
اختراع وكل مستكشف لسر من أسرار الطبيعة ، أن ملهمه ومرشده هو ذلك القبس المستمد من قوة الله  
حينئذ يظل العرور حياءً من الله . وتتضاعف المهمة مرضاة للمعلم الأعظم . ويكون ميزان حياتك هو مبلغ  
محاكاة لصفات المصدر لكل عظيمة من عظام الصفات .

\*\*\*

هذه هي الخطبة التي ألقاها الأستاذ توفيق دياب ونشرت في الجرائد . كتبها لأنها تمت إلى الحقائق  
بسبب (وبيانه) أن الناس قسمان : قسم لا يعرف من الوجود إلا الظواهر . وهذا القسم هو أغلب نوع  
الإنسان . وقسم يبحث عن حقائق الوجود . وهذه الخطبة ، تمت إلى القسم الثاني ، لسبب ذلك كتبها في  
هذا التفسير . وهل لك أيها التذكي أن أحدثك حديثاً عجيباً . إن هذه الخطبة ذكرتني بجوهرتين : الجوهرة  
الأولى أنها تقرب من كلام أفلاطون في جمهوريته في الكتاب الخامس : الجوهرة الثانية : أنها تقرب  
بعض الاقتراب بما خطر لي وملا قلبي جمالا وبهجة وسرورا واتسرا احاصباح يوم السبت ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ  
الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٣١ م .

الجوهرة الأولى في موازنة هذه الخطبة بآراء أفلاطون في جمهوريته

ترجع هذه الخطبة كلها إلى أن كثيرا من الناس لا يفتقرون إلا الحياة الحاضرة وهي في ظاهرها مسبوقه  
بعدم ويلحقها عدم . فسواء أ كان اجتهاد الناس في الدنيا موجها لأنفسهم هم ، أم كان موجها لأبنائهم  
وأحفادهم ، أم كان موجها إلى مواطنهم ، أم كان موجها للأمم كلها ، أم كان موجها لأجيال سيأتون بعد  
آلاف آلاف السنين ، فهذا كله ما هو إلا وبال وسمى لغير فائدة ، فالوجود الذي يعقبه الفناء وجود خير  
منه العدم والفناء .

هذا ملخص الخطبة ، وعادة هذا الإنسان المتدين والملحد أنهم لا يفكرون على هذا الأسلوب ، وغاية  
الأمر أن للتدين يقول : « أحمل خيرا ليكون لي ثواب ، فأتمتع باللذات بعد موتي » أما أمثال هذه الآراء  
فإن عادة الإنسان في الأرض عدم خطورها بياله خطورا يبعث على البحث ، وإذا خطرت بذرونها يلا بحث  
ويكتفون بدياناتهم التي نشأوا عليها وهم لا يفهمون منها إلا قشورها ، فهناك ما قاله أفلاطون في جمهوريته .  
إن هذا الفيلسوف كما تقدم كثيراً في هذا التفسير لا يرى أحداً يصلح لحكم الأمم إلا الفلاسفة ، ذلك  
لأنهم وقفوا على الحقائق فصاروا كأنهم خلفاء الله في أرضه ، وبهذه الخلافة يقلدون في صنع ما هو كامل  
ويحفظون الأمم كما يحفظ هو الكون كله ، وعلى هذا أخذ يصف هؤلاء الفلاسفة ، ويدور محور كلامه على  
أمرين اثنين لا ثالث لهما ، وهما أن الوجود إن كان دائماً فالقائم به المتحقق به هو الفيلسوف ، وإن كان

الوجود غير دائم فالمكتفى به ليس فيلسوفاً لأن علمه متعلق بما ليس له دوام ، فهو يبنى أساس عقله وعلمه على ما ليس بثابت ؛ فهو أشبه بمن يبنى قصوره على شفا جرف هار ، أو على أرض بركانية يشور فيها البركان وقتاً بعد وقت ، أو كمثل من يركب الأسد ، فهو في جميع أحواله خائف يرتقب الهلاك وهكذا مصاحب الكاذب الخائن ، فهو في جميع أوقاته يرتقب غدرة وإيقاعه في الهلاك وهكذا .

إن ما هو معدوم يكون تصويره جهلاً ، وما هو موجود دائم يكون إدراكه علماً ، وما يكون متردداً بين الوجود والعدم يكون إدراكه تصوراً ، فهو متردد بين العلم والجهل .

هذا إجمال كلامه وإن أردت يا صاح إلا الإفصاح ، فدونك الصور الجميلة والأنعام الشجية والقصور الفخمة والأطعمة اللذيذة والثياب الملونة والأشربة المفرحة والمزارع النضرة والبساتين الجميلة والممالك الواسعة التي يملكها الملوك ، والأرض الواسعة التي يملكها الأفراد ، وأمثال ذلك مما يعرفه جمهور الناس وهو شائع بينهم .

هذا كله موجود مشاهد ، والناس في الشرق والغرب قدما وحديثا لا يرون لهم سعادة ولا عزا ولا مجدداً ولا لذة إلا في التمتع بهذه وأمثالها ، فتجد الإنسان مفتوناً بمعشوق جميل ملك قياده كغادة هيفاء أو بنوع من الشراب يقف فيه أوقات فراغه ، أو قصصاً يفتن عليه أخباراً مسلية ، أو جوقة تمثل رواية غرامية ، أو السينما ( دار الصور المتحركة ) التي تعكس صوراً بهجة غريبة .

وبالجملة إن هذه كلها هي التي يفرح بها الناس ويظنون أن هذا وجود حقيقي وهذا خطأ . إن كل هذه متردات بين الوجود والعدم . فمن وقف نظره عليها خانه عقله وأخطأه جده فإن هذه كلها لها وقت فيه تتغير ولا تبقى . فالقصور والبساتين والمزارع والغادات الفاتنات والصور المتحركات في السينما إذا أخذناها باعتبارها هي وأنها مقصودة لذاتها وأن هذا الجمال الذي فيها لا نطلب شيئاً وراءه فإن عقولنا إذن تكون في غاية الخطأ . والدليل على ذلك أن حياتنا محدودة . وكذلك وجود كل هذه المشاهدات التي فرحنا بها . إذن وجودها عدم وأي عقل يفرح بما ليس بدائم . العقل الذي يفرح بما ليس بدائم عقل مجبول . فهذه الصورة الجميلة التي سلبتني لبي وأخذت علي مشاعري . وهذه الحديقة الجميلة . وهذا الملك الواسع . وهذه السلطة ، سيحصل أحد أمرين : إما أني أنا أضعف عن التمتع بها بموت أو مرض أو غيرها . وأما أنها هي تزول أو تفارقني أو تأتي عوارض تحول بيني وبينها . فترى هذه العادة الجميلة أغرمت بغيري أو مانت . وهناك ينقلب العشق مرضاً ولهفاً وحزناً . وهكذا يقول أفلاطون : كل هذه الأشياء مترددة بين العدم والوجود فالفرح بها والاعتداد بوجودها والوقوف عندها عدم عقل وضعف في البصيرة ، إذن ماذا يفعل هذا الإنسان المسكين الذي كله لا يعرف إلا هذا ؟ فقال : يتخذ هذه الصورة الجميلة ، وهذه اللذات المختلفة والقصور والدور والممالك والأهبة وسيلة للتوصل بها إلى إدراك أن هناك جمالاً مطلقاً وملئاً كبيراً وعدلاً تاماً ونظاماً دائماً لا يعتريه الفناء . ومعنى ذلك أن الفيلسوف يبحث بالطرق العلمية ويدرس جميع العلوم وجميع هذا الوجود . وتقوده تلك الصور الجميلة والنظم البديعة إلى ما وراءها من جمال دائم وملئ واسع وماهذه إلا صور تشف عما وراءها : ويكون كل ما يصبو إليه الجهال من صور جميلة ومال عند الحكمم مذكراً ووسيلة لترقى عقله إلى جمال أتم وملئ أوسع ولذة أكمل مع الدوام يلحظه بعقله ويعيش قرير العين بحيث إذا غاب ذلك الجميل أو غدر أو زال ذلك الملك أو المال فإن نفس الفيلسوف سعيدة . ذلك أن محبوبها لم يغب عنها . فإن محبوبها هو الجمال المطلق والملئ للطلق . فأما هذه الصور التي ظهرت له فما هي إلا ظواهر مذكرات بما وراءها لاحقاً ، فأمثال هؤلاء الفلاسفة هم الذين يجب أن يقوموا بنظام الأمم .

أنا الآن أعتقد أنى قدمت لك أيها الذي فكرة عامة عما يريد أفلاطون في جمهوريته ، وهذا القول الوجيز هنا يكفيك الآن .

فإذا عرفت هذا فهمت ماقاله مترجم الكتاب في صحيفة ١٢٢ وهذا نصه : «الفيلسوف الحقيقي هو المغمم كل الغرام ، بالحكمة في كل فروعها ، وعلينا أن نميز في هذا الموقف أدق تمييز بين الفيلسوف الحقيقي وبين المدعى حب الفلسفة تدجيلا ، وتستقر نقطة الفرق بينهما في أن الدجال يكتفى بدرس الموضوعات الجميلة مثلا ، أما الفيلسوف الحقيقي فلا يقف عند ذلك الحد بل يتجاوز به إلى إدراك الجمال المطلق ويمكن وصف حال الأول العقلي بأنه (تصور) وحال الثاني أنه (معرفة حقيقية) أو (علم) فهناك الوجود الحقيقي الذي يتناوله العلم . واللاوجود أو العدم الذي نسبته إلى الجهل نسبة الوجود الحقيقي إلى العلم . ويتوسط بين العلم وبين الجهل التصور . فنتنتج أن التصور يتناول الوجود الظاهري . فالذين يدرسون الوجود الحقيقي يدعون محبي الحكمة أو (فلاسفة) والذين يدرسون الوجود الظاهري يدعون محبي التصور (لا فلاسفة) . وفهمت ماجاء في المتن . وأذكر لك بعضه في صحيفة ١٤٨ من الجمهورية إذ سألت سقراط غلوكون .

فلسقراط (س) ولغلوكون (غ) وهاك نصها :

(س) إن الراغب في تذوق كل أنواع المعرفة فيكب على دروسه بسرور ورغبة ولا يكف أن إنسانا كهذه بحق ندعوه فيلسوفا ألا ندعوه .

(غ) إن وصفك هذا يشمل عددا عديدا . ويضم طائفة مسهجة ، ويحسبه كل عشاق الطلب فلاسفة لأنهم راغبون في المعرفة . وكذلك المنصبون على سمع القصص هم طبقة خاصة بين الفلاسفة . أعنى بهم الذين لا يشهدون محاوراة فلسفية . ولا غيرها من أنواع المحاورات على أنهم سامعون مواظبون لا يغيبون عن حفلة ديونيسية<sup>(١)</sup> في مدينة أو قرية . فكأنهم آجروا آذانهم للسمع لكل جوقة في وقتها ، أفتب لهؤلاء لقب فلاسفة ولأمثالهم ممن لا ذبأى نوع من الدروس ولأسانذة الفنون الصغرى :

(س) مؤكد لا بل ندعوهم فلاسفة زائفين .

(غ) فمن هم الذين ندعوهم فلاسفة حقيقيين ؟

(س) هم الذين يحبون أن يروا الحقيقة .

(غ) لا يمكن أن تخطيء في هذا ولكن هل تريد أن توضح ماتعنيه

(س) ليس ذلك سهلا مع غيرك . أما أنت فتجود على بالتسليم الذي أنشده .

(غ) وما هو ذلك التسليم .

(س) هو فيما يأتي : لما كان الجمال ضد القبح فهما شيثان .

(غ) مؤكد أنهما شيثان .

(س) وإذا كانا شيثين فكل منهما واحد على حدة .

(غ) وهذا أيضا حق .

(س) ويتمشى هذا الحكم نفسه على العدالة والتعدى ، وعلى كل التصورات العمومية فكل منها شيء واحد ، لكنه يظهر متعددًا باعتبار علاقاته المتبادلة بالأشياء والأعمال التي بها يتجلى في كل مكان .

(غ) أنت مصيب .

(١) أو مختنالية : نسبة إلى باخس . وهي حفلة شرب ومرح .

(س) واستنادا إلى هذا الابدأ أميز بين الدين وصفناهم الآن أنهم عشاق النظر والصناعة ومحبة الفنون ورجال العمل من جهة واحدة ، وبين الذين نحن في صددهم وهم وحدهم نسميهم فلاسفة في الجهة الأخرى .

(غ) أوضح ماتعنى .

(س) أعنى أن محبي النظر والسمع يعجبون بالجميل من الأصوات والأشكال والألوان والصور ، وكل ما دخلت في تركيبه هذه الأشياء من منتوجات الفن ، ولكن فهمهم يقصر عن إدراك كنه الجمال واعتناقه .

(غ) نعم إنه كما تقول .

(س) أو ليس القادرون على التفكير الحر في الجمال المطلق هم قلائل .

(غ) حقا إنهم قلائل .

(س) فإذا أدرك امرؤ وجود الأشياء الجميلة ولكنه جحد الجمال المطلق وعجز عن اتباع من تقدمه إلى إدراكه ، أخطأ بحسب حياة إنسان كهذا أم يقظة ، تأمل أليس الحالم ، في يقظة أو في منام ، هو الذي يخلط بين الحقائق وبين الصور المنعكسة عنها .

(غ) اعترف أن امرأ كهذا حالم .

(س) وما قولك فيمن غايره ، ففهم الجمال المطلق ، وامتلك قوة التمييز بين هذا الجوهر وبين الأوساط التي يتجلى بها فلا يخطيء في حساب الجمال جوهرها ولا الجوهر مجالي ، أخطأ بحسب حياة هذا أم يقظة ؟

(غ) يقظة دون شك .

(س) أفلسنا مصيبين إذ ذاك ، في تسمية فعل الشخص الثاني العقلي معرفة لأنه أدرك الحقيقة ، وفعل سابقه تصورا لأنه تصور فقط .

(غ) غاية في الصواب .

(س) حسنا ، فإذا امتعض من سميناه متصورا لا عارفا ، وغضب علينا مدعيا أن ما قلنا ، غير صحيح ، فهل لنا من سبيل لتلطيف غضبه وإقناعه برقة ولين ، سائرين عنه حقيقة حاله ، وهي أنه ليس في حال الصحة .

(غ) ذلك أمر مرغوب فيه .

(س) فانظر فيما يلزم أن تقول له ، أنت تحسن أن نحادثه مسلمين أنه لو عرف شيئا لما حسدناه على علمه أقل حسد ، بل كنا نسر بأنه كما يدعى ، ولكننا نقول له أجب عن هذا السؤال إذا عرف ذو الحجى فهل عرف شيئا أولا شيئا أجب عنه يا غلوكون .

(غ) أجب أنه عرف شيئا .

(س) أموجود ذلك الشيء أو لا موجود ؟

(غ) بل موجود ، لأنه كيف يمكن غير الموجود أن يعرف .

(س) أفتثبتون نحن من هذه الحقيقة ، في أية صيغة نظرنا فيها أي أن الموجود حقيقة يعرف معرفة تامة ، أما للعدوم فجهول بتاتا .

- (غ) إنا متثبتون منها كل التثبت .
- (س) حسنا . فإذا كان هنالك شيء متردد في الوقت نفسه بين الوجود وبين العدم أفلا يوضع في رتبة متوسطة بين الموجود يقينا وبين المعدوم بتاتا .
- (غ) يلزم أن يوضع .
- (س) فإذا خصت المعرفة بالموجود والجهل بالمعدوم ، أفلا يلزم أن نجد حالة متوسطة بين العلم والجهل تختص بما هو متردد بين الوجود والعدم .
- (غ) يقينا .
- (س) أقول أن التصور شيء .
- (غ) بلاشك .
- (س) أفحسبه قوة متميزة عن العلم أم نحسبه العلم نفسه .
- (غ) هو شيء متميز عن العلم .
- (س) فنخص العلم بدائرة نفوذ ، والتصوير بدائرة أخرى بطبيعة مافي كل منهما من قوة .
- (غ) عاما .
- (س) أفليست طبيعة العلم المختص بالموجود هي معرفة كيف وجد أولا ؟ وإلا فهناك فرق واضح يلزم تحديده .
- (غ) وما هو ؟
- (س) إن القوى . كجموع قائم بذاته . هي مانعمل به نحن ، وكل أحد مايمكن عمله مثلا : إنى أدعو السمع والبصر قوتين . إذا كنت تدرك الفكرة الخاصة التي أروم أن أصورها .
- (غ) إنى أدركها .
- (س) فاسمع ماأراه فيها . لست أرى في القوة شكلا ولا لونا . ولا غيرها من الأعراض التي أراها في مختلف الأشياء . وبها أميز (أى بالأعراض) بين شيء وشيء ، أما في القوة فأعتبر وظيفتها ودائرة نفوذها وبذلك توصلت إلى تسميتها فأدعو القوى التي من نوع واحد وتعمل عملا واحدا . ولها وظيفه واحدة (قوى واحدة) ولكن القوى التي تختلف دوائر نفوذها وتفرع وظائفها فأدعوها (قوى متنوعة) فما قولك .
- (غ) هكذا بالتعام
- (س) فأخبرني يا صديقي الفاضل في أية رتبة تضع العلم أنحسبه قوة .
- (غ) نعم أدعوه قوة : وهو أعظم القوى كافة .
- (س) وهل التصور قوة أو ندرجه في سلك آخر .
- (غ) لا آخر . لأن ما به تتصور لا يكون إلا تصورا .
- (س) وقد اتفقنا الساعه أن العلم والتصوير غيران .
- (غ) وهل يجمع العاقل بين الخطأ والصواب .
- (س) أحسنت فاتفق في أن التصور شيء غير العلم .
- (غ) غيره .
- (س) فلكل منهما بطبيعته ميدان نفوذ خاص وتأثير خاص :

- (غ) الاستنتاج قاطع .
- (س) ميدان نفوذ العلم هو معرفة طبيعة الموجود .
- (غ) نعم .
- (س) وميدان نفوذ التصور هو (الظن) .
- (غ) نعم .
- (س) أفتتناول التصور حتماً وفعلاً مادة العلم . وبعبارة أخرى هل مادة التصور هي نفس مادة العلم . أو إن ذلك محال .
- (غ) إنه محال : بناء على ماقررناه أى أنه إذا سلمنا أن للقوى للتنوع دوائر نفوذ مختلفة . وأن العلم والتصور قوتان متميزتان . وقد جزمنا بذلك ، فهذه المقدمات تجعل توحيد مادة العلم ومادة التصور محالاً .
- (غ) طبيعي .
- (س) فإذا كان الموجود مادة العلم فمادة التصور هي حتماً شيء آخر غيره .
- (غ) يلزم أن يكون غيره .
- (س) فهل يتناول التصور للعدوم ؟ أو أن تصور للعدوم غير ممكن إصالة . افنكر من يتصور الأيوجه أفنكاره نحو شيء . أفيمكن أن يكون تصور في اللاشيء .
- (غ) غير ممكن .
- (س) فمن يتصور فقد تصور شيئاً .
- (غ) نعم .
- (س) ولكن للعدوم لا يدعى شيئاً بل هو لا شيء .
- (غ) بالتمام .
- (س) وقد الزمنا أن نخص الجهل بالعدوم والمعرفة بالموجود .
- (غ) وبالصواب فعلاً .
- (س) فموضوع التصور ليس الموجود ولا للعدوم .
- (غ) لا هذا ولا ذلك .
- (غ) فليس التصور معرفة ولا جهلاً .
- (س) أفيستقر وراء أحدهما ، فيفوق المعرفة يقينا ، ويفوق الجهل إبهاماً .
- (غ) يظهر أنه ليس كذلك .
- (س) فقل : آنحسب التصور أقل وضوحاً من المعرفة ، وأقل خفاءً من الجهل .
- (غ) نعم وهو متميز عن الاثنين كثيراً .
- (س) فهو إذاً بين هذين الطرفين .
- (غ) نعم .
- (س) فنحسب التصور إذن شيئاً بين الاثنين .
- (غ) بالتمام .



(س) أو لم نقل الساعة إنه إذا بان لنا شيء أنه موجود وغير موجود في وقت واحد ، فيجب وضعه بين الوجود الحقيقي وبين المعدوم المطلق . فلا يكون إذن مادة علم ولا مادة جهل . بل هو مادة قوة ثالثة بين العلم والجهل يجب اكتشافها .

(غ) قلنا ذلك .

(س) وقد اكتشفنا الآن قوة بين الاثنين دعوناها تصورا .

(غ) واضح أنا اكتشفناها .

(س) بقي أن نكتشف ما يشترك في الوجود والمعدوم ، وليس هو أحدهما بكليته فإذا ظهرت لنا ماهيته دعوناها بحق (مادة التصور) ناسبين للطرفين ماهو لهما ، وللوسط ماهو له ألت مصيبا .

(غ) إنك مصيب .

(س) فإذا وضعنا هذه الفروض ، فإن أسأل ذلك الرجل المعتبر الذي ينكر وجود شيء كلي ، أو أي صورة من صور الجمال المطلق ، التي تظل إلى الأبد كما هي غير قابلة للتغير ، مع أنه يعترف بوجود أشياء عديدة جميلة ، ذلك الذي يحب المنظورات ، وهو لا يحتمل أن يقال له إن الجمال واحد وأن العدالة واحدوهم جرا ، فأقول له ؛ ياسيدي العزيز أوجد بين كل الأشياء الجميلة شيء واحد لا قبس فيه ، وبين كل الأشياء العادلة عادل واحد لا ظلم فيه ، وبين كل الأشياء الطاهرة طاهر واحد لا دنس فيه .

(غ) كلا بل تظهر كلها بلا تخلف ، جميلة وقيحة ، عادلة ومعتدية بارة ودنسة باعتبارين

(س) وأيضا . ألا يمكن اعتبار الضاعفات الكثيرة إنصافا علاوة على أنها مضاعفات .

(غ) تماما كما أنها أيضا مضاعفات .

(س) وجريا على الأسلوب نفسه هل للأشياء التي ندعوها كبيرة ، وصغيرة وخفيفة وثقيلة حق في أن تدعى كذلك أكثر من أصدادها .

(غ) كلا بل كل منها يمكن أن يدعى بالإسمين على السواء .

(س) فتكون أقرب إلى الصحة إذا وصفنا كلا من هذه الأشياء بأنه قد يكون وقد لا يكون كما وصف

(غ) إنك تذكرني بأحجية التضاد التي تتلى على موائد الطعام (للتسلية) ولغز (١) الأولاد عن الحصى

الذي رمى الحفاش بما رماه به ، هو جاثم على ماهو جاثم عليه . لأن الأشياء المشار إليها فيها العموض

نفسه فلا يمكن الإنسان أن يميز هل هي موجودة ، أو غير موجودة معا .

(س) أفيمكنك إفاذني ماذا تعمل بها ، أو هل عندك رتبة لها أفضل من الرتبة الوسطى بين الوجود

والمعدوم لأنها في مذهبي ليست أخفى من المعدوم لتكون أكثر عدما منه ، ولا أوضح من الوجود

فتكون أثبت منه وجودا .

(غ) إنك مصيب كل الاصابة .

(١) تقول الأحجية : قيل إن رجلا وليس برجل ، رمى ومارمي ، طائرا وليس طائرا جانما وليس

جانما . على غصن وليس بغصن . بحجر وليس بحجر . وهكذا وقد فسرت هذه الحكاية

نوعا في اللين .

- (س) فقد اكتشفنا أن الأفكار الشائعة في الجمهور في العدالة والجمال وأخواتهما هي تأسفة بين الوجود المطلق وبين العدم المطلق .
- (غ) اكتشفنا .
- (س) وقد سلنا سابقا أنه إذا ظهر شيء من ذلك دعى تصورا لامعرفة . وإن ما يتراوح بين الأمرين بفهم بقوة متوسطة .
- (غ) قد سلنا هذا التسلم .
- (س) ولذلك حين تقع عين الناس على شتى الأشياء الجميلة ، ولكنهم لا يقدر أن يروا الجمال بالذات ولا أن يتبعوا من يقودهم إليه . وحين يرون أشياء عديدة عادلة ولا يرون العدالة بالذات . وهكذا في كل مثل . فإننا نقول أن لهم في كل موضوع تصورا . لا معرفة حقيقية في الأشياء التي يتصورونها .
- (غ) الاستنتاج ضروري .
- (س) ومن الجهة الأخرى . ماذا يجب أن نقول في أولئك الذين يفكرون في الأشياء على ما هي في ذاتها كائنة دون فناء ولا تغير ؟ أفلا نقول إنهم عارفون وليسوا متصورين .
- (غ) وهذا أيضا استنتاج ضروري .
- (س) أفلا نقول أن هؤلاء يعجبون بمواضيع المعرفة ومحبونها وأولئك يعجبون بمواضيع التصور لأننا لم ننس أننا قلنا إنهم يحبون ويطلبون الأصوات والألوان البديعة ونحوها من الأعراض ولكنهم لم يسمعوا بوجود الجمال المطلق .
- (غ) لم ننس .
- (س) أفنخطيء إذا سمينا محي التصور . بدلا من تسميتهم (فلاسفة) أو إستاناون كثيرا إذا أسمينا محي كذلك .
- (غ) كلا إذا قبلوا رأى . لأنه من الخطأ أن يسوونا الحق .
- (س) فالتدين يحبون الوجود الحقيقي . في كل موضوع لاندعوم محي التصور بل فلاسفة .
- (غ) نعم . من كل بد . انتهى الكلام على الجوهرة الأولى .

### الجوهرة الثانية

في ذكر ما خطر بقلبي وملاه جمالا وبهجة وسرورا صباح يوم السبت ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ .  
 ذلك أتى بيننا أنا وبين اليقظة والنوم صباحا إذ تجملت لي هذه الدنيا بهيئة جميلة . وازينت بزينة بهجة بديعة . وخيلت لي الأرضون والسماوات وما بينهما بهيئة غير ما أراها ببصرى . وهذه حال يعجز قلبي عن التعبير عنها . فما أسرع خاطري للتفكير فيها . وما أهبج قلبي بمشاهدة مناظرها الخيالية فهناك هناك خيل لي كأن قائلا يحدث عقلي ويقول : «يا عجباً لهذا الجمال للتصون عن الجهال . إيه أيها الإنسان . إيه يا أهل الأرض ، واهالكم ، هذه الشمس وهذا القمر ، وهذه النجوم ، وهذه الأنوار مرسلات اليكم وأنتم لا تبصرون . لا لا ، أنتم أرواح من الطراز الضئيل ، يظهر أنكم كنتم في عالم غير هذا ولم تصلحوا لقيادته

وللاسيادته ، فأقصيتم عن المكان الرفيع ، وأنزلتكم إلى هذا المكان ، أصلكم شريف ، أنتم من عالم أعلى أنتم من نور ، أنتم من أصل كريم ، أنتم نور من الله ، ولكنكم ضعفتن عن أن تسيروا على سننه فكانت هيئتك كهيئة ماتعافونه من قامات النازل ، وما تسمعون به الأرض من كل ما يصلح لغذائكم ولا انتفاعكم فأنتم تعملونه سمادا لزرعكم فيكون الحب والخضر والفاكهة : إن السماد من مادة النبات والجاهل يحقره ، ولكن العالم الدارس يرى المادة واحدة ، ولكن السماد تنزلت مرتبته عن الفاكهة ، فما هي إلا شهرور معدودة فيزول وصفه القديم ويكسب وصفا شريفا يؤهله أن تقبله نفوسكم ، فنفسكم شريفة من العالم العلوي ، ولما عجزت عن أن تسير على القانون الإلهي أنزلت إلى هذه الأرض ( وتشير لذلك قصة آدم ) والقانون الإلهي يرجع إلى أمرين اثنين . وهما حب العلم ، وحب الأمم . الله لا حد لعلمه ، ولا حد لإنعامه على المخلوقات ، ولكن أرواحكم لم تقو على السير على سننه فأرسلت إلى هذه الأرض . ومن درس هذه النفوس البشرية اعتراه العجب منها . ذلك أنه يجد أنها محبولة على حب ذواتها تريد أن تجعل العالم كله خادما لها . وجميع السحرة في هذه الأرض وكل رجال السياسة هم والشحاذون على حد سواء كلهم يريدون أخذ مال الغير بسهولة أي يريدون أنفسهم لا غير . فالساحر وقارى العزيمة ورجل السياسة الذى يحكم الأمم لمجرد شهوات أمته لا لرقى تلك الأمم . كل هؤلاء قوم شحاذون أو لصوص أو قطاع طرق ، بل كل شيوخ الدين ورجال الصوفية ( غير الصادقين ) أى الذين يحبون الشهرة لا غير أو جمع المال فهؤلاء وهؤلاء كلهم شحاذون وقطاع طرق ولصوص .

وبالجملة كل من لا يريد إلا نفسه فإن نفسه لا تزال ضعيفة ، لا فرق في ذلك بين الفرد وبين الأمة وبين السوق والملوك ، فهؤلاء جميعا لم يخرجوا عن أنهم في هيئة أطفال ، فشيوخهم وشبانهم وكهولهم كأطفالهم على حد سواء .

خلقت هذه الصفة في الإنسان في حال صباه ، وألهم أن يسعى لرزقه ويكد ويكدح ، وفي أثناء ذلك قرأ العلوم وعرف الصناعات ، كل ذلك لشهوته الخاصة لأن روحه لم تقدر على أكثر من ذلك ، ولكن بعض هذا الإنسان في أثناء بحثه تظهر له أنواع الجمال والعلوم فيقع نطاق عقله يوما فيوما فيرى شمساً وأقماراً وأراضى ومعارف وأما ، ويرى دائرة وجدانه تنسع فيرى زوجة وولداً وعشيرة وقربة وأمة ، فيحس في نفسه بحب واتصال بهؤلاء ، فسكها اتسع وجدانه زاد إحساسه بهؤلاء ، فلا يزال الإنسان في استكمال قواه حتى يصبح فيجد نفسه يحب سعادة جميع نوع الإنسان ، وأن يكونوا أمة واحدة أو ما يشبه ذلك بقدر الإمكان .

هذا من حيث العمل ، أما من حيث العلم فإنه يرى هذه العوالم كلها جنته وسعادته ، فيكون مغرماً بالعوالم كلها فهما وبصيرة لا تمتعاً زائلاً ، هنالك تصل هذه الأرواح الأرضية إلى عالم أرقى من هذه الأرض وتقرب من ربها وتكون رياضتها في أرضنا مشابهة بعض المشابهة لما يحصل في القمامات المزدرة في الأرض من انقلابها تقاطع وموزا وتمرا .

وها هنا أخذ يقول وأنا أسمعه : « هذه الأرواح الأرضية يحيط بها الجمال وهي لا تعقله ، شمس وأقمار وأرضون وأنوار تحيط بهم أفلا يعقلون ! هاهنا رحمة لا حد لها ، وجمال لا نهاية له وعناية تامة تحيط بكم ، والدليل على رحمة الله التي لا حد لها وعلمه وعنايته أن نفوسكم مع قصورها وضعفها واقتصارها على لذة نفسها وما ينفعها في حياتها وتفاضها عن منفعة الآخرين أحيطت بكل جمال وكال من أنوار الكواكب والأقمار والشمس والهواء والماء والعلماء والنعم ، ولما كانت لضعفها لا تقوى على النظر إلى وجه ربها ، وهو لشدة رحمته لكم

ونعمته عليكم يحب إنكم ترونه لتبتهجوا به لأنه كريم أراكم صوراً جميلة وبث زينته في كل مكان ، وأودع في قلوب الآباء والأمهات رحمة ، وفي قلوب الملوك والحكام غيره على ممالكهم بالمحافظة عليها ، وفي قلوب الربين والأساندة والأمهات والراضع عطفاً وشفقة على من يقومون هم بتربيته أو تغذيته ، وعمم الرحمة في كل حيوان كل ذلك إن هو إلا مظاهر لجماله ولرحمته ولعنايته ولعلمه ، أرسلها لهذه الأرواح من وراء حجاب لما عجزت نفوسكم أن تنظر إلى ربها فعلا ، ومن الرحمة العظيمة أن الصور الجميلة لا تبقى على حال واحدة وهكذا الأمهات والآباء وكل ما تملكون ، فهذه كلها تسلب منكم ولا تبقى ، فانه يقول لكم : « يا أهل الأرض . فهتمم عطف الأمهات وعشق الغادات والتمتع باللذات والمناظر السارات . ها أناذا أريتكموه ولكن أسلبه منكم رحمة بكم لتفكروا ، أهذا النعم به المسلوب منا هو الذي تقر به عيوننا ، أم هناك ما هو دائم ثابت نقرح به بلا انقطاع » فبين الإعطاء والمنع يكون التفكر ولا وصول لكم إلا بهذا . أنا سلطت بعضكم على بعض وكل يحارب الآخر أفراداً وأماً . وفي أثناء ذلك تحدث المعرفة فيعرف الغربي الشرق والعكس . ذلك لأن نفوسكم خادمة ولا وسيلة لإنعاشها بحسب ضعفها إلا بأن يقال لها حاربي لتغنى . وهامى ذه الحروب الصليبية جرت مغنم العلم والمعرفة وبها عرف الصليبيون علوم المسلمين مع أنهم جاءوا لإبادتهم . هذه الحرب العظمى وضعت لإشباع الشهوات ولكن أعقبتها منافع عامة ككثرة الكلام في السلام العام وكرتقاء فن الطيران . وبعض ما استعمل للحرب أصبح نعمة في السلم مثل الآلات المهلكات المستخرجات من نفس (الأوزوت) الذي هو أحد عنصرى الهواء فإن ألمانيا حولتها بعد الحرب إلى سجاد . وللحرب الفضل في انتشار هذا الاختراع . كل هذا ناتج من قصور هذه الأرواح فإنها مجبولة على حب النفس وتجهل غيرها ولكن هذه الآنانية استخدمت وسيلة للمنفعة العامة . هذه أخلاق هذه النفوس . فسياسة الأمم العامة هي بيمينها سياسة الله في الأجسام . فالمرء يأكل للذته وإزالة جوعه ، ولكن القصور بقاء حياته . ويقرب الأثني لمجرد اللذة ولكن الحكمة العامة تريد الولد لدوام نوع الإنسان .

فتيجة هذا كله أن النفوس الأرضية لما ضعفت عن اللحاق بالأرواح الإلهية من حيث عموم العلم وعموم الرحمة وعموم الجمال ، تجلى الله لها بالجمال في عوالم تناسبها كالأقمار والشموس ، ونسبة جمال هذه العوالم إلى جمال مبدعها كنسبة ضوء أنوار الشمع والبترول إلى ضوء الشمس ، ونسبة هذه العوالم إلى كمال مبدعها كنسبة الساعة التي نعرف بها الوقت إلى الشمس العظيمة التي تدور أرضنا حولها وتنظيم الأوقات العامة .

الإنسان معمور في الجمال ، وفي السكال وفي العلم ، وهو لضعفه قصير النظر والله لعطفه وكرمه يأخذ بيده والإنسانية كلها سائرة إلى هذا الخير في عالمنا وفي عوالم أخرى إلا ما شاء الله . كتب صباح يوم الأحد (٦) رمضان سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٣١ م

### هذا كله سر من أسرار القرآن

مخبوء في حرفين : حاء ، وباء

وما إن كتبت هذا العنوان حتى حضر صديقي العالم الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير . فقال : ماهذا العنوان ؟ أتريد أن تقول أن ما ذكرته أنت وما ذكره الخطيب المصري من أمر النفوس الإنسانية وأن الحياة التي لها نهاية لا تستحق العناية وهكذا ما ذكر أفلاطون أن كل ما لا يبقاء له من الصور واللذات لا قيمة له أتقول إن هذا كله في حرفين اثنين في القرآن وهما حاء ، وباء ، وإنى أخاف أن أحدا ممن يسمعون هذا أو

يقرؤه من المسلمين ( لا أنا طبعاً ) يقول إن هذه مجازفة وإغراق ، فأى حرفين في القرآن يفيد أن هذه المعاني ، وأى حاء وباء تريد . إن هذا القول أمره عجب . فقلت : أيها الأخ المفضل ماذا جرى ، لعلك اليوم فعلت ما يفعله بعض الناس إذ يسمع « لا تقربوا الصلاة » فيقول الصلاة منهي عنها ، أفلا تصبر حتى أخبرك الخبر بعد المبتدأ . فقال : ولكن هذا العنوان نفسه هو الذي حفزني أن أقول هذا القول لأنه عنوان غريب ، وأنا مشفق على التفسير أن يطعن فيه الطاعنون . فقلت : ها أنا ذا أشرح لك أيها النبي ما تريد ، أتذكر آية إبراهيم في الأنعام . قال نعم . قلت ماذا فيها ؟ فقال إنه أيقن بالله ، وهذا الإيقان بسبب أنه ظن أولاً أن الله هو الكوكب ، ثم لما أفل قال أنا لا أحب الآفلين ، ولما رأى أن القمر أهيب من النجم قال هو ربي . ولما أفل أظهر الحيرة تعلماً لقومه ورجع إلى ربه ، ولما رأى الشمس بازغة فعل كما تقدم ، ولما أفلت وجهه وجهه لله ، هذا هو ما خصها . فقلت له : ألم تعثرني أثناء هذه القصة التي ذكرتها على هذا السر فقال : وأى سر أهو الحاء والباء ؟ فقلت إي وربى . فقال : أى حاء وباء ؟ فقلت : أرجع وفكر في الآيات فقال : لا أرى شيئاً . فقلت : ألم تعلم أنه نفي الإلهية عن الكوكب وعن القمر وعن الشمس لأنها متحركات والإله لا يتصف بالحركة لأن ذلك فعل الحادث ، ولأنها غابت بعد الظهور ، والإله لا يغيب بل معنا أيها كنا وما يغيب لا يكون إلهاً ، فالألوهية يناقضها الحركة ويناقضها غيوبتها . فقال : هذا حسن ولكنه لم يأت بالقائدة المرجوة وهي بعيدة عما تريد أن تبرهن عليه . فأين الحاء والباء ؟ فقلت : أنا تركتها ليحكك أنت لأن العلم إذا جاء عفواً لا يفيد ، والرزق كذلك ، بل نفس الآية معناها أن معرفة الله إذا جاءت عفواً لا تثبت لها ، وإلا فلماذا ترى إبراهيم يفكر في الكوكب فالقمر فالشمس ! أليس هذا معناه البحث ، فأنا أفل معك ما فعله الله مع إبراهيم وإذا كان إبراهيم نبياً وعمول هذه المعاملة تعلماً لقومه أفلا أعاملك أنا كذلك ؟ فلتبحث أنت عما رمزت لك به . هنالك أخذ يكرر الآية مراراً ويقول : « الحاء في ( حنيفاً ) ولكن أين الباء ، والحاء في ( حاجه ) ولكن أين الباء ، والباء في ( إبراهيم ) ولكن أين الحاء ، ثم رجعت ثانية وقال ، أهما مجتمعتان أم مفترقتان ؟ فقلت فكر بعقلك ولا تسألني ، وأضاع زمناً قال : نعم ( لا أحب الآفلين ) فقلت نعم . فقال : أنا والله إلى الآن لا أفهم في « لا أحب الآفلين » معاني تتضمن كلام أفلاطون وكلامك وكلام الخطيب المصري ، فإذا تفضلت بشرح هذا المقام كنت لك من الشاكرين ، ويشكرك المسلمون بعدنا أجمعون . فقلت : أيها الصديق : إن إبراهيم لما رأى الكوكب والقمر والشمس كان عند كل واحد منها يقول في نفسه انه مسخر مقهور لأنه متحرك وهو يغيب ويحضر والإله لا يكون كذلك . قال نعم . قلت : فكان مقتضى الظاهر أن يقول أنا لا أعبد الآفلين لأن المقام مقام العبادة ، ألا ترى أنه قال « هذا ربي » ولما رأى أنه لا يستحق الربوبية حصل له شك فيه بل إنكار ، فمقتضى الظاهر أن يقول مثلاً « هذا ليس ربي » لأنه على خلاف صفات الرب وإذا لم يكن ربي فلا أعبد ، فهو قال هذا ربي ، وعند الإنكار يقول هو ليس ربي ويلزم من ذلك انه لا يعبد فهو لم يقل هذا ولا ذلك ، ولكنه عبر بعبارة عجيبة وهي أنه نفي الحب عنمن لا يتصف بصفات الرب ، وهذا هو السر ، فقوله « أحب » المنفي بلا مشتمل على أربعة حروف الهمز وهي زائدة والحاء والباء مضاعفة فرجع الأمر إلى الحاء والباء . فقال : أنا فهمت الآن ولكن لم أصل للمقصود . فقلت : نعم سأوضحه .

اعلم أيها النبي أن العابد إما أن تكون عبادته من أجل الرهبة ، وإما أن تكون عبادته من أجل الرغبة ولم يكن عابد في هذه الأرض يعبد الله إلا لأحد أمرين : إما أنه خائف من الله لئلا يدخله جهنم ، وإما أن يعبده لأنه طامع في دخول الجنة ، أو مجرد الحب . فالعبادة إما لحوف وإما لرجاء ، فلا عبادة إلا

على هذا النمط وخير الجميع أن يعبد حبا له وغراما به وشوقا إليه وعشقا له ، وهذه العبادة هي البنية على الحب ومستحيل أن يحب الإنسان أحدا إلا بعد معرفة أعماله وصفاته فيعشقه . قال نعم هذا التفسير كله على هذا النمط . فقلت فكل عابد في الأرض لا تكون عبادته إلا عن رغبة أو رهبة ، وعبادة العابد الذي أحب ربه أحد قسمي الرغبة . فقال نعم . فقلت : إذن المذكور في الآية من أحد شقي سبب العبادة وهو الحب والعبادة فرع الاعتقاد في الربوبية . فقال حسن . فقلت : ها هنا وصلنا إلى المقصود . فانظر رعاك الله إلى ما أقول : أليس ترى أن كل ما تقدم من كلامي وكلام أفلاطون وكلام الخطيب المصري راجع إلى أمر واحد وهو أن مالا يبقا له ولا دوام يحب علينا أن نحقره وأن هذه الحياة الدنيا القصيرة ليس من المعقول أن تكون لها قيمة عند العقلاء أصلا إذ لم يكن لها دوام ، وهذا هو قول الخطيب المصري المقدم ، واستنتج من هذا أن الحياة تدوم وإلا كان كل هذا عبثا وهوا وجاهلة . فقال بلى . فقلت : ألم تر أن كلام أفلاطون يرجع برهانه إلى أن العقول الصغيرة تنقف عند ظواهر الجمال والمال والزينة ، وحقر هذا كله وحكم على أكثر عقول الإنسان أنها خاوية جاهلة إذ تظن أن هذه الصور الجميلة والأغاني وكل ما في هذه الأرض من زينة محل للتمتع ومناطق السعادة والسعادة وهي كلها ذاهبة ، وكيف يفرحون بما لا يثبت له ، ثم أفاد أن ماله ثبات وهو الجمال المطلق الثابت الذي لا تدركه الحواس وإنما يدركه العقل هو لدى إليه تتجه المهمة والعقول فقال بلى والله . فقلت إذن الحياة التي لا يبقا لها لا يصبح أن يحب ولا يقول عليها ، وكل ما هو جميل أو نافع ثم هو أقل وذاهب لا ينبغي أن يكون محط الرحال ولا هو مناط الآمال . قال نعم . قلت : أليس هذا كله معناه أن المحبوب الحقيقي هو الذي يبقى . فقال بلى . فقلت إذن ثبت أن العلم والحكمة أثبتا إثباتا حقيقيا لا نشوبه شائبة أن كل هذه الحياة الدنيا وكل صورها لا ينبغي أن تكون مقصودة لذاتها بل مقصودة لغيرها ، وذلك الغير هو الذي يحب وتكون هذه المحبوبات الوقتية مذكرات بالمحبوب الدائم ، وهذا المحبوب الدائم بمبدل حبه هو لاجئ أوتار . إذن أصبح هذا النوع الإنساني بعد براهين الفلسفة التي خضعت لها جميع حكما ، أوروبا والشرق وهي فلسفة سقراط وأفلاطون وما يوافقها من كلام غيرها ، كله إلا قليلا وإما في أمر المحبة ؛ فالعجبة التي على غير هذا النمط محبة جاهلة . فقال نعم فقلت : إذن قد وصلنا إلى المقصود وهو أن التعبير بقوله « لا أحب الآفلين » قد حوى تلك المعاني . فإذا كانت حياة الناس على الأرض ليس لها إلا هذه المدة الوجيزة ثم تنفض فهي حياة لا تستحق الاهتمام فلا يصح الحرص عليها لأنها لا تستحق الحب ، وهذا كلام الخطيب المصري ، وإذا كان كل ما في هذه الدنيا من المال والولد والصور الجميلة ، وما نملك من عقار ومال ومتاع ، وما نسمع من الألمان ، وما نستلذ به من أنواع المشروبات والمدوقات والموسسات والمسوغات والمنظورات ، جميعه متغير الابقاء له ومالا يبقا له لا ينبغي للمعاقل أن يحبه بل يحب سببه الدائم الذي يعرف بالعقل لاهو كما يقوله سقراط ، أقول : إذا كان كذلك أفليس هذا هو معنى « لا أحب الآفلين » أي أن ما يغيب ومالا يبقى لا يصح حبه ، فقال الله أكبر . الله أكبر جل العلم وجلت الحكمة . وهناك اعترته دهشة وقال والله لم يكن ليخطر لي أن هذه المعاني يحويها القرآن وهذه أسرار غريبة ، هذه أوروبا وهذه أمريكا وهذه الأمم حولنا يعظمون سقراط وأفلاطون ويتخذون الجمهورية نبراسا لهم ويقرونها أبوابا لتربية الجيوش والأسرات ويقدمونهم ويقولون إن الله لم يخاق مثلها في العالم الإنساني . فهذان المقدسان عندهم المظمانها اللذان أتيا بهذه النظرية أي نظرية الحب وأنه لا ينبغي أن يكون لغير الباقي وهذه شملت كل ما جاء في الجمهورية وهاتين أولاه وجدناهما في معنى الحب . ثم أخذ يقول : فليحضر علماء البلاغة قديما وحديثا وليقولوا ماشاءوا ، فهذه هي البلاغة ، وهذه هي الحكمة وهذا هو العلم . الله الله الله ، هذه هي المعجزة التي لا نظير لها .

أيها المسلمون : انظروا فلسفة أفلاطون وسقراط . وملخص الكتاب الخامس من جمهورية أفلاطون دخلت في القرآن بل في حرفين اثنين .

يا إخواني أبناء العرب أبناء مصر وبلاد شمال أفريقيا وسوريا والعراق والوصل ونجد واليمن تعالوا انظروا ديننا ، انظروا قد حوى جميع علوم الأمم ، ها نحن أولاء نرى حرفين ابتلعا أعظم الفلسفة .

لتشعروا عن ساعد الجد ، ولتدرسوا علوم المشرقين وعلوم المغربين ، ها ها ، ها أنا ذا عرفت ، عرفت ما يشيع على الألسنة أن القرآن فيه علوم الأولين والآخرين ، فذلك من هذا الوادي يكون ، فإذا سمع المسلم « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » علم أن كل العلوم مطلوبة ، وإذا بحث وفكر في عجائب العلوم استخراج جزئياتها من بعض الكلمات أو الجمل ، اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة . فقلت الحمد لله الذي أقر عينك ، عرفت أني ما كتبت عنوان المقالة مجازفة أو غلوا أو إغراقا ، فأنا كنت في أول حياتي أشك في كل شيء ، فكيف أكتب مالا أوقن به أو مالمس مبنيًا على برهان .

هنالك ذرفت عيناه بدموع الفرح . وقال : أريد أن تفيض بعض القول في عوالم السموات وجمالها . فقلت ياسبحان الله ، إن هذا الكتاب أكثره في عالم السموات ، فقال ولكن لماذا نسمع الله يقول في آية الكرسي ( بعد ذكر السموات والأرض ) « وهو العلي العظيم » . فقلت : حسن اعلم أن هذه من الأسرار التي تجلت للخليل عليه السلام وهي تتجلى لبعض النفوس الشريفة الإسلامية ، وذلك أن الإنسان إذا فكر في النجوم واستحضرها بخياله - لاسيما إن كان دارسا لعلم الفلك ، وقد درس قبل ذلك العلوم الرياضية التي تعرفه عجائبها - تحدث في نفسه روعة وإعجابا ومحس بجملها ورفعتها وعلوها وعظمتها ، فيقول في نفسه [ إن خالقها على عظيم وجميل أيضا ] ، فالعلم والعظمة ذكرت في آية الكرسي تذكيرا بما يحظر له فكرك من العقلاء فضلا عن الأنبياء . فقال : وهذه أيضا من أسرار البلاغة التي لم يعلمها أحد قبل هذا الزمان . ثم قال : ولكن هنا أمر يؤسف له . لماذا لا نرى في النوع الإنساني أثرا عظيما لحب الله المذكور في الآية « يحبهم ويحبونه » و « لا أحب الآفلين » فإن مقتضاه أن الإنسان يحب غير الآفل وهو الله ، وهذا الحب قليل أو ضئيل ؟ فقلت : أيها الحبيب . أكثر الناس في هذه الأرض يحبون ربهم . وهذا الحب غير واضح لهم وعلى قدر اكتناهم العجائب يزداد الحب ، إن حب الله معطى بألف غطاء ، فإن الشهوات والآلام والعداوات والأمراض والحسد ، كل ذلك قد غطى على هذا الحب ، ولو ظهرت هذه العجائب للناس لتقطعت قلوبهم من العشق والحب ، كيف لا ونفس الجسم الإنساني لا أحد للكمال الذي فيه ، وهذه النفس الإنسانية العجيبة ، هذه التي جعل هذا المخ لها مزرعة تزرع فيه أنواع العلوم والمعارف وفي كل منطقة من مناطقه تزرع علم مخصوص من رياضيات وطبيعات وإلهيات حتى إن العلماء عرفوا تلك المناطق بعض المعرفة اليوم وفوق هذا علم النفس الذي جاء بطريق التجربة في عصرنا وسترى بعضه في أول [ سورة الجاثية ] عند آية « وفي خلقكم » الخ .

فهذا العلم أظهر أن في النفس عجائب لا تزال محبوبة وستعجب مما ستقرؤه هناك فهذه العجائب في نفوسنا وفي أجسامنا وفي العوالم حولنا لو أنها كشفت لنا ولم تغط بالمرض والحسد والعداوات والحروب لهلك الناس من عشق مبدع هذه العوالم ولكن هذه الأغشية من النعم العجيبة التي أنعم الله بها على الناس حتى يقدرُوا أن يعيشوا في الأرض وإن كانوا معذبين فحياة مع هذا العذاب خير من العدم .

إن الله مزج الضار بالنافع رحمة بنا ليصرف عقولنا عن هذا الكنز المحبوء في الدنيا وهو الجمال الباهر حتى تتسع عقولنا وإذ ذاك يسلمه لنا في عالم الأرواح وفي الفأحة تراه يذكر الرحمة ويتبعها بقوله « مالك

يوم الدين» فهنا شدة ولين كما نراه جعل في النبات قوة امتصاص الكربون من الجو بمساعدة المادة الملونة في الورق مع ضوء الشمس وهذا الكربون يتحد مع الماء فيكون هناك النشاء والسكر ومادة (السيلولوز) التي منها القطن والكتان، وهذه المادة تجعل في الحويصلات التي يتركب منها النبات غطاء يغلف كل خلية من الخلايا التي يتركب منها النبات، فجميع الخلايا مغلقة بهذه المادة كما تقدم مرارا فها هنا في النبات مادة الحياة داخل كل خلية وكل خلية يحيط بها غلاف يحفظها فهذا الغلاف فيه معنى الملك والحفظ «مالك يوم الدين» وداخل الحويصلة مادة وهو معنى «الرحمن الرحيم» فهكذا كل العالم فيه ما يسرنا وفيه ما يؤلمنا، فالؤلؤم أشبه بغطاء حائظ لما يسرنا فهذه الشرور مانعات حياتنا من الانحلال لأننا لو عرفنا جمال هذا الوجود لم نتحمل نفوسنا هذا الجمال ففتشنا عليها بالمصائب والبلايا والمرض والموت حتى لا نعرف الحقائق دفعة واحدة بل نتلصق شيئا فشيئا بالتعلم والدرس والرياضة والعبادة فالعجائب أشبه بمادة الحياة في حويصلات النبات وخلاياه، وحوادث الدهر أشبه بما يغلفها من مادة السيلولوز الحافظة للخلية الواحدة، ومن الخلايا كان كل حيوان وكل نبات، فهذا هو السبب في عدم ظهور حب أكثر النوع الإنساني لصانع هذا العالم الحكيم العليم، فقال: الحمد لله الذي نعمته تم الصالحات، وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الأولى كتب يوم الخميس ١٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ، و ٢٩ يناير سنة ١٩٣١ م.

### اللطيفة الثانية

في قوله تعالى «وهو الذي ينزل الغيث» الخ

جاء في جريدة الأهرام في يوم ٦ يناير سنة ١٩٣١ ما يأتي :

### أشجار يرجع تاريخها إلى قبل ١٥ مليون سنة

«اكتشف في غربى كندا بقايا أشجار يظن أنها ما نبتت في أمريكا الشمالية قبل خمسة عشر مليون سنة وقد أحدث اكتشافها ضجة في القامات الجيولوجية لأنه يبعث بالنظريات الحالية فيما يتعلق بالأزمنة السابقة للأزمنة المعروفة في التاريخ. وهي قد اكتشفت في السنة الماضية في بطن الرمال بجهة (فورد مكوراي) فأرسلت إلى علماء الجيولوجيا الذين في خدمة الحكومة، وهم بعد بحث طويل دقيق يقولون الآن: إن وجودها يبعث بالنظريات المشار إليها، ويؤخذ من التقارير الأولى أنها نبتت ونمت على ما يظهر في العهد الذي كانت فيه طبقة سطح الأرض في دور التكوين. ويقول الدكتور (بيلاي) وهو عالم كبير معروف: إن هذه الأشجار هي من نوع الأشجار التي كانت تنمو في أرض اليابان. وهذا القول يعزز نظرية القائلين إن شمالي أمريكا وآسيا كانا في غابر الأزمنة قارة واحدة، وسيقوم العلماء بمباحث جديدة في المكان الذي اكتشفت فيه بقايا تلك الأشجار» انتهت اللطيفة الثانية.



### اللطفة الثالثة

في قوله تعالى : (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظلمن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

اعلم أيدك الله بالعلم أن هذه العوالم كلها آيات الله ، ولكن ليس يدرك ذلك إلا أناس امتازوا بأمرين : الصبر والشكر ، والصبر أقسام كثيرة ، صبر على البأساء وهو الفقر ، وعلى الضراء وهو المرض ، وعلى البأس وهو الحرب ، وعلى طلب العلم ، وعلى القناعة والاكْتفاء باليسير ، وعلى الصدق في القول والعمل والعبادة ؛ وجميع أنواع الطاعات . وهذا الصبر يتحد مع الشكر في كثير من مواطنه ، والشكر لا يتم إلا بمعرفة النعم ولا تعرف النعم إلا بالدراسة ، وكيف تم الدراسة إلا بالصبر عليها ، فهأنا صبر وهنا شكر أحدا عملا واختلفا تسمية ، فقل لي رعاك الله ، أيعرف نعمة الرياح المجرىات للسفن وللحجج كل إنسان وكل حيوان . كلا . فإن كل ذي عينين يدرك الحقائق ، وكيف يدرك الإنسان الحقائق إلا بالفهم والعمل ، فهناك مسألة جرى الرياح هل تعرف إلا بالصبر عليها ، ومن ذا يصبر إلا القليل من الناس ؛ هذا بعض السر في قوله تعالى « لكل صبار شكور » .

فانظر رعاك الله إلى الهواء الجوي ، ينظر الجاهل إلى الهواء الجوي فيراه يهب تارة ويسكن أخرى فلا يدري من أين جاء ، ولكن إذا درس وصبر على الدرس علم أن أسباب الرياح كلها ترجع إلى (سببين اثنين) كما قال تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا إلى الله » .

خيالي يوم الأحد ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٩ م

كأني أسمع رب العزة لما خلق الهواء واليابسة والماء يقول : « أيتها اليابسة ، وبأيها الماء ، اسمعا ، هاأنا ذا أريد أن أخلق نباتا وحيوانا وإنسانا ، وهؤلاء لأحياة لهم إلا بسحب ماطرات ، والسحب الماطرات لا بد لها من رياح ، والرياح لا تتم إلا بأمرين : حرارة وبرودة . هذان زوجان جعلتهما سبب الرياح والرياح تعمل السحب وتسير السفن . فقالت اليابسة والماء : نحن لك يارب مطيعون . فقال : أما أنت أيها الماء فعليك أن تكون بطيء الحرارة بطيء البرودة . وأما أنت أيتها اليابسة فعليك أن تكون سريعة البرودة سريعة الحرارة ، ومتى تم ذلك حصل في الهواء اختلاف كثير فهبت الرياح ، وهناك يدور الهواء عليك كما يدور الدولاب وكما تدور السواقي وكما تدور الطواحين ، إن الساقية تدور بحبل صنعها عبادي :

(١) فيدور الثور ، وبدورانه في مدار الساقية

(٢) يدور (النير) الذي فوق رقبته

(٣) والنير يحرك الحبل

(٤) والحبل يحرك خشبة أخرى متصلة بعمود خشبي

(٥) والعمود الخشبي يدور آلة خشبية مدورة كبيرة لها أضراس أفقية الوضع

(٦) وهذه الأضراس تدور آلة مدورة أصغر منها رأسية الوضع

(٧) وهذه تدور عمودا أفقي الوضع

(٨) وهذا العمود يدور دائرة خشبية عليها قواديس رأسية الوضع

(٩) وهذه القواديس تملأ ماء عند نزولها وتفرغه عند طلوعها ، وهناك تسقي الزرع .

هذه حيل العباد في إخراج الماء ، أما حكمتي أنا في الهواء فإني حرركته فوق الكرة الأرضية وجعلته رياحا بالحرارة والبرودة ، إنني لو جعلتك أيها الماء ، وأيتها اليابسة بطبيعة واحدة في الحرارة والبرودة لم تكن رياح فلا يكون لي خلق ، لذلك أمرتكما أن تكونا مختلفتين حرارة وبرودة ، وباختلافكما كانت هذه النعم وهذه المخلوقات ، إن اختلافكما نعمة ، بل هي أصل النعم في الأرض» وهاك إيضاح هذا المقام بالرسم من كتاب [الجغرافيا الرشيدة] فقد جاء فيه ما يأتي :

### تأثير الحرارة في الضغط الجوي



(شكل ١)

أول أسباب اختلاف الضغط الجوي توزيع الحرارة على وجه الأرض بدرجات متفاوتة ، ففي شكل (١) مسطح وجه الأرض (هـ و ز ح) مقسم إلى ثلاث مناطق (هـ و) و (و ز) و (ز ح) ونظرا لسقوط الأشعة العمودية في المنطقة (و ز) تشتد عليها الحرارة فيسخن الهواء الذي فوقها ويتمدد ويصعد في اتجاه السهم إلى الطبقات العالية من الهواء وهي التي فوق الخط الوهمي (ا ب ج د) وبارتفاع هذا الهواء يضغط على الطبقات الفوقية المحصورة بين المستويين (ب ج) و (ب ج ح)

فتصبح كثيفة ويشتد ضغطها على الأهوية المجاورة لها فوق (ا ب) و (ج د) لأن هذه الطبقات ما زالت قليلة الكثافة ، ويترتب على ذلك هبوب تيارات هوائية فوقية إلى الجانبين في اتجاه السهمين المرسومين في أعلى الشكل .

وفي أثناء ذلك يتخلخل الهواء فوق (و ز) وتقل كثافته ، على حين أن الهواء لا يزال على جانبيه في (هـ و) و (ز ح) كثيفا فيترتب على ذلك هبوب تيارات هوائية سطحية في اتجاه السهمين في أسفل الشكل وباستمرار هبوب هذين التيارين واستمرار تسخين الهواء فوق منطقة (و ز) يستمر طلوع الهواء وهبوب التيار الفوقية تجاه (ا ب) و (ج د) . ويثول أمر هذا الهواء إلى السقوط في اتجاه السهمين الجانبين على (هـ و) و (ز ح) ليسد النقص الحادث من انتقال التيار السطحية .

وهاك توضيحا آخر لهذه المسألة بعينها : كما تراه في شكل (٢) الآتي في الصحيفة التالية فيه رقعة من سطح الأرض (هـ و ز ح) مقسمة إلى ثلاث مناطق (هـ و) و (و ز) و (ز ح) والمنطقة (و ز) مشغولة باليابس والمنطقتان (هـ و) و (ز ح) مشغولتان بالماء .

ونظرا لإقبال فصل البرد قد برد اليابس قبل الماء فبرد الهواء فوق (و ز) وتقلص وتكثف وهبط سطحه من (ب ج) إلى (ب ج ح) على حين أن الهواء لا يزال فوق (هـ و) و (ز ح) عاليا كما كان ، فيترتب على ذلك تياران فوقيان في اتجاه السهمين المرسومين في أعلى الشكل .

وفي أثناء ذلك يزيد الضغط عند (و ز) ويخف عند كل من (هـ و) و (ز ح) فينشأ عن ذلك تياران سطحيان في اتجاه السهمين المرسومين في أسفل الشكل (انظر شكل ٢) .



( شكل ٢ نظرية هبوب الرياح )

فيتضح من التلئين السابقين أن التيارات الهوائية السطحية تنتقل من الجهات الشديدة البرودة إلى جميع الجهات المجاورة . وهذه التيارات السطحية هي التي تؤثر تأثيرا مباشرا في المناخ وهي التي نخصها بالكلام فيما يلي :

وينتج من ذلك نظريا انتقال الرياح من الجهات القطبية إلى خط الاستواء ، فيكون اتجاهها من الشمال إلى الجنوب في نصف الكرة الشمالي ، ومن الجنوب إلى الشمال في نصف الكرة الجنوبي .

### نسيم البحر ونسيم البر

كأن الله يقول : أيها الأرض ، إذا طلعت الشمس عليك فلتسرعى بقبول الحرارة ، وأنت أيها الماء عليك أن تكون بطيء الحرارة . فإذا فعلت ذلك فإن الهواء الذي يكون فوقك أيها الأرض يكون أسرع سخونة بمجاورتك ، ومق أسرع إسخانه خف وعلا . ومق خف وعلا أسرع الهواء الذي فوق الماء تجرى فوقك لأن الأثقل يحمل محل الأخف ، فإذا جاء الليل فلتكوني أيها الأرض سريعة البرودة . ولتكن أنت أيها الماء بطيء البرودة فتكون الحرارة فوقك أكثر منها فوقها وإذن يجرى الهواء من فوق اليابسة إليك كما كان يجرى منك إليها نهارا . فهذا هو النسيم البحر ونسيم البر ، فإن النسيم يهب من البحر إلى البر نهارا ومن البر إلى البحر ليلا ، ولذلك يخرج الصيادون في القوارب وقت الفجر مع نسيم البر وفي الضحى يعودون مع نسيم البحر إلى الساحل ومعهم السمك ، فهذان النسيان يظهان مناخ السواحل ومثلها .

### الرياح الموسمية

وكما يخيل لي خطاب الله للبر والبحر يخيل لي خطابه للقارات والمحيطات . فالقارة بدل البر والمحيط بدل البحر . والصيف كالتهار والشتاء كالليل . فمثلا تشتد الحرارة على جبال آسيا الوسطى مثل جبال ( همالايا ) فتقل كثافة الهواء فوقها . ولكن المحيط الهندي لا يكون مثلها . فتهب الرياح من المحيط المذكور إلى آسيا كل ذلك في زمن الصيف . وهذه تسمى الرياح الموسمية . وبسببها يكون الري والحصب في سهول الهندستان وهناك يعيش نصف سكان الأرض في الهند والصين واليابان . وذلك بفضل غزارة الأمطار وتولد الأنهار العظيمة ذات الفيضان السنوي . وتكون هناك سهول ( غرينية ) خصبة تتوافر فيها المواصلات والري وأسباب العيش والرفاهية ، وهكذا يحصل في بلاد الحبشة بالرياح الموسمية أيضا إذ ينشأ بسببها في أول الصيف فيضان النيل وهكذا ساحل ( ناتان ) في شرق أفريقيا ، وساحل الولايات المتحدة الجنوبية الشرقي إذ تسقط عليهما أمطار صيفية يمثل هذه الرياح وهكذا الساحل الشرقي لآستراليا . فإذا جاء الشتاء تنعكس الحال فتبرد هضبات اليابس ويظل البحر دافئا ، فتنشأ رياح تنتقل من البر إلى البحر وهي جافة لصدورها من الجاف وهو البر .

فاعجب أيها الذكي لأمرين اثنين : حرارة وبرودة نشأ عنهما سعادة سائر الناس والحيوان على الأرض

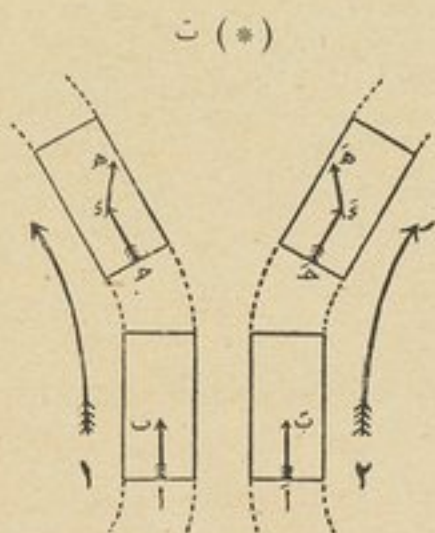
فهذا الهواء فعل الله به مافعلناه نحن في النواعير والسواقي وآلاتنا ، ولكن هو أدار الهواء بأمرين اثنين : حرارة وبرودة ، وجعل الأمر عدلا ، نسيم من البر إلى البحر وبالعكس ورياح موسمية بحيث يكون مداها ستة أشهر ، فهاهنا ليل ونهار لنسيم البر ونسيم البحر ، وهاهنا صيف وشتاء للرياح الموسمية . وهاهنا عاشت الأمم بهذه الرياح : وهذه الرياح مبناهما الحرارة والبرودة .

### التيارات البحرية

وقبل الدخول في الكلام على تلك التيارات وخطاب الله عز وجل لها أقدم مقدمة من كتاب الجغرافيا الرشيدة يتضح بها المقام وهالك بيانها .

### تأثير دورة الأرض على محورها

تنحرف الرياح في أثناء حركة الأرض على محورها عن اتجاهها الأصلي ، وتوضيح ذلك نضرب المثل الآتي في شكل (٣) :



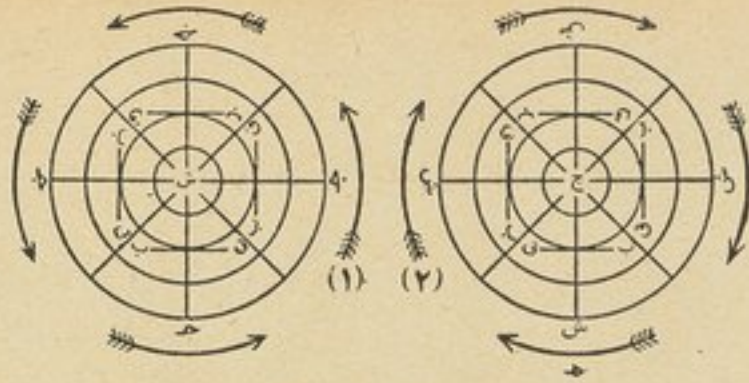
( شكل ٣ )

انعطاف مركبة الترام في طريق منحني

راكب ترام ينظر إلى التمثال أمام الترام وينتقل متجها نحو في العربة في الاتجاه ا ب ثم ينعطف الترام يسارا كما هو موضح في القسم الأول من الرسم (١) فإذا كان الراكب مصمما على السير تجاه التمثال فإنه ينحرف نحو اليمين ويكون حمله سيره في اتجاه السهمين (ج د) و (د ه) .

وبالعكس من ذلك إذا انعطف الترام يمينا كما هو موضح في القسم (٢) من الرسم فإن مجموع سيره نحو التمثال يكون في اتجاه السهمين (ج د) و (د ه) .  
ففي كلتا الحالتين يحدث انحراف بعكس انعطاف الترام

وكذلك الحال على الأرض ، إذ تنحرف الرياح بسبب الدورة اليومية : ففي شكل ٤ شطران : يمثل الأول منهما نصف الكرة الشمالي ويمثل الثاني النصف الجنوبي .



( شكل ٤ : دورة الأرض على محورها )

(١) ففي مركز الدائرة في الشطر الأول القطب الشمالي ، وكل اتجاه يبعدنا عنه جنوب وبتعيين الشمال والجنوب يكون الشرق إلى اليمين والغرب إلى اليسار ؟ وبذلك تكون دورة الأرض في اتجاه الأسهم المحيطة بالدائرة .

(٢) وفي مركز الدائرة في الشطر الثاني القطب الجنوبي ، وكل اتجاه يبعدنا عنه شمال ، وبذلك تكون دورة الأرض في اتجاه الأسهم المحيطة بالدائرة .

فإذا وازنت بين شكلي (٣ و ٤) تعرف أن الرياح تنحرف إلى اليمين في نصف الكرة الشمالي وتنحرف إلى اليسار في نصف الكرة الجنوبي ، وتسمى هذه القاعدة (قانون فتل) وبمقتضاها تصبح الرياح الشمالية في نصف الكرة الشمالي رياحا شمالية شرقية ؛ وتصبح الرياح الجنوبية في نصف الكرة الجنوبي جنوبية شرقية :

### مناطق الضغط العظيم خلف المدارين



( شكل ٥ : دوران الماء في الوعاء )

في الشطر الأول من شكل (٥) وعاء فيه ماء فإذا دار الماء في الوعاء حول القلب (ق) باستمرار لا يلبث أن يهبط سطحه في الوسط ويرتفع عند الحافة ، فيكون سطح الماء كما ترى في الشطر الثاني من الشكل عند (ا ق ب) .

وكذلك حال الهواء على وجه الأرض إذ تزيجه

دورة الأرض على محورها بعيدا عن القطب ، وتعمل على تكثيفه عند خط الاستواء . ولولا الحرارة عند خط الاستواء لأصبح الهواء عنده كثيفا جدا ، وبالعكس من ذلك محلخلا عند القطبين بسبب دورة الأرض على محورها .

لكن هنا عاملان متعاكسان : فالحرارة تعمل على إبعاد منطقه الضغط العظيم عن خط الاستواء ودورة الأرض على محورها تعمل على إبعادها عن القطب . ونتيجة منافسة هذين العاملين وجود منطقتي الضغط

PLEASE REPAIR BINDING.

thank you.



العظيم حوالي خط عرض  $30^{\circ}$  شمالا و  $30^{\circ}$  جنوبا .  
أما خطا عرض  $60^{\circ}$  شمالا و  $60^{\circ}$  جنوبا فيكون الهواء عندهما قليل الكثافة بسبب فعل الدوران في إبعاد  
الهواء عن القطبين .

### الرياح الدورية علي وجه الأرض



(شكل ٦)

الرياح التجارية والرياح العكسية  
مناطق هبوبها واتجاهها

ينتج مما تقدم ما تراه في (شكل ٦) فعند  
خطي العرض  $30^{\circ}$  شمالا و  $30^{\circ}$  جنوبا تزيد كثافة  
الهواء فتهب الرياح منهما إلى خط الاستواء وتسمى  
بالرياح التجارية .

وتهب من كل منهما إلى خط عرض  $60^{\circ}$   
الرياح العكسية .

وتتحرف الرياح التجارية نحو الغرب بسبب  
دورة الأرض على محورها ، وبذلك يكون  
انحرافها إلى اليمين في نصف الكرة الشمالي وإلى  
اليسار في النصف الجنوبي .

وتتحرف العكسية نحو الشرق أيضا لهذا  
السبب :

تهب الرياح التجارية من الشمال الشرق

في نصف الكرة الشمالي ، ومن الشرق في النصف الجنوبي ، وتهب الرياح العكسية من الجنوب الغربي  
في نصف الكرة الشمالي ، ومن الشمالي الغربي في النصف الجنوبي . وحول كل من القطبين منطقة ساكنة .  
وعند خط الاستواء منطقة سكون يرتفع عندها الهواء بفعل الحرارة إلى الطبقات العليا من الجو ، وعند  
خطي عرض  $30^{\circ}$  شمالا و  $30^{\circ}$  جنوبا منطقتان من السكون تسقط عندهما الأهوية من الطبقات العليا انتهى  
ما أردته من كتاب الجغرافية الرشيدة .

### تلخيص ما تقدم

هاهنا أن أذكر ما يخيل لي من خطاب الله عز وجل للماء كأنه عز وجل يقول : أيتها المياه ، اسمي  
هاأنذا جعلت الحرارة من الشمس الساقطة على الأرض سببا في إثارة الهواء ، فباختلاف قبول اليابسة والماء لها  
أدرت الرياح فكانت نسبات البر وكانت نسبات البحر ، فإذا كان الليل هبت النسبات من البر إلى البحر لأن  
جو اليابسة يكون أبرد وجو البحر يكون أقل برودة ، فتجري الرياح من البارد للتقلص وهو البر إلى  
الحار التمدد وهو البحر ، فإذا كان النهار قلبت الوضع وأجريت الرياح من البحر الذي لم تسرع الحرارة  
فيه إلى البر الذي أسرع فيه الحرارة ، فهما متعادلان نسيم من البر إلى البحر ونسيم من البحر إلى البر ومثله  
الرياح الموسمية ، ثم إن أدت الكرة الأرضية على محورها من الغرب إلى الشرق والمحور متجه من الجنوب  
إلى الشمال ، وبسبب هذا الدوران يفر الهواء من القطبين إلى ناحية خط الاستواء لكن خط الاستواء



يطرد الهواء بمرارته ، فلا يحبس للهواء إلا أن يلتجئ إلى نقطة معينة وهي هنا درجة (٣٠) شمالا ودرجة ثلاثين جنوبا ، وهناك منطقة سكون تتجه منها ريحان : ريح تتجه إلى جهة خط الاستواء راجعة وهي المسماة تجارية ، وأخرى تتجه إلى ناحية القطبين وتسمى ضدية أو عكسية ، ولا بد من انحراف كل من الريح التجارية والرياح العكسية أو الضدية لأجل تأثير دوران الأرض ( انظر شكل ٧ ) .



( شكل ٧ )

فها هنا يقول الله للرياح التجارية : أيتها الرياح التجارية الجارية في المحيط الأطلسي عليك أن تحركي تيارين : أحدهما في جنوب خط الاستواء ، وثانيهما في شمال خط الاستواء ، يتجهان معا من سواحل أفريقيا إلى سواحل أمريكا ، فأما التيار الاستوائي الجنوبي فعلى بلاد البرازيل أن تصده ومتى صدته يتعطف محاذيا للساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية . وأنت أيتها الرياح العكسية أرجعيه ثانية إلى مقره الأول فيرجع إلى سواحل أفريقية ثانية ، ويتم دورته حول منطقة ساكنة ، وهكذا يفعل التيار الاستوائي الشمالي ، فليتوجه من سواحل أفريقيا إلى خليج المكسيك ، وليسر محاذيا للساحل الشرقي لأمريكا الشمالية ، وأنت أيتها الرياح العكسية وجهيه إلى خليج المكسيك (يسمى تيار الخليج) وهناك يجب أن يقطع قطعتين فيكون هناك تيار أوروبا الغربية وتيار آخر للترويج ، وهكذا ليسكن ذلك في المحيط الهادي ، فلتتحرك الرياح التجارية تيارين على جانبي خط الاستواء كهندين ، فأما التيار الاستوائي الذي جهة الجنوب فعليه أن يتوجه من سواحل أمريكا إلى سواحل استراليا ، وأنت أيتها الرياح العكسية رديه ثانية إلى أمريكا ، وأما التيار الاستوائي الذي جهة الشمال فعليه أن يتجه من أمريكا أيضا إلى ساحل آسيا عند اليابان وهو التيار الأسود (كوروسيوه) بالرياح التجارية ، وعليك أيتها الرياح العكسية أن ترديه إلى أمريكا ثانية ، وهكذا لتفعل الرياح التجارية والرياح العكسية حول استراليا في المحيط الهندي ، فلتتحركي أيتها الرياح التجارية تيارا واحدا جنوبي خط الاستواء فقط لأن نصف الكرة الشمالي مشغول بقارة آسيا ، وليسر التيار من ساحل استراليا إلى سواحل أفريقيا ، وعلى الرياح العكسية أن ترده إلى استراليا ثانية .

هذا هو الخطاب الإلهي الذي يخيل إلى كأنه حقيقة ، وكأن الله عز وجل يقول في منافع هذه التيارات

فيا تيار الخليج ، وياتيار البرازيل في المحيط الأطلسي ، وياتيار (كوروسيوه) ، وياتيار شرقي استراليا في المحيط الهادي ، وياتيار موزنبيق في شرق أفريقيا في المحيط الهندي . أنا نقلت بعضكن من الجهات الاستوائية إلى العروض البعيدة عن خط الاستواء لمقصد سام وحكمة بالغة « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » أنا نقلتك من الجهات الحارة إلى الجهات الباردة لأجل تلطيف كل مناخ تمرين عليه ، إنني بالتيارين اللذين عند غرب أوروبا وعند الترويج أذبت مياه بحر الشمال مع أن بحر البلطيق الذي يساويه في درجات العرض يكون جامدا خمسة أشهر في السنة . والرياح العكسية لحرارتها أثرت في تيار الخليج فأدفأته فوصل إلى سواحل أوروبا دافئا فكان للمطر الكثير والدفء العظيم .

ثم كأنه عز وجل خاطب البحار القطبية والبحار المدارية قائلا ؛ إنك أيها البحار القطبية لم أسلط عليك حرا كثيرا لذلك كان ماؤك محفوظا فلم يكن منك بخار كثير بل زدتك ومددتك بكثير الثلج فزادك ماء . وأما البحار المدارية فإن الحرارة ترفع ماؤها إلى الجو بهيئة بخار ؛ فعليك أيها البحار الشمالية أن ترسلي تيارات مائية إلى الأقطار الاستوائية لأنني عدل ، فلما سمعت هذا الخطاب البحار القطبية الشمالية أرسلت من لديها مددا وهو تيارات بحرية إلى خط الاستواء .

(١) مثل تيار (لبرادو) الذي يحاذي سواحل (جرينلند) و(لبرادو) و(نيوفندل) ثم يقابل تيار الخليج وهودافي\* فيتلاشى فيه .

(٢) وتيار شمالي شرق اليابان الذي يحاذي شبه جزيرة (كشتكا) وجزيرة (يسو) ومتى قابل تيار (كوروسيوه) يتلاشى فيه .

(٣) وهكذا المحيط المتجمد الجنوبي أرسل تياره حول الدنيا من الغرب إلى الشرق دائما سائرا مع الرياح العكسية الغربية ؛ ومتى قابل الأطراف الجنوبية لأفريقية واستراليا وأمريكا الجنوبية يتفرع منه تيارات في المحيط الأطلسي وفي المحيط الهندي وفي المحيط الهادي ، وهذه كلها تقابلها تيارات دافئة لتخفيها وتعمدها ، فأنت أيها التيارات الباردة لك آثار حسنة . فإنك تؤثرين في جهات (جويسو) في اليابان فتكون أبرد من (جوهنشو) وفي مناخ جهات (بيرو) في غرب أمريكا الجنوبية فإن حرارتها تكون ألطف مع قربها من خط الاستواء للوجب لشدة الحرارة ، ولقد جعلتك أيها التيارات الباردة أشبه بالفعلة والصناع إذ ينقلون التراب والحجارة من مكان إلى مكان لإصلاح البقاع والبناء ونحو ذلك ، فأنت تحملين الثلج ومعه صخر ، فمتى وصلت بثلجك وصخرك إلى شواطئ القارات تكون هناك مساحات واسعة مرتفعة عند سواحل (نيوفونداوند) بالمحيط الأطلسي وعند سواحل الشمالي الشرقي لليابان ، وما هي إلا صخور ذات الثلج التي كان معها أصبحت هي محال لتربية السمك فيسطاده الناس عند تلك السواحل ، إذن أنت أيها التيارات الباردة تحملين برودة معك لتلطيف الحر وتصنعين صنع البنائين والفعلة ، فإنك تبينين أماكن للسمك يسطاده الصيادون .

### خطاب الله للناس

وكأني أسمع خطابه للناس إذ يقول : يا بني آدم ، أين عقولكم ، وأين أحلامكم ؟ أليست هذه آياتي؟ فمن آياتي الرياح في البحر ، ولو أني أسكنت الريح بسبب اتحاد الحرارة على الماء واليابسة لم تكن رياح ولم تكن تيارات . انظروا يا عبادي ، فمن أين تكون تيارات حارة تنفذ إلى غرب أوروبا وعند الترويج . فتذيب بحر الشمال لمنفعة عبادي في أرضي ، ومن أين تكون تيارات باردة تذهب إلى (بيرو) في غرب

أمريكا الجنوبية فتلطف حرارتها . سياسة أبدعت ، وحكمة نظمت ، وآيات وعجب ! هذه عجائب صنعى ماخلفتها لكم عشا . أنتم قلدتم الطيور فطرتم فى الجو بطياراتكم ، وقلدتم النمل فى الحرب ، والأسود فى الاقتراس . تفرحون وتمرحون وتقولون قد امتطينا الطيارات وقتلنا الأمم بالقذائف النارية وتظنون أنكم بهذا مفلحون . كلا ، ثم كلا . وعزى وجلالى إن هذه إلا أساليب الشياطين وأخلاق الحيوان والسباع . فإذا لم يفهم أهل الأرض حكمتى فإنى سأهلكهم أجمعين أكتعين أبصعين .

أيها الجهلاء . أيها الغافلون : ألم يأتكم نبأ تيارات الماء المذكورة . ألم تروها تجري من الجهات الباردة إلى الحرارة ومن الحرارة إلى الباردة لإصلاح أحوال عبادى . فها هى ذه التيارات القطبية تجري إلى جهات الاستواء لتلطف الحرارة والتيارات الاستوائية تتجه إلى الجهات الباردة فتقلل برودتها . ألم يكن هذا درسا لكم ؟ ألم يأن لكم يا أهل الشرق ويا أهل الغرب أن تكون سياستكم كسياستى ؟ هذه سياستى فمن الذى يقلدها ! أعوام السمك أم أعوام الدواب ؟ كلا . بل أنتم المقصودون بتقليدها ، نعم أنتم قلدتم فى الأمور الشهوية ، فطرتم فى الجو لتغيروا على غيركم ، أو لتسافروا لأغراضكم الخاصة ، ولكنكم قط لم تدركوا حكمتى ولم تقلدوني فى صنعى . أنا بالحرارة واختلافها أجريت الرياح وأجريت التيارات شرقا وغربا ، هكذا فلتكن حرارة العلم متأججة فى قلوب الناس شرقا وغربا ، ولتكن منها جاذبية فى قلوب الأمم كلها فى نظام السياسة والاتحاد كما سرت الجاذبية فى التيارات وانتظمت بها تيارات تشبه الأقطاع الناقصة التى تسير فيها الكواكب فى السماء ، فأصبحت التيارات البحرية من أفريقيا إلى أمريكا ومن أمريكا إلى استراليا وآسيا وهكذا كلها متجهات إلى تكوين قطع ناقص تشبها بنظام الكواكب فى سيرها لأن كل أم يتبعها ولدها ، وكأنها إشارت أن نظام الإنسان فى المستقبل سيكون أشبه بنظام هذه التيارات والرياح التى يمد الحار منها البلاد الباردة والبارد منه البلاد الحارة ؛ ألم يأن لكم أيها الناس أن تجملوا أممكم أمة واحدة ، فقولها يواسى ضعيفها وتلطفون فى الهداية والسياسة بحيث يكون التوحشون فى كنف للتعليمين من جيرانهم ، ليكون مسلموا أفريقيا نورا لتوحشها ، وهكذا ليكن الناس بعضهم لبعض معين ومساعد كما ظهر فى التيارات البحرية باردة وحارة .

ومن عجب أن تكون هذه الآية فى سورة الشورى ، فإن لم يكن العالم كله أمة واحدة الشورى أفلا يكون للمسلمون وخدم أمة شورى ؛ والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الجمعة ٣ مايو سنة ١٩٣١ .

### جوهرة فى قوله تعالى

« إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره »

نظرة راكب السفينة فيما حوله من الماء والأرض

لراكب السفينة نظرات فيما حوله ، ففارة ينظر فى الرياح واتجاهها واختلافها وتأثيرها كما تقدم هنا ، وتارة أخرى ينظر فى جوهر السماء والبحر والبر وصور المخلوقات البرية والبحرية ، فىرى أشكالها وألوانا وعجائب وهذا تفرؤه فى ﴿سورة الروم﴾ فى قوله تعالى « فطرة الله التى فطر الناس عليها » وإنهم مفسطرون على البحث فى الأشكال والأحوال والحكم على هذه المادة بأشكالها وبيان مساحاتها ونظمها المختلفات وإن هذه العقول بقوتها العظيمة لم تحتج فى مساحة محيطات الدوائر ، ولا فى مساحة الدوائر ، ولا فى مساحة سطح الكرة ولا فى معرفة حجم الكرة إلا أن تمسح نصف القطر ، دلالة على

حكمة مبدعها وقدرته وعلمه ونوره الذي ألقاه على هذه النفس فنفذت إلى سويداء الأجسام فاخترقتها وحكمتها وحكمت عليها بنصف القطر وحده بحيث تربعه تارة وتكعبه أخرى وتضربه في أعداد معلومة محفوظة ، كل ذلك تفرؤه في سورة الروم ، ولكن المقام الذي يليق أن يوضح هنا أبهج رونقا وأبهى منظرا وأشرق نورا وأليق بهذا المقام ، لأن ذلك عام في كل ذي شكل في بر أو بحر ، أما ما هنا فإنه يختص بالماء والسماء .

### الماء والسماء

إن راكب السفينة يرى بعينه نجوم السماء وأمواج الماء ، فهو بين نجوم وماء ، فلا جرم يجب أن يقرأ عجائبها ، ولتعلم أن هذه العلوم مبينة بالبراهين معروفة بالقوانين فلا يصدنك عنها قول كثير من المتظاهرين بالعلم إنها ظنون أو أوهام . كلا فلا علم إلا وله براهين أفنعت أهله وكل من دخل معهم اعترف بصدق نظرياتهم ، فإذا قرأت ما سأقصه عليك فلا يخذعنك عنه خادع ، ولا يصدنك عنه مارق ، يقول لجعله وحده : ما هذه إلا ظنون ، فلتقرأ وتدرس ولتعلم أن هذا هو الذي يطلبه الله ودينه ونبيه صلى الله عليه وسلم .

إن العلماء كما بحثوا الأشكال وعرفوا مساحتها أدرکوا أيضا أبعادها ، فعرفوا أبعاد الشمس والقمر والكواكب ووصلوا إلى أن عرفوا أن من أبعاد الكواكب ما وصل إلى مائة مليون سنة بحيث إن نور تلك الكواكب لم يصل بعد خروجه من كوكبه إلى أرضنا إلا بعد أن قطع في سيره مائة مليون سنة وهذا واضح في غير هذا المكان من التفسير ، وهذه للقادر وإن كانت تقريبية قام عليها البرهان : أي البرهان الهندسي بحيث يستعملون في ذلك المثلثات التي لها أحوال خاصة . وعلم الهندسة علم يقيني ، غاية الأمر أن للقادر تزيد وتنقص على حسب آلة الرصد لا غير ، فلا يصدنك عن ذلك قول القائل : إن علم الفلك علم يخطئ كثيرا ، فإن هذا القول صادق في علم أحكام النجوم وهو العلم الذي يخبر بالحوادث المستقبلية ، فهذا العلم يكذبه العقل ويخطئه النقل ، فأما حساب السنين والشهور وأبعاد الكواكب فذلك قامت عليه البراهين إذن فلا شرع في الكلام على السماء ثم أتبعه بالكلام على الماء .

### الكلام على السماء

إن راكب السفينة بعد أن يدرس الرياح المتقدمة يخطر بباله ما يرى فوقه من النجوم ، وهذه النجوم قد تقدم الكلام عليها في مواطن كثيرة ، ولكن الذي أذكره هنا هو الكلام على مدة دورانها في الفلك كما أذكر في الماء القوانين العلمية التي بها غاص فيه أجسام وعام على سطحه أجسام أخرى ، فإن ثقل الأجسام وخفتها يؤثران في صعودها على سطح الماء وسقوطها في قاع البحار ، كما أن السيارات تختلف مدة دورانها حول الشمس باختلاف أبعادها وأحجامها وقوتها الطاردة والجاذبة ، وسأوضح هذا ليعجب الأذكىاء من نجوم باهرات سائرت بقوانين لا تختلف على مدى الأزمان ، ومن ماء جميل يستقبل الأجسام في أسفله تارة وفي أعلاه تارة أخرى بقوانين بحيث يخرج المطلع على هذا بعد فهم هذا الموضوع وقد تحلت نفسه بحيلة العلم وابتهجت بزينة الجمال وعرفت سرا من نبا قوله تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » وأدرکت قبسة من نور قوله تعالى « والسماء بآياتها بايدها وإنا لموسعون » ومن قوله أيضا « والسماء رفعها ووضع الميزان : ألا تطغوا في الميزان » .

ينظر راكب السفينة في السماء فيجد الكواكب تنقسم قسمين : سيارات وثوابت ، فالثوابت هي

كل ما تراه في السماء من الكواكب إلا قليلا ، والقليل هي السيارات والسيارات تسير حول الشمس ، فمنها :

( ١ ) عطارد يدور حول الشمس في ( ٨٨ ) يوما تقريبا ، ويبعد عن الشمس ( ٥٧ ) مليون كيلومترا

( ٢ ) الزهراء تبعد عن الشمس ( ١٠٧ ) مليون كيلومترا ، وأبعادها وأحجامها تقرب مما للأرض عنها .

( ٣ ) المريخ : السيار الذي يلي الزهراء بالنسبة للشمس هو الأرض وهي معروفة فيما تقدم في أجزاء هذا التفسير والذي يلها هو المريخ ، وبعده المتوسط عن الشمس قدر بعد الأرض عنها مرة ونصف مرة ومقداره ( ٢٢٥ ) مليون كيلومترا تقريبا ، والقطر الظاهري من المريخ يساوي ( ٠.٥٤ ) من قطر الأرض تقريبا أعني ( ٦٨٠٠ ) كيلومترا ، وحجم المريخ ( ١٤٧ ر ٠ ) من حجم الأرض ، ودورته السنوية مركبة من ( ٦٦٩ ) يوما نجميا للمريخ .

( ٤ ) المشترى هو قدر حجم الأرض ( ١٣٠٠ ) مرة وقطره يساوي ( ١٤٠٠٠٠ ) مليون ، فهو قدر خط الاستواء الأرضي ( ١١ ) مرة ، وبعده المتوسط عن الشمس يساوي ( ٧٧٠ ) كيلومترا ، وسنته ( ١٢ ) سنة من السنين الأرضية .

( ٥ ) زحل : البعد المتوسط لزحل عن الشمس هو قدر بعد الأرض عنها تسع مرات ونصف ، أعني ( ١٤٠٠ ) مليون كيلومتر تقريبا ويقطع الفلك في ( ١٠٧٥٩ ) يوما أعني ( ٩ ) سنة ونصف تقريبا ، وحجم زحل قدر حجم الأرض ( ٧١٨ ) مرة وقطره الاستوائي هو ( ٩٢٩٩ ) .

( ٦ ) أورانوس : مدة دورته حول الشمس ( ٨٤ ) سنة تقريبا أو ( ٣٠٦٨٧٧ ) يوما بالضبط وبعده عن الشمس ( ٧٠٨ ) مليون فرسخ ، وحجمه قدر حجم الأرض ( ٦٩ ) مرة ، وقطر كرتيه ( ٤٢٥ ) بأخذ قطر الأرض وحده .

( ٧ ) نبتون : بعده المتوسط عن الشمس ( ١١٠٧٠٠٠ ) فرسخ وهو أبعد السيارات ويتم دورته في ١٢٥ سنة وقطره ( ٣٨٠ ) بالنسبة لقطر الأرض .

هذه هي السيارات المعروفة التي عرفها الإنسان الآن ، اختلفت أحجامها وأبعادها وأضواؤها ومدد دورانها ، والمهم في هذا المقام أنها مع هذا الاختلاف قد حفظت أبعادها ومدد دورانها فلم تتغير ، فلا فرق بين أرضنا وبين تلك الكواكب في حفظ مدد دورانها .

اللهم أزل العشاوة عن عقولنا ؛ هذه المعلومات البسيطة التي ذكرتها هنا ليست إلا شيئا يسيرا جدا مما تقدم في مواضع هذا التفسير ، ذكرتها ليتفكر راكب السفينة في عجائب الكواكب ، تلك الكواكب التي لا تخطى في سيرها ولا تعدى مارس لها من مداراتها تذكرة لقوله تعالى « فقال لها وللأرض ائتينا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين » فهذه سبع سيارات منظمات سواهن الله عز وجل ونظمهن وأحكهن وقال لمن : سرن أيتها السيارات في طرفكن ولا تعدين مارسه لكن ، سارت هذه السيارات وهي طائفة مختارة ولم تخطى في السير ولم تنقص في سيرها ولم تزد ثانية واحدة وهذا هو السبب في بقاء هذا العالم منظما آمادا وآمادا . إذن فلننظر في :

## عالم الماء

ها نحن أولاء نظرننا عوالم السماء فرأيناها منظمة سائرة بحكمة وعلم تامين ، فلننظر في عوالم الماء التي تسير السفينة فوقها فهل نجد لها قوانين تشبه تلك القوانين بحيث نفهم به قول الله تعالى « فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » .

ها نحن أولاء عرفنا من هذا المقام ومن غيره كيف كانت عوالم السماء قد أتت لربها طائعة ، فهل فعلت مثلها عوالم الأرض وأنت طائعة ؛ نحن لانعرف ذلك إلا بالدراسة فنقول :

إن في علم الطبيعة تعرف الكثافة والوزن النوعي ، يقولون إن كثافة الجسم هي كتلة وحدة حجومه وهذه الجملة في ظاهرها غير مفهومة ولكنها لا بد من ذكرها وفهمها والسير في هذه المباحث حتى نعرف أن عوالم الماء كعوالم السماء لها قوانين وقد أطاعت الله كما أطاعته الكواكب . وكل منهما يحتاج إلى دراسة تامة . يقولون إن كتلة السنتيمتر المكعب من الحديد تساوي (٧٨) من الجرامات . وكتلة السنتيمتر المكعب من الزئبق تساوي (١٣٦) من الجرامات . وكتلة السنتيمتر المكعب من البلاتين تساوي (٢١٥) من الجرامات ، فكثافة هذه الأجسام هكذا بالترتيب (٧٨) و (١٣٦) و (٢١٥) من الجرامات . ومعنى هذا أن الحديد والزئبق والبلاتين إذا أخذنا منها مقادير مساوية لحجم السنتيمتر المكعب من الماء فإن أوزانها تزيد عليه بهذه المقادير فيكون الحديد أثقل منه (٧٨) والزئبق أثقل منه (١٣٦) والبلاتين أثقل منه (٢١٥) وهذا هو الوزن النوعي ، لأن الوزن النوعي لجسم هو النسبة بين حجمين متساويين منه ، ومن الماء المقطر وهو في درجة (٤) فوق الصفر من الميزان الثوري (ستغراد) .

وهنا لا بد من ذكر قاعدة ( أرشميدس ) وهي كل جسم مغمور في سائل يكون مدفوعا من أسفل إلى أعلى بقوة تساوي وزن مقدار من السائل حجمه يساوي حجم الجسم . ( وبعبارة أخرى ) وزن السائل الذي يحل محله الجسم . وينتج من هذه القاعدة ما يأتي :

إذا طفا جسم على سطح سائل كان وزنه مساويا وزن السائل الذي يحل محله الجزء المنغمس فيه ، ولهذا السبب يطفو الرخام والحديد على سطح الزئبق ، ويمكن أن تطفو الأجسام الكثيفة جدا على سطح الماء إذا كانت مشكلة بشكل يمكن معه أن يكون وزن السائل الذي يحل محله الجزء المنغمس فيه مساويا لوزن الجسم كله ؛ فمثلا الكرة المعدنية الجوفاء التي حجمها ( ١٠٠ ) سنتيمترا مكعبا ووزنها ( ٦٠ ) جراما لا ينغمس منها في الماء إلا مقدار يحل محل ( ٦٠ ) سنتيمترا مكعبا فقط ، وفي هذه الحالة يكون وزن الماء مساويا لوزن ( ٦٠ ) جراما وهو وزن الكرة المعدنية ، والسفينة التي تزن ( ٥٠٠٠ ) طنولاته لا يمكن أن تطفو فوق الماء إلا إذا زاد حجمها على ( ٥٠٠٠ ) متر مكعب حتى يحل الجزء المنغمس منها محل هذا القدر من الماء ولذلك تطفو السفن التي من الحديد فوق الماء ، مع أن كثافة هذا المعدن أعظم كثيرا من كثافة الماء .

ومن العجيب أن العلماء أوجدوا الوزن النوعي للأجسام بطريق الطفو ، فيضعون مثلا من البلوط متوازيا مستطيلا في وعاء فيه ماء فيطفو فوق سطحه ، ويعسبون الجزء الطافي والجزء المنغمس في الماء وي طرحون الطافي من المنغمس ، فالباقي يكون هو الوزن النوعي للبلوط وهو طبعا أخف من الماء بعكس الحديد والزئبق والبلاتين والذهب فإنها أثقل من الماء .

أليس هذا عجبا ! أن الماء يصبح حكماً في معرفة كثافة الأجسام ( وكتلتها ) المندمجة في أحجامها ، فالسكنل المندمجة في الأحجام التي تعرف بها كثافة الجسم يظهرها الماء ، فإن كانت الأجسام أخف من الماء طفت أو أثقل انغمست ، وهناك درجات معينات لثقل الأجسام وخفتها قد أظهرها نفس الذي جعله الله ميزانا يوزن به ثقل الأجسام وخفتها .

هاهنا علمت أيها الذكي لماذا ذكرنا هنا كواكب السماء ، ومقادير أبعادها وأحجامها وعدد حركاتها فإن أجسام المعادن والحشب وغيرها ثلث وخفت بمقادير معينة عنها الماء ، وأوضحها إيما إيضاح كما تعينت الأبعاد والأحجام في السيارات ونسبنا أحجامها ونسبنا إلى حجم الأرض ونسبها ، والنسب الكوكبية في السيارات لا تتغير والنسب الوزنية في الأجسام الأرضية ووزنها النوعي لا يتغير ، وهذا قوله تعالى « قلنا أتينا طائعين » فهذه هي الطاعة ، طاعة الكواكب وطاعة الأجرام الأرضية ، بل الطاعتان ترجمان لأمر واحد هو الجاذبية ، فالحديد ثقيل وخشب البلوط المتقدم خفيف ، فخاص الحديد في الماء وطفء الحشب على الماء ، ذلك لأن الحديد أكثر من الحشب ، فلذلك انجذب إلى الأرض على مقدار كثافته ، فسكان أسرع نزولا إليها ، فقلنا هذا ثقيل ، فشكل من الخفيف والثقل حركات تخصه نسبها ثقلا وخفة كما اختلفت حركات الكواكب بالنسبة لاختلاف أوصافها وأحوالها وأبعادها ، ولقد بنوا على قاعدة ( أرشميدس ) تطبيقات أخرى وهالك يبينها :

- ( ١ ) منها أن انغماس السفن في مياه البحار الملحة أقل من انغماسها في مياه الأنهار العذبة .
- ( ٢ ) ومنها أن السمك يتمكن من العوص في الماء إذا ضغط حوصلته ويصعد فيه إذا مددها فانسعت ، فبالضغط والتمدد لحوصلة العوم فيه يضم جسمه فيعوص في الماء أو يكبر فيرتفع ، وهذه الحوصلة يراها الإنسان وهو يأكل السمك .
- ( ٣ ) ومنها أن السفينة إذا مست قرار البحر أو غاصت في رماله ، فلنجاتها وإنقاذها تربط في سفينة أخرى عائمة ثقيلة الحمل ، ثم يلقى محمولها فترتفع وترتفع معها السفينة العائمة الفارقة .
- ( ٤ ) ومنها أن جثث الغرقى تطفو على سطح الماء بعد أيام لأنها تحللت مادتها فتكونت فيها غازات تصيرها أقل كثافة من الماء فتطفو عليه .



هنالك حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يسألني في مسائل هذا التفسير . فقال : هاهنا سمعت كلمات ربما تكون غامضة على كثير من قراء هذا التفسير ؛ وأنا رأيت أنك تريد أن تجعله سهلا لجميع القراء ، ذكرت السفينة التي تزن ( ٥٠٠٠ ) طونولاته ، وذكرت الجرام ، وذكرت الستيمتر المكعب ، فكل هذه ألفاظ تحتاج إلى إيضاح . فقلت : اعلم أن الله عز وجل كما جعل الماء في الأرض حياة لأجسامنا ونماء لزرعنا وأنعامنا جعله ميزانا لأعمالنا ، والموازين على قسمين : موازين طبيعية ، وموازين صناعية . فالموازين الصناعية هي التي سألتني عنها . فأما الموازين الطبيعية فهي الوزن النوعي ، ومعنى هذا أننا نعرف تراكم المادة في الرصاص أكثر من تراكمها في النحاس ، ونعرف تراكمها في النحاس أكثر منه في الحديد وفي الحديد أكثر منه في الحشب بموازنته بالماء ، فالماء هو الذي يحكم بينها . ولقد وجد العلماء ما يأتي :

الاردواز : وزنه النوعي ٢٧ والبلائين : وزنه النوعي ٥ ر ٢١ والحديد ٨٦ ر ٧ والحارصين ١ ر ٧  
والذهب ٣٢ ر ١٩ والرصاص ٣٧ ر ١١ والعاج ٩ ر ١ والفضة ٥ ر ١٠ والفلين ٣٦ ر ٠

والفولاذ ٧٩٩ والقصدير ٢٩ ر ٧ والكهرمان ١ ر ١ واللبخ ٥٨ ر ٠ والماس ٥٢ ر ٣ والنحاس المطروق  
٨ ر ٩ والنيكل ٩ ر ٨ .

هذه أشهر الموازين النوعية ، فاذا أتيت بالعاج وعينت منه حجبا خاصا فإنك تجد وزنه يساوي الحجم  
الذي يساويه من الماء مرة ٩ من عشرة من ذلك الوزن ؛ وإذا فعلت مثل ذلك في الذهب رأيت كتلة  
الذهب أثقل من نظيرتها من الماء أي المساوية لها في الحجم ١٩ مرة ونحو ثلث المرة وهكذا .

فهذا هو الماء الذي جعل معيارا للوزن النوعي لهذه المخلوقات ، الماء معيار للوزن النوعي ، ولماذا كان  
كذلك؟ ذلك لسر الربوبية ، سر خفي ، سر يحمله الناس ، الناس يركبون السفن وهم تسير من قطر إلى  
قطر ، ولا يعرفون منها إلا أنهم بها يصلون لأغراضهم ، وفاتهم أن حياتهم قصيرة ، وأنهم خلقوا في الأرض  
للدراسة ، وأن هذه العقول لم توضع في أدمغتهم إلا للدراسة ، يركبون السفن ويفعلون عن السر الذي  
حفظها ، ويفعلون عن قول مجرى السفن في البحر « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن  
الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

إذن الآيات على قسمين : آيات في نفس السفن ، وآيات في هبوب الرياح . أما آيات الرياح فقد تقدمت  
قبل هذا المقام مستوفاة . وأما آيات نفس السفن فهي التي نحن بصدد الكلام عليها .

العقول النائمة لاتعقل أن في السفن آيات ، ولكن العقول المفكرة تدرس السفن وتعقل الوزن النوعي  
لها ، وتدرس قوانين صعودها فوق سطح الماء ، وتعرف أن هذا الماء أمره عظيم . إن أمر الماء وبقائه  
متناسب الأجزاء محفوظ القوام هو الذي به بقيت السفن وحفظت وجرت ، ولو أن أجزاء الماء اختلف نظامها  
لفرقت السفن ؛ كما أن الكواكب التي تقدم وصفها لابقاء لها في مداراتها إلا بمسك أمسكها فبقيت في مداراتها ،  
إذن هنا مسك بمسك الكواكب في مداراتها وبمسك ذرات الماء فتبقى متلاصقة متماسكة وبمسك ذرات  
الحديد والنحاس والذهب فتبقى متماسكة ثابتة ، ولولا هذا المسك لم يستقر قرار لهذه الموجودات .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أثرت السبل بالعلم ، وحفظت هذه الدنيا ، وأتمت نظامها . هذا العالم الذي  
نعيش فيه كله مركب من مادة في غاية الصغر وأجزاؤها الدقيقة وهي الجواهر الفردة بينها مسافات في غاية  
الصغر ويسمونها للمسافات ( الجزيئية ) ولم ير أحد الجواهر الفرد الذكور ولم يرق دليل على وجوده ولكنهم  
اقتنعوا به في تحليل الظواهر ، ولقد أظهر النظائر المعظم أن آلاف الآلاف من المخلوقات الحية تعيش في قطرة  
ماء كما ذكرناه كثيرا في هذا التفسير ، وهذا القول يدرس الآن في مدارس الشرق والغرب فلا خلاف فيه  
ولا منكر له ، وهذه الملايين من الأحياء تنمو وتتكاثر هناك ، ولا يخلو منها مستنقع ، وهي تغذى بدقائق  
أصغر منها لاتتكاد تدرك لصغرها . ومع ذلك يعتبر الجواهر الفرد أصغر من هذا كله .

إن العلامة الأنجليزي (وليم تمسن) توصل بطريق الحساب إلى ما يأتي : « إذا تصورنا قطرة ماء تمددت  
حتى يبلغ حجمها حجم الأرض ما يبلغ حجم الجزيء فيها حجم رملة » .

إذا كانت هذه حال المادة من الصغر والكثرة ومسافاتنا الصغيرة بين تلك المواد الدقيقة فليس يحفظها  
متلاصقة مجتمعمة إلا أمر آخر هو الذي يسمى « قوة التماسك » .

يقول علماء الطبيعة ، « إن كل جزئين من نوع واحد يجذب كل منهما الآخر بقوة تتغير تبعا لطبيعة  
مادتهما وتقوى تبعا لصغر المسافة بينهما ، وخاصة التجاذب هذه المسماة « قوة التماسك » واضحة جدا في  
الأجسام الصلبة ، وأقل وضوحا في السوائل ؛ ومعدومة في الغازات . فقوة التماسك المذكورة هي القوة التي



بها حفظت دقائق الماء متلاصقة بحال واحدة ، وكرات الكواكب في السماء في مداراتها وهو المعبر عنه بقوله تعالى « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » :

فهذا عرفنا بعض آيات الله في السفن الجارية في البحر كالأعلام ، فهي جرت في البحر لأن ذرات الماء الدقيقة جدا ذات المسافات الصغيرة بقيت متماسكة بحال واحدة في جميع الأزمان فعاش الناس آمنين ؛ يسافرون عليها ولا يخافون افتراق هذه الأجزاء فتغرق السفن لأن الله لا يخلف وعده « وعد الله لا يخلف الله وعده » فأنه لا يخلف وعده في حفظ الكواكب في مداراتها وفي سيرها منظمة ، ولا في انتظام أجزاء المادة وتلاصقها وبقائها محفوظة كما حفظت الكرات السماوية ، فبقي الناس آمنين على انتظام أزمانهم وساعاتهم ، وآمنين من الفرق فلا تفرق أجزاء الماء المتصلة ؛ إذن هنا قوة حافظة لهذه العوالم كلها . وكذلك الله لا يخلف وعده في حفظ أجزاء الحديد والنحاس والذهب والفضة والخشب ، فهو يقيها بالقوة التي تمسكها فتبقى بوزنها النوعي ، فيعيش الناس بها بسلام مطمئنين على ذلك الوزن النوعي وهم سالمون آمنون ، كل ذلك سر قوله تعالى « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » الخ وبهذا تم الكلام على الموازين الطبيعية .

أما الموازين الصناعية التي سألتني عنها ، فاعلم أيديك الله أن الماء كما كان بثباته سببا لمعرفة الوزن النوعي للأجسام صار أيضا سببا لمعرفة الموازين الصناعية التي اصطلح عليها الناس أجيالا وأجيالا ، وذلك أن المتر وهو المقياس الفرنسي المشهور ينقسم إلى مائة جزء كل جزء منها يسمى سنتيمترا ، وهذه المائة إذا رُبعت تصير عشرة آلاف ، وإذا كُبت تصير ألف ألف من ضرب مائة في مائة في مائة ، فهذا هو المليون .

فإذا كان لدينا إناء طوله متر وعرضه متر وعمقه متر وملائناه ماء مقطرا درجته أربعة فوق الصفر فإن هذا الإناء يكون قد حوى ألف ألف سنتيمتر مكعب ، وكل واحد منها طوله سنتيمتر وعرضه كذلك وعمقه كذلك وكل واحد منها سموه جراما . إذن هو يحتوي على ألف ألف جرام أو ألف كيلوجرام ، ولا جرم أن هذه تبلغ فوق (٢٢) قنطارا ، ومعلوم أن الكيلوجرام (٣٢٠) درهما وبضرب الألف فيها تبلغ (٣٢٠) ألف درهم . والقنطار (٤٥) كيلوجراما .

إذن القناطير (٢٢) قنطارا ، ويضاف إليها (١٠) كيلوجرامات ، وهذه أيضا (٨٠٠) أفة ، وكل ٣٦ أفة قنطار فيكون الباقي بعد (٢٢) قنطارا (٨) أقات .

إذن الطنلاته تبلغ (٢٢) و(١٠) كيلو جرامات أو (٨) أقات . إذن للماء بثبات دقائقه وتلاصقها حفظ لنا أوزان الأجسام النوعية أي التي نسب ثقل أحجامها إلى ثقل حجم الماء المساوي لها في الحجم بحيث يكون مضاعفا له مرتين أو عشرة أو عشرين أو مساويا لبعض أجزائه كالثلث والربع كما تقدم . وحفظ لنا موازيننا المعتادة من الجرام ومضاعفاته وما يوازنه من الدرهم والأرطال والقناطير . ذلك كله يدعو إليه فهم قوله تعالى « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

ولقد تبين لك من هذا المقام أن هذه المعاني لا يمكن أن يعقلها إلا من يصبر عليها صبرا مستمرا وإلا فكيف يتسنى للرجل الشهواني الغر الجاهل أن يصبر على ما ذكرناه هنا من عالم الكواكب المناسب للمقام وعالم الماء وعوالم المعادن ونحوها ، ويستمر في بحثها ويصبر على دراستها ، ولا جرم أنه إذا صبر هذا الصبر أصبح شاكرا لأن الشكر يرجع إلى فهم النعمة ، وفهم النعمة لا يعقل إلا بالصبر على دراستها وتعقلها وكأما كان الصبر على الدراسة أتم كان الشكر أوفر . ولذلك يقول الله « لكل صبار شكور » وكلاهما صيغة مبالغة فمن بالغ في الصبر كان أكثر شكرا وعلى مقدار الصبر ودراسة النعمة يكون شكرها ، وشكرها أن يحس

الإنسان في نفسه بحب لمسدى النعمة ، وينطق لسانه بالثناء في المدارس والجامع والمواعظ ، وتنطلق جوارحه بخدمة الأمم التي يعيش الشاكر فيها ، فهو كما يعشق مسدى هذه النعم ويحبه لإتقانه صنعه وإبداعه يكون مصدر العلم والحيرات لعباده ، بل يكون خليفته في الأرض ، وذلك بأن يكون مقتديا بالأنبياء سائرا على نهجهم في الإصلاح وإسعاد الناس ، وهذا الشكر هو الذي ورد وجوبه في قوله تعالى « واشكروا لي ولا تكفرون » فعمل مقدار العلم يكون هذا الشكر .

ولا جرم أننا مأمورون بزيادة الشكر وبزيادة العلم ، وهذا وجوب عيني على كل قادر نص عليه علماء الأصول . فقالوا : « شكر للنعم واجب » وقد علمت معناه .

أما إسداء النعم للناس بهذه العلوم فهذه فروض كفايات ، والأمم الإسلامية اليوم قصرت في ذلك كل التقصير . فأمثال هذه الموازين النوعية الطبيعية ، والموازين الاصطلاحية لا بد لها من رجال مختصين بها ويكون عددهم على حسب احتياج الأمم الإسلامية ، فلندرس هذه العلوم جميعها ، ولتوزع على جماعات تكفي نظام الأمم الإسلامية وحياتها ، هذا تحقيق المقام والحمد لله رب العالمين ، تم هذا الموضوع مساء يوم الأحد ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩ م .

### إيضاح بعض أسرار قوله تعالى

« ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » إلى قوله : « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »

مع قوله تعالى : « فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا » الآية

هاهنا جعل الله السفن الجاربات من آياته ، وهذه الآيات لا تظهر إلا لمن صبر وشكر ، فأما الصبر فعلى العمل والتنظيم ، وأما الشكر فلا يكون إلا بعد فهم النعم ، وكيف تفهم إلا بالدراسة ، ومن عجب أن آية سورة فاطر مثل هذه الآية في ترتيب نظامها إذ يقول تعالى « وترى الفلك فيه مواخر ، لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » فالابتغاء من الفضل إنما يكون بالعمل ولا عمل إلا بصبر ، فالابتغاء هناك في مقابلة الصبر هنا والشكر مشترك بينهما ، ولقد بينت هناك بعض تعميم السفن من حيث تسهيل النقل مع وصف البحار وأعماقها ، وذلك كله موجب للشكر ، فإنك ترى هناك أن في البحر عجائب مثل الكاشالوت ذو الأنياب المحددة والروكال الذي يبلغ طوله (١٢٠) قدما ، ومثل عمق البحر (٢٧٥٠) قامة مع أن النور لا يبعد أكثر من (٢٠٠) قامة ، فهناك في الظلام حيوانات تعيش بلا نور خارجي ، بل إن النور يخرج منها نفسها ، فهو تحت أمر السمكة ، إذن هناك في (٢٢٥٠) قامة في الظلام أحياء ، ومنها ماله نور فسفوري . وفي البحر المرجان يبني جزائر كثيرة كما بنت الأرض في اليابسة مباني عالية ، إذن الأرض برا والمرجان بحرا فعلا معجز عنه الناس ، فإن المرجان أحدث في البحر آلافا من الجزائر عاش فيها الحيوان والنبات ، ومن العجائب أن قوة الحصان تبحر (٣٠٠٠) رطل في البر بسرعة ثلاثة أقدام في الثانية ، وعلى السكة الحديدية (٣٠٠٠) رطل للسافة نفسها والوقت نفسه ، وفي البحر (٢٠٠٠) رطل ، إذن الماء أكسبتنا تسهيلا فوق السير المعتاد (٧٠) مرة ، هذه سر آية « وترى الفلك فيه مواخر ، لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » إذن المسلمون عليهم أن تكون لهم يد في البحار عظيمة ، هذا ملخص ما كتبه هناك .

وأزيد هنا ماجاء في كتاب (الجغرافيا التجارية الاقتصادية) لمؤلفه الأستاذ محمد حمدي بك ناظر مدرسة التجارة العليا . فقد جاء فيه ما يأتي :

## الإنسان ومغالبة البحار والمحيطات

في موضوع ترقى الملاحة

ملاحة الأنهار. علاقتها بالسكك الحديدية والقنوات.  
ملاحة البحار والمحيطات. مراكز التجارة. الموانئ.  
أنواعها وأشهر الموانئ التجارية. الموانئ المصرية  
تأثير القنوات الملاحية في تجارة المحيطات. قناة  
السويس. قناة بناما.

الملاحة غريزية في الإنسان من القدم إذا كان يدفع بنفسه في الأنهار والبحيرات لصيد الأسماك وكان ولا يزال بأبوى للسكنى على سطح البحيرات في مساكن يقيمها هناك أماناً من الأخطار التي يمكن أن تحمل به من البر فكان دائماً في حاجة شديدة إلى أي نوع كان من الزوارق.

ولا يخفى ما للأنهار من الأهمية في اجتياز الممالك الغاية أو المستنقعات، كذلك لا يخفى أن قواعد المدينة الأولى كانت راسخة في وديان الأنهار العظمى وإذن كانت هذه الأنهار سبل التجارة بين أرجاء البلاد مثل مدينة المصريين القدماء على تلك السلخة الأرضية التي يغمرها النيل بحيره ومثلها بابل وآشور في الوديان السفلى لدجلة والفرات ومما نلاحظ في نظام تجارة مثل الممالك سابقة الذكر أن تقوم للملكة بسد حاجتها بنفسها خصوصاً فيما يتعلق بمواد الغذاء الرئيسية التي هي موضوع التجارة الدولية في العالم في الوقت الحاضر على منوال لم يسبق له مثيل. وإذا كانت قد قامت حركة تجارية بين تلك الأمم القديمة بواسطة الطرق البرية فإنما كان ذلك في أواخر أدوارها من الرقي وكانت قاصرة على اللواد الصغيرة الحجم العالية الثمن من اللذائذ لا الضروريات التي لا مندوحة عنها ولم يسمع في عهدها بالتجارة في اللواد الأولية والصناعية (بكميات طائلة) لأن طريق البر كانت تستخدم فيها الناس والدواب للنقل فكانت الأحمال على قدر طاقة هؤلاء فضلاً عن أن التجارة كانت عرضة في الزمان القديم إلى سطو اللصوص وقطاع الطريق إذا انتقلت إلى مسافات بعيدة براً أو بحراً.

ولقد كان التدرج في بعض الممالك من ملاحة الأنهار إلى ملاحة البحار طبيعياً وفي أمم أخرى كانت ملاحة البحار هي الخطوة الأولى لها كما بين سكان الجزر في المحيط الهادى أو الاسكيمو في القطب، فترقى الملاحة إذن ليس أمراً قديماً بحسب بل هو أمر عام في أنحاء الأرض ولا يقع طبعاً في الأصقاع الجافة الحالية من الأنهار كما يفهم من حال العرب في بدء مدنيتهن حتى لقد كان يكره سيدنا عمر البحر وبها به مع أنه كان يرى فضل النقل بالماء إذ أمر بحفر خليج أمير المؤمنين بمصر، ولا في الأصقاع المحوطة بالبحار الخطرة الطلقة الساحة كما في الجنوب الغربي من أفريقيا.

وترقى صنع الفلك يمكن تفصيله في التاريخ ابتداء من الحشبة الطافية فالبوص المحزوم مما يتسنى له أن يعمل رجلاً وحمله ثم السكتل الحشبية المفرغة فالهيكال السبق المحوط بالجلد فالقارب المصنوع من الأخشاب المسعرة ثم إلى تهيشته (بالدفة) وهكذا.

والبوص هو أشهر ما صنع منه الفلك قديما في الممالك الحالية من الأشجار في مثل أراضي النيل وبحيرات العجم، وأول ما ظهر من القوارب على شكل الأسيات الملقوفة في الجلود كان في نهر الفرات ثم امتد التقليد والترقى في ذلك تدريجيا .

وفي الأدوار الأولى للرقى التجارى تقتصر المملكة على استخدام أنهارها للملاحة وتكون هذه في غاية الأهمية لأهلها ولكنهم في أدوارهم الأخيرة يعمدون إلى استعمال السكك الحديدية مع الأنهار التي ربما قد يقل استعمالها بترقى هذه السكك ولنضرب لهذه الأدوار أمثلة :

ففي حوض « الأمازون » تجرى جميع اللواصلات تقريبا بواسطة الأنهار والنهر الرئيسى قابل للملاحة بواسطة البواخر الضخمة المحيطية إلى مسافة ٣٠٠ ميل لغاية بلدة « ايكويتوس » ثم ما فوق هذه مسافة ٥٠٠ ميل قابل للملاحة بواسطة مراكب أقل حجما مما تسحب الواحدة أربع عشرة قدما ثم يصادف النهر شلالات كثيرة مثل « بنجودى مانزريكي » وغيره، وهى من خصائص نهرااته أيضا لاسيا في كثير من جهاتها العالية وفي أواسطها وأحيانا في أسفلها فتجرى الملاحة بواسطة الأنهار في كل جهات البرازيل إلا إذا اعترضتها الشلالات فيلجئون إلى نقل البضائع برا، وليس بالبرازيل سكك حديدية إلا ما ندر منها على الشواطىء ولقد شرعوا حديثا في مد خط على نهر ما دبرا من سان انطون على مقربة من شلالات متوالية (١) .

وحوض « السكتغو » من أحسن ما يمثل ارتباط التجارة النهرية بالسكك الحديدية إذا تعذر تسيارها بسبب الشلالات تدخل مراكب المحيط من المصب إلى « ما نادى » ومن بعدها شلالات هى من خصائص جميع الأنهار العظيمة لأفريقية حتى في مجاريها الواطئة وهى التي كانت سببا مهما في تباطؤ كشف أفريقية ورقى تجارتها، لأنه يتعذر سلوك الأنهار إلى الداخل لذلك توجد سكة حديدية طولها ٢٦٠ ميلا من مانادى إلى « ليوبولدفيل » على بركة « ستانلى » فيتجنبون بواسطتها شلالا عظيما اسمه « يلالا » وبعد ذلك يوجد نحو ١٠٠٠ ميل من النهر صالحة للملاحة لغاية شلالات استانلى فتوجد سكة حديدية أخرى تبلغ ٣٠٠ ميل لتحاى هذه الشلالات أيضا وهى من « ستانلى فيل » إلى « بونثير فيل » ثم يعقب هذه ٣٠٠ ميل من النهر قابلة للملاحة وبعدها سكة حديدية ثالثة من « نيانجوى » يصلون بها إلى جزء آخر من النهر قابل للملاحة في « لوالايا العليا » (٢) .

وكذلك هو الحال في « وادى النيل » إذ ترى مثل هذه الخصائص من عدم وصول السكة الحديدية فيه إلى حد السككال فهى تمتد في حوضه الواطىء من البحر الأبيض المتوسط إلى الشلال الأول على مدى ٧٠٠ ميل تقريبا ثم تنقطع لضيق الوادى وتبتدى ثانية من وادى حلفا في حوضه الأعلى إلى السودان المصرى الإنجليزى فيبقى النهر الوصلة بين الشلال ووادى حلفا وهكذا يجب تتبعها لدراسة سيرها مع النهر .

وفي « كولومبيا » بجنوب أمريكا أمثلة كثيرة للسكك الحديدية التي وظيفتها مجرد إيصال بعض المدن الشهيرة على الأنهار بالمدن الواقعة خارجة عنها ، ويحسن لذلك دراسة حوض « المغدلينا » .

وتزداد فوائد الأنهار بشق الترع والقنوات في أحواضها، والقنوات إما أن تشق وتكون حافظة مستوى واحدا على طول مداها فيتبع في نظام حفرها مستوى سطح الأرض وإما أن يكون من نظامها تغيير ارتفاع سطح الماء فتجهز « بالأهوسة » وقد تبنى الأهوسة كذلك على الأنهار نفسها إذا كان تيارها سريعا لاتييسر

( ٢٠١ ) يجب تتبع هذه المعلومات في خريطة طبيعية سياسية .

معه الملاحه أو إذا اعترضته الشلالات في مثل قناة «سولت سان ماري» .

وبما أن مجارى الأنهار والترع تكون عادة متعرجة فقد يصيب جوانبها التلف إذا سارت فيها المراكب بسرعة ودفعت بالمياه يمينا وشمالا فضلا عن أن الأهوسة تكون معطلة قليلا لتوالى سير المراكب لما تقتضيه . من الانتظار في رفع الماء وخفضه لذلك ولأسباب أخرى كانت الملاحه بالأنهار والقنوات بطيئة غير مسعفة ولكنها مع ذلك ذات شأن في نقل الأحمال الثقيل كالفحم وغيره من المواد الضخمة نظرا لرخس الحمل على الماء فيكون ذلك أرجح أحيانا من سرعة القطارات الحديدية ولما تجمد «السين» في سنى الحرب دأبوا على قطع الجليد منه ونسفه بالديناميت ليتسنى استخدامه مع أنه في سنى السلم كان ملهى الزلاقي .

ونظام القنوات الملاحية في وسط أوروبا وغربها عجيب جدا ومفيد من الوجهة التجارية الفائدة العظمى إذ شتبتك جميع الأنهار العظمى بعضها ببعض «الرين والرون والألب والأودر والفيستولا والطنونه والسين واللوار» بقنوات في غاية العظمة والمنفعة وبين ألمانيا وبلجيكا وهولانده وفرنسا قنوات ملاحية من الدرجة الأولى في الحركة التجارية وعليها تمر المحمولات العديدة الضخمة .

ولبعض الأنهار والقنوات في شمال أمريكا أهمية عظمى في التجارة؛ فالمسيبي ونهراته عماد حركة تجارية في طول البلاد وعرضها وقناة هادسن وإيرى التي تصل نيويورك بالبحيرات العظمى - والبحيرات العظمى - نفسها ، العليا وميشيغان وهورون وإيرى وإنتار يوقطب رضى الحركة التجارية في كندا والولايات المتحدة وعامل من عوامل رقى التجارة الداخلية لتلك الجهة، ولقد أقيمت الأهوسة تحاشيا لشلال سولت سان ماري وتسمى «سو» بين البحيرة العليا وهورون ومن وقت ما أخذت هذه القناة الطبيعية في الحركة التجارية إلى الآن بلغت محمولاتها من البضائع آلاف الآلاف بالنسبة لعهد بدئها ولم يمض عليها إلا نصف قرن كذلك يوجد بين ميشيغان والمسيبي قناة تجارية عظمى وتوجد أخرى بين بحيرة إيرى وأنتاريو تحاشيا لشلال نياغرا ونهرسان لورانس قابل للملاحه من بعد بحيرة أنتاريو إلى المصب . هذا، ويوجد في كندا قناة ملاحية أخرى من خليج جورجيا في بحيرة هورون إلى بحيرة أنتاريو ، وستشقى أخرى بين خليج جورجيا المذكور ونهر أتاوة لتقصير المسافة وعدم ضرورة مرور تجارة هاتين الجهتين في البحيرات كما يتضح من الخريطة .

هنالك يعمل قمح كندا في المراكب التجارية من فورت وليام وبورت أرثر على البحيرة العليا ويحمل قمح الولايات من موانيه ديلوث وشكاغور إلى بافاب ثم يوزع منها ويحمل الغفل من الحديد من بعض الموانئ على البحيرة العليا وميشيغان إلى جهة بحيرة إيرى ؛ والحركة التجارية في الفحم عظيمة جدا وأكبر محمولات المراكب التجارية لهذه البحيرات تبلغ ١٣٠٠٠ طن أو أكثر - من الفحم والحديد وماضخم حجمه ومراكب ظهر الحوت للقمح حمولة الواحدة ١٠٠٠٠ طن .

وأنهار الملاحه العظمى هي التي يتوافر من شروطها أن نصب في المحيطات التجارية العظمى لأن المالك القابضة على زمام التجارة واقعة على المحيطات خصوصا الأطلسي وله ثلث الحركة الخاصة بأنهار العالم التجارية وللهادى سبعا وللهندي ثمنا والباقي للمحيط للتجمد وداخل القارات .

## مراكب التجارة

كانت التجارة البحرية تترقى تدريجياً متباطئاً فلم تظهر مراكب التجارة في أشكالها وأحجامها الضخمة إلا من عهد ليس بعيد، فقد كانت أقصى حمولة المراكب الرومانية في البحر الأبيض ٥٠٠ طن أو أكثر من ذلك بقليل. وفي عهد الاكتشافات وعبر المحيطات بلغت حمولة بعض المراكب المستخدمة ١٠٠٠ طن وعبر كولمب الأطلنطي في مركب حمولتها في ٢٣١ طن لاغير، ولما اكتشف البخار أحدث تغييرات عظيمة جداً في حمولات المراكب فعبرت أول مركب بخارية المحيط الأطلنطي سنة ١٨١٩ ثم اشتهر بعد ذلك صنع المراكب من الحديد وفي سنة ١٨٧٥ صنعت من الصلب وتفوقت هذه الصناعة على الأولى وازداد عدد المراكب البخارية من هذا الحين حتى تساوت في إنجلترا حمولة الشراعية والبخارية بين سنة ١٨٦٥ - ١٨٧٠ وأخذ عدد المراكب البخارية من ذلك الحين يعلو عدد الشراعية، ففي خلال سنة ١٨٧٠ - ١٨٧٤ زيد سنوياً على الأسطول التجاري الإنجليزي ٢٤٠ مركباً شراعية متوسط حمولة الواحدة ٦٥٠ طن ولكن في خلال سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٩ لم يزد سنوياً عليه إلا ١٥٠ مركباً فقط بينما ازداد عدد المراكب البخارية سنوياً من ٥٠٠ - ٦٠٠ مركب ولا يوجد الآن من المراكب الشراعية إلا أربع أسطول العالم.

ولقد أدخل حديثاً في المراكب الشراعية الكبرى آلات بخارية بغرض إخراجها من الليناء أو تسييرها في مناطق السكون وزاد عدد المراكب التي من هذا النوع على أنه لا تزال الحاجة إلى المراكب الشراعية ماسة في التجارة في بعض النواحي فهي تحمل للآن غلال كاليفورنيا وبنرات أمريكا الجنوبية ويشجر بها على ساحل الباسيفيك لأن هذا الساحل لا توجد على مقربة منه مناخ مضمّن يمكن للمراكب البخارية أن ترسو عليها ولا يزال جزء عظيم من التجارة بين مصر وسوريا والأناضول والبلقان تحمله المراكب الشراعية وغير هذه الجهات كثير.

وكان للإمبراطورية البريطانية قبل الحرب  $\frac{1}{3}$  من مراكب العالم البخارية وقسط كبير من هذه النسبة تابع لبريطانيا نفسها لأن بريطانيا جزيرة في الأطلنطي كثيرة اللواتي البحرية وهي في حد ذاتها مملكة شهيرة بالصناعة شهرة فائقة وواقعة بين أسواق أوروبا وأمريكا فهي من كل هذه الوجوه أسعدت جهات العالم بصلاحيه موقعها للتجارة البحرية وبريطانيا وأرلندا كانتا تبتيان ثلثي مراكب العالم وكان للولايات المتحدة أكثر من  $\frac{1}{4}$  من أسطول العالم التجاري وكان لألمانيا  $\frac{1}{5}$  منه وكلتا المملكتين تترقى في الصناعة ترقياً سريعاً وبمهما أن تملك أساطيل تجارية جرارة ومن بعدها تأتي النرويج وكان لها تقريباً  $\frac{1}{13}$  وهي نسبة عظيمة بمراعاة عدد السكان فهي ليس لها صناعات عظيمة مثل الممالك الأولى وهي جبلية فقيرة ليست غنية بالمزارع الكثيرة ولا بالمعادن الوفيرة ولكن لها نشاطاً كثير التمرجات تحميه على مدها جزر عدة خالية من الجليد في فصل الشتاء بالرغم من وقوعها على خطوط عرض مرتفعة وهي غنية بالأسماك والنرويجيون مشهورون بالملاحة من بدء تاريخهم يساعدهم على ذلك فيورداتهم والطرق بين الجزر المنتشرة على شاطئهم وعندما كثير من اللواتي الطبيعية وهم دائماً على أهبة أن يزجوا بأنفسهم في البحر، فلا غرابة إذا كانت مرتبتهم الرابعة في ملاحة العالم ويأتي بعد النرويج في حمل تجارة العالم فرنسا وإيطاليا واليابان والأراضي المنحطة.

وفي نحو سنة ١٨٩٠ كانت المراكب التي حمولتها أكثر من ٨٠٠٠ طن قليلة ولكن سنة ١٩١٠ كان ملك الشركات المختلفة أكثر من ٨٠ مركباً محمول الواحدة منها أكثر من ١٢٠٠٠ طن والمركب الكبيرة

ذات الحمل العظيم من البضائع قد تكلف في الصنع أقل من تكاليف مركبين محمولهما مثلها ولكن براعى في الأولى من حيث حجمها الضخمة عمق الوائى المستخدمة واتساع الأهوسة .

### خطاب المؤلف ربه شاكراله نعمه

قبيل صلاة الفجر يوم الخميس (١٠) رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية ، و ٥ فبراير سنة ١٩٣١ م

رباه في العيون جمالك ، وفي القلوب حبك ، وفي السماء عظمتك ، أربتنا جمالا في النجوم والشموس والأقمار ، وأربتنا جمالا في الوجوه الحسان في أرضنا ، وظهرت عظمتك في الشموس الكبيرة فشمسنا أكبر من أرضنا نحو مليون وثلاث مليون مرة ، ونجمة من نجوم الجوزاء بلغت في العظم مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة ، رباه أنت جميل ، وأنت عظيم ، رباه حرننا بين جمالك وعظمتك ، نهايك لعظمتك ونحبك لجمالك ، أنت جميل ، وأنت عظيم ، وصفان عجيبان : وصف الجمال ووصف العظمة . بالجمال أسرت قلوب الحكماء فتاهت في حبك ، وأشرفت نفوسهم إشرافا يباهى إشراق الشموس .

أرسلت ضوء شمسك على الأرض فأعان النبات في تغذيته ، والحيوان في هدايته لسبله ، وأرسلت الحرارة من لدنك فأثارت الرياح فجرت السفن .

يارب ذانك لأنراها لأنا مخلوقون من المادة ، والمادة ماهى إلا حركات في الأثير ظهرت لنا بهذه الأشكال فقلنا مادة وماهى إلا كائناتك ، والكلمات غير المتكلم ، وأخلاق المتكلم والمؤلف تظهر في كلامهما ، والعالم ككائنك ، وهو تأليفك وتصنيفك ، ونحن منعنا من النظر لجمال ذاتك ، ولكنك لرحمتك لم تمنعنا من مشاهدة تأليفك وتصنيفك وصنعتك ، ومن هذه الصنعة التى فيها كملت أسرار آثار جمالك وبهائك ، أنوار الشمس المشرقات على الأرض ، وقد صحتها الحرارة المنبعثة على الأرض المثيرة للرياح الحاملات للسفن .

كلا كان الجمال أودوم كانت نتائجه أغزر وأتم ، وكلا كان أقصر مدى وأسرع زوالا كانت نتائجه أقل عددا هذه المشرقات في السماء دام جمالها فكانت نتائجهما هذه المواليد من نبات وحيوان وسفن ماخرات في البحار ، وهذه الأوانس الحسان من نوع الإنسان قصر أمد الجمال فهين إذ يصبحن عجائز إذا بقين في هذه الحياة ، لذلك كانت نتائجهن محدودة ضئيلة نبات وبنون .

إن نسبة دوام جمال النجوم والشموس المشرقات إلى سرعة انقضاء جمال الغوائى الحسان كنسبة ما أنتجت الشمس على الأرض من نبات وحيوان وإنسان إلى من تلده المرأة من البنات والبنين ، الضوء والحرارة أرسلتهما الشمس إلى الأرض وبينهما ارتباط واتصال ، وبالحرارة جرت السفن في البحار ، فسير السفن بعض آثار الشمس الدائمة الجمال بالنسبة لجمال الفتيات . فإذا كانت هذه الحرارة والضوء المنبعثان من ذات الجمال البديع التى استمدت جمالها من جمالك وهى الشمس قد كان من آثارها كل حيوان وكل نبات فهكذا نجد من آثار الحرارة الرياح الجارية للزجيات للسفن في المحيطات السهلات للحمل بحسب العادة (٧٠) مرة .

فهذه نعم دائمة مادام الإنسان على وجه الأرض ، إنه مادام الإنسان في الدنيا اليوم وغدا وأمس يرى نعمنا مترادفة في سير السفن في البحار والأنهار ويكسب راحة فوق ما اعتاده سببين ضعفا كما تقدم .

بهذا يعرف الإنسان نعمة ربه وبالتالي يشكره عليها ، وأول الشكر بعد المعرفة هو الحب ، تجرى السفن

في البحار فنحملنا لطلب المعاش أو العلم أو الحرب ونحن غافلون عن منبع الرحمة والجمال . نحن في الأرض نجد ونسمى برا وبحرا ، جارين من آسيا إلى أفريقيا إلى أوروبا إلى الشرق إلى الغرب تحت رعايتك أنت ، نحن في جوف هذه السكرات الهوائية والأرضية والمائية الغموسات في الأثير أشبه بالجنين في بطن أمه وأنت تكلؤنا في أحشاء هذه السكرات والفلك بنا سائرنا بحرا والقطرات جاريات برا والقواصات محترقات بنا لججا والطائرات طائرات بنا في جو السماء ما يسكنن إلا لطفك وحنانك ورحمتك . غرست فينا عقولا وغرائز ، وأطلقتنا في هذه الأرض وأبعثنا لنا ، وقلت لنا : إياكم أن تخرجوا من أقطارها ، إياكم أن ترتدوا إلى كوكب آخر . الكواكب عليكم محرمة ، أتم هنا محبوسون كما يحبس الجنين في بطن أمه ، هو حر له أن يروح ويغدو في بطن أمه كما يشاء ، ولكني حظرت عليه أن يغادره إلا إذا بلغ الكتاب أجله ، فهكذا أتم من شيب وشبان لا تفارقون هذه الأرض إلا في أجل معلوم ، ثم قلت لنا : أنا لم أعط لأحد في هذا العالم حرية غيركم ، فلكل حيوان غريزته ، ولكل كوكب مداره ، ولكل نبات نظامه : أما أتم فاني متمتعكم بنعمة الحرية التي صحبت عقولكم ، فها أتم أولاء يا عبادي .

( ١ ) أولا آخذتم البوص سفنا .

( ٢ ) فالكتل الحشبية .

( ٣ ) فالهيكل الموط بالجلد .

( ٤ ) فالقارب من الخشب .

( ٥ ) ثم ألهمتكم صنع القطار في البر ، فأتم لكم أعمالكم التي لم تقوم بها سفن البحار لاسيا إذا صدها الشلال في وسط الأنهار .

وهكذا أخذتم تزيدون سفنكم اتساعا ، فبعد أن كانت تحمل ( ٥٠٠ ) طن في زمن الرومان ازدادت فصارت تحمل ( ١٥ ) ألف طن فضوعف الحمول ( ٣٠ ) مرة وتزيد ، وذلك بما ألهمتكم أن تصنعوا السفن من الحديد والصلب وتقووها بآلات بخارية ، ومن فضلي عليكم أن سفنكم البخارية على قسمين : قسم منها يجرى في خطوط معلومة يحمل ركابا وبضائع ، وقسم منها جوال في البحار والمهيجات لفوائد غزيرة لا يلتزم خطا خاصا ، وقد أعددت أماكن من شواطئ أنهاركم وبحاركم لشكون « موانئ » ولا تصنع السفن إلا على مقتضى هذه الموانئ :

( ١ ) فأمثال موانئ ( لندن ) و ( لفربول ) و ( همبرغ ) و ( أنقرس ) و ( روتردام ) و ( فيلادلفيا ) موانئ جاءت عند مصب الأنهار ، فهي بوقوعها على البحر تصدر منها البضاعة إلى الممالك الأجنبية وبوقوعها على النهر تصرف البضائع في الداخل والعكس .

( ٢ ) وأمثال موانئ نيويورك وسان فرانسيسكو موانئ طبيعية ، وهكذا موانئ بلاد الروج ، فهذه كلها اتسع داخلها وضاق مدخلها والموانئ الطبيعية جعلتها لكم نموذجاً لتتخذوا لكم نظيرها بضاعتكم . فكما أنكم رأيتم خشبا وورقا يعوم فوق الماء فمرفقهم بعقولكم أت هذا الماء يحمل السفن فصنعتموها هكذا هذه الموانئ الطبيعية التي صنعها لكم فنحت لكم بابا للموانئ الصناعية فصنعتم بأنفسكم ميناء الاسكندرية وميناء دوفر ، أن الثلج يعوق سفنكم أن تدخل ميناء ريفا على البلطيق السماء ( أوست دفنك ) في فصل الشتاء ، وهكذا في الموانئ الواقعة على سان لورانس في كندرا ( كويك دمنترال ) فهاتان تغلقان من نصف ديسمبر إلى إبريل ، فهذه كلها وإن صدكم عنها الثلج شهورا فإنها موانئ مشهورة ونظامها كنظام الليل والنهار . فكما أنكم بالليل نيام وبالنهار تعملون ، هكذا جعلت هذه الموانئ ذات



نوبتين : نوبة للسكون ، ونوبة للعمل لأفتح لكم باب النظر والفكر ، ولقد ألهمتكم أن وصلتم البحر الأبيض بالأحمر بحفر قناة السويس فزادت حركة التجارة بين الشرق والغرب ، وفتحتم الطريق البحري الغربي إلى الهندى بحفر قناة ( بناما ) ذات القناطر الست المزدوجة التى تقطعها السفن فى نحو عشرين ساعات وتمرفها (٤٠) مركبا فى (٢٤) ساعة وبهذه القناة سهلت تجارة بريطانيا وألمانيا وفرنسا الخ مع بعض الولايات المتحدة وكندا ومع المكسيك وجواتيالا وزيلانده وشيلى وبيرو وهكذا. هذه بأعبادى أعمالى ورحمى لكم الواسعة ولكن ليس معنى هذا أن تعيشوا كعيش السمك فى البحر ، أو الطير فى الهواء ، أو الهوام فى التراب ، أو الأنعام فوق الأرض ، هذه كلها لحرية عندها كحريتكم بدليل أنها لزمتم الحطط التى رسمتها أنا لها ، أما أنتم فإنى منحتكم الحرية وجعلت الأرض والأنهار والبحار مدارسكم فتعيشون إلى أمد ثم تموتون ، وقد ظهرت حريتكم فى أعمالكم البرية والبحرية المذكورة وبهرت ، فكما ظهرت آثار حريتكم فى الأعمال الحيوية فى الحياة الدنيا فلتنظروا ولنظروا فيما هو أبعد مدى وأشرف منزلة من شرف نفوسكم وإسعادها وترقيتها ، إنى خلقت فى أرضكم فلاسفة وأوحيت إلى أنبياء ، وقلت لهما : أفهموا عبادى أن ما يفنى لا قيمة له ( كما تقدم فى مقال سقراط قريبا فى آية « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان » الخ ) لا يغرنكم ما تصنعون وما تملكون ، أم تقرءوا الآية التى بعد هذه الآية وهى « فما أوتيتهم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها » فهذه السفن الجاريات والمصانع والمناجر والممالك لابقاء لها ، كلها زينة لكم وجمال ولكنها فانية كما يفنى جمال فتيانكم وفتياتكم ، إذن فليكن حرصكم على الجمال الدائم ، والجمال الدائم ملازم للحياة الدائمة التى منها استمدت الشمس طول بقائها وأضاءت أرضكم بأنوارها ، إن جمال الإنسان وكل ما أوتى من زينة الحياة الدنيا لا قيمة له بالنسبة لجمال الشمس والأقمار والكواكب ذوات الزينة الدائمة نوعا ما . وهذه الشرقات لانسبة بينها وبين الجمال المقدس وهو جمالى ، هذه البحار ، وهذه السفن ، وهذه الممالك ، وهذه الأرضون ، وهذه الشمسون الشرقات كلهن آثار من رحمى المصحوبة بعلمى وحنى وقدرتى وجمالى ، كل ما هو جميل فهو من آثار جمالى سيزول العالم وترونى ، وهنالك تنسون هذا الجمال بما يسي عقولكم ، فاستعدوا لذلك المقام .

إن الجمال ( ثلاثة أقسام ) قسم أدنى وهو زينة الأرض من جمال الفتيان والفتيات وكل نبات وحيوان ومعدن ، وقسم أوسط وهو جمال النجوم والشموس ، وجمال أعلى وهو جمال ذاتى ، والأول جمال نارى حاد سريع الزوال ، والثانى جمال نورى بطلى الزوال ، والثالث جمال روحى إلهى لا يعتره الزوال . ويتبعه المشق فهو نارى ونورى وروحى إلهى ، فالأول ما اختص بالوجوه الجميلة وزينة الأرض ، والثانى ما تعلق بجمال العوالم العالوية ويتبعه الفلسفة ، والثالث ما تعلق بجمال مبدع الكائنات . والأدنى الخاص بالجمال النارى صاحبه بعد الموت فى جهنم مؤقنا أو مؤبدا . والأوسط فى الجنة والأعلى يرى ربه .

هذا ما خطر لى فى معنى آية « ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام » مع الآية بعدها « فما أوتيتهم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها » كتب صباح يوم السبت ٧ فبراير سنة ١٩٣١ .

### اللطفية الرابعة

مباهج العلم ومناهج الحكمة

في ملخص سورة الشورى

اللهم إنك أزيقنا العجب في مباهج آياتك المصنوعة ، كما أزيقنا مناهج الحكمة في آياتك المقروءة ؛ ها توأمان ورضيعا لبان ، وفرسا رهان لا يفترقان .

بدأت سورة الشورى بآئك :

( ١ ) أوحيت قرآنا عربيا ، وأنت عزيز حكيم .

( ٢ ) وأنت مالك السموات والأرض ، وأنت على عظيم . فأنت عظيم بما خلقت ، على بما أنعمت وغالب وحكيم فيما أنزلت . وهذه العوالم خاضعات لك مدبرات بعوالمك الروحية العالية وهم الملائكة الأعلى بأمرك وأنت خلقت هذه العوالم على صراط مستقيم . ونظام محكم بتدبيرك كما قلت في آخر السورة « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض » كما جاء في أول السورة . هذا ما في أول السورة وما في آخرها فرجع العجز إلى الصدر .

( ٣ ) وشرحت في وسط السورة نتائج السموات ونتائج الأرض .

( ٤ ) فأبنت لنا أنك لم تبسط لنا الرزق بسطا تاما لحكمة بالغة ، ذلك أنك حكمت أن تكون حياتنا كلها مبنية على العمل والحركة المباركة كما ترى الشمس والقمر وجميع النورات متحركات ، فلو أن حركاتنا سكنت وأعمالنا وقفت بما تبسط لنا من الرزق لكان الوبال والحبال . فلذلك جعلت الغيث بعد القنوط . واليسر بعد العسر ، والرفعة بعد الخفض كل ذلك تدريب وتعليم وتربية بالحكمة والعزة والعلو والعظمة المذكورات في أول السورة .

( ٥ ) وذكرت لنا مالدنيا من الحيوان الذي يثمنه في الأرض ، وما حبوتنا من الثرية ذكرانا وإنانا ومن البحار والرياح والسفن الجاريات في البحار العظيمة .

هذا مجمل ما جاء في عالم الخلق في هذه السورة . أما مجمل ما جاء فيها من آيات الوحي فذلك أنك :

( ١ ) أنزلت قرآنا عربيا .

( ٢ ) وأول من يتعلمه ويندر به أهل مكة ومن حولها .

( ٣ ) وهذا الدين ليس بدعا بل هو كالأديان السابقة . فما نزل دين إلا للاجتماع ، أما الافتراق فإنه آت من الأهواء والأغراض والشهوات وحب التملك والاستعباد والترف .

( ٤ ) وهو صلى الله عليه وسلم مأمور أن يدعو إلى هذا الدين ، ويستقيم كما أمر . وأن يعدل بين الناس ، والعدل على مقدار ما يظهر له من الحجج والبيئات في القضايا . فعليه أن يحكم بالظواهر ، والله يتولى السرائر .

( ٥ ) إن الله أنزل الكتاب المقروء لنعمل به ، ونحكم بأحكامه . ونصب ميزانا في العوالم العلوية والسفلية ، وذلك الميزان توزت به هذه العوالم كلها في الدنيا والآخرة ، وبه توزن أيضا أعمال العباد . فما لم تتم الحجج الظاهرة والبيئات أمام القضاء فهناك يكون فصل القضاء

فيه يوم القيامة وذلك قوله تعالى : « الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب » .

( ٦ ) والله كما انصف بصفة العدل انصف بصفة اللطف . فليس لطفه بمطمع الظالم في الخروج عن العدل فيجعل كالأصالح ، بل الظالمون مشفقون مما كسبوا ، والآخرون في روضات الجنات . فاللطف إذن لا ينافي العدل . هذه خلاصة مما جاء في هذه السورة من آيات السموات والأرض وما بينهما وآيات الوحي . فلا تجعل الكلام في بسط هذا المقام على قسمين .

( القسم الأول ) في نظام السموات وضوء الشمس وآثاره في النبات والإنسان . واتصال عوالم السموات بهذا الإنسان ، بحيث تدرك أيها الذكي أن هذه العوالم كلها كأنها حيوان واحد أو نبات واحد كما تقدم مفصلا في مواضع من هذا التفسير .

( القسم الثاني ) في هذا القرآن المنزل بالحكمة . ولماذا أمر صلى الله عليه وسلم أن ينذر أم القرى ومن حولها ولماذا ذكرت أم القرى في هذا المقام ، مع أن أهل مكة كانوا أشد الناس إنكارا للوحي وللقرآن . وما الحكمة التي تظهر في هذا الزمان؟ وهناك نذكر تعداد المسلمين الذين حول أم القرى من الأمم والأجناس ثم نبين الأجر الذي حصر النبي صلى الله عليه وسلم سؤاله فيه ، وأي أجر له ؟ وأي أجر للمصلين بعده؟ أهو أجر يجر لهم مغنا دنيا أم أمرا أدبيا دائما تقر به نفوسهم ويفرحون به عند ربهم في دنياهم وآخرتهم؟ وبيان قوله تعالى « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين » وقوله أيضا : « قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » وموازنة هذه المعاني بقوله تعالى « إلا المودة في القربى » في هذه السورة فلا بدأ بالقسم الأول وشرحه فأقول :

### الكلام على السموات وعجائبها

اللهم إنا نحمدك حمدا جزيلا ، ونشكرك شكرا كثيرا على نعمة العلم وبهجة الحكمة . أربتنا ياربنا جمالا تراه عيوننا ، وحكمة تبصرها نفوسنا في سمواتك ، وذلك له علاقة بأجسامنا وعقولنا، وزنت حركات الأفلاك ، وأنعمت ببيانها في هذا التفسير في مواضع كثيرة ، فلك الحمد اللهم على نعمة العلم وبهجة الحكمة ، أرسلت الأضواء لأرضنا بالحكمة وقدرتها بالميزان . فيها هو ذا عطارده يدور حول الشمس في ٨٨ يوما لإقليلا والزهراء تدور في ٢٢٥ يوما لإقليلا ، والأرض في ٣٥٦ يوما ٢٥٦ من الألف من اليوم . والريخ في ٦٨٧ يوما لإقليلا . والشترى في ٤٣٣٢ يوما ونصف يوم تقريبا . وزحل في ١٠٧٥٩ يوما وخمس يوم تقريبا : وأورانوس في ٣٠٦٨٧ يوما لإقليلا . ونبتون في ٦٠١٢٧ يوما لإقليلا .

هذه هي السيارات المعروفة أبعادها ومنها أرضنا، أنت يا الله نظمها وفصلت حركاتها، وجعلت بين الأرض والقمر والشمس علاقات أخرى غير الحركات المذكورة وتلك هي حوادث المد والجزر ، فإن البحر

يرتفع وينخفض كل يوم مرتين بل كل ٢٤ ٥٠ عن تسوية متوسطة، لحينا يرتفع البحر يزحف على الشواطئ\* ويدفع بالثاني مياه الأنهر فترتفع حينئذ في مجاريها وهذا هو المد ، ومدة الارتفاع ست ساعات ومتى أخذ البحر نهايته العظيمى من الارتفاع يستمر سبع أو ثمان دقائق ثم يبتدى\* في الانخفاض زاحفا عن الشواطئ\* التي كان علاها شيئا فشيئا وهذا هو الجزر وبعد الجزر يحصل مد جديد وهكذا .

والسافة بين المدين ٢٥ و١٢ ومدة المد تزيد عن مدة الجزر لأن البحر يستعمل زمنا في الصعود أكثر

من النزول ، والفرق ليس واحدا بالنسبة لجميع المين فمقداره في هافر وبولوني ٢٢٨ وفي مينة بردست  
١٧ فقط .

تغير أوقات المد والجزر ، التأخير اليومي لحادثة المد والجزر هو ٥٠ دقيقة وهذا المقدار هو مقدار  
تأخير مرور القمر بمستوى الزوال كل يوم ، وحيث إن تأخير ٥٠ دقيقة كل يوم يحدث تأخيرا قدره ٣٤ ساعة  
بعد ٢٩ يوما وثالث أعنى بعد شهر قمرى فيجب حينئذ أن تنقلب أوقات المد والجزر كل نصف شهر قمرى  
من صباح إلى مساء وبالعكس ، وبعد شهر قمرى كامل يعود المد والجزر إلى الأوقات الأولى بعينها وحينئذ  
فهناك ارتباط بين الأوقات التي يحصل فيها المد والجزر وبين أوقات مرور القمر بمستوى الزوال .  
تغير الارتفاع ، كلما كان ارتفاع المياه في المد كبيرا كان انخفاضها كثيرا في الجزر التالي له ويأخذ المتوسط  
بين جزر ومد متتالين يتحصل على نتيجة ثابتة تقريبا ولهذا التسوية تنسب الارتفاعات في عمليات الميزانيات  
ويسمى مدا كلنا متوسط مدين أحدهما بلى جزرا والآخر يسبقه ، والمد السكلى في الوقت الواحد متغير على  
حسب المين بسبب اختلاف شكل الشواطىء وفي المينة الواحدة يتغير على حسب أوجه أشكال القمر وعلى حسب  
أبعاد الأرض عن القمر والشمس وعلى حسب ميل هذين السكوكيين . ففي وقت الاجتاع والاستقبال يصل المد  
نهايته العظمى والجزر نهايته الصغرى ، وأما في وقت التريبعين فيأخذ المد نهايته الصغرى ، ولعلم أن أعظم مد  
لا يحصل في نفس لحظة الاجتاع أو الاستقبال بل بعدها بقدر ٣٦ ساعة ، فالمد الثالث الذى يلى الاجتاع والاستقبال  
هو الذى يكون أكبر مد وكذلك المد الثالث الذى يلى التريبع الأول والأخير يكون هو أصغر مد وهذا  
التأخير ينسب لاحتكاك العناصر السائلة بعضها على بعض وعلى قاع البحر ، وينشأ عن هذا الاحتكاك بطء في  
حركتها وفي ( برست ) يصل المد السكلى للاجتاع والاستقبال في المتوسط ارتفاعا قدره ٦٢٥ متر والمد  
السكلى للتريبعين فيها هو ٣١٠ متر فقط .

وبعد الأرض عن القمر يحدث تأثيرا على مقدار المد السكلى الذى يزداد باقتراب القمر من الأرض  
ويتناقص بتباعده عنها وفي مينة ( برست ) تغير البعد المذكور يحدث تغيرا مقداره ١٧٧ في ارتفاع المد السكلى  
وكذلك تغير بعد الشمس عن الأرض يؤثر على مقدار المد السكلى غير أن ذلك التأثير قليل بالنسبة لتأثير القمر .  
وكذا ارتفاع المد والجزر يتغير على حسب ميل الشمس والقمر ، فحينما يكون القمر قريبا من دائرة المعدل  
في وقت الاعتدالين يكون المد المقابل للاجتاع والاستقبال هو أكبر مد ، وينتج من جميع ما تقدم أن هناك  
ارتباطا أصليا بين حادثة المد والجزر وحركات القمر والشمس .  
وسنبين أن المد والجزر هما نتيجة تأثير جاذبية القمر والشمس على الأرض أعنى نتيجة من قاعدة  
الجذب العام اه .

فهذا إجمال الكلام على علاقة الأرض بالشمس من حيث حركاتها حولها مع السيارات الأخرى ومعها  
ومع القمر باعتبار المد والجزر ، وهذا معناه أن هذا العالم كله أشبه بالجسم الواحد (انظر المجموعة الشمسية  
مرسومة في سورة الأنعام وفي سورة سبأ وآثار الأضواء في الأرض) .  
إن الأضواء تصل إلى الأرض منتظمة فكان الصيف والحريف والشتاء والربيع فماذا رأينا ؟ رأينا النباتات  
موزعات على أيام السنة ( وبعبارة أخرى ) إن هذه النباتات قد تبعت في زرعها وترتيب أوقاته نظام حركات  
الأرض حول الشمس ، سبحانك اللهم وبحمدك . أنت الحكيم ، أنت العلى ، أنت العظيم ، أنت العزيز . فبالعزة  
قهرت الأرض فدارت ، وبالحكمة قدرت حركاتها . وأنت لا تلبس المادة التى غرقنا فيها بل نحن فيها

عجوسون . ياربنا ، وأنت مزيه عنها ، فأنت على وأنت عظيم ، فلك العلو على هذا النظام ، ولك العظمة . اللهم إننا رضينا أن نكون مغمورين في هذه المادة تحت عظمتك وعلوك والأرض تجري بنا حول الشمس بنظام محدود وأوقات لا تتغير ولا تتبدل . وإنما رضينا بهذا لأننا نعلم رحمتك الواسعة التي غمرتنا بها ، فنحن لما شاهدناها رضينا بكل ما تحكم به فينا في هذه الدنيا وفي الآخرة . فاذن نتوكل عليك . وليس يصح التوكل ولا يتم إلا بأن نسير على نهجك ونكون صالحين مصلحين لعبادك جارين على صراطك الذي نصبته في سمواتك وفي أرضك .

ومن هذا الصراط وهذا الميزان أوقات الزراعة . فلكل فصل من فصول السنة بل لكل شهر شمسي أنواع من الزرع تنبت فيه ( اقرأ هذا المقام مفصلاً في أول سورة الزمر ) وهالك بعضه هنا وبقية هناك . ( شهر هاتور ) فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج <sup>(١)</sup> والنبثور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقي من الباذنجان وما يجري مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثمانية يبتدى حصاد الأرز . وفي خامسة أول تشرين الثاني من شهور السريان . وفيه يبتدى برد المياه . وفي سادسة أول المطر الوسمي ، وفي سابعة يبتدى أهل الشام الزرع . وفي ثمانية يبتدى هبوب الرياح الجنوبية . وفي تاسعة يبتدى زرع الحشخاش <sup>(٢)</sup> وفي حادى عشره يبتدى اختفاء الهوام . وفي ثالث عشره يبتدى غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمى الحيات . وفي سادس عشره يجمع الزعفران ، وفي ثامن عشره تسكثر الوحوش . وفي الثاني والعشرين منه يغلق البحر للملح وتمتد السفن من السفر فيه لشدة الرياح . وفي الثالث والعشرين منه تبتدى سخونة بطن الأرض . وفي الرابع والعشرين منه أول اسفيدار ماء من شهور الفرس .

( شهر كيهك ) فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب ، ويدرك الرجز والبنفسج ، وتتلاحق الحمضات . وفي أوله ابتداء أربعينيات مصر . وفي ثالثة يبتدى موت النباب . وفي خامسة أول كانون الأول من شهور السريان . وفي سابعة آخر الليالي البلق وأول الليالي السود . وفي حادى عشره يبتدى الشجر فى رمى أوراقه . وفي ثانى عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أربعينيات الشام . وفي ثامن عشره يتنفس النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول مردوماه <sup>(٣)</sup> من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج البلغم . وفي السادس والعشرين منه تلقح الإبل . وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء فى الليل وفي الثلاثين منه يبتدى تقليم الكروم .

يا سبحان الله . هذا هو ميزانك الذى شاهدناه فى هذه الدنيا أو هذا هو صراطك المستقيم . رأينا فى الحياة قبل أن نموت . فأنت لم تدر حركة ولا ذرة إلا وزنتها . فأما الحركة فى علم الفلك . وأما الذرة فى علم الكيمياء .

لك الحمد اللهم على نعمة العلم . علمتنا يارب أنك ذو نظام جميل ففهمناه ، وعلمنا أنك لم تقف فى الوزن عند العوام العظيمة كالسكواكب السيارة . كلا ، بل تراك راعيت هذا الميزان فى خلق النبات وأرقتنا جذوره

(١) يسكون الفاء وفتح بقية الحروف .

(٢) بفتح أوله .

(٣) سياتى قريباً أن نبروز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماء ونظنه الصواب لأنه الذى ورد فى مروج

الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية .

مفصلات تفصيلا بديعا ، بحيث كانت ملائمة كل الملائمة لما خلقت له بحيث تجذب الجذور من الأرض بأنايبها الشعرية ما يوائى الثمرات التي خلق ذلك النبات لها والحبوب والخضر وهكذا . فترآك كما قدرت حركات السيارات ولم يكن فيها خطأ هكذا قدرت ووزنت تلك الأنايب الشعرية والفتحات التي تعبر مشاهدتها فكانت مناسبات لنتائج النبات من حب وفاكهة وزيت ونشاء وهكذا . وهذه الفتحات لا تجذب من الأرض إلا اللأم لها . ولو أن نباتا اتسعت فتحاته أو ضاقت عما يلائم ما تجذبه لم يخرج لنا ثمر ولا بر ولا خروج بل هناك يختلط الحابل بالنابل ويموت الإنسان والحيوان .

اللهم أنت اللطيف بنا « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » فأى لطف أعجب من هذا ؟ عجب يارب دقة الحركات في الشمس ، ودقة فتحات الجذور أمران عجيبان . هذه أعظم رحمة لك . ولكنا لانظن لها ولا تفكر فيها . ذلك لأن شهواتنا الصغيرة حبست عقولنا فلم تنتبه إلى النظر في دقة هذا الصنع لأن شهواتنا استحوذت على عقولنا فمنعها من التغافل في هذا الجمال .

هذا ، ولم يقف الأمر عند دقة الحركات ونظام أوقات الزرع على مقتضاها ولا عند نظام الفتحات بل الأمر فوق ذلك . فقد رأيناك أبدعت في خلق الورقات بأن جعلت لكل ورقة حجرا داخلية فيها ، ولكل حجرة سقف وحيطان ووضعت في كل حجرة سائلا وهذا السائل فيه مادة ذات لون . وهذه المادة بأبعادها مع ضوء الشمس ( الواصل من بعد عظيم يبلغ بسرعة القطار ٣٥٠ سنة . وبسرعة قلة المدفع ١٢ سنة وبسرعة الضوء ٨ دقائق و ١٨ ثانية ) تكون سببا في أن النبات يتغذى من الهواء بمادة الكربون ( الفحم ) وهذه المادة الكربونية تدخل النبات فتسكون منه أنواع الخشب ، والتبن ، ونحوهما . أليس من العجب أننا نراك تحسب حركات الأرض التي لو اختلفت لاختل نظام زرعا .

يارب ما أجهلنا أهل الأرض ما أضعت عقولنا ياربا . أنت رببتنا بانتظام حركات أرضنا وبانتظام الزرع على مقتضى تلك الحركات وبالفتحات الواقيات في الجذور وبالحجرات المقدرات في الأوراق . تلك الحجرات التي قد تبلغ في البوصة المربعة ١٢ حجرة و ٢٤ و فوق ذلك إلى آلاف وآلاف . هذا في البوصة فما بالنا بالورقة الواحدة ، وما بالنا بالورق ، وما بالنا بالشجرة كلها ، وما بالنا بالحقل كله .

بهذه ياربنا عشنا في الدنيا هذه هي الحياة المنظمة ونحن جميعا في الأرض علمنا وجاهلنا لانفكر فيها وهذه الأوراق مغذيات للنبات ( انظر هذا المقام في سورة يس وانظر شرحه وصور الورق المذكور ) إذن لو أن هذه الورقات لم تسكن فيها الفتحات منظمة لم يكن نبات ، ثم لم يكن حيوان ولا إنسان لأن هذه الفتحات التي تعد بالآلاف المؤلفة عليها قوام حياة النبات وحياة الإنسان . أليس هذا هو قوله تعالى في سورة أخرى « يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون » أليس هذا الذي نذكره في هذا التفسير هو من التفصيل الذي وعد الله به ، وإذا فصلت الآيات في نفس الخلق ولكنها لم تفصل في عقولنا فمن أين يأتي اليقين لنا ؟ هذا هو اليقين . وهذه هي السعادة أي السعادة التي أحس أنا بها الآن ومحس بها جميع المغممين بهذا التفسير وما فيه من عجائب الصنع المفصلات المورثات اليقين .

ثم إننا لم نجد الأمر وقف عند هذا الحد ، فإن بين كل ورقة وأخرى حسابا هندسيا ونظاما متقنا . فنرى الأشجار والأوراق عليها متقابلات مثنى وثلاث ورباع وخمس وهكذا . وهذه الورقات قد رسمت شكلا هندسيا من حيث وضعها ( انظر هذه الأشكال في سورة الحجر ، وتعجب مما تفرؤه هناك من ورقتين على الغصن بينها ١٨٠ درجة من الدائرة على الغصن وثلاث ورقات وخمس ورقات قد رسمنا شكلين حلزونيين وهذان

الشكلان يتمان دائرة منتظمة بديعة عجيبة وتكون الدوائر التامة متتايعات والأوراق الخمس منتظمة قد اقتسمت تلك الدائرة اقتساما صادقا بحيث ترى بين كل ورقة وأختها ٧٢ درجة من الدائرة البالغة ٣٦٠ درجة من ضرب ٥ في ٧٢ وتجعل كل ورقة من الخمس في دائرة موازية لتظيرتها في الدائرة الأخرى ، جل الله وجل العلم وجلت الحكمة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن الدوائر المنتظمة في نبات بينهما وبين الدوائر الأخرى في نبات آخر مناسبات عجيبات حتى إننا بالبحث نجد أن جميع أوراق النبات بينها علاقات حسابية وهندسية كالعلاقات الحسابية والهندسية في نظام النجوم الثوابت والسيارات والأرض .

وهذا النظام كله نتاجه هو ما يأكله الحيوان والإنسان مما ذكرناه قريبا في السورة السابقة . فإنك تجد هناك الجدول اللين لأنواع النشاء والمادة الأوزوتية والمادة الدهنية . وهذه الأنواع الثلاثة لم تتم إلا بنظام الأوراق والجدور والأضواء والأيام التابعت حركات الأرض حول الشمس ، وينتهي الأمر بالجهاز الهضمي الذي شاهدت صورته في سورة فاطر وفي سورة فصلت قبل هذه السورة فهناك تجد الحساب مفصلا والنظام متصلا ، وأن القوى والعصارات المختلفة الموضوعات في جهازنا الهضمي موزعات على تلك الأنواع الثلاثة الناجمات من نظام النبات المنتظم الأوراق ، الجاري على سنن الأضواء في وصولها إلى الأرض .

أليس هذا معناه أن هذه العوالم كلها أشبه بحجم واحد ( وبعبارة أخرى ) أليس معنى هذا أننا على هذه الأرض ملزومون أن ندرس الكواكب والأرضين والأضواء وحسابها والنبات وحسابه وشرح أجسامنا وتشرحها ثم نفوسنا .

### خطابى للمسلمين

يامعاشر المسلمين : الحق أحق أن يتبع . نحن نعيش في الأرض عالة على الأمم في هذه القرون المتأخرة يامعاشر المسلمين أكتب كتابى هذا ، وقريبا أفارق هذه الأرض . وأصعد إلى الله وأبرأ من الكتمان وأقول يارب قد اجتهدت أن أبلغ المسلمين ما عرفته من صنعك وما فهمته من كتابك وما على إلا أن أبين ، وفوق ذلك أقول : إنكم ستبلغون شأوا عظيما في سعادة الحياة وسعادة الممات ، إنكم ستدرسون كل ماترونه في السموات والأرض ، وهناك تفهمون لماذا يكرر ذكر العوالم العلوية والسفلية في كثير من آى القرآن ، وبهذا تم الكلام على القسم الأول في نظام السموات والأرض .

### القسم الثانى

هذا القرآن المنزل ، ولماذا أمر صلى الله عليه وسلم أن ينذر أم القرى ومن حولها

ولماذا ذكرت أم القرى في هذا المقام الخ

لنجعل هذا القسم في (فصلين : الفصل الأول) في أن القرآن عربى (الفصل الثانى) في ذكر أم القرى ومن حولها .

### الفصل الأول

في أن القرآن عربى

فأقول : قد تقدم الكلام عليه في (سورة فصلت) وهى السورة السابقة . وسأنى للكلام بقية في (سورة الزخرف) .

## الفصل الثاني

في تبيان تخصيص أم القرى ومن حولها

اعلم أيها الذكي أن الله عز وجل قبيل نزول القرآن قد كان نظم أمتين وهما فارس والروم ، وهاتان الدولتان قد اقتسما الأقطار المحيطة بحزيرة العرب قبيل النبوة . فسكان للروم البلاد الجنوبية ، قدملكوها نحو (٦٠٠ سنة) وللفرس البلاد الشمالية، كان لهم عليها بعض السلطان نحو نيف وثلاثمائة سنة ، ولم يبق إلا مكة والبلاد المجاورة لها بنجوة من نفوذ هاتين الأمتين .

وأنت علم أيها الذكي بما كان لهذه الأمة العربية بسبب القرآن من السطوة والنفوذ ، وكيف أزال ملك هاتين الدولتين . ثم كيف بقيت قرونا ، ثم كيف تولاهما الحور والضعف حتى أصبحت أم أوروبا على أبواب مكة ، والمسلمون في مكة وحول مكة الآن بعد ١٣٤٩ سنة قد بلغ تعدادهم ما بينته في كتابي المسمى [القرآن والعلوم العصرية] وقبل أن أذكر ما كتبت في ذلك الكتاب وما خاطبت المسلمين به أذكرك أيها الذكي بما تقدم في أول سورة (العنكبوت) من الرسائل التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء العرب والمعجم ، وبعد أن تقرأ ذلك أكمل القول بحادثتين تاريخيتين لم يذكرنا هناك (الحادثة الأولى) هي التي وردت في (أيلة) أيام النبوة (الحادثة الثانية) هي التي جاء ذكرها في قبائل البجة الذين كانوا يسكنون مصر ، وإنما نذكر هاتين الحادثتين هنا لأننا في مقام إنذار أم القرى ومن حولها بالقرآن العربي وهذا الإنذار تبعه رقى أم القرى وما حولها حتى تعدي العرب حدود آسيا وأفريقيا واحتلوا ربوع أوروبا ولما بلغوا العلم لتلك الأمم ورفعوا شأن الإنسانية جمعوا تانبا إلى ما يشبه حالهم الأولى . فإذا ذكرنا الحادثتين فإنما نريد بهما كيف كانوا يعاهدون الأمم ، وكيف يحافظون على النفوس والأرواح ، وهم إنما خلقوا في جزيرة قاحلة لا علم فيها ولا حضارة ولا مدينة وأن هذه السيرة سترجع لهذه الأمم كما ابتدأت.

### الحادثة الأولى هي حادثة العقبة

إن الإنسان يصعد إليها ينحدر من مسافة طويلة من الغرب حتى يصل إلى قمتها ، فإذا أردت أن تنزل إلى الجهة الشرقية صرت نازلا صاعدا وصاعدا نازلا في أرض حجرية تارة، وأخرى رملية ناعمة، وأخرى خشنة أو زلطية إلى أن تمر في مضيق لا يسع إلا جملا جملا، ويسمى قطع لاط ، وطريق هذا القطع حزنوني تقريبا أصلحه ابن طولون ، ثم محمد بن قلاوون ، ثم عباس باشا الأول ، ومع ذلك فإن المسافر فيه لا بد أن ينزل عن دابته ويسير على قدمه حتى يقطع العقبة في ست ساعات نزولا وضعفها صعودا ، ومن دون هذه العقبة قرية العقبة ويسمونها (أيلة) وهي بلدة قديمة جدا ، وكانت عامرة من زمن مديد ، وكانت في مدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ميناء كبيرة للفرا كب التي كانت تغد إلى الشام من اليمن والهند وفارس وانقطع بها طريق البر من اليمن إلى بخره ، ولما مات سليمان رجعت الطريق الأولى إلى ما كانت عليه في نقل التجارة برا ، وكان فيها أسواق كبيرة؛ بل كانت مركزا للتجارة بين مصر وبلاد العرب وفارس والعراق . ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة أتاه ابن ربيعة صاحبها وصالحه وأعطاه الجزية فكتب له عليه الصلاة والسلام عهدا هذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانة من الله ومحمد



النبي رسوله لتحية ابن رؤبة وأهل أيلة أسأفتهم وسأثرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر « هذا كتاب جهم بن الصلت وشرح جليل بن حسنة بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة ٥٧٦ هـ كان الإفرنج قد استولوا عليها في الحروب الصليبية، فصار إليها من مصر صلاح الدين الأيوبي، وأخذ معه مراكب مفصلة على الجمال، حتى إذا وافى مياهاها أصلح مراكبه وأنزلها في البحر، وحاصر المدينة برا وبحرا، حتى أخذها عنوة وطرده الإفرنج منها، وهي الآن قرية صغيرة في أيدي عرب الحويطات، وفيها قلعة بناها السلطان مراد الرابع فيها بعض الجنود لحراستها، وعدد سكانها لا يزيد عن مائة نفس، وفي هذه القرية نخيل وأشجار، وماؤها حلو، ويزرع في أرضها الخضراوات، وبين العقبة ومعان نحو مائتي كيلو متر شرقا، والطريق فيها صعبة، وتخرق جبال السراة التي يكسوها الجليد طول الشتاء، وبينها وبين بيت المقدس شمالا بقرب نحو (٣٠٠) كيلو متر في صحراء قليلة المياه طريقها وعرة، وبينها وبين السويس نحو (٣٠٠) كيلو متر. وبهذا تم الكلام على الحادثة الأولى.

#### الحادثة الثانية في قبائل البجة

جاء في كتاب «الرحلة الحجازية» لمؤلفه الأستاذ محمد بك لبيب البتنوني تحت العنوان التالي مانصه:

#### الطريق القديم والحديث

##### من مصر إلى الحرمين

كانت مصر ولا تزال طريق المسلمين إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام، في نصف الكرة الأرضية الغربية، باعتبار أن مكة المكرمة هي قلب العالم أو النقطة المركزية التي تنبعث منها أنصاف أقطار إلى محيط جميع دائرة الأقطار، فالأندلس التي كان يسكن في غرب أوروبا، والمغرب التي في غرب أفريقيا ومادونه من مسلمي البربر فالسنغال وبلاد السنكروور والسودان الغربي والشرقي كانوا إذا قصدوا الحج إلى بيت الله الحرام سافروا من بلادهم إلى مصر بحرا أو برا، وكذلك كان يقصدها كثير من أهالي الشام والترك والقوقاز وجزائر البحر الأبيض المتوسط ويجتمع السكك بالقاهرة قبل شهر رمضان، ثم يسرون منها إلى قوص برا أو النيل (٦٤٠ كيلو مترا) في نحو عشرين يوما، ثم تسافر قوافلهم منها في صحراء عيذاب مدة ١٥ يوما يقطعون فيها نحو ١٢٠ كيلوا مترا إلى القصير على البحر الأحمر، وكانت من قديم ميناء مصر الشرقية: أي أنها كانت من مصر بالأمس مكان ميناء السويس الآن، وكانت هذه القرية في أيدي عرب البجة الذين كانوا يتولون نقل الحجاج على إبلهم في صحراء عيذاب.

وقبائل البجة أو البجة يقال إنهم من البربر وكانوا يسكنون في صحراء مصر الشرقية من سواكن إلى قرية يقال لها الحزبية في صحراء قوص، وهذه الصحراء عامرة بمعادن الزمرد والذهب والفضة والحديد وفيها مغائر وآبار قديمة لاستخراجها. وهي طبعاً من عهد قدماء المصريين، وبعضها من عمل المغفور له محمد علي باشا وإلى مصر، وكانت العرب تستخرج منها المعادن، وخصوصاً التبر في القرن الأول والثاني

للمهجرة وذلك باتفاق مع ملك البجة الذي كان مقره أسوان ، وكان ينال المسلمين منه ومن قومه أذى كبير فأرسل للمأمون إليه عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ، ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم كتابا نذكر لك طرفا منه لتعرف مقدار التسامح الإسلامي مع أهل الذمة ، وكيف أنه كان لا يفرق بينهم وبين المسلمين في المعاملة : « هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله ، في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لسكون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان . إنك سألتني وطلبت إلى أن أؤمّنك وأهل بلدك من البجة وأعد لك ولهم أمانا على وعلى جميع المسلمين ، فأجبتك إلى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا ، وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهي حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمر المؤمنين إلا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدى إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة ، وذلك مائة من الإبل أو ثلثمائة دينار وازنه داخله في بيت المال ، والخييار في ذلك لأمر المؤمنين ولولائه ، ولئس لك أن تخرم شيئا عليك من الخراج ، وعلى أن كل أحد منكم إن ذكر محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به ، أو قتل أحدا من المسلمين حرا أو عبدا فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزه الله ، وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذرائعهم ، وعلى أن أحدا منكم إن أعان المحاربين على أهل الإسلام بمال أو دل على عورة من عورات المسلمين أو أثر لغبرتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه ، وعلى أن أحدا منكم إن قتل أحدا من المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ حرا أو عبدا أو أحدا من أهل ذمة المسلمين ، أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم ببلد البجة أو ببلاد الإسلام ، أو بلاد النوبة أو في شيء من البلدان برا أو بحرا ، فعليه في قتل المسلم عشر ديات ، وفي قتل العبد المسلم عشر قيم ، وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم ، وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه ، وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجرا أو مقبلا أو محتازا أو حاجا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم ، ولا تؤووا أحدا من آبقى للمسلمين ، فإن أتاكم آت فعليه أن تردوه إلى المسلمين ، وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك ، وعلى أنكم إن نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو محتازين لا تظهرون سلاحا ، ولا تدخلون اللدائن والقرى بحال ، ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ، ولا تخيفوا السبيل ، ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ، ولا أهل الذمة ، ولا تسرقوا مسلم ولا ذمي مالا ، وعلى أن لا تهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا وعرضا ، فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة الخ » وباقى الكتاب لا يخرج عن هذا المعنى . وبهذا تم الكلام على الحادثة الثانية .

### تعداد المسلمين في بلاد الإسلام

أذكر في هذا المقام ما جاء في كتابي [ القرآن والعلوم العصرية ] من تعداد المسلمين في بلاد الإسلام والخطاب الذي وجهته لهم ، فقد جاء فيه في صحيفة ١٥ وما بعدها تحت العنوان التالي ما نصه :

## المسلمون كثير عددهم

أيها المسلمون : ما أكثر عددكم على وجه الأرض

مليوناً	إن منكم في بلاد الهند الصينية والصين :
٧٠	وفي الهند وما جاورها :
٧٥	وفي ماليزيا والاقيانوسية :
٥٠	وفي ولاية الحجاز واليمن بأقسامها المستقلة وغير المستقلة وعسير وحدث والنواحي التسع وعمان
١١	ومسقط والبحرين وحضرموت ونجد والكويت والربع الخالي وعنزة وشمر الخ .
٦٥٥	وفي سوريا وفلسطين والعراق العربي والعراق العجمي :
١٨	وفي مصر والسودان المصري :
١٨	وفي طرابلس وتونس والجزائر ومراكش :
٢٠	وفي الصحراء الكبرى والسودان الفرنسي :
٥	وفي السنغال وما يتصل به والسودان الأوسط ووادي وباكومي وما حوالها :
٠٥٥	وفي جمهورية ليبيريا :

الجميع ٢٧٤

٨	وفي السودان الإنجليزي والنيجر وما حولهما :
١٠٥	وفي مستعمرات الكرون الألمانية والكونغو والكامب وموزمبيق ومدغشقر وشرق أفريقية الألمانية وزنجبار وشرق أفريقيا الإنجليزية وأوغندا والحبشة وأرتريا وما يتصل بها :
١٥	والأتراك في رومانيا ووجهات الأناضول والبلقان والولايات العثمانية التي معظمها من غير المسلمين :
٣٥	وفي ولاية روسيا الأوروبية ، ومنها التتر الذين هم أهم قسم من الأتراك وفي قفقاسية وآسيا الوسطى وفرغانة وسيريا وخبوة وبخارى :
٢٥	والترك في الشمال والشمال الغربي من بلاد الصين :
١٠	وفي بلاد أفغانستان وفي بلاد إيران والعجم :

فيكون جميع المسلمين في أقطار الأرض ٣٧٧٥ مليوناً ، والتأمل في هذا يجد عشرين مليوناً مكررة وإذن نقول إن المسلمين ٣٥٠ مليوناً تقريباً فسألتكم بالله أيها المسلمون كيف يغلب هذا العدد الكبير والجهم الغفير وكيف يصادرون في حريتهم ويذلون في عقر دارهم ويسامون سوء العذاب . كل ذلك من الجهل والتفرق وعدم الاتحاد ، وقد آن أوان أن أشرح طرق الاتحاد عسى أن يكون فيه ذكرى لإخواني المسلمين .

## طرق الاتحاد

### (كيف يتحد المسلمون)

أيها المسلمون هذا المجموع الكبير العظيم الممتد من بكين في الصين إلى رأس الرجاء الصالح ، ومن طنجة إلى المحيط الهندي. هذا المجموع جسم له رأس وأعضاء ، وقد ذكرنا الحديث الشريف إذ جعل المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى هذا بينه ما يحصل الآن في أطراف المعمورة فإن المسلم الإفريقي يتألم لما يصيب أخاه الصيني ويسره ما يسره قال تعالى « إنما المؤمنون إخوة » ولا جرم أن الأخ الأرشد واجب عليه وقاية الأصغر ، والحفاظة عليه وتربيته وترقيته ، فعلى العقلاء والعلماء والأمراء والأغنياء من العرب والفرس والترك والهنود والصينيين أن يكونوا جماعة تتخذ لها مركزا خاصا ولعلها الآن موجودة .

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شبه الأمة كلها بالجسم ، فلننتهج منهجه عليه الصلاة والسلام ، ولنسج على منواله مبينين بالعقل صحة ما توأخينا والطريق التي ارتضينا ، فنقول :

إن في الجسم رأسا هو مركز الحواس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ومنه تصدر جميع الأعصاب الحساسة وإليه ترد بما نقلت من أخبار السمع والبصر الخ ، فالرأس هو القائم بأعمال الجسم المنظم لحركاته ، فلو تخلى الرأس عن الجسم لأصبح جثة هامدة لاتنفي ولا تسمن . هكذا العلماء في هذه الأمة والأغنياء والأمراء والعقلاء المفكرون المستبصرون ، هم المسئولون في الدنيا والآخرة ، وهم وحدهم الذين يقفون بين يدي الله تعالى يسألهم عز وجل عن إهمالهم أمر هذه الأمة ويسأل الله عز وجل المفكر والعالم والأمير والغني ويقول لهم أتم رأس هذه الأمة وقوتها فإذا علمتم ؟ تركتم هذا المجموع بين تحت نير العبودية والذلة وهذه الطوائف الإسلامية من أقصى الأرض إلى أقصاها جعلتها أمانة عندكم فكيف تشاغلتم عنها حتى أصبحوا أذلاء وأتم شاركتهم في ذلهم وقاسمتهم ضعفهم وانكسارهم . ألم أنزل عليكم في كتابي « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » فمأناذا لا أكلف الزارع السكين ولا الجمل ولا البغال هذا الأمر ، أولئك عيالكم وإخوانكم الصغار وإنما كلف أرباب العقل ورجال الحكمة وأهل المال أولئك هم المسئولون « وقفوهم إنهم مسئولون » ألم أنزل في كتابي على نبيكم « لولا ينهائم الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » ومعنى هذا أن الله يوبخ علماء أهل الكتاب من الأخبار والرهبان على عدم نهيمهم الأمة عن قولها الكذب الذي يأثم به الإنسان وعن أكلها السحت أي الحرام ؛ ثم بالغ في ذمهم فقال « لبئس ما كانوا يصنعون » مبتدئا بلام القسم ، وهذا مبالغة في التوبيخ ، أفلا تعلمون أني قصصت عليكم ذلك لتعتبروا ولتتذكروا . أيها المسلمون ألم يقل لكم نبي محمد صلى الله عليه وسلم « لاتزول قدما ابن آدم من عند ربه يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن شبابه فيم أفناه وعن عمره فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه وماذا عمل فيما علم؟ » ألم يكن في هذا الحديث دلالة على أن العالم والغني شريكان في المسئولية كلاهما مسئول ، العالم مسئول والغني مسئول ، وفي حديث البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخبز ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس » .

والمراد بالחסد القبطة وهي تمنى مثل ما عند الغير ، فإلى الأغنياء وإلى العلماء والمستبصرين من الأمة أوجه قولي ، فلقد اتضح أنهم هم المسئولون يوم لا ينفع مال ولا بنون ، فأقول :



« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وهذا إنذار من الله للمسلمين إذا أغفلوا أمر هذه الجمعية المركزية ذات الفروع إذ قال احذروا أن تكونوا متفرقين كالأمم السابقة التي بينت لها السبيل ومهدت لها الطرق فتفرقوا طرائق « وكل حزب بما لديهم فرحون » لأنهم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم الآيات البينات الواضحات .

ولقد أبنت لكم يا معشر المسلمين كيف تكونون متحدين وعلمتكم طرق الاتحاد وعدم التفرق فإذا خالفتكم وغفلتم بعد هذا البيان كنتم كأولئك الذين عرفوا الطرق فتركوها فتفرقوا فكان لهم من ذلك عذاب عظيم في الدنيا بالذلة وفي الآخرة بجهنم أما من ساروا على طريق الاتحاد فأولئك هم الفائزون .

### ( فصل : في أن الكعبة المشرفة أيام الحج دار ندوة )

وعلى هاتين الطائفتين الصلحتين في الإسلام المرسلتين من الجمعية الكبرى التي أشار الله لها في كتابه العزيز أن يجتمعوا كل سنة عند البيت الحرام بمكة شرفها الله فإن للحج أكبر نصيب في هداية المسلمين النازحين إليه من أطراف البلاد ؛ ولقد علم الله قبل أن يخلق الإسلام والمسلمين حاجتهم إلى بيت يحجونه ويكون مثابة لهم : « أي مرجعا وأما فقال » وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » وقال « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم » فانظروا وتمجبوا كيف ختم الآية بقوله « ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض » وقد زاد على ذلك فقال : « وأن الله بكل شيء عليم » .

فتأملوا كيف جعل أن علمنا بأن الكعبة قيام للناس يورثنا علم أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض بل يعلم كل شيء . ذلك لأن الأمر اتضح في هذه الأيام أن المسلمين ينتفعون سياسيا برجوعهم إلى هذا المكان وجعله دار ندوة كل عام يتشاورون فيه ويتباحثون وهم في مأمن في ذلك الوادي السحيق فضلا عن فريضة الحج . إن ذلك أمر لم يكن في علم أحد من الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ومن ذا الذي يعلم الغيب إذ ذلك فيقول إن الكعبة ستكون مرجعا للمسلمين يعرف بعضهم بعضا ويقضون في الأمور السياسية العامة ويتعارفون ويتحدون ويكون من وراء ذلك سؤددهم وعزهم ومجدهم وخروجهم من تحت نيرذل العبودية ، لاجرم أن الذي عرف ذلك هو الله الذي فرض الحج ورسم البيت وعرف مستقبل المسلمين وما يؤول إليه أمرهم فهو يعلم ما في السموات وما في الأرض الخ إلا أن لسلك شيء سببا فلا يكون الحب بلا زرع ولا الثمر بلا شجر ولا النيل بلا مطر ولا الري بدون سقي ، هكذا لن يكون اتحاد المسلمين ، إلا بالطرق التي رسمناها والبيئات التي أوضحناها ، والله هو الولى الحميد . وبهذا تم الكلام على القسمين : قسم السموات والأرض ، وقسم إنزال القرآن باللغة العربية وإنذار أم القرى ومن حولها . وأختم هذا المقال بخطاب أوجه لجميع المسلمين فأقول :

أيها المسلمون : قد شرحت لكم نظام العوالم إجمالا ، ولا جرم أن أولها عالم الهجرة الذي يدور مرة واحدة في ( ٣٠٠ ) مليون سنة ، وهناك دوران الكواكب السيارة في أوقاتها العينية والأرض ثم النبات وأوراقه وثمراته واتصال هذا كله بأجسامنا ثم نفوسنا ، ثم بعد ذلك شرحت اتصال الأمم الإسلامية على الأرض في مكة وما حولها ، وهذه أمة العرب جمعها الاسلام ، وجمعها اللغة العربية ، وجمعها تقارب الأوطان ، فهي إذ لم تبادر بالاجتماع والاتحاد فهي لا محالة معاقبة على تفرقتها ، وبينها وبين الفرس والترك علاقات الدين والجوار ، فليكن اتحاد بين هذه الأمم وعلاقات متينة وهكذا سيكون ، إذن فليعمم التعليم الآن في بلاد العرب

وبلاد الإسلام ؛ ثم لتدرس العوالم كلها ، وتدرس الكرة الأرضية من حيث الجغرافية ، ولتدرس التاريخ دراسة تامة ، وليخصص لكل علم طائفة ، ولتقرءوا علوم كل الأمم ، ثم ليكن منكم حكماء وعلماء بكل علم وبكل فرع . هناك هناك أيها المسلمون تكونون شهداء على الناس كما أن الرسول شهيد عليكم ، وهناك فقط تقبؤون مركزكم في الأرض ، هناك أنتم تعلمون أمم الشرق وأمم الغرب كيف يكون السلام ، وكيف تكون السعادة المستقبلية ، ولأختم هذا المقال بإيضاح أجر الصالحين وأجره ﷺ فوق ماتقدم في التفسير اللفظي ؛ فأقول مستعينا بالله :

لاخلاصا في هذه الأرض ، عارفا بصانع العالم ، دارسا لنظام هذه الدنيا إلا وله قلب متقد حرارة وصدقا ، وإخلاصا وبهجة ونورا وحباً لرقى هذه الإنسانية المسكينة المضطربة المذبذبة .

هذه حال الدارسين العارفين في جميع أمم الأرض ، فإذا كانت هذه حال الدارسين المفكرين فكيف تكون حال الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . إن للأنبياء سعادة في نفوسهم يحسون بها ، ولقد ضرب لنا الله مثلهم المحسوس بالأم رضع ولدها والأب الشفيق ، فالأب والأم بريان ولدهما لا يبغيان جزاء ولا شكورا ، بل هما يععلان حياتهما واقفا على تنحية هذا الطفل . فإذا كانت هذه حال العامة في الأمم بالنسبة لأبنائهم فكيف بالأنبياء بالنسبة لأمتهم . إن للأنبياء لحبا علويا لربهم ، وهذا الحب يقودهم إلى كل قول وفعل جميلين ، وصدورهم منشرحة لما يصنعون . ثم إن الصالحين من أمتهم يقول الله لهم « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » فهذا الود الذي يلقى في قلوب الناس لهم ودا الله ولهم نتيجة مرتبة على الأعمال الصالحة ، إن الأجر لا يسأل إلا الرجل للتكف ، أما الأنبياء فليسوا متكافين « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين . إن هو إلا ذكر للعالمين ؛ ولتعلمن نبأه بعد حين » .

الذي لا تكف عنده يكون عمله قريبا من السليقة ، ففس العمل محبوب ومن نتأجه المودة ، والأنبياء لا يسألون أجرا على التبليغ والله برأ رسوله من ذلك ، وغاية ما يحبه الأنبياء ويكرمون به أن يكون أتباعهم مقربين إلى ربهم ( وبعبارة أخرى ) أن الذي يصرهم هو ارتقاء أمتهم في الصلاح والتقوى ، فلو كان هناك أجر لم يزد على ذلك ؛ ومعلوم أن هذا ليس أجرا وإنما هو نجاح رسالتهم وتمام أمرهم ورجبتهم في إسعاد الناس وهذا قوله تعالى « قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » إذا قرأ عينه صلى الله عليه وسلم أن يرى أتباعه يتقربون إلى الله تعالى ويطلبون الزلفى لديه بالإيمان والطاعة ، فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله وهو ليس بأجر وإنما هو حب للاسعاد العام للناس ، وهذا المعنى هو الذي جاء في الآية في هذه السورة على قول من أقوال العلماء غير الجمهور « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » أى إلا أن تودوا الله ورسوله في التقرب له تعالى بالطاعات والأعمال الصالحة وهذا المعنى لا ينافى المعنى المشهور . إن المعنى المشهور داخل في هذا بطريق التبع لأن المودة للأشرف مقربة لله كجميع الأعمال الصالحة ، وهذا المعنى العام هو الذي يطابق آية الفرقان المتقدمة « إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » .

### تحقيق لمقام الود

وتبيان عام لمودة الأنبياء والمصلحين

اعلم أنه لاسعادة في دنيا ولا في أخرى أجل من سعادة الحب والود ، إن الله هو الغفور الودود ، فإذا وجدنا بعض الكتاب في عصرنا في صحيفة [ الضياء ] يوم ١٩ يناير سنة ١٩٣١ م ،

يصف الحب الخاص والود المحدود بأوصاف منطبقة على ما نشاهده في أحوال الناس من التضحية والإيثار والفرح بكل ما يبتهج به المحبوب لما بالك بالحب العام الذي يسع العوالم كلها ، فانظر كيف ضرب مثلا :

- ( ١ ) لسعادة الحب بما يبدو من محبوبه وقد شبه ذلك بانعكاس نور الشمس على القمر .
- ( ٢ ) وبالكاتب الفكاهي الذي يتلصق بسعادته من السامعين لسكناته .
- ( ٣ ) وبالمرء يجد لحديثه سامعا جديدا .
- ( ٤ ) وبالرجل يجد امرأته تحبه .
- ( ٥ ) وبالرجل آتى بالشمس لأطفاله الفقراء فسعادته بفرحهم .
- ( ٦ ) والعاشق مع من عشق في القفر وقد أكل المحبوب العنب والمحبة فرح به ، وهالك نص المقال المذكور :

### خواطر في الحياة

انحصار المرء في ذاته وتقييد شعوره فسكره بنفسه من دواعي الألم والشقاء ، وأما سعادته وغبطته فهي في الحرج بمعونة الخيال عن دائرة نفسه وحدودها . والسعادة وإن كان ينبوعها كائنا في نفوسنا إلا أننا لا نتعرفها ولا نتذوقها إلا إذا انعكست علينا من شيء خارج عن أنفسنا كنور الشمس المنعكس عن صفحة القمر ، وهذا العنصر الأجنبي الذي يمزج بالسعادة يكسبها في شعورنا حلاوة وغرابة مثلما تفعل عناصر القمر بنور الشمس . انظر إلى الكاتب الفكاهي مؤلف الكوميديا ، إنه يجهز ملحه وطرائقه في الخلوة ، فهل يتذوق حلاوتها إذ ذاك ! كلا ، إنما يتذوق لذاتها ، وبغنى نجاتها من بريق السرور في أعين الجماهير الشاهدة تمثيلها ومن هتاف الطرب في أصواتهم التصاعدة . ألا ترى إلى الحديث المملول من طول الإعادة كيف يخلع ملالته ويكتسب روثا ورواء إذا صادف سامعا جديدا ؛ وأنت قد تكون مثرى من المهادم والنائب حامل الجمل من الحاسن والمزاي والسكنك لا تشعر بهذه تمام الشعور ولا تغتبط بها حق الاغتياب ولا ترقص طربا لها وجدلا حتى ترى لألاءها منعكسا عليك من وجه غادة ألوف ، وتبصر جمالها يتألق في الحظاظها الضاحكة . ففي هذا الظرف ولا في غيره نحس السعادة حقا وتعرف حلاوة مذاقها ، والرجل الفقير يعود إلى داره بقرطاس المشمش أو البرتقال ، فإذا دخل على أولاده فأيقظهم فاستنوا جالسين على فرشهم الرثة المهلهلة وتناولوا منه الفاكهة يلتمعونها التهاما والعصير يتجلب من أفواههم المهومة الظمئة ، والفرح يتوقد في عيونهم المحرومة المنشوقة عاد لشدة الفرح والجذل كأنه قد ملك حدائق يافا وبساتين دمشق وحماة ، فهل يجدن مثل هذه اللذة في أكلة برتقالة ؟ وأنت إذا كنت مع جبيبة لك في قفار وفياف وقد آذاك السغب والصدى ثم رزقت عنقودا من العنب فأى الحطتين أحب إليك أن تقسمه على السواء بينكما أو تؤثرها به ( إلا عنبه واحدة تظني بها نار ظمئك ) وتظل ترنو إليها وهي تلتقطه حبة حبة كما تفعل المصفورة بالقرطم ، وفي هذا النظر الجميل والمشهد البديع ما يشبعك وبروبك ويملا بطنك ويكظ أضلاعك وأي طعام ( عمرك الله ) أشبع من الجمال وأروى ، وأي شراب أمتع من الحب وأشهى ؟ والحق أنه لا سعادة في الدنيا إلا ما كان مزاجها الحب ، وما الحب إلا استكشافنا أنفسنا في خلواتنا وأصفياننا ، وسرورنا بهذا الاستكشاف ، والإنسان منفردا عن الجماعة لا يستطيع أن يدرك السعادة كالذي يعيش بعيدا عن المرأة لا يستطيع أن يعرف صورة وجهة قيمة المرء بما يحسنه وآثاره عنوان ما يمكن فيه من الفضل ، وهي السراج الذي به نستطيع أن نسرغور شخصيته ونقيس أعمقها



وأبعادها ولا جدال في أن كل امرئ يخرج إلى الدنيا منطويا على قدر معلوم من القوة أو الكفاية لا يزال متناسبا مع مقدار إنتاجه . وكذلك نرى أن كل كلمة أو فعلة تصدر عن امرئ تكون مطبوعة بطابع شخصيته ، بل تكون حلقة في سلسلة حياته ، ولقد كذب من حسب الإنسان متناقضا متباينا إنما هو متجانس متناسق متشابه الأقوال متماثل الأفعال . وما صدق من قال عن رجال الأدب إنهم عقلاء أذكيا . على الورق : أما في ميدان الحياة فعمق أغبياء ، يفرقون في شبر من الماء ، هذا ككذب وبهتان . ولا يعقل أن ترى الرجل الواحد فيلسوفا على مكتبة وسمارا في الشارع . ولا أن يكون فردا بعينه أعرج في الطرقات ثم أبرع رقصا في الحفلات الساهرة . أجل إنه على قدر قوة المرء . وبحسب حذقه ومهارته في استخدام هذه القوة تكون قيمة عمله . كما أنه على قدر قوة الدفع يكون مرمي قذيفة المدفع وعلى قدر قوة اليأس وامتداد الأنفاس تكون سرعة العداء والشاء ، وإذا رأيت شمرا خاليا من حسن النسق والانسجام فاعلم أن ذلك لاختلال النسق وقلة الانسجام في روح الشاعر . وكذلك إذا عثرت على الكعكة أو الفعلة لرجل مادلتك عليه وسافتك إليه كما يرجع بك شعاع الشمس إلى الشمس .

معظم الناس لاشخصية لهم ، أولئك لا وزن لهم ولا قيمة ، وأهميتهم في كثرة عددهم ، ومن أجلهم يشتغل العدادون وكتاب الإحصاء ، ومنهم تتألف الجماعات والجمهير والأغليات الساحقات ، وهم الذين يجمعون الأموال ويؤدون العادى العروف من أعمال هذه الدنيا ولن تكون لهم قيمة إلا تحت إشراف القادة الزعماء فهم كالعجينة يشكها الصانع الحاذق كما يشاء ، ويشيد بهم البناء كما يشيد بالبنات ، وهم في الجملة يكونون الرأي العام وإن كنا نعرف أن الرأي العام في كل عصر وجيل إنما هو زبدة أفكار ستة أو سبعة من الرجال يتوسدون صفائح قبورهم في طمأنينة وسلام ، والجمهير يحتفظ بأفكار أولئك الموتى كما يحتفظ هواة الجو بحرارة الشمس ونورها بعد الغروب .

ولا مشاحة في أن الشخصية البارزة أو التفرد أو قوة الخلق أو الرجولة الشاذة اللينة أو ماشئت أن تسمى تلك الميزة التي اصطلاحنا على تلقيها ( العبقرية ) هي أفضل هبات الطبيعة للإنسان وأجزل آلتها وليس مقدم الرجل القوي إلى هذه الدنيا إلا حسن البشارة بسعادة المستقبل ، فهو نبوءة خير ، ويشرى فلاح مثله في ذلك كالريح تهب الآن هاهنا ولكن الموجه التي هي من فعلها وأثر هبوبها لن تلبث بعد ركودها أن تفيض وتطفئ على الساحل القصى الواقع على مسافة ألف ميل .

إن الرجل الشاذ بعد نعمة عظيمة في مثل دنيانا هذه السخيفة السمجة الاعتيادية ، وكفى أرباب الشذوذ والاعتراف وأهل المحزون والهزل وذوى الحلاعة والنهتك نغارا أنهم يذهبون من وحشة الحياة الاجتماعية وينفون من سأمها ومللها بتنويعهم من تماثل هيئتها وصورتها وبسكسيرهم من استواء أديمها الجامد الليث ، وجدير بالإنسان أن يصبح معروفا بين اللأ بشيء خلاف اسمه ولقبه .

وهذه الثمرة الشخصية والطابع الدائى أو ( الماركة ) الذاتية تكون في عالم التأليف جليلة القيمة ، من حيث إن عظمة المؤلف لا تتوقف على ما يشرك فيه غيره بل على ما يتفرد فيه بنفسه ويستأثر به وحده ، والرجل العظيم هو المبتكر الذى يصنع الشيء لأول مرة ، لقد كان استكشاف القارة الأمريكية من أصعب المشاق ، فلما استكشفت أصبحت الرحلة إليها من أسهل الأمور ، وتلك الميزة الخاصة النفرده التي تمتاز بها القطعة الفنية من شعر أو نثر أو نقش أو غناء هي الأساس الذي يقوم فوقه الحكم النهائي عليها وتسجل كلمة التاريخ ، وعلى أية حال فالعمل الفني المشتمل على هذه الميزة الخاصة الفردية يكون حائزا لعناصر الخلود .

انظر إلى الطبيعة تبتعث الحياة من جميع أعضائها وأرجائها ، وتجيش الحياة في جميع جزئياتها وذراتها وكأنها

بلورة صافية شفافة تتجلى من ورائها الروح الأبدية السرمدية في مليون شكل وهيته ويلوح من دونها السر  
 المقدس الإلهي ، الظاهر الخفي في آلاف الآلاف من الصبغ والألوان ، والنغم والألحان ، والصور والأشباح  
 والأجراس والنبرات ، والروائح والنفحات وكل شيء في الطبيعة تنبجس منه الحياة وتنفجر حتى الصخر  
 الأصم إن هو في كنهه وحقيقته لإحياة تجسدت وروح تجسدت ، كتلة من الروح الكلي وثوب تنسجها الحضرة  
 القدسية الإلهية . في تلك اللحظة انعدمت المادة في نظري وتلاشت . والواقع أنه لا مادة في الكون للعين  
 الشاعرية اللاشكوية ، النافذة الثاقبة الجليلة .

وكما أن الريح الجواله على البحر تستل من كل موجة جزءا خفيا فتحمل منه إلى أهل الساحل روح المحيط  
 الأثيرية فكذلك النسيم الحطاط على العشب والكلأ ، والشجر والنجم والودوح ، والنهر والجدول والغدير يسرق  
 من الزمان ، صيفا كان أم خريفا ، جزئياته وذراته إذ يستلب من الأفنان والأغصان ومن الورق والأكام  
 والأزهار ، ومن سائر النبات والأعراس ذرات ضوء الشمس فيحملها إلينا ويمزجها مع الأنفاس  
 بنفوسنا . وكذلك يروح تيار الهواء بعد انغمسه في كؤوس النوار والأزهار تحت موسيقى النحل  
 والأطيار ، تدب فيه الروح وتجيش الحياة ، فما هو بالجماد ، ولكنه كائن حي يترنم بذكر الله ويسبح  
 بحمد المانع الوهاب .

في هذا الوادي المقدس أمام ذلك للشهد الرائع ، بين أكناف الطبيعة البديعة وقفت أحنى كأس  
 الخلود وقد تفتح صدري وانسح جنائي لأبعد أغوار الحريف وأسحق أعماقه ، حتى وسع قلبي  
 ما امتد أمامي من ذلك المنظر العتبان إلى الأفق السيد القوي . إلى أدنى حشرة في الترى ، إلى أسمى  
 طائر في الجو .

وكذلك بهرتني مشهد الطبيعة الرائع ، وسحرتني وملكت على مشاعري فاندفعت على ضفاف النهر تجذبني  
 وشائج الأغصان ولفائف الأفنان وتحديني أعجيبات الألحان ، على غذبات الأيك والبان ، وذوات الأطواق  
 على منابر الأوراق ، وأحس حميا الحياة تندفق من ضياء الشمس ومن نسبات الشمال في كياني ووجداني وكأن  
 العشب والكلأ المنبسط أمامي بلانهاية . والودوح الباسق المنتثر القوي ومطارب البلابل والقهارى . كأن هذه  
 كلها تنصب في روحي ، وتمتزج بأجزاء نفسي . وتلك الأزهار التي تلت ثبات الصباح على الآلاف المؤلفة من  
 وجناتها ، رأيتني أشاطرها حياتها وسرورها وفرحها .

وأبصرت الجمال ينبثق من كل ورقة وزهرة ، والحسن ينسكب من كل موجة وقطرة ، وعجائب صنع الله  
 تتجلى في كل هباءة وذرة . ووجه الأرض صحيفة كتبت عليها سورة الجلال ، ولوحة نقش بها صورة  
 الفتنة والجمال .

ولتعلمن « علمت الخير » أن الساعات التي تظل فيها الروح مستغرقة في الجمال لمى وحدها الساعات التي  
 نعيشها والجديرة أن تحسب من العمر ، وكل برهة تقضيها بين الجميل والجليل والرائع والبديع إنعاهى فرصة  
 تخلس من الدهر ، وغنيمة تنتهب من محالب الزمن . هذه الساعات التي تستغرق الروح وتفعمها جمالها  
 الخليقة حقا بأن يقال إنها لم تذهب ضياعا ولم تطع جبارا ، هذه هي الحياة المحضة الصريحة وكل ما عداها خدع  
 وأضاليل وأكاذيب وأباطيل .

بين أرجاء هذا للشهد الرائع الذي كله روح تجيش وحياة تنفرز . محال أن يذكر الإنسان الموت وعمر  
 بياله ففكرة الفناء ، وكيف يتأتى له الجمع بين الضدين والنقيضين ، صورة الحياة في أكل معانيها وأنصع  
 مجالها وصورة الموت . لقد جعلت أقول لنفسي وأنا أنظر إلى الطبيعة كأنها عروس قد تبرجت لزفاف وتزينت  
 وأرنا إلى الوادي العشب بهز تعمة وريا .

لقد جعلت أقول في نفسي وأنا أتأمل ذلك المنظر الحى المتألق الخفاق ، ولكأن الموت لم يهتد قط إلى هذه البقعة البهجة ولم يدر السبيل إليها . وأكبر ظنى أن عالمنا الأرضى قد كان هكذا قبل هبوط آدم وحواء على أديمه النقى بذنوبهما وخطاياهما وذريتهما الباغية الطاغية المجرمة اثيمة بشروورها وآفاتهما ومصائبها ونكباتها وحاشيتها وبطانتها من الأبالسة والشياطين على رأسهم إبليس ، وزبائنها من العلل والأمراض والأوبئة على رأسها الجلاذ الأكبر عزرائيل .

أجل ، لقد كانت هذه البقعة البديعة قبل ظهور الأمم صنوف الحيوان أعنى الإنسان . وتالله إن الناظر إلى هذا الوادى الأنيق لا يكاد يتصور أن رسول النبوة قد جاس قط خلاله ، وخاض ظلاله ، ولا أن الأرض الطويلة العريضة تحتوى قبراً واحداً أو تنطوى على رمة ؛ ولا أن السكون بأسره قد تصعدت قط فيه زفرة أو تحيرت عبرة ؛ أو علت أنة ، أو دوت رنة ، أو قام فيه حداد ، ولبس سواد أو شقت جيوب وأبراد .

الحب وحده هو الذى يشقى غلة النفس الصادية ويشيع نهمة الروح الجامعة . الحب وحده هو الدواء وهو السعادة وهو البغية والغاية والمراد ، وليس فى سواء من ملذات الحياة ما يسد مسده أو يقوم مقامه وماذا ترى فى مسرات العيش يعنى غناه .

اللهو ، اللهو لا يشبع روح ذى الروح السامية ولا يطرب نفس ذى النفس الشريفة العفة العالية ولا ترتضيه أذهان ذوى الأذهان الثاقبة النيرة ، إذن فماذا يقوم مقام الحب ، السوامر والحفلات والأندية . هذا كتاب سرعان ماتقرؤه وتحفظه حتى تملة وتسامه : العلم أو الفن . هذا أو ذاك لا يمكنه أن يملأ من عواطفنا إلا جزءاً معيناً .

القراءة أو الثقافة ، هذه لا ترد لهفة ولا تبرد غليلاً ، ولكن هنالك شيئاً واحداً هو السكفيل أن يخلع على الحياة ، ذلك النور الذى لم يشاهد قط فى أرض ولا سماء ولم ير قط فوق بر ولا بحر وذلك هو الحب .

الحب أبعد غاية من أن يقاس وأعمق من أن يسبر وأكثر من أن يحصى ويحصر ، وأعمق الحب وأشدّه مانقضى عن معائب المحبوب ومعايره مهما عظمت .

والصدقة قد تحتاج إلى أن تدعم على أساس من الاحترام للتبادل ، ولكن الحب لا يحتاج إلى أى أساس أو سد أو دعامة ، الحب يكتفى بنفسه وحدها ويعيش على نفسه دون سواها .

وشرارة الحب تقدر من نظرة أو لمسة أو همسة . أما الاحترام فليس فى طاقته أن يوجد الحب ، كما أن قلة الاحترام لا تستطيع أن تمحو الحب . ولا جرم أن العاشق ليظل وهذه اللالين التى تملأ الأرض أموات فى عينه ولم يبق حيا على ظهر الأرض إلا عينان مشرقتان تنظران فى روحه وتحرقانها فتتركانها رمادا ، أنفهم ما أقول ؟ . كلا ؟ إذن أنت لانفهم الحب ، أنقول الاحترام أساس للحب ؟

تزعّم أيها القارىء أنك لن تحب المرأة إلا إذا كان لها من الصفات ما يستدعى احترامك ؟ كأن الحب قرش فى جيبيك لن تخرجه إلا لمن أعجبك من الشحاذين وراقنك طباعه ؟ إن كان هذا رأيك فأنت أجهل الناس بالحب وأولى لك إن فتح موضوعه أن تسكت أو تنسحب .

والواقع أن العاشق لا يحيا إلا بروح معشوقته ، ولا يجد فى العالم إلا شخصية واحدة ، هى وحدها المحبوبة وهى الجميلة وهى الضرورية وهى البغية والغرض والأمنية ، شخصية واحدة من بين اللالين التى تملأ الدنيا وهذه الشخصية مهما هفت وأخطأت ومهما جنت وأجرمت ومهما أسفت وسفلت ، ومهما لقيت من تحقير الناس وإسفارهم وسخرتهم وازدرايمهم لتبقين فى عين عاشقها كما هى لا يؤثر فيها ذاك شعرة ولا ينقصها مثقال

ذرة ، هذا لا يستطيع أن يغير الحب ، بل كلما زيد الأذى على تلك الشخصية وضعف البلاء تبين لعاشقها أنها أحوج ما تكون إلى الحب ، ومن ثم ما أراه كثيرا من العشاق من مكافأة خيانة حبايبهم بالأمانة وغدرهم بالوفاء ، ما أعجب الحب وما أعجب حاله ؟ ترى مليون وجه ، ونسمع مليون صوت ونلقى مليون أنثى حالات الثغور باللاكيء والعيون بالألألاء ، ولكنهن لا يمسسن أرواحنا ، ولا يحركن شعورنا ، ثم تصادف من بينهن واحدة فإذا هي تحمل لنا الحياة أو الممات في يدها ، وتلعب بهما كما يلعب الطفل بلعبه ، يا للعجب ! بماذا تمتاز هذه الواحدة عن تلك الللايين ، بلائىء ؟ وماهى أفضل ولا أجمل ولا أنبل ولا أكمل بمن شاهدنا قبلها ، ومع ذلك نجدنا نرى الدنيا من غيرها صحراء مجدبة انتهى . وفي هذا المقال الجليل بعض المعانى السقيمة الساقطة .

ها أناذا أيها الذكى كتبت المقالة جميعها وفيها وصف الحب ، وهذا الحب هو الحب الأدنى الذى لا يعرف الشبان إلا إياه وقيعته ضئيلة ، ولقد ذكرت في هذا التفسير كثيرا أن الحب ثلاثة أقسام : أدنى ، وأوسط ، وأعلى ، فما ذكر هنا هو الأدنى لأنه معروف ، والأوسط عشق العلوم ، والأعلى حب الله تعالى وعشقه ، وهذا لا يتصوره كثير من الناس ؛ وقليل جدا من النوع الإنسانى من يفهم حب الله تعالى الذى يشير له أكثر القرآن ، وترى الحمد فى الفاتحة يشير له إذ الحمد والمدح لا يكونان إلا بعد نعمة عرفها الحامد ، وهذه المعرفة أولا تحدث فى قلب الحامد حبا للنعم فينطلق لسانه بالثناء وأعماله للخدمة ، والخدمة هنا بالجوارح للأمم الأرضية الذين هم تحت رعاية المحبوب الممدوح ، ولا جرم أن الله عز وجل منبوع كل جمال وعلم ورحمة وشجاعة ، فخصر السكاتب الحب فى المرأة راجع إلى الطبقة المعروفة والحكماء يرتفون طبقات وبقرحون فرحا لاحده بمحبوبهم ، ويذكرهم بذلك المحبوب كل شمس وقمر ونجم ونهر وبحر وشجر وحجر وحبيب متبسم ، وتصيح حياة هذه الطائفة سعادة دائمة ولا يحس بسعادتهم أحد إلا هم أنفسهم ولا قدرة لهم على التعبير عنها .

هذا هو الود الذى ورد به القرآن أنه للسالحين ، فهو لاء هذه حالهم وهذا هو نموذج الود المذكور فى قوله تعالى فى آيتنا هنا « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » أى إذا كان لى أجر فهل هو إلا أن تودوا الله ورسوله بالتقرب بالطاعات .

فهذا هو التفسير الذى تؤيده آية الفرقان كما تقدم ، هذا هو الذى جاش بخاطرى ووافق تفسير بعض علماء الإسلام ، وفسر بنطوق آية الفرقان . وذلك ليلة الخميس ثالث يوم من رمضان الأغر سنة ١٣٤٩ هـ بعد نصف الليل .

يامعاشر المسلمين : كفى غفلا وجهلا ، لم ينزل هذا الدين إلا لإنعاش الأمم وإيقاظها وإحداث حركة فكرية جديدة أما إذا ظن المترفون المتعمون وهم على فرشهم أن الأنبياء ينتعون من النبوة أن يقال فى أنبيائهم ما قاله النصرارى فى المسيح ، فيقول الباطنية فى كرام آل البيت إنهم آلهة ، كما تقدم [فى سورة الكهف] عند آية « وما كنت متخذ المضلين عضدا » وعند آية إبراهيم فى آخر سورة إبراهيم وهكذا ، فذلك جهالة تؤدى إلى بطالة . إكرام آل البيت مطلوب مرغوب ، ولكن مما لاسبيل إلى قبوله أن يتخذ ذلك ذريعة إلى أن تناط أمور المسلمين بمن لا وسيلة عنده إلا النسب . كلاتم كلا . ديننا يراعى الكفاءة للأعمال ، إن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فلا يوسد عملا إلا إلى أهله .

أيها المسلمون : أيها الأذكياء . لاسعادة إلا بالحب ، والحب الدائم حب الحى الذى لا يموت ، وهذا دونه خراط القتاد لأكثر نوع الإنسان . ولن يصل إليه إلا الأقلون . انتهى ليلة الخميس الموافق ٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ .

## جمال الحكمة والبهجة

في هذا المقال

يا لله أنت أربتنا جمال وضعك ، وحسن صنعك ، وآستنا بنور وجهك ، وأشرقت علينا بهجات نورك وأنوار شموسك وأقمارك . رأينا ياربنا علاقات تامة بين أرضك وشمسك ، مدا وجزرا ، وكذلك مع قمرك . ورأينا الحركات منتظمة . ورأينا أجسامنا وتربيتنا منوطين بالحرارة والضوء الساربين في النبات الموصل لنا الصحة والقوة من عالمك الأعلى . وهانحن أولاء رأينا علاقتنا بالأمم حولنا كعلاقتنا بالشمس والقمر وكل معدن ونبات وحيوان .

### نظام خالق الإنسان

هانحن أولاء ياربنا فهمنا وضعك ، وشرح صدورنا فعملك ، وقد بهرنا ما رأينا في خالق أجسامنا . ياربنا هانحن أولاء نرى أجسامنا مصنوعة بشكل يخالف كل حيوان في بر أو بحر أو هواء . إن هذا الجسم كتاب مفتوح هو ورق منشور ، هو حكمة . هو علم . هو رمز . ومضى ملكنا هذا الرمز عشافي الأرض اسدهاء . رينا رأيناك جمعت الحيوانات مقسمة أقساما : فمنها الفقرية ، ومنها الحلقية ، ومنها المفصليية ، ومنها لرخوة ، ومنها النباتية .

( ١ ) إن الحيوانات النباتية هي التي تراها تعيش في البحار كأنها نبات ، إذن فيها حياة كحياتنا ولكنها لم تعط قوة كقوتنا وعقولا كعقولنا (انظر صورتها في آخر سورة الحج ، فبعضها ذات خمسة أشعة منتظمة جميلة ، وهي عند آية الدباب) .

( ٢ ) والحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف الذي فيه اللؤلؤ ، وأم الحلول (وقد شرح بعضها في سورة مريم في أولها شرحا وافيا فانظره) فهذه مع ما قبلها لما قبلنا صنعك فيها بصنعك في أجسامنا دهشنا أشد الدهش من إتقان وإحكام فينا وارتقاء مرتفع عن تلك المخلوقات اللاصقات بالأرض المحبوسات في البحار . ولم تعط يدين بهما تصنع ما تشاء كما تصنع نحن من جميل الأعمال .

( ٣ ) ولم تسكن الحيوانات المفصليية (مثل العنكبوت والعقرب والسرطان . ونحو أم أربعة وأربعين رجلا ، وذوات مائة الأرجل ، وأمهات ذوات ألف رجل المتقدم ذكرها في سورة النور) بتمتعات بقوة الإنسان وعقله ويديه القويتين للفصلتين تفصيلا بديعا تصنع أعمالا لا قبل للعنكبوت بها ولا السرطان ، فأولهما أعطى حرفة النسيج وهو يعيش في البر ، والثاني يعيش في البحر مقيدا بقيود خاصة . فأنى له بقوة الإنسان .

( ٤ ) وهل الحيوانات الحلقية (ومنها دود السباح ، ودود العلق ، وحيوان البلهارسيا ، والانكلستوما والدود السكوى) إلا عاجزات عجز ما قبلها من المفصليية . فكل منها لاصقات بالأرض لا حول ولا قوة لها إلا غرائز بها تعيش ثم تفتى من الوجود .

( ٥ ) وليست جميع الحيوانات الفقرية ( التي شاركت الإنسان في فقراته ولها هياكل عظيمة وبعضها له دم أحمر كدمه) إلا أقل من الإنسان تفصيلا في أشكالها ، ونظاما في أفعالها .

وهل السمك في البحار قامت شوكانه التي يعوم بها مقام يدي الإنسان في شيء إلا أنها تعينه على السباحة وإن شارك السمك الإنسان في الفقرات والهيكلي العظيم ، وهل السلاحف بدرقاتها والورل والثعابين

بسمومها بجانب الإنسان إلا عواطل من القوى الشريفة والأعمال النيفة ، ولعمرك ما يغني جناح ( الدجاج ) والطاووس والحجل والبط وأبي قردان والنعامة والبلبل والبيغاء والنسر والحدأة والعقاب ) فتبلا ولا قطميرا ، وهل لذلك الجناح إلا أنه يحمل الطير في جو السماء ، وهل للجناح إلا عمل واحد هو حمل الطائر ليصل إلى أعماله ، وفرق عظيم بين الأجنحة وأيدي الإنسان القامات بأعمال غير محصورات ، وما القيطس العائش في البحار الذي يستخرج منه الإنسان الزيت ، ولا الدافين الذي ينفع الإنسان بحفظه من العرق ولا الكشلو الذي يستخرج منه الناس العنبر السنجاني ، ولا الحيوانات المجتررة ( للشروحة في سورة النحل بصور بعضها ) ولا ذوات الظلف الواحد ( كالفرس ، ولا ذوات الأرجل المشقوقة مثل الخنزير وجاموس البحر ، ولا ذوات الحراطوم كالقيل ، ولا الحيوانات الثديية آكلة الحشرات مثل القنفذ والفأر الغيطي ، ولا الحيوانات آكلات اللحوم كالأسود والنمور ، ولا القردة ) لها ما للإنسان من قوة اليدين والنقل العظيم .

يا ربنا ها نحن أولاء نظرننا فوجدنا اليدين اللتين وهبتهما لنا أعطتنا ما لم يعطه الأسد في عرينه ولا القيطس في مائه ، ولا النسر في جوه ، ولا القيل بقوته ، ولا الفرس بسرعه .

نظرننا هذه المخلوقات فألفيناها مقيدات مقدرات لما غرست فيها من الغريزة ، وأحطتها بالطبيعة ، كاهن مقيدات ناقصات . فهن أقل من هذا الإنسان قوة معنوية وقوة مادية .

رباه : نحن بنظرننا في هذا الوجود ألفتناك وضعتنا في مركز هام عجيب . فإن نظرننا للشموس والأقمار وعالم النبات والحيوان والبحار والهواء وجدناها كلها كأنها جسم واحد ونحن في داخله ولنا به اتصال عجيب ، بل يكاد كل جسم من أجسامنا يكون أشبه بعضو في الجسم العام في السموات والأرض . وإن نظرننا إلى ما فيه الحياة مثلنا من كل حيوان وجدناك قيديتهن جميعا . فقيدت ذا الظلف وذا الجناح وصاحب نصف الجناح ، وقيدت الزاحف والماشى وكل ما في هواء أو على الأرض أو في لحج البحار ، فسكهن مقيدات . ولم يفك من العقال إلا هذا الإنسان ، فإن أيدينا وعقولنا تفعل ما لا يقدر عليه الجناح ، ولا يسمو له الحراطوم في القيل ولا القوة الأسدية ، والاقتراس النمرى .

إذن أنت يا الله فضلنا بمقل ويدين فضلا عن سواهما . إذن أنت يا ربنا جعلت أجسامنا مفصلات تفصيلا كأنها كتاب تقرأه ، وهذا الكتاب مفصل أبداع تفصيل . إذن يارب أنت أنعمت علينا بما وهبتنا من الحرية العقلية ، وباليدن اللتين بهما تقدر على الاختراع والإحكام والتدبير وإدارة كل عمل في أرضنا من زراعة وصناعة وتجارة وعلم وإبداع واختراع . كل ذلك ابتكرته عقولنا وصنعتة أيدينا . إذن هذا الكتاب الذي قرأناه في أنفسنا وتفصيلها وفي الحيوانات حولنا وفي العوالم العلوية والسفلية يوجب علينا أن نكون خلفاء لك في أرضك ، ولن نحقق هذه الخلافة إلا بالعلم والعمل ، وأنا الآن يارب أكتب هذا القول للمسلمين . تلك الأمة التي برزت في الوجود منذ ( ١٣ ) قرنا وغيرت معالم الكرة الأرضية . وبسببها ظهرت أم وأم في الشرق والغرب . فأنا أكتب هذا لهم وللأمم . وأسألك يارب يا رحيم أن تقوم فيهم مجددون يقومون للنوع الإنساني بما قام به أسلافهم كل بحسب زمانه ، وأخاطبهم قائلا :

« أيها الأمم الإسلامية ، ويا أيها الأمم العربية ، طالع نومكم ، ألم تسمعوا قول ربكم « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . فأين خيريتكم الآن . ألسم لما نتم عن وظيفتكم تولى بعضها غيركم من الأمم . أتم خلفاء الله بنص الآية وبما يفهم من تفصيل الجسم الإنساني . أتريدون أن تكونوا في الأمم أشبه بالعناكب والتباب وهم يكونون أشبه بالإنسان . أتريدون أن تتجاهلوا مالكم من العقول والأيدي فيجعل بعضها نفسه كذي الجناح أو ذي الحافر ( حاشا لله أن يكون ذلك ) .

وهل يرضى أبناء العرب الذين هم أصل هذه الأمم الإسلامية أن يكونوا في مؤخر الأمم ويتزلوا عن مجددم الرفيع وشرفهم الكبير ، ويذروا عقولهم بلا تفكير وأيديهم بلا عمل ، ويجهلوا ما عرفت الأمم حولهم من العلوم والصناعات ؟ لا لا . يا أمة الإسلام ها أنا ذا وصلت لكم القول ليعلم المفكرون منكم قوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » والله كما فصل القرآن فصل آيات هذا الوجود . ومن هذا التفصيل تفصيل جسم الإنسان ، فهو مفصل تفصيلا عجيبا . فما هو ذا القرآن وما هو ذا جسم الإنسان يقضيان بحرمان الجاهلين الكاسلين الذين يذرون مواهب العقول وابتداع الأيدي عجائب الصناعات وابتكارها غرائب المنافع في الدنيا والدين . كتب في ٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ ٢٢ يناير سنة ١٩٣١ .

### نظرتي أمس ( ٣ رمضان أيضا ) في بلدة البركة

امرأة تطحن على رحاها

يا سبحان الله : مررت على هذه البلدة كمادتني لأنها في طريقى إلى مزرعتنا بتلك الجهة قرب القاهرة فما رأيت المرأة تدير رحاها تطحن بها برا تصنعه لأهل منزلها ( وقد كان هذا الموضوع أى موضوع السموات والأرض ، وانتظام هذا المجموع واتصاله بجسم الإنسان وأمم الأرض مرتبنا في ذهنى محضرا في عقلى لا أقدر على التماس منه ) حتى كانت هذه الرحى إنعاما للموضوع وشرحا وتطبيقا على ذلك كله .

الله أكبر : دارت الأرض حول نفسها فكان الليل والنهار ، الأرض دائرة في يد صانعها مجذوبة حول الشمس فكانت لها نتائج لا عدد لها ولا حصر . وبدورانها كان الصيف والشتاء والحريف والربيع وهناك مالا حصر له من مخلوقات ، فعلى رحى كبيرة . إن رحى المرأة التى رأيتها أمس مدورة والأرض كرة . إن رحى المرأة دائرة بيد المرأة والأرض دائرة بيد الصانع الحكيم . ولكن فرق ما بين الدورتين ، فدورة الأولى لغذاء بيت واحد . ودورة الثانية لغذاء أمم وأمم .

إيه أيها المسلمون . كلما كانت الأمم فى صناعاتها أقرب إلى صنع ربها كانت أسعد بالا وأنتم حالا ، وكلما ابتعدت عن صنعه كانت أقل وأذل ؛ أفلا ترون الآلات الطاحنة ذوات العجلات المنتظمة الدورات دوران هذه الرحى عملتها أيدى أناس مثلكم فقامت مقام آلاف رحى كرحى المرأة التى رأيتها فى بلدة البركة . أفلا ترون الآلات الخابزات والحارثات والجاريات فى البر والبحر فقد عملتها أيدى كأيديكم بإرشاد عقولكم فأنتم فأنتم وأما .

كلما كانت صناعات الأمم أقرب إلى البساطة كانت الأمم أقرب إلى التفرق فيكون الانحلال ثم الفناء ، وكانت بالنسبة للأمم ذات الصناعات العظيمة أشبه بالحيوانات الرخوة بالنسبة للإنسان ، وكلما كانت صناعاتها أقرب إلى صنع الصانع الحكيم مبدع الكون كانت أقرب إلى الاجتماع والاتحاد والكمال فى الإنسانية . والإنسان اليوم سائر إلى هذه الحال شاء الجهال من المسلمين أم أبوا ، وسيكون هذا النوع الانسانى أشبه بأمة واحدة تعمل لغاية واحدة ومنفعة للجميع وتكون سعادة الإنسانية بتلك الأيدى والعقول فوق ما هو عليه الآن آلاف آلاف مرة ، وتكون نسبة سعادتهم اليوم إلى سعادتهم فى المستقبل كنسبة الحيوانات للفصلية والحلقية كالعلق والعقرب إلى نوع الإنسان ، أو كنسبة هذه الرحى التى تديرها المرأة التى شاهدتها فى بلدة البركة وغيرها إلى آلة بخارية عظيمة تطحن لآلاف من الأسرات فى القرى والأمصار . هذا ، وإنى

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والرفان والحكمة والتبيان ، كتب يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ وإلى  
هنا تم الكلام على اللطيفة الرابعة ، والحمد لله رب العالمين .

### اللطيفة الخامسة

في قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا  
فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم »

حضر أخى العالم الذى اعتاد مناقشتى فى هذا التفسير . فقال : لقد جاء ذكر الشيخ الداغ ذلك الأسمى فى  
آية « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » الخ ولكن للقول هناك بقية . ولقد أذكرنى بها هذه الآية لأن  
البشر ليس لهم أن يكلمهم الله إلا بالوحى أو من وراء حجاب أو إرسال رسول الخ فباليت شعرى أمثال هذا  
الأسمى من هؤلاء حتى يأتى لنا معلوم عجيب بعضها عقله وبعضها لا تدركه . فقلت : أيها الأخ . الشيخ الداغ  
وأمثال الشيخ الداغ لا تأخذ العلم عنهم وإنما هؤلاء ، مذكرون لنا بالوحى . فإذا سمعنا من هؤلاء حكاهم  
ندركها نحن ونحننا فوجدناها موافقة للوحى المنزل على نبيتنا صلى الله عليه وسلم قبلناه وإن رأينا ما يخالفه نبذناه . فلنا  
عقول ولنا دين . ولكن ليس معنى ذلك أننا ترك هذه النبايع التابعة من فيض الله كما لاندع النبايع  
الظاهرة من الأرض بلا عمل منا . إن السلم فى مستقبل الزمان غير السلم الماضى فى القرون المتأخرة . إنه  
إنسان غير جامد . إنسان فيه حقيقة الإنسانية ، لا يدع نعمة تصل إليه ولا حكمة يسمعا إلا بحث فيها . فإذا  
كان الماء الناج من العيون لا ينبغى للمسلم ترك الاستفادة منه . هكذا لا يلىق به أن يذر حكما تصدر على لسان  
إنسان بدون أن يتقدها ويفكر فيها . بل فوق ذلك يعلم أن الله هو نفسه الذى ساقها إليه اختبارا له لينظر  
أيشكر بقبولها وبمخترها والاستفادة منها أم يكفر بتركها واحتقارها فيقول لالا أنا لم أقرأ نص هذا القول  
فى الدين . بل أقول فوق ذلك كل قول يسمعه المسلم من أى عالم فى أقطار الأرض فى جميع العلوم الرياضية  
والطبيعية والسياسية والتاريخية إنما هو نعمة من الله ساقها إليه فنبتنا إنما هو نبتنا للنعمة المرسله من الله  
إليه . وعليه أقول : إن المسلمين بعد انتشار هذا التفسير ( وقد انتشر فعلا ) سيكونون نورا للأمم لا يندرون  
قوة فى الأرض وما عليها . ولا حكمة صادرة من رجل فتح عليه وهو لم يتعلم كالشيخ الداغ . ولا علما جديده  
عالم صينى أو يابانى أو ألمانى أو فرنسى الخ بعقله ونسبه وآلاته الرصدية أو السكانية أو غيرها إلا سارعوا إليها  
ودرسوها ومحسوها . واصطفوا ما هو نافع ، وتركوا ما هو ضار .

هذا هو الحق الذى لا يحصى عنه . أليس هذا هو قوله تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون  
أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » .

فالآية عامة وتحصيها لا معنى له ، والأرض أرض الله والناس عباده . وإذا انتفعنا بماء الأرض الذى هو  
من صنع الله وفيضه فإن الانتفاع بما تنتجه العقول أولى لأن العقول أفضل من المواد ، والماء مادة والعلم ينتج  
من العقول . إذن ترك ذلك كله أو بعضه جهالة وقلة دين وعس .

لك الحمد اللهم على نعمك ، ولك الشكر ، ولك الفضل العظيم علينا وعلى الناس أجمعين . أنت الذى  
خلقت الإنسان وجعلت جسمه فى هذه الأرض محوطا بالحير والشر وحجبتة عن المعارف والعلوم بما سلطت  
عليه من شهوة وغضب ، فأخذت الأمم بموج بعضها فى بعض ، وبلغن بعضهم بعضا ، جعلتهم معذبين



في صورة منعمين ، وجهلاء في صورة علماء ، وأرثيهم بصيصا من العلم ، وبصيصا من الجمال ، وهيات أرواحهم لقبوله بدرجات مختلفات بحيث لا يتفق اثنان من الناس في درجة واحدة ، فهم في معارفهم مختلفون باختلافهم في ألوانهم ولغاتهم . واختلافهم في خطوط أيديهم التي ظهر سرها فيما تقدم في السورة السابقة ؛ واختلاف استعدادهم الفطري :

( ١ ) فهنا نحن أولاء نجد القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد فهمه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون فشرروه في السكرة الأرضية ، وكان لهم فيه فهم غير ما فهمهم ، وآراء غير ما عرفهم ، والدليل على ذلك نتائج أعمالهم في الأمم التي حكموها وللممالك التي أحكموها والمظالم التي منموها وأنواع العدل التي سلكوها والمبرات التي أظهروها والسعادات التي نشروها .

( ٢ ) ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وبعثوا في الأرض الفساد وقطعوا الأرحام حلق عليهم قول الله « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » فلذلك استرد الله منهم ممالكة وأورثها قوما آخرين قرونا وقرونا وهم يتدلون في حضيض الجهالة والمذلة . وكلما نبغ ذموه وحقروه ، وكلما ظهر عالم ازدروه ، واكتفوا من العلم بشورته ، ومن القرآن بلفظه ، ومن العبادة بظاهرها ، ومن الدين باسمه ، واستحلوا الجهل واستعدبوه واستبشعوا العلم وينذوه ، لذلك حرقوا كتب الامام الغزالي في بعض بلاد الغرب في القرن الخامس ودموا ابن رشد وكفروه أيام دولة الموحدين ، فلم تقم في أمم العرب خصوصا وأمم الإسلام عموما للعلم قائمة بعد ذلك كما ذكرته سابقا في هذا التفسير في مواضع كثيرة وأوضحته أيما إيضاح .

ولما تم ذلك قبض الله للخلف قوما آخرين ليسوا علماء كالذين نعهدهم ، بل خلقهم على شاكلة تلك الأمم لم يتعلموا علما ولم يحفظوا ديننا ولم يقرءوا القرآن وأنطقهم بعلوم فوق طاقة نوع الإنسان ، وإنما فعل ذلك رحمة بهم ؛ ذلك لأن رحمة الله عامة ، فإننا نراه لم يذر حشرة ولا طيرا ولا حيوانا ذريا لآتراه العيون إلا أحاطه بالنعيم وملاؤه بالحكم ، وأنت أيها الذي تعرف ذلك من العجائب المتقدمة في هذا التفسير . فإن العلوم التي ملأ الله بها أرضنا وللسلمون كانوا محرومين منها وقد كتبت عمراتها في هذا التفسير ، تملأ القلب روعة وحباً لله تعالى وإيقانا بأنه لم يذر ذرة إلا ملأها بالحكم ولا حيوانا دقيقا أو عظيما إلا أحاطه برحمته فهو كذلك سبحانه أحاط آباءنا الذين جهلوا القرآن وكرهوا العلوم برحمته ولم يذرم يتخبطون في دياجير الظلام بالمرشدين بل بث فيما بينهم هؤلاء الأقوام وهم أرباب القلوب والصالحون ، وكانوا كلما أوغلوا في الجهل زادهم الله من هذه الطائفة ، ومن هؤلاء من ذكرته سابقا في هذا التفسير وهو الشيخ الدباغ الذي ظهر في بلاد مراكن منذ نحو قرنين اثنين ، فإنه كان في القرن الثاني عشر الهجري ، فهل لك أيها الذي أن أحدثك عما جرى بيني وبين بعض علماء مراكن في عصرنا الحاضر في أمر هذا الشيخ ، وذلك أن هذا التفسير أثناء طبعه أخذ أفاضل العلماء في مدينة فاس وغيرها يقرءونه لتلاميذهم ، فأنا حمدت الله عز وجل وزدت إيقانا بما سيكون لهذه الأمة من السعادة والفضل العظيم .

والحديث الذي جرى بيني وبين هذا العالم الفاضل هو ما يأتي : قال [ إننا لما اطلعنا على تفسير الجواهر انشرفت صدورنا وازدادت مسرتنا ووالله لقد سرت روح هذا التفسير أثناء طبعه في البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وأصبح العلماء والطلاب والعامة الذين يتعلمون منهم يفكرون في منافع أرضهم ومعادن جبالهم ومصادر أنهارهم ومواردها ، وفي الصناعات والعلوم على اختلاف درجاتها ، وقد انفتحت بصائرهم وانشرفت صدورهم بسبب ما يلقى العلماء من الحكمة التي أودعها الله في هذه الدنيا ، فأصبحوا يرون حكم الله في الحجر

والشجر والنهر والبحر والجبل مع أن تفسير القرآن كان العلماء يحرمونه قديماً على التلاميذ باعتبار أنه فوق طاقة المخلوقات ، وهذا القول سمعته من كثير من علماء تلك البلاد .

ثم قال : والله لقد أحسنت وأجودت وشرحت الصدر ، وهذا موافق لأقوال أكابر علماء الإسلام الذين لا يعولون في أقوال أهل الكشف إلا على ما وافق الدين وأنت صرحت بذلك ؛ إذن هذا يشجمني أن أسأل في بعض كلام الشيخ الدباغ وما مقصوده حتى نستفيد منه ، فقلت : سل ما بدا لك ، فقال إن الشيخ عبد العزيز الدباغ ذلك الرجل الأبي قد أتى في تفسير الحروف التي في أول السور بأمور عجيبة جداً تفوق طاقة الإنسان ؛ ولما اطلعنا على تفسير الجواهر وجدنا بصيصاً من نور كلامه فيه وبقية معناه فوق متناول العقول في زماننا ، فأريد منك إيضاح هذا المقام حتى أبته بين إخواني العلماء إذا رجعنا إلى تلك الأقطار . فقلت : إذا تفضت بإيضاح السؤال إنني أرجو من الله أن أوفق للإجابة . فقال : إنه يقول في معنى (ص) إنها تشير إلى الفراغ الذي يتلون على ما تقتضيه أفعال كل ذات من الدوات . فتراه على كافر عذاباً وعلى مؤمن إلى جنبه رحمة من الرحمت وعلى كافر آخر واقف إلى جنب هذا المؤمن عذاباً ولكن لا من جنس العذاب الذي للكافر الأول بل من جنس آخر ، وعلى مؤمن آخر واقف إلى جنب هذا المؤمن رحمة ولكن لا من جنس الرحمة التي للمؤمن الأول بل من جنس آخر اقتضته أفعاله وهكذا حتى يأتي على جميع من في المحشر ولا نجد فيه حيزاً يشبه حيزاً أبداً مع أنه فراغ واحد في رأي العين ، وعلى ما تقتضيه طبيعة الدنيا . والمفتوح عليه يرى هذا عياناً ، فيرى زياداً في فراغه على ما كتب له ، ويرى عمراً في فراغه على ما كتب له ، وكأنهم الآن واقفون فيه بين يدي الله عز وجل ، فلهذا قلنا : لو علم الناس ما أريد بصي وما أشير إليه به ما اجتراً واحداً على مخالفة أمر الله عز وجل ، فإنه لو فتش للناس على مكائهم في ذلك الفراغ لا غنبط للطبع ولما الخائف أسي ، ولا يخفى أنه يكون في ذلك الفراغ الكفار والؤمنون والأنبياء ، والملائكة والجن والشياطين ، وقد أشار إلى الكفار في صدر السورة بذكر طوائف منهم ، وإلى الأنبياء بذكر طوائف منهم ، وإلى المؤمنين بذكرهم خلال ذكر الأنبياء ، وإلى الملائكة بذكر الملائكة الأعلی آخر السورة ، وإلى الجن والشياطين بالإشارة إليهم في آخر السورة وذكر أحوالهم في الدنيا وإن لم تكن لهم في المحشر لأنها هي السبب في اختلاف أحوالهم في ذلك الفراغ الذي يحشرون فيه وبقيت أسرار آخر تتعلق بما في السورة لا يحل إفشاؤها ، والله تعالى أعلم .

ثم أخذ بعد ذلك يتكلم على معنى « كيهيـس » وغيرها فلا أطيل به ، ثم قال : « وقد رأيت نفس هذا الشيخ لما سأله الشيخ أحمد بن المبارك في سبب كون تكبير العيد سبعاً في الركنة الأولى وستاً في الثانية أجابه مسرعاً قائلاً : إن التكبير الأولى يشاهد فيها العبد المكبر ولا سيما سيد الوجود صلى الله عليه وسلم المكونات التي في الأرض الأولى والتي في السماء الأولى ويشاهد المكون سبحانه وتعالى ؛ والتكبير الثانية ويشاهد فيها المكونات التي في الأرض الثانية والتي في السماء الثانية ، ويشاهد المكون سبحانه وتعالى ؛ والتكبير الثالثة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الثالثة ويشاهد المكون سبحانه لأنه أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبير الرابعة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الرابعة والتي في السماء الرابعة ويشاهد فيها المكون سبحانه لأنه أفعاله تبارك وتعالى ، والتكبير الخامسة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض الخامسة والتي في السماء الخامسة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض السادسة والتي في السماء السادسة ، والتكبير السابعة يشاهد فيها المكونات التي في الأرض السابعة والتي في السماء السابعة ويشاهد فيها المكون سبحانه وتعالى لأنها أفعاله تبارك وتعالى .

هذا في الركعة الأولى. وأما الركعة الثانية فإن التكبيرات الأولى منها يشاهد فيها ما خلق في اليوم الأول وهو يوم الأحد ويشاهد السكون سبحانه وتعالى ، والتكبيرة الثانية يشاهد فيها ما خلق في اليوم الثاني وهو يوم الاثنين ويشاهد السكون سبحانه ، والتكبيرة الثالثة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء، ويشاهد السكون سبحانه ، والتكبيرة الرابعة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء، ويشاهد السكون سبحانه وتعالى ، والتكبيرة الخامسة يشاهد فيها ما خلق في اليوم الخامس وهو يوم الخميس ويشاهد السكون سبحانه وتعالى ، والتكبيرة السادسة يشاهد فيها ما خلق في اليوم السادس وهو يوم الجمعة ويشاهد السكون سبحانه وتعالى . فقلت : وهذه المخلوقات في هذه الأيام الستة هي التي في السموات السبع وفي الأرضين السبع . فقال رضى الله عنه يشاهد عند رؤيته إلى الأيام أصول المخلوقات التي كانت في بدء الخلق ، وأما عند نظره إلى السموات والأرضين فيشاهد المخلوقات الموجودات على ظهرهما . فقلت : فتكبير العيد سبعا وستا شرع في حق كل مكلف وابن كل مكلف من هذه المشاهدة ؟ فقال رضى الله عنه من فتح الله عليه فلا كلام فيه ومن لم يفتح عليه فينبغي له أن يستعمل هذه المشاهدة ويستحضرها ولو على سبيل الإجمال والله تعالى جواد كريم ، فإن استحضر العبد ما ذكرت في هذا العيد وفي العيد الذي بعده وهكذا وفرح بربه ودام على ذلك فإن الله تعالى لا يخيبه ولا يخرج روحه من جسده حتى يربه تعالى هذه المشاهدات تفصيلا لأن الله على كل شيء قدير ، والبعد والانقطاع إنما حصل من ناحية العبد لا من ناحية الرب سبحانه وتعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين » .

ثم لما أجابه عن ذلك سأله عن سر التكبير ثلاثا إثر خمس عشرة فريضة من ظهر يوم النحر إلى صبح اليوم الرابع . فقال : التكبيرة الأولى يستحضر فيها ويشاهد تصوير الذات نطفة ثم علققة ثم مضغة ، والتكبيرة الثانية يستحضر فيها ويشاهد تمام التصوير وكاله وحسن خلقه ونشخ الروح فيه وصيرورته خلقا آخر فبإذن الله أسن الخالقين ، والتكبيرة الثالثة يستحضر فيها ويشاهد فساد الصورة ورجوعها ترابا حين تكون في القبر ، فإن هذه الأمور الثلاثة من عجائب قدرته تبارك وتعالى ، ومن غرائب ما أبدعه في مصنوعاته سبحانه وتعالى لا إله إلا هو ، وهذا التكبير لا يختص عند الصوفية بما ذكره الفقهاء بل يستعملونه دبر كل صلاة ولكن قبل السلام منها . قال رضى الله عنه : والمفتوح عليه يشاهد هذه الأحوال عيانا وبراها جهارا ، فيشاهد من باهر قدرته تعالى مالا يكيف ، وكمن من عجائب الله تعالى في مخلوقاته ، فإذا حصل للمفتوح عليه ما أوجب تغييره أو قبضه أو نحو ذلك نظر إليها فيحصل له من النوحيد والاعتبار ومحو ما نزل به مالا يكيف ، فغير المفتوح عليه يدفعه بالرؤية والعيان ( كذا ) . قال رضى الله عنه : وعلى وجه الأرض عجائب لو شاهدها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا إلى دليل ، من تلك العجائب ما إذا شاهده العبد علم بوحداية الله تعالى من غير دليل وتكفيه مشاهدة ذلك الأمر ، ومنها ما إذا شاهده العبد علم بوجود الجنة ، ولا يحتاج إلى إقامة الدليل على وجودها ، ومنها ما إذا شاهده العبد علم بوجود جهنم ولا يحتاج إلى دليل ، إلى غير ذلك من عجائب مخلوقات الله تعالى والله أعلم . انتهى من [كتاب الإبريز] .

هذا هو الذى أسألك عنه . ثم قال : ولست أقول إنك تجيبني من ذلك القام الواسع فإنه فوق طاقة أهل الأرض ولكنى أسألك لتجيبني بما يفتح الله به عليك أنت مما يناسب زماننا الذى خلقنا نحن فيه . فقلت : اعلم أيها الأخ الفاضل أن الله عز وجل خلق أرباب القلوب وجعل بعضهم كالشيخ الدباغ من الطبقة التي لم تتعلم ، والسبب في ذلك رحمته بالعباد ، فإن المسلمين لما كرهوا العلوم وحرموها وطردها أهل العلم فذهبوا إلى أوروبا وهو سبحانه وعد ، ووعدته حتى إذا قال « ورحمى وسمت كل شيء » فلم يشأ

أن يذره بلا علم لأن الإنسان هو الحيوان الناطق . فقال لهم : [ يا عبادي أتم كرهتم الفكريين والعقلاء الذين يجتهدون بعقولهم ، فأنا أرسلت لكم من ينطقون بالعلم بلا كلفة ولكني عدل ولم أخلقكم في الأرض ليكون علمكم بلا مشقة . إن العلم الذي يعطى للإنسان بلا مشقة لا فضل فيه له ، وكل ما كسبه الإنسان بنصبه وتعبه كان كالأله ، وكل ما أعطى له بلا مشقة ولا نصب كان أشبه بالمال الذي يرثه الولد عن أبيه ، فهو لا يعرف له قيمة ولا وزنا .

فهؤلاء الصالحون بنهم الله فيهم ، فمنهم الصادقون وهم قليل جدا وأكثرهم يعيشون ممتعين بالراحة على نفقة هؤلاء الجهلاء ، وقد جعلوا الدين شبكة يصطادون بها حطام الدنيا ، وهم هم الذين يساعدون القرنجة في إذلال الشعوب ، ومثلهم بعض أمراء الإسلام ، فهاتنا ثلاث طوائف : بعض رجال العلم والتصوف وبعض الأمراء والمستعمرون ، فهؤلاء هم الذين يحبون أن يبقى المسلمون في الذل والجهل ليعيشوا معالي حسابهم ومن كد أيديهم ، وهذه الطوائف الثلاث كالعنكبوت تصطاد الذباب بالشبكات ، فالذباب هم جهال المسلمين والعنكبوت الصائد هم المستعمرون وبعض أمراء الإسلام وأكثر رجال التصوف وأهل العلم الذين يعملون لإرضاء المستعمرين .

فإذا خلق الله أمثال الشيخ عبد العزيز الدباغ وأنطقه بالحكمة التي فوق متناول عقول أهل الأرض فذلك لحكم :

(أولا) أن هذا الشيخ لم يقرأ مثلهم ، وليس فيلسوفا ولا حكما حتى يكفروه فهذا به يأتسون وهذه رحمة بهم .

(ثانيا) هو ينطق بالعلوم المدهشة التي يقف أكبر حكماء أممها حائرا لعلوها وهذا يجعل أولئك الجهلاء مصدقين بالدين الإسلامي فيسكون أرباب القلوب إذ ذلك أشبه بأوتاد وجبال ، فكما أن الأوتاد تحفظ الحيام من أن تزعزعها الرياح ، والجبال تحفظ الأرض من أن تميد ، هكذا أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الحواص ومن على شاكلتهم بنهم الله في الأرض كما بثت الجبال الرواسي فثبتوا قلوب آباينا علماء وجهلاء وثبتت العقائد ، وآمن الناس واستأنوا في الدين استانة حفظته من الضياع حتى سلموه إلينا .

ولادين في الأرض يبقى بلا دعاء ، وهذه التصراية لولا جميعات المبشرين (الذين يملكون من المال مئات الملايين ويجمعونه من سائر الأقطار ، وهم زلزوا عقائد بعض المسلمين) لم يبق لها وجود ، والدين الإسلامي لاجمعيات له والله يريد بقاءه كما وعد ، فخلق هؤلاء الذين هم أرباب القلوب فنطقوا بالحكمة التي تجرى على ألسنتهم كما ينطق النومون (بالفتح) تنوعا مغناطيسيا ، وهؤلاء وهؤلاء يشاهدون عوالم لم نشاهدها نحن في أجسامنا هذه ، غاية الأمر أن أرباب القلوب من المسلمين وصلوا لذلك بأنوار بصائرهم والنومون (بالفتح) وصلوا لذلك بطرق صناعية ، والأولون أرقى منهم ، والعوالم كلها في يد الله وهو الذي فعل ذلك رحمة بآبائنا لحفظ هذا الدين ثم وصل إلينا فنظرنا فيه وفرحنا بنعمة الله .

## حكم أرباب القلوب

(كالشيخ عبد العزيز الدباغ) وتفسير الجواهر

كلاهما من مصداق قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب » الخ، وقوله أيضا في السورة السابقة « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد »

فقال الأستاذ : إن في الأمر لعموضا فأرجو إيضاحه حتى أفهمه فقلت له : ماذا قال الشيخ عبد العزيز الدباغ ألم يقل إن كون تكبير الركعة الأولى في العيد سبعا وفي الثانية ستا يرجع إلى مشاهدة عجائب السموات السبع والأرضين السبع في كل تكبيرة سماء وأرض من تلك الأرضين والسموات، قال بلى . قلت ألم يرجع هو رحمه الله تكبيرات الركعة الثانية الست إلى مشاهدة المخلوقات التي خلقت فوق الأرض في كل يوم عالم من العوالم كالذي تقدم في علم طبقات الأرض إجمالا موضحا بالصور الفوتوغرافية في السورة السابقة . قال بلى والله قلت رجح كلامه في تكبير الركعتين إلى عجائب السموات والأرضين في الركعة الأولى وإلى ما كان عليهما في مبدأ الخلق في الثانية ، ولما كانت الأمم تعرف السبع والست وأن الأولى سموات وأرضون والثانية أيام أنزل هو التكبيرات على ذلك بإلهام من الله تعالى :

ومعلوم أن عوالم الأثير الذي لا وزن له قد قرر علماء عصرنا أنه عالم أثقل من الذهب والحديد بما لا حد له كما تقدم في أول (سورة الصافات) وإن لم يكن مادة ، وإذا كان الذهب أثقل من مقدار حجمه من الماء نحو ١٩ مرة . فإن اللبم الواحد من هذا الجو أثقل من ألف طن كما تقدم في أول (سورة الصافات) ثقلا ماديا فافترأه هناك مفصلا . فالسموات السبع والأرضون السبع اقتصر عليهما لأن الناس لم يسمعوا إلا بها ولكن من زماننا ظهر أن الهجرة فيها عشرة آلاف مليون أرض ، وكم في الكون من ملايين المجرات إذن هذا ما هو إلا قول على مقدار ما يفهم السامعون .

ثم قلت : انظر زادك الله علما ، وشرح صدورنا وصدور العلماء في الإسلام لانتقاد هذه الأمة المسكين من الجهالة ، أفلمت تراه لما سئل في التكبير ثلاثا إثر خمس عشرة فريضة من ظهر يوم النحر إلى صبح اليوم الرابع ، قسم أطوار خلق الإنسان إلى ثلاثة أقسام : فجعل أطوار النطفة والعلقة والمضغة قسما ثم عام التصوير والحسن والجمال والكمال وانتشار الروح فيه وحياته قسما ، وهلاكه وفساد صورته ورجوعه ترابا قسما وجعل كل قسم لتكبير من التكبيرات الثلاث . قال بلى . قلت : ثم إنه لما أتم ذلك أتى بالمقصود الحقيقي ، وأبان أن ذلك ليس هو كل شيء وإنما هو ضرب أمثال . فقال : « إن المفتوح عليه يشاهد من باهر قدرته تعالى مالا يكيف ، وكم من عجائب لله تعالى في مخلوقاته فإذا حصل للمفتوح عليه ما أوجب تغييره أو قبضه أو نحو ذلك نظر إليها فيحصل له من التوحيد والاعتبار وعو ما نزل به مالا يكيف .

ثم قال : وعلى وجه الأرض عجائب لو شاهدها أرباب الأدلة والبراهين ما احتاجوا إلى دليل من تلك العجائب الخ » .

أفلا تعجب معنى من هذا المقال ! أليس هذا هو عين ما قلته في هذا التفسير مرارا : « إن العبادات يقصد بها فتح باب العلوم » .

ومن أعجب العجب أن يقول في التكبير « إنه يقصد به التفكير في السموات والأرض وما خلق عليها »

وهذا هو تفسير قول الصلي « ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد » الخ وعين أذكاره في ركوعه وسجوده إذ يذكر السمع والبصر الخ . إذن هذا سر أظهره الله في أيامنا هذه ، بل ألا تعجب من أنك أنت سألت هذا السؤال أيها الدكي . فقال وكيف ذلك ؟ قلت إن هذا المقال كله تفسير لآية « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » فأما الآفاق فهو ما ذكره الشيخ الدباغ من السموات والأرض في تكبيرات العبد ، وأما الأنفس فهو ما ذكره رحمه الله في تكبيرات أيام التشريق في (١٥) فريضة، إذن هذا كله تفسير لآية « سترهم آياتنا » الخ في السورة السابقة .

وإنما أبرزه الله على ألسنة هؤلاء الذين يخفون في زمن اضمحلال العلم وشيوع الجهل ليكون ذخيرة للمسلمين يقرءونه وهم معجبون فيؤمنون كما تقدم ، ولكمهم لطردهم العلماء وفرحهم بالجهل يكف الصالحون منهم على العبادة ويذرون عقولهم تتخبط في ديجور الظلام .

إذا ما لم تكن إبل فعزى كأن قرون جلتها العصي

ويكتفون بأنوار الصلاح مع حرمانهم من أنوار العلوم . وغاية الأمر أن أناسا منهم يفتح عليهم وهؤلاء قليل نفعهم للأمة ونحن جثنا في الأرض ليكون بيننا رابطة ودية ، ولن تتم تلك الرابطة بيننا إلا بأن نعرف العلوم التي بها الله في أرضنا بعقولنا ، وهذا هو مقصد القرآن ، أما الفتح فأمر آخر يختص بالإنسان نفسه والسعادة الحقيقية في إسماع الأمة ولاسعادة لها إلا بتعميم التعليم ، ولن يكون ذلك إلا بالعلم والفهم والجري على سنة الله في أرضنا . إذن أرباب القلوب :

(١) نفعوا القدياء بالإيمان بسبب مشاهدتهم ، ولكن هؤلاء الأتباع لاعلم عندهم وعقولهم تقف عند حد خاص لأنهم يرون جميع علماء الإسلام جهلاء ، فالنقمة والأصول ونحوها كلها لا فائدة منها وهكذا التفسير ، إذ تفسير هذه انطائفة فوق طاقة الفسرين .

(٢) ونفعوا الذين في زماننا وهم قراء أمثال هذا التفسير . ذلك أن قراءه في أقطار الإسلام سيكونون جميعا على مشرب واحد لأنهم يحبون معرفة العوالم العلوية والسفلية ، ويرون حكم الله في كل ماجل ودق ، ويفرحون فرحا لاجد له ، ويرقون رقيا لا أعرف أنا منهاه الآن ، فيكون الشافعي والحنفي والحنبلي والزيدى والسالكى والجمفرى وكل شيعى على سنن واحد في حب ربهم وحب الأمة الإسلامية وحب العلوم ، ويرون هذا الحلاف البسيط في عدد الركعات أو التكبيرات أو نحو ذلك أمرا سهلا عمليا ويتجلى لهم الجمال في كل هذه الدنيا ويزدرون تلك العداوات في القرون المتأخرة الناشئة من الجهل بنظام الله تعالى في العوالم كلها . فهؤلاء سيذبحون ما في هذا التفسير من العلوم بين أمم الإسلام قاطبة . وهناك يقابلهم طوائف من العباد والنسك وتلاميذ صغار مشايخ الطرق ، فيقولون لهم إن هذه العلوم التي في هذا التفسير ما هي إلا بدعة ولم ترد عن المتقدمين فيقولون لهم أرايتم إن أعظم أمرها أمثال الشيخ الدباغ والشيخ الخواص فماذا تصنعون ؟ فهناك يخضعون ويكون ما تقدم من كلام الشيخ الدباغ حجة عليهم ، ومتى سمعوه يقرون بأنهم جهلاء وأنهم يجب عليهم أن يتعلموا ، وغاية الأمر أن الأغبياء منهم يقولون هذا أمر لا يصح إلا بالفتح ، فيرد عليهم بما تقدم في سورة الحج بما نقلته أنا في هذا التفسير عنه نفسه وهو أن الفتح ليس مقصودا بل الحجاب لأكثر الناس خير منه . فقال الأستاذ: حقيقة أنا قرأت هذا في تلك السورة منقولا عنه .

قلت : إذن ملخص كلام الشيخ الدباغ تفسير لهذه الآية وهو مقدمة جعلها الله محزونة في الكتب

حتى ظهر تفسير الجواهر وأمثاله في زماننا موافق شرحه طبقته . ذلك ليأس بهذا الكتاب جميع أفراد الأمة وأكثرهم أتباع مشايخ الصوفية ، وهؤلاء متى عرفوا أن ذلك أهم مقصود الصوفية فرحوا به وأحبوه وتعلموا العلوم بعقولهم . وإذن لا يكون هناك تعطيل لعقول المسلمين كما كان في القرون المتأخرة ، إذن لم يبق إلا أن أذكر معنى (ص) في كلام الشيخ الدباج .

ثم إن مقاله في معنى (ص) وغيرها فكله على هذا النمط ، فهو للأمة الإسلامية الجاهلة في القرون المتأخرة إيمان وثبات عقيدة وللأمة الإسلامية المستقبلية المستنيرة بصائر ونور إذ يعرفون أن كلامهم هو إجمال لعلوم الأنس والآفاق ، وأمثال هذا التفسير تفصيل يدركه العقل ، وترى الأمة الإسلامية المستقبلية والحاضرة التي قرأت هذا الكتاب وهو (تفسير الجواهر) أن هذا ليس بدعا بل أرباب القلوب قد ألمعوا إلى ما فيه وأتوا برموز وإشارات . فهم في المسلمين أشبه بحروف أول السور في القرآن . فسكنا أن حروف أول السور مفاتيح لعلوم تلك السور ، وقد فتح الله في هذا التفسير في معاني هذه الحروف بما أرادته على مقدار طاقة المؤلف وطاقة الأمم الإسلامية . هكذا جاء أولئك الصالحون وكأنتهم رموز وكلامهم رموز قد حفظها المسلمون ولم يدركوا مقصودهم ، فجاء أهل عصرنا وقرأوا أمثال (كتاب الجواهر) فأدركوا التفصيل وهذا معناه أن تتصل الأمة سلفها وخلفها ، فالسلف الأول وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم بالشرعية والعلوم الإسلامية وخلفهم الجهلاء في القرون المتأخرة بالرموز والإشارات وكلام أرباب القلوب والمسلمون بعدنا بالعلم والحكمة وظهورهم في الأمم المستقبلية وسعادتهم أولا وإسعادهم لأهل الأرض ثانيا . وكل ذلك مع حبهم لربهم وخدمتهم للإنسانية العامة .

ولا جرم أن المعاني التي ذكرها الشيخ الدباج في معنى (ص) لم تخرج عن آيات الله في الأنس . وإذا رأيناه في التكبير وراء الصلوات أيام التشريق الثلاثة من أول ظهور يوم النحر برجمها هو إلى أحوال الأنس من حيث حياتها الجسمية في الرحم وفي الدنيا وفي حال الموت وجعلها من العجائب والغرائب . فها هو ذا معنى (ص) يقول «إنها تشير إلى الخلاء الخ» .

ومعنى هذا أننا نحن في الأرض اليوم متفقون بحسب الظاهر في الحيوانية والناطقة . وإنما نأكل ونشرب ونلبس . والحقيقة أننا الآن أشبه بقوم في أحلام ، فإذا رأيت جماعة في مجلس وهم يتحدثون فظاهرهم واحد ، ولكن الحقيقة أن أحدهم بين جنبه نار ، والآخر بين جنبه نار أخرى ، وثالث في قلبه مسرة ، ورابع في قلبه مسرة أخرى وهكذا ، فهم إذن أشبه بالنايمين . فهذا يحلم حلما مفرعا والآخر يحلم بحلم يرى أنه لابس تاج ملك ، أو أن عروسا تزف إليه . فإذا تشابه النايمان أجساما واختلفا نفوسا من حيث المسرة والمساءة . فهكذا هؤلاء الجالسون المتشابهون في مجلس واحد أكثرهم في نصب وتعب وشقاء في الحياة الدنيا والآخرة ، ولا شقاء هناك إلا من الشقاء هنا ، لأن من يملك قطارا من الذهب في غاية الحزن لأنه لا يملك قطارين ، وهذا ظاهر واضح . إذن هذه الحياة أشبه بنار جهنم ولكن الناس لا يعلمون أنهم في تلك النار الجهنمية ، فهي وإن لم تكن نارا ظاهرة فهي عذاب شديد ونحن لأنحس به ولا نظن أنه عذاب .

هذا معنى كلامه . ومثل ما قلنا في الشقاوة تقول في السعادة . فالسعيد أقوام تخلت نفوسهم عن الطمع والحسد والعقل . وهؤلاء يعيشون بيننا ولكن الناس حولهم لا يعرفون سعادتهم وصفاءهم وهم بين ظهرانينا ، إذن هذه الأنس فيها عذابها الآن ونعيمها الآن . وينبوع العذاب والنعيم هذه الأنس الإنسانية في الأرض والله هو المتجلى على الجميع . وكأن الناس اليوم واقفون أمام ربهم والله سبحانه يعذب ويرحم كل نفس بما أودعه فيها والوقوف يوم القيامة تابع للوقوف في الدنيا .





## جمال العلم وبهجة الحكمة

هاهنا قال صديقي : هل تأذن لي أن أسأل سؤالين يلذ لي وللمسلمين الإجابة عليهما ، فهذا المقام وإن طال فإن القول فيه جميل والحكمة بهجة والسعادة ترفرف بأجنحتها على هذه الأمة الإسلامية بإظهار هذه الحكمة التي كانت خافية على العقول ولم تسكن إلا رموزاً ، والدين يسر والقرآن شفاء ، والله يقول « ثم إن علينا بيانه » ويقول « وبريكم آياته » ويقول « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وإذا كان تبيان أن القرآن حق لا يكون إلا باليقين . فأذن أن أطلب منك الإجابة على السؤالين الآتيين فما طلبت إلا اليقين الذي وعد الله أن ينشره في المسلمين ، وقد صدق الله وعده في زماننا وجاء اليقين لا سيما في هذا التفسير ، فعلى بعد هذا البيان أحظي بأن تأذن لي بإيراد هذين السؤالين . فقلت جبا وكرامة . فقال :

( ١ ) أولاً إن ما أوردتموه في تفسير كلام الشيخ الدباغ من حيث إن العجائب الكونية وأنواع الجمال تعرف الناس أن هناك جنة وأن هناك ناراً يحتاج إلى إيضاح أو في وعلم أوسع ، فلقد ذكرت أمثال الذباب والقاذورات وأمثال الصقور والرمم وأمثال البهائم والمزارع من حيث اختلاف الأغذية باختلاف المغذيات . وفي المقام طول . والاستنتاج يعوزه العقول المتأخرة . فنحن في حاجة إلى برهان يسهل على كل قراء هذا التفسير .

( ٢ ) ثانياً إن السلام في العفونات والرطوبات وما يقابلها من الشهوات يعوزها زيادة إيضاح وبيان أتم من حيث الحكمة بحيث يكون بانضمامه إلى ما تقدم كافياً وافياً لإشباع هذه النفوس المشربثة للحكمة في بلاد الإسلام .

قلت نعم أبين هنا عجايب آخر وهو اختلاف النبات ورقاً وزهراً وعمراً . إن في اختلاف النبات ثماراً وروائح وطعوماً وجمالاً وصغراً وكبراً لعمراً تفتح لنا باب العقول على مصراعيه . ألم تر أن معلوماتنا وعقولنا وعواطفنا تربي في معاهد ومدارس مخلوقات في داخل أجسامنا . وتلك للدارس والمعاهد الداخلة في نفوسنا تشبه من وجه المصانع والمعامل التي وزعت على فئاتنا الهضمية واختلفت باختلاف مناطقها . ففي الدم ترى ستة أنهر جعات لهضم المواد النشوية ، وهناك ترى غدة البنكرياس وغدة الصفراء وعصارات المعدة والأمعاء وحركات القبض والبسط لأعضاء الهضم ، فهذه في هذه الأغذية المادية التي يتعاطاها الإنسان التي يمكنك أيها الذكي الرجوع إلى دراستها ككرة أخرى في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند قوله تعالى « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً » الخ وترى أشكالها مرسومة تسر قلبك بالتمقل وروحك بالفهم وجليديك بالأنس . فهذه هي التي شبهنا بها المدارس والمعاهد الموزعات في مناطق عقولنا المرسومات في مخنا فهذه إذا وردت لها علوم إما بواسطة الحواس كالبصر والشم والتذوق ؛ وإما بواسطة كلام محمول في الهواء داخل في الصباغ دال على نفس تلك المعاني المنقولة بتلك الحواس مباشرة ، فإن تلك المعاهد التي شبهناها بمناطق القناة الهضمية تتلقاها ، وكل معهد من معاهد المخ يعمل في تلك المعاني عمله ، فعمل مجمع تلك المعلومات جمعاً كأنه مخزن الرسوم وهو الحس المشترك ، ومعمل لتحليل والتراكيب كالمعامل الكيميائية في المدارس وهي القوة الخبيلة ، ومعمل لإصدار الأحكام وهي القوة المفكرة ، ومعمل جعل لجزء الحفظ ، وهناك آخر جعل للتذكير وهي « الذاكرة » . وهناك معمل جعل لإبراز آثار ما كمن في تلك المعاهد كلها بهيئة ظاهرة غير

خافية ، فهو بصور ما يحويه تلك المعاهد كلها ويظهر للعالم الخارجي بحيث يستبين للناس أن وراء هذا المعهد معاهد جمعت صوراً لكل ماهو ظاهر للناس في أقطار الأرض ، وهذا المعهد الأخير هو اللسان ، فهو يعبر عن تلك القوى كلها ويبرزها بهيئة حروف ، فهو يعبر عن كل مافي خزانة الخيال والحس المشترك والقوة المفكرة إلى آخره ، فهذه هي المعاهد أو المعامل التي في نفوسنا الموزعات على مناطق أدمغتنا المطابقات للمعالم الخارجية المشابهة كل المشابهة لمعامل المناطق الهضمية المشروحة سابقاً .

إذا صح هذا فنقول : إذن هنا تربية للمعلومات في نفوسنا تربية حقيقية كما ربينا الغذاء في القناة الهضمية فخرجت ثمرة الغذاء بعد الهضم على مقتضى القناة الهضمية من ضعف وقوة وإجادة وإعمال ، وأى فرق بين نتيجة الغذاء من حيث الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والجمال والقبح ، والدكاء والبلادة ، التي ترتبت جميعها على هيئة الغذاء الذي ربيناه وهذبناه بآلاتنا في معاملنا الموزعات على مناطق قناتنا الهضمية وبين علومنا ومعارفنا التي ربيناها في مناطق مخنا وترعرعت وشبت وبلغت أشدها وصارت فنية قوية ، كل ذلك بما لنا من معاهد قائمة في مناطق أدمغتنا ، فمنها معهد لجمعها ، ومعهد لتحليلها وتركيبها ، ومعهد لاصطفاء ماهو أجمل ، ومعهد هو خزانة لما ينبغي بقاءه ، ومعهد هو دار لتكرير ما نحن في حاجة إليه ، ومعهد لنشر ما في الخارج ، إن في الدماغ لأماكن لعلوم اللغات ومناطق للعلوم الرياضية وأخرى للطبيعة وهكذا ، ولو أن منطقة من هذه أصابها العطب ، وحل بها الوصب ، وزلت بها السكوارث ، وانتابها الخطوب انتعلت تلك المنافع المترتبة عليها ورسب في الامتحان تلاميذ معاهدها ، فلا ترى ذلك الإنسان بحسن أن بعد الآحاد فضلاً عن العشرات ، فضلاً عن الطرح والقسمة والضرب إذا اضمحلت مناطق علوم الرياضة من الدماغ كانتكون الأمة الأمية لا علم لها بالحساب إذ لم يكن فيها علماء به ، وعلى هذا نقس ، فالنتيجة أن المعارف تربي في نفوسنا تربية منتظمة وتنتجها تكون على مقتضى مناطق تربيتنا لها في عقولنا كما كانت تنتج الأغذية تابعة لمناطق القناة الهضمية سواء بسواء .

هذا ، ولا جرم أن هذا عين ما يكون في النبات . فزهرة وورقه وأغماره تابعة لتلك المعامل الكامنة في باطنه ؛ فللنبات معامل في داخله تربي فيها جراثيم الأزهار والأنوار والأوراق والثمار وتكون الثمار الناتجة تابعة لمزاج ذلك النبات في الداخل ، فيكون حلوا ومرًا وعفصا وحريفاً ومسهلاً وقابضاً ومغذياً ومنعشاً ورديثاً وحسباً وذا رائحة جميلة ورائحة غير جميلة وسامواشافيا ومسكناومخدرا وهكذا من الصفات والأحوال المختلفة ، إذن عندنا ( ثلاثة أنواع ) من المناطق ( النوع الأول ) القناة الهضمية في كل حيوان ( النوع الثاني ) المناطق التي في النبات ، ولا جرم أن هذين النوعين من واد واحد ، لأن النبات والحيوان في هذا المعنى متشابهان ، لأن في كل منهما مناطق هضم واختلفت ظواهرها واتحدت وجهتها ( النوع الثالث ) مناطق الفهم في الدماغ اللاتي فيها تربي العلوم ، وهذه تحذو حذو القسمين الأولين في أن النتائج لا تعدو للقدمات ، وهاها أن أن نظهر نتيجه هذا كله فنقول :

المعارف والآراء والمواظف التي رزقها الإنسان في هذه الحياة تكون نتائجها تابعة لما أدته مصانع عقله ومعامل ذهنه كما تعمل قناته الهضمية وكما يكون ثمر النبات . أليس هذا هو البرهان اليقيني على الجنة والنار وما هي الجنة ؟ ، وما هي النار ؟ ألم تقدم أنهما يرجعان لكل محبوب ولكل مكروه مهما كانت هيئته ، ألم تر أن ثمرات النبات تختلف مموماً وأغذية . قال صاحبي بلى ، وحلاوة وحموضة . قال بلى وربى . قلت : وأحدهما محبوب والثاني مكروه . قال بلى . قلت فأحدهما يمثل الجنة وثانيهما يمثل النار . ومعنى هذا أن جهاد النبات في معاملة الداخلية أنتج ماهو محبوب لناوما هو مكروه على حسب الصانع التي تربت فيها الثمرات ،

هكذا جهاد الإنسان في معاملة الداخلة أنتج ما هو محبوب له ومكروه على حسب تلك المصانع إن خيرا غير وإن شرا فشر ، وإذا كانت علومنا ومعارفنا ما هي إلا نتائج معامتنا الداخلية مادمتنا في هذا الجسم ، وإذا نبذناه وألقيناه شاهدنا النتائج عاقبة بأرواحنا ظاهرة في نفوسنا ، نراها رأى العين ، فهذا نظير ما إذا درسنا القمح وضرته وغربله فألقيناه جبا لا تبين معه ولا طين ، ويكون الحب نتيجة لذلك الزرع شرفا وضمة كما أن عواطفنا وعلومنا نتأجج مصانعنا شرفا وضمة وصحة ومرضا .

وإذا كان لكل نبات ثمرات لها مصالح تتبعها ، فمن الجهول والغباوة أن تقول إن هذا الإنسان وعقله وعواطفه التي رباها في نفسه لا نتيجة لها ، أليس من الغفلة أن نعرف أن الإنسان والحيوان والنبات كلها أجسام نامية؟ ثم إننا نعلم علم اليقين أن ثمرات النبات تتأجج تختلف باختلاف مزاجه وشكر ذلك في نوع آخر من أنواع الناميات وهو الإنسان . وإذا كان حب النبات يبقى متميزا بعد تمام تربيته وهلاك زرعه فكيف لا يبقى نظيره في الإنسان بعد فناء جسمه ، فإذا رأينا جبا اختلف غذاء ودواء وسما بعد تحليل ماترته فيه وهلاكه هكذا نحكم بأن هناك علوما ومعارف وعواطف وأخلاقا تبقى بعد فناء الجسم وتفرق عناصره وتبدده في العراء .

أولا بكفيك هذا أيها التكي في شرح ما قاله الشيخ الديب بقدر الإمكان ، في أن العجائب في هذه الدنيا تعرفنا الجنة والنار ، فقال والله لا أقدر أن أقول كعنتي في هذا الحسب ، ولكني أقول إنها كفتني وحدها في قرله تعالى « ثم إن علينا بيانه » وفي قوله « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » ولو لم يكن بيان سوى ما قلتموه الآن لسكفي . ولقد تجلت لفسى الآن معان في هذا المقام ، ذلك أن هذا الذي ذكرتموه هو عينه تفسير آية « إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » فهذه الآية أثناء شرحك المسهب الجزل كانت ترد على خاطري وأراه شرحا لها . فقلت : هذا إلهام ألقاه الله على قلبك وأنا أفرك عليه لأن ذكر خروج الثمرات من الأكمام بعد ذكر علم الساعة أشبه بذكر الدليل بعد للدلول أو الحججة بعد الدعوى . فقال : إذن أرجو الإجابة على السؤال الثاني . فقلت اعلم أن الحكمة عامة في المقام المتقدم والذي سنذكره ، فكما أن نتائج الزروع وحبوبها محتلفات اختلاف أصولها بحيث لا يستوى الشجر الرمذاقته والشجر الحلو طعم ثمرته كالحنظل والنخل ، ولم تر من العقلاء من نفر من هذا النظام ، بل جميع نوع الإنسان مقر بفضله معترف بكاله فرح بيهجته ، لا فرق بين جاهلهم وعالمهم ، وناجهم وخاملهم ، فكل هؤلاء وهؤلاء يرون أن نتائج الزروع والأشجار كمال من حيث المناقضات فمنها المغذى والسهل والخدر والمنعش والسام المهلك الخ .

فإذا صح ذلك فيما نراه ، فهكذا يسوغ فيما لا نراه من نتائج العقول الإنسانية ، فإذا تجردت أرواحنا وآنت نفوسا اختلفت أوصافها اختلاف ثمر الزرع ، فكان منها من هو أحق بأن يكون مع الملائ الأعلى ومن هو أخرى بأن يكون مع الشياطين في جهنم تبعالحواس نفوسهم وأمزجة عواطفهم ، فإنها تأنس بذلك الاختلاف ولا تفرق بينه وبين اختلاف الحنظل والتمر من حيث إنه نظام حسن .

أقول : فإذا صح هذا في نتائج الزروع والعقول به مطمئنة في ثمرات النبات في الدنيا وفي ثمرات النفوس في الآخرة ، هكذا فنقل في شهوات النفوس وأخلاقها الغضبية : إن هذه القوى السكمنة في نفوسنا اللاصقة بها المهيجة للأعمال الحيوانية والبهيمية والسبعية إذا تجردت الروح من الجسم بعد الموت وجب هناك أن لا تكون معطلة ، وإذا كنا نشاهد العفونات والجراثيم التي تجلج وجه بعض الأرض ، وكذلك الرمم اللقاة فيها لم تعطل بل كان لها من المخلوقات الحية ما قام بأكلها فتغذى بها رحمة :

- (١) بالأحياء من الحيوانات لئلا يهلكها الهواء الفاسد .  
 (٢) ورحمة بالحشرات لأنها تتغذى به .  
 (٣) وإظهارا للحكمة القائلة : (إنه لامعطل في الوجود) .

فهذه العفونات وهذه الرمم بعد أن كانت مصدر الوباء أو معطلة لافائدة منها أصبحت رحمة للحشرات التي تأكلها ، فهكذا نحكم على خصال الشر الشهوية الباقية في نفوس الناس بعد الموت ومثلها خصال الشر الغضبية كالبغي والسرقة ونحوها ، فهذه تعيش بها تلك النفوس التي أشربت حبها ، فهي على وزن نظائرها من قاذورات الأرض تعيش بها أرواح ألفتها بعد الموت كما عاشت بنظائرها في الأرض أشباح لازمتها فيحصل هنا :

(١) أنه لامعطل في الوجود .

(٢) وأن الشر يشتق منه الخير .

وما الخير هنا إلا بقاء تلك النفوس بسبب بقاء تلك الشهوات ممثلة في أفكارها ، ولو أزيلت تلك الأفكار الناقصة من تلك الأرواح لم يكن وجود ، ولا وجود لروح إلا بما يقوتها من الآراء والعواطف كما لا تعيش الأجسام إلا بما يقوتها من أغذيتها ، وهذه ليس لديها من الآراء الشريفة ما به تعيش ، وليس لديها إلا تلك الآراء الرديئة التي اعتادتها في الحياة الدنيا . فهذه الآراء تعيش تلك النفوس ولا مقر لها إلا في جهنم فهم معذبون بتلك الحال ، فها هنا رحمة عامة «ورحمق وسعت كل شيء» وها هنا أيضا عذاب ، فالعذاب هنا راقفته الحكمة والرحمة ، فحياتها في نفسها رحمة .

(١) بدليل أننا إذا قلنا لتلك النفوس في جهنم أترضين بالموت فإنها تقول لا .

(٢) وهي حكمة لأنها أنتجت من شرور النفوس حياة لها كما يعيش الدود في القاذورات والقيران في المراحض .

(٣) وذلك من عجائب النظام المفيد أنه لامعطل في الوجود .

فكما أن الله لم يعطل القاذورات في الأرض ولا الرمم بل اشتق من شرها خيرا ، هكذا لم يعطل الشهوات المفروسات في النفوس بل جعلها غذاء لها بعد الموت لأنها لا تعيش بغيرها كما لا يعيش الثباب بغير القاذورات .

هذه هي الحكمة البديعة ، والآية الطريفة ، والحكمة العالية . اللهم إنا نحمدك حمدا جزيلا ونشكرك شكرا كثيرا . لقد أربتنا ونحن في هذه الدنيا محبوسون ممنوعون من الاطلاع على الحقائق . إن في مزارعنا وحيواننا من العلم ما به نعرف أن هناك نارا وأن هناك جنة . وأن تلك النيران وتلك الجنان لوازم لما زاوله تلك الأرواح في هذه الحياة من الأعمال مع حكم أخرى شرحناها ، وعجائب كبرى بيناها . فالحمد لك في الأولى والآخرة ، ولك الشكر والفضل العظيم . كتب بعد صلاة يوم الجمعة ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ م . وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الخامسة من اللطائف العامة ، والحمد لله رب العالمين .

## فذلكة: في قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم»

آثار القرآن لا سيما سورة الشورى في أمم الأرض

أولا انظر أيها الذي ما تقدم في (سورة البقرة) عند الكلام على قوله تعالى «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» ترى النظام العام في العلوم الواجبة على أمة الإسلام، وفي (سورة النساء) عند آية «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» فهذه الآية ونحوها من آيات الشهادة «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم» الخ وهكذا فيها ذكر الخلافة الإسلامية والعدل، وكيف كان قائما، وكيف عدل قوم وظلم آخرون، وهكذا في (سورة المائدة) ذكر العلوم الواجبة أيضا، وفي (سورة التوبة) بيان أن قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والزهاد لياكلون أموال الناس بالباطل» الخ. كان إيقاظا للمسلمين أن يكونوا سببا في إظهار أحكام الإسلام للأمم ليقوم العدل في بلادهم، وهناك ترى شهادة سيدة أوروبية أسلمت تقول: [إن فولتير وروسو اللذين كانا سبب الثورة الفرنسية لم يتعلما ما كتباه إلا من آراء ابن رشد وعلماء الإسلام وهناك تقرأ مظلّم رجال الدين المسيحي في أوروبا واضحة مهينة للشعوب، وفي (سورة النحل) تقرأ نظام الدولة في آية «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» وفي (سورة الإسراء) تقرأ في أوائلها كيف حاد بعض ملوك الدولة الإسلامية في الأندلس ونحوها عن جادة الصراط السوي فذلوا، وفي (سورة الكهف) تقرأ عند آية «وما كنت متخذ المضلين عضدا» كيف ظهرت في الإسلام طوائف حرمت انتشار التعليم، وكيف ظهر قوم من الفرس ألهمهم ظهور مجد العرب بالإسلام، فسكادوا للمسلمين كيدا عظيما، وكيف حرم حسن ابن الصباح على أتباعه حرية الفكر والتعليم، وكيف كان كثير من رجال الصوفية يفعلون فعل ابن الصباح، وأوروبا اليوم تنهج مع المسلمين هذا النهج عينه، وتقرأ في (سورة النمل) بمناسبة آية «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها» الخ مع آية «فذلك بيوتهم حاوية بما ظلموا» فذلك عن ظلم الأمم المتأخرة الإسلامية، وكيف كان ذلك سببا لهلاكهم، وتقرأ في (سورة القصص) عند آية «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض» كيف هلك الظالمون ونصر الضعفاء، وفي (سورة سبأ) عند آية المحاورة بين الضعفاء والذين استكبروا قصة (محمد بن تومرت المهدي) وكيف أقام ملكا ولكن لم يدم أكثر من مائة سنة، وبيان منافع الدين الذين ادعوا الهدوية وضررهم، وهناك تبيان القول الفصل في هذا المقام وإظهار الحقائق لأمم الإسلام بعدنا حتى لا يقعوا فيها وقع أولائهم، وهكذا في (سورة المؤمن) نماذج علمية وعملية تتخلل السورة، وقبلها في (سورة الزمر) عند آية «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» الخ نماذج التربية التي أنبتها الأستاذ (كانت) الألماني في كتابه، وبيان أن الأمراء والملوك وحدهم لا يرقون الشعوب، بل يجب على المفكرين أن يجدوا في ذلك كما حصل في ألمانيا:

فإذا اطلعت على ذلك أو أكثر، فانظر الآن في أمر أمم الأرض نظرة إجمالية فإنك لا تجد الشورى ظهرت في أمم الأرض إلا بعد ظهور الإسلام، فانظر أولا في أمر الأمم الإنجليزية، فهؤلاء كانوا أول من فكر في التخلص من ظلم ملوكهم، وتبعهم فرنسا ثم بقية الأمم، وامتدت الحركة إلى أهل آسيا وأمريكا، وزلزات الأرض زلزالها، ومادت عروش، وهلكت جيوش وقامت جمهوريات، وجاءت

الحرب العظمى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ م وظهر هذا التفسير ليوقظ الله المسلمين من سباتهم به وبأمثاله .

فانظر ماذا جرى أولا في انكلترا ، تلك الأمة التي لم تكن في أول أمرها إلا أقواما من الجنس (الساكني) من سكان مقاطعة (برطانية) شمالي غربي فرنسا ، جاءوا إلى الجزيرة لمواجهة لهم وسموها (بريطانيا) باسم بلادهم الأصلية ، ومنها انتقلوا إلى (إيرلنده) وبقي هؤلاء القوم أصحاب الشأن في تلك البلاد إلى أن دخلوا في (الأمبراطورية الرومانية) بعد حروب طويلة بها خضعوا خضوعا تاما حتى اضمحلت (الدولة الرومانية) وتركت البلاد لأهلها ، هنالك أغارت عليهم قبائل الأنجليز والسكسون والجلوت ، وهم كانوا في شمالي ألمانيا ، وكان ذلك في أثناء القرنين الخامس والسادس للمسيحي أي قبيل ظهور الدين الإسلامي بقليل ، فتغلب الفاعحون على أهل البلاد وسموها (أنجلند) أي أرض الأنجليز ، فصارت هنالك ممالك متنافرة .

وفي سنة ١٠٦٦ م أغار على بلادهم (دوق نور منديه) وهزمهم في موقعة هاستنجس ، وتوج ملكا على انكلترا ، وهنالك امتزج النور منديون بالسكان الأصليين فكان هذا الشعب الأنجليزي الحديث الذي يعتبر من ابتداء الفتح (النور مندى) وظهر إذ ذاك لملوك انكلترا شأن في فرنسا بطريق المصاهرة ، ثم كانت حرب المائة سنة التي تمت سنة ١٤٥٣ وبه خرجت انكلترا من فرنسا ، وفي مدة النور منديين المذكورين ظهر الدستور الأنجليزي الذي سقنا الكلام هنا لأجله ، ولم يكن ذلك إلا بآثار الإسلام كما تقدم ووليم الفاتح المتقدم ذكره وإن دخل البلاد فأعاقه خضد من شوكته بعض قوانين للنظام الإقطاعي الذي كان عاما في أوروبا إذ ذاك . ولاحكم (هنري الثاني) في القرن الثالث عشر المسيحي نشأ النظام المعروف بنظام المحلفين وهو أشبه بمبدأ لرقى الشورى في البلاد . ولما تولى جون ابنه قاوم الأشراف ورجال الكنيسة الملك المذكور وحاربوه فاحترم حقوقهم . وهكذا أخذ البرلمان يقوى ويشدد وقتا بعد وقت ، وأخذ يراقب المالية ويحاسب الملوك . .

وفي عهد أسرة (لنكستر) زاد نفوذ البرلمان إلى أن ضعف الملك وقامت حرب سميت (حرب الوردتين) في (١٤٥٥ - ١٤٨٥) إشارة إلى الوردة الحمراء التي كانت شارة بيت (لنكستر) ، والوردة البيضاء التي كانت شارة بيت (يورك) فمات أكثر الأشراف وانتصرت أسرة لنكستر ، وتوج هنري تيودور (دوق تشمند) ملكا على انكلترا باسم (هنري السابع) وبقيت هذه الأسرة من سنة ١٤٨٥ إلى سنة ١٦٠٣ . وفي أثناء هذه المدة ظهرت حركة إحياء العلوم وذلك في زمن (هنري الثامن) في القرن السادس عشر الذي أخذ يقطع العلائق الدينية مع رومة ، وفي هذا القرن ظهر الإصلاح الديني ، هناك أخذ (الدوق سمرست) الذي لقب نفسه (حامي الملكة) إذ كان رئيسا لمجلس الوصاية على (إدورد السادس) بهدم التماثيل والصور من الكنائس ، وألقى الصلاة اللاتينية ، وأخذوا يصلون بالإنجليزية ، وصودرت الأديرة وأملاكها ، وكل ذلك أتباع لمذهب (لوتر) وهو المذهب البروتستنتي ، ذلك المذهب الإصلاحى الذي امتد إلى أوروبا من آثار دين الإسلام كما تقدم .

وارتقى البرلمان والشورى في أيام الينصابات ، تلك الملكة التي كسر جيشها جيش الأسبان وقهرهم ، وفي أيامها أيضا ظهر (شكسبير وبتسون) و (فرنسيس بيكون) .

وقامت بعدها أسرة (استيورت) ومنها شارل الأول سنة ١٦٢٥ إلى سنة ١٦٤٩ ونار البرلمان عليه ففر منهم إلى الشمال ، وأخذ يحاربهم مجنود وهم قابله بالمثل ، ثم أخضعوه وحبسوه ، واتهم البرلمان الملك

بالحيانة وحاكمه ، وأعدموه سنة ١٦٤٩ ، وكان المطاع في البرلمان أقوى رجل فيهم وهو ( أولفر كرمول ) وأصبحت إنكلترا جمهورية ، وهذه هي الحادثة الأولى في العالم الجديد التي بها عرف الناس أن الملوك لاحق لهم في اضطهاد الشعوب ، وأن الشورى هي الحق والعدل ، وهذا صدى صوت هذا الدين الحنيف « وأمرهم شورى بينهم » .

اللهم إنك أنت تحفض وترفع ، أنت رفعت العرب الأولين بالشورى ، ولما قصروا فيها بعثنا إلى أوروبا فانتهمت الحال بقتل ( شارل الأول ) ملكهم أي ملك الإنجليز . كل ذلك سر (سورة الشورى) .  
وبقيت البلاد جمهورية من سنة ١٦٤٩ إلى سنة ١٦٦٠ ثم عينوا شارل الثاني سنة ١٦٦٠ إلى سنة ١٦٨٥ فرجعت ملوكية ولكنهم قيدوها إلى الآن .

وجيمس الثاني من سنة ١٦٨٥ إلى سنة ١٦٨٨ ولكن البرلمان كان يكره هذا الملك فعزله وولى ( ماريه ) وزوجها (وليم) وفرجيمس إلى فرنسا وهانما لم يسفك دم وساد البرلمان في إنكلترا إلى الآن ، وبعد ذلك أصدر البرلمان ( قانون الحقوق ) وهذا القانون بنيت عليه الحرية الإنجليزية وذلك سنة ١٦٨٩ وأعلنوا فيه أن حق الملك في العرش مستمد من إرادة الشعب الممثل في البرلمان ، وأن البرلمان له حق نقل التاج حسب المصلحة ، وبهذا قضوا قضاء مبرما على فكرة « الحق المقدس للملك » وبهذا منع الملك من التدخل في السلطة القضائية ، ومن جمع الجيوش وقت السلم ، ومن جمع الضرائب بدون إذن البرلمان ، هذا كله سر هذه السورة ( الشورى ) .

### فرنسا بعد إنكلترا

قلنا إن سبب الثورة الفرنسية إنما هو ما كتبه فلتير وروسو ، وقلنا إن هذا كما قلنا في سورة التوبة إنما كان بسبب ما قرأوه في كتب المسلمين لاسيما كتب ابن رشد . وأنضج الفكرة عند الفرنسيين ما سبقهم به الإنجليز من قتل ملكهم ( شارل الأول ) وطرد ملك آخر وهو جيمس ، كل ذلك على مرأى ومسمع من فرنسا جارتهم ، فكانت الثورة الفرنسية أشد وأنسى ، فهي على قاعدة: إن كل مجتمع سياسي له حق الدفاع عن نفسه ، فهو يقاوم كل مجتمع يريد بسوء . وهذا الحق إنما يستمد من نفسه لا من حاكمه « وأمرهم شورى بينهم » .

ولقد بدأت حركة الدين فالسياسة في الشعب الفرنسي في النهضة الأوروبية الحديثة التي بها نالوا الحرية الدينية وتبعها الحرية السياسية ، وأشهر الكتاب ( فلتير ) للمقدم ذكره و ( روسو ) . أما فلتير فكان من سنة ١٦٩٤ إلى سنة ١٧٧٨ قهقهم بأسلوبه العجيب بنظام عصره السياسي والديني مناديا بإعادة القديم الذي لا يصلح ، وحارب الكنيسة وامتياز الأشراف وسوء تصرف الملوك وفساد القوانين الجنائية ، فجاء ( جان جاك روسو ) من سنة ١٧١٢ إلى سنة ١٧٧٨ وهو متشبع بروح فلتير ، فألف لهم كتاب [ العقد الاجتماعي ] الذي أبان فيه طرق الانتخاب وأن تنيب الأمة عنها رجالا يتولون شؤونها ، وهذا معناه « وأمرهم شورى بينهم » . وأساس نظريته أن الشعب هو صاحب السلطة الحقيقية ، وأن الحكومة منه تستمد قوتها وسلطانها والتشريع يجب أن يكون بيد الشعب ، وآراء ( روسو ) صارت كأنها إنجيل وكتاب مقدس تسير على مقتضاه زعماء الثورة الفرنسية . وهكذا كتب ( روسو ) في التربية والموسيقى . وهو يميل للرجوع للحال الطبيعية .

وجاء بعده الفيلسوف ( منتسكيو ) فكتب موضحا الدستور الإنجليزي ومزاياه ففتح أذهان الشعب

الفرنسي وعرف مزاي الحرية التي يتمتع بها الانجليز ، ثم فصل السلطات الثلاث بعضها من بعض وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية . فالأولى بيد البرلمان . والثانية بيد الوزراء . والثالثة بيد القضاة . وهؤلاء مستقلون عن السلطتين السابقتين . فمرفوا بذلك فساد حكومتهم إذ كانت هذه السلطات الثلاث في يد فرد واحد وهو الملك . وظهرت حركة إصلاح أخرى في الاقتصاد . فقام أمثال (كسناي) و (ترجوت) وأمثالهما ينقدون طريقة توزيع الضرائب في فرنسا وإرهاق الشعب بها فكسدت التجارة وبارت الصناعة وماتت روح الاختراع ووقمت الجماعات المحلية . وقد كانت فرنسا ثلاث طبقات : الأشراف . ورجال الدين . والشعب . وكانت الحكومة تخص الطبقتين الأوليين بامتيازات لا نصيب للشعب فيها . فكانوا يعفونهم من ضريبة الخراج ومن المكوس ، وكان كل شريف من الأشراف له حق أخذ جزء من محصول الفلاح وإلزامه بطحن غلته في طاحونة وعصر نبيذه في معصرته بأجر عظيم ، وله حق الصيد في حقول الفلاحين وإن لحق الضرر بزراعته ، ووظائف الحكومة خاصة بالأشراف فهم السفراء والقواد والضباط في الجيش ، وللسكنيسة خمس أرض الدولة ولا تدفع عنها ضرائب ، ويجمعون الأعشار من الشعب ، وأكثر ما يجمعونه يدخل جيوب الأساقفة ورؤساء الأديرة . أما الشعب وهو الطبقة الثالثة فكان (٢٥) مليوناً ، والطبقتان المتازتان كانتا (١٧٥) ألفاً .

إن الملك يتصرف كما يشاء ويهوى لا قيد له ، فيجس من يشاء ويطلق سراح من يشاء ويقتل ويعطي ويمنع ، وكان معه برلمان صوري .

ولقد كانت فرنسا عند موت لويس الخامس عشر في سنة ١٧٧٤ على شفا جرف هار من الافلاس بسبب ما خسرت من المال والمستعمرات في الحروب التي أدخلهم فيها لويس المذكور ، فلما تقلد الحكم لويس السادس عشر أراد تخليص فرنسا من الضيق المالي ولكن حاشيته لم تساعد على ذلك مخالفين رأى العالم الاقتصادي (ترجوت) الذي أشار بتقليل تلك الحاشية الملكية التي تأخذ كثيراً من مال الدولة . ولما نشر (نكار) العالم الاقتصادي الذي حل محل (ترجوت) تقريراً عن حال المالية المترسكة بسبب القروض التي اقترضتها الحكومة لمساعدة الولايات المتحدة للانفصال عن حكم انكيترا ، وبسبب ما يصرفه الملك على نفسه وعلى حاشيته عزل الملك (نكار) وولى (كالون) مكانه فقال للملك : يجب أن يرغم الأشراف ورجال الدين على دفع الضرائب وأن تلغى الجمارك الداخلية ، فلم يقبل ذلك منه رجال الدولة ، فعزله الملك ونولى هو تقرير الضرائب بنفسه ، فلم يوافق البرلمان على تلك الضرائب ، وأكرهوا الملك على عقد الجمعية العمومية سنة ١٧٨٩ فرفض النواب من الطبقتين المتازتين أن يجتمعوا معهم ، وقد كان لكل طبقة (٢٠٠) نائب فصاروا جميعاً (٦٠٠) نائباً وأربعائة من الأشراف ، ورجال الدين هم الذين استكبروا أن يجتمعوا مع هؤلاء العامة ، اللهم إلا بعض أفراد تسللوا لوإذا وحضروا مع نواب الشعب في مكان آخر غير قاعة الاجتماع وهو ملعب (التنس) وهناك أعلنوا أنهم هم (الجمعية الوطنية) .

ولما اجتمع جميع النواب لسماع خطبة العرش ، وانصرف بعض الأشراف ورجال الدين شدد أمين الملك في طلب انصراف نواب الشعب فقال له (ميرابو) وهو أقوى النواب : «نحن هنا بأمر الأمة ، ولن نفارق مكاننا إلا بأطراف الأسنة» . وهناك أمر الملك أن تكون الجمعية الوطنية مشكلة من الجميع بحيث يجتمعون معاً ، ولكن العامة أوجدوا شراً من الملك بإشاعات تخيلوها ، فاتفقوا على (حصن الباستيل) وهدموا وأطلقوا للسجونيين فيه ، وكان ذلك في (١٤) يولييه ، وقد أصبح ذلك عيداً تاريخياً ، وهذا اليوم هو أحسن أعياد فرنسا . وازداد الجوع في فرنسا فدخل الشعب لاسياً النساء في شهر أكتوبر على قصر (فرساس)



طلبون الحزب من الملك ، ولولا الحرس لدخلوا على الملك والملكة . فانتقل الملك إلى باريس وهكذا الجمعية الوطنية أيضا . وأسلحت الجمعية الوطنية القوانين . ونظمت كل شيء . وأزالت كل ظلم . ولكن العامة بعد ذلك تطرفوا وتغالوا وفقدوا رشدهم . فهرب الملك . فكتشفوا أمره عند بلدة (فارن) في يونيو سنة ١٧٩١ فقادته العامة إلى باريس ووافق على النظام الجديد الذي أسسته الجمعية الوطنية وأعلنت انحلالها . ولكن في أثناء ذلك هاجر الأشراف خارج فرنسا واتفقوا مع النمسا وبروسيا على محاربة الثورة الفرنسية وإرجاع حقوق الملك إليه . ودعا الأباطور ( ليوبولد الثاني ) وهو أخو الملكة ملوك أوروبا لإخماد هذه الثورة . وهذا الأباطور وملك بروسيا أصدرامذشورا للملوك لغواه [إنهما مستعدان أن يكسرا ثورة فرنسا مع من ينضم إليهما ] .

وقهرت الأمة الملك على أن يعلن الحرب على النمسا ولكن جيوش فرنسا تهمتهرت أمام المغيرين فاتهموا الملك بالخيانة ، وكما قربت بروسيا من فرنسا ازداد غضب الفرنسيين على الملك ، هنالك أعلن القائد البروسي [ أن كل من مس شعرة من رأس الملك يقتل ] فزاد ظنهم سوء به ، فهجموا عليه ، فهرب إلى الجمعية الوطنية سنة ١٧٩٢ . والحرس قاوموا ولكن الملك أمرهم أن يسلموا ، وهنالك كثرت المذابح ، ذلك أنهم قد اتهموا كثيرا بالخيانة كما اتهموا الملك وقتلوا نحو ( ١٥٠٠ ) نفس ؛ وفي هذه الفترة أصلحوا الجيش فقاوم البروسيين وأعلنوا الجمهورية في ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ وألغوا الملكية ، وأخطر العامة المؤتمر أن يحاكم الملك بتهمة الخيانة فحاكوه وأنتبوتوها وحكوا عليه بالقتل ، ونفذ الحكم في ( ٢١ ) يناير سنة ١٧٩٣ م وهذه الجمهورية لم تطل إذ تولى العرش نابليون سنة ١٨٠٤ وجعل نفسه إمبراطورا .

### خطاب المؤلف لله عز وجل

اللهم إنك أنت الحكيم العليم العدل ، آتسنا عدلك ونظامك في نجومك وشموسك وأقمارك ، نظام بديع ، لا يخس شعيرة ، حركات منتظمت ، وعجائب واضحات ، أخذت أضواء الشمس السبعة وهي الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي والبرتقالي والبيلى ، اتخذت فكان اللون الأبيض ، وأباحتها سعدنا في الحياة ، وشاهدنا سبلنا ، وتفدى نباتنا بمواد السكر بون الطائر في الهواء ( انظره مشروحا مرسوما في سورة يس ) وهذه الألوان هي التي ظهرت بها أفاين الألوان في الأزهار والأشجار وبدائع الجمال في عوالمنا الأرضية ، انتظمت النجوم في سيرها واتخذت في أنها لاخلل في حسابها ، فإذا كان ؟ ظهرت بها سعادتنا على الأرض ، أما في البر فمعلوم ، وأما في البحر فإن ربان السفينة العظيمة لن يفتأ ليلا ونهارا وهو فوق متن الماء ، ينظر السكواكب السيارة ويحسب حسابا دقيقا معقدا لا يعرفه سواه ، ولوأنه تواتى لحظة لضل الطريق ولم يعرف أين هو ، فوق سطح البحر نجوم منظمة وأحوال كاملة ، وهذا عمالك ؛ وأنت على صراط مستقيم ، لقد خلقتنا في وسط هذا النظام الجميل العجيب ، وأعطيتنا عقولا وقلت لنا « وأمرهم شورى بينهم » فإرباه هاهو ذا نوع الإنسان آخذ في التقليد لنظامك ، نظامك العجيب البديع ، نظامك الذي لاخلل فيه ، هذه هي النجوم رأيناها في أما كنها دائرات منتظمت ، لاتصادم ، لاتناهت ، لاخلل .

أما نظام أمنا وجماعاتنا فهو جاهل غير مبني على التجارب المتعاقبة لأننا لاغريزة لنا ننبهها كغريزة النحل وغريزة النمل وغريزة الأرضة ، غرائر صافيات كاملات بها عاشت تلك الجمهوريات بغاية النظام . أما جماعاتنا وجمهورياتنا فإنك جعلتها مبنية على تجاربنا نحن ؛ فهاهو ذا القرآن يأمرنا بالشورى فقام بها أسلافنا ثم تركها آباؤنا وأجدادنا فتولاها قوم آخرون وكان رائدهم التجارب ، إنك أردت بذلك أن تكون سعادتنا ورقينا

مبنيين على جدنا واجتهادنا ، وأنت تعين المهتدين في أي أمر كان ديني أو دنيوي ، وهاهي ذمة فرنسا وانكلترا لها مجالس شورية (البرلمانات) وهكذا أمريكا وبقية أوروبا ، وقد لحق بهؤلاء أهل الصين والفرس والترك :

اللهم إن عبادك لا يزالون ضعافا فإن فرنسا التي أعلنت الحربية في بلادها وهدمت حصن الباستيل وقتلت لويس السادس عشر وانكلترا التي قتلت (شارل الأول) لأجل ظلمهما هاهما معا قد انتقضا على بلاد الإسلام ورمى فرنسا تريد تغيير دين البربر في مراکش وتذل المسلمين في شمال أفريقيا ، وانكلترا تعبت بحقوق مصر وبعض بلاد العرب .

اللهم إن الإنسان لظلوم ككفار ، قتل الإنسان ما كفره إنه كان ظلوما جهولا ، إن الأمم حلت محل ملوكها المقتولين في ظلمهم ، فهم يفعلون مع الأمم في الظلم ما فعله معهم ملوكهم ، وقد جهلوا أن هذه الأمم المظلومة ستفعل معهم لظلمهم ما فعلوه هم مع ملوكهم عاجلا وآجلا .

اللهم إنك أنت حكيم . إن النوع الإنساني قد جبل على أنه لا يعرف قيمة شيء إلا إذا تعبت في تحصيله فهذه الأمم الشرقية سلطت أنت عليها دول الغرب لإذلالها ليكون ذلك باعثا لهم أن يتخلصوا بقوتهم ثم ويخرجوا من قبضة الظالمين كما تخلصت تلك الأمم من ظلم ملوكهم الذين جعل الله ظلمهم وسيلة لجهاد شعوبهم وارتقاها ونيل حريتها .

### خطاب المؤلف للأمم الإسلام وأمرأهم

ياأمم الاسلام : اسمعوا . هاهو ذا كتاب الله ينادي بالشورى . وهاهم أسلافكم كانوا قدوة الأمم . وهاهو ذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : [ من رأى منكم في أعوجاجا فليقومني ] وهاهو أحد آبائكم يقول له : [ والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بعد سيوفنا ] .

فهل فعلت انكلترا وفرنسا مع (شارل الأول) ومع (لويس السادس عشر) غير ذلك . عمر بن الخطاب الذي كان يلبس ثوبا مرقعا بضع عشرة رقعة بعضها من ليف . عمر بن الخطاب الذي منع ابنته من أن تضعخ إزارها بالروائح العطرية من بيت المال . هذا هو الذي فهم الدين وعرفه . وفهم معنى الشورى فدانت له للشارق والمغرب هو والحلفاء الراشدون . وأتم يا أصدقائي قراء هذا التفسير لاتتوانوا في إرشاد هذه الأمة فوالله إنني لأعتقد في نفسي بأن أي خاطر يخطر لي فلا أكتبه للمسلمين يجر على جسمي وعلى عقلي أذى كبيرا في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر .

إياكم أن تتوانوا في بث فكرة الإصلاح العام الذي في هذا التفسير وفي غيره الذي يكون علي شاكلته . على كل منكم أن يصكون أمة بنفسه لا يتشكل على غيره . إن الصلي منا يقول في افتتاح الصلاة « وأنا أول المسلمين » . فلتكن أول مسلمي قريتك في أمثال هذا الإصلاح وإعلانه ؛ أو مصلحي أمتك . إن الإنسانية آخذة في الارتقاء والاتحاد على منوال ما فعله الله في السموات والأرض ، وذلك لا يتم إلا بالجهاد ، وليس الجهاد خادما بقتل الأعداء ، بل محاربة العدو جهاد أصغر : أما الجهاد الأكبر فهو ما ترونه في أمثال هذا التفسير فإن نشر هذه الآراء يصلح جميع مرافق الحياة ومنها نظام الجيوش الذي لا يتم إلا بإصلاح جميع أحوال المملكة ، وإن مداد العلماء أفضل من دم الشهداء ، والعلم أعظم النعم في الإسلام ، ليأخذ المسلمون عموما وأبناء العرب خصوصا مكانهم العلية ، وليقودوا هذه الأمم

المتخبطة الآن في دبحور الحياة ، وتسكون وجهة المسلمين اليوم أنهم يكونون أقوى من جميع الأمم ، ليقودهم إلى معنى قوله تعالى « حتى تضع الحرب أوزارها » وذلك بالسلام العام ؛ وهل يعم السلام إلا إذا ساويتهم الأمم في جميع أعمالها .

وأنتم يا أمراء الإسلام اسموا مني نصيحة أنا ملزم أن أعلنها . من كان من بيت الملك منكم فليفكر في إمبراطور اليابان جد الإمبراطور الحالي ، ذلك الذي لما عرف أن أوروبا تحاول إذلال مملكته نزل عن تلك العظمة التي جعلته هو وأبيه لا يرى الشعب لأنهم فوق الناس ، بل هم من نسل الآلهة ( في خرافاتهم ) فسار في الطرق وقال للناس : « ها أنا ذا الإمبراطور ، أنا مثلكم وأعلن التعليم العام فعمل الشعب وارتقت بلاده ، وهو وأبناؤه لا يزالون ملوكا بعظمتهم وملكهم ، والشعب هو الذي يتولى إدارة الشؤون ، ولهم كما للملك الإنجليزي حقوق لا تضر الشعب والشعب راض بهذه الحقوق » .

هذا هو ما أوصيكم به ، إن جهل الشعوب كان غير ضار بالملوك قديما ، أما الآن فإن الأمم بالمرصاد فهي لا تدر أمة ضعيفة إلا استعبدها . وهذا هو العدل الإلهي ، فإذا كان قوم يعطون نعم الله التي خلقها لعباده . وهناك قوم يقدرون على استخراجها . فمن عدل الله في نظامه أن يرسل الآخرين ليسيظروا على هؤلاء الجهال الذين لم يستخرجوا نعمة لمنفعة عباده بصناعة أو زراعة أو تجارة . هذا قولي وأستغفر الله لي ولكم . كتب قبل الحج وفي ضحى يوم الاثنين ٢١ فبراير سنة ١٩٣١ م .

### موازنة بين سيرة عمر وجمهورية سقراط

#### وتطبيق نظام الأمم العربية والتركية والفرنجية عليها

أيها المسلمون : قد ظهر الحق واتلق عمود الصالح . أيها المسلمون : بهذا يفهم النوع الإنساني معنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

أيها المسلمون : عمر وأمثال عمر هم الذين فهموا معنى قوله تعالى « إن الله بالناس لرؤوف رحيم » ومعنى « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم » . عمر رضى الله عنه رحيم بالعبد والحر والتمى والمسلم . قرأت في بعض كتب الزيدية المطبوعة حديثا عن آل البيت « أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وامرأة في السي منسكى الرأس ذليلين ، فسأل عنهما ، فقيل إننا بعنا ابنهما لأجل طعام السي ؛ فأمر برده إليهما » .

قد تقدم في ( سورة النحل ) عند آية « إن الله يأمر بالعدل والإحسان الخ » آراء ( سقراط ) في الحكومة ، وأنه رتبها خمسة أقسام ، وأن كل نام فإنه يبدل ، ونظام الحكومات والأفراد كنظام كل ماله حياة فهو شاب فكهل فشيخ فهرم وهكذا .

وها أنا ذا أوضحه هنا بعض الإيضاح ، وأعجب والله كل العجب من سياسة عمر رضى الله عنه ومن فراسته الحكومة خمسة أقسام : أروستقراطية ، وتيموكراسية ، واليقاركية ، وديموقراطية . واستبدادية ، ومعلوم أن الأمة كالفرد ثلاث طبقات : طبقة الفلاسفة وأولى العلم ، وطبقة الجند ، وطبقة بقية الشعب .

وهو يقول : « إن هؤلاء الحكماء هم الذين يحكمون القسمين الأخيرين ، كما أن قوة العقل في الإنسان تحم قوة الغضب للمقابلة للجند في الأمة وتحكم قوة الشهوة للمقابلة لبقية الرعية . ثم إن كل قسم من الثلاثة في الأمة

وفي الفرد يجب أن يقوم بعمله ، فالجند تطيع الحكام ، والعامه يطيعون القسامين كما تطيع قوة الغضب عقولنا والشهوة تطيع العقل وقوة الغضب ، ولا معنى للعدل إلا هذا . فهذا معنى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل . فاذا تولى حكم الأمة الحكماء فهذا معنى (أروستقراطية) وإذا مضى الجيل الأول قترت همه الجليل الثاني عن الفلسفة والعلم واكتفوا بقوة الجند وحكموا الأمة بمجرد القوة التي لا تصحبها الحكمة المستمدة من الله تعالى ، فهناك تسمى الحكومة (تيموكراسية) والثانية أقل من الأولى درجة ، ولكن إذا عمادى الجند في الحكم رأوا أنفسهم هم والأمراء الذين لا علم عندهم ولا حكمة مغرمين بالمال إذ يقتسمون مال الطائفة الثالثة ، وهناك ينزل الأبناء عن منزلة آباءهم ، وتكون الحكومة إذ ذاك (اليفاركية) وهي حكومة الثروة . فالحكمة في الأولى تنزلت إلى حماسة في الثانية ، وهذه تنزلت إلى مطامع الشهوة وجمع المال ، وهناك تزيد غلات فريق الحكام ويصبح الناس طبقتين اثنتين لا غير : أغنياء يملكون أكثر ما في الدولة وهم قليل جدا وفقراء وهو جميع الشعب فلا مناص من قيام الشعب على طبقة الحكام وإذلالهم والاستحواذ على أموال الدولة وهذه تسمى (ديموقراطية) وهي دولة التهلكة والحلاعة وعدم الحياء والصيانة فيصبح الأمر في يد العامة والجهلاء ولا يحترم الابن أبويه ولا المحكوم الحاكم وهكذا ، ونظير هذا في المرد الواحد التهلكة والحلاعة وعدم الحياء والمجاهرة بكل موبقة وعدم الاكترات بالعار والشنار ، والأمة إذا وصلت لهذه الدرجة فلا بد من ظهور واحد فيها يستبد بها ويذلها ويقهرها وهذه هي الحكومة الخامسة وهي الاستبدادية ، وخير هذه الخمس أولها وشرها آخرها ، والثلاثة التي بينهما مرتبات ترتيبا تنزليا .

هاهنا فلننظر ، أليس ما قاله أفلاطون في الجمهورية (التي ألقاها الله على قلبه وعلى قلب سقراط أستاذه قبل ظهور النبوة المحمدية بمدة تزيد على تسعة قرون) أصبح نموذجاً لنا نفهم به قيمة الحكومات ونمتحنها ونبحث فيها بجد .

سبحانك اللهم ومحمدك ، علمت قلة علومنا ، وعلمت انقطاع سند العلم بيننا ، فأطلعتنا على آراء سقراط ففهمنا أنها أشبه بمقدمة لهذا الدين الحنيف .

أقول هذا وأنا موقن به ، إن عقلاء أمم الأرض وحكائهم في عصرنا وبعده كلهم يقدسون سقراط وأفلاطون من حيث التفكير ، ومتى عرفوا أن هناك تلاؤماً وتوافقاً بين المدينة التي اختطها عمر رضى الله عنه وبين مارسه هذا الفيلسوف أيقنوا بمعنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

إن الذي يأمر جنده أن لا يأخذوا أرضاً ليزرعوها من فلاحى الأمة التي دخلوها ويقول أتم أيها الجند عليكم حفظ البلاد ولكم أرزاقكم على بيت المال وكفاكم ما تأخذون منه ، ويقول : أتم إذا ملكتم الأرض تنازعتم وفشتم وتذلون عباد الله ويذلون ملككم ، ولما خالف بعض رجاله هذه الأوامر بمصر أرسله عمرو ابن العاص إلى عمر فهاهه هيبه شديدة كما تقدم ، ولما أظهر التوبة عفا عنه .

أقول : إن الذي يفعل هذا في ذلك الزمان الذى كان الفرس والروم فيه قد انتهوا في الحكم إلى الدرجة الخامسة وهي الاستبدادية وهي أدنى الدرجات ، ثم نراه يحكم الناس بالطريقة التي مدحها (سقراط) في الجمهورية وهي أن الجند لا يجوز لهم أن يكون لهم ملك لئلا يميلوا إلى جمع المال وكفاهم رزقهم الذى يفرض لهم من الحراج الذى تدنعه الرعية .

أقول : إن الذى يفعل هذا كله وهو لم يقرأ تلك الجمهورية ولا غيرها بل هو في أمة كلهم أميون وليس عنده من العلم إلا أعماله صلى الله عليه وسلم والقرآن الذى جاء فيه « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وجاء فيه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

أقول: أمثال هذا إنما جعله الله نموذجاً لأمم الأرض قاطبة في الشرق والغرب . والإنسانية العامة لا بد يوماً ما ماضرة إليه ، إن الله عز وجل أبى جمهورية أفلاطون في الأمم وهي مترجمة لجميع اللغات وفيها هذه المراتب ولم يظهر لاطلي يد أفلاطون ، ولا على يد أستاذه سقراط ، ولا على يد دولة اليونان ولا الرومان حكومة تكون مثلاً أعلى للأمم الأرض وإنما ظهرت في (٣٠) سنة وهي مدة الخلافة وبقيت في التواريخ ، وهذا مصداق حديث «الخلافة بعدى ثلاثون» وإذن نفهم معنى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» فهذه هي الرحمة العامة : أليس من العجب أن الأمم الإسلامية بعد عصر الخلافة اعترافاً ما اعترى الزرع وكل حي من أنه آيل للنفوق والانحلال ، ألم تحصل هذه المراتب الخسة التي رتبها (سقراط) في الحكومات وقال إنها أمور طبيعية لا يمكن اجتبابها ولا تلافيا ، ورأينا أبناء العظماء بعد تلك الخلافة وبسد الصحابة (الذين كانوا مجتهدين) قد نزلوا إلى الحكومة (الديموقراطية) ونرى ذلك في أدائل حكم بني أمية وبني العباس وهي حكومة الجند لا حكومة العلماء الذين يسرون بالحق التام . ألم نر أن بعض أواخر دولة بني أمية قد نزلوا عن أخلاق آباؤهم إلى درجة (الاوليغاركية) كما نزل ملوك بني العباس بعد المأمون والعتصم ونحوهما إلى تلك الدرجة وعكفوا على الغاني والشرب واللذات ، هكذا نرى الفرس الذين استعان بهم بنو العباس لسكسرسوكة العرب قد تغلفوا في الدولة الإسلامية ، وأخذ الملك يرجع القهقري ، وأذلوا الرعية كما أذلوا الملوك وهكذا الأتراك . أليس ذلك قريبا من المرتبة الرابعة وهي (الديموقراطية) وهي التي يشور فيها المحكومون على الحاكمين ولا يبقى للحكومة هبة ، ثم ظهر في الأمة مستبدون من القواد فحكفوا الأمة بيد من حديد . ويمثل الديموقراطية أيضا (قيام طائفة الانكشارية) في الترك على ملوك بني عثمان ، وكما حمل الجند أعين الخلفاء العباسيين كما فعل أمثالهم من الانكشارية مع ملوك بني عثمان ، ولتعجب مما تقدم قبل هذا من أمر ملوك فرنسا أيام لويس السادس عشر ومن قبل لويس ، وكيف رأيت فيما تقدم هنا أن الأشراف ورجال الدين ما كانوا يدفعون الضرائب ، وكانت الرعية أدلة للطائفتين «أليست هذه هي الحكومة الثالثة وهي (الاوليغاركية) وهي حكومة الثروة وجمع المال ، وهي أدنى من الحكومة الارستقراطية ومن الحكومة التيموقراطية أي حكومة الفلاسفة وحكومة الجند . وانظر كيف اضطرت الأمة كلها على بكرة أبيها وقامت ققتلت (١٥٠٠) من عبي الملك وقتلوه على مرأى ومسمع من أوروبا كلها والملوك كلهم بالمرصاد» وقد أخذ الروس وأهل بروسيا على قتال فرنسا ، أليست هذه هي الحكومة الديموقراطية التي هي أسهل وأدنى منزلة من الثلاثة قبلها وهي الحكومة التي تكون بيد الأمة كلها . ثم انظر بعد ذلك ، أليست ترى أن نابليون ذلك الضابط الصغير لما ضرب الثأرين بالمدافع خضعت الأمة إذ أمسكها بيد من حديد ، أليست هذه هي الطبقة الخامسة وهي أدنى الحكومة باعتبار عمومها لأنها هي حكومة المستبد وإن كان نابليون له مزايا لظفت الاستبداد .

اللهم إني أشكرك على نعمة العلم ونعمة الحكمة ، اللهم إن العلم الذي لا تنطبق عليه أحوال الأمم لا يفيد الفائدة التامة المرجوة .

اللهم إني أشكرك إذ كشفت لي حقيقة أمتنا الإسلامية . وعرفتني بطرق إصلاحها . وكيف غشت الجهالة على أقوام وأنوام من أسلافنا ، فابتدعوا أحاديث ، واختلقوا لها أسانيد ، وجعلوا حكم الأمم منشؤه الأنساب في حد ذاتها . كلا والله . كذب والله .

اللهم إنك شرحت صدرى للعلم وأنا أكتبه لأمتنا الإسلامية ، فأنا أشكرك حمدا كثيرا وأشكرك . أشكرك أن وقتني ، وجعلت لي أصدقاء في جميع أقطار الاسلام ، وهم هم الذين سيطلون الباطل ويحققون الحق ، أنت يارب أردت ذلك ، هم سيشرحون هذه المسائل العلمية ويبينونها للناس ، هم الذين سيدرسون علوم

الأمم وعلوم الإسلام وعلوم النبوة - التي نحن معاشر المسلمين أكثر الأمم جهلاً بحقائقها - وذلك بما انتشر بيننا من الدعايات لأهل الأنساب بحيث يرث الابن أباه في حكم الأمة وإن كان جاهلاً غيباً ، عاكفاً على الحجر والغاي فيهلك وتهلك أمته معه ، لاسباً في زماننا .

هذا ، وقد يتخذ أمثال هذا الأمير الدول الأوروبية وسيلة لاستعباد الأمم الإسلامية وبذلونها باسمه ، وليعلم الملوك والأمراء الإسلاميون أني لست أقول أعطوا الملك لغير آبائكم فإن ذلك ليس في الإمكان ولكني أقول : ( يجب أن يتعلم الشعب كله لأن الملك وحده لا يقوم مقام الأمة ، وإذا كان ولي العهد صالحاً للملك فهو أحق من غيره ، ولكن لسنا على يقين من أن الأعقاب يكونون على منوال الآباء بدليل ما تقدم من حوادث التاريخ ومن نفس طبيعة النوع الإنساني) .

فلينظر علماء الإسلام الذين يقرءون هذا التفسير وملوك وأمراء الإسلام ، فإذا أنسوا من بيت الإمارة والملك علماً وكالاً وسياسة وحكمة فهم أولى بالحكم ، ولكن لما كان عالمنا الذي نعيش فيه يسير على طريقة تنازلية بحيث يكون كل جيل أضعف مما قبله وهكذا وجب ( لأجل الاحتراس ) أن يجعل الأمر بيد مجلس الأمة ، وهؤلاء الملوك ينفذون ما يقرره المجلس وللملك مزايا خاصة تقرر بينهم وبينه ، فهناك يحصل الغرض المطلوب ، فالأمة كلها تجتهد في التحصيل وتحس بالنبعة اللقاة على عاتقها وتخف الحمل عن الملك وأعوانه ، ويبقى الأمير أو الملك موضع الإعزاز والإعظام والإجلال ، وذلك كما في بلاد اليابان وبلاد الانجليز ، حتى إذا كان أحد الأبناء منحرفاً عن الجادة فإن الأمة والوزراء هم المسئولون وكفى .

وقد ذكرت هذا من قبل وأكرره في كل مناسبة ، هذه طريقة سهلة ، فإذا لم توفق أمة من أمم الإسلام إلى ذلك فلتجعل الإمارة بالانتخاب والشورى كما فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وكما تفعل الولايات المتحدة ، متى انتظمت إمارات الإسلام وجب على الأمراء أن يجتمعوا وينتخبوا واحداً منهم ليكون خليفة للمسلمين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويكون انتخابه لمدة معينة نحو خمس سنين ، وذلك خيفة أن تتغير أطواره فتحصل الفتنة . هذا ما فتح الله به في معنى « وأمرهم شورى بينهم » .

أما أن نسمع أن أمم الإسلام تتخذ رجلاً لأجل نسبه وتقول إنه إله أو الإله حل فيه ويجعل له أعواناً يشيدون باسمه ، أو تتخذ آخر لاجل صلاحه وقد اجتمع حوله تلاميذه ليعملوه فوق جميع الأولياء والصالحين وذكروا له كرامات ، ثم يحكم الناس بهذه الوسيلة فيقولون هو المهدي ( اقرأ ما في أول سورة الحج من الكلام على المهدي ) أو نحو ذلك فهذه أشبه بأمواج في بحر السياسة تروج فيه ثم تضمحل عند الشاطئ ، اقرأ ذلك في أخبار المهدي محمد بن تومرت في سورة سبأ وفي سورة الكهف عند آية « وما كنت متخذ للضالين عضداً » . اللهم إني كتبت ما فتحت به على اليوم ولك الحمد على نعمة العلم .

إن الرجال الذين اشتهروا بالصلاح وهم حريصون على المال لهم منافع ومضار وضرهم أكثر من نفعهم أما الذين وصفناهم وقررناهم فهم الذين يجب أن يتولوا الملك لأن نفعهم أكثر من ضرهم .

\*\*\*

ولأختم هذا المقام بحديث دار بيني وبين أحد مشايخ الطرق بمصر . ذلك أني كنت أسكن بجمة طولون عند قلعة السكبش ، وكان بيني بالقرب من شيخ طريقة معظم في بلاد الصعيد ، وهذا الشيخ له مريدون وأكثرهم من البرابرة . وكان إذا نزل الصعيد وعلم مريدوه قابله ٥٠٠ خيال احتراماً له واتخذوا يوم حلوله عيداً لهم ، وهناك يكسو الرجل زوجته وأبناءه وبناته . ويكون الفرح والمناهة بمقدم الشيخ والبلاد

التي يعظمه أهلها تفل فيها السرقات . وقد شرح ذلك شرحا بينا فقال : أنا إذا قدمت القرية يحضر زيد فيقول لي يا أستاذي أنا أخطأت لا تغضب علي فيقول له من كان معك ؟ فيقص القصص إنه هو وفلان وفلان وفلان سرقوا بقرة أو ثوبا حائطا أو قتلوا رجلا . فهناك يقطب الشيخ وجهه وقد حفظ أسماء الشركاء . فثني حضر أحدهم يأمر الشيخ بعدم دخوله عليه . فهناك يزيد الاعتقاد في الشيخ .

فهذه هي منافع هؤلاء الشيوخ . فأما مضارهم فإن هذا النفع لا قيمة له لأنه لم يكن من نفس الفرد بل إنه خائف من الشيخ ، والشيخ لا ينال هذا إلا بجهد أتباعه . وأمة هذا شأنها تكون عالة على المجتمع الإنساني . وبعض هؤلاء الشيوخ يمثلون عجل السامري . وهذا العجل يجب أن يحرق ويذرى في الهواء كما فعل موسى فإن التقوى البنية على الرعب من نفس الشيخ تقوى لا بقاء لها وهذا هو الانتكاس وضياح الأمم بل لا بد من الإرشاد والتعليم .

وهذه المسألة الجزئية تفسر لنا الطريق التي سنها حسن بن الصباح في قلعة الموت هي مذكورة في (سورة الكهف) فلا يظهر لأتباعه وقد حرم عليهم دراسة العلوم وحكمهم بمثل هذه الطريقة ثم انقضت تلك الدولة . فمهما كانت نية القائم بالأمر من الإصلاح فهي مخالفة لدين الإسلام وضارة بالأمم وفساد للمجموع .

\*\*\*

وهالك حديثا آخر حدثه لي هذا الشيخ وأنا معه في منزله وأتباعه يذكرون الله والمنشد يعني . قال : إن أحد أتباعي بالصعيد (وكان أعمى) أخذ يجرد في العبادة والله كره علي حسب طريقي . فأخذ الناس يذكرون له كرامات وسمع هو بذلك فصار يتظاهر بما يدل على ذلك حتى أشاعوا أنه ارتقى فوق مرتبتي أنا ، وأنه نال فوق ما نلت . فلما نزلت بيديهم وكان الجمع محتشدا وهو بينهم وقفوا جميعا أما هو فإنه بقي جالسا ليحقق قولهم وأنه أعلى من شيخه في الولاية ، فسلمت عليهم جميعا . ولما لم يقم لم أسلم عليه مع أنه لو كان غيره من الناس لضر به وأهانوه ، ولكنهم احتراموه لأنه أصبح أعلى في مقام الولاية مني ، فأوعزت سرا إلى أحد أتباعي أن يسرق حذاه . فلما أخذنا نتقل من ذلك المكان وقام معي هذا الجمع المحتشد لم يجد حذاه . وظهر للناس أنه لا علم له بمن سرق نعله . إذن هو ليس بولي فتركوه فشي حافيا ، ثم أتى ليذكر مع الذاكرين فأخرج به أتباعي بأمرى ، فشكاهم إلي ، فقلت له : إن الولاية لي أنا فكيف تشكروني علي بها ، وأخذ يوبخه علي فعلته ثم عفا عنه ، فرجع فردا من الأفراد والتلاميذ المعتادين .

وإنما ذكرت هذا لأنه مهود في أكثر ديار الإسلام والمحدثه رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس

٢٤ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية و ١٢ يناير سنة ١٩٣١ م :

## بيان العدل العام في السموات والأرض

وأن الشورى مفتاح العدل ، وأن العدل والجمال يرجعان لأمر واحد فيكون جمالا في المحسوسات أو موسيقى ، وغريزة في الحيوان ، وعدلا عند الإنسان ، ثم ذكر أنباء الشورى في زمن النبوة والخلافة وبقاء الملك ، ثم بيان تركها وذهاب الملك ، وتبيان أن المسلمين بسبب ما ذاقوا من حلاوة الشورى في زمان أبي بكر وعمر قتلوا عثمان غيلة لما ظنوا أنه يفضل بني أمية ولم يلم بهم من الظلم عشر معشار ما ألم بالانجليز حين قتلوا ( شارل الأول ) في القرن السابع عشر ، ولا ما ألم بالفرنسيين إذ قتلوا ( لويس السادس عشر ) في القرن الثامن عشر ، ولا بالألمان إذ ثاروا على أمرائهم في القرن التاسع عشر

بعد ما كتبت ما تقدم من أمر الشورى في بلاد فرنسا وانكلترا ( تطبيقا على آية « وأمرهم شورى بينهم » ) وبيان أن هذه الثورة السياسية في الأقطار الأوروبية لم تكن لديهم إلا من آثار النهضة الاسلامية الأولى ، جاشت النفس بخواطر في أمر الشورى في مدة الخلافة الاسلامية وهي ( ٣٠ سنة ) وكيف كانت إذ ذاك ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي بين الشريعة للناس ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج لولا فعله صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه ما عرفنا شيئا منها ، فأية الشورى آية مجملة والإجمال لا يغني عن التفصيل والتفصيل قول « وزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ونحن إذا اكتفينا في تفسير هذه الآية بما تقدم نكون قد خالفنا منهج الحق وهذا الكتاب اليوم بين يدي المسلمين ، فحق على أن أذكر جملة صالحة توضح أمر الشورى في عصر النبوة وفي عصر الخلافة حتى يعرف الناس السبب في هذا الملك العظيم الذي امتد شرقا وغربا ولماذا أزال الله ذلك الملك ومزق أبناء الذين قاموا بهذا الأمر تدريجا بعد العصور الأولى ، وأقدم قبل ذلك مقدمة في النظام العام في السموات والأرض . فأقول :

اعلم أن العدل والجمال يرجعان معا إلى النظام العام ، فكل ما كان منظما فهو مرغوب فيه محبوب ، وما فقد النظام فهو منغور منه ، إن النظام حايف الدوام ، والاختلال يبعثه التفريق والاخلال ، إن من اطاع على هذا التفسير أو أكثر فإنه يوقن أن نظام الكواكب والشموس والأقمار نظام تام عجيب لا خلل فيه فكانت نتائجه لا حصر لها ، إن التناسب وحسن النظام إذا فارق الأجسام الحيوانية والنباتية لم تكن لها حياة ، وإذا لم يكن تناسب بين الحدين العيين والمخرين والفهم في الوجه فقد الجمال ، فالجمال يقع التناسب والقيح يلزم عدم التناسب ، هكذا كل عضو من أعضاء الإنسان والحيوان ، وكل غصن أو ورقة من نبات لها نسب خاصة ، وبغير تلك النسب لا تكون حياة للنبات ولا للحيوان .

تقدم في هذا التفسير في غير ما موضع أن شبر الانسان مقياس لأعضائه ، فهو ثمانية أشبار بشبره ربعا من الركبتين إلى القدمين ، وربعا من الركبتين إلى الحقوين ، وربعا من حقوية إلى رأس فؤاده ، وربعا من رأس فؤاده إلى مفرق رأسه ، وإذا مد يديه بمنة ويسرة كان امتدادهما ( ٨ ) أشبار أيضا ، وإذا مديديه إلى فوق رأسه فإنه يجد أن المسافة من السرة إلى أطراف أصابعه ( ٥ ) أشبار كالمسافة التي بين السرة والقدمين ، أنا لا أطيل في هذا لأنه تقدم ولكنه تذكير بحمال الوضع في العالم المشاهد والسكال فيه ، وهذا في المشاهد المحسوس بحاسة البصر ، ومثله المحسوس بحاسة السمع كما تقدم كثيرا في غير ما موضع فإن للموسيقى القديمة البنية على نسب ( البم والثنى والثالث والرير ) والموسيقى الحديثة البنية على قاعدة التوالية الهندسية ( ١٦ - ٣٢ - ٦٤ ) وهكذا لم تخرج عما تحبه النفوس من النظام والجمال .



الله أكبر . اللهم إنك أنت الجميل الحكيم العليم . أنت الذي أحكمت ملكك ، ونظمت خلقك . عجبنا يارب من إبداعك . أنت واحد ونظامك واحد ، ولكن اختلفت مظاهره . أنت سريع الحساب فإن كان ذلك الحساب في المشاهدات بحاسة البصر كهجة الأشجار وجمال الأزهار والزرع ، وجمال الوجوه مميّناه جمالا ( وإن هو إلا تناسب بين الألوان والأغصان والأوراق والأعضاء بحساب لا خطأ فيه البتة كحساب سير السكواكب ، انظر بعضه في سورة الحجر عند آية « وأنبئنا فيها من كل شيء موزون » فهناك تعرف أيها التلميذ لم فرح الناس بالأشجار وعدوها جميلة ، وهناك تشاهد رسم الأوراق والهندسة في الدوائر التي تكونت على الأغصان وأكثر أهل العلم عنها غافلون ) وإن كان في السموات مميّناه موسيقى واستلذت النفس به ، وإن كان ذلك الاتقان في جماعة الحيوان كما تقدم في جمهورية النحل وجمهورية النمل وجمهورية الأرضة ( المذكورات للصورات في سورة النحل والنمل وسبأ ) مميّناه غريزة ، وإن كان ذلك الاتقان في سياسة الإنسان العامة وحفظ الجماعة مميّناه عدلا .

عجبا ياربنا ؛ أيها قلبنا الطرف وأدرنا وجوهنا يمينا ويسارا وفوق وتحت لا نجد إلا نظاما واحدا ، وهذا النظام له مظاهر مختلفات ، فهو جمال وتنعيمات وغريزة وعدل ، وأقرب مخلوقات إلينا هذه الحيوانات التي نظمت ممالكها نظاما أدهشنا ، عجز الإنسان وإته عجزا ظاهرا أن يجارى النمل في جمهوريته أو يساوى النحل في مملكته . أو يجارى الأرضة العمياء التي تحكّم مئات الألوف من تلك الحشرات التي هي عميائها مثلها فهذه ياربنا حكومات منظمات على منوال ما نظمت أنت من جمال وجوهنا وبدائع أشجارها وأزهارها والأثمار .

نعم الإنسان لم يقدر أن يجارى هذه الحشرات ولا غيرها ، فإن عدل يوما ظلم سنين ، وإن علم شيئا جهل أشياء ، أنت أعطيتة الحرية ، ووهبتة معها عقلا ، وقلت له : دونك التجربة ، ولم تدره ونفسه ، بل أرسلت له أنبياء فعلموه ، وخلقتم قوما حكما ففهموه ، ومع ذلك لا تزال الشقوة تحيط به ، والتدل يفشاه وآخر من أرسلته من الأنبياء نبينا صلى الله عليه وسلم وجاء في وحيك « وأمرهم شورى بينهم » . فما نحن أولاء نبحت في سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الخاصة بالشورى ، فنجد أنه روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، فاستشاره فقال عبد الله بن أبي بن سلول : « أكثر الأنصار يار رسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه فكيف وأنت فينا ؟ فدعهم يار رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورمائم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين » وكان صلى الله عليه وسلم أميل إلى هذا الرأي . وقال بعض أصحابه « أخرج بنا إلى هذه الأكلب لئلا يروا أنا جينا عنهم وضعفنا وخفناهم » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني قد رأيت في منامي بقرا فأولتها خيرا ، ورأيت في ذباب سبني فلما فأولتها هزيمة ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة . فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم » فقال رجال قاتلهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : « أخرج بنا إلى أعدائنا » وبالفعل حتى دخل فلبس لامته . فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم . وقالوا : اصنع يار رسول الله ما رأيت ، فقال : « لا ينبغي لبي أن يلبس لامته فيضهما حتى يقاتل » اه ( اقرأ بقية السلام على هذا المقام في [ سورة آل عمران ] في المجلد الثاني من هذا التفسير ) . إذن هانحن أولاء رأينا صلى الله عليه وسلم كان يميل إلى أن يبقى في المدينة لأنها تأويل الدرع الحصينة التي رآها في المنام . ولكن لما أشاروا عليه لبس لامته ولم يرجع عما أشاروا به وإن كانوا هم ندموا على مبالغتهم في طلب الخروج

للقاء . وهكذا يجد عمر رضى الله عنه هو من خلفائه يجد في العدل والعفة . ولا يبرم أمر إلا بمشورة أصحابه حتى ما يختص بأمر نفسه ، وما يقوم بأمر معاشه .

(أولاً) - ذلك أنه جمع الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق ، فقال إنى كنت امرءا تاجرا وقد شغلتمونى بأمركم هذا فماذا ترون أنه يحل لى من هذا المال فأكثر القوم وعلى رضى الله عنه ساكت ، فقال : يا على ما تقول؟ قال ما يصلحك ويصلح عيالكم بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره ، فقال القول ما قال على بن أبى طالب .

وأخرجا عن أسلم قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ما يحل لك من هذا المال ؟ فقال ما أصلحتى وأصلح عيالى بالمعروف وحلة للشتاء وحلة للصيف وراحلة عمر للحج والعمرة ودابة لحوائجهم وجهاده . وروى الطبرى أن هذا العطاء الذى رضى به عمر لنفسه وفرضه له المسلمون لم يكفه واشتدت به الحاجة فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وتشاوروا فى زيادة يزيدونها لعمر فى رزقه من بيت المال فهابوا مقابلته بذلك فأتوا بيئته حفصة وأمروها أن تحجره بالحجر وترى رأيه فيه ولا تذكر له أسماءهم فلما أخبرته بذلك عرفت الغضب فى وجهه وقال لها : من هؤلاء؟ قالت لاسبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك فقال لوعلمت من هم لسؤت وجوههم أنت بينى وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما اتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من اللبس ( وكانت زوجته ) قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد وخطب فيهما لاجمع قال فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟ قالت خبزنا خبزة شعير فصبنا عليها وهى حارة أسفل عكة<sup>(١)</sup> فجعلناها هشة<sup>(٢)</sup> دسمة فأكل منها وتطعم استطابة لها ، قال فأى مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ<sup>(٣)</sup> قالت كساء لنا نحن كنا نربعه فى الصيف فنجمه تحتنا فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدنرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغهم عنى أن رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية ، وإنى قدرت فوالله لأضمن الفضول مواضعها ولأبلغن بالترجية<sup>(٤)</sup> وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلثة سلكوا طريقا فضى الأول وقد تزود زادا فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادها لحق بهما وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يحامهما .

هكذا كان شأن عمر رضى الله عنه فى العفة والقناعة والرضا بالكفاف مما يسد الجوع ويستر العرى . وروى فى الناقب عن الحسن قال : خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة وفى الناقب أيضا عن أبى عثمان النهدي قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن بأدم (جلد) أحمر . وفيها عن قتادة أن عمر بن الخطاب أبطأ على الناس يوم الجمعة ثم خرج فاعتذر إليهم فى احتباسه وقال : إنما حبسنى غسل ثوبي هذا ولم يكن لى ثوب غيره .

وفيها عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب لعمر يا أمير المؤمنين لو أبست ثوبا هو ألين من ثوبك هذا وأكث طعاما هو ألين وأطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الحير ، فقال لى سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم باقى من العيش ، ثم زال يذكرها حتى أبكاها .

(ثانيا) - جاء فى (كثر العمال) عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب قال فى مجلس وحواله المهاجرون والأنصار : أرايتم لو ترخصت فى بعض الأمور ما كنتم فاعلين فسكنوا فقال ذلك مرتين أو ثلاثا ، فقال بشير

(١) قربة السمن الصغيرة .

(٢) طرية .

(٣) ألين .

(٤) قال فى القاموس : تبلغ بكذا ا كتنفى به . والترجية والرجاء بمعنى واحد : وهو ضد اليأس .

ابن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القديح ( وهو السهم الموعج قبل أن يراش وينصل ) فقال عمر : أتم إذن أتم إذن ( استحسننا لقولهم ) . وفي المناقب عن عبد الجبار بن عبد الواحد التنوخي قال : قال عمر رضي الله عنه وهو على المنبر : أنشدكم الله لا يعلم رجل مني عيبا إلا عابه فقال رجل نعم يا أمير المؤمنين تدبيل بين البردين وتجمع بين الأدميين ولا يسع ذلك الناس قال فما أدال بين بردين ولا جمع بين أدميين حتى لقي الله . وقوله تدبيل بين البردين أي يلبس قميصا ويحلبه ويلبس غيره . وذكر بعض المؤرخين أنه خطب يوما فقال : أيها الناس من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه ، فقام رجل فقال : والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه .

(ثالثا) - قال الأحنف بن قيس : كنت مع عمر بن الخطاب فلقبه رجل فقال يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فإنه قد ظلمني فرفع عمر الدرّة تخفق بها رأسه فقال : تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدي أعدي . قال فانصرف الرجل وهو يتذمر قال « أي عمر » على الرجل « أي ردوه على » فألقى إليه الحففة . وقال امثل « أي اقتص بمثل الضربة » فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك ؛ قال ليس هكذا أما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك ، قال أدعها لله قال « أي الأحنف » فانصرف ثم جاء ، يمضي حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين وجلس فقال « يخاطب نفسه » يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضر به ما تقول لربك غدا إذا أتيته ؟ قال فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبه حتى ظننا أنه خير أهل الأرض .

(رابعا) - من إنصافه للرعية ، ما روى أنه أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم ، قال عدت معاذا . قال سأبقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فكذب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابه عليه فقدم ، فقال عمر ابن المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الأكرمين ثم قال للمصري ضع على صلعة عمرو : قال يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو : مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتي ( يعني ) المصري .

(خامسا) - ومن معاملته لأهل الذمة وشفقته عليهم ما جاء في نفس هذا الكتاب وهذا نصه : « ومن جميل سياسته اهتمامه بأهل الذمة الذين دخلوا في عهد المسلمين وسلطانهم من الشعوب غير المسلمين ووصاياهم للعمال بالحرص على راحتهم وتجنب ظلمهم وأذاهم وبلغ اهتمامهم بهم أن كان إذا غابت عنه أخبارهم أو بلغه أقل شيء عنهم يستدعي ذوى أمانة من المسلمين الذين أقاموا في بلادهم ويسألهم عن أحوالهم ويستقصي سيرة العمال معهم ومن ذلك ما رواه الطبري في تاريخه أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أمير البصرة أن يعثله جماعة من ذوى الرأي والبصيرة فأرسل إليه وقد فيها الأحنف بن قيس فسألهم عن أهل الذمة وهل يشكون ظلما أو حيفا فأجابوه بالسلب ولم يطمئن لقولهم حتى استوثق من الأحنف وكان يشق بصدقه ثم صرفهم .

ومن أجمل ما يؤثر عنه من الرفق بأهل الذمة ما جاء في ( كثر العمال ) أن عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد فقال : ما أنصفناك كنا أخذنا منك الجزية في شيتك ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه .

(سادسا) ومن حسن سياسته تقدمه إلى قواده بأن لا يمسكوا الجند في الغزو أكثر من أربعة أشهر وسيبه أنه كان يطوف ليلة بالمدينة على عادته فسمع امرأة من وراءها تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانيه وأرقني أن لا خليل ألاعبه  
فلولا حذار الله لأشئ مثله لزحزح من هذا السرير جوائبه

فكتب عمر إلى عماله أن لا يغيب أحد بالعزو ونعم الرأي .

ومن سياسته توقيفه الحدود عند الضرورة الداعية لذلك ، فقد أخرج ابن أبي شيبة في السنن عن حكيم  
ابن عمير قال : كتب عمر بن الخطاب : ألا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحدا الحد حتى يطلع الدرب لئلا تحمله  
حمية الشيطان أن يلحق بالكفار .

ومن سياسته أنه كان يحبس عن العمل كثيرا من كبار الصحابة فمنهم من كان لا يستعمله خوفا على دينه  
من أن يدينه بالولاية ، فقد أخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله قال : قال أبي بن كعب لعمر بن الخطاب  
مالك لا تستعملني ؟ قال أكره أن تدين دينك .

ومنهم من لا يستعمله خشية أن يجعله على رقاب الناس أو خشية أن تحدمه نفسه بالإمارة إذا بعد عن  
مراقبته وهؤلاء هم بنوهائهم لما كان يتفرسه فيهم من النطلع إلى الإمارة في (مروج الذهب) للسعدي عن  
عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال يا ابن عباس : إن عامل حمص هلك وكان من أهل الخير وأهل الخير  
قليل وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني ذلك فما رأيك في العمل ؟ قال لن  
أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك ، قال وما تريد إلى ذلك . قال أريده فإن كان شيء أخافه على نفسي خشيت  
منه عليها الذي خشيت وإن كنت بريئا من مثله علمت أني لست من أهله فقبلت عمرك هنالك فإني قلما رأيت  
أو ظننت شيئا إلا عابته ، فقال يا ابن عباس إنني خشيت أن يأتي على الذي هو آت وأنت في عمرك فتقول لهم  
إلينا ولا هم إليكم دون غيركم . إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم . قال ( أي  
ابن عباس ) والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك ؟ قال ( أي عمر ) والله ما أدري أضن بك عن العمل فأهل  
ذلك أتم أم خشى أن تبايعوا بمنزلكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك فما رأيك ؟ قال : ( أي ابن  
عباس ) أراي لأعمل لك ، قال ولم ؟ قال إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذي في عينك قال : فأشتر  
على ، قال إني أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا لك .

(ساجا) جاء في (كنز العمال) عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط  
عليهم أن لا يركبوا برذونا ولا تأكلوا ثيابا ولا تلبسوا رقيقا ولا تعلقوا أبوابهم دون حوائج الناس إن فعلتم شيئا  
من ذلك فقد حلت بكم العقوبة . ثم يشيعهم ، فإذا أراد أن يرجع قال إني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على  
أعشارهم ولا على أبقارهم (١) ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسوا  
فيهم فيأثمون وتحكموا بينهم بالعدل ، فإن أشكل عليكم شيء فارعوه إلى أئمة العرب فتدلوها ولا تجمروها (٢)  
فتفتنوها ولا تفتلوا عليها فتجرموها ، جودوا القرآن (وفي رواية) وأقلوا من الرواية .

وكان إذا بلغه عن أحد من عماله أمر يخل بالمرءة عزله في الحال ، ففي (الناقب) لأبي الفرج بن الجوزي  
عن ابن سعد قال : كان عمر بن الخطاب استعمل النعمان بن نضلة على ميسان وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها بميسان يسقى في زجاج وحتم

(١) كناية عن أجسامهم وأموالهم .

(٢) قال في القاموس جمره تجميرا جمعه والقوم على الأرض تجمعوا إلى أن قال والجيش حبسهم في أرض

العدو ولعله هو المراد :

في آيات يقول في ختامها :

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق التهدم

فلما بلغ عمر قوله قال : نعم والله إنه ليسوءني ، من لقيه فليخبره أني قد عزلته ، فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله فقدم على عمر فقال والله ما أحب شيئا مما قلت ولسكن كنت امرأ شاعرا وجدت فضلا من قول فقلت فيه الشعر فقال عمر والله لا تعمل لي على عمل ما بقيت . وفي رواية عن عثمان الخزامي عن أبيه قال : لما بلغ عمر بن الخطاب هذا الشعر كتب إلى النعمان بن نضلة « بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب . وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير » أما بعد فقد بلغني قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق التهدم

وابم الله إنه ليسوءني وعزله .

ومن عجب سياسته مع العمال أنه كان يحصى أموالهم قبل العمل وما زاد بعده يصادرهم على كله أو بعضه . ومن هذا ما رواه الطبري أن عمر استعمل عتبة بن أبي سفيان على كنانة فقدم المدينة بمال ، فقال له ما هذا يا عتبة ؟ قال مال خرجت به معي وانجرت فيه ، قال ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه ؟ فصيره في بيت المال .

وروي أن خالدا لما أدرب هو وعياض إلى بلاد الروم اتجمعه من العراق رجال منهم الأشعث ابن قيس فوصله بعشرة آلاف درهم فبلغ ذلك عمر فسكتب إلى أبي عبيدة أن يحصى مال خالد ويصادره على النصف فدعاه وتلا عليه أمر أمير المؤمنين وصادر على نصف ماله حتى الحفنين أخذ منهما واحدا وترك له الآخر .

( ثامنا ) - شاطر عمر سعد بن أبي وقاص على ماله ، وشاطر أبا هريرة ولما أبي أن يشاطره ضربه ، وصادر غيرهم أيضا ورد أموالهم لبيت المال .

( تاسعا ) - وأخرج عن جبيب بن أبي وائل قال : قال عمر بن الخطاب : لو استقبلت من أمري ما استقبلت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين .

( عاشرا ) - ومن أخباره في التأديب التي تدل على عظيم رحمته وحنانه وشدة عقوبته لغلظ القلوب ما جاء في ( كثر العمال ) عن أبي عثمان النهدي قال : استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بني أسد على عمل فجاء يأخذ عهده فأتى عمر ببعض ولده فقبله ، فقال الأسدي : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين والله ما قبلت ولدا قط ، قال عمر فأنت والله بالناس أقل رحمة ، هات عهدنا لا تعمل لي عملا أبدا .

( حادي عشر ) - تظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى أنه ضربه وتعدى عليه فقال : اللهم إني لأحل لهم أعضائهم ولا أبشارهم ( أموالهم وأجسامهم ) كل من ظلمه أميره فلا أمير عليه دوني ثم أقاده منه ( أي أخذ له القود ) .

وقال المغيرة بن شعبه وذكر عمر فقال : كان والله له فضل يمنعه أن يخدع وعقل يمنعه أن ينخدع . في كثر العمال عن طاوس أن عمر قال : أرايتم ان استعملت عنيسكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أفضيت ما على ؟ قالوا ، نعم قال لا حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا ؟

وفيه عن عمر قال « الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله فإذا رفع الإمام رفعوا » ( أخرجه ابن سعد ) .

(ثاني عشر) - (حكاية عمر مع جبلة بن الأيهم ملك غسان) فإنه لما أسلم ووفد على عمر ابن الخطاب بأبهة الملك وحشمه تلقاه عمر بالترحيب وبينما هو يطوف يوما وطىء على إزاره أعرابي من بني فزارة فضربه على وجهه فشكاه الأعرابي إلى أمير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له إما أن ترضيه وإما أن يضربك كما ضربته فكبر ذلك على جبلة وقال ألا تفرقون بين الملك والسوقة؟ قال لا. قد جمع بينكما الإسلام، فاستمهله إلى الغد ثم أخذ قومه وفر بهم ليلا ولحق بالامبراطور هرقل بالقسطنطينية فأرسل عمر من يسترضيه فأبى الرجوع.

(ثالث عشر) - ما ذكره الطبري في تاريخه عند الخبر عن إرسال الجيوش إلى نهاوند في أخبار سنة ٢١ قال ونزل بسعد (أبي ابن أبي وقاص) أقوام وألبوا عليه، فيما بين ترأس القوم واجتماعهم إلى نهاوند ولم يشغلهم مادهم المسلمين من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الأسيدي في نفر فقال عمر إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر وقد استعد لكم من استعداد، وإيم الله لا يعنى ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا (يعني الفرس) بكم، نبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للأعاجم والأعاجم في الاجتماع وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذين يقتض آتار من شكى زمان عمر<sup>(١)</sup> فقدم محمد على سعد ليظوف به على أهل الكوفة والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند فظوف به على مساجد أهل الكوفة لا يتعرض للمسئلة عنه في السر وليست المسئلة في السر من شأنهم إذ ذاك. وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قائلوا لا نعلم إلا خيرا ولا نشتهي به بدلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه إلا من مالا الجراح بن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون ولا يقولون سوءا إلى أن قال الطبري وخرج محمد به (أبي سعد) وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فسأله عمر عن أوجه الشكوى فأنكرها ولم يسعهم إثباتها فردد عمر وخشى إذا أبقى سعدا على الكوفة أن يكون بينهم وبينه أمر فزله احتياطا وسأله من خليفتك على الكوفة؟ فقال له عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره.

ومنه تعلم كيف كان رضى الله عنه مراقبا لعماله كثير التحقيق عن أخبارهم لا يتعجل في أمرهم إذا جاءت شكايته على أحدهم بل يقبض الخبر بنفسه ويحققه بمواجهته فإن ثبت عليه شيء مما يدعيه الشاكي عزله.

(رابع عشر) - كان رضى الله عنه لا يحب أن يفرق بين عماله في المعاملة بين الحر والعبد ولا بين القوى والضعيف. أخرج ابن جرير الطبري عن الأسود بن يزيد قال: كان الوفد إذا قدموا على عمر رضى الله عنه سأله عن أميرهم فيقولون خيرا فيقول هل يعود مرضا كم فيقولون نعم فيقول هل يعود العبد فيقولون نعم فيقول كيف صنيعه بالضعيف وهل تجلس على بابيه فإن قالوا لا عزله.

(خامس عشر) - لما وفد عليه الأحنف بن قيس وسأله عن حال الائمة في ولاية البصرة وصرفه كتب معه كتابا إلى عتبة بن غزوان أمير البصرة يوصيه فيه بأهل الائمة، هذه صورة (عن تاريخ الطبري).

أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي، فإنكم إنما أدركنم بالله ما أدركنم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصرًا.

(١) وظيفة محمد بن مسلمة هذه تشبه وظيفة للفتشين لهذا العهد.

وبلغه مرة : أن حرقوا عامله على الأهواز نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه والجبل كشود  
يشق على من رآه فسكتب إليه ماصورته نقلا عن تاريخ الطبرى في حوادث سنة ١٧  
أما بعد : بلغنى أنك نزلت منزلا كشودا لا تؤتى فيه إلا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا على معاهد  
وقم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركك قرة ولا عجلة فتكدر دينك  
وتذهب آخرتك .

(سادس عشر) - وأخرج عن أبي فراس قال : خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس إني والله  
ما أرسل عمالا إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم  
(وفي رواية : ويقضوا بينكم بالحق ويحكموا بينكم بالعدل) فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلى فوالدى نفس  
عمر بيده لأقصنه منه <sup>(١)</sup> فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرايت إن كان رجل من أمراء المسلمين  
على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لتقصه منه . قال إى والذى نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه وكيف لا أقصه  
منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم  
فتفتنوهم ولا تمنعوا حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

وعن أبي ربيعة قال : كتب عمر بن الخطاب إلى العمال ، اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريبيهم  
كبعيدهم وبعيدهم كقريبيهم ، إياكم والرشا والحسك بالهوى وأن تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق  
ولو ساعة من نهار .

وروى الطبرى أن عمر كان يقول في عماله : اللهم إني لم أبعثهم ليضربوا أبشارهم ، من ظلمه أميره فلا إمرة  
عليه دوني . ومع كل هذا التشديد على العمال فإنه رضى الله عنه كان دائما قائما على الرعية خائفا من أن يجار  
عليهم بأمر لا يصله خبره لهذا عزم قبيل قتله أن يسافر ويطوف على العمال جميعهم ليبحث عن أمور الرعية  
ويقضى حاجاتهم . فقد أخرج الطبرى عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لئن عشت إن شاء الله  
لأسيرن في الرعية حولا فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أما عمالهم فلا يرفعونها إلى وأما هم فلا يصلون  
إلى فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين  
ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها  
شهرين ، والله نعم الحول .

(سابع عشر) - كان من عماله سلمان الفارسي وكان عامله على المدائن وكان على جانب من الزهد  
والتقى والصلاح عظيم فكان يلبس الصوف ويركب الحمار يبرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير فلما احتضر  
بالمدائن قال له سعد بن أبي وقاص يا أبا عبد الله أذكرك الله <sup>(٢)</sup> عند ممك إذا هممت وعند لسانك إذا حكمت  
وعند يدك إذا قسمت ، فجعل سلمان يبكي فقال له يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا الخفون » وأرى هذه الأساودة (جمع سواد وهو المال الكثير)  
حولى فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا إداوة وركوة ومطهرة .

وكان عامله على الشام أبا عبدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل

(١) يعنى يمكن خصمه من الاقتصاص منه ، أو يقتص له منه .

(٢) لعل الصواب : قد كنت تذكر الله .

له إنك بالشام وأمير المؤمنين وحوالنا الأعداء فقير من زيك وأصلح من شارترك فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عامله على حمص سعيد بن عامر بن حذيم فشكاه أهل حمص إليه وسألوه عزله ، فقال عمر اللهم لا تغفل فراسق فيهم ، ماذا تشكون منه ؟ قالوا لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا ، فقال عمر على به فلما جمع بينه وبينهم ، فقال ما تنعمون منه . قالوا لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول ياسعيد ؟ فقال يأمر المؤمنين إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجبني ثم أجلس حتى يختم ثم أخبر خبري ثم أتوصاً وأخرج إليهم ، قال وماذا تنعمون منه ؟ قالوا لا يجيب بليل ، قال قد كنت أكره أن أذكر هذا إنى جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم ، قال وماذا تنعمون منه ؟ قالوا له يوم في الشهر لا يخرج إلينا . قال نعم ليس لي خادم فأغسل ثوبي ثم أجففته فأمسى ، فقال عمر الحمد لله الذي لم يقل فراسق فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرا . ثم إن عمر بعث إليه بألف دينار وقال استعن بها ، فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك ، فقال لها ألا ندفعها إلى من يأتيها وأحوج ما كنا إليه قالت بلى فصرها صرراً ثم دفعها إلى من يثق به وقال انطلق بهذه إلى فلان وبهذه إلى يتيم بنى فلان ومسكين آل فلان حتى بقي منها شيء يسير فدفعه إلى امرأته وقال أتفقي هذه ثم عاد إلى خدمته ، فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما ، فقال سيأتيك أحوج ما تكونين إليه . انتهى من كتاب [ أشهر مشاهير الإسلام ] .

ها نحن أولاء اللهم شاهدنا جميل صنعك وبديع إتقانك في عوالمك المشاهدة والمسموعة والتي أوحيت بها للحيوانات وما علمت به الإنسان وها نحن أولاء نقرأ آثار (سورة الشورى) في آخر الأديان المنزلات إلى الأرض . كل جمال في كوكب أوزهر أو وجوه حسان في نوع الإنسان . وكل نظام في جماعة الحيوان أو عدل على يد نبي أو خليفة أو صالح داخل تحت آية « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض »

أما صراطك الذي في السموات والأرض ، فهذا التفسير قد ألم بصور كثيرة منه . وأما الصراط المستقيم الذي يدعو إليه رسولك ، فبعضه ماجاء في هيئة الشورى المقدمة أيام النبوة والخلافة .

اللهم إن هذه الأعمال الشريفة ، والمعاني المنيفة ، لم يبق عند كثير من أمم الإسلام إلا أخبارها ، اللهم إني بينت باعانتك وأنت الحكيم العليم ، فأشرح صدور المسلمين لدرس تلك الأعمال الشريفة ليرجعوا بحمدك ويقوموا بنظام أممهم ويساعدوا الأمم على النظام العام .

ها هم أولاء المسلمون بعد ٣٠ سنة وهي التي كانت فيها الخلافة أخذوا يرجعون القهقري تدريجاً فما كاد عثمان رضي الله عنه يقتل حتى قرعت القارعة واشتد الحصار والنزاع على الخلافة ، نعم كان ذلك باجتهاد من أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم فأما بعد ذلك فإن الأمر كله راجع للملك وحده ، وأخذ بنو أمية وبنو العباس يتنافسون على الخلافة ، وأدخل الآخرون الفرس معهم لإذلال العرب فذهبت رجحهم على عمر الأيام ، ولا زالت الأمة تتقهقر بالتدريج حتى يومنا هذا .

لا ملاذ ولا ملاجأ للمسلمين إلا أن يرجعوا لنفس النبوة ونفس الخلافة فيدرسوها درساً تاماً مفصلاً . ها نحن أولاء لم نجد في أممنا الإسلامية حوالنا ولا في أمم أوروبا حكومات تشاكل حكومات الخلفاء الراشدين .

تبين من كلام عمر مع ابن عباس أنه يضمن بالمسلمين أن يكونوا تحت إمرة من يتولى الخلافة بحق النسب خفية أن تترك الشورى ويحل النسب محلها وذلك الذي خاف منه عمر رضي الله عنه قد حصل عند الأمويين



وعند العباسيين ، فالنسب صار أصلا للخلافة ، وعمر يقول : كلا . إنما يكون بالشورى ، شاطر عمر بعض العمال في أموالهم وكره من آخر كما تقدم ما أعطي من المال للناس ودم ذلك سواء أكان من ماله هو أم من مال الأمة ، وعده على الأول إسرافا ، وعلى الثاني خيانة ، فيها هو ذا تاريخ ملوك الإسلام قديما وحديثا إنهم جميعا إلا قليلا منهم مسرفون في مال الأمة إسرافا فاحشا ، وكان الشعراء لا يعيشون إلا من عطاء الأمراء والملوك وكل هذا مال الأمة ولا نكير عليهم ولا رقيب .

قتل المسلمون عثمان رضي الله عنه بما ظنوا من ميله لقومه بني أمية ، وبما اتهم به مروان بن الحكم من تزوير كتاب فيه إرافة دم لمسلم ، وهذه لا تبلغ معشار عشر ما ابتليت به أمم الفرنسيين والإنجليز والألمان فعصوا ملوكهم ، فلقد علمت كيف ظلم الإنجليز ملوكهم ظلما فاحشا ، وكيف ظلم رجال الكنيسة والأشراف الأمة الفرنسية ، فكان لا يدفع الضرائب إلا الطبقة الثالثة وهي أيضا لاحق لها في أن تمنع الطائفتين الغالبتين عن إفساد الزرع بصيد الأشراف فيه كما تقدم .

أيها المسلمون : هاهو ذا كتاب الله ، وهاهي ذه سنة رسوله والخلفاء من بعده ، فوا لله لاجحة لكم بعد هذا ، قامت حجة الله على أمراء المسلمين وعلى العلماء وعلى العامة ، أما العلماء فبُنشر الفكرة بحيث تصبح كالعقيدة الجوهريّة في الإسلام ، فوا لله إن خطاب المسلم لربه في الصلاة إذ يقول «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم» يتضمن ما تقدم عن الخلفاء ، إذن هذا الصراط وهو العدل والشورى هو «صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض» المذكورين في أول هذه السورة «حمّ عسقّ» إلى قوله «له مافي السموات ومافي الأرض» الخ . عدل الخلفاء الراشدون لإشراق نور النبوة عليهم ، ولكن ذلك النور أخذ إشراقه يتضاءل على من بعدهم ، وخير لعلماء الإسلام وملوك الإسلام أن يدرسوا مع السيرة النبوية والخلافة نظام العالم أيضا . ( كالذي نشرناه في هذا التفسير ، فذلك مفتاح لمعرفة نور النبوة في مستقبل الزمان ) .

وأما الملوك فعليهم الاجتهاد في اتباع سيرة الخلفاء ، وأما العامة فعليهم الانقياد للوالم النافع ونبذ الظالم وذلك لا يكون إلا بتعميم التعليم ، وأنتم بأمر الأرض المحيطين بالإسلام ، هاهو ذا نظام الإسلام والأرض الذي أبدعه الله وهو الذي ألهم الحشرات ( وكل حيوان يعيش بهيئة جمهورية ) كيف تنظم الجماعات وتعطى كل ذي حق حقه ، فأنتم محاسبون جميعا على ماترون من هذا النظام ، أنتم جميعا بعد الموت سترون النقص في نفوسكم وهذا النقص نفسه عذاب لكم ولا بد لكم من قطع عقبات في عوالم أخرى حتى تصلوا إلى تمام النظام ، وذلك بأمرين : علم تام بهذه الكائنات ، وإخلاص تام للجماعات بحيث تصبح نفس الإنسان في المساعدة لأخواتها بعد التروى والتفكر أشبه بما طبعت عليه النحل في جماعتها والنمل في قريتها وهناك يكون الوصول إلى الله والنظر إلى وجهه الكريم وتكون السعادة التامة ، أما قبل ذلك فلا ، هذا ما عن لي اليوم كنيته في تاريخه ، والحمد لله رب العالمين . الأربعاء ١١ فبراير سنة ١٩٣١ م - ٢٣ رمضان سنة ١٣٤٩ هـ :

## عدل عمر وإنصافه

جاء في (كُنز العمال) في كتاب (أشهر مشاهير الإسلام) ما نصه :

كان بين عمر وبين أبي بن كعب خصومة، فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلا ، فجعل زيد بن ثابت فأتيه ، فقال عمر : أتيناك لتحكمني بيننا وفي بيته يؤتى الحكم ، فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال ها هنا يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : هذا أول جور جرت في حكمك ، ولكن أجلس مع خصمي ، فجلس بين يديه ، فادعى أبي وأنكر عمر ، فقال زيد لأبي : أعف لأمر المؤمنين من التيمين وما كنت لأسألها لأحد غيره . فخلف عمر ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض الناس عنده سواء . وفيه عن عبد الله بن حكيم قال : قال عمر بن الخطاب : ( إنه لا حلم أحب إلى الله تعالى من حلم إمام ورفقه ، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه ) .

## جمال الحكمة والعلم

في آية « وأمرهم شورى بينهم » وآية « قل لأسألکم عليه أجرا إلا المودة في القربى »

اللهم إنك أنت الحكيم العليم ، أنت الرب الشهيد . يا الله ، ما أجل صنعك في السموات والأرض ، وما أبدع نظامك في العقول الإنسانية ، حارت الأمم الإسلامية ياربنا في دين الإسلام . هذا الدين الذي أنزلته منذ ١٣ قرنا ونصفا . المسلمون يرون في هذه السورة أنك تحب إليهم الشورى . ثم هم يجدون الأمم الإسلامية أكثر حكوماتها جاهلة غافلة . فيقرءون سيرة عمر فيعملون إلى أي حد وصل العمل بهذا الدين أيام سنى الخلافة فيفكرون في السير على منواله . و يرون في هذه السورة « قل لأسألکم عليه أجرا إلا المودة في القربى » و يرون المفسرين مختلفين في تفسيرها كما قدمناه ، ويجدون آية أخرى تؤيد أن القربى هي التقرب لله كما قدمناه إذ يقول : « قل ما أسألکم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » والقرآن يفسر بعضه بعضا ، ولكنهم يجدون تفسير الجمهور وهو أن المراد بالقربى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم هو المشهور بين الناس ثم يرون آل البيت مقابر جعلت محل الإعظام والإجلال . وأخذ الناس يقدمون لها في بعض أقطار الإسلام الندور ، يريدون بذلك قضاء الحوائج ، وفوق ذلك يرون كثيرا من العلماء في الإسلام يقرون ذلك ، فهم في شدة الحيرة من ذلك . فهذه الحيرة أفضت مضاجعهم ، وفرقت وحدتهم ولكن رحمتك التي وسعت كل شيء تداركت الأمة بمثل ما جاء هنا في محاوراة ابن عباس مع عمر في سبب عدم إسناد العمل إلى آل البيت ، وقول الثاني للأول كما تقدم : « إني خشيت أن يأتي على الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلم إلى ولا هلم إليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وترككم » ثم أشار عمر إلى أن سبب ذلك خشية أن يبايع الناس آل البيت بمنزلتهم فيقع العقاب ، ولا بد من عتاب . ثم قال : فقد قرعت لك فما رأيك ؟ إلى آخر ما تقدم .

اللهم إنك أنت الحكيم العدل ، وأنت الرحيم . ظهر السر الذي كان محبوبا ، ظهر في ثنابا السكتب التروكة . أنت أمرت بالشورى ولكن الناس يتأثرون بدوى البيوتات والمجد والشرف ولا يراعون العلم

والقوة ، وكثيرا ما ولوا طفلا صغيرا لمزلة والده الراحل إلى ربه . فإذا صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ولاية بعض بني هاشم خيفة أن يباعدوا الناس بمزلتهم . وإذا صح أن عمر فعل ذلك أيضا وقد ظهر صدق فراسته إذ تقلد ابن عباس ولاية لعلى رضى الله عنه ، وأخذ ما في بيت المال لنفسه فأحزن أمير المؤمنين عليا بذلك فضلا عما يلقاه من معاداة معاوية بالشام . أقول : إذا صح هذا فقد ظهر الحق واستبان السبيل .

اللهم لاحجة للمسلمين في مخالفة الحقائق « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فهاهنا أمران : (أولا) الإمارة لا يجوز أن تكون إلا بالكفاءة وهذه يعرفها أهل الحل والعقد . والعبرة بالأغلبية . (ثانيا) : إكرام آل البيت رضى الله عنهم ، إن هذا الإكرام لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ، ولكن هذا الإكرام ليس معناه (أولا) أن نولى أحدهم ولاية وفي الأمة من هو أجدر منه ونضيع المسلمين ونطمع فيهم الكفار بهذا السبب ، ولعمري لأن تحفظ بلاد الإسلام من عدوان الأعداء وآل البيت محترمون فيها خير من أن يأخذها العدو فيعم النذل آل البيت وغيرهم (ثانيا) أن تنذر لهم النذور فتقول : إن شئى مريضى أو جاء غائبى فإنى أضع فى صندوق السيدة زينب رضى الله عنها أو فى صندوق سيدنا الحسين رضى الله عنه كذا كذا من النقود فإن هذا من أوضاع الجاهلين من أمم الإسلام

اللهم إن قرأ هذا التفسير للفرع به لا يعوزهم إيضاح هذا المقام ، ولكن سأقل لهم ماجاء من أقوال الشيخ الدياغ لأنه من كبار الأولياء والصالحين بقوله يحتاجون على كل من ادعى الولاية من المسلمين ، أولئك الذين يقولون : [ إن الشريعة شئ ، والحقيقة شئ آخر ] فهذه خديعة كاذبة خاطئة ، فانظر ما قاله وهذا نصه :

قال ابن المبارك : [ وسألته رضى الله عنه ؟ لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل ؟ ترى الواحد إذا جهد فى يمينه يقول : وحق سيدى فلان كسيدى عبد القادر الجيلانى أو سيدى يعزى أو سيدى أبى العباس السبى وغيرهم فعنا الله بهم . وإذا أراد أن يحاف أحدا ويؤكد عليه فى يمينه يقول : احلف لى بسيدى فلان ، وإذا أصابه ضر وأراد أن يسأل كالسعاة الذين يتكففون الناس صرح باسم سيدى فلان وهم فى ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل ، وإذا قيل لهم توسلوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا ، فما السبب فى ذلك ؟ فقال رضى الله عنه : أهل الديوان من أولياء الله فعلوا ذلك عمدا لقوة الظلام فى الدنوات وكثرة المنقطعين عن الله عز وجل فصارت ذواتهم خبيثة ، وأولياء الله تعالى يحبون الذين يذكرون سيدهم وخالقهم سبحانه أن تكون ذاته ظاهرة لأنه تعالى يحب من دعاه إذا انقطع إليه باطنا وقت الدعاء ، وإجابته تكون بأحد أمرين : إما أن يعطيه ما سأل ، وإما أن يبين له سر القدر فى النع إذا منعه وهذا لا يكون إلا للأولياء ، ولا يكون للبعداء المحجوبين ، فلو توجهت الذات الظلمانية إلى تعالى بجميع عروقها وبكل جواهرها وسألته أمرا ومنعها ولم يطلعها على سر القدر فى النع لربما وقع لها وسواس فى وجود الحق سبحانه فتقع فيما هو أدهى وأمر من عدم قضاء حاجتها ، فكان من الصلحة ما فعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين لأنه إذا وقع لهم وسواس فى كونهم أولياء فإن ذلك لا يضرهم . قال رضى الله عنه : وبما يدل على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام فى ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بمشرين موزونة مثلا وينذهب بها إلى ضربىح ولى من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له حاجته ، وكم من فقير محتاج يلقاه فى الطريق ويطلب منه متاع الله فى سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ لولى فيطرحها عند رأسه ، وهذا من أقبح ما يكون ، وسببه أن الصدقة لم تخرج

لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم ووجوده العظيم ، إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه ؛ لكن لما كان الحامل عليها والداعى إلى إخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحفظه خص بها موقعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعندما قال رضى الله عنه : وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدى للصالحين من باب تلمسان إلى الساقية الحمراء فإذا هو من الدنانير ثمانون دينارا ومن الغنم ثلثمائة وستون شاة ، ومن البقر اثنان وسبعون ثورا ، أخرج هذا كله في يوم واحد للصالحين وما أخرج لله تعالى في ذلك اليوم عشرة دراهم . قال رضى الله عنه : وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها وهي منحصرة في ثلثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل . قلت : وهل حضركم الآن منها شيء ؟ فقال رضى الله عنه اكتب . ( الأول ) : الهدية للصالحين على الوجه السابق دون وجه الله عز وجل . ( الثانى ) : التوسل إلى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة ، فيقول الزائر : « قدمت لك رجاء الله يا سيدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي » وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية ، فإنه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس . ( الثالث ) : زيارة الصالحين وعلى الزائر دين فرض كمدد صلوات وجب قضاؤها عليه فترك قضاءها الذى هو حق الله وفيه نور الله وسره تعالى الذى يرحمه به وذهب إلى زيارة صالح ، ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام . ( الرابع ) : الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرها فيقول في نفسه : « لا أعصى هذا الظالم لأني إن عصيته قتلتى أو منع رزقي » أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه ولو تحقق بوجود الحق تعالى معه وتصرفه فيه وفى ذلك الظالم لعلم أنه هو الفاعل وحده ، لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره فى فعل من الأفعال ، وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى ، وبقدر ما يقوى هذا النظر فى العبد يقوى قربه من ربه تعالى ، وبقدر ما يقل أو ينعدم يصكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه ( الخامس ) : الطمع فى الظالم فيتقرب إليه لينال منه رزقا ، ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرزاق لم يصدر منه ذلك ( السادس ) : النصرة للكافرين فيلهمهم مصالحهم فى دنياهم بأن يرى لهم طريقا ونحوه فإنه من أسباب الانقطاع عن الله عز وجل . قلت : وما رأيتان من نصح ظالما إلا وكانت عاقبة أمره خسرا ؛ ونذكر هاهنا قصة سفيان الثورى رضى الله عنه مع الذى أراد أن يوقظ حرسيا للصلاة ، فقال له سفيان : لا توقظه دعه هذه الساعة نسترح منه ومن شره فيها . ( السابع ) : عدم النصيحة للمسلمين ، فبرى ما يضرهم ولا يأمرهم بالتحرز منه ، وبرى ما ينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له ( الثامن ) : استحلاء التبع والمشقة فى طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل ، فمن أحس بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سببا من أسباب الانقطاع . ( التاسع ) : طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحقر ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال . وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الحائثة فقد طلبها بمعاصى هى أحس منها أى من الدنيا ، فمن أحس بذلك من نفسه فليتب إلى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أعز منها . ( العاشر ) : أن تكون أعمال العبد وطاعاته بقصد أن يرحمه الله بها وبقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحفظه لا بقصد وجه الله الكريم ووجوده العظيم ، وهذا سبب قد عم أكثر الناس إلا من رحمه الله عز وجل جعلنا الله منهم بمنه وفضله . قال رضى الله عنه : ولو لم يخلق الله الجنة ولا ناراً لتبين من يعبد من لا يعبده وكانت عبادة الذى يعبده خالصة لوجهه الكريم ، وحينئذ تحصل المعرفة به تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ، ولكن الناس لما سمعوا بذكر الجنة والنار تفرقت أغراضهم نحوها فضلوا عن

السبيل ( الحادى عشر ) المعاصى فى حرمان الله تعالى كالمسجد ونحوها فإن العبد لو تحقق بإضافة البيت إلى ربه وقال فى قلبه ( هذا بيت الله ) لم تصدر منه فيها معصية ( الثانى عشر ) اللواط وستأى مفسدته وأنه لا مزيد عليها ( الثالث عشر ) ضرب الرجل أمرأته من غير ذنب فلذلك الضرب سبب فى الانقطاع لما لها عليه من الحقوق ( الرابع عشر ) اللثة على العيال والأهل بالنفقة فيقول : ( أنفقت عليهم كذا وكذا ) بقصد المنة ( الخامس عشر ) الحسد ، وسياىى إن شاء الله تعالى ما فيه من الفساد وأن غالب المعاصى منه . ( السادس عشر ) الإقدام على المعصية مع معرفتها ، وسياىى إن شاء الله ببيان ذلك عند الكلام على أشد الناس عذابا يوم القيامة ( السابع عشر ) جمع الدنيا من الحرام . قلت : ولا يتكرر مع الوجه التاسع كما لا يخفى ( الثامن عشر ) عقوق الوالدين : فسمعت رضى الله عنه يحكى عن شيخه سيدى عمر بن محمد الهوارى ، وذكر أنه كان جالسا معه عند السدرة المحررة التى هى خارج روضة سيدى على بن حرزهم فجاءه ولده يودعه وأراد الذهاب إلى الحج فأبى عليه أبوه سيدى عمر . قال : وكان عاقا لأبيه ، فذهب وأبوه غير راض عنه ، فقال لى سيدى عمر : نتيجة عقوق الوالدين أربعة أمور : أحدها أن الدنيا تذهب عنه وتبغضه كما يبغض المؤمن جهنم . ثانيها أنه إذا جلس فى موضع من المواضع وجعل يتكلم مع الحاضرين فى شىء من الأشياء صرف الله قلوبهم عن الاستماع لكلامه ، وينزع الله تعالى البركة والنور من كلامه ويصير محقوتا بينهم . ثالثها أن أولياء الله تعالى من أهل الديوان والتصرف لا ينظرون إليه نظر رحمة ولا يرقون له أبدا . رابعها أن نور إيمانه لا يزال يتقص شيئا فشيئا ، فمن أراد الله به الشقاوة والعباد بالله لم يزل كذلك إلى أن يذهب نور إيمانه ويضمحل بالكفاية فيموت كافرا ، نسأل الله السلامة ، ومن لم يرد به ذلك مات ناقص الإيمان أعاذنا الله من ذلك . قال : ونتيجة رضاهم أربعة أمور هى أضداد لهذه الأمور : تحبه الدنيا كما يحب المؤمن الجنة ، ويحلو كلامه بين الناس ، ويعين عليه أولياء الله تعالى ، ولا يزال إيمانه يزيد شيئا فشيئا والله الموفق . فانظر يا أخى هذه للفساد الأربعة التى فى عقوق الوالدين ، والحاسن الأربعة التى فى بر الوالدين .

( التاسع عشر ) مخالطة المهجوبين كذوى الرياضات فإن فى ذات اليد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبه من ذاته يتصل ذلك النور بعبطية الحق سبحانه يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بدمها ويخاف عليه من الانقطاع أصلا ، وانسداد الثقب بمخالطة أرباب الرياضات ، فإنهم برياستهم وأموالهم وجاههم يستولون على ذاته فتكون تحت أسرهم وفى حكم قبضتهم ، فلا يزال يصغى إليهم بقلبه وقلبه ، ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع الحق سبحانه فى فكره ولا فى خاطره ، فلا يزال كذلك مسترسلا فى أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقب أصلا والعباد بالله ، وهذه آفة حاصلة من ذوى الرياضات . نسأل الله السلامة ( العشرون ) التفريق بين

الحلفاء الأربعة : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين . هذا ما قاله الشيخ الدباغ رحمه الله تعالى ، ومن يحب ما ذكره الشيخ الشعرانى فى كتابه للسمى ( درر الغواص ) فى هذا الموضوع ، فقد سأل شيخه الخواص ، فقال مانصه :  
وسألت رضى الله عنه : هل أقرأ أو أصوم وأجعل ثواب ذلك لآدم عليه الصلاة والسلام ليكون ذلك وصلة بينى وبينه فى المعرفة فى الآخرة بسبب أعلته به ؟ فقال : لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبي أو غيره . فقلت له : كيف ؟ فقال لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب فى الدعوى إلى الله لا إلى نفسه ، فاذا وقع الإيمان الذى هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا الحكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما فى حال الناجاة فى السجود سواء ؛ فنفس الرسول يغار من أمته أن يقفوا معه دون

الله تعالى فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» الحديث . انظر يا أخي إلى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» فأعلمنا تعالى بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جملة الله تعالى واسطة لنا في كل خير مع أنه تعالى بالغ في مدحه صلى الله عليه وسلم حتى كاد أن يصرح بأنه هولكثرة ما وصفه بالسكال في نحو قوله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله وبقوله «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله» ومع ذلك قال له «ليس لك من الأمر شيء» أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون» فأخرجه عن حال الخلق ونفاه عنهم وأثبتته معه في البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له في كاله أو رتبته صلى الله عليه وسلم فافهم والله أعلم . انتهى كلامه .

### درة يتيمة

حضر صاحبى الذى اعتاد أن يحدثني في هذا التفسير . فقال : هل تسمح لي أن أقدم هذه المقالات . فقلت حبا وكرامة . فقال : أين الثريا وأين الثرى ؟ ذكرت سيرة عمر رضى الله عنه لمناسبة آية الشورى وأتبعها بأقوال الشيخ الدباغ ، فأين للناسبة بينهما ؟ فقلت يصاح الأمر سهل ، إن في السورة آيتين وهما آية الشورى وآية المودة في القربى وبينهما صلة ما . ألا ترى أن المسلمين أبوا أن يسيروا بالشورى بعد سنى الخلافة وهى ٣٠ سنة كما تقدم ، ولقد ظن الناس أن الانتساب لعظيم أو لملك كاف ، وهذا في الحقيقة انحرف عن الجادة في الخلافة ، فأية المودة في القربى باعتبار التفسير المشهور جعلت سببا في إبطال الشورى في زمان ما من أزمان التاريخ الإسلامى ، ولقد تعالى الناس في التدلى والتنزل والغاضى عن الحقائق الإسلامية حتى نذروا التدور لمن مات من الأولياء شرفاء أو غير شرفاء ، فلذلك ذكرنا أقوال الشيخ الدباغ ليظهر للمسلمين الحقائق التى يقول بها علماء الإسلام وظهرت على لسان صالح من صلحاء الإسلام .

ولو أنهم أدركوا الحقائق لرجعوا إلى ربهم في صغيرات الأمور وكبيراتها والله يقضى بالحق . إن الذى أضل كثيرا من المسلمين هو الجهل الفاضح ، ولعلك تذكر ما قدمته من حديث عمر مع ابن عباس : فقال : أذكره ولكن أريد ما هو أوضح . فقلت اسمع ماجاء في كتاب ( أشهر مشاهير الإسلام ) وهذا نصه :  
ومن عجيب فراسته التى كان كأنه ينظر منها بعين الغيب ما ذكره ابن عبد ربه في العقد . قال : قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب ، وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط ، فقال له يوما كدت أستعملك ولكن أخشى أن تستحل الفى على التأويل ، فلما صار الأمر إلى على استعمله على البصرة فاستحل الفى على تأويل قوله الله تعالى «واعلموا أن ما غنمتم من شيء» فإن لله خمسة وللرسول ولدى القربى» واستحل من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تفرس فيه ذلك عمر من قبل . هكذا كان مبلغ فراسة عمر رضى الله عنه خصوصا في بنى هاشم وقد كان يتفرس فيهم القيام يوما لطلب الخلافة وإثارة غبار القتب والاستحواذ على ذلك المنصب الذى كانوا يرون أنفسهم أحق الناس به على خلاف ما كان يراه جملة المهاجرين الذين يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من أن يعملوا له عملاكى لا يحدثوا أنفسهم بشيء من الإمارة لأنها غير النبوة ، ومن ذلك ما ذكره في العقد أن العباس رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه ولاية فقال له : «يا عم نفس تحبها خير من ولاية لأخصبها» .

وكان عمر لنفرسه فيهم التطلع إلى الإمارة لا يستعمل أحدا منهم كما لم يستعملهم رسول الله ﷺ وسلم وبجاهر بظنه هذا فيهم ، وقد جاهر به لعبد الله بن عباس مرارا ، ومنه ما تقدم ذكره في باب سياسته إذ قال له : « يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي على الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم » .

واتقد تحققت فراسته في بني هاشم بعد إذ قضا عصورا طويلة في مكافحة الملوك ومزاومة الخلفاء على الخلافة وأسوا عدة دول أضخمها العباسية في بغداد والفاطمية في أفريقيا وأهرقوا سيولا من دماء أشياعهم وأشياع غيرهم في سبيل نيل هذه البغية ، وتأتى عن هذه المزاومة من التشويش في أمور الدول الإسلامية والاضطراب في المسلمين ما الله به عليم . على أنهم لو اتعظوا بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صرف أسلافهم عن الإمارة وصرفها عنهم لما أقدموا على شيء من ذلك بل لكانوا إذا استمر في نفوسهم شيء من التطلع إلى الخلافة سلكوا إليها سبيلا غير ذلك السبيل وجعلوا الأمة بأجمعها طامحة الأنظار إليهم ساعية بنفسها لإسناد منصب الخلافة لأهل الجدارة منهم وحسبهم موعظة وذكرى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على صلاحه وتقواه وسابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهرته بالعدل والورع والزهد (ومن كملى بعده) لم يوفق إلي جمع كلمة الأمة على الرضا بخلافته لا لقصور فيه معاذ الله وإنما هو لما وقر في نفوس الأمة يومئذ من أن الهاشميين بسبب قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفكون عن الإدلال على الناس وحب الاستعلاء على الكافة والناس يومئذ في إبان نشأة الإسلام وعز الحرية وحظيرة المساواة والإخاء التي حشرهم إليها الإسلام بقوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » وبقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » فبتوهم أن يسلمهم بنو هاشم شيئا من هذه النعمة بالاستعلاء عليهم ، كانوا غير مبالين لاستخلاف أحد منهم ، بذلك على صدق هذا القول ما ذكره في العقد عن عبد الله بن عباس . قال : « ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لي : يا ابن عباس ما يمنع قومك منكم وأتم أهل البيت خاصة ؟ قلت لأدرى ، قال : لكنني أدرى أنكم فضلتموهم بالنبوة ، فقالوا : إن فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يقولوا لنا شيئا وإن أفضل النسيين بأيديكم بل ما إخالها إلا مجتمعة لكم وإن نزلت على رغام أنف قريش (يريد الخلافة) انتهى ما أردته من كتاب (أشهر مشاهير الإسلام) والحمد لله رب العالمين .

فقال صاحبي : لقد وضع اللقاع وضوحا تاما ، فالحمد لله ، فماذا تقول في الأمم الإسلامية الحاضرة ؟ هل ظهرت في بعضها بوادر الشورى . فقلت : إن هذا هو الزمان الذي سيظهر فيه نور النبوة وتظهر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة عمر وغيرهما ، وهناك تبدل الأرض غير الأرض ، والمسلمون مقبلون على هذه الحال طوعا أو كرها ، والذي منعهم من ذلك هو الجهل ، أما اليوم فإن الله قد أذن بانتشار العلم في الإسلام ، وستكون الحكومات كلها شوروية ، فهل لك أن تسمع ما جاء في جريدة الأهرام يوم الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

## الحياة النيابية في أفغانستان

جلالة الملك نادر شاه يمنح البلاد مجلسا نيابيا  
حفلة الافتتاح وخطاب العرش

نشرنا في الأهرام الغراء منذ أسبوع كلمة عن جلالة الملك نادر شاه ملك أفغانستان الحالي بمناسبة تنويعه واليوم جاءنا البريد الأفغاني طائفا بوصف حفلة افتتاح المجلس النيابي الجديد الذي أنعم به جلالة الملك نادر شاه على بلاده التي تمسق الحرية وتتفانى في الذود عن حياضها من قديم الزمان رغبة في أن تسود العدالة والرفاهية في تلك البلاد .

وقد ألقى جلالتنا خطابا ضافيا بحث فيه عن حالة السلمين وقارن بين تاريخهم الماضي وتاريخهم الحاضر بشيء من الإيجاز وخرج من بحثه بنتيجة هامة هي منح بلاده الحياة النيابية الصحيحة لتمكين في صراحة وإيمان من إدارة شئونها بنفسها . وقد قامت الأمة الأفغانية المحيدة على بكرة أبيها تهمل وتكبر لهذا الحادث السعيد . وإنما لانرى مندوحة من أن ننشر للقراء الكرام وصف حفلة الافتتاح كما شرحتة الجرائد الأفغانية وترجمة خطاب العرش الكريم . قالت جريدة ( إصلاح ) التي تصدر في كابل « كان يوم ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ يوما مشهودا في كابل تطاولت إليه أعناق الأفغانيين وتطلعت إليه أبصار الشاهدين منهم والغائبين لأنه فأعده عهد جديد وغرة عصر سعيد، وهل هناك أعظم من نعمتي الحرية والشورى المليئة بخير بهذا اليوم أن يحتفل به الأفغانيون احتفالا جديرا بهم وهم الأبطال الأماجد » .

— ففي هذا اليوم غصت ردهة قصر جهل ستون ( الأربعين عمودا ) بمجموع وكلاء الأمة وعظماؤها والكثيرين من العلماء والموظفين العسكريين منهم والمسيكين وذلك لمشاهدة الاحتفال بافتتاح المجلس النيابي الأفغاني الذي يعد أكبر حادثة تاريخية في أفغانستان في العصر الحاضر لأن أفغانستان التي نشأت من القديم على حب الحرية كانت محرومة من نعمة الشورى بطريقة رسمية تخضع لها الحكومة المركزية وتكون رهن إشارتها ، وقد بما كان القول الفصل فيها هو للحاكم الأعلى لا رقيب عليه ولا حسيب ، وكثيرا ما نتج عن ذلك مضار لا تحصى وأخطار كبدت الأمة ضحايا كثيرة وخسائر جسيمة ، وفي الوقت نفسه يجدر بالحاكم العظيم خصوصا في بلد كأفغانستان أن يعول على عضد شعبه ورضاه بدلا من أن يستقل برأيه الشخصي ويتبع هواه ويسخر من مواطنيه ولو تصفحنا تاريخ أفغانستان لوجدنا أن الحكام الذين ساروا وفق رغبة الأمة كانوا في مركز أعظم ضمانا وأكثر حرية وأكبر كرامة وأبعد نفوذا وبالعكس فإن الذين فسقوا عن أمر الأمة واستهانوا بكرامتها طردوا ولم يجدوا لهم عوناً ولا نصيراً .

وهاهو جلالة الملك نادر شاه الذي نفخ في بلاده تلك الروح العالية التي نشلتها من السكارة التي كادت تؤدي بها إلى الهلاك وتحمل في سبيل ذلك كل ما يتحمله المخلصون مستعينا في ذلك بما وهبه الله من قوة الذهن وسعة العقل وحسن البصيرة ، يفتح عهده السعيد باعطاء البلاد حريتها التامة وحقوقها الكاملة فأنشأ المجلس النيابي ( لوبه جرگه ) رغبة في جمع كلمة الأمة وتوحيد الوجهة الوطنية توحيدا صادقا لخدمة الصالح العام كما يتضح من خطاب العرش وهذا ترجمته :

(أعزائي المحترمين : أحمد الله الذي أتاح لنا هذا الاجتماع الأخوي بعد أن قاسينا ما قاسينا في سبيل تبديد تلك الشدائد والمخاوف التي كانت تحيط بنا وبالبلاد من كل جانب ، فاجتماعكم أيها النواب في هذا المجلس المقدس



وأتم على أمم مانكونون اتحاداً وأخوة إسلامية عملاً بقول الله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » إنما هو المقصد شريف وهو ترقية أفغانستان والعمل على إسعادها ورفاهيتها وتقوية أركانها وفقاً للأمر الإلهي القائل (وشاورهم في الأمر) « وأمرهم شورى بينهم » لهذا اجتمعتم في مكان واحد وفقاً لرغباتنا الصادقة، وإني أشكر الله تعالى على ذلك شكراً عظيماً وأحسب من صميم قلبي وأتمنى أن تكونوا أتم وكافة أفراد الأمة بخير وعافية، وبعد فإنكم تعلمون أن النجاح والسعادة في الحياة هما في الاتفاق، كما أن الحراب والعبودية في النفاق، وقد شاهدنا ذلك ببيوتنا في مدة لا تتجاوز السنة فتأكدنا أن النفاق عذاب إلهي كما أن الاتفاق رحمة سماوية وتفصيل هاتين الحقيقتين واضح في التاريخ في كل زمان ومكان وأثرهما يعرفه كل إنسان .

وإنكم تفهمون لماذا وكيف انتشر الإسلام وعم الآفاق ونشر ألوية الأمن والسعادة البشرية والترقيات العصرية خفاقة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم؟ لم يكن ذلك بقوة السيف وحده وإنما بالأصول الصحيحة والقواعد السليمة التي جذبت الجماعات المختلفة والأقوام المتباينة إلى حظيرة الدين الحنيف الذي انتشر بقوة البرق الخاطف أينما حل وسار، ومن أكبر دواعي نجاحه انعدام الفوارق الجنسية والاجتماعية بينهم، فالمسلمون إخوة مهما اختلف لونهم وتمددت أجناسهم وتباينت أوضاعهم فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى فهل تراهم تمسكوا بأهداب المساواة وحافظوا على الشورى في أمورهم وأعمالهم، إن رقى المسلمين في الماضي لم يكن له من سبب إلا بحفاظتهم على هذه الصفات السكرمة والمزايا الحميدة فلما انحرفوا عنها وهي في الحقيقة أساس الرقي والتقدم سقطوا إلى الخضم، لقد عرفت الدول التمدنية بعد طول التجارب أن الأصول الإسلامية كالحرية والمساواة والشورى أفضل الأصول وأرقاها ولذا اتخذتها أساساً لحكوماتها بعد أن أراقت في سبيلها الدماء الغزيرة ولم يكن قبل الإسلام حرية بمعنى الكلمة حتى يمكن أن يشير إليها .

ومن أحسن أنواع المساواة في الإسلام مسألة ترتيب الصفوف في الصلاة، فالخادم يقف بجانب الملك في حضرة الإله يؤدي الفرض بلا كلفة ولا حرج . ونفس صلاة الجماعة أعظم مثل في المساواة الإسلامية، ولكن لسوء الحظ فإن الحكومات الإسلامية مالت إلى الاستبداد وعكفت على الإفساد والتفرقة فتأخرت وانحطت حتى أصبح يضرب بها المثل في القلة والمسكنة .

فما سبب هذا التدهور وذلك الترفي؟ ياترى الدنيا عالم أسباب : فإذا كانت الأسس التي تبني عليها الأعمال والاصلاحات مبنية على التجارب الصحيحة والقواعد الثابتة كانت النتيجة في أي زمان ومكان لا شك مفيدة منتجة .

وإذا كانت الأسس غير صالحة والتجارب غير ناضجة جاءت العاقبة وبالاً بلا مراء، وهذا هو القانون الأساسي الذي لا يتبدل ولا يتحول إلى قيام الساعة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ففي الزمان الأول كان المسلمون أهل استقامة وعلم بالسياسة وحزم وشجاعة عملاً بقانونهم الإلهي التوحيه فوصلوا بذلك إلى ما وصلوا إليه من الرفاهية والسؤدد، فلما ابتليت الأمة الإسلامية بالملوك الأنانيين والعلماء المفسدين وساءت سيرة الحكام مع انتباز قانونهم المبين وصلت إلى ما هي فيه الآن من العجز والانحطاط .

ومن دواعي الأسف أنه كلما ظهر في هذا العصر رجل بصير حازم غيور على دينه وبلاده سواء أكان من الحكام أو العلماء قام في وجهه المعارضون فلا يهدأ لهم بال إلا إذا نكسوا رأسه فدخلوا الجو لتدوى الأغراض والمصالح الشخصية وهذا ما يتباهى به المسلمون والتاريخ شاهد عدل على ذلك .

ولما كان لا بد من قوة تنظم وتؤيد العمليات والأحكام أعنى حكومة عادلة تسير على منهاج الشرع الإلهي

يكون فيها الحاكم هو المسئول الأول في تنفيذ القوانين التي شرعتها الجماعة التشريعية ويكون مسلكه قدوة للرعية إذ (الناس على دين ملوكهم) كان من الواجب أن زمام أمر كل أمة دائماً أبداً بيد شخص عاقل صادق يسهر على مصالح الأمة ويعمل على نحو الفوضى والخراب وجلب السعادة والرفاهية .  
هذه هي نظريتي التي توصلت إليها أعرضها عليكم أيها الأعزاء .

وفيما يختص بوطننا العزيز ، فإنني لأسف بأن الانقلاب الذي وقع أخيراً لم يكن وحده هو سبب خراب أفغانستان بل أيضاً عدم وجود أساس حكومي ثابت كان أكبر عامل في ضعف وتأخر البلاد .  
فإذا لم نتخذ بالرغم من كل شيء الاحتياطات اللازمة والوقايات الضرورية إزاء أمثال هذه الصدمات المفجعة والنكبات المدهمة فإننا نعتبر مقصرين في خدمة الوطن الخدمة الحققة اللاتمة به إن لم نعتبر خائنين له .

وإنني كما تعلمون حقاً أحب بلادي من صميم فؤادي ولست أرغب في شيء أكثر من أن أعتبر خادماً من خدام الدين والوطن ، ولهذا وبالرغم من المشاكل المالية التي وقعت عقب الانقلاب الأخير أرغب في أن تكون حكومة أفغانستان على أساس صحيح وأمن رغبة في تقدم البلاد وإنهاضها إلى مدارج الفلاح ، وكل من يساهم في هذا المقصد النبيل لاشك يفوز برضا الوطن المقدس وإحراز السعادة الأبدية الخالدة .

ولهذا المقصد عينه الذي اعتبره مفتاح السعادة طلبتكم أيها الوكلاء لأعرض عليكم رغباتي الخاصة وهي أنا منحنا رعيتنا الحربية الكاملة التي لم يحصل عليها أكثر الأمم رغم إراقة الدماء وأمرنا بالجلس النيابي رغبة في أن تسود العدالة والرفاهية في هذه البلاد ، ولتعلموا أنكم إذا أحسنت استعمال حقه الموقوف لكم أمكنكم الحصول على فوائد حمة خير وطنكم وحكومة بلادكم .

وإنني لأرجو أن تقوم في أفغانستان الشورى المليئة التي هي دواء المرض ومفتاح السعادة على خير الأسس ونحو كافة الصفات والعناصر التي هي في الإسلام .

وإنني أشكر الله الذي وفقني إلى تحقيق ما وعدت به وها هو المجلس النيابي يتعقد لهذا المقصد السامي وبذلك أشكر الله شكراً كثيراً على ما هداني إلى إحياء سنة كانت متروكة إلى هذا اليوم .

وسيتباحث معكم في هذا الباب الصدر الأعظم ومجلس الوزراء في جو ودي للوصول إلى طريقة الانتخاب وعدد الوكلاء وفقكم الله وسدد خطاكم حتى يكون عملكم هذا موضع إعجاب ورضا العالم أجمع آمين «  
وإننا لنبتهل إلى الله بالدعاء بأن يجعل هذا العمل محمود النتيجة مبارك الأثر على البلاد وأن يفيء به عليها ظلال الأمن والرفاهية وأن يحفظ للبلاد ذات جلالته السكرية وهو من شهد له التاريخ بعمله اللائق في إنقاذ البلاد من الفوضى ومن عرفت له البلاد مآثره السكرية في نشر ألوية الحرية موبدة بتوفيق الله . انتهى ماجاء في الجريدة المذكورة .

فلما أتممت هذا المقال قال صاحبي : لقد شرحت صدرى فأحمد الله عز وجل ولكن ماذا تقول في بقية بلاد الإسلام . فقلت : هي إلى هذا سائرة ، فأهل مصر بلادي وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وكذا أهل الشام والعراق وغيرهم ، كل هؤلاء ستكون حكوماتهم شوربة صادقة ، وستزول الأمم الأوروبية من بلادهم فلا تبقى انكسرتا في بلادنا مصر وفلسطين والعراق ، ولا إيطاليا في طرابلس ، ولا فرنسا في الجزائر ومراكش وتونس والشام ، ولا إسبانيا في مراكش ، بل هذه الدول سترحل من تلك البلاد لأن الذي أدخلها فيها هو جهل المسلمين وغفلتهم ، والقوم اليوم استيقظوا ، وستكون الحكومات محلية صادقة بعيدة عن الترف والزوات والشهوات القاتلة .

إن الذي أحر المسلمين بعد الصدر الأول ظنهم أن الحاكم هو الذي يفعل ما يشتهي ويتمتع وبأكل كما

تأكل الأنعام في هذه الحياة ؛ وهذا مرض وجهل ، فليتعلم المسلمون تعلما أرقى ، وليعلموا أن ذلك كله مرض وجهل فاضح وخزى عظيم ، الملك والأمير والحاكم والقاضي يجب أن يكونوا أزهد الناس في مال الدولة وأرفعهم نفسا وأعفهم ، والله هو الولي الحميد ، انتهى تفسير سورة الشورى .

## تفسير سورة الزخرف

(هي مكية)

إلا قوله تعالى « فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين » فمدنية

آياتها ٨٩ - نزلت بعد الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم \* وَالكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* وَإِنَّهُ فِي أُمِّ  
الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ \* أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا  
مُسْرِفِينَ \* وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ \* وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ \* فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ \* وَاتَّيْنَسَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ  
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً  
مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ \* وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ  
مَا تَرَكُونَ \* لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا  
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ \* وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ \* وَجَعَلُوا لَهُ  
مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ \* أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كَمَا بِالْبَنِينَ \*  
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* أَوْ مَن يَنْشُؤُ  
فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ \* وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا

أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنَّ شُهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ \* وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاَهُمْ مَا لَهُمْ  
 بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ \* أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ \*  
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ \* وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
 قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ  
 مُقْتَدُونَ \* قَالَ أُولَئِذٍ ثَلَاثُ أَجْمَعِينَ \* مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آثَارًا مِنْ كَيْفَ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 كَافِرُونَ \* فَاثْقَمْنَا مِنْهُمْ فَاظْهَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ \* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ \* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً  
 بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ  
 مُبِينٌ \* وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ \* وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ  
 عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ \* أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ  
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتُ  
 رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَعْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ  
 لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ \* وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ \*  
 وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ \* وَمَنْ يَعْشُ  
 عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ \* وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
 وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا آيَاتُ يَنْبَغِي وَيَنْبَغِيكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ  
 الْقَرِينُ \* وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ \* أَفَأَنْتَ  
 تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ  
 مُنْتَقِمُونَ \* أَوْ نُزِيلُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ \* فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي  
 أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ \*

وَاسْتَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ \* وَلَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ \* وَمَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةِ الْإِلَهِىِ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ  
 بِالْمَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا  
 لَمُهْتَدُونَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْسُكُونَ \* وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ  
 قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* أَمْ أَنَا  
 خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُيبِينَ \* فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ  
 مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ \* فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* فَلَمَّا  
 آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ \* وَلَمَّا  
 ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ \* وَقَالُوا يَا لِهَذَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ  
 إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ \* إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي  
 إِسْرَائِيلَ \* وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ \* وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ  
 فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
 مُّبِينٌ \* وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى  
 تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ  
 مُسْتَقِيمٌ \* فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ \* هَلْ  
 يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ  
 عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ \* يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا  
 بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ \* ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ \* يُطَافُ عَلَيْهِمْ  
 بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \*  
 وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا

تَأْكُلُونَ \* إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ \*  
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ \* وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ  
إِنَّكُمْ مَا كِتَابُونَ \* لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلذَّقِ كَارِهُونَ \* أَمْ  
أَبْرُمُوا أَمْرًا فَإِنَّا بُرْمُونَ \* أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا  
لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ \* قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ \* سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ \* فَذَرَهُمْ يَحْوُسُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي  
يُوعَدُونَ \* وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ \* وَتَبَارَكَ  
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَلَا  
يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ \* وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ \*  
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ \*

### ( تفسير البسملة )

لك الحمد اللهم على نعمة العلم والحكمة وعلى ما أوليتنا من الجليل ، وشرحت صدورنا لتبيان بعض  
أسرار كتابك الكريم . هذا ، ولما كتبت هذه الكلمات حضر صديقي الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير  
فقال ما الذي تريد أن تكتب في البسملة بعد ما تقدم في بضع عشرة سورة ، وكيف تعيد القول  
فيها ؟ وهذا إلى التكرار أقرب ، والتكرار في التأليف غير محمود ، فقلت : أيها الصديق لقد  
تعجبت على وما كان لك أن تحمك حكما قاطعا من طريق الظن . فقال : ليس بالظن . إن البسملة معروفة  
الغنى يفهمها الخاص والعام ، فإعادة القول فيها جار على المثل « توضيح الواضحات من المشكلات » .  
فقلت تسمح لي أن أبدي رأبي ، فقال وهل تجاسرت على الإسراع في الاعتراض إلا لأسمع مقالك ،  
وأفهم بيانك ، إيضاها للأمر ، وتبيننا للحق فقلت : إن هذا النوع الإنساني ما أوقعه في الأثم وأضاع  
منه معظم سعادته فأصبحوا في الأرض متقاطعين متدابرين إلا اغترارهم بعقولهم وظنهم أنهم يعلمون كل شيء ،  
فهم يرون الجمال في الوجوه الإنسانية والصور الحيوانية والنباتية والكواكب للشرق ، ولكن أكثرهم  
عن الجمال مسحورون وفي ذنوبهم وهمومهم الوهمية محبوسون مغمورون ، وما يدرك حقائق الجمال  
إلا أولوا الألباب .

ومثل الجمال في شيوعه وعدم تعقله المآكل والمشرب ، فالناس جميعا يأكلون ويشربون ويعيشون

ويعوتون ولا هم يذكرون حقائق ما يأكلون ، فهم عن معرفة حقائق المآكل مسحورون كما أنهم عن بدائع الجمال والفرح بها مبعدون .

وعلى هذا القياس تسمع المسلمين من نوع الإنسان يقرءون الفاتحة في الصلاة ويسبحون ويحمدون ويظنون أنهم يفهمون حقائق الرحمة التي يقرءونها في البسملة ، وهذا الظن استوى فيه علماءهم وجهلائهم وشيوخهم وصبيانهم ، وهم جميعا إلا قليلا منهم مغرورون لأنهم لا يعلمون .

إن الإنسان اعتاد أن يظن أن ما ألفه عنده معروف ، ألا لا فرق بين الشمس والقمر والنجوم التي اعتدنا رؤيتها وألفنا منظرها وبين البسملة والمآكل والمشرب والجمال العام ، فهذه جميعا يظن الجاهل بسبب ألفتها أنه بها عليم وما هو بعليم . لا يعقل الجمال من نوع الإنسان إلا القليل وهم الحكماء وما أندرهم في هذا الإنسان ، وقد مر الكلام في هذه وحدها في (سورة السجدة) عند آية «التي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» الخ فارجع إليها إن شئت ، وبقى الكلام في الطعام والشراب والبسملة . فقال صديقي : أما البسملة فنعمة ولما إذا تذكر عجائب الطعام والشراب ، فقات إضاحا لسؤالك ، ألم نسويين هذه الثلاثة في أن أكثر الناس يجهلون بها وما هم بعالمين ، قال بلى . قلت : ألم أقل إن أمر الجمال تقدم في (سورة السجدة) . قال بلى ، قلت إذن تشرح القسمين الباقيين ، فأما أحدهما فمن باب التنظير ، وأما ثانيهما وهي البسملة فهي المقصود ، وهذا الأسلوب الذي سلكته في هذا التفسير وإن كان فيه إطناب سيكون من بواعث إنهاض الأمم ، وبعث العزائم ، وشرح الصدور ، وإبراز همم كانت خاملة ، وعقول كانت نائمة . قل لي رعاك الله : أيهما أقرب إلى إيظاظ الهمم ، وبعث تلك النفوس الشريفة التي أودع الله فيها قوى يعوزها الإيظاظ والتنبيه ؟ إعراب البسملة الذي كان كثير من المؤلفين يكررونه في أول كل كتاب وتطبيقها على العلوم الاثني عشر المشهورة عند المتأخرين من أم الإسلام وموت النفوس في قشور العلوم فيكون الجهل التلم والموت الزؤام ، أم الفوص على الدرر والجواهر في بحار العلوم واستخراج خلاصاتها في أول كل سورة بمناسبة ما في نفس السورة كالذي فعله الآن ، إن تفسير البسملة في هذه السورة لا تكرر فيه ألبتة ، هي فوائد مستخرجات من نفس القرآن ، بل من نفس السورة التي فيها البسملة ، وسترى في هذه السورة عجبا فإن الرحمة مكررة في سورة (الزخرف) هنا ثمان مرات اثنتان على هيئة المصدر «أهم يقسمون رحمة ربك» الخ «ورحمة ربك» الخ و (٦) بهيئة الصفة المشبهة :

(١) «وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا» الخ .

(٢) «وجملوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا» .

(٣) «وقالوا لو شاء الرحمن» الخ .

(٤) «ومن يعش عن ذكر الرحمن» الخ .

(٥) «أجعلنا من دون الرحمن آلهة» الخ .

(٦) «قل إن كان للرحمن ولد» الخ .

فالرحمة وما اشتق منها كررت في السورة وذكرت في البسملة ، والحاء والميم في أول السورة حرفان من الرحمة ، وهذه الآيات التي بها الرحمة فيها أسرار لا بد من إظهارها ، وسترى هنا من عجائب العلم وبدائع الحكمة مما فصح الله به في ليلة الجمعة الفائتة وفي ليلة السبت بعدها قبل الفجر أي في ليلتي (١٤) و (١٥) نوفمبر سنة ١٩٣٠ م ماتقربه أعين أرباب البصائر ويبرز علم مخزون تفتح به أفعال كانت موصدة قبل التي سنة على كنوز خباها سقراط وأفلاطون في كتاب الجمهورية عند الكلام على المثل الأفلاطونية وما اعترض به عليها أرسطاطاليس

بعدهما ، وما قاله الفلاسفة بعد تلك القرون وأغلق الأمر عليهم ؛ فأرجو أن أوفق في هذا المقام لتحقيق هذا المقام وذلك بطريق العقل تفسيرا لهذه الآيات وتطبيقا عليها . فقال : إن هذا القول الذي سمعته منك الآن غريب . وكيف يدخل ما يقوله سقراط ومن بعده في هذا المقام . وكيف ترجو أن تحل مشكلة عسر فهمها على فلاسفة اليونان والرومان والأمم بعدهم فقلت : أنا قلت لك أرجو وستكون ممي وقت المباحثة في هذا الموضوع والله يقول « وأمرهم شورى بينهم » ، أنا إذ ذاك سأعرض في المناقشة آيات السورة التي فيها الرحمة وسنحاول بطريق مبادلة الفهم والمناقشة معنى « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا » الخ ، وقوله تعالى في سورة أخرى « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وندرس هذا الموضوع ، وننظر هذا المقام في قول سقراط سيد فلاسفة أوروبا الحاليين والسابقين بإقرارهم وماذا قال في هذا المعنى قبل نزول القرآن ثم نذكر الشبهات التي وردت عليه وهكذا ، ثم نبين ما عن لنا في ذلك فإن زالت الشبهة فقد نصرنا الله وفتح علينا وإن لم نزل فقد نلنا نعمة الاجتهاد وثمنا بالواجب علينا . فقال والله لقد أفتعتني وشفيت صدري ، فأنا الآن أوافقك على البحث في هذا الموضوع ، ولقد انشرح صدري فيه لاسيما أن هذه الآيات لا تخطر في بال علماء الإسلام فضلا عن الجهال . إن الأمم السالفة خطر لهم الكلام في معانيها قبل نزولها ، فالكلام في ذلك يكون من أعجب الأعاجيب . فقلت الآن اتفقنا على أننا سنبحث في البسملة من هذه الوجهة . قال نعم . قلت إذ ذاك لنبحث في المسألة التي كنا أخذنا نتمرع فيها قبل البسملة بعد الكلام على عموم الجمل وهي مسألة المآكل والمشرب من حيث إن الناس لما كانوا معتادينها لم يتفطنوا لها كما لم يتفطن أكثر المسلمين منهم للبسملة من أجل شيوع ذكرها في كل أمر ذي بال . قال : أنا موافق على ذلك . فقلت :

### المآكل والمشرب

قدمت لك أيها الصديق في هذا المقام أن أكثر الناس يتوهمون أنهم يعرفون ما يأكلون وما يشربون وهم في ذلك مغرورون ، فإذا سألت صبيا أو رجلا جاهلا وقلت هل تعرف الماء ؟ استهزأ بهذا السؤال وظن السائل غيبا . هذا معنى ما قلته . قال نعم . فقلت : ألسنت تظن أن هذا الوهم خطأ ، وكيف لا يكون خطأ ونحن نعلم أن هذا الماء الذي نشربه وهو من السوائل مركب من عنصرين كل منهما يشبه الهواء ( وبعبارة أخرى ) إن هذا الماء الذي في النهر والبحر وإذا وضعناه في زجاجة وسلطنا عليه الكهرباء وجدناه أنحل حالا ولم يبق أمامنا ماء وإنما ترى عندنا جسمين يشبهان الهواء وكل منهما له صفة تخالف الآخر ، فأحدهما إذا أدخلنا فيه قطعة خشب طرفها فيه آثار النار فإنها تشتعل حالا ، والآخر جسم خفيف جدا يصلح لارتفاع الطائرات في الجو ، وأولهما الأكسوجين ، والثاني الأدروجين ، والأكسوجين ٨ على ٩ من الماء . إذن معظم الماء الأكسوجين والأكسوجين يكون غازا كالهواء ويكون مع الأدروجين ماء وهو داخل في الدبش الذي نبنى به مساكننا وفي الحجارة ، فلواتنا وزنا الحجارة بعد تحليلها لوجدنا أن في كل مائة أفة منها ( ٤٨ ) أفة من الأكسوجين كما أننا إذا وزنا الماء بعد تحليله وجدنا في كل تسع أقات منه ثمانية أوقات ، فهو مكون لأكثر الماء ولما يقرب من نصف الحجارة ، وهو داخل في الهواء مع الأوزون ، وهذا الأوزون لا يخلو منه جسم إنسان ولا حيوان بل هو ثلاثة أرباع وزن جسم الحيوان [اقرأ كتاب تنوير الأذهان في تغذية الأجسام] لأستاذنا على باشا مبارك ؛ إذن الماء الذي نشربه ( ويظن الصبيان والجهال منا أنهم يعرفونه كما يظن المسلم أنه يعرف معنى البسملة ) يعوزه درس وتفصيل . إذن المعرفة يعوزها التفصيل والإيضاح ، أما الإجمال فالوقوف عنده غرور .



أوليس من العجب أن ترى أكثر من ٨ على ٩ من الماء مادة تسكون في نحو نصف الأحجار وثلاثة أرباع الحيوان ، ونراها في الماء شرابا ، وفي الأحجار بيوتا صلابا ، وقلاع حصينة ، وفي الحيوان عظاما ولحمادما . تشرب الماء وتغسل به البلاط وهو في الوقت نفسه نصف نفس البلاط المغسول ، إذن هو غاسل وهو مغسول وهو شارب وهو مشروب ، فإذا كان ثلاثة أرباع الإنسان أ كسوجينا فالأ كسوجين المتجمد شرب الأ كسوجين السائل ، ومعلوم أن الهواء فيه أ كسوجين ؛ فإذن الإنسان أيضا يأخذ بالتنفس الأ كسوجين الذي في الهواء . اجلس في أي مكان شئت ، فالبلاط تحت الجالس نصفه أ كسوجين ، والهواء فيه أ كسوجين ، ونفس الإنسان فيه أ كسوجين ، والماء أكثره أ كسوجين ، إذن هذه مسائل أعجب وأبدع من سحر السحرة ، هذا الإنسان يمتطى الغارب ويركب القارب والسفين في اليم والقطار في الأرض ويسير إلى القطبين ويرصد النجوم ليعرف العجائب .

يا أيها الإنسان : أنت عجب ، وشرايك عجب ، وجسمك عجب ، وتنفسك عجب ، ومجلسك عجب ، أنت مغمور في بحر لجي من النور .

سبحان الله الجليل البديع ؛ عجب وألف عجب أ كسوجين يصير حجرا وعظما ودماء وهواء ، فهو جامد وغاز وسائل ، وهو هو نفسه يطهر نفسه ، فهو من حيث إنه ماء يطهر نفسه من حيث إنه إنسان أو بلاط أو غيرها ، كما أنه هو يدخل في الرثة فتلقفه هي من الهواء فيطهر الدم في أجسامنا ، جل الله وجل العلم وجات الحكمة وجات نعمة العلم .

#### ما الناس سوى قوم عرفوا وسوام همج همج الهمج

فلا كتف أيها الصديق من الكلام على الشراب بما ذكرناه في الأ كسوجين ، ولندكر مقالا وجيزا في المآكل . وإني ليسرني إذا كنت على ذكر مما تقدم في هذا التفسير ، فأجابني قائلا : نعم لقد جاء في سورة فاطر عند آية « والله خلقكم من تراب » ما ملخصه أن في الفم ستة مجار تفرز موادا تهضم المواد النشوية ، فإذا وصل ما بقي منها وهي التي لم تؤثر فيه تلك القنوات الست إلى المعدة تلقاه العصير اللعدي فأذابه ، وجملة ما يتعاطاه الإنسان إما مواد عضوية ولكنها ليس فيها مواد زلالية وذلك كالنشاء والسكر وكالزيت والشحم والسمن فهذه يدخلها الفم ولا يدخلها الزلال كزلال البيض ، وإما مواد عضوية وفيها المادة الزلالية كزلال البيض والمواد المستخرجة من العظام للعظمية ومادة الجين ومادة أخرى من نوع ذلك في اللحم ، وفي بذور البقول كالقول والعدس والبسلة وفي الحبوب كالقمح والذرة ، وبهذا عرفنا المواد العضوية بقسميها .

وهناك مواد غير عضوية مثل كربونات الجير ، وذلك في العظام والأسنان ، وفوسفات الجير في العظام أيضا وهي نصف وزنها تقريبا ، وهذان يدخلان في الأغذية النباتية والحيوانية وملح الطعام وأملاح أخرى ، هذا هو ما يتعاطاه الإنسان . فقلت : إذن طعامنا مفرق على البر والبحر وما فيها ، فهذا الملح مستخرج من البحار ومن الجبال ، والمواد الدهنية تستخرج من الحيوان ومن الأشجار كالزيتون ، والمواد النشوية مستخرجات من النبات كقصب السكر والحبوب أمثال القمح ونحوه ، والمواد الزلالية تستخرج من الحيوان ومن الحبوب أيضا ، ولعلك تذكر المواد الفحمية الطائرة في الهواء التي هي المخزن العظيم الذي إليه ترجع المواد الفحمية الخارجات من أجسامنا مع الزفير التاهبات إلى النبات لتغذيته الراجعات إلينا ثانيا بطريق تعاطيه من أوراق النبات وثماره ، فهناك تبادل بين الحيوان والنبات في ذلك ، فبينما النبات يتنفس مادة الأ كسوجين في الهواء ويرسله إلى المخزن العظيم في الهواء إذ الحيوان يقبل ذلك الأ كسوجين ويعطى

الجو بدله مادة خمّية تصل إلى ذلك الخزن الطائر في الجو وهو يوصله إلى النبات . فقال أتذكره فهو مذكور في (سورة يس) كما أن القناة الهضمية وجميع رسومها وما يوضحها مذكورة في (سورة فاطر) وهناك أن القمح الصافي في الجو نحو ١٣٨ ألف مليون ونصف مليون طن ، والطن معلوم أنه نحو ٢٢ قنطارا والقنطار ٣٦ أفة . فقلت نعم إذن نحن بنى آدم في الأرض أكثرنا في غرور عظيم إذ نظن أننا نفهم الطعام والشراب ، فما نحن أولاء ذهبنا كل مذهب في طعامنا وشرابنا ، لقد فرق على السكر الأرضية وطار في الجو وغاص في البحر ، وأدهشنا أن نرى أسناننا قد ركبت من الجير الداخلى في بناء منازلنا وهو الذى التقطه النبات من الأرض فأكلناه ومن (الفسفور) تلك المادة البيضاء ذات الرائحة المشبهة رائحة الثوم ، وهي تباع في مربعات من البلور مملوءة بالماء للوقاية من إيذاء تلك المادة لأنها تلتهب سريعا بمجرد ملامسة الهواء ، فإذا لامست الأصابع ألتهبت حالا ويعسر إطفائها وتحدث جروحا خطيرة ، وهذه المادة إذا كتب بها على حائط في محل مظلم لانور فيه ظهرت الكتابة كأنها نار تفرع منها الأطفال والشيوخ والنساء ، فمجب أن يكون الجير في منازلنا وتلك المادة النارية التى تراها في أعواد السكبريت التى نوقد بها النار داخلين في أسناننا بأنواعها الثلاثة لتزريق أغذيتنا وقطعها وطحنها « إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم » .

فهذه الأسنان تهرس الطعام، والعيون الست النابتات في الفم تتخلله لتضمه، ثم يرفصل إلى الاثناعشر هل تذكره أيها الصديق . فقال أتذكره مرسوما في (سورة فاطر) . فهناك تقابله عصارتان إحداهما آتية من الصفراء والأخرى من البنكرياس المرسومين هناك ، وهاتان العصارتان يتقابلان فيغيران تلك المادة تغيرا عجيبا ليحصل لها اقتراب من أن تكون من جملة الدم .

ولنرجع إلى القمح الذى يخرج من الزفير . قال أنا أتذكره جيدا من هذا المقال ومن سابق التفسير فقلت : أزيدك فيه علما إنه في السكر وفي الورق وريش الطيور وفي العظم واللحم والجلد والشمع والدهن والزيت فإن القمح يظهر في آثار ما يوقد منها وهو تلك المادة السوداء الظاهرة لايعان وكل شىء لا يخلو من القمح وهو في الحجر الذى فى المباني وفي الرخام والمرمر ، إذن هو فى كل ما نضعه على المائدة إلا الملعق فهو لا لحم فيه ، ولقد قالوا « إن القمح أمير والأكسوجين المتقدم شرحه سلطان » ولا جرم أن الهواء مركب من الأكسوجين والأوزون ، وهذا الأوزون هو نفسه اللواد الزلاية المتقدم شرحها الداخلة فى الحبوب واللحم والبيض وقد تقدم شرح ذلك فأجسامنا مركبات من أكسوجين فى الهواء وفى الماء ومن لحم فى غيره ومن مادة الزلال السابغة فيه ومن شحم الحيوان ولحمه والزيت ونشاء الحبوب وغير ذلك ، وهذه كلها يحملها الدم وهو يجرى فى الشرايين ، والشرايين تصل بدقتها المتناهية فى كل جزء من أجزاء الجسم وتعطيه ما يستحقه من تلك اللواد بعدل وإنصاف ، فإذا وصل الدم إلى الأسنان مثلا أخذت حقها وهو اللواد الجيرية والفسفور كما تقدم ، وإذا وصل إلى العين أخذت اللواد التى تليق لها بحيث تصلح للإبصار وهكذا الأذن والجلد والأعصاب، إذن هذه حكومة عجيبة مدهشة . وإنى ليحزننى أن أرى أكثر هذا النوع الإنسانى يعيش جاهلا بهذه السكر الأرضية ، ويعيش جاهلا بنفسه وهو مغرور جهول « قتل الإنسان ما أكفره » .

فيا ليت شعرى متى يرتقى هذا الإنسان وينظم أممه على مقتضى نظام جسمه البديع الجميل اللطيف ، يجرى الدم فى الشرايين فتتلقاه الأعضاء فيأخذ كل عضو حقه ولا يتعداه ، ويترك ما ليس له بحق ، كأن هذه الأعضاء قرأت « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو

على أنفسكم أو الوالدين والأقربين» أو كأنها قرأت جمهورية أفلاطون ، أو كأنها قرأت « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

الله أكبر . أجسامنا بديعة التركيب ، حسنة الوضع ، ونحن نعيش فيها ، ونحن بها جاهلون ، نتعاطى الطعام ومثلنا معه كمثل من قال الله تعالى فيهم « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا » . وإذا جهلنا الطعام والشراب فإننا أعرق في الجهل بمعنى البسمة التي كلامنا فيها ، متى أخذ كل عضو حظه من مواد الغذاء الدائبة في الدم نما وكبر على مقتضى قوانين مجهولة لنوع الإنسان في الأرض ، ثم يكون هناك عالم آخر وهو عالم لأعصاب المتصلات بالنخاع الشوكي المرسومات المشروحات في ( سورة فاطر ) والنخاع الشوكي يوصل الأخبار إلى المخ وهناك عالم التعقل والتفكير . إذن طعامنا في القناة الهضمية كيموس وكيلوس ، وفي الدورة الدموية دم ؛ وفي أعضائنا المختلفة أعصاب وعظام وعضل ودهن الخ . وآثاره في أعصابنا ونخاعنا الشوكي ومخنا علوم ومعارف وفكر وذكر وحكمة ، فكيف نقول إننا بما نأكل عارفون أو لما نشرب دارسون ، وهذا من أسرار قوله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وهذا الجهل كما تقدم يضارعه جهلنا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » . إذن فلنفض الكلام على معنى الرحمة الذي هو المقصود في هذا المقام فنقول :

### الرحمة

لقد قدمت لك أيها الذكي في أول هذا المقام أن الرحمة في هذه السورة قد ذكرت ٨ مرات فوق ما جاء في البسمة ( ٢ ) فالجميع ( ١٠ ) والحاء والميم تشيران إلى الرحمة أيضا فلا بد لنا إذن من فهم الآيات المذكور فيها الرحمة مثل « وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا » الخ ، ومثل « ومن يعش عن ذكر الرحمن » الخ ومثل آية « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة » الخ ، ولكن لا بد لنا قبل فهم معاني هذه الآيات من تحقيق معنى الرحمة فوق ما تقدم .

فقل لي أيها الذكي : أيهما أحق باسم الرحمة ؛ أهذه النعم المتغيرة للتبدلة التي لا ثبات لها ، أم النعم الثابتة ؟ قال بل الثابتة . قلت حسن . قلت : ثم إن النعم المتغيرة أيها أحق باسم الرحمة أعلاها أم أدناها ، قال : كل ما كان أعلى كانت الرحمة فيه أوفر ، وكل ما كان أدنى كانت الرحمة فيه أقل . قلت إذن وجب الآن أن نشرح أنواع النعم ونبتدى من أدناها إلى أعلاها حتى نفهم الرحمة ونبين أنواع الرحمت المذكورة في هذه السورة إذ ذلك . فقال : باللعجب ! وهل النعم لها نهاية حتى تبين عددها ودرجاتها ، إنها يعوزها علوم الأمم وأعمار جميع العلماء في الأرض . فقلت : إننا لا نعرف من جميع النعم إلا ما أدركته حواسنا وعقولنا ، إذن فلندرس درجاتها باعتبار إدراكنا لها ، وحواسنا معروفة محصورة عندنا والنعم مقسمة عليها ، فاليبحث في النعم سيكون في تفصيل ما يدركها لافي تفصيل المحسوسات والمعلومات . قال : أما هذا فهو حسن فأريد أن تذكر لي أدنى درجات النعم . فقلت : هي كل ما كانت تستلذه حاسة اللمس كنعومة الحرير فإن لابس الحرير والنائم على الفراش الوثير يحس كل منهما بلذة اللمس ، وهذه اللذات سببها النعومة الحاصلة في اللباس والفراش قال ولماذا كان هذا أدنى الرحمت ؟ قلت لأن حاسة اللمس عامة في كل حيوان حتى الدودة في الماء وفي الطين لها حاسة اللمس ، وهذه الحاسة لا تعرف إلا ما يلاصقها فهي كالأعمى لا يدرك إلا باللمس . قال ثم ماذا ؟ قلت : اللذة التي هي من هذه المحسوسات بحاسة الذوق كالأطعمة والأشربة ، فإذا رأينا أقواما يفخرون بالطعام ولذته ، والشراب وسورته ، عرفنا أن هؤلاء في درجة اللذة الثانية . فقال ولم جعلتها ثانية ؟ قلت لأن الذوق

من الطعومات أشرف من بنية المومسات ، خاصة اللمس عامة ولكن الطعم خاص بمواد مخصوصة ، فحس نحن بكل ما يمس جلدها ، ولكن حاسة الذوق اصطفت خلاصات المادة كالفواكه والحبوب وليس لها علم بالحجر والدر والطين والتراب وهكذا . قال : ما الذى فوق هذه ؟ قلت حاسة الشم ، ذلك لأنها لا تتقيد بشم مالاصقتها بل تشم المادة عن بعد وليست مضطرة إلى ملاصقتها وملاقاتها وإنما تلاقى ذرات لطيفات لانزهاها العيون برساها المشوم كالورد والمسك تسير في الهواء وتصل إلى الخيشوم فتؤثر في الأعصاب فالشرف هنا من حيث إن الحاسة لم تلاقى نفس المادة ، بل لاصقت ذراتها اللطيفات والواسطة في ذلك الهواء .

وأرفع من هذه حاسة السمع لأنها ليست في حاجة إلى ملاقة السموع بل الهواء هو الواسطة بينها وبين الجسم الذى خرج منه الصوت وليست الأصوات كالمشمومات التى هى عبارة عن ذرات مادية . كلا . وإنما هذه حركات في الهواء ، ولا جرم أن الحركات ألطف من الذرات في حاسة اللمس .

وفوق ذلك يكون البصر وهو أرقى ، فهو كما لم يكن في حاجة إلى ملاصقة الجسم للنظور ، ولا إلى ذرات منه هكذا لم يكن في حاجة إلى حركات في الهواء كالسمع بل يحتاج إلى صور تسير في النور والنور حركات في الأثير وهذا عالم أعلى مما سبقه ، فهل فهمت في هذا الترتيب حكمة أيها الذكي ؟ قال نعم . قلت إذا تفضلت بذلك أكون شاكرًا لك . فقال : قد ظهر لى هنا قاعدتان : القاعدة الأولى أن الحاسة التى هى أشرف يكون تركيبها أتم ، القاعدة الثانية أنه كلما كانت النعمة أتم كانت أبعد عن المادة وأقرب إلى التجرد منها . قلت ما برهان ذلك ؟ فقال : أما كون الحاسة تكون أتمن كلما كانت أعلى فإن ما تقدم فى ﴿ سورة آل عمران ﴾ يحدثنا عن ذلك فإن تركيب الأذن هناك أتم من تركيب مادونها من الحواس ، فهناك فى تركيبها ١٤ عجيبة من عجائب الإتيان ، وذلك مذكور فى أول السورة عند قوله تعالى « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » فهناك الأذن الظاهرة والأذن المتوسطة والأذن الداخلة ، وهناك عجائب لاعد لها مثل السائل الذى فى داخل الأذن وفيه خيوط دقيقة شعرية وهكذا ثلاثة آلاف جسم صغير ظنوها آلات البرق (التلغراف) بحيث يتلقى كل واحد منها نوعا من الأصوات يناسبه ويرسل ذلك إلى المخ ، وبالجملة فى الأذن « الصيوان والصماخ والظبية والمطبات الثلاث والدهليز والقنوات الهلالية والقوقعية والسائل المتقدم ذكره والرمل الحافظ للصوت وعصى كورنى والشمرات القوقعية والأعصاب السمعية ، فهذه هى الأربعة عشر جهازا فى الأذن وتفصيلها هناك ، وهذا الإتيان لم يكن فى صنع اللسان ولا الجلد ولا الخيشوم

وإذا رقينا إلى تركيب العين وجدنا وصفها هناك أتم من تركيب الأذن ، كيف لا وقد عدت الحسب هناك فوجدت ٣٦ حكمة ، فهناك :

- ( ١ ) القرنية .
- ( ٢ ) والعينية .
- ( ٣ ) والعنكبوتية .
- ( ٤ ) والشبكية .
- ( ٥ ) والشيمية .
- ( ٦ ) والصلبة .
- ( ٧ ) والملتحمة .
- ( ٨ ) والجسم الزجاجى فى وسط الشبكية .

(٩) والرطوبة الجليدية وتسمى العديسية .

(١٠) والرطوبة البيضية .

فالسبع الأول طبقات والثلاث الأخيرة رطوبات ، وهناك تفصيل لا محل لذكره ، والمقصود هنا أن الحاسة التي هي أشرف يكون تركيبها أتم ؛ وأما كون النعمة أتم كلما كانت أبعد عن المادة فبرهانه واضح ذلك أننا نرى نوع الإنسان يفارق النوم على الدمقس والحريير والقراش الأثير ( ومعلوم أن هذه لئدة الملامسة ) ويركب القطار ، لرؤية الأقطار ، وجوب البحار ، وتشمم الأخطار ، ويركب متن الهواء ، ويغترق بغوامساته ليج البحار لي شاهد أنواع السمك والنبات ، وصنوف المخلوقات التي في قاع البحار ، ونرى الجهلاء والعلماء يغادرون حدائقهم وفيها الروائح اللطيفة وأنواع الفواكه ويتوجهون إلى دور الصور المتحركة مع أنهم في تلك الحديقة قادرين أن يضربوا العود ويتمتعوا بأصناف الطرب وصنوف اللذات المختلفة . فدل ذلك على أن البصريات عند الإنسان أرقى من جميع المحسوسات . لذلك كان البصر أدق وهكذا . ولم تر حاسة غير البصر لها قدرة على مشاهدة الشمس ، فأما البصر فهو الذي اختص بها . قلت والله لقد نطقت بفهم وأجبت . ثم قلت أيها الصديق إننا نريد أن نتوغل في البحث ، فقال حبا وكرامة ، قلت : إذا كانت الشمس أعظم ما يشاهد بحواسنا ، وأشرف حواسنا هي العين وتركيبها أتم ، والواسطة بينهما هو النور فهذا آخر لئدة يعرفها الحيوان والإنسان نوع منه ، وأريد أن أسألك أيها الصديق : ما أقصى سعادة عند الإنسان من هذه المحسوسات . فقال : السر والذات . قلت اللذات أقصى ما يسمي إليه الناس . قال نعم ؛ فقلت تذكر قليلا في عاشق مات مشوقه وفرح بماله فقده ، ومغرم بحميل فذبل الجمال .

لعلك نسيت أيها الصديق ما قررناه أولا في أول هذا اللقاه وهو أن الثابت أتم نعمة والتغير نعمته أقل فالسعادة به تكون أنقص ، قال حقا كان ذلك ولكن المسرات الجزئية بالعوالم المتغيرة لا ينكرها العقلاء قلت : ولكننا الآن في مقام الفلسفة والحكمة وفي تفسير القرآن ، ونريد أن نصل للحكمة في ذكر الرحمة في قوله تعالى ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الخ ) فهذه نعم متغيرة والقرآن والحكمة يطلبان النعم الثابتة ولا تباين للعادة ، فقال إذن كأنك تريد أن أسعد ما يناله المرء في الحياة الدنيا هي البصائر ، قلت : حسن ولكن هذا المقام يعوزه إيضاح وإفصاح ، فقال يسرنى أن أسمعه منك قلت : إن هاهنا عينا وضوءا وشمسا ، فالعين أرقى حاسة والشمس أرقى محسوس والضوء أجمل واسطة ، قال هذا صار مبرهنا عليه . قلت ولما رأى حكماؤنا قبل الإسلام أن هذه المرتبة يشاركون فيها البهائم فكروا فقالوا : إن الشمس بالنسبة لعوالم المولودات الثلاث على الأرض أشبه بنار متقدة والناس في الأرض أشبه بقوم في مغارة ظهورهم نحو الشمس وجوههم متجهة إلى الضوء الذي على جدار المغارة أمامهم ، وهذه المواليد الثلاثة أشبه بالصور المرسومة على حائط المغارة بواسطة ضوء النار ، وهذا المثال تقدم غير مرة ولكن ذكرناه هنا لنوضح به اللقاه . إذن وراء هذه الشمس الله الذي برأها ، ولهذا المواليد الثلاثة عوالم سماها أفلاطون عالم المثال وهو عالم ثابت ، وعالم المواليد عالم متغير كما أن الله ثابت دائم والشمس متغيرة ، فأثبته بالنسبة لمقولنا كالشمس بالنسبة لعيوننا ، وكما أن للشمس ضوءا يصل إلى العين هكذا عالم المثال ينير على بصائرنا ، فإذا لم تضيء الشمس فإن عيوننا لا ترى البصر وإن كان أمامها هكذا عالم المثال الثابت يرسل أشعته إلى عقولنا ولولاها لم نقل ولم نعلم ، وإلى هذا المقام انتهت عقول الحكماء في الأمم قبل الإسلام .

ولما ترجمت الكتب إلى الأمم الإسلامية حصل عندهم القول بالاتحاد والحلول . هل تتذكر في أي مقام أوضحنا هذا أيها الصديق ؟ فقال : قد تقدم في (سورة فاطر) نقلا عن الإمام الغزالي إذ ذكرت هناك

في تفسير البسملة البراهين التي ذكرها موضحة وبان بها وظهر أن ما يقوله متأخر والصوفية من الاتحاد والحلول عار عن البرهان العقلي بل هذا أشبه بكلام الصبيان . قلت : ولكن أريد هنا أن أبينه بطريق أوضح مما نقلته فيما تقدم لأن الأدلة هناك مطولة وفيها بعض الصعوبة . فقال : أحب أن أسمع ذلك . فقلت أي حاسة في الجسم أشرف . فقال : طبع العين . قلت : هل يمكن أن يقول أحد إن العين هي الشمس . فقال وهل تحظر بعقل عاقل . قلت : أسمع يا صاح رعاك الله . إن العين في الحقيقة مضيئة لأجسامنا والشمس تضيء العالم . إذن العين شمس صفري . ألم تر أن تركيبها كما قلنا سابقا أتم ، ولماذا هذا ؟ لأجل أن تكون أقرب كالأجسام من الشمس ، ولولم تكن على هذا النمط لم تر النور ، فالعين مخلوق بديع عجيب والشمس كذلك والعين في أجسامنا أقرب شيء إلى الشمس فلذلك تقبلت منها النور ، ثم إن العين والجسم والأجسام كلها في الأرض مخلوقات لم تكن لولا الشمس ، فبالشمس نار السحاب من البحار وهبت الرياح بالحرارة ، فإذا لم تكن شمس لم تكن رياح ولا سحاب فلا إنسان ولا حيوان ، وبالتالي لا عيون ولا ألبصار . قال نعم هو ذلك . قلت : إذن الشمس سبب في العين ، والعين أقرب عضو في أجسامنا إلى السكالم والسكالم هي الشمس . قال حسن ذلك . قلت : إذن يتوجه السؤال : هل العين هي الشمس ؟ قال . كلا ، لأن إحداها سبب والأخرى ، مسبب غاية الأمر أن العين أقرب إلى الشمس لأنها أخذت تركيبها ساعدها على ذلك . قلت : حسن جدا . ثم قلت هكذا تقول لجميع علماء الصوفية السابقين واللاحقين ونعلن الحقيقة واضحة للعالم قاطبة فنقول : « أيها الناس إن ما سمعتموه من أقاويل الصوفية من وحدة الوجود وما جاء في كتاب الأستاذ الكبير محي الدين في ( الفتوحات المكية ) كل ذلك عبارات موهمة يجب الإفلاع عنها حالاً لأنه ثبت بالبرهان اليقيني اليوم أن النفوس الإنسانية كالعيون والله « والله المثل الأعلى » كالشمس والعوالم الروحية كالضوء ، وعالم المثال كعوالم المواليد الثلاثة ، ولن تبصر العين ما لم يكن النور ، وكما أننا لا نقول إن العين هي الشمس وإن كانت أقرب إليها وهي تتلقى عنها الصور والأشكال بواسطة ضوئها ، هكذا لا يعقل أن يكون الأنبياء أو الحكماء أو الأولياء مهما علت درجاتهم وبلغوا أقصاها أن يكونوا هم نفس الله تعالى مع أنهم بالنسبة للناس كالعين والناس من ورأهم كالحواس الأخرى أدنى منزلة وهم يستضيئون بالنور الإلهي فيلهمهم الملائكة ويوحون إليهم المعلومات الثابتات في العالم الروحي ، فقال : ما أجمل هذا البرهان ، إنه لقريب سهل المثال يعقله كل متوسط الذكاء ، فقلت : فإذا عرفنا هذا وقد امتحنا آراء أسلافنا وقد وضحت الحقيقة فلتجاوز ذلك إلى ما وراءه وهي آراء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس ، فذكر أولاً ما قالوه ، وما آثار كلامهم في الأمم التي بعدهم ، ثم تتبعه بما نراه مما فتح الله به ليلة الجمعة كإقدمته قريباً . فقال ما أشوقني إلى ذلك . قلت : إن أفلاطون بعد أن ذكر مثال الشمس للتقدم . قال : « على الإنسان أن يترقى من الأخص إلى الأعم ، ثم يترقى من المحسوسات إلى العقولات حتى يرجعها كلها إلى ذات الله وهو السكالم المطلق والخير المحض ، وجميع المعاني هي صفاته وهي حكمته » وهناك أعلن للملأ أن هناك عالم المثال وهو ثابت وعالمنا هو المتغير ، ولقد عارض هذا المذهب أرسطاطاليس تلميذ أفلاطون . فقال : « أنا أسلم أن الكليات هي أصل العلم ، ولكن لا أسلم أنها مفارقة للمادة ، وهل هناك كليات إلا في أذهانتنا ، فالذهن مخزن الكليات ، أما أن هناك عالماً نسميه عالم المثال وهو أصل لعالمنا فهذا لا أسلم به ، وكيف أسلم به وهو إذا كان ثابتاً لا يتحرك فكيف صدر عنه هذا العالم المتحرك ، ثم إنه إذا كان مفارقاً فكيف يؤثر فيما فارقه ، وكيف يكون جوهرًا مفارقاً له وإن كان متصلاً بالعالم فقد دخله التغير بتغير ما اتصل به ، وكيف ينطبق الجوهر الواحد على الأفراد المختلفة مع أنه لا يقبل الانقسام » وأطال في ذلك ثم قال : « إن العالم مكون من مادة وصورة ( وكيفية معينة من الوجود ) والمادة لا تحقق لها إلا بهذه

المعينات وهي في نفسها إمكان محض أى قوة واستعداد لقبول الصورة ، والصورة كل ما به يتعين وجود المادة من شكل ووضع وبعد وكيفية كاللون والطعم والرائحة والثقل والخفة ، وهذان لا يكونان متميزين إلا بالعقل أما في الخارج فلا، وما الحركات لإشوق المادة إلى الاستكمال، فهي أبداً مجردة للسكّال وذلك بالحركات في المقادير (السكّ) كالتمو والزيادة والنقصان والتذبول وبالحركات في السكّيف كالأستحالة من صفة إلى أخرى وبالحركات في الأبن وهي النقلة من مكان إلى مكان.

وقول أرسطاطاليس المذكور فيه ليس ، فقد رد عليه حكاء اليونان بعده فقالوا : (أولاً) إن المادة عندك أمر سلبى وعدم محض ، وإذا كانت عندما فكيف تشتاق إلى الاستكمال بالحركات ، وإذا لم نقل ذلك بل قلنا إنها (إمكان محض) فهل يعقل أن للإمكان وجوداً . إن وجود المادة يناقض ما يقوله هو أنها مسلوبة الوجود ، وإذا سلمنا بوجودها بعد هذا كله فقد أصبح للوجود أصلان معا وهو مناقض لأصل مذهبه . ثم هو يقول : « إن الطبيعة ماهى إلا المادة والصورة والحركة والمجتمع من هذا كله يسمى طبيعة ، ولم يبين هذه الطبيعة ، ماهى ؟ هل هي ذات موجودة ، أم هي معنى موجود باعتبار العقل » .

فلما مات أرسطاطاليس ترك تلاميذه هذه الباعث وأخذوا يفكرون في علم الطبيعة والأخلاق وجدوا في هذه العلوم ، وهناك نبغ (أبيقورس) المولود سنة ٣٤١ ق . م . المتوفى سنة ٢٧٠ ق . م . ورجع إلى مذهب (ديموقراطيس) القائل بالجزء الذى لا يتجزأ وهو يقول : « أجل المقصود من الحياة إدراك الحقائق وذلك بالفلسفة واللذة الناجمة عنها أهم مقاصد هذه الحياة » ثم نبغت فرقة الروايتين ويسمون أصحاب الأسطوانة وأصحاب المظال (وهو اسم المحل اجتماعهم بأثينا) وهم شيعة (زينون) المتوفى سنة ٢٦٤ ق . م . وهؤلاء يقولون : « إن العالم جوهر واحد ، فهو من جهة قوة عاقلة ، ومن جهة أخرى مادة » ومن صحابه (كريزيون) المتوفى سنة ٢٠٩ ق . م . وعلم الطبيعيات هو علم الإلهيات عند هذه الطائفة .

### ملخص هذا المقام

هنالك قال صاحبي : لقد طال المقال فأرجو تلخيصه ثم كيفية ارتباطه بالرحمة أولاً ، ثم كيف تفسر الآيات التي فيها الرحمة في سورة الزخرف بهذه العلوم المذكورة هنا . فقلت : ألا تذكر أن أصل المقام :

- (١) إنك قلت إن البسملة معروفة وتفسيرها هنا تكرر .
- (٢) فأجبتك بأن الجمال المذكور الموضح في سورة السجدة أكثر الناس يزعمون أنهم يعرفونه وما هم بعارفين ولا يعقله إلا الحكماء .
- (٣) وأن الطعام والشراب يظن الصبيان والعامية أنهما معلومان وهم جميعاً لا يدركون بالتفصيل عجائب توزيع المواد النشوية والمواد الزلالية والمواد المعدنية والماء كالأرز والبطاطس وكاللحم والبيض وكالملح وكماء الأنهار .

فهذه موزعات على مناطق الأرض في أنواع النبات والحيوان والبحار ، وهكذا تقسمها أجزاء القناة الهضمية فتضمها وتخالط الدم فيأخذ كل عضو حظه من الحياة وهكذا .

ثم يكون الفكر والعقل ، فهذا إجمال الكلام على الطعام والشراب ، وبقى الكلام على الرحمة المذكورة في البسملة التي كررت (٨) مرات في سورة الزخرف ، فلما أخذنا تفصلها وجدنا أمراً عجيباً ! وجدنا أن

حواسنا كما كانت أقرب إلى محسوسها كان ذلك المحسوس أحسن . وكانت نفس الحاسة أقل درجة وكنا نحن بذلك المحسوس أقل اهتماما : ذلك أن المحسوس الناعم كالحرير لا نعرفه إلا إذا لاصق أجسامنا وذلك يعطينا لذة ضئيلة إذا قسناها بلذة المشموم والمشموم يبعد عن حاسة الشم ويرسل من لذته ذرات لطيفة فهو ألطف من المطعم كالحلو الذي يلامس حاسة الذوق التي هي أرقى من حاسة اللمس . فإذا ارتفعنا إلى السمع وجدنا الحاسة أتم تركيبا والمحسوس ألطف يكاد يفارق المادة ولا يحتاج في تعرفه إلى الملاصقة . أما المبصرات فإنها أبدع وأعجب ورسولها الأمين أشرف من الهواء وهو الضوء والضوء في عالم الأثير جلل الله ، جل الله الذي أعطى الإنسان درسا لن ينسى : فهاهو ذا يقول له . « أيها الإنسان : ألسنت تعقل ؟ ألم يكن أشرف حاسة عندك هي البصر ؟ أليس المبصر بها يبعد عنها ولا يلاقي حاستك إلا النور . إذن هذه الحياة الجسمية نفسها كشفت لك القطاء عن السعادة . تقول لك بلسان طاق : أيها الإنسان : أما نخجل وكيف تجهل نفسك تلمس السعادة في جوانب المادة وأنا رسمت لك الحظوة : إن المادة ماهي إلا مبدأ كالذي رأيت في عالم المدوسات ولكن لا بد من ارتقائك في المعاني كارتقاء العين في محسوسها عن حاسة اللمس في ملموساتها . ألا إن الفرق ما بين الحشن والناعم من حيث ملاصقة الجسم وبين الشمس والعين من حيث شدة البعد التي تصل إلى مسافة ( ٣٥٠ ) سنة يجرى القطار السريع ليلا ونهارا . يجرى فيها النور بين عينك والشمس وكأن الله يغاطب المسلمين في الأرض قائلا : « المادة مبدؤكم فلا بد من دراستها وإتقانها كما درست حاسة لمسكم ما حولكم وإياكم أن تفقوا عندها لئلا تذلوها بل ارتقوا في دراستها طبقا عن طبق لتحكموها وأنتم فيها كما ارتقت حواسكم طبقا عن طبق فحكمت الأذن على الأشياء البعيدة فأخذت عدلها بطريق الحركات في الأصوات . وكما حكمت عيونكم على السكواكب البعيدة فاقنتصت صورها من الجو وهي جارية في الضوء الساري في ألطف موجود وهو الأثير ثم كأنه عز وجل يقول : ( أيها المسلمون : ها هم أولاء الأمم قبلكم وإن لم أرسلهم رسولا ففكروا في هذه العوالم وارتقوا في الأسباب وقالوا « إذا كانت السعادة تتبع الارتقاء عن المادة وكل من ارتقى عنها خضعت له وكل من خضع لها أذلته . فهام أولاء من قبلكم بحثوا بأرائهم وعقولهم وقالوا إن هناك صورا معنوية هي أصل لهذه المواليد على الأرض وربكم مشرق نوره على تلك العوالم المثالية التي على مثالها خلقت عوالمكم ، وهناك تجلى الله على عقولكم بالإلهام كما تجلى الشمس على عوالمكم بالضوء . وكما أن الضوء يأتي لأعينكم بصور المخلوقات الأرضية ، هكذا تجلى أنا على عالم المثال فيشرق على عقولكم بسبب إمدادي لكم .

هذا ، ثم جاء آخرون بعد هؤلاء فأنكروا عالم المثال وقالوا : ( إن الكليات العلمية لهذه المحسوسات كالإنسان والحيوان لن تكون إلا في الذهن ) إذن ليس هناك عالم مثال وهناك يقول أرسطاطاليس : ( إن العلم إنما يتعلق بالمحقق والمحقق هي المادة المعينة المعروفة ) وجاء بعده الأبيقوريون والرواقيون وهم أصحاب المظال . فقالوا : « إن كلامه في المادة غير منتظم » وأدركوا أن هذه الأقوال غير مجدية ، فتركوا هذه الارتباكات ورجعوا إلى دراسة علم الطبيعة وعلم الأخلاق .

هذا أيها الصديق ملخص ما تقدم ، وأنا أحمد الله حمدا كثيرا على التبيان وتعليم البيان ، ولم يبق إلا أن ألخص المقام كله في كلمتين اثنتين : وهما أن دراسة هذه المخلوقات التي هي آثار الرحمات عرفتنا أمرين : أحدهما محقق . والثاني يعوزه النسكر . أما المحقق فهو أن سعادة أهل هذه الأرض لا تكون بالانتماس



المادة بل في التجافي عنها والترقي في إخضاعها لا تركها، فيكون الناس في هذه الأرض بالنسبة للمادة كالعين بالنسبة للشمس .

فهذه قضية محققة أظهرتها دراسة رحمة الله المذكورة في البسملة في حواسنا وفي المخلوقات حولنا فكما كان الناس مغمورين فيها ذلوا ، وكما ارتقوا فأخضعوها إخضاعا معنويا سعدوا ، والدليل على ذلك أن استعمال الكهرباء التي هي ألطف من الأجسام الأرضية أسعد الناس سعادة ما ، وذلك أقرب إلى استعمال العين للشعاع الواصل من الشمس فإن بين الكهرباء والنور مشاكلة ، ففرق ما بين استعمال غراب البغل والجمار والفرس التي هي أجسام كثيفة وبين استعمال الكهرباء التي هي عوالم لطيفة شريفة فالنمرات على مقتضى القدمات كثافة ولطافة ، وهذه بعينها دروس يعطيها لنا ترتيب أجسامنا . هذه هي الكلمة الأولى المحققة . أما الكلمة الثانية التي يعوزها التفكير فهو ما يقوله أرسطاطاليس وأبيقوروزينون مما تقدم فهذا راجع لأصل العالم ومنشئه .

وسترى إن شاء الله في (سورة محمد) صلى الله عليه وسلم تحقيق المقام في رسالة سميتها (مرآة الفلسفة) التي وعدت بذكرها سابقا مرارا في هذا التفسير ، ولكني أقول قولاً إجمالياً الآن تذكراً لك أيها الصديق وللأذكياء من قراء هذا الكتاب .

اعلم أننا نحن على هذه الأرض لن نصل إلى غاية العلم ، وغاية الأمر أننا نلمس الممكن منه ، فهاهوذا البرهان اليقيني الذي عرفناه من دراسة جسمنا أثبت لنا أن سعادتنا في اللطائف لا السكائف ؛ وأن هذا الإنسان عليه أن يجد في العنويات في هذه الحياة حتى يتمرن عليها ويرتقي فيها كما ارتقت عينه عن لسانه ، فهذه ترى الشمس في الأقطار البعيدة ، وهذا يلامس الحمرة فتكون قيداله وسجنا ، فإذا نلمسنا علم ما وراء ذلك ونظرنا نظر سقراط الذي اعترض على العالم المثالي الذي قرره فلنا نقول إذا كان علماء الطبيعة لما عجزوا عن إثبات مادة تحمل الضوء الساري في الجومن الكواكب وتحمل قوة الجاذبية التي بين الكواكب وبين الشمس والأرض والقمر .

أقول لما عجزوا عن ذلك قالوا نفرض أن هنا عالماً خفياً نسميه (أثيراً) ولقد تقدم شرح عالم الأثير في أول سورة (الصافات) وتحقيق الكلام فيه ، فهذا الفرض قد اضطرروا إليه اضطراراً ، ليتمكنهم به حل النظريات الطبيعية وفهم القوانين ، فإذا جاز هذا في علم الطبيعة التي هي أقرب إلى عقولنا ، أفلا يجوز نظيره في علم ما وراء الطبيعة ونقول : إذا كان الضوء لا يصل إلى عيوننا إلا بعالم سمينا أثيراً ونحن لم نتحققه ، أفليس من حقنا أن نقول إن العلم لا يكون له ثبات إلا بأمور ثابتة ، والأمور الثابتة هنا نسميها عالم المثال وهو نماذج لعالمنا هذا وعلى مقتضى عالم المثال الذي صورت فيه جميع القضايا السلبية التي نحس بها في أذهاننا خلقت العوالم للمشاهدة فأما كل ماورد من كلام علماء اليونان على عالم المثال فإنه يرد نظيره على عالم الأثير فإذا كان معدوماً فكيف يحمل المعدوم الموجود ؟ فالقول هناك كالقول هنا .

## امتحان آراء علماء الإسلام

وآراء علماء اليونان

إذن نحن الآن امتحنا آراء علماء الصوفية من حيث وحدة الوجود فظهر لنا أن دراسة أجسامنا محل المشكلة كما تقدم في العين والشمس ، وامتحنا آراء فلاسفة اليونان فرأينا أن عالم الأثير المقبول عند علماء الطبيعة يرد عليه ماورد على عالم المثال ومع ذلك اضطر له العلماء في زماننا اضطراراً وقنعوا بإثباته لحل النظريات

لتسهيل حل النظريات العامة. وهذا الذي قلته الآن برهان إقناعي، ولكن البرهان اليقيني ستراه في سورة محمد صلى الله عليه وسلم كما أنبأتك .

### تفسير الآيات

لاجرم أنك بعد هذا أيها الصديق تفهم حق الفهم قوله تعالى « وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً » إلى آخره إذ يرى الإنسان أنه محصور الفكر في أن الولد ذكر أو أنثى وهذا انغماس في المادة، والانغماس فيها عذاب أليم في الحياة الدنيا والله منزّه عن المادة فكيف يجعله متصفاً بما كان عذاباً له ؟ وهناك يظهر سر « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » ودراسة علم الحواس المتقدم يظهر لنا أن الخضوع للمادة صغار، وهكذا قوله « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » فالذكورة والأنوثة صفات أهل المادة الذين هم أقرب إلى العذاب في الحياة يبرهان دراسة الحواس المتقدم والملائكة مبرءون من المادة وهم مختصون بالعلم، وقوله « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم » فهوؤلاء جهلاء ولكن الله لسعة رحمته لهم لم يهلكهم، فهو وسعهم كما وسع البهائم في الأرض وكما عاش الإنسان بين عين تنظر الشمس ولمس يلمس الحجر، فألفه رحم الأذى والأذى كل في مركزه الخاص به. وأما قوله « ومن يش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » فهو المقصود من هذا البحث كله. ذلك أن السعادة كما قدمنا ترجع إلى إدراك ما هو ثابت ولا ثبات للمادة. والثابت الحق هو الله عز وجل. وكل مال وولد وسلطان وجمال وأرض وسما لا ثبات لها. فالفرح بالمتغير غرور. ولا فرح ولا سرور إلا بما هو ثابت. ويظهر هذا في قوله تعالى « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجلنا لمن يكفر بالرحمن » الخ، فالقصور للزخرفات والذهب والفضة والسرور اجمات كلها إلى المادة الغليظة وقد برهاننا يقيناً أن المادة في الابتعاد عنها الرحمة الحقيقية في إدراك ما هو ثابت ولا ثابت إلا الصانع العالم، فهل لك أن اسمعك ما قاله نيس أفلاطون عن (سقراط) لتعجب من أن القرآن قد جاء تفسيره على السنة الفلاسفة، بل على لسان أكبر فيلسوف تخرله فلاسفة أوروبا الحاليين باعترافهم سجداً فانظر ماذا يقول ؟ يقول . معنى هذه الآيات ؟ فهو يقول في الكتاب السادس مخاطباً (اديمينتس) .

« أولست من رأيي أيضاً أن سبب استياء الجمهور من الفلاسفة راجع إلى تصرف الذين كالسكارى يقتحمون مالا يعينهم ويسوء بعضهم بعضاً، ويسرون بيث الفن والاعتياب، وبالاجمال الأشخاص الذين لا تتفق تصرفاتهم مع الفلسفة، ثم قال : وحقا يا اديمينتس أن من وجه أفكاره نحو الأشياء الوجود حقيقة ليس له متسع من الوقت للاشتباك بصالح الآخرين ومنازعتهم فتتسرب إليه عدوى أذاهم بل على الضد من ذلك يقف أوقاته على التفكير بأشياء صحيحة ثابتة وإذ يرى أنها لا تضر إحداها الأخرى ولا تنق خاضعة لتنظام وهي على أتم وفاق مع العقل يجتهد في درسها والتشبه بها، أو تظن أن الإنسان يستطيع ألا يتمثل بما يلزمه ويعترمه. فأجاب : غير ممكن. فقال سقراط : فالفيلسوف الذي يلزم ما هو إلهي ممتزج بصير إلهيا ممتزنا مع أنه هنا كما في كل موقف آخر مجال واسع للترزيف » .

وقال في صحيفة ١٨٨ مانصه : « إن بحثنا أرائنا أن في كل منا آلة تساعد في تحليل العلم كما أنه لا يمكن تحويل العين من النور إلى الظلام بدون أن يتحول الجسم كله، هكذا أمر هذه القوة مع النفس فيلزم

تحول النفس كلها عن العالم الفاني ليكنها التوكل في عالم الحقيقة وفي أبهى قسم منه وهو ما ندعوه صورة الحبر» انتهى .

يقول طنطاوي : أفليس مما يدهش للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن آيات هذه السورة التي ذكرت فيها الرحمة كآتي تصف الكافرين بأنهم لو كانت لهم قصور مزخرفة وسرر الخ لم يكن ذلك نافعا لهم وكآتي تبين أن من أعرض عن ذكر الله تسلمه الشيطان وأضله وهكذا .

أقول إن هذه الآيات قد جاء تفسيرها قبل أزمان النبوة بنحو ثمان قرون على السنة الفلاسفة . إذن هذا القرآن كما وصفه الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إذن المفكرون في جلال الله المتعلمون الحكمة هم أرقى الناس وهم أولى بإدارة الأمم لأنهم زهدون في المال وفي أعراض الدنيا وليسوا كـ بعض الزهاد يعزّلون الناس ويكونون عالة عليهم . وبهذا يعرف المسلمون أن الزهد في الدنيا ليس معناه تركها ، بل أن يكون الإنسان عالما بالجمال الأقدس موقنا أن السعادة في المعرفة والعلم أي العلم بالله والملا الأعلى وهذا لن يمكن بمجرد قراءة القرآن ولا تفسيره ، ولكن بدراسة علوم هذه الدنيا وينتقل من الخلق إلى الخالق ثم يكون خليفة له على عبادته ، ولم أجد من سار على منواله سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جري على طريقه فهو الذي ينطبق عليه الآيات المذكورة من احتقار المادة والقيام بخدمة الأمة وتنظيم الدولة . ذلك هو الحق الصراح ، فأجل أنواع الرحمة في الحقيقة يرجع إلى إدراك جمال الله عز وجل وصفاته وفهم الوجود تبعاً لذلك . ثم أن يكون الإنسان زاهداً في المادة متخلقا بالأخلاق الجليلة ، خليفة على عباد الله . منظم الأئمة نافعاً لدولهم ، فهو في العالم ولكنه غير مغرم به بل بالعلم وبالله وهو مساعد للمجموع منظم للحكومات وللأمم بتدبير طاقته ، هذا هو الحق الصراح والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠ .

### مقاصد السورة

- ( ١ ) تأييد النبوة إلى قوله « ومضى مثل الأولين » .
- ( ٢ ) وإثبات الألوهية بالأدلة الطبيعية إلى « وإنا إلى ربنا لمنقلبون » .
- ( ٣ ) بعض سيئات كفر القوم إلى قوله « فهم به مستمعون » .
- ( ٤ ) سبب كفرهم إلى قوله « وإنا على آثارهم مقتدون » .
- ( ٥ ) شدة جهلهم وجمود عقولهم إلى قوله « بما أرسلتم به كافرون » .
- ( ٦ ) الانتقام منهم إلى « عاقبة المكذابين » .
- ( ٧ ) تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بذكر قصة إبراهيم إلى قوله « وإنا به كافرون » .
- ( ٨ ) ليست للظاهر النادية من أسباب الدرجات العلمية والدينية إلى قوله « عند ربك لتعتين » .
- ( ٩ ) من ترك عقله فلم يشغله بالحكمة تولاه الشيطان .  
أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته كذلك من لا يسوس الملك يحلعه إلى قوله « مهتدون » .
- ( ١٠ ) من تصادقا على المعصية تعاديا عند القضاء إلى قوله « إنكم في العذاب مشتركون » .

- (١١) إنما تنفع الذكري من استعد للفهم إلى قوله «ومن كان في ضلال مبين» .  
 (١٢) عدة الله نبيه بالنصر وعلو أمره وإنه مسئول عن الدين والقرآن هو وقومه إلى قوله «وسوف تسألون» .  
 (١٣) قصص موسى لتأييد أن المظاهر السادية ليست سببا للمعارف العقلية إلى قوله «ومثلا للآخرين»  
 (١٤) شؤم الحرص على الجدال وعدم جدواه في إبطال الحقائق إلى قوله «إنه لكم عدو مبين» .  
 (١٥) ذكر عيسى عليه السلام واختلاف أتباعه ووعيدهم إلى قوله «وهم لا يشعرون» .  
 (١٦) معاداة قرناء السوء يوم القيامة وعذابهم وسعادة الصالحين إلى قوله «فأنا أول العابدين» .  
 (١٧) تنزيه الله تعالى ووصفه بسعة الملك والقدرة والحكمة وشهادة الفطرة بذلك ، وبالاختصار ووصفه بصفات الجلال والإكرام وهو المقصود إلى قوله «لا يؤمنون» .  
 (١٨) سعة الصدر والصفح والسالمة خير الأخلاق اه .

## مجمل تفسير الألفاظ

### في المقاصد الأربعة الأولى

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(حم) تقدم الكلام عليها في السورة السابقة (والكتاب المبين) القرآن ، أقسم به من حيث نظمه وإعجازه ، إن الله صيره كذلك ، فاقسم كالاستشهاد على القسم به (لعلكم تعقلون) لكي تفهموا معانيه (وإنه) عطف على «إنا» (في أم الكتاب) في اللوح المحفوظ (لدينا) عندنا (لعلي) رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا (حكيم) ذو حكمة بالغة . أو محكم لا يسخه غيره (أنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين؟) أفندود الله ذكر ونبعده عنكم صالحين فلا تأمرمكم ولا تنهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) إلى قوله (يستهزئون) أي كاستهزاء قومك بك (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) أي أنهم أقرؤا بأن الله خلقهما ، وأنه ذو عزة وعلم ، ومع ذلك جمعوا بين النقيضين إذ عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث (الذي جعل لكم الأرض مهديا) قارة يمكن الانتفاع بها . والمهد موضع راحة الصبي ، والخلق كلهم يتربون على الأرض وهي موضع راحتهم فلذلك جعلت مهادا لعدد العباد (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم في أسفاركم ، فلم تكن تلك المهادر رمية من غير رام (والذي أنزل من السماء ماء بقدر) بقدر حاجاتكم إليه ، فلم يكن كثيرا حتى يهلككم (فأنشأنا به) بالمطر (بلدة ميتا كذلك) كما أحيينا بلدة ميتا (نخرجون) من قبوركم أحياء (والذي خلق الأزواج كلها) أي الأنصاف والأنواع أو الذكرا والإناث أما هو فهو فرد لا ثاني له . (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) في البحر والبر (لتستووا على ظهوره) على ظهور الفلك والأنعام (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استوتبتم عليه) أي بتسخير ما ركبتموه في البحر والبر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلله (وما كنا له مقرنين) مطيقين أو حافظين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون)

لمصرفون في العباد (وجعلوا له من عباده جزءا) أي بعد الاعتراف بأن الله هو الذي اتصف بالخلق والعزة والعلم الخ جعلوا له من عباده ولدا وهم الملائكة، والولد جزء الوالد وبعضه لأنه بضعة من الوالد (إن الإنسان لكفور مبين) ظاهر الكفران ومنه نسبة الولد إليه تعالى (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام إنكار وتوبيخ وتعجب، يقول: اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أي أخلصكم (بالبنين) فاختار لنفسه المنزلة الدنيا ولهم المنزلة العليا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أي بالجنس الذي جعله له مثلا إذ الولد لابد أن يماثل الوالد (ظل وجهه مسودا) صار وجهه أسود في الغاية لما يعتربه من الكآبة (وهو كظيم) مملوء قلبه من الكرب (أو من ينشأ في الحلية) أو جعلوا له من يترى في الزينة يعنى البنات (وهو في الخصام) في المجادلة (غير مبين) مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي (وجعلوا الملائكة الذين عباد الرحمن إنانا) أي حكموا بهذا وأثبتوهم إنانا، وقد جمعوا بهذه القرية بين الضدين: العبادة والولادة (أشهدوا خلقهم) أي أحضروا خلق الله إياهم فشهدوهم إنانا (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة (ويسألون) عنها يوم القيامة (وقالوا لولاء الرحمن ما عبدناهم) أي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) أي وقال بنومليخ بوجه غير ماتقدم: لو نهانا الرحمن وصرفنا ما عبدناهم استهزاء ولكن أمرنا بعبادتهم ولم ينهنا عنها، ما لهم بما يقولون من حجة، ما هم إلا يكذبون على الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن (فهم به مستمسكون) بذلك الكتاب.

### ذكر سبب كفرهم

ولما بطلت جميع الحجج رجعوا إلى التقليد (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أي دين، وهي من الأم وهو القصد، فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد (وإنا على آئارهم مهتدون) أي إنهم مهتدون باتباع آباءهم وتقليد من غير حجة، وهذه في الحقيقة حجة الغافلين من الأمم الحاضرة والفائنة. ومن ذلك قوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آئارهم مقتدون) وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على أن التقليد في ذلك ضلال قديم والأمم في ذلك متشابهة والعلة في ذلك التعم والسكل والبطالة. ولذلك أكثر الله في نوع الإنسان من الحروب والأمراض والعداوات ليستحتم على العمل ولتنشط العقول وليفكروا حتى يقل الترف الجالب للتقليد والنوم في ظل الجهالة العمياء.

### شدة جهلهم وجود عقولهم

قال تعالى (قل) أتبعون آباءكم (أو لو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي بدين أهدى من دين آباءكم: وقرأ ابن عامر وحفص «قال» أي النذير، قتل حكاية أمر ماض أوحى إلى النذير وحينئذ يقال فماذا أجاب أهل القرية؟ فأجاب (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) وإن كان أهدى: وذلك ليقتنطوا نذيرهم من أنهم يفكرون.

### من المقصد السادس إلى المقصد التاسع إلى قوله (مهتدون)

قال تعالى (فاتقنوا منهم) بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ولا تسكثرت بتكذيبهم (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء) أي براء (بما تعبدون ؛ إلا الذي فطرنى) أي إنني أتبرأ مما تعبدون إلا من الله الذي خلقني (فانه شهيد) أي برشدني إلى دينه (وجعلها) أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تسكلم بها وهي لا إله إلا الله (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعو إلى توحيدهم (لعلهم يرجعون) أي يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحده (بل تمتعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم ، فمددت أعمارهم ، وأكثرت نعمهم ، فشغلتهم النعم والترف والشهوات وأطاعوا الشيطان ونسوا كلمة التوحيد ، وجريت على عادتي أن أجعل في بني إبراهيم من يوحد الله ويدعو من كفر منهم لعله يرجع ، فأخترت محمداً ليدعو هؤلاء ، فقالوا هذا سحر الخ ، وهذا قوله تعالى (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول مبين) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله «مبين» أي واضح الرسالة بما معه من الآيات (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون . وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) العبارة تفيد الاستهانة (على رجل من القرينتين العظيم) أي رجل عظيم من إحدى القرينتين كقوله «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وإنما يخرجان من الملح وحده على قول بعض القدماء ، ولكن ظهر في العلم الحديث أن اللؤلؤ يخرج من الماء العذب كما ستراه في (سورة الرحمن) وهذا من معجزات القرآن ؛ والقرينتان مكة والطائف ، والرجلان الوليد بن المغيرة عظيم مكة ، وعروة بن مسعود الثقفي عظيم الطائف ، وكان كل منهما ذاملاً وذا جاء مع أن العظيم في العقل والعلم والدين غير العظيم في اصطلاحهم (أهم يقسمون رحمة ربك؟) أي النبوة ، والاستفهام للانكار والتجهيل والتعجب كأنه يقول : أيها القوم عجباً لكم ، كيف جهلتم قدر أنفسكم ، أو بلغ من شأنكم أن تصطفوا من تشاءون للنبوة التي لا يصلح لها إلا من له رتبة عظيمة روحانية تستدعي عظم النفس ، فتكون ذات فضائل قدسية . وكالات خلقية ، وتكون مستهينة بأثر خارف الدنيوية التي اتسمت فيها ، فليست أهلاً لأن تفاض عليكم فضلاً عن أن تهبوا لمن تشاءون . (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) يقول تعالى : نحن فautنا بينهم في الرزق ، فمنهم الغني ، ومنهم الفقير ، ومنهم السيد ومنهم العبد ، ومنهم الملوك ، ومنهم السوقة ، ومنهم الأقوياء ، ومنهم الضعفاء ، ومنهم ذوو الجمال ، ومنهم ذوو الدمامة ، ولم يقدر أحد من عبادنا أن يغير ما حكمنا به في أحوال دنياهم مع قلنا وذلنا ، فكيف يقدر على الاعتراض على حكمنا فيها هو أرفع درجة ، وأعظم منصباً ، وأشرف غاية ، وهو النبوة ، فنحن رفعا بعضهم على بعض بمشيتنا وخصصنا من نشاء للنبوة كما أردنا ، فكما لم يغيروا ما هو أدنى هكذا هم أعجز عن التغير فيها هو أعلى . ثم أتت وصف حال تفاوتهم في الدنيا فقال (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي أوقفنا بينهم التفاوت في الرزق (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدمهم في مهتهم ، ويسخروهم في أشغالهم ، حتى يعيش بعضهم مع بعض ، وينفع بعضهم بعضاً ، فهذا بحاله وهذا بأعماله ، لأننا حكمنا أن هذه النفوس تعيش في الأرض لتتعاون ونحن قادرين أن نطعمهم وهم قاعدون كما أطعمنا النبات والدود ، ولكن هي الحكمة أن الأعمال التكليفية التي يتعاطاها الناس سواء أكانت طبيعية أم شرعية تصير فيما بعد الموت معينة للنفوس فيسهل عليها التعارف والتعاون في عالم الأرواح ، وعلى قدر تهذيبها ومحبتها لبعضها يكون ارتقاؤها ، وكيف تتعارف في الدنيا إلا باللقاء والاختلاط فأحوجناهم إلى القوت

وأغنيانا وأقربنا ، وجعلنا ذكرا وأنثى ، كل ذلك ليتعارفوا ويتعاونوا . وأنزلنا العبادات وفرضناها ليتحدوا في الصلوات ، ويتعاونوا في الصدقات . وأنزلنا القرآن والعلم لنجمعهم جامعة الحكمة والأخلاق وهي أقوى الجامعات وأمن الروابط وهذا قوله تعالى ( ورحمة ربك ) بالنبوة وما يتبعها ( خير مما يجمعون ) أي مما يجمع الكفار من الأموال ، فالدنيا على شفا جرف هار . إن المادة والمظاهر القانية لاقيمة لها في حضرتنا ، فنحن أغدقنا النعم على الدواب والأنعام وكثير من جهلة بني الإنسان ، ولولا أن تنطلع أعين المؤمنين إلى زهرة الدنيا وزينتها إذا غمرنا الكافرين بها وأوسعناها عليهم سعة مطلقة وأن تهلع قلوبهم وتنخلع حينما يرون الكافرين في أنعم حال وهم في شظف العيش لجمعنا كل كافر في أرغد عيش وأنعم حال ولكننا لم نفعل ذلك رحمة بالمؤمنين وهذا قوله تعالى ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ) أي ولولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه إذا رأوا سعة الرزق عند الكفار ( لجمعنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ) ومصاعد إلى المعارج جمع معرج ( عليها يظهرون ) يعلون السطوح لحقارة الدنيا وقوله « لبيوتهم » يدل اشتغال ( وليوتهم أبوابا وسررا عليها يتكثون ) أي أبوابا وسررا من فضة . يقول لجمعنا للكفار سقفا من فضة ومصاعد وأبوابا وسررا من فضة ( و ) جعلنا لهم ( زخرفا ) أي زينة من كل شيء . ويقال : الذهب أيضا فيكون عطفًا على محل من فضة : أي سقفا من فضة وذهب أي بعضها من فضة وبعضها من ذهب ، وإذا كانت المعارج والأبواب والسرر كالسقف كما تقدم يكون بعضها من فضة وبعضها من ذهب على هذا التقدير أيضا ( وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ) أي ما كل ذلك إلا متاعها القصير الفاني وليس بما تقدر به قيم النفوس الإنسانية فكيف يقولون لولا أنزل هذا القرآن على رجل الخ والعظمة المادية لاعلاقة لها بالمناسب النبوية ( والآخرة عند ربك للمتقين ) الكفر والمعاصي . ولا جرم أن هذه النعم والسرر والأبواب المتنوعة من الذهب والفضة لو أعطيت للمؤمنين حتى يصبح الناس كلهم مؤمنين لأخلت بالمقصود من الإيمان لأن الترف والتعظيم يحجبان أكثر العقول عن عالم الروحانية والرقى العقلي . وقل من يتخلص من شرك هذه الآفات . فالشهوات والزينة والزخارف للعقول أشبه بالقاذورات بالنسبة للأجسام . وكما أن الأجسام القادرة يحوم حولها الذباب فيلقى فيها بيوضه لتفرخ في القروح والعيون ويخرج ذباب يعيش من تلك القاذورات فتكون آلام وآلام هكذا تلك النفوس الضعيفة تشعش فيها النفوس المعانلة لها من عالم الشياطين وتلقى إليها بذور الفساد فتزرع في تلك العقول وتحصدتها النفوس خزيا وعارا في الدنيا والآخرة ، ولذلك أعقبه بقوله ( ومن يعيش عن ذكر الرحمن ) يتعام ويعرض عنه بانهما كه في المحسوسات واشتغاله باللذات ( نقيض له شيطاننا فهو له قرين ) أي نسب ونضم له شيطاننا ونسلطه عليه ، وذلك على مقتضى سنا الكونية كما سلطنا الذباب على الأجسام القادرة وخلقنا الحيات والعقارب والحشرات في المحال العفنة لتلطيفا للهواء ورحمة بالناس والحيوان هكذا النفوس . فإذا قتلت الحيات أحدا أو أصاب الحيوان الثرى الذي لا يرى المسمى بالمكروبات أحدا ، أو عم الوباء من ذلك ، فمن مات فقد كان هكذا استعدادا ، ومن عاش فإنه يكون أقدر على الحياة لقوة تحمله فلم يؤثر فيه الوباء ، هكذا هذه النفوس الموسوسة للضعفاء توقعهم في الذنوب لاستعدادهم فينالون جزاءهم من عقاب الحكومات ، أو احتقار الناس ، أو الأمراض في الدنيا فيكون ذلك عبرة لهم وزجرا لغيرهم ، وتسكون نتيجة ذلك الرحمة ، ويشير لذلك قوله تعالى « يا أباي إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن » . فالعذاب بالأمراض الفتاكة والموت والشياطين المضلة . كل ذلك إيقاظ من الله للإنسان ، وإياك أن تدخل في هذا عذاب الكافر فواته إن فيه سرا يحرم إفتاؤه تحريما قاطعا ، فإذا عرفته فلا تقله بل ليدفن معك لأن الأمم اليوم لا تستعد لفهمه . واعلم أن هذا القام هو نتيجة العلوم كلها

دينا وحكمة وتصوفاً، فمن عرف الحقيقة في هذا المقام فقد وصل قه ونال غاية الحكمة، فإذا عرفت فالزم.  
قال تعالى ( وإنيهم ) أى الشياطين ( ليصدونهم ) ليجننوا العاشقين ( عن السبيل ) عن سبيل الهدى  
( ويعسبون ) أى العاشقون ( أنهم مهتدون ) لأنهم تلقوا من الشياطين ما يلائم أمزجتهم ويوافق أخلاقهم  
وأنفوسهم فلم ينكروه هـ .

### الكلام على المقاصد من العاشر إلى الثالث عشر

إلى قوله : « ومثلاً للآخرين »

يحب كفار بنى آدم أنهم على هدى وقد أغواهم الشيطان ( حتى إذا جاءنا ) الكافر منهم ( قال )  
لقريته الشيطان ( يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ) أى بعد المشرق والغرب ، ففيه تغليب أحدهما ثم  
التثنية ( فبئس القرين ) أنت ( ولن ينفعك اليوم إذ ظلمت ) أشركتم ( أنكم في العذاب مشتركون )  
أى لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف عنكم شيئاً ، إن الكافر يتبع هنا شدة البعد بينهما ، وجاء  
في آية أخرى « ربنا أرنا اللذين أضلنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا » الخ . فأجيبوا بأن الاشتراك  
في العذاب لا يخفف عنكم شيئاً ( أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ) قومك كالصم البكم فلا يقبلون  
الهداية ، فمن عجب أنك تقدر على هدايتهم ، وعطف على العمى قوله ( ومن كان في ضلال مبين ) في ضلال  
لا يخفى ، فهو لا يقبلون الهداية ( فإذا نذهبن بك ) بأن نعمتك قبل أن نعدبهم ( فإننا منهم منتقمون )  
بالقتل بعدك ( أو ربنا ) فى حياتك ( الذى وعدناهم ) من العذاب ( فإننا عليهم مقتدرون ) قادرين  
على ذلك متى شئنا عذبناهم وقد انتقم منهم يوم بدر ، وهذا فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم لأنه وعده الانتقام منهم  
على كل حال ( فاستمسك بالذى أوحى إليك ) من الآيات والشرائع ( إنك على صراط مستقيم ) لا عوج  
فيه ( وإنه ) أى القرآن ( لتذكر ) لشرف عظيم ( لك ولقومك وسوف تسألون ) عن حقه وأداء شكره  
ومعنى هذا أن القرآن نزل بلغة العرب ودين الإسلام وعد الله بنشره فى الأرض وأبناء العرب هم العارفون  
باللغة ، فعلى هذا هم الملتزمون بالقيام بنشر اللغة العربية ودراسة هذا الدين للأمم الأخرى ، فالأمة العربية  
متى قصرت فيما أزمها الله به أذلها الله فى الدنيا ، وأدخل المقصرين منها النار يوم القيامة ، ولذلك لما  
قصرت فى واجبها انطمست معالمها ودخلت فى حوزة الأمم الأوروبية ، وعسى أن يقرأ هذا أبناء العرب  
من إخواننا ويفهموا مركزهم فى الأرض أنهم هم المعلمون للأمم ، فليشروا هذا القرآن وليتعلّموا هم  
لغات الأمم وليكتبوا المصاحف بالعربية ويصكّون على الهامش تفاسير بلغات مختلفة كالإنجليزية والروسية  
والألمانية وهكذا حتى تعرف الأمم هذا الدين . هذه الآية توجب على أبناء مصر والشام واليمن والحجاز والعراق  
أن يكونوا ناشري هذا الدين ، ولكن هم اليوم فى الجهالة تأمّهون ، وسيقوم مجدهم مرة أخرى وترجع أيام  
عزهم ، وإذا ورد فى حديث البخارى ومسلم أن الخلافة فى قريش ، وفى البخارى أيضاً حديث « إن هذا  
الأمر فى قريش لا يعادىهم أحد إلا أكرهه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » وأيضاً يقول بعض المفسرين  
القوم هم العرب والقرآن لهم شرف .

إذا عرفت هذا فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم « ما أقاموا الدين » فكأن الخلافة جعلت لهم ليحافظوا على الدين  
فكأن المحافظة على الدين هى المقصودة من خلافتهم ، فالمحافظة أصل والخلافة فرع ، وهذا يشير لمعنى الآية  
( وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ) أى وأسأل أممهم وعلماء دينهم ( أجعلنا من دون الرحمن آلهة  
يعبدون ) هل حكمنا بعبادة الأوثان ، والمراد تقرير أن جميع الأنبياء على التوحيد فليس يبدع ما جاء به



محمد صلى الله عليه وسلم حتى يعارض (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون ومثله فقال إني رسول رب العالمين) آتى بهذا القصص ذا كرا فيه ما يناسب المقام من تفاخر فرعون بعظمة ملكه ، ومن اتهامه لموسى عليه السلام بالسر كما فعل القوم مما هو مذكور في هذه السورة ، إذ تمنوا أن تكون النبوة لرجل من القرينتين العظيم وجعلوا النبوة سحرا ( فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ) يسخرون ( وما ترهبهم من آية إلا هي أكبر من آياتها ) من قرينتها ( وأخذناهم بالعذاب ) كنعس الثمرات وإرسال الطوفان الخ ( لعلمهم يرجعون ) عن الكفر ( وقالوا يا أيها الساحر سموه ساحرا أي علمنا ما هرا باهرا إنكارا للنبوة ( ادع لنا ربك ) فيكشف عنا العذاب ( بما عهد عندك ) أي بما أخبرتنا عن عهده إليك ، أنا إن آمنا كشف عنا العذاب فأسأله أن يكشفه عنا ( إننا لمهتدون ) لمؤمنون ، فدعاه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ( فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ) ينتفضون عهدهم ( ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ) أنهار النيل تجري من تحت قصرى وبين يدي في جناتى ( أم أنا ) بل أنا ( خير من هذا الذى هو مهين ) ضعيف حقير فكيف تكون له رئاسة مع المهانة ( ولا يكاد يبين ) الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للرئاسة ( فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ) جمع أسوار ، وقرى أساور جمع أسورة ، وقرى أساور جمع أسوار ، أى هلا ألقى مقاليد الملك إليه . ذلك أنهم كانوا إذا أرادوا تسويد رجل سروره بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ( أو جاء معه الملائكة مقترنين ) مقرونين به يعينونه أو يصدقونه ( فاستخف قومه ) أى فاستخف أحلامهم بما يديه من عظمة الملك والرئاسة وجعلها مناط العلم . ولو كان هناك نبوة لكان هو أولى بها كما قال أهل مكة في رجل من القرينتين ( فأطاعوه ) فيما أمرهم به ( إنهم كانوا قوما فاسقين ) إذ أطاعوا الفاسق . هكذا أنتم يا أهل مكة إذا اتبعت من يجعل النبوة موقوفة على العظمة والجاه وتصبحون كقوم فرعون إذا تنعمنا منهم لما أغضبونا ( فلما آسفونا ) أغضبونا بالعناد ( انتقمنا منهم ) فأغرقناهم أجمعين ) فى اليم ( فجعلناهم سلفا ) قدوة لمن بعدهم من الكفار يتقنون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ( ومثلا للآخرين ) حديثا عجيب الشأن سأراسير المثل يضرب بهم الأمثال فيقول الناس مثلكم مثل قوم فرعون .



## ذكر المقاصد من ١٤ إلى ١٨ وهي الأخيرة

وهي شؤم الحرص على الجدال وعدم جدواه في إبطال الحقائق . وذكر عيسى عليه السلام واختلاف أتباعه ، وذكر معاداة قرناء سوء . يوم القيامة وعذابهم وسعادة الصالحين . وذكر تنزيه الله تعالى . ووصفه بسعة الملك والقدرة والحكمة وشهادة القطرة بذلك . وبالاختصار وصفه تعالى بصفات الجلال والإكرام . وذكر سعة الصدر والصفح والسلمة وأنها خير الأخلاق

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على قریش « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » غضبوا فقال ابن الزبيرى : يا محمد أخاصة لنا ولآهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هو لكم ولآهتكم ولجميع الأمم . فقال ألسنت زعم أن عيسى ابن مريم نبي وثقى عليه وعلى أمه خيرا . وقد علمت أن النصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأترل الله تعالى « إن الذين سبقتم من الحسن أولئك عنها معبدون » ونزلت هذه الآية ( ولما ضرب ابن مريم مثلا ) أى ولما ضرب ابن الزبيرى عيسى ابن مريم مثلا لآهنتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه ( إذا قومك ) قریش ( منه ) من هذا المثل ( يصدون ) ترفع لهم جانباً وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من إسكات النبي صلى الله عليه وسلم بحمله ( وقالوا آلهتنا خير أم هو ) آلهتنا خير عندك أم عيسى ؟ فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه ومع عزير والملائكة ( ماضر بوه لك إلا جدلا ) أى ما ذكر والى عيسى ابن مريم إلا للجدل والحصومة ( بل هم قوم خصمون ) جدلون بالباطل . ولما ذكر عيسى وأنه معبود عند النصارى أخذ يبين حاله فقال ( إن هو ) أى إن عيسى ( إلا عبد أنعمنا عليه ) بالنبوة ( وجعلناه مثلا ) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ( لى إسرائيل ) فليس معبودا كما يزعم قوم من النصارى ؛ وإنما العبرة فيه أنه ولد من غير أب فيفتح للناس باب التفكير والتذكر والفهم والعلم وليست مخالفة العادة فى شىء موجبة لعبادته بل هى مذكرة بعبادة الخالق الحكيم ( ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ) على اننا لو نشاء لجعلنا ذريعتكم ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم كما خالقنا عيسى من أنثى بلا ذكر وجعلناه رجلا : أى لو نشاء لجعلنا فى الأرض عجايبا كما مر عيسى بحيث يلد الرجل مسلكا فيخلفه ، فباب العجايب والنظم المدهشة لاحد له عندنا ، فكم من نوايس خافية عليكم بيدنا تصرفها ( وإنه ) أى القرآن ( لعلم للساعة ) لأن فيه إعلاما بها ودلالة عليها ( فلا تترون بها ) فلا تشكن فيها ( واتبعون ) هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يقوله ( هذا ) الذى أذعوكم إليه ( صراط مستقيم ) لا يضل سالكه ( ولا يصدنكم الشيطان ) عن المتابعة ( إنه لكم عدو مبين ) ثابت عداوته لأنتم وسوس لأبيكم ولكم ( ولما جاء عيسى بالبينات ) بالمعجزات الواضحات ( قال قد جئتكم بالحكمة ) بالإنجيل والشريعة لتسقين السبيل لكم ( ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ) من أمور الدين وحدها ( فاتقوا الله وأطيعون ) فيها أبلغه عنه ( إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ) وهذا ملخص جميع الديانات اعتقاد الوحدانية والتعبد بالشرائع أى العلم والعمل . انظره فى سورة ( آل عمران ) فهناك ملخص الديانات فى الأرض مصداقا لهذه الآية ( هذا صراط مستقيم ) هو من كلام عيسى عليه السلام ، فالصراط المستقيم علم بحقائق وعمل بشرائع ( فاختلف الأحزاب ) الفرق المتحزبة

(من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) من المتحزبين (من عذاب يوم أليم) يوم القيامة (هل ينظرون إلا الساعة) والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة (أن تأتيهم بغتة) خفاة والمقصود أنها تأتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون) أى غافلون عنها لا اشتغالهم بأمور الدنيا وإنكارهم لها (الأخلاء) الأحياء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) فالخلة التي ميناها الباطل تبطل متى ظهرت حقيقتها ، وهؤلاء يظهر باطلهم يوم القيامة (إلا المتقين) لأن اللودة أسست على حقيقة لا تنفى ، وإذن ينادى الله المؤمنين التحايين في جلاله فيقول (يا عباد لا خوف عليكم اليوم) مما تلاقونه بعد الموت كما يخاف غيركم (ولا أأنتم تحزنون) على ما خلفتم لاعتقادكم أنى وكيل حكيم أتصرف فى ملكي بالحكمة والعدل ، ولكن الحزن لغيركم ، ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أى مخلصين (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كواب وهو كوز لا عروة له (وفىها) فى الجنة (ما تشبهه الأنس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون) بخلاف النعيم الذى هو زائل وهو نعيم الدنيا (وتلك الجنة التى أوردتموها بما كنتم تعملون) شبت الجنة فى بقائها على أهلها بالمراث الباقى على الورثة ، وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة والجنة خبر ، وقوله (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) فيه إيماء إلى أنهم يأكلون بعض الثمار والباقي مزين لشجره . وفى الحديث «لا يزرع أحد فى الجنة من ثمراها إلا نبت مكانها مثلها» (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفترونهم) لا يخفف ولا ينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحبرون (وما ظلمناهم) بالعذاب لأننا نضع كل مخلوق فى مرتبته (ولكن كانوا هم الظالمين) هم ضمير فصل . يقول : إن العذاب راجع إلى الاستعداد الفطرى لنقص فى قابليتهم ولم يخرج ذلك عن ترتيب الدرجات على مقتضى الاستعداد ، وهذا ليس من الظلم فى شىء . فالفاعل يعطى والقابل ليس بأهل لما يفاض عليه (ونادوا) لما يسوا من فتور العذاب (يا مالك) وهو خازن النار . قيل لابن عباس : إن ابن مسعود قرأ يا مال . فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليجتنا يقال قضى عليه : أماته أى سل ربك أن يقضى علينا (قال إنكم ما كثون) لا بثون فى العذاب لا تتخلصون منه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) أى لقد جئناكم معاشر اللائكة بالحق حينما أوحى الله إلى الأنبياء بواسطة (ولكن أكثركم للحق كارهون) لا تقبلونه وتتفرون منه ، لأن الحق يوجب التعب والباطل يوجب الكسل (أم أبرموا أمرا) أى بل أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فإننا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم ، وكانوا يتنادون ويتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أننا لانسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعهم (ورسلنا) والحفظة مع ذلك (لديهم) ملازمة لهم (يكذبون) ذلك إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) منكم : أى لوضح وثبت برهان صحيح تورودونه وحجة واضحة تدلون بها أن للرحمن ولدا لكانت أسبقكم إلى طاعته كما تعظمون أنتم أبناء ملوككم فإننى أول العابدين وهذا وارد على سبيل البالغة فى نفي الولد ، يقول : وإذا كنت أنا لم أعترف بولد بدليل أننى لم أعبد مع أنى أقرب الناس إلى الله فالولد منى حتما : أى فانتفاء الولد مرتب على انتفاء عبادته ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء . لازمه ثم نزه نفسه . فقال (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى عما يقولون من كونه ذا ولد . ألا ترى أن الكواكب والشموس والأحجار والمعادن كلها لا تلد المثل كما يلد الإنسان والحيوان . وذلك لأن هذه العناصر المركبة منها تلك العوالم موضوعة للتحليل والتركيب فهى جعلت أصولا للأحياء تبرات عما يتصف به الحيوان من توليد المثل ، فالحجر لا يلد حجرا . والأرض لا تلد أرضا مثلها ، وكذا السماء والهواء والماء فإذا كانت هذه التى جعلت أصول الأشياء تبرات عن الولد فكيف يلد مبدعها ! (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم

(ويطلعوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو القيامة (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أي وهو الذي هو في السماء معبود وفي الأرض معبود لإله إلا هو وإنما قلنا هو في السماء لأجل صناعة الإعراب . وقلنا معبود بدل إله ليكون مشتقاً يتعلق الظرف به (وهو الحكيم) في إبداعه وصنعه في السموات (العليم) بجميع النتائج والمقدمات ، والأسباب والسيئات ، بحيث تخللت الحكمة التي قرنت بالعلم كل رطب ويابس ، وجليل وحقير ، وهذا هو الذي يبرهن أنه المستحق للعبادة في السموات وفي الأرض لأن من يشاهد إتقان الحكمة فيهما يجد نظاماً واحداً وحكمة متسقة . هذا معنى الآية . ولما كان الناظر في علم الطبيعة والفلك وقد درس علوم الرياضات ونظر في هذا النظام بهش لما يجد من العجائب والإتقان والصنع البديع ، ويحاربه من تلك الحكمة التي لا نهاية لها في أصغره كما يراه في جلائل الخلق أردفه بقوله (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) والتعبير بتبارك لا يقوم مقامه تعبير في اللغة حتى يؤدي ما يشور في نفوس الحكماء والعلماء من مدهشات هذه الدنيا وغرائبها بحيث يرى العاقل في أدق الأشياء بدائع تحير العقول ، مثلاً ترى الملح الذي تأكله من ركب ؟ ركب من عنصرين أحدهما عبارة عن مادة إذا وضعت في الماء التهب الماء فصار ناراً ، والعنصر الآخر سم مهلك قاتل ، فيا عجباً ! عنصران : أحدهما نار والآخر سم ، لا تعيش في الدنيا إلا بتعاطي المركب منهما صباحاً ومساءً ، ولو نظر الحكيم الدارس علم الحيوان في قطعة صغيرة من جناح الناموسة لا اطلع على تفاصيل ودقائق وأوردة وشرايين ولرأى في إظهارها ما يشبه الريش محيطاً به ، وهكذا قد كشف العلماء بما نظروا بالمناظير المعظمة غرائب ينطق عندها العاقل قائلاً « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما » .

### حيوان ذرى يدبر دولاباً

قد اطلمت بواسطة المنظار المظلم عند الأستاذ شوقي بك بكبير المدرس بمدرسة الزراعة بحلوان على بركة ماء يبلغ عمقها في النظر عشرة أمتار وفيها حيوانات كثيرة أصف واحداً منها بأنه يحمل عجلة وهو يدبرها في لجج الماء العزير لتحصيل رزقه ، ولعلك تقول : وما هذه البركة ؟ أقول لك إنه قد بل الزجاجة برطوبة من بركة هناك عنده ، فهذه الرطوبة لما وضعت تحت المنظار ظهرت هكذا وفيها تلك الحيوانات والنباتات والآلة الدائرة لتحصيل الرزق مع أن هذا الحيوان ودولابه الدائر لو اجتمع هو وآلاف مثله لم تره أعيننا فضلاً عن عجلته أو دولابه . هذه المعاني وأمثالها هي التي يجعلها قوله تعالى « وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما » فهذا مما بينهما . واعلم أن العقول الإنسانية تبقى راكدة حتى تحركها أمثال تلك العلوم . وإنهاض القلوب على قسمين : قسم بما قلناه من أمثال تلك العلوم إذا قرئ على الوجه الذي قررناه . وقسم بظهور أصحاب العقول الكبيرة الذين يحملون الشعوب على انتهاج خطة السكالك ، وقد آن أوان ظهور الأمرين معا في أمة الإسلام ، فسيظهر أهل العقول الكبيرة ومعهم تلك الحكم العالية ، وهذا هو الذي يديم الأمم ورفقها . ولما كانت هذه العجائب لا يعلمها إلا الله وحده ، والناس لا يعلمون إلا قليلاً مع أنها بين أيديهم كانت الساعة أولى أن مجهولها فأعقبه بما يدل على ذلك فقال ( وعنده علم الساعة ) التي تقوم القيامة فيها ( وإليه ترجعون ) للجزاء . ولما كان ذلك اليوم يكون فيه الحساب والشفاعة قال ( ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ) من معبوداتهم كالأصنام والملائكة والمسيح ( إلا من شهد بالحق ) بكلمة التوحيد ( وهم يعلمون ) أن الله ربهم حقاً ويمتقدون ذلك ، فمؤلاً هم الذين يملكون الشفاعة كالملائكة والمسيح لأن الشفاعة على مقدار وصول الآثار العلمية والدينية وكل من وصله علم المسيح قبل النسخ وهكذا المؤمنون من جميع الأمم الذين

لم تنسخ دياناتهم بشفع لهم أنبيائهم وعلماؤهم وشهدائهم كما في الحديث والملائكة من باب أولى لأنهم الواسطة (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الأصنام (فأنى يؤفكون) فكيف أومن أين يصرفون عن التوحيد وهذا إقرارهم ، ثم عطف لفظ قيله من (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) على الساعة أي وعند الله علم الساعة وعلم قول . . . ول محمد صلى الله عليه وسلم « يارب الخ » وقرى « مجروراً ومنصوباً وهو في الثاني عطف على محل الساعة لأن إضافة العلم للساعة من إضافة المصدر لمفعوله فتحلها نصب ، فلما شكك صلى الله عليه وسلم إلى ربه عدم إيمانهم أجابه الله قائلا ( فاصفح عنهم ) فأعرض عن دعوتهم وأنت آيس من إيمانهم ( وقل ) لهم (سلام) أي متاركة فلا تدع عليهم بالعذاب ولا تدعهم للدين ( فسوف يعلمون ) عاقبة كفرهم وتنصر عليهم . انتهى التفسير اللفظي .

### في هذه السورة سبع لطائف

- ( ١ ) في قوله تعالى «إنا جعلناه قرآنا عربيا» مع قوله « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وقوله « وإنه في أم الكتاب لدينا » الخ .
- ( ٢ ) وفي قوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » إلى قوله « وإنا إلى ربنا لمقلبون » مع قوله « سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون » إلى قوله « فأنى يؤفكون » .
- ( ٣ ) وفي قوله « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة » الخ .
- ( ٤ ) وفي قوله « قالوا هذا سحر وإنا به كافرون » مع قوله « وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك » الخ . وفي قوله « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » مع قوله « فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب » وقوله « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون » .
- ( ٥ ) وفي قوله « حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشركين » مع قوله « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .
- ( ٦ ) وفي قوله « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها » .
- ( ٧ ) وفي قوله « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا » .

### اللطيفة الأولى والثانية

قد علمت فيما مضى من السور أن « حم » تشير في هذه السور إلى الحمد ، وأن الحمد هو مناط العلوم كلها والحسنة ، فأول هذه الأمة الإسلامية حمد ، وآخرها حمد ، وفي صلاتها حمد ، وفي أكلها حمد وفي لبسها حمد . وفي سفرها حمد . وفي جنتها حمد ، يقولون : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » وأيضا على لسان الملائكة حمد لأنهم يسبحون بحمد ربهم والحمد يكون على النعم : والنعم لا يحمد عليها إلا إذا عرفت .

فرجع الأمر إلى العلوم وعجائب الصنع والحكمة في السموات والأرض . أما علوم اللغة من النحو والصرف والمعاني وأمثالها فما هي إلا آلات ؟ وأما علوم الفقه ومقدماتها كالأصول وما يلحقها من علوم الجدل فإنما هي للقضاء وحفظ نظام الدولة الظاهري . أما امتلاء العقول بالحكمة وإظهار رجال عظماء في أمة الإسلام وحفظ البلاد من تألب الأمم عليها ورفدها بالخيرات والخيرات والنعم ، فذلك ان يكون لإبعم السموات والأرض وبعلم الكيمياء والنبات والحيوان والتشريح وطبقات الأرض والهواء والبحار ، ألا تراه ابتداء السورة قائلا « حمّ » مشيراً للحمد ؛ ثم أعقبه بذكر القرآن العربي لأنه الدليل على ما يجب على الناس ، ثم أبان منزلته في علوه عنده تعالى وحكمته فهي أعلى المنزلة وهو موسوم بالحكمة . ومن الحكمة ما ذكره في اللطيفة الثانية من شهادة القطر بأن الله خالق السموات والأرض صاحب العزة والعلم الذي مهد الأرض وجعل فيها السبل وأنزل الماء من السماء فأخرج به النبات والأنعام وجعل السفن ، وأيضاً ذكر أنه معبود في السموات والأرض ورب السموات والأرض ورب العرش ، كل ذلك مناط الحمد الرموز له بلفظ « حمّ » فالحمد لله رب العالمين .

والترية هنا أضيفت إلى السموات والأرض وأضيفت إلى العرش ، فيرجع مدار إسماعاد أمة الإسلام إلى معرفة العوالم كلها وتربية الله لها ، وهذا هو الذي بيناه في ( سورة الفاتحة ) فارجع إليه فإنها أشارت لمجامع العلوم ، وكأن سور آل حم جاءت مفضلات للحمد المذكور في الفاتحة ، وقد جعلت آل حم رياض القرآن ومعلوم عند أكابر الحكماء من أمتنا الإسلامية أن رياض الجنة العلوم ، فالفاتحة بها تفتح أبواب الجنات وهي العلوم عند الحكماء في الإسلام وتفتح أبواب الجنات الحسية عند العامة ، فليس يعقل جنات العلوم إلا الذين أدركوها في هذه الدنيا ، فهؤلاء يتمنون جنات العلوم ولا تهمهم الجنات المحسوسة ، والعامة وصغار العلماء لا ينظرون إلا إلى الجنة المحسوسة ، ففي هذه السورة أشير إلى مجامع الحمد بالآيات التي ذكر فيها السموات والأرض وأضيف الرب إلى العرش تارة وإليهما تارة أخرى ، وكذلك شهدت القطر بأن الله خالق ذلك كله وهذا القول منزل للأمة الإسلامية كلها عربيها ومجربها ، إنما الذي يدهش العقول ويحير الألباب أن أبناء العرب اليوم مسئولون أمام الله وهم نائمون .

يا أبناء العرب : يامن أنتم اليوم في شمال أفريقيا في تونس والجزائر ومراكش ومصر والشام والعراق واليمن والحجاز وغيرها ، أنتم نيام ، ألا تنتظرون ، ألا تفكرون ، اسمعوا كلام ربكم ، يقول : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ووصف هذا القرآن بأنه على المنزلة ، حكيم النظم والمعنى ، ثم في نفس هذه السورة قال : « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وهذا أمر عظيم ، فأبناء العرب اليوم مسئولون عن هذا القرآن وحقه ونشره بين الأمم ، إنكم يا أبناء العرب لا تقدرّون أن تنشروا هذا القرآن إلا إذا كنتم أنتم للعلوم دارسين ، وللحكمة عاقلين ، حتى إذا نشرتموها نشرتم ما يشير إليه من العلوم ، وليس معنى هذا أنكم تدرسون كل علم وكل فن . كلا . بل أقول إن من اطلع على ما كتبت في هذا التفسير وقرأ بعضه بنظام في جميع القرآن فقد أدرك كيف يدعو إلى القرآن . إن الله يا أبناء العرب سائلكم فشمروا عن ساعد الجد ، يا أبناء العرب نعم عن هذا القرآن بما كان لكم من الصولة والدولة وقام بنصره فريق من أمة العجم جزاهم الله خيرا ، ولكن أنتم أصل اللغة ، فإذا نشرتم القرآن وكنتم عالمين بالحكمة اتقادت لكم الأمم اتقيادا أدبيا والأمم اليوم لا تعرف إلا الحجة ، فلتكن لكم جمعيات منظمة تدرس نظام هذه الدنيا ومقاصد القرآن مع الإمام ببعض اللغات .

يا أبناء العرب : إن أهل أوروبا يريدون منكم نشر دينكم . يا أبناء العرب ، أقول لكم ذلك عن علم

فإني سمعت ( اللورد هدي ) الإنجليزي لما حضر إلى الجامع الأزهر وهو يخطب يقول : ( إن ثلاثة أرباع الأمة الإنجليزية اليوم يريدون أن يسلموا ، ومامنعمهم إلا أنهم لا يجدون قوة علمية مع هذا اللورد ومن معه تقوم بنشر حقائق دين الإسلام ويكونون قوة محتج بها من أراد اعتناق الدين أمام آباءه وإخوته وأصحابه ) فأبنا ولي الأوربي وجهه لا يجد عربيا واحدا ينصر هذا الدين ويقم الحججة ويعلم الدين هناك .

يا أبناء العرب : هذا زمان مجدكم . يا أبناء العرب : إن ربكم يقول « وسوف تسألون » . أما نبينا صلى الله عليه وسلم الآن فليس بمسئول لأنه بلغ ونحن الآن المسئولون ، نسأل بين يدي الله تعالى ، إن الأمم سئمت تلك الديانات الباردة والتي قُرت ، ودينكم هو الذي يليق بالعصر الحاضر :

فإذا أعرضتم عن نشره فاعلموا أن الله لكم بالمرصاد ، فالنار تحت الأجل في باطن الأرض ، والنار قد ظهرت في الأعمال الحربية في أوربا ، وأصبحت الأمم المقصرة في العلوم الواجبات تحت رحمة أصحاب النار الذين يرسلونها من طياراتهم ، فهبوا من رقدتكم واقروا العلوم كما أوضحتها في هذا التفسير . ثم لتكونوا شهداء على الناس ، ولتكونوا حزب الله ، لتكونوا ناصرى العلم الحكمة ، لتقوموا بتمدين النوع الإنساني بعد أن ترقوا ؛ ليس في الأرض اليوم شعب يقدر أن يكون بهذا غير العرب ، العرب قاموا بدورهم أيام القرون الأولى ولكن دورهم الحالى أهم وأعظم ، دورهم الحالى قراءة العلوم كلها ونشر القرآن بحكمته هو الذى يفهم الأمم أن العلوم المنتشرة في الدنيا يطلبها القرآن .

قولوا يا أبناء العرب للأمم : هذا القرآن نزل بلغتنا ونحن نحفظه وتركنا العلوم وربنا الذى هو ربكم ورب كل شئ ، ألهكم أن تستخرجوا العلوم من كنوزها في الأرض وفي السموات ، فإذن هو أنزل إلينا لفظه وألهكم ما يتضمنه من المعاني ، إن ربنا عدل حتى لا نقول نحن سادات العالم بالعلم والدين ، وحتى لا تقولوا أتم نحن سادات العالم بالأمرين ، فأعطانا ديننا حقا ، وأعطاكم سره ، فمددنا لفظه وعندكم معناه ، ونحن اليوم نقرؤه عليكم ونبين مواضع علومكم منه وهي تتخلل كل سورة وكل آية ، بل الحروف الهجائية في أوائله تشير إلى مجامع علومكم ، فلسنا نفتخر عليكم ولستم تفتخرون علينا ، فإذا قلنا هو ديننا نزل بلساننا تقولون أتم ولكن الله أظهر أسرارها على أيدينا وقوله تعالى « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » يشير إلى الآيات التي ظهرت على أيدينا . وقوله « سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » كذلك ، فإذن أتم حملتم لفظه وبعض معانيه ، ونحن قرأنا ما هو مقصوده ومعناه ، والله هو الذى أحوج أهل الشرق لأهل الغرب كما أحوج أهل الغرب لأهل الشرق ؛ فهؤلاء بدينهم وهؤلاء بعلمهم ، وهذا مما يشير له الحديث « ليلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع » فنحن للبلغون وأنتم المبلغون : والله أراد أن تتعارف وبمثل هذا يتم التعارف ، فنحن معاشر الأوربا وبين أخذنا بأبنا العلم عن آباءكم وآبائكم أخذوا العلم عن أمم أخرى ونحن دحنا العلوم من أبوابها وأظهرناها فقرأناها ، فإنا الفضل في حفظها وإارتقاها ولكم الفضل في حفظها سابقا وفي حفظ الدين الإسلامى سابقا ولاحقا . هذا هو الزمان الذى يقال فيه هذه المحاورات ، والله هو الولي الحميد .

واعلم أن هذا الأسلوب من الدعوة هو الذى سينشر في مستقبل الزمان وهو بعض الذى يقصد من قوله تعالى « ليظهره على الدين كله » وهذا ظهور حجة وبيان ، وقد ظهر كثير من ذلك أيام الحروب الصليبية ، فإن أهل أوربا كانوا كالوحوش جهلة ذلك التاريخ ، ثم أخذوا في الرقي شيئا فشيئا ، ولما جاءت الحروب الصليبية خلعوا لباس الجهالة ولبسوا لباس الحكمة ، وأذكرك من ذلك :

(١) إن البابا كان معتبرا عندهم كالقطب عند المسلمين ، وكان له الملك السياسي في الأرض التي تحت سلطته ، وقدم ملك أهل إيطاليا سنة ٧٢٦ ميلادية الموافقة سنة ١٠٨ هجرية البابا عليهم فجعلوه رئيس النصرانية ، ثم توسع أتباعه في ذلك قرنا بعد قرن حتى صاروا يولون من يشاءون ويعزلون من يشاءون من ملوك أوروبا .

(٢) وكان لكل ملك تاج ولهم ثلاثة تيجان .

(٣) وكانوا إذا ركبوا عسك لهم الركاب ملوكهم .

(٤) وإذا أمروا بحاربة أمة لا يخالفهم أحد .

(٥) ويحرقون من خالفهم بالنار وهو حي .

(٦) وكان البابا مرة أئرم امبراطور ألمانيا أن يقف حافيا ثلاثة أيام في فصل الشتاء أمام باب قصره

ليطلب منه الغفران

(٧) ورفض البابا مرة برجله تاج ملك جرميا حيث كان جاثيا أمامه يطلب الغفران .

وبهذه الأفعال أخذت سطوة البابا تنحط شيئا فشيئا الى سنة ١٢٨٨ هجرية فدخل الإيطاليون عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وأبقوه رئيسا على الكاثوليك ومقره في الكنيسة الرومية . وإلى هنا تم السلام على اللطيفة الأولى والثانية ، والحمد لله رب العالمين .

### اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى : « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثارهم مهتدون »

هذه الآية وأمثالها كثير في القرآن قد تقدم القول عليها في غير ما موضع . فإن النوع الإنساني لسكونه في هذه الأرض التي تعتبر أنها في الطبقة المتأخرة من العوالم ليس كاملا كل السكال فهو في عالم متأخر يعاشر الحيوان الذي لا رأى له بل يسير بما فطره الله عليه ، فأدنى الإنسان قريب من الحيوان ؛ قل فيه المفكرون الذين يجتازون تلك الأسوار المنيعة ، والحصون الشاهقة ، والأشواك الشائكة ، والطرق الوعرة ، والبحار الواسعة ، والجبال الشاهقة الفاصلة بينه وبين التفكير . إن الناس خلقوا بين أوهام وآراء تفت أمامهم سدا وحائلا أشد مما ذكرناه ، فإذا ما أثار الله بصائر الناس هدموا تلك الحصون ، وأزالتك الجبال ، وكرموا تلك الحوائل ، وعبروا الأنهار ، ووصلوا الى الحقائق سالمين ؛ وكثير منهم يهاسكون ، أثناء الطريق لعدم قدرتهم على تلك المشاق العظيمة .

هذا كله من التقليد الذي ملك مشاعر هذا الإنسان الذي يعيش بالتقليد ويموت على التقليد بل جميع الديانات تقليد . فالمسلم والوثني والنصراني كلهم مقلدون ، متبعون لامبتدعون ، والله أظهر قهره للإنسان بهذه الأحوال ليفكر للمفكرون ، ويعتبر للعتبرون ، ويخرج في كل أمة مجتهدون عاقلون ، وقوله تعالى في هذا المقام « قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » فتح باب للنظر والعلم ، إن الأمة الإسلامية في الأعصر الأخيرة غفقت عن هذا النور ، فهم أمروا بهذه الآية أن يتبعوا ما هو أهدى وما هو أحسن كما في آية أخرى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » فنحن مأمورون باتباع الأحسن وباتباع الأهدى في كل زمان ، هذه فتح باب للنظر في كل صناعة وكل علم ، فلندرس طرق البحار والهواء والحرب والسلام والسياسة ونقتبع ما هو أسلم لنا . هذا هو الدين وهذا هو القرآن . وما سواه ضلال . تم الكلام على اللطيفة الثالثة .



### اللطفة الرابعة

في قوله تعالى « قالوا هذا سحر وإنا به كافرون » مع قوله « وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك » وقوله « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » مع قوله « فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ »

الناظر في هذه السورة يرى أمر القصص واضحا، فإن نبأ موسى عليه السلام فيه مسائل كثيرة نذكر هنا ما يناسب المقام . إنه تعالى ذكر قول مشركي مكة هذا سحر ، وأتى من قصص موسى عليه السلام بما يناسبه فقال « وقالوا يا أيها الساحر » . وأيضا هزم الله فرعون ونصر موسى ، فهكذا محمد ﷺ يكون مثله وقد تم ذلك فإنهم قالوا ساحر كما قال قوم فرعون لموسى ، ثم نصر النبي ﷺ كما نصر موسى . وأيضا قال مشركو مكة : إن الأولى بالنبوة الرجل العظيم في المال والجاه ، فهكذا قال فرعون « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » وقال أيضا « فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب الخ أي إن النبوة إنما تكون لمن أعطى الملك وعزة الحياة الدنيا ، وكانت نتيجة ذلك أن نصر موسى هكذا يا محمد سيكون شأنك وقد تم ذلك ، واعلم أن هذا المقام يفتح لك باب التفكير في قصص القرآن . وبدلنا أن هذا القصص غير مقصود لذاته فيؤتى منه بالشواهد التي تكون تسليية للنبي وللمؤمنين وحكمة ، وهذا يدلنا أن التواريخ ليست مقصودة لذاتها بل يراد بها الحكمة والعلم واتباع الخطة المثلى . فلنرجع إلى قصص القرآن ولنفكر في المقصود منه لافي أصل القصة وحقائقها فإن ذلك ليس مقامه بل مقامه الاعتبار والحكمة والنتائج وهذا من غرائب الحكمة والعلم .

فالحكمة في ذلك أن لا يدرس التاريخ إلا للنتائج ولا يترك سهفلا ، بلا تنظم دروسه ، وتتخذ نتائجها منارا تهتدى به الأمم الإسلامية ، فليقرأ المسلمون تاريخهم ، وليأتوا بمقاصده الحكمة، والله حكيم عليم . انتهت اللطفة الرابعة .

### اللطفة الخامسة

في قوله تعالى « حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد الشرقين فيبس القرين » وقوله « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين »

في هذه الآيات أصول المحبات والعداوات ، إن المحبة لا تكون إلا بأسباب ، ولا محبة بلا سبب فمن قال « أنا أحب فلانا لله » ظانا أنه لا سبب له فهو جاهل ، بل الحب حبان : حب في الله وحب في غير الله . فأما الحب الذي هو لله فهو للمبني على العلم والطاعات والحكمة ، ولذلك ترى الذين استووا في أخلاق واحدة وعلوم متحدة وعقائد صادقة تكون بينهم للوادة والمحبة على مقدار تكامل هذه الصفات فيهم ، وكما تباعدت الصفات تقاصرت المحبة حتى إذا ما تنافرت أغلبها -صل التنافر العظيم ، فمن كانت موداتهم ترجع إلى الطاعات فيهم في الله ، ومن كانت موداتهم على الشرور كالقتلة والفاسقة فهي لغير الله ، ومستحيل أن تكون محبة بلا سبب . فإذا قال أمرؤ أنا أحبك لله وظن أنه لا سبب له فهو مخطئ ، وعلى ذلك إذا أحب الإنسان أباه

وأستاذة وتلميذه والصانع الذي صنع له حذاه فشكل هذا الحب في الله لأن الأسباب التي أوجبت الحب لالمعصية فيها لأنها إما مباحة ، وإما واجبة ، أو مندوبة .

### نتائج تلك المحبات

وتسكون نتائج تلك المحبات بقاء ما كان أصله الطاعة وانحلال ما كان أصله المعصية ، وبيانه أنك ترى القتل والفسقة والذين يشربون الخمر وأمثالهم مجتمعون ويتحابون ، فإذا وقفوا أمام القضاء أقر كل منهم على صاحبه بقتل أو بسرقة ، فذهبت تلك المودات ، وضاعت تلك الصداقات ، فهذا الذي نراه في الدنيا هو بعينه ما يرى يوم القيامة وبعد الموت ؛ فإن من أضل جاهلا يعرف بعد الموت أن ضلاله من إضلال قريته فيسكره يوم لا ينفع ذلك ولا الندم على ما حصل . فأما المتقون الذين كانوا على الصلاح وعلم الحقائق فإنهم بعد الموت لم يروا ما يناقض أسباب مودتهم ومحبتهم ، فتزيد لألفة الجامعة كما تهدمت الألفة الفاسدة . هذا معنى قوله تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » انتهت اللطيفة الحامسة .

### اللطيفة السادسة

في قوله تعالى : « وإنه لعلم للساعة »

تقدم أنك قرأت أن الضمير يرجع للقرآن لأنه مشتمل على بيانها فهو مبين لأمر الساعة ، وهذا الرأي على غير ما قال به جمهور المفسرين فإنهم قالوا إن الضمير يرجع لعيسى عليه السلام ، وفي هذا الاحتمال وجهان : الأول أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ونزوله يعلم به قرب الساعة ، وقرئ : علم كقمر أى علامة على قرب الساعة . الثاني : أن إحياء الموتى بإذن الله دليل على أن الله قادر أن يحيى الموتى يوم القيامة . فها هنا يكون الوجه الأول والوجه الأخير لادليل فهما على نزول عيسى آخر الزمان . والوجه الثاني هو الذي يدل . ولذلك ترى التفتازاني وبعض العلماء لم يجعلوا في الآية دليلا على نزول عيسى عليه السلام .

إذا عرفت ما ذكره العلماء في القرآن فهل لك أن تسمع الأحاديث الواردة في الصحيحين في أمر عيسى عليه السلام .

(١) في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » .

وفي رواية أبي داود : قال : « ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فيكم الخ » . وفي حديث الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم » .

وهناك روايات أخرى ليست في الصحيحين مثل إنه يقتل الدجال ، وإنه يأتي بيت المقدس . والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويحرب البيع والكنائس ويقتل النصراني إلا من آمن .

هذا ماجاء في الروايات وقد عدلت ما صح منها فأما ما عداها فليست عن الشيخين ، ومحصل الكلام في أمر

عيسى عليه السلام أن القرآن لم ينص عليه فإن في الدليل احتلالاً ، وأنى في الصحيحين ما سمعته وما زاد فليس فيهما .

### الكلام على المهدي

واعلم أن الكلام على المسيح يستدعي الكلام على المهدي ، وخير من كتب في أمره هو العلامة ابن خلدون ، لقد عقد فصلاً لهذا الموضوع . هكذا « فصل في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك » وقد ذكر في هذا الفصل الأحاديث الواردة في المهدي وزواله في آخر الزمان وآراء التصوفة وكبار الشيوخ ومحس الموضوع عجيصاً .

### الأحاديث المروية

ذكر الأحاديث التي رواها الترمذي وأبو داود والبخاري وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي ، وذكر أنهم أسندوا تلك الأحاديث إلى الصحابة رضي الله عنهم مثل علي ، وابن عباس وابن عمر ، وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وقرّة بن إياس ، وعلى الهلالي وعبد الله بن الحرث . وقال إن تلك الأسانيد عارضها قوم بالإنكار ، والدروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل ، ومن جملة الأحاديث ما رواه أبو بكر الإسكافي : « من كذب بالمهدي فقد كفر ، ومن كذب بالدجال فقد كفر » . وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك . ويقولون إن أبا بكر الإسكافي عندهم وضع للأحاديث . وهناك ذكر الأحاديث الكثيرة مثل أن المهدي يكون اسمه على اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه على اسم أبيه صلى الله عليه وسلم وقد أطل في ذلك واستوفى المقام ، وكنت أود الإطالة بذكره ولكن المقام لا يحتمل ذلك في مثل هذا التفسير . ثم قال : فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان ، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل ، وأقل منه ، وقد تقدم الكلام في هذا الموضوع مطولاً في أول سورة الحج فارجع إليه إن شئت .

### آراء الصوفية وكلامهم في أمر المهدي

ذكر العلامة ابن خلدون في هذه المقام أن السلف الصالح من الصوفية ما كانوا يتعرضون لمثل هذه الأمور ، فلا يذكرون المهدي ولا خروجه وكانوا يحرصون على المجاهدة وتأنجها ، وكان الإمامية والرافضة من الشيعة يرجع كلامهم إلى التبري من الشيخين أولاً ثم حدث فيهم القول بالإمام المعصوم وألفوا كثيراً في ذلك ، وجاء الإسماعيلية منهم فادعوا ألوهية الإمام بنوع من الحلول ، وآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة على طريق التناسخ ، وآخرون ينتظرون عيسى ، من يقطع بموته منهم ، وآخرون منتظرون عود الأمر في أهل البيت مستدلين بتلك الأحاديث المطبوع في أسانيدهم ثم ظهر عند المتأخرين منهم الكلام في الكشف ومعرفة ما وراء الحس والقول بالحلول والوحدة فشاركوا الإمامية والرافضة القائلين بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم ، وهكذا القول بالقطب والأبدال وهو يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والقباء ، وأشربوا أقوال الشيعة وظهر في كتب الإسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من التصوفة مثل ذلك في الفاطمي المنتظر . كل ذلك مبني على أصول واهية ، ومن هؤلاء ابن سبعين .

وقال ابن عربي فيما نقل ابن أبي واطيل عنه : (وهذا الإمام المنتظر من أهل البيت من ولد فاطمة . وظهوره يكون بعد مضي ستائة وثلاث وثمانين سنة ، ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر أخذوا يؤولون ولم يتم شيء . قال : وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة من اليوم المحمدي الذي ابتداءه وفاته صلى الله عليه وسلم ونهايته ألف سنة .

وذكر السكندی أن هذا الولي يحدد الإسلام ، ويظهر العدل ، ويفتح الأندلس ، ويصل إلى رومية فيفتحها : ويسير إلى الشرق فيفتحها ، ويفتح القسطنطينية ، ويصير له ملك الأرض ، فيقوى المسلمون . ويعاود الإسلام ، وحدد لذلك سنة سبعمائة وثلاث وأربعين ، ثم يعقب ذلك سبع سنين للدجال . ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر . فيصلح الدنيا ، وتمشى الشاة مع الدئب . وأطال في ذلك رحمه الله وأناز قبره وأنعم عليه بالنظر إلى وجهه الكريم .

إني حينما أقرأ أمثال هذا في كتب أسلافنا يأخذني الأسف على هذه الأمة المسكينة التي كثر فيها الخاطئ والخطيئ والتجريف ، حتى إن أكبر العلماء يضل في مثل هذه الأمور ، ومن العجيب أنه ينقل عن متصوفة عصره ما سمعه من متصوفة عصرنا ، وكل له خبط وخلط وأمان وأضاليل . وقال إنه سمع في عصره عن المسمى أبا يعقوب البادسي كبير الأولياء بالمغرب في أول المائة الثامنة أن ظهور المهدي قريب . فالأولون والآخرون يقولون وينتظرون وتذهب الأعمار ولا يحصلون على طائل .

### رأى العلامة ابن خلدون

يقول : ان الملك لا يقوم إلا بشوكة وعصية . يقول : وعصية الفاطميين في زمانه قد تلاشت وهكذا قريش أجمع . وظهرت أم غلبت عصيتها عصية قريش ، ثم قال : إن بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة بنى حسن وبني حسين وبني جعفر . قال : فإذا صح ظهور مهدي فليكن منهم . وملخص كلامه أنه لا يظهر إلا في عصية . وأما مجرد النسبة إلى آل البيت فلا يكفي .

وقد ذكر جماعة ممن قاموا بدعوة الهدوية ولا عصية لهم فقتلوا ( مثال ذلك ) أنه قام رجل ينتحل التصوف وادعى الهدوية برباط مائة لأول المائة الثامنة فاتبعه خلق كثير من السوس ، فدس عليه رؤساء المصامدة من قتله يياتا وأنحل أمره ، وكذلك ظهر قبله بسنين قليلة رجل يسمى العباس وادعى أنه الفاطمي واتبعه قوم ، ودخل مدينة فاس عنوة وأحرق أسواقها ، ودخل غيرها فقتل في الزمة غيلة وأنحل أمره .

### فكرة عامة في مسألة عيسى عليه السلام والمهدي

قد رأيت أن المهدي أحاديثه مطعون فيها وليس له في القرآن ذكر . وقد ظهر بعد أيام العلامة ابن خلدون الشيخ السنوسي ، ويقول أتباعه إنه المهدي المنتظر : وهكذا ظهر في السودان المهدي السوداني وهو الذي تركته دولة انكيترا حتى استفحل أمر التعايش بعده . وانقضت عليه بعساكر بلادنا وعساكرها وهي تحكم بلادنا المصرية . فأزالت الملك وانتهى أمر المهدي أحمد . وقد ظهر في الإسلام بعد ابن خلدون أيضا من قال إنه هو عيسى وهو بهاء الله في بلاد الفرس وأتباعه يسمون البهائية ولهم انتشار في أوروبا وأمريكا .

وظهر في زماننا رجل في الهند جعل نفسه عيسى المنتظر . ويقال إنه نسخ الجهاد وأقر لانكيترا بأن يحكم المسلمين وهو بذلك مستبشر فرح وهو الملقب بالقباداني .

فباليات شعري ماذا يتخذ الإسلام من هذه المصائب التي حلت به . خرج المهديون وقد كثروا فمهم من قتل ومنهم من بقي ملكة سنين ومئات السنين ثم ذهبت دولهم وخرج الذين يقولون إنهم هم نفس عيسى الموعود به في القرآن احتمالا وفي الحديث صريحا والأمة في ذلك لاتعرف كيف يكون المخرج . وإذا كان في الإسلام الآن «عيسىان» ولكل عيسى منهم أتباع فربما جاء بعدهم غيرهم وهكذا . إن هذا تفريق لدين الإسلام وإضعاف له ، فالعامة يخرفون بالمهدى قديما وحديثا ، ويرون من يقول أنا عيسى فيحار أمر الناس في ذلك « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

### رأى المؤلف

اعلم أن الأمة الإسلامية لاخرج لها من الجهالة العمياء والذلة إلا بدراسة العلوم والوقوف على الحقائق ليكن فيها اختصاصيون في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ والحديث والتصوف وهكذا حتى يقف الحواس على حقائق هذه الدنيا . وإذن يسهل عليهم معرفة الحقائق ، أما رأى في المهدي فواضح . فقد قام بالأمر العلامة ابن خلدون وأظهر الحقيقة ناصحة ، وأما الكلام في عيسى عليه السلام فاعلم أنه أقوى من المهدي لأنه جاء في الصحيحين . وجاء أنه يجعل الدنيا دار سلام ويكون على دين الإسلام الخ . وملخص ذلك أن هذه الأرض التي نسكنها تتبدل حالها وتكون حالها أجمل مما نحن فيه . وإذا نظرنا نظرة صادقة لهذا الموضوع أيقنا أن ذلك لايم في يوم أو سنة أو قرن لأن انقلاب الإنسانية من هذه الحال إلى تلك الحال يحتاج لقرون فإذا عاش عليه السلام في الأرض سبع سنين أو أكثر أو أقل كما في الروايات الواردة فهذه المدة لا تقلب الأمم لأن هذه ليست سنة الله وهو عليه السلام نزل إلى الأرض قديما فرجع الناس لحالهم بل أرادوا صلبه فشبهم . وجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض وأمر الدنيا بعده معلوم . فإذا نزل المسيح مرة أخرى لا يكون إلا بعد انتقال الأمم من هذه الحال تدريجا إلى حال تصبغ الأرض فيها أشبه بالفردوس ، ولعل العقول إذ ذاك يكون لها شبه علم بزوله عليه السلام : فإذا نزل تقبلته بالقبول هذا ما يمكن أن يقال والله أعلم .

### فائدة هذا الموضوع كله

ها أنت ذا قرأت الأحاديث الواردة في المسيح عليه السلام وقد دخل في جملة الأمور الاعتقادية في الأمة وإن لم يكن صريحا نصه في القرآن ، ولكن أحاديث الشيخين لهما منزلة القبول في الأمة . وإذن يزيد أن نعرف فائدة هذا الاعتقاد فنقول :

لقد علمت مما أسلفنا في هذا التفسير أن الأمة الإسلامية عليها أن تقوم بما عليها للإنسانية فهم خير أمة أخرجت للناس ، وهم شهداء الله على الناس كما أن الرسول شهيد علينا ، وهذا الدين وعد الله بظهوره على جميع الأديان ، فهذه وأمثالها ترجع إليها لأنها ظاهرة واضحة ، وإذا ضمنا إليها أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونحن معاشر أمة الإسلام اليوم في الأرض فأعمون بشريعته فنحن إذن يجب أن نكون رحمة للعالمين وعلى هذا يكون المسلمون يوما ما يقودون الإنسانية إلى السلام العام والإنسانية الخالصة ، وتكون الأمم بسبب نشر المعارف والعلوم قد اقتربت من السلام العام ، وتكون أمة الإسلام قد أصبحت صاحبة الفضل الأكبر في ذلك ، إذن تسرى الروح العيسوية في العالم بسبب الإسلام وظهور حقائقه الموعود بها بمنزل قوله تعالى « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ومثل « سيريكم آياته فتعرفونها » ومتى سررت الروح العيسوية في

الأرض بسبب دين الإسلام فهناك حين يظهر المسيح يجد الأمة مستعدة للإسلام العام ، وسواء أنزل هو بنفسه أم كانت النفوس قد أشربت السلام فيكون ذلك رمزا ، فمثل هذا لا تعرض له ، فهو خاص بعلم الله تعالى والذي في قدرتنا أن نقوله : على المسلمين اليوم أن يأخذوا دورهم في الرقي ، وأن يكونوا دعاة الإنسانية والسلام والمودة وأن ينشروا العلوم ، ويكون الإسلام ممزوجا بما كشفه الناس في العصر الحاضر ، وتكون دعوته قائمة بنفس العلوم كما سطرناه في هذا التفسير ، أما أن يقوم في كل قرية رجل ويجعل له أتباعا ويقول أنا المسيح ، فهذا مالا يطيقه الإسلام ، وإذا كان هؤلاء الذين ظهروا كل واحد منهم هو المسيح فأين السلام في الأرض ، وما هذا التعدد ؟ مع أن عيسى واحد لا اثنان . وكيف ترجع أحدهما على الآخر ؛ وأين السلام في الأرض .

فالقول العدل أن الأمة الإسلامية التابعة للمذاهب المختلفة يجب على رؤسائها أن يوجهوا همهم إلى تعميم التعليم وإكثار المدارس ونشر فكرة العلوم ممزوجة بالدين كما أوضحناه . ومتى تنورت الأذهان ووضحت الطرق طاحت تلك الدعاوى من النفوس أي إننا لا نشغل أنفسنا بتكذيب أحد من مشايخ الطرق ولا اليسويين ولا المهديين ، ولكن نقول : ليقرأ أتباع هؤلاء الشيوخ العلوم فيعلمون الحقائق : وربما كان أساتذتهم هم الذين يمنعونهم العلم خيفة اطلاعهم على الحقائق فيستصغرون شأنهم ، فأنا أوصي قراء هذا التفسير أن يذيعوا بين الأمة العلم والحكمة . وبذلك وحده يظهر المسلمون ويكونون خير أمة أخرجت للناس ويستعدون للروح اليسوية حتى إذا جاء أوانه فهموه فنزل فيهم . وأما مادام المسلمون على هذا المنوال فكيف ينزل المسيح في قوم جاهلين ربهم ونظامه وجماله وحكمته .

ولنتصح أيها التلميذ الأمة أن تفلح عن انتظار من يأتي إليهم من المهديين . فوالله لا مساعدة لأمة إلا بمجدها واجتهادها . إن نفس الأنبياء لم يرسلوا إلا في أوساط تناسبهم . فليرق الشعب نفسه بالعلم والعمل والحب العام وينتظر بعد ذلك نعم الله عليه . فليس يقبل المسيح طبائعهم بل يأتي إليهم وهم مستعدون للسلام العام . ثم الكلام على اللطيفة السادسة والحمد لله رب العالمين .

### اللطيفة السابعة

في قوله تعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم »

اعلم أن النصراني بعد رفع المسيح عليه السلام كانوا مقرين بالوحدانية ولعيسى بالرسالة . ثم بعد رفعه دخلت شبه فاقسموا ثلاث طوائف : ملكانية . ونسطورية . ويعقوية . فالملكانية مصرحة بالتثليث فهم يقولون : ( الآلهة ثلاثة : المسيح . وأمه . والله ) ويقولون : ( إن المسيح ناسوت كلي قديم : ومريم ولدت ولدا أزليا . والله هو الأب . وعيسى هو الابن ) اطلاقا حقيقيا عندهم . وأما النسطورية فلأنهم يقولون ( إن الكلمة أشرفت على جسد عيسى كإشراق الشمس على كوة أو بلور ) . وأما يعقوية فيقولون : ( انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو نفس المسيح ) وإلى الملكانية الإشارة بقوله تعالى ( لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ) وإلى يعقوية الإشارة بقوله تعالى ( لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ) ثم إن الملكانية هم المسمون الآن ( كاثوليكية ) . فأما يعقوية والنسطورية فهؤلاء ليسوا في أوروبا . وربما يكونون في الشام ومصر والعراق والحبشة : وإنما الذي حدث في أوروبا هو مذهب

البروتستانت والكاثوليكية . والبروتستانت يقرون بالبعث . والبعث إما بالأرواح والأجساد ، وإما بالأرواح فقط ، خلاف بينهم . ثم إن لفظ كاثوليكية كلمة مدح لأنها كأهل السنة عندنا . ورئيس المذهب الكاثوليكي هو البابا برومة في دولة إيطاليا . فله اليوم الرئاسة الباطنية كالقطب عند المسلمين وكشايع الطرق ، وتقدم قريبا ظلم البابا لأهل أوروبا وملوكها فأنحطوا وذهبت رئاستهم . ثم إن الكاثوليكية بقوا على مذهبهم إلى القرن التاسع الهجري . فظهر منكرون للبابا برومة فصاروا يسمون المنكرين (بروتستانت) وهي كلمة أشبه بكلمة الخوارج أو المعتزلة عند المسلمين .

وملخص ذلك أن الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت هو البابا ، فمن اعترف ببابا رومة فهو كاثوليكي ومن لم يعترف به سموه بروتستانتى فيأنف ويقول أنا كاثوليكي وإن كان لا يعترف برئاسة البابا ، والبابا من جملة الأساقفة ، ورئاسة الأساقفة ليست خاصة به ، بل هي له ولأسقف الإسكندرية وأسقف القسطنطينية ، فأما الكاثوليك فلا يعترفون إلا ببابا رومة ، وبعض البروتستانت أيضا لا يقر بالتثليث ، لأنهم نظروا في كتب الإسلام فاعترفوا بالوحدانية ، ويعملون عيسى عبد الله ورسوله ، وهم مع الكاثوليك فيما بقي من العقائد .

وهناك فريق من البروتستانت باق على التثليث ، ويكون الفرق بينهم وبين الكاثوليك عدم الاعتراف بالبابا وحده ، ثم إن الصوم بقول البروتستانت إنه سنة ، ويقول الكاثوليك إنه فرض وهو مدة (٤٠) يوما يتكون الطعام والشراب من طلوع الشمس إلى غروبها .

وأما البروتستانت وبعض الكاثوليك الذين ضعفت عقيدتهم ، فهم يجوزون تناول الطعام والشراب . لكن يمنعون اللحم كله وماتولد منه كاللبن والسمن إلا الحوت فانهم يأكلونه في حال الصيام ويأكلون الحبز والحلوى ، وعندهم فرقة يسمونها اللاتينية ، وفرقة يسمونها أهل الديانة الروسية (أورثوذكس) وذلك لأنهم لا يعترفون بالبابا رئيسا ، وهم موافقون للكاثوليك في كل شيء . وهؤلاء جميعا يفتخرون بأنهم كاثوليك فيكذبهم أخصامهم قائلين لهم : أنتم فرقة لاتينية أو أورثوذكس .

واعلم أن الفرنسيين دخلوا دين النصارى سنة ٤٩٦ ميلادية وهم كاثوليك وبروتستانت ، ومنهم من لا يقر بالله في باطنه ، وكان ابتداء ملكهم سنة ٤٢٠ ميلادية وأصل ملكهم قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة ولم يتم الاستقلال فيما بين التاريخين ، فحكهم اليونان فالرومان فاستقلوا ، وكانوا يعبدون الأصنام التي على صور الكواكب كالهنود .

ودولة الأنجليز التي ابتداء ملكها قبل الميلاد بنحو خمس وخمسين سنة لم يستقلوا إلا سنة ٢٤٣ هجرية وهي سنة ٨٢٧ ميلادية ، ودخلوا النصرانية سنة ٥٩٦ مسيحية ، وذلك قبل الهجرة بست وعشرين سنة وفيهم الكاثوليك والبروتستانت والدهرية وحصل بينهم وبين الفرنسيين حرب من سنة ١٣٣٧ م الموافق سنة ٧٣٨ هجرية إلى سنة ١٤٥٣ م الموافق سنة ٨٥٧ هجرية ويسمى حرب المائة سنة .

(دولة النمسا أوستوريا) أكثرهم من التتار ، ابتداء الملك سنة ٣٣ ميلادية ، والاستقلال سنة ٩٨٢ ميلادية الموافق سنة ٢٤٨ هجرية ، ودخلهم النصرانية كالذين تقدموهم .  
(الدولة الألمانية) ابتداء الملك سنة ٥٤ ميلادية ، والاستقلال سنة ١٣١٥ ميلادية الموافق سنة ٨١٨ هجرية .

(دولة السكوف) استقلالهم التام سنة ١٦٢ ميلادية الموافق سنة ٢٤٨ هجرية ، وكانوا يعبدون الأوثان ودخلوا النصرانية سنة ثلثمائة وخمس وسبعين هجرية ، فهم الأمة الوحيدة التي تأخرت في دخول

النصرانية إلى ذلك الزمن، وأما بقية دول أوروبا فإن دخولها في النصرانية في أواخر القرن الخامس الميلادي فتكون النصرانية في أوروبا الآن نحو ألف وأربعمائة سنة، ومذاهبهم الكاثوليك والبروتستانت واللاتين والأرثوذكس. ثم الكاثوليك هي عين للملكانية، وأما النسطورية والعقوبية فقد حذفنا من الغرب وربما كانت في الشرق، والله أعلم. وقد تقدم ملخص هذا في (سورة آل عمران) وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة السابعة من اللطائف الخاصة، والحمد لله رب العالمين.

### اللطائف العامة للسورة كلها<sup>(١)</sup>

#### اللطيفة الأولى

في قوله تعالى « إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون » مع قوله « وإنه لذكر لك  
ولقومك وسوف تسألون »

لأجل الكلام على الآيتين في مقامين : المقام الأول في غريب اللغة العربية في القرآن . المقام الثاني في نفس الأمة العربية ، وهالك بيانها .

#### الكلام على المقام الأول في غريب اللغة العربية في القرآن

تقدم في أول سورة « حم فصلت » الكلام على الألفاظ التي دخلت في القرآن من القبائل المختلفة ومن اللغات التي ليست عربية كالفارسية والهندية الخ . وأريد هنا أن أذكر نبذة يسيرة في الكلام على معرفة غريبه فقد جاء في كتاب « الإتقان في علوم القرآن » تحت العنوان التالي مانسه :

النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد ، ومن أشهرها كتاب العزيزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب ، ولأبي حيان في ذلك تأليف مختصر في كراسين . قال ابن الصلاح وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معنى القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري انتهى . وينبغي الاعتناء به ، فقد أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً « أعربوا القرآن واتمسوا غرائبها » وأخرج مثله عن عمرو بن مسعود موقوفاً ، وأخرج من حديث ابن عمر مرفوعاً : « من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات » المراد بإعراجه معرفة معاني ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها ، وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن ، فهذه الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن

(١) هذه اللطائف لم يكن لها وجود عند التأليف ولم يفتح الله بها إلا عند طبع هذه السورة، المؤلف



عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا ؛ فأخرج أبو عبيدة في الفضائل عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله « وفا كهة وأبا » فقال أي مماء تظلي ، أو أي أرض تلقني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم ؟ وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على النبي « وفا كهة وأبا » فقال : هذه الفا كهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو الكلف يا عمر ، وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس . قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يخطبان في بر فقال أحدهما أنا فطرناها يقول أنا ابتدأها ، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله « وحنانا من لدنا » فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا ، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس . قال : لا والله لا أدري ما حنانا . وأخرج الفريابي : حدثنا إسرائيل حدثنا سمالك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس . قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعة : غسلين ، وحنانا ، وأواه ، والرقيم . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة . قال قال ابن عباس : ما كنت أدري ما قوله « ربنا افنح بيننا وبين قومنا بالحق » حتى سمعت قول بنت ذى يزن ( تعال أفاحك ) تقول أخاصمك . وأخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الرقوم .

فصل : معرفة هذا الفن للمفسر ضرورة كما سيأتي في شروط المفسر

قال في البرهان : ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالا وحروفا ، فالحروف لقلتها تسلك النحاة على معانيها ، فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة ، وأكبرها كتاب ابن السيد ، ومنها التهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والجامع للقرطبي ، والصحاح للجوهري ، والبارع للفارابي ، ومجمع البحرين للصاغاني . ومن الموضوعات في الأفعال كتاب ابن القوطية ، وابن الظريف والسرقسطي ، ومن أجمعها كتاب ابن القطائع . قلت : وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة ؛ وما أنا أسوق هنا ما ورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة فإنها من أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخاري في صحيحه مرتبا على السور . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ( ح ) وقال ابن جرير حدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ( يؤمنون ) قال يصدقون ( يعمهون ) يتامدون ( مطهرة ) من القدر والأذى ( الحاشعين ) الصديقين بما أنزل الله ( وفي ذلكم بلاء ) نعمة ( وفومها ) الخبطة ( إلا أمانى ) أحاديث ( قلوبنا غلف ) في غطاء ( ما ننسخ ) نبدل ( أو ننسها ) تركها فلا تبدلها ( مثابة ) يثوبون إليه ويرجعون ( حنيفا ) حاجا ( شطره ) نحوه ( فلا جناح ) فلا حرج ( خطوات الشيطان ) عمله ( أهل به لغير الله ) ذبح للطواغيت ( ابن السبيل ) الضيف الذي ينزل بالمسلمين ( إن ترك خيرا ) مالا ( جنفا ) إغما ( حدود الله ) طاعة الله ( لا تكون فتنة ) شرك ( فرض ) أحرم ( قل العفو ) مالا يتبين في أموالكم ( لأعنتكم ) لأخرجكم وضيع عليكم ( ما لم تمسوهن أو تفرضوا ) المس الجماع والفريضة الصداق ( فيه سكينه ) رحمة ( سنة ) نعاس ( ولا يثوده ) يشغل عليه ( صفوان ) حجر صلد ليس عليه شيء ( متوفيك ) يميتك ( ريون ) جموع ( حوبا كبيرا ) إغما عظيما ( نخلة ) مهرا ( وابتلوا ) اختبروا ( أنتم ) عرفتم ( رشدا ) صلاحا ( كلاله ) من لم يترك والدها ولا ولدا ( ولا تعضلوهن ) تفهروهن ( والمحصنات ) كل ذات زوج ( طولوا ) سعة ( محصنات غير مسافات ) عفاف غير زوان في السر والعلانية ( ولا يتخذن أخدان ) أخلاء ( فإذا أحسن ) تزوجن ( العنت ) الزنا ( موالى ) عصبه ( قوامون ) أمراء ( قاتلات )

مطيعات (والجار ذى القربى) الذى بينك وبينه قرابة (والجار الجنب) الذى ليس بينك وبينه قرابة  
 (والصاحب بالجنب) الرفيق (فنيلا) الذى فى الشق الذى فى بطن النواة (الجبث) الشرك (تقيرا)  
 التنقطة التى فى ظهر النواة (وأولى الأمر) أهل الفقه والدين (ثبات) عسبا (سرايا) متفرقين (مقبتا)  
 حفيظا (أركسهم) أوقعهم (حصرت) ضاقت (أولى الضرر) العذر مراغما التحول من الأرض إلى  
 الأرض وسعة الرزق (موقوتا) مفروضا (تألون) توجمون (خالق الله) دين الله (نشوزا) بغضا  
 (كالمعلقة) لاهى أيم ولا هى ذات زوج (وإن تلوا) ألسنتكم بالشهادة (أو تعرضوا) عنها ووفوهم « على  
 على مريم بهتاناً » رموها بالزنا (أوفوا بالعقود) ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن كله  
 (يجرمسك) يحملنكم (شأن) عداوة (البر) ما أمرت به (والتقوى) ما نهيت عنه (المنخفة) التى  
 تخنق فتموت (والموقوذة) التى تضرب بالحشب فتموت (والتردية) التى تتردى من الجبل (والنطيحة)  
 الشاة التى تنطحها الشاة (وما أكل السبع) ما أخذ (إلا ما ذكيتم) ذبحتم وبه روح (الأزلام) القداح  
 (غير متجانف) متعدد (الإثم) الجوارح الكلاب والبهود والفتور وأشباهاها (مكيبين) ضواري (وطعام الذين  
 أوتوا الكتاب) ذبأحهم (فأفرق) أفصل (ومن رد الله فتنته) ضلالته (ومهيمننا) أمينا ، القرآن أمين  
 على كل كتاب قبله (شرعة ومنهاجا) سبيلا وسنة (أذلة على المؤمنين) رحماء (مقولة) يعنون بخيل  
 أمسك ما عنده تعالى الله عن ذلك (بحيرة) هى النافذة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان  
 ذكرا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى جدعوا أذنيها (وأما السائبة) فكانوا يسيبون  
 أنعامهم لأهلهم لا يركبون لها ظهرا ، ولا يحملون لها لبنا ، ولا يجزون لها وبرا ، ولا يحملون عليها شيئا .  
 (وأما الوصيلة) فالشاة إذا أنتجت سبعة أبطن نظروا للسابع فإن كان ذكرا أو أنثى وهو ميت اشترك فيه  
 الرجال والنساء ، وإن كان أنثى وذكر فى بطن استحيوها وقالوا وصلته وأخته فخرمته علينا . وأما الحام  
 فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا حمى هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئا ، ولا يجزون له وبرا ولا ينعونه  
 من حمى رعى ولا من حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه (مدرارا) بعضها يتبع بعضها  
 (ويأون عنه) يتباعدون (فما نسوا) تركوا (مبلسون) آيسون (يصدفون) يعدلون (يدعون)  
 يعبدون (جرحتم) كسبتم من الإثم (يفرطون) يضيعون (شيعا) أهواء مختلفة (لسكل نبا مستقر)  
 حقيقة (تبسل) تفضح (باسطوا أيديهم) البسط الضرب (فالق الإصباح) ضوء الشمس بالنهار وضوء  
 القمر بالليل (حسيانا) عدد الأيام والشهور والسنين (قنوان دانية) قصار النخل اللاصقة عروقها بالأرض  
 (وخرقوا) نخرصوا (قبلا) معاينة (ميتا فأحييناه) ضالا فهديناه (مكاتسكم) ناحيتكم (حجر) حرام  
 (حمولة) الإبل والحيل والبغال والحمر وكل شئ يحمل عليه (وفرشا) الغنم (مسفوحا) مهراقا (ماحملت  
 ظهورها) ماعلق بها من الشحم (الحوايا) المبعر (إملاق) الفقر (دراسنهم) تلاوتهم (صدف) أعرض  
 (مذؤما) ملوما (ريشا) مالا (حشيثا) سريعا (رجس) سخط (صراط) الطريق (افتح) افض (آسى)  
 أحزن (غفوا) كثروا (ويدرك وألهتك) يترك عبادتك (الطوفان) المطر (متبر) خسران (أسفا)  
 هو الحزين (إن هى إلا فتنك) إن هو إلا عذابك (عزروه) حموه ووقروه (ذراننا) خلقنا (فانبجست)  
 انفجرت (تنقنا الجبل) رفعناه (كأنك حفى عنها) لطيف بها (الطائف) الغة (لولا اجتبيتها) لولا  
 تلقينها (بنان) الأطراف (جاءكم الفتح) المدد (فرقانا) المخرج (ليثبوك) ليوثفوك (يوم الفرقان) يوم  
 بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل (فشردهم من خلفهم) نكل بهم من بعدهم (من ولايتهم) ميراثهم  
 (يضاهون) يشبهون (كافة) جميعا (لبواطوا) يشبهوا (إحدى الحسينين) فتح أو شهادة (مغارات)

الغيران في الجبل (مدخلا) السرب (أذن) يسمع من كل أحد (واعلظ عليهم) أذهب الرفق عنهم (وصلوات الرسول) استغفاره (سكن لهم) رحمة (ريية) الشك (إلا أن تقطع قلوبهم) يعنى الموت (الأواه) المؤمن التواب (طائفة) عصابة (قدم صدق) لهم السعادة في الذكر الأول (ولا أدراكم) أعلمكم (ترهقهم) تغشاهم (عاصم) مانع (نفيضون) تفعلون (بعزب) يغيب (يشنون) يكونون (يستغشون ثيابهم) يغطون رؤوسهم (لا جرم) بلى (أخبتوا) خافوا (فار التنور) نبع (أفلى) أسكى (كان لم يغنوا) يعيشوا (حنيد) نفيح (سوءهم) سوء ظنا بقومه (وضاق ذرعا) بأضيافه (عصيب) شديد (بهرعون) يسرعون (بقلع) سواد (مسومة) معلقة (ألم) موجه (زفير) صوت شديد (وشهق) صوت ضعيف (غير مجدود) غير منقطع (ولا تركدوا) تذهبوا (شغفها) غلبها (متكأ) مجلسا (أكبرنه) أعظمته (فاستعصم) امتنع (بعد أمة) حين (تحسنون) تحزنون (بعصرون) الأعناب والدهن (حصحص) تبيين (زعم) كفيل (ضلالك القديم) خطك (صنوان) مجتمع (هاد) داع (معقبات) الملائكة (محفظونه من أمر الله) بإذنه (بقدرها) على قدر طاقتها (سوء الدار) العاقبة (طوبى) فرح وقررة عين (بيأس) يعلم (مهطمين) ناظرين (في الأصفاد) في وثاق (فطران) النحاس المذاب (بود) يتعنى (مسلمين) موحدين (شيع) أم (موزون) معلوم (حمأ مسنون) طين رطب (أغويتنى) أضللتنى .

هذا وإذا أردت بقية هذا الموضوع فراجعه في كتاب الإتيان المذكور تجد جميع الغريب فيه إلى آخره وهو نحو ٧ صفحات فأقرأه هناك إن شئت .

ويتبع ذلك ماورد عن ابن عباس أيضا إذا كنته الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه ، فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فنفسرها لنا ونأتيها بمصادقته من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ؟ فقال ابن عباس : سألني عما بدا لك ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : «عن الجبين وعن الشمال عزين» . قال العزون حلق الرفاق قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

جاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) قال الوسيلة الحاجة . قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عنزة وهو يقول :

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي ونحضي

وهكذا استمر يسأله وهو يجيب على هذا النمط ، ونحن الآن نجترى هنا بعض الكلمات وشواهدا اختصارا واستبصارا :

الكلمة	الشاهد
(١) (منهاجا) طريقا	(١) لقد نطق المؤمن بالصدق والهدى وبين للإسلام ديننا ومنهجا
(٢) (ينعه) نضجه	(٢) إذا ما مشت وسط النساء تأودت كما اهتز غصن ناعم التبت يانع
(٣) (ريشا) مالا	(٣) فرشني بخير طال ماقد برينتي وخير الموالى من يرش ولا يبرى

الكلمة	الشاهد
(٤) (كبد) اعتدال	(٤) يا عين هلا بكيت أريد إذ قننا وقام الخصوم في كبد ...
(٥) (السناء) الضوء	(٥) يدعو إلى الحق لا يفتى به بدلا يجلو بضوء سناء داجي الظلم ...
(٦) (حنانا من لدنا) رحمة	(٦) أبا مندر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشراؤون من بعض ...
(٧) (أفلم يأس الذين آمنوا) أفلم يعلم بلغة بني مالك	(٧) لقد يئس الأقبام أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشرة نائبا ...
(٨) (فأجاءها الخاض) أجأها	(٨) إذا شددنا شدة صادقة فاجأناكم إلى سفح الجبل ...
(٩) (لاتنيا في ذكرى) لا تضعنا عن أمرى	(٩) إني وجدك ماونيت ولم أزل أبغى الفكك له بكل سبيل ...
(١٠) (القانع والمعتر) فالقانع الذى يقنع بما أعطي، والمعتر الذى يعترض الأبواب	(١٠) على مكترهم حق من يعترهم وعند القلبن الساحة والبذل ...

ولأكتف بهذا في النظم، ومن أراد استيفاءه فليقرأه في كتاب الإتيان . والشواهد تبلغ نحو (١٥٠) شاهدا فلا تطيل بذكرها ، وإلى هنا تم الكلام على المقام الأول .

## المقام الثاني

### في الكلام على نفس الأمة العربية

أعلم أيها الدكي أن الأمة العربية بقدر ما ذاقت من العز والأتحاد والسعادة وما نالت من الارتقاء أصابها النذل والآنحال والشقاء والانعذار، أمة بلغت بعلمها المشرقين والمغربين ، ثم رجعت بعد ذلك بخفي حنين رفعا العلم وخفضها الجهل ، أمة عريقة في المجد ، رفيعة القدر ، قوية الشكيمة ، هي وحدها التي اختارها الله لارتقاء النوع البشرى ، لذلك خلقها وعمت كلمة ربك ، خلقها في البادية ، وأنضج عقولها ، وهذب نفوسها تهديبا نسيبا ، ومرتها على شظف العيش ، والبأس وعزة النفس والقناعة ، أعطهاها مثالب مع هذه الفضائل فصار كل أهل بيت وقبيلة يرون أنهم سادات الأمم وعظماة أهل الأرض ، فأورنهم ذلك التخاذل والتطاحن والأضعان والأحقاد، وما ذلك كله إلا من ازدياد سمو النفس والشهامة وحب العزة وازدياد تلك القوة عن المقدار الوسط والتهيج القديم ، فأصبح ما كان ممدوحا تلحقه المذمة ، وبينما هي على هذه الحال إذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم ووزل القرآن فجمعهم بعد الفرقة ولم تشملهم فنالوا ملكا لم يحلم به الأكاسرة ولا القباصرة ، وتضامت تلك القوى المتفرقة المنتشرة في الصحارى والقفار فصارت قوة واحدة فهزت أمم الأرض هزا . وما ذلك إلا لما فهموا ( إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) « وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » . ثم استبدلوا الكسل بالعمل ، والترف والتنعم بشظف العيش ، والقناعة وفتح البلاد لثروات

النفوس والشهوات، والطمع والجشع وجمع المال الوفير المورث للاستكانة والصغار والدل بالجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه مع حفظ الدولة وإسعاد الإنسانية كلها بلا تفرقة بين الأمم والشعوب بالمحافظة عليها مع تأدية تلك الأمم ما يجب عليها لهم . خلق عليهم ماورد في الصحيح . « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا » الخ وهذا الحديث بنصه في أول (سورة الأتقال) وهو من صحاح الأحاديث .

ثم إن هذه الأمة بعد أن أدت وظيفتها في الأرض ونشرت الدين وتفرقت في أقطارها حمدت ربها وأصبح الأبناء على تقيض الآباء ونسوا مجدهم القديم وعزهم الشامخ وفضاهم العظيم ، فأبناء العرب اليوم في شمال أفريقيا مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والسودان واليمن ونجد والحجاز والعمير والمراق والموصل ودير الزور . فكل هؤلاء بلادهم متلاصقة ودينهم واحد وعقولهم متقاربة ولغتهم واحدة . فيسبحان الله ، أنا لم أر أمة بلغت ما بلغت هذه الأمة في مجدها أيام رفعتها ، ولم أر أمة سقطت سقوطها أيام ذلها كأن الغنم بالغم ، وبرد الشتاء على مقدار حرارة الصيف ، وطول الليل في الشتاء بمقدار قصره في الصيف . ها أنا ذا من أبناء العرب ولدت بالبلاد المصرية في قرية من قرى الشرقية ، حفظت القرآن صغيرا ودخلت الأزهر بالغا ، ثم اعترفتي ففكرة هيجت بلبالي زمن الشباب ، فأخذت أستغيث وبمن أستغيث ؟ لا استغاثة إلا بمن خلفني ، فكنت أدعوه وهو سمع الدعاء ، ولكم سألته أن يوقفني على حقائق هذه الدنيا ونظام الكون وبؤس المسلمين وذلهم وعز غيرهم ، ولماذا أرى الجهالة والنقص فاشيين حتى في التعاليم الدينية . وأنت أيها الذكي تعرف مما ذكرته كثيرا في التفسير أن اتصالى بمدرسة دار العلوم ، ونظرت في كتب الأمم المحيطة بنا به ، ووقفت على كثير من أحوال هذا العالم ، وهذه الأمم . وما اتفق لي حادثة لا بد من ذكرها ذلك أنها أشبه بتعريف لمفتاح به تفتح أبواب الخيرات لسائر الأمم العربية .

### محاورة بيني وبين المرحوم لطيف باشا سليم

في أمر ارتقاء العرب في المستقبل القريب

قد كنت في أطوار حياتي إلى السكون والتحول والأزواء أقرب لما قرأت ما يأتي :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهديان من قيل وقال  
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

ولكن كنت أقول في نفسي : « لو أنني عرفت الحقائق وكنت مجهولا في الناس لا يفكر في أحد لكان ذلك أقصى أملي » ولكن حب البحث والعلم كانا سببا في علاقتي بجمع أمم الإسلام ، ومنهم الطبقة الراقية في مصر ، ولما أخذت أؤلف الكتب عرضتها على أهل العلم وذوى العقول الراجحة لأستوثق مما أنشر برأيهم ، وكان منهم المرحوم الشيخ محمد عسكر والرحوم لطيف باشا سليم ، فأما الأول فإني قابلته في منزل المرحوم إبراهيم بك أباطة بحوار قريبنا ولم يسكن رأني ولا رأيت من قبله ولكن عرف كل منا الآخر وأنا شاب وهو قد بلغ نحو مائة سنة ، وله قدم صدق في الحادثة المرابية ، وأخذ يسألني عن تاريخ حياتي العلمية التي عرف مجملها من قبل أن ألقاه فأجبتة هنالك قائل لي : أنت أحسن منا : نحن أيام عرابي باشا لم نبن ثورتنا على

أساس : أما أنتم فبناؤكم على أساس ، لأنكم تريدون أن تجعلوا العلوم التي بها ارتقت أمم الأرض متصلة بالدين وأنتم ناجحون ، وأن ماصعته منك من حيث إن بعض رجال العارف يضطهد ذلك : فهذا زادني يقينا لأن الرجل لا يكون عظيم الشأن حتى يحقد عليه نظراؤه . وسيكون نشر آرائك على أيدي تلاميذك ، والمستقبل لهذه الأمة عظيم ، وأما المرحوم لطيف باشا فهناك مدار بيني وبينه وهو الذي سقت الكلام لأجله ، لم تسكن لي سابقة معرفة بالمرحوم لطيف باشا سليم . وهو كان من أكابر الأمة ومن أكابر الوطنيين ، والذي عرفني به أني نشرت بعض كتيبي وأردت أن أعرف آراء أكابر العلماء في مصر ، فأعطيته كتابي (نظام العالم والأمم) فأثنى عليه ، وصارت لي به صلة وثيقة ، وهذه صورة المحادثة التي سقت الكلام هنا لأجلها :

قال رحمه الله : إن جلد الحمار الميت أرفع شأننا من الأمة المصرية ( أقول : وذلك من شدة غيرته على البلاد ) . فقلت : ما برهانك يا باشا : فقال : إن جلد الحمار يمكن العلماء بالصناعة والكيمياء بلونونه بالحجارة أو بالصفرة الخ وهذه الأمة حل بساحتها الآشوريون والفرس والرومان والفرنسيون والإنجليز ومع ذلك لا تزال نائمة خامدة جامدة ، إذن جلد الحمار أمكن تلويينه والأمة المصرية لم تلون . هذه الأمة جامدة . فقلت : إن لي ردا على ما ذكرتموه . فقال : فماذا تقول ؟ فقلت : إن الأمة المصرية أمة عربية لأن الأصل القبطي فيها قليل ، وما نحن أولاء نجد عاداتنا وأخلاقنا وآدابنا كلها عربية ، والأمة العربية بعد ما بلغت الصين شرقا وجنوب فرنسا غربا وأزالت ملك فارس والروم أصابها ذاء الترف ، وأرداها الكسل ، وأنهاكها الطمع ، وجند لها الجهل ، وأصابها التخاذل والتنابد والكبرياء والادخار والانسكال على الأمم المحكومة بهم فسلط الله عليهم من كانوا لهم مسخرين ومستعبدين من الفرس والترك والممالك البرية والبحرية ، وآذاهم الاسبانيون في الجزيرة ، وحل الترك بساحة مصر فأزالوا نخوتها ومظاهر جمالها وكاملها ، وأقلوا مدارسها وتركوها قانا صفصفا ، ومحووا منها الصناعات والعلوم ، وبقيت البلاد ترتع في معاهد الجهل ، ومراتب الذل ، حتى إذا قبض الله لها الغفور له محمد على باشا فقد أخذ يعلمها ، ولكن تعليمه لم يكن مصحوبا بحرية ، فبقيت الأمة مقيدة وعمومها جاهل بمقوقة ، حتى إذا جاء المرحوم مصطفى كامل باشا في هذه السنين ونشر في جريدة اللواء مقالات وقرأها الشبان وأنا ملاحظ ذلك انفتحت بصائرهم وعرفوا الحرية في هذه السنوات القلائل . ولقد كنت قبل ظهور جريدة اللواء أشاهد من تلاميذ المدارس احتقاروا لكل ما هو وطني حتى إذا ظهرت جريدة اللواء أحبوا الوطن واستبدلوا حبه بحب الأساتذة الإنجليز ، وكان مدرس اللغة العربية كأنه أمر ثانوي عندهم ، فاقبل الحال وعدوه لهم أبا ، كل ذلك بتأثير جريدة اللواء التي طلعت بهيئة عرفت الشبان مامعنى المحافظة على الوطن وعلى الحرية . إن أهل مصر أكثرهم من أصل عربي ، والذي أخرجهم وأضناهم هو الجهل الذي غمهم به الترك مدة مئات السنين ، وما مثاهم في مصر إلا كمثل آبائهم قبل النبوة فإنهم كانوا قوما جاهلين ، فما كاد صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الدين ومضت ٢٣ سنة حتى كانوا أهل ملك عظيم ودين كبير هكذا (وإن كان الفرق كبيرا) آباؤهم وهم أهل مصر ومن حولهم من أهل الشام وفلسطين والمغرب والعراق والموصل فسكني هذه الأمم أن يظهر فيهم نابعة كظهور مصطفى باشا كامل حتى يعلموا حقوقهم وينفضوا عن رءوسهم غبار الذل وينفضوا بيادهم ، ودليلي على ذلك حال التلاميذ بمدارسنا وانقلابها في زمن قليل جدا ، فهذا دلني على أن هذا الشبل من ذاك الأسد . فقال رحمه الله : أنا قلت لك لا مانع أن يحصل أمر غير عادي . فقلت : لكن أنا لا أقول ذلك ، بل أقول هو أمر عادي ، فإن المسألة علم وجهل فالعرب متى عرفوا نهضوا ورجع لهم مجددهم . انتهى الحديث .

## مصداق هذا الحديث

حديثي مع نجله فؤاد باشا سليم

وبعد سنين قليلة توفي للرحوم لطيف باشا فذهبت إلى منزله بالعباسية لأعزي نجله فؤاد باشا سليم ، فلما رآني بكى لعله بمودة أبيه لي ، وحكى لي ما يأتي . قال :

« إن مصطفى باشا كامل لما أسس الحزب الوطني وأصبح هو رئيسه وأنا ناموسة (سكرتيره) ، كانت والدي إذ ذاك في مرض موته ، فدخلت عليه ، وسألني ماذا فعلتم ؟ فقلت : ها نحن أولاء أسسنا الحزب الوطني فقال : يا فؤاد اجتمع المصريون ؟ فقلت نعم يا والدي وأنا سكرتير الحزب الوطني . فقال : لو قالها غيرك لم أصدقه . أنا أموت وأنا مستريح الضمير إذ رأيت المصريين اجتمعوا في حياتي » اه .

قلت له الحمد لله إذ صح ما استنتجته قبلا في حديثي معه وظهر له صدق فراستى في أمة العرب والأمة المصرية . أكتب هذا الآن وفي بلادنا الأحزاب الآتية : الوفد . الحزب الوطني . حزب الاتحاد . حزب الشعب . حزب الأحرار الدستوريين . إذن أصبح ما كان فراسة أولا يقينا الآن ، وعليه أقول حقا وصدقا إن الأمة العربية على بكرة أبيها لا ينقصها إلا العليم ! والذى قتلها هو الجهل ؛ فهي أمة متروكة مهملة وقد أقبلت أيام سعادتها وهما هي ذه أخذت تقوم من رقبتها . وهنا أذكر بعض ما كان لها من الجهد في العلوم الطيبة في الشرق والغرب والآثار العمرانية ، وأخص بالذكر بلاد الأندلس ، وأقفي بذكر ما حقق بهما من النبل والهوان في القرون الأولى بسبب تفرق وحدتها ، ثم أتبعه بنتائج ذلك اليوم في البلاد الإسلامية ، وأخص بالذكر تونس ومراكش ، ثم أقفي بما ساقه الله من الدلائل على مستقبل باهر للأمة العربية والأمم الإسلامية ، وذلك بذكر مسألة لوطن القومى لليهود في فلسطين ، وكيف كانت هذه أول أساس أخذ المسلمون يبنون عليه أعادهم ، فالعرب جميعا اتحدوا مع أهل فلسطين في ذلك ، ثم إن دفن المجاهد الكبير المولى محمد على الهندي في فلسطين وتوطيد اللودة بين العرب والمهندود المسلمين أمر لم يسبق له في التاريخ نظير ، ثم أبين أن هذه الحوادث ترجع لآيتين إحداهما آية « خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » في سورة حم غافر ، والثانية هنا وهي « وإنه لذكر لك ولقومك » وإيضاح المسيح الدجال هنا والعلم العيسوى ، فهذه سأوضحها في سبعة فصول : ( الفصل الأول ) في أثر الطب العربى في تطور الطب الفرنسى ( الفصل الثانى ) فيما قاله الأمير شكيب أرسلان في رحلته إلى بلاد الأندلس للدلالة على عظمة آثار العرب ( الفصل الثالث ) فيما جاء له أيضا في كوكب الشرق من تحالف الأمم العربية قديما وتضافر الأمم عليهم فذهبت دولهم ( الفصل الرابع ) في نتائج ذلك التفرق القديم الذى حل بالمسلمين اليوم في تونس ومراكش ( الفصل الخامس ) في حادث الوطن القومى لليهود ، وكيف كان سببا لوضع أساس للاجتماع بعد التفرق ( الفصل السادس ) في حادث لم يسبق له نظير من أعاد العرب والمهند بعد ذلك ومن دفن المجاهد الكبير ( محمد على ) بالقدس وتصريعات أخيه المولى شوكت ( الفصل السابع ) في أن هذه الحوادث ترجع لآيتين من كتاب الله تعالى الأولى « خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » وقد تقدم بيانها في سورة حم غافر ، وفيها شرح أمر الدجاج ، والثانية هنا وهي « وإنه لذكر لك ولقومك » .

## الفصل الأول

فما ذكرت به أمة الإسلام عموماً والعرب خصوصاً في علم الطب

وذلك في مقالين : المقال الأول وهو ماجاء في مجلة « الجامعة الإسلامية » المقال الثاني وهو ماجاء في جريدة الأهرام : تحت عنوان « أثر الطب العربي في تطور الطب الفرنسي » وذلك كله إيضاح لقوله تعالى هنا « وإنه لذكر لك ولقومك » وهالك نصهما

### البحث عن تاريخ العلوم

أو

تأثير المدنية العربية الإسلامية في نهضة الغرب

في أوروبا اليوم حركة عظيمة للبحث عن منشأ العلوم الحاضرة وعن كيفية تطورها ولقد كان من أكبر العوامل على هذه الفكرة أحد العلماء الطبيعيين الفرنسيين الكيماوي (مارسلين برتسو) ولهذا العلامة فضل كبير في جلب أفكار الأوربيين إلى مسألة هامة وهي تاريخ العلوم ، لقد أدرك (برتسو) أنه لا بد من دراسة تطور الفكر البشري فقال لا بد أن ندرس كيفية تطور العلوم في الأزمان المختلفة ، فألف لذلك كتاباً سماه تاريخ العلوم ومنذ ذلك الحين عمت في أوروبا فكرة جديدة وهي أنه لا يجوز أن ينظر إلى ما فكر فيه السالفون كأنه أساطير الأولين لأن الرقي لا يكون إلا بالتدريج أي كل عصر من العصور مدين للعصر الذي قبله ، ولا يمكننا أن نتصور أمة تنشأ فجأة كما نرى ذلك في كثير من كلامهم ، وترى الأوربيين يهتمون الاهتمام العظيم في هذا الشأن ، ويفتقون له كثيراً من القوى المادية والمعنوية ، ففي كل قطر من الأقطار عدة معاهد لهذا الشأن بعضها للبحث عن تاريخ الطب ، وبعضها للبحث عن تاريخ العلوم الطبيعية . أما تاريخ الفلسفة فقد اشتغل فيه كما لا يخفى أناس كثيرون منذ أجيال عديدة ، ولا يمكننا أن نتصور شخصاً درس الفلسفة إلا واهتم بتاريخها قبل كل شيء ، ففي ألمانيا اليوم عدة أساندة وقفوا كل حياتهم لهذا الغرض ، وقد عثروا في طريقهم على نقط هامة ، وليس غرضهم هنا معرفة المنشأ ولما الفضل في نشر العلوم بحسب ، بل يودون أن يعلموا إلى أي جهة تنجه معارفنا (أي معرفة الماضي والحاضر للتفكير في المستقبل) كما اتضح لبعضهم أن العلوم المادية برقي عظيم والمعنوية بالعطاط مستمر فتأثروا على إحيائها ، وبذلك قطعوا خطوات واسعة ، وهتمت الحكومات الأوروبية لهذا الشأن اهتماماً كثيراً فساعدت علماءها على نشر ما كشفوه من الأمور وعلى عقد مؤتمرات يحضرها العلماء من أقطار مختلفة ليتبادلوا الآراء ويعرفوا صوابهم وخطأهم بالبحث مجتمعين ، وقد عقد في منتصف شهر أيار الماضي من السنة الحالية مؤتمر بين المللي (كندا) في باريس حضره علماء من أصقاع مختلفة ، هل تعلم ماذا كان أهم شيء تداوله المؤتمر ؟ وجوب تعلم تاريخ الأمة العربية ، وإن أكبر عثرة واقفة أمام طريقهم هي معرفتهم تاريخ الأمة العربية حق المعرفة ، ومادامت الحالة على هذه لا يمكنهم أن يداوموا البحث بصورة جدية ، ولقد سمعت هذا من أستاذين كبيرين : الأستاذ سيفريست للتخصص بالطب عند العرب في ليزيغ ، والأستاذ روسكار رئيس معهد البحث عن تاريخ العلوم الطبيعية في برلين . وهناك كتب خطية عديدة ولا أظنها إلا بيعت بثمن بخس هي اليوم في مكتبات أمهات مدن أوروبا محفوظة في أعز موقع لا يسمح لنا



برؤيتها إلا بكل صعوبة ، تفخر كل أمة من الأمم بأنها بين خزائن كتبها . ولا يمكننا أن نالها ولو أنفقنا في سبيل ذلك ما أنفقنا من الأموال الطائلة ، هكذا كانت تلك الكتب القيعة ذليلة بيننا ، عزيزة عند من يعرف قيمتها ، ولقد أحرز اثنان من بني وطننا وهما السيدان : كامل عباد ومحمد أبو غنيمه ، لقب دكتوراه في جامعة برلين ، الأول في الفلسفة ، والثاني في الطب ، لاشتغال الأول في ابن خلدون والثاني بالطبيب العربي الجراح أبي القاسم الزهراوي . فأهمية ابن خلدون كما قال عنه كبار الغرب إنه أول من وضع التاريخ ضمن علم ، وجاء بقصد التاريخ ، وتبسط الحوادث التاريخية ليحصل الإنسان على نتائج لا بد منها لمعرفة الشعوب ومزاياها وتطورها وحسناتها وسيئاتها ، أما أبو القاسم فقد ذكر عنه الدكتور أبو غنيمه بأنه سلك طريقا في التداوي بالسكي يشبه تمام الشبه الجراح الشهير الأستاذ المستشار ( بير ) وقد ذكر قاموس المحيط الألماني عن أبي القاسم هذه الكلمات :

« ولد أبو القاسم في الزهراء من مدينة قرطبة وتوفي سنة ١١٠٦ - ١١٠٧ ج وقد كان شهيرا في الجراحة ، وأهميته لا تزال حتى هذا اليوم في التاريخ ، وله كتاب في الطب الذي ألفه وترجم إلى اللاتينية للمرة الأولى من غريم سنة ١٥٣٢ م » .

أما القسم التشريحي وهو خير ما ورث من الطب العربي ، فقد ترجمه إلى اللاتيني في أكسفورد سنة ١٧٧٨ العالم الإنكليزي شانيغ . فنجد أهمية البحث عن تاريخ العلوم هنا وكيف كانت تدرس العلوم من منابع عربية ، وقال السيد الدكتور محمد شرف في المقدمة من معجمه الإنكليزي العربي مانصه : « بقيت جامعات أوروبا أكثر من خمسة قرون تعتمد في مادتها العلمية على الكتب العربية ، وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت الكتب العربية المستعملة في جامعة توننجين أضعاف الكتب اليونانية ، وكانت مؤلفات الرازي وابن سينا أساس التعليم الطبي في ( جامعة لوقان ) في القرن السابع عشر ، واستمرت مؤلفات ابن سينا تدرس في جامعة الطب الكبرى في ( مونيليه ) حتى القرن الثامن عشر » .

ولقد ألقى الأستاذ المتخصص في تاريخ الطب ( سيغريست ) محاضرة في الحلقة التي أقيمت على مضي ألف سنة على الطب العربي في المعهد الطبي الألماني التابع لجامعة برلين هذه خلاصتها : « نحن مدينون للعرب بجزييل السكر لهذه المدينة الزاهرة التي نقتنم بها . أهمية المدينة العربية كبيرة لأننا إذا وصلنا إلى آخر حلقة من حلقاتها نجدها متصلة بنا ، فإذا أخذنا مثلا اكتشاف ميزان الحرارة من قبل ( غاليليه ) نجد كتب طب ابن سينا الأساس الذي نمتى عليه في ذلك العهد ، عندنا اليوم كثير من التعابير اليونانية لا يمكننا فهمها إلا إذا ترجمناها للعربي ، تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام لا يهمننا كثيرا حيث لا صلة له بنا ، ولكن الذي يهمننا منذ نشأة محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي عرف توحيد القبائل وغرس الفضيلة في قلوب الناس . وما مضى على ظهور هذا الرجل قرن واحد إلا رأينا مدينة زاهرة وحكومة عظيمة عادلة ، فنجد أولاد الصحراء القاحلة يفتحون العالم وينشرون العلوم والفنون في أرجائه المختلفة » .

وقد ازدهرت العلوم في عهد العباسيين وترجموا كثيرا من آثار اليونان وقد كانوا مترجمين فأصبحوا بحاثة وإنما نجد حتى يومنا هذا كل العجب بتلك القابلية العظيمة التي كانت عندهم ، فنجد شخصا واحدا يجتمع فيه ميول عديدة مثل الفخر الرازي الذي ألف ألف مجلد ، وكان رئيس مستشفى وفيلسوف وموسيقياً ومن محبي الفنون الجميلة ، ولا زال العجب يأخذ منا من ابن سينا الذي أراد أن يستخرج قانون الطب على حسب المنطق فجدده سياسيا دينيا حقوقيا طبيا منطقيا ، ومن يذهب اليوم إلى قرطبة يرى غابة من الممر الجليل ، ويرى الآثار التي تنبئ عن وجود ( ٥٠ ) مستشفى ، ويرى المكتبة التي تحتوي على ( ٤٠٠ ) ألف مجلد ،

وبرى الجامع القديم هناك يدرك ولا شك أهمية تلك المدينة ، ثم إذا مر بعد ذلك على قصر الزهراء يكون في القصر الذي ولد فيه الطبيب العربي الجراح ( أبو القاسم ) .

ولقد كان لظهور هذا العالم أهمية عظيمة في الجراحة حيث كانت العرب قبله تخاف من موسى . وأهميته على قسمين : نظرية وعملية . أما الأولى ففي تغير أفكار الناس من وجهة الجراحة والنظر للمريض بعين الشفقة . أما العملية فهي ترقى أسباب الطب الجراحي إلى أن صار بالصورة التي نراها اليوم .

الآن لقد انعكس الأمر ( مخاطبا طلبة العرب ) فنحن يجب أن نؤدى ما علينا نحوكم من الواجب . وهذه العلوم التي ترونها اليوم عندنا قد ورثناها عن أجدادكم ، عندكم واجب كبير ولكم مجد عريق وسلف صالح ، يجب عليكم أن تفهموا تاريخكم ومدنيتكم ، وكم من السكروز العربية النجينة أصبحت اليوم مدفونة للإهمال ، ومؤتمر العلوم في باريس أفهمنا جهلنا بتاريخ العرب ، وقد ساعدونا على درس تاريخكم وحضارتكم وعليكم واجب ثان ياطلب العرب ، الشرق اليوم يتحين للنهضة وأنتم ستقلون المدنية وتعلون الناس كما فعل ذلك حنين بن إسحاق وستكونون بادي ذي بدء مترجمين فتصبحون بجانة . ولا يبعد أن يكون بيننا رجل يحتفل فيه أيضا بعد ألف سنة كما تحتفل اليوم في هذا المكان بأبي القاسم . ولقد قال المستشار الأستاذ ( هيس ) مدير جامعة برلين هذه الكلمات : ( نحن نهتم بتاريخ الطب العربي لأمر ثلاثة :

( أولا ) الجهد والاجتهاد الذي لا يعرف الملل الذي كان عندهم .

( ثانيا ) حب الاطلاع وأداء الواجب المجرد عن أى شخصية .

( ثالثا ) تحمسهم للمعرفة وشرف الصنعة عندهم .

فذلك لا عجب أن نرى من اجتمعت فيهم هذه الصفات أن يكونوا من أحسن البحاث :

ليتنا قدرنا هذه الحقيقة كما يقدرها الأوروبي الذي لا يريد من ذلك إلا أن يزيد مداركه ومعارفه ليتقدم إلى الأمام ، وقد بحثوا أيضا في العلوم الطبيعية التي كانت عند العرب مباحث كافية ، ونشروا كذلك كتباً عديدة كصناعات في الكيمياء لجابر بن حيان ، نشره هو لمبارد الانسكليرى وطبع في باريس ، ولقد أطلعت على هذا الكتاب فوجدت نظريات حجة في العلوم الطبيعية الموجودة في ذلك الزمن وبين الآراء الطبيعية اليوم . وأكبر فضل وجدته في جابر هو تقديره للعمل والتجربة إذ يقول : ( وملاك كمال هذه الصنعة العمل والتجربة فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبدا .

ثم قوله أيضا : كل شيء طبيعي فاعتمد عليه . ويوجد أيضا كثير من التعقيدات التي وضعها قصدا لكي لا يوح بسر الصنعة .

ونشر أيضا في فن المستعدنات تأليف ( التيفاش ) طبع في روما . وكتاب الأحجار لأرسطاطاليس ترجمة ( لوقا بن اسرافيون جمعة ) وترجمه إلى الألمانية الأستاذ ( روسكا ) . وقد قال في مقدمة الكتاب الكلمات الآتية : ( ليست الأسفار اليدوية ولا الأدب الذي جاء بعد الإسلام هو الذي رفع اسم العرب في الغرب فقط إذا أردنا أن نعرف تأثير المدنية الإسلامية في المسيحية الغربية فلنتفكر في الرياضيات والفلك والكيمياء والطب كيف كان علماء الإسلام يشتغلون بها بعد أن فقدت علوم اليونان إلى يومنا هذا ففيها ترى الأسماء الفنية ، المشتقة من العربي وكيف كانت العلوم زاهرة تحت راية الإسلام وكيف تعلق الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي ، هكذا يشتغل الأوروبيون في البحث والتنقيب عن تاريخنا ومدنيتنا وينشرون بذلك كتباً قيمة يقيمون حفلات عظيمة لكل عالم خدتم البشرية خدمة صادقة ، ونحن ننظر إليهم كأساطير الأولين ، أيطربنا هذا الإهمال ؟ أيطربنا تفرقتنا شيئا وأحزابا بين قديم وحديث ، ونحن اليوم بأشد الحاجة أن نمد يد الإخاء إلى بعضنا للجد والاجتهاد ؟

وقد قال لي أحد الإخوان أثناء احتفال ألف سنة على الطب العربي ، وفي نفس الوقت نقم

مأثما على خروج المدينة من أيدينا ، ولا ينفعنا الحزن واليأس بل السعى والجد ، النوم كان طويلا فشكل شيء أمامنا صعب جدا ، وكلما تقاعسنا عن العمل ازدادت الصعوبة ، هكذا كان أجدادنا في غابر الأزمان واليوم فقدنا كل شيء من أثر الأجداد ، ولم يبق لنا غير ذكريات الماضي نسمعها من العلماء الغربيين .

إن كنا حقا نحب ذلك السلف السالح رحمهم الله فلنسترجع همم الخلف لتعيد لنا ذلك الشرف فإننا بهم مقتدون ، وإننا على آثارهم لمهتدون .

محمد يحيى المشاطى

برلين

\*\*\*

ومما يناسب ذلك أيضا ما جاء في جريدة الأهرام يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣٠ تحت العنوان التالي وهذا نصه :

### أثر الطب العربي

ألقى الدكتور البارح يوسف أفندي حرير الحائر لشهادة الامتياز من كلية باريز محاضرة في نادي مدرسة الطب عن أثر الطب العربي في تطور علم الطب في فرنسا ، ولأهمية هذا الموضوع رأينا نشر خلاصة تلك المحاضرة القيمة . قال المحاضر :

« من المتعارف أن الإغريق كانوا منذ ألقى عام حملة الطب القديم ، أكان ذلك بعرض ما خلقه الإسكندر الأكبر عقب غاراته المشهورة على الشرق ، أم أن هنالك بقايا معلومات طبية يونانية ينبوع ، قد يكون الصواب بين هذين . على أن العرب لم يتصل بهم فن الشفاء إلا بعد قيام الدولة الأموية ، ولئن كان العهد الجاهلي فيه بعض من مارس الطبابة إلا أن خالد بن يزيد بن معاوية كان أول من نقل العلوم الطبية والنجوم والكيمياء إلى العربية ، وكذلك فعل جابر بن حيان . على أن الحركة العلمية التي بدى بها في صدر الدولة الأموية لم يتج لها أن تبلغ شأوا بعيدا إلا في صدر الدولة العباسية ، وعلى الأخص في عهد المأمون سابع الخلفاء العباسيين الذي حمل رأسه أرفع عمامة في الشرق والإسلام . ولما انتهت هذه البذور الجديدة إلى ذلك المستنبت العربي العجيب ظهرت قرائح طبية من الطراز الأول في القرن العاشر للميلاد أعد منها الرازي أبا بكر محمد بن زكريا في آسيا وابن الجزار في أفريقيا بالقيروان وأبا القاسم عباس بن خلف الزهراوي في الأندلس . أما الرازي فقد ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية في الجيل الثاني عشر للميلاد وكانت عمدة التدريس في أوروبا جميعها وعلى الخصوص في مدرستي مونبليه وباريس بفرنسا كما تشير إليه بكل تفصيل أطروحتي في جامعة باريس الموسومة « حظ الطب العربي في تطور الطب الإفرنسي » .

وللرازي مؤلفات عديدة أوصلها كتاب « عيون الأنباء » إلى اللغة ، ومما يدهش فيها تعدد مواضعها وبحوثها ، فقد كتب الرجل في الفلك ، وقال بدورة الأرض ، وكتب في الطب والتفسير والكيمياء والإلهيات إلى آخر ما هنالك من شتى المذاهب والأبحاث . وبمناسبة عيد الألفي أنشأت عنه محاضرة في المجمع العلمي في دمشق الشام في شهر أكتوبر المنصرم ، وله بيتان مشهوران من الشعر لا بأس من إيرادهما قلهما حين حضرته الوفاة بعد أن عمر مئة من الأعوام وتزيد :

لعمري لا أدري وقد أذن البلى  
بما جل ترحال إلى أين ترحالى

وأين مقر الروح بعد خروجه  
من الهيكل للنحل والجسد البالى

ومنه يستدل على شكه العلمى . وأما ابن الجزار فهو تلميذ سليمان الإسرائيلي ومن أكبر مؤلفى العرب في الجيل العاشر للميلاد . وضع في القيروان كتابه الموسوم بزادلسافر ونقله إلى اللاتينية في الجيل الحادى عشر (لاون) الإفريقي كبير النقلة من العربية إلى اللاتينية في الجيل الحادى عشر كما كان جبرار السكرمانى كبيرهم في الجيل الثانى يليه ، وفي ابن الجزار وكتابه [زادلسافر] يقول كشاحم :

أبا خالد أقيت حيا وميتا مكارم ذاعت في البلاد عظاما  
رأيت على زاد للسافر عندنا من الناظرين العارفين زحاما  
سأذكر أفعالا لأحمد لم نزل مواقعها عند السكرام كراما

وأما أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى ، فقد كان بلا شك جراح عصره وأستاذ القرون الوسطى في ذلك الفن ، ولقد نشرت له مجلة [المعهد العلمى] بدمشق الشام منذ عامين رسوم أدوات جراحية وجدت في إحدى منسوخات كتبه وكلها تشير إشارة لا تقبل الاعتراض إلى معارفه التشريحية وطول باعه في هذه الصناعة .

### الجيل الحادى عشر

كان من أكبر كواكب الشيخ الرئيس ابن سينا ، وقد كان اهتمام أوروبا به بالغاً حد الإعجاز فقد نقلت إلى اللاتينية وشرحت كتبه وذيلت ما يقارب الأربعين من التراث . على أن أكبر مؤلفاته الطبية وهو القانون موجود اليوم بالعربية في قاعة المطبوعات في المكتبة الأهلية بباريس وهو طبع روما ، ويرجع تاريخ طبعه إلى الجيل السادس عشر أى في أوائل عهد الطباعة كما هو معلوم ، ولابن سينا في قاعة المطبوعات بباريس كثير من كتبه أذكر منها كتابا لبقرات في الطب العام ، وقد كتب على الصفحة الأولى منه : (هذا الكتاب ملك أبى الحسين على بن سينا المتطبب) .  
وعلى الجدار الأمامى للبهو الكبير في كلية الطب بباريس رسم أطباء الإنسانيّة من عهد أبى الطب بقراط إلى يومنا ومن جملتهم الرازى وابن سينا والزهراوى .

### الجيل الثانى عشر

وانتقل مصباح العلم من الشرق إلى الغرب وكان بنو زهر على رأس الحركة العلمية لتلك العهد وحفيدهم أبو العلاء وهو أشدهم صداقة متينة وصلة بابن رشد فيلسوف الأندلس وطبيها ، وبينما كان ابن زهر يظهر عدم اكتراث بمؤلفات الرئيس ابن سينا كان ابن رشد يشرح أرجوزة الرئيس ، وكتب هؤلاء المؤلفين الكبار نقلت إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر والرابع عشر وكانت موضوع التدريس في أوروبا جميعها مئات من الأعوام أما ابن رشد فقد ظل لمذهبه الفلسفى أثر جديد ، وآخر من اهتم به الفيلسوف الكاتب (أرست رينان) قعيد فرنسا ، ولما كان الرازى أول من وصف الجدري وكتب في أمراض الأطفال وفي واجبات الطبيب ، كان ابن زهر أول من تسكلم عن الشعور في العظام ، ووصف عالم الجرب ودعاه بالصواب ، وأسهب في وصف الكسر والوشاء ، وكذلك كان الزهراوى أول من أشار بالسكى واستعمل حجر جهنم إلى آخر ما هناك من ضروب العلاج .

وأختم كلمتي هذه بأن أرى من طلاب المدارس الطبية في الشرق أمثال الأعلام من سبق ذكرهم فعيد للشرق رونقه العابر ونسبر مع أبناء العمور في سبيل رفاهية الإنسانية، وما على المجتهد أمر عسير . وإلى هنا تم الكلام على الفصل الأول والحمد لله رب العالمين .

## الفصل الثاني

في بعض أسرار قوله تعالى « وسوف تسألون » وأن هذه الأمة عوقبت في الحياة الدنيا فضلا عما تعاقب به في الآخرة وذلك في ثلاث مقالات ، وهالك نصها

### المقالة الأولى

جاء في جريدة « المؤيد » بتاريخ يوم الأربعاء ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هجرية تحت عنوان « الرحلة إلى الأندلس » وفي مدريد وطليطلة للأمر شكيب أرسلان مانصه :

وصلت أمس إلى مدريد آتيا من سرقسطة التي كان العرب يسمونها بالثغر الأعلى كما يسمون طليطلة بالثغر الأدنى ، وقد استغرقت معنا الطريق من سرقسطة إلى مدريد نحو من ست ساعات بالسكة بالسير السريع مررنا فيها على قرى ومدن معروفة من زمان العرب مثل قلعة أيوب والحمة وغيرها ، والحمة حمام سخن كما يفهم من اسمها ، وجميع هذه القرى والمدن الصغار التي شاهدناها في أثناء اجتيازنا إلى مدريد مبنية على أنهر وجداول ومحاطة بالجنان والبساتين وهيبتها شامية في تربتها وأشجارها وزروعها حتى في جبالها ووادها فلا عجب أن رغب أهل الشام أكثر من كل العرب في سكنى الأندلس ، فإنهم ما انتقلوا من شام إلا إلى شام ومن لم يشاهد أسبانيا لم يعلم سبب الجاذبية التي بينها وبين سورية ولكن متى شاهد هذه الديار فهم السبب فالأندلس في الحقيقة قطعة شرقية في الغرب ، أو قطعة غربية من الشرق ، ولقد ذكرت لقراء رسائلي أنني سأخرج إن شاء الله كتابا مستقلا عن رحلتي إلى الأندلس ، فلا ينتظر القراء مني هنا إلا إشارات بسيطة ولحات دالة ، وقد كان يحق فؤادي طول هذه الطريق من مشاهدة المآذن التي كنا نراها في كل قرية من القرى التي كانت السكة تشقها أو تمر حذاءها ، فهي باقية على حالها بطرزها العماري العربي وشراريفها وطاقاتها ونحاريمها وكلها مربعة الشكل على نمط مآذن المغرب وما تغير فيها إلا وضع الأجراس في أعلاها وتحويل المساجد إلى كنائس في أديانها ، وجميع البشر يربدون الله ، وكثيرا ما كنا نرى منارتين أو أكثر حول مسجد واحد مما يدل على أن المساجد كانت لعهد العرب أوسع مما هي الآن وهي كنائس وأن القرى التي هي اليوم قرى متوسطة الحال كانت في دور الإسلام قصبات كبارا وأن القصاب التي لا ترتفع اليوم إلى درجات مدن كانت مدائن حافلة فإن المساجد التي تبني من فوقها منارتان وثلاث وأربع لا تكون إلا في المدن الزاخرة العمران ، وقد صادف وجودي في القطار بعض نهباء من الفرنسيين لحظواهم أيضا ما لاحظته أنا .

أما مدريد فهي عاصمة من أجمل العواصم الغربية لا ينقصها شيء عن عواصم الممالك الأخرى من سعة شوارع ، ونظافة أزقة ، وضخامة شأن ، وغمامة بديان ، وعظمة ساحات ، وتراخي مساحات ، واشتباك أدواح جنائن ، ونضارة أزهار وحدائق ، وانتظام شامل كل معاني المدنية مع مزية فيها هي ارتفاع الصقع وإشراف يشعر معه الغريب بانسراح الصدر .

ليس لمدريد ما ينقصها إلا حدادته تاريخها إن كان هذا يعد نقصا ؛ فإنها ليست كبرشلونة التي يرجع تاريخها إلى دور الفينيقيين الذين لم يحبوها إلا لشبه سواحل هذه البلاد بسواحل سورية ، ولا كسر قسطه التي كانت كرسيا لمملكة أراغون بعد أن أخذها الأسبانيون من بني هود الجذاميين ، وقد كان لها دور مجيد في زمن الرومان واشتق اسمها سرقسطة من (سيزرا وغسطة) أي القيصر أو غسطنس الذي كان له مزيد العناية بها . ولم تكن مدريد كطليطلة عاصمة القوط يوم دخل العرب الأندلس ، ولا كقرطبة كرسى الخلافة الأموية لعهد اكتمال عظمتها في الغرب واشتغالها على الممالك من جنوبي فرنسا إلى السودان . ومن البحر المحيط إلى طرابلس الغرب . كلا . فمدريد كانت في أيام العرب قرية غير ذات شأن بنى العرب فيها حصنا في وجه بوار قشتالة اسمها مجريط وذلك في القرن العاشر .

ثم لما أخذ الأسبانيون يسترجعون البلاد مستفيدين من قتال العرب بعضهم لبعض ( هذا المرض العربي الذي كان ولا يبرح رأس كل بلاء هذه الأمة ) استرجع الأذفونش السادس ملك قشتالة حصن مجريط بعد نحو ١٥٠ سنة من بناء العرب إياه ، والقصر الملوكي الحالي مبنى في محل جامع كان مسجدا لقرية مجريط التي تحول اسمها إلى مدريد لقرب مخرج الجيم من الدال وقرب مخرج الدال من التاء أو الطاء ، ولكن الذي جعل مدريد مدريد هو فيليب الثاني ابن شرلكان ، وإنما اختارها برغم قحولة باديتهما وجدب صاحبتها لأجل توسطها من بلاد اسبانيا ، فسرقسطة ضاربة إلى الشمال الشرقي وبرشلونة مرسى واقع في طرف قرطبة مائلة إلى الجنوب وإشبيلية معمعة في المغرب وهلم جرا ؛ فهذا عمرت مدريد وهي أحدث أسبانية تاريخا وارتفعت وانخفض ما كان مرتفعا قبلها والله يرث الأرض ومن عليها .

ثالث يوم وصولى إلى مجريط أو مدريد قصدت إلى طليطلة التي لا تبعد عنها بسكة الحديد أكثر من ساعة ونصف فزرت تلك المدينة الشهيرة عاصمة الأندلس يوم فتحها العرب ، وشاهدت كل ما يشاهده السائح فيها وبقيت بطليطلة نحو ثمانى ساعات أبحث على آثار العرب وأحرق في هذا القصر وهذا الجسر وتلك المنارة وهاتيك المأذنة وأقبل ذا الجدار وأتمسح بذلك الركن حتى شفيت غليلي من طليطلة ، فقد كان في نفسى منها ما كان في نفس القراء حتى كنت منذ عهد الحدادته أحفظ قول القائل :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلدة عليه نصرت ونعم

الله زينه فوشح خصره نهر الهجرة والغصون نجوم

فرايتها كما قيل بلدة عالية مشرفة على نهر كبير هو نهر ( تاجه ) الذي ينتهى إلى البحر المحيط عند أشبونة ( ليزبون ) وقد انخفض النهر المذكور عن طليطلة وأحاط بها من الجهات الثلاث فهي لا تساوى البر إلا من جهتها الشمالية ، وعلى النهر بساتين وأشجار ، وفي ضفافه غياض وحنان ، ومنظر هذا النهر وما يليه من بساطط طليطلة من أبداع المناظر التي سرحت فيها طرف طرفي على رأى الكتاب ، وكذلك حصانها ظاهرة للعيان وقد قلت لما دخلتها : إنه لا يمكن أن تؤخذ إلا بجوع أو بخيانة ، ولا سيما في الأعصر التي أخذت فيها ، وكنت أعلم من تاريخ الأندلس أن بنى ذى النون أساءوا التصرف فيها حتى آل الأمر إلى استرداد الأسبانيون إياها قبل جميع حواضر الأندلس حاشا برشلونة ، فلما رجعت إلى مدريد راجعت التواريخ بالتدقيق ، فأيدت المراجعة حدسى ( وقررت ما جال في نفسى ) وتحرير الخبر أن القادر بن ذى النون كان ضيف التدبير فائل الرأى فطمع فيه جيرانه من أمراء المسلمين وطفقوا يعتدون عليه ويتجاوزون ، فذهب إلى الفونس السادس ملك قسطنطينية أو على حسب قول العرب الأذفونش طاغية قشتالة وطالب حمايته ، وجاء الأذفونش بجيش ومعه القادر بن ذى النون ليفتح له بلدته التي كانت هي أيضا تمردت عليه ووعده الأذفونش بأنه يفتحها ويقره فيها ، فلما دخلها بسبب تفرق كلمة أهلها قلب له ظهر الخجن وأقطعه بلادا أخرى ، واستولى الأذفونش على طليطلة وأعادها الحاضرة الملك كما كانت يوم دخل العرب الأندلس .

وكم في العالم الإسلامي من أمثال القادر بن ذي النون قديما وحديثا ينخدعون بأقاويل الأعداء ويستسلمون إليهم ويتقون بهمودهم حتى إذا ما عسكن هؤلاء بواسطتهم من مرادهم قلبوا لهم ظهر الحين وأرسلوهم يقرعون سن الندم على تقمهم بهم ولكن حين لا يتسع قرع السن على حسن الظن ؛ فكان استرداد الإسبانيول لطليطلة مبدأ مصيبة الأندلس لأنه بأخذها أخذ الأذفنش إقليبا طويلا عربضا فيه ثمانون منبرا ، ودخل في وسط بلاد الإسلام منها ، خال بين قرطبة وغرناطة من الغرب ، وسرقسطة ولاردة وقلعة أيوب من الشرق حتى قال الشاعر :

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

وإلى هنا تمت المقالة الأولى .

### المقالة الثانية

ثم إنه لما استوثق لصاحب قشتالة أمر طليطلة وتمسكن بها طمع في قرطبة وما زال حتى أخذها ، ثم في أشبيلية وما زال حتى أخذها ، وانهار بعد ذلك ملك الإسلام بالأندلس : ولولا نجدة للرابطين ثم الموحدين من أفريقية لسقطت الأندلس قبل أن سقطت بنحو ( ٣٥٠ سنة ) فأبناء تاشفين ثم من بعدهم أبناء عبد المؤمن هم الذين شاء الله أن ينسأوا أجل الإسلام في أسبانيا تلك المدة ، وأما السبب في ملك ابن ذي النون لطليطلة وجلبه الأذفنش إليها فهو انصداع الخلافة في قرطبة وتشظى عصاها بتوالي الفتن ، حتى إنه لما رأى أمراء الأطراف أن أمر الخلافة لم يعد جميعا استقل كل أمير منهم بما بيده ، فابن ذي النون بطليطلة وابن هود بسرقسطة ، وابن عباد بأشبيلية ، وابن صامح بالمرية ، وابن الأفضس بيطليوس وهلم جرا . وهؤلاء هم الذين يقال لهم ملوك الطوائف ، لم يكن لهم شغل إلا مقاتلة بعضهم بعضا بينا العدو يلتمهم منهم جميعا كل يوم فطرا وهم مع ذلك عن غيهم لا ينتهون .

ولذلك ولشدة ما عانى مسلمو الأندلس من ملوك الطوائف عندما نصرهم يوسف بن تاشفين رحمه الله في وقعة الزلاقة وأراد القبول إلى أفريقية فزع إليه الفقهاء وقالوا : إنك بمجرد ما ترجع يرجع هؤلاء إلى الظلم والعسف ومقاتلة بعضهم بعضا واستنجد الطاغية على المسلمين فرجو منك أن تريحنا منهم وتقوم بما أخذه الله عليك وهكذا أقنعوه بأن يبسط يده على الأندلس كلها ويقضى على ملوك الطوائف ، وجاءت الفتاوى بمثل ذلك إلى ابن تاشفين من الشرق حتى قيل إن الإمام الغزالي أقناه بالاستيلاء على الأندلس إزالة لمعة ملوك الطوائف ، وليس لي أدنى اعتراض على ما فعل ولو كان ابن عباد صاحب أشبيلية حيا وكنا نحن ننهي إلى أرومة واحدة وكان ابن هود الجداهي جدا لصديق خالد بك القرقي من عيون أعيان طرابلس الغرب ، وهذا عدا أن لحما وجذاما كانتا قبيلة واحدة تقريبا .

وقصارى ما عترض أنافيه على يوسف بن تاشفين في نفيه للتمند إلى أخمات التقصير معه في أمر معيشتة فقد كان يمكنه أن يرفه عيشه ، أو يسد خلته ولو كان منفيا .

ولم تنجم دويلات الطوائف هذه إلا بسبب سقوط الخلافة في قرطبة ، ولما كان جبل الخلافة مستحصفا كانت الوحدة تامة ، وكان الإسلام مهيبا ، وكان المسلمون في أسبانيا نحو ١٥ مليونا ، وكانت قرطبة وحدها ذات مليون ومائتي ألف نسمة ، وكان وكان .

فلما انتكث جبل الخلافة ، وانصدعت الوحدة ساءت الحال ، وتفرق الناس وزالت الهيبة ، وذلت العرب ، وبعد أن كان الناس لهم خولا صاروا هم خولا للناس .

هذه هي الخلافة التي يقول بعض الناس اليوم إنها لم تعد الإسلام بشيء ، بل يقولون إنها كانت وبالا على المسلمين ، وما كان وبالا على المسلمين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع ، ولا سيما العرب الذين هم كما قال النعمان ابن المذر لسكسرى : « تراهم كلهم ملوكا » .  
وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ملوكا ينتهي أمرها بأن يملك أمرها الأجانب ولا يبقى لها ملوك .  
وأعود إلى طليطلة فأقول : عند ما كنت أقرأ :

طليطلة أدال الله منها سواها إن ذا نبأ كبير

فليس نظيرها إيوان كسرى ولا منها الخورنق والسدير

كنت أقول : ماذا عساها أن تكون هذه التي لا يحاكيها إيوان كسرى ولا يرتفع إلى مستواها الخورنق والسدير ؟ فلما رأيتها وجدت من حصانة موقعها ، ومنعة أسوارها القديمة المنبئة طبعا على طبق ما أكد لي قول هذا الشاعر وعلمت أن سقوط طليطلة هو بالفعل نبأ كبير ، لأن العرب لما أخذوا طليطلة ملكوا جميع ديار الأندلس ، ولأن صاحب قشتالة لما دخل طليطلة بدأ الإتهيار في جدار العرب ، ثم لما تذكرت قوله :  
جوامعها ككنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير

لحظة أن ناظم هذه القصيدة إنما نظمها ثانی سنة فتح الأذفونش لها لأنه بحسب شروط تسليم طليطلة له كان تقرر بقاء المسجد الجامع للمسلمين ووعده الأذفونش بمراعاة حقوقهم وأحسن معاملتهم في البداية ووزع مائة ألف دينار على ضعفائهم حتى يعملوا ويحرقوا ، وهذا كله حتى يخذل أعصابهم ويعزى غيرهم بالاستسلام ، وقد أفلح في سياسته هذه ، وخذع منهم خلقا كثيرا ، ولكنه بعد ذلك نقض كل عهد عاهد به وأعاد المسجد الجامع وغيره ككنائس وشاهدت تلك الكنيسة العظيمة وهي مبنية بمكان المسجد ولم يبق من المسجد الأصلي إلا قسم قليل .

والبوت في طليطلة لم يبق منها إلا قليل من القديم ، ولكن صفة البلدة في ضيق شوارعها ودخول بعضها في بعض لا تزال كما كانت كأنما العرب لم يخرجوا منها إلا من خمسين سنة ، وقد بقيت اللغة العربية لغة أهل طليطلة حتى بعد رجوعها للإسبانيول نحو خمسمائة سنة يتكلم ، ويكتب بها المسلمون والمسيحيون معا ، ثم خلت طليطلة من المسلمين ، فبقي المسيحيون وحدهم ، وكذلك بقي اليهود ، ولبثت لغتهم هي العربية ، وبقي طرز بنائهم ، وأسلوب معيشتهم غربيين ، واستمر ذلك إلى سنة ١٥٨٠ مع أن ارتجاع الإسبانيول إليها كان سنة ١٠٨٥ .

وكان لنصارى طليطلة طقوس دينية خاصة بهم يقال إنهم أخذوها عن القوط القدماء ، وليست بالتمام مطابقة للطقس اللاتيني ، ولما كانت طليطلة تحت حكم خلفاء بني أمية أي تبعا لقرطبة كان للنصارى المستعربين فيها أساقفة كما لنصارى قرطبة ، وقد كان لمطران طليطلة في زمان الخليفة عبد الرحمن الناصر أسقف يقال له عبد الله بن قاسم ، وقد أطلعني الأستاذ آسبن بالأسبوس أعظم مستشرق الإسبانيول على أربعة مجلدات مطبوعة حديثا تتضمن الوثائق والصور العربية الباقية كانت في خزنة الكنيسة بطليطلة يستدل منها على أن اللغة العربية كانت هي اللغة السائدة في تلك البلدة وماجاورها إلى نحو سنة ١٦٠٠ .

ولقد نسخت بعض أمودجات من هذه الوثائق وهذا كاف من خبر طليطلة ، بل هذا زائد على لقدرة اللازم لأن جميع هذه الباحث يجب ادخارها (للحلة السندسية ؛ في الرحلة الأندلسية) وما جاء منها هنا هو محض اعتداء على (الحلة) وابتسار من ثمرات الرحلة ، فمن شاء فليراجع الأخبار في آئها ومكانها .  
انتهت المقالة الثانية .



## المقالة الثالثة

الجامعة الإسلامية لم تكن يوماً من الأيام بالمعنى الذي شاعت أوروبا تسميتها به لافى العصور الأخيرة ولا فى العصور الأولى من الإسلام ، طبعاً أن القرآن يوصى المؤمن أن يكون دائماً إلى جانب أخيه ، وأن لا يفرق قضيته عن قضيته ، غير أنه يأمره أيضاً بأن لا يؤيد إلا قضية عادلة . وأن يقيم العدل الصحيح تجاه كل الناس دون ما تفرق فلا يمكن والحالة هذه أن يكون فى الإسلام مسألة مناصرة مؤمن لغير مؤمن لجرد كونه مسلماً ، جاء فى القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .

إن القرآن وسنة الرسول مليتان بالمواعظ الحائنة على إقامة العدل دون ما تفرق ، الحق والحقيقة هما الله ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مرة « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فستل : كيف يعين أحاه ظالماً؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام : إذا كففت أخاك عن الظلم فقد نصرته . ولكن إذا كان المؤمن مظلوماً أينما كان وكيفما كان فإن القرآن يجعل معونته فرساً مقدساً إلا أنه ينبغى ذكر أن إمكان هذه المساعدة بين المسلمين يجب أن يكون ثابتاً ، ويجب أن تكون درجة هذه المساعدة موضع الدرس ، فلا يمكن مطلقاً أن يطلب من المؤمن مالا يستطيع ، فأقربون أولى بالمعروف والقرآن صريح فى هذه النقطة ، وإليك الشروط التعاونية التى أمر بها الدين الإسلامى .

فالمسلمون تعاونوا بعضهم مع بعض غالباً أديبا وعقليا وسياسيا واقتصاديا وماديا ، والإسلام يقدم الأمثلة الناصحة على هذا التضامن ، بيد أنه لم يتخذ فى زمن من الأزمان شكلاً عاماً عالمياً ، فالخلافة الموحدة فى الإسلام لم تدم إلا مدة حكم الخلفاء الأربعة الأول ، حتى أن خلافة على كانت منشأ انشقاق هائل وحرب دامية بين المؤمنين ، حرب أولدت الانقسام بين السنة والشيعة فمنذ عهد الأمويين فى الشام ووحدة الخلافة تعرضت لصدمة عظيمة من قبل ثورة ابن الزبير الذى انتزع منهم الحجاز مدة خمس عشرة سنة . لكن فى الاجمال ظلت الامبراطورية الإسلامية موحدة . وهذه الحال استمرت زهاء قرن حتى سقوط الأمويين وقيام العباسيين الذين نقلوا قاعدة الخلافة من دمشق إلى بغداد . وفى ذلك الحين استطاع أحد الهاربيين من بنى أمية أن ينجو من سيف العباسيين فقصده أسبانيا التى كان الاستيلاء عليها حديث العهد . لسكى يقيم فيها دولة مستقلة عن خصومه . ثم إن عبد الرحمن الأول وهو الذى يسمى بصقر قریش لم يجرؤ وهو مستقل على اتخاذ لقب الخلافة لنفسه ، وظلت الأديبة العامة فى الأندلس تدعى أمامه باسم خلفاء بغداد ، وإنما عبد الرحمن الثالث الفاتح الشهير الذى أخضع كل اسبانيا وجنوب فرنسا وكل شمالى أفريقيا والذى كان أبرز حاكم فى زمانه (القرن الثالث للهجرة) هو الذى تجرأ على أن يتخذ لقب خليفة بالرغم من وجود الخلفاء العباسيين فى بغداد . وعندئذ قامت عدة دول إسلامية مستقلة بعضها عن بعض ، فالعباسيون فى بغداد والأمويون فى قرطبة ، وفى حين من الدهر كان الأدرسيون فى المغرب ، ثم قامت أسرة ملكية أخرى تحدث انقساماً جديداً وهى أسرة الفاطميين خلفاء القاهرة (القرن الخامس للهجرة استطال حكمها حتى القرن الحادى عشر) ومن ذلك الحين فقدت الوحدة الإسلامية كقوة سياسية : ولم يعد التضامن إلى تلك الممالك المتحدة . وكان معترفاً للعباسيين بشئ من التفوق الأدبى ليس غير . وكان يبدو أحياناً مظهر التضامن الأدبى حتى والمادى فى البلاد الإسلامية لكنه لم يتجاوز حدود التضامن الذى كان يمارسها فى البلاد المسيحية .

وقد قدمت الدول المسيحية في القرون الوسطى تجاه الإسلام مثالا للوحدة التي كانت مفقودة عند الدول الإسلامية ، وذلك بتضافر الفرنسيين والألمان والفلنك والإنكليز والاطليان الخ ، كتلة واحدة لحرب المسلمين في الشرق ، فقاموا باحدى عشر حملة صليبية ، ومن جهة ثانية رأينا أن المسلمين لما أرادوا صد تلك الحملات لم يتحدوا إلا فيما بين المصريين والسوريين وسكان ما بين النهرين ، وهؤلاء جميعا ليسوا إلا جزءا من المسلمين وعبثا نادى صلاح الدين ودعا مسلمي المغرب لتوازره حكوماتهم بأساطيلها القوية ، ولو أنهم لبوا دعوته لاستطاعوا أن يحولوا دون نزول الحملات الصليبية .

ولئن كان بين مسلمي أفريقيا ومسلمي الأندلس تضامن تجلى بتقدم الجيوش فقد كان ازاء ذلك اكثرية منهم بجانب الشعوب المسيحية ، ولكن بين الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي لم يسطر التاريخ أعمالا عسكرية تبودت بشكل عام . وقد وقع فقط أن أهل تونس والجزائر وطرابلس الذين كانوا أقلية تجاه الدول المسيحية دعوا لتجديدهم الدول العثمانية ، وقد سارع السلطان سليمان القانوني لوضع هذه البلاد تحت سيطرته إمارغبة في الفتح ؛ وإما في التضامن الإسلامي ، وإما لإقامة التوازن بين قوته وقوة شارلكان .

وقد مر حين من الدهر لم يكن في البحر المتوسط سوى أسطولين : أحدهما إسلامي تحت قيادة خير الدين بربروس . والآخر مسيحي . انتهت المقالة الثالثة .

### الفصل الثالث

في أن القرآن ذكر للمسلمين عموما وللغرب خصوصا  
في النهضة الحالية

ولأقدم مقدمة فأقول : اعلم أيها الدكي أني كما ذكرت سابقا مولود بقربة من قرى مديرية الشرقية تسمى (كفر عوض الله حجازي) وقد كان ذلك أيام الظلم والاعتساف ، والجور والقسوة ، فكان الحكام أظلم خلق الله ، وكانت الرعية جارية على سنن الرعاة ، فالأقوى كان يظلم الأضعف ، وكنت أرى أن الأفوياء والأغنياء يتحكمون في الضعفاء ، فيرسلونهم إلى أعمال الحفر في الجسور والترع التي لا أجر عليها من الحكومة بل هي مجرد ظلم واسترقاق وإرهاق ، ولكن كانت الحكومة المصرية تنتقل من حسن إلى أحسن سنة فسنة حتى استتب الأمن في البلاد وعرف كل ذي حق حقه . وفي أثناء تلك المدة دخلت الأزهر مدرسة دار العلوم فصرت مدرسا . وهناك أخذت أولف الكتب لنشرها بين المسلمين قياما بما عاهدت الله عليه أني إذا عرفت الحقائق العلمية جعلت حياتي وقفا على تعليم ورقي المسلمين كي لا يستسلموا للشك الذي آذاني وأقلق بالي ، وأخذت أعرض الكتب على ذوي الرأي في البلاد حتى إذ وجد أحدهم عيبا دلني عليه وكان حديق المتقدم مع المرحوم لطيف باشا سليم وتوالت الجمعيات في مصر كحزب الوفد المصري وحزب الأحرار الدستوريين وغيرهم وهذا كله مصداق لما رأيته من قبل ، وقد ظهرت في هذه الأيام جمعية الشبان المسلمين ولها فروع في الجزائر وتونس والشام والعراق وأمريكا ، وهكذا جمعيات أخرى كجمعية المواسة والجمعية الجغرافية وغيرها ، وكل في الأقطار العربية من جمعيات أدت أعمالا عظيمة وأكثرها ظهرت بعد الحرب الكبرى ، وجميع البلاد الناطقة باللسان اليوم تطلب الاستقلال . فانظر ماجاء في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٩ وهذا نصه :

## الانتداب في البلدان العربية

بقلم الكاتبين غوردون كاننج

المقال الأول

كان من أعظم أسباب سقوط الأمبراطوريات القديمة اسراف القوة الرئيسية تدريجاً بالنوسع المطرد في الممتلكات ، ونرى في عصرنا هذا أن الامبراطورية البريطانية والأمبراطورية الفرنسية في خطر الانحلال لهذا السبب نفسه ، إن مستشاري الأمبراطوريتين ويلوح انهم من طراز قديم ( سابق لتاريخ البشر ) ممن لهم خبرة بفنون الحرب يصرحون أن الضرورة تقضى بصيانة الممتلكات الموجودة بضم ممتلكات أخرى .

معلوم أن زيت البترول باب من أهم مطالب العالم في هذه الأيام فأصبحت موارده من الضرورات الأولية لسيان الدول العالمية ؛ فالترول اذن كان من العوامل التي اجتذبت انكترا إلى العراق وفلسطين وإيران التي اضطرت بحكم أحوال خصوصيه إلى الانسحاب منها ، وحي كانت انكترا موطدة في العراق وفلسطين ففرنسا لا يمكنها أن تتخلى عن بقعة مجاورة تتركز إليها وتتخذها قاعدة لحماية مصالحها ، وهذا ما بحث على عقد اتفاق ( سيكس - بيكو ) وتنفيذ هذا الاتفاق كان مضراً بالاتفاق الذي عقد بين الملك حسين والحكومة البريطانية مع أنه كان في تاريخ سابق لاتفاق ( سيكس - بيكو ) ومما يدل على أن انكترا قد سلمت بأنها حدثت في عهدا مع الملك حسين أنها أوجدت عرش العراق للملك فيصل بعد ما طردته السلطات الفرنسية من سورية ، وقد أثر ذلك تأثيراً سيئاً في سمعة انكترا وهيتها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط لأن العناصر العربية أدركت أنها سمت لشار أقوى وأقدر ؛ فقد كانت مقتضيات مراصلة الحرب أهم من كل شيء وفوق كل شيء ، حتى أن الشرف البريطاني ترك جانباً وعد من سقط المتاع ، وكانت هذه الاتفاقات الحربية المختلفة هي السبب الأكبر التي جعلت معاهدة فرساي وغيرها من المعاهدات شؤماً وهولاً وأسباب القلق الحالى وعدم الارتياح بين ملايين من الناس . والغاية من مقالتي هذه أن أقترح علاجاً لمسألة بلدان الانتداب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط التي عانت هول تلك المعاهدات وفي أى علاج يتناول مصالح عدة أم لا يمكن لأية أمة منها أن تكون راضيه كل الرضا ، ولا بد من مراعاة مبدأ الأخذ والعطاء من كل جانب

وللبحث في هذه المسألة لأرى من الضرورة الدخول في تفاصيل إدارة شؤون بلدان الانتداب خلال العمان سنوات الأخيرة لأن هذه الوجهة من المسألة كانت موضوع البحث في عدة جرائد ومؤلفات ، فالغلطات التعمية والأخطاء المحزنة التي ارتكبتها فرنسا وانكترا قد اعترف بها ، وليست المصاعب التي جابهتها كلاهما مما يستحق العطف لأنها من المصاعب التي أوجدتها انكترا وفرنسا ، وقد أصاحت انكترا جانباً عظيماً من أخطائها ولا سيما علاقاتها مع العراق ، وأخذت فرنسا بإرشاد السيوبو سو تحاول إصلاح عواقب إارتها الوضعية في سورية ، إن الغلطة الرئيسية التي ارتكبتها كل من انكترا وفرنسا هي عدم العمل بمقتضى البند الثامن والعشرين من عهد جمعية الأمم ؛ وقد قالت للس ( هويت ) في كتابها عن الانتدابات ما لى :

أما إذا كانت هذه الرغائب قد نفذت فأمر مبهم غامض ، وأما إذا كان هناك لا أولئك الناس رغيب .  
جلية فأمر أغمض وأكثر إبهاماً . وبالحقيقة وواقع لأمر أن أهل بلدان الانتداب لم يستشاروا والأسلوب الذي اتبع في هذه البلدان في تقسيمها إلى دويلات أوجد على سطح الكرة الأرضية بلقان أخرى وهو أسلوب

سقيم من الوجهة الاقتصادية نظرا للتعريفات الجمركية بين تلك الدولات وعرقلتها لحركة التجارة . وبلدان الانتداب المعرفة بحرف (١) هي كآيلي :

(١) - (العراق) وضع انتدابه في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ وواقفت عليه جمعية الأمم في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٤ ويبلغ عدد سكانه ثلاثة ملايين

(٢) - (سورية) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ وواقفت عليه جمعية الأمم في يوليو سنة ١٩٣٢ ويبلغ عدد سكانها ٢٢٥٠٠٠٠ من المسلمين و ٤٠٠٠٠٠ من الدرروز و ٤٠٠٠٠٠ من المسيحيين منهم ١٥٠٠٠٠ ماروني

(٣) - (فلسطين) وضع انتدابها في شهر ابريل سنة ١٩٢٠ وواقفت عليه جمعية الأمم في شهر يوليو سنة ١٩٢٢ ويبلغ عدد سكانها ٧٥٠٠٠٠ نفس ٨٧ في المئة منهم عرب (٤) شرق (الأردن) ويبلغ عدد سكانه ٢٠٠٠٠٠ نفس

وفي شبه جزيرة العرب بلدان تحت الحماية البريطانية وهي : عدن ، وعمان ، والسكويت ، وبلدان مستقلة وهي : نجد والحجاز والعسير واليمن وحضرموت ، ومجموع عدد سكان هذه البلدان كلها يتراوح بين خمسة عشر مليوناً وعشرين مليوناً نسمة : أما إذا كان إصطلاح الانتداب قد وضع على قاعدة المثل الأعلى أو ابتكر كمرادف للضم والتملك فليس من موضوع البحث في مقالتي هذه ؛ ولكن الأرجح أن جانباً عظيماً من عدد السكان المبين آنفاً متحد في مطالبه ورغبته في التخلص من الوصاية الأجنبية وإن كان مختلف الأحزاب غير متفقة على شكل الحكومة التي يجب أن تحل محل حكومة الانتداب أو دولة الحماية

فهل مقتضيات الأمبراطورية البريطانية تتطلب أن تكون إنجلترا في فلسطين والعراق وشرق الأردن وهل من الضروري أن تكون فرنسا في سورية ؟ إن جواب البلدين هو ( نعم ) فإذا كانت إحدى الدولتين في سورية لا بد أن تكون الأخرى في فلسطين والعكس بالعكس ، وتقول انكلترا : نعم لأدافع عن قناة السويس ضد مهاجميها من الشرق ، ولأدافع عن مصالح بريطانيا في بترول الموصل والحميرة . وتقول فرنسا نعم لأدافع عن خط أنابيب البترول وسكة الحديد المزعم مدها إلى الموصل وبغداد ومن كل منهما إلى حيفا ، وهذه الفكرة الثانية لتنمية التجارة ومصالح الصناعات ، وبقبها وبترب عليها الحماية العسكرية ، وهكذا تظل الدول الأوروبية الإدارية تثير كتلة متجمعة من الرأي المدائي في تلك البلاد الذي قد يصبح بقوة الأعداء قوة خطيرة خطيرة ، فالأفضل والحالة هذه الاعتقاد على عقل سكان البلاد وعلى عهد صداقة يقوم على قاعدة التعاون التجاري والكسب المتبادل .

والسبب الأول يمكن درأه باتفاق متبادل يعقد بين انكلترا وفرنسا للانسحاب في وقت واحد من سورية وفلسطين وشرق الأردن ، ولكن فرنسا تقول : « محال على أن لا أحمي الأقلية المسيحية » ولكننا نرى اليوم أن هذه الأقلية المسيحية هي أيضاً تطلب جلاء فرنسا عن البلاد ، وتقول انكلترا : « إن ذلك مستحيل لا يمكننا أن ننسحب ونندع الاسرائيليين تحت رحمة العرب » ومع هذا فإن اليهود والعرب كانوا في عهد تركيا عاشرين معاً في وفاق تام ، إن تصريح بلفور هو سبب الاضطراب الحالي بين العرب واليهود ، إن تأسيس هذا الوطن القومي لليهود لم يلق تعضيداً حقيقياً من زعماء اليهود ، فقد أبدوا الفكرة عن غير طيبة خاطر مالياً وأديباً ولم يوافقوا قط على فكرة مغادرة محل إقامتهم للإقامة بذلك الوطن القومي ، وقد كان معظم المهاجرين من اليهود القاطنين في شرقي أوروبا والذين ذاقوا الندل والهوان ، وعانوا الشيء الكثير من الاضطهاد والنظم . وقد برهنت الأيام على أن الصهيونية صناعة خائبة عقيمة وجناية سياسية . فالصهيونيون المقيمون

الآن بفلسطين قد وجدوا هناك بمساعي انكلترا وجمودها ولا بد من الاعتراف بهم وحمائهم ومساعدتهم  
نعم يجب الوصول إلى اتفاق متبادل بين فرنسا وانكلترا تتفقان فيه على سحب كل شيء فيه شبهة العسكرية  
من سورية وفلسطين وشرقي الأردن وأن يقدموا للبلاد خبراء للتنمية فن الادارة الحكومية والفنون والصناعات  
عندما يطلب منهم العرب ذلك بأنفسهم . والحامية البريطانية التي تسحب من مصر وفلسطين يمكن أن تمسك  
لمدة ١٥ سنة في جواربورت فؤاد بعد استئذان الحكومة المصرية فتكون منها قوة مركزية متأهبة في أية  
لحظة للدفاع عن مصالح بريطانيا العظمى في شرقي البحر الأبيض المتوسط وللتعاون مع الحكومة المصرية على حماية  
القناة ودرء الاعتداء على حرية الشعب المصري . ولكن قلبا بقسى نقل هذا الاقتراح إلى حيز العقل يجب  
على العرب أن يمدوا أيديهم للعمل ويقدموا برهانا حاسما على استطاعتهم إيجاد مشروع ابتكارى يقضى به  
ملافاة حدوث القوضى عندما تسحب القوات البريطانية والفرنساوية من البلاد . فعلى نواب العرب أن يقدموا  
مشروعا يبينون به ما يلي :

- ( ١ ) أنهم أهل لادارة شئون بلادهم بأنفسهم وأن الانتداب صار غير لازم .
- ( ٢ ) إن جميع المشروعات التجارية مثل سكك حديد بغداد وحيفا ومنايع البترول في الموصل والمحمرة  
تقدم لها التسهيلات اللازمة لترقيتها وإنعاشها ، وأن يسمح للشروعات الأوروبية بالاشتراك مع  
المشروعات العربية أن ترقى مؤهلات البلاد التجارية والصناعية تحت شروط عادلة مرضية للجميع .
- ( ٣ ) أن تستطيع الحكومات العربية تقديم الضمان الوافي لتأمين معاملة الأقليات المسيحية في سورية  
والأقلية اليهودية في فلسطين وتنفيذه ، وأن تمنح الوطن القومى اليهودى قسطا معينا من الحكم  
التام ، وهذا الوطن القومى يجب أن يكون مثالا مصغرا لمركز روى تثقيفى فقط .
- ( ٤ ) أن يستطيع زعماء نواب العرب أن يقدموا برهانا حاسما على موافقتهم على إنشاء إيجاد  
دول عربية تحت سيطرة ابن السعود إذ كان ذلك ممكنا . وبهذا تم الكلام على  
المقال الأول .

\*\*\*

### المقال الثانى

يعتقد معظم الناس أن العرب يعجزون عن إظهار مقدرتهم بتقديم خطة إنشائية ، أما أنا فأعتقد أنهم  
قادرين ليس بناء على تاريخ عنصرهم الماضى فقط بل لما يحرزها أبناء العرب المهاجرون من النجاح الباهر  
في المراكز الصناعية والتجارية العصرية في بونس أرس ونيويورك وغيرها من أنحاء العالم للتمدن ، وليس  
من الضرورى الرجوع بالقارى إلى الحكومات العربية السديدة الخطوات في العمود الغابرة ، وحسبى أن  
أقول إنه في القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخلفاء الراشدين ببغداد كان في وسع التاجر التجول أن يسافر  
من البصرة إلى دمشق مثقلا بالسلع بغير أن يعتدى عليه أحد . وفي عام ٩٨٠ ميلادية ، كان للسافر يقطع  
الشقة بين المهديّة والقاهرة بلا خوف ولا وجل من قطاع الطرق ، فإذا كان العرب قد استطاعوا في تلك  
الأيام تأمين الطرق بهذه الكيفية ، فمن الأكيد المحقق أنهم قادرين على ذلك في هذه الأيام ، ولا بد لنا  
من التسليم أنهم يحرزون هذه القدرة بالارث ، ولكن هل يحرزون الإرادة والعزيمة على إظهار هذه  
القدرة ؟ إن على العرب أن يرهنوا على ذلك الآن ، ولا يكفي أنهم شديد والرغبة في طرد المعلم من بلادهم ،  
فهذا لا يعدو سياسة الهدم ، ولكن يجب عليهم أن يظهرها مقدرتهم على التعمير والإنشاء . أما فيما يتعلق

بالخوف، قد تنطرق إلى قلوب الانكليز بأن الأقليات المسيحية واليهودية لا تطبق الأغلبية الإسلامية فلا بد من قول شيء في ذلك .

إن الأقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة في البلدان الإسلامية إلى أن تأتي دولة أوروبية وتستخدم تلك الأقليات لقب الحالة كما حدث في مسألة الأرمن والأتراك ، نعم إنه في الأنحاء البعيدة للتعزلة عن العالم الإسلامي قد لا يغفلوا الأمر من تعصب ضد المذاهب الأخرى ، ولكن هذا كان كذلك بين مختلف الطوائف المسيحية . على أن زعماء العرب في هذا العصر وفي العصور السابقة كانوا دائماً يعاملون على تلافى هذا التنافر وإصلاح ذات البين ، فإذا كان التعصب الديني قد أخذ مجراه في زمن من الأزمنة فقد كان المسلمون من غير مذهب الحاكم ينالهم من الاضطهاد ما ينال المسيحيين . ومن الواجب أن تتخذ مبادئ نجرن كمثل الأعلى للزعيم المسلم . وكامة الإمام على رضى الله عنه : « إن دم الذي كدم المسلم » هي أيضا خير مثال .

واليوم نرى الموازنة في لبنان والمسيحيين العرب في فلسطين ومسلمي الشام وفلسطين والعراق قد أخذوا يعرضون عن الفوارق في المذاهب والمقائد ويحجسون إلى المثل الأعلى والمذهب العميم وهو أننا جميعا إخوان في الإنسانية ، وأول خطوة في هذا السبيل هي السعى إلى توحيد بلاد العرب ، وقد أخذ أبناء العرب المثقفون المتورون في هذه الأيام يتطلعون إلى هذه الغاية ويبشرون الدعوة إليها في عدة أنحاء ، وزعماء العرب أدري من بالمنهج الذي يجب أن يتجهوا للحصول على الوحدة العربية والتخلص من وصاية الأجنبي والتقدم الحثيث في التعاون مع خير الطبقات الأوروبية ، وإني أقترح ما يلي على سبيل التجربة :

- (أولاً) المبادرة إلى عقد مؤتمر في القاهرة يدعي إليه مندوبون من جميع البلدان العربية .
- (ثانياً) ينتخب هذا المؤتمر مجلساً دائماً يكون مقره في القاهرة أو جدة أو الشام « ولما كانت القاهرة مركزاً حسناً تتوفر فيها أسباب المواصلات مع جميع بقاع الأرض العربية قد تكون لائقة لأن تصبح بمثابة جنيف للعرب » .
- (ثالثاً) على هذا المجلس الدائم أن يظل على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر كل سنة أو سنتين .
- (رابعاً) على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الإجراءات اللازمة لاجتاد اتحاد عربي وأن ينتخب زعماءه ويتفق على زعيمه الأكبر .
- (خامساً) تكون مهمته توحيد الأمة العربية بيبث دعوة مبنية على الفطنة والحصافة .
- (سادساً) يجب وضع خطة للتعليم يمكن كل دولة في خلال الخمس عشرة سنة المقبلة من الحصول على سيل مطرد من الشبان المتدربين على فن الإدارة الحكومية والعلوم والفنون والشئون الصحية وما إلى ذلك .

فإذا استطاع العرب أن يصلوا إلى هذا التوحيد فيحتمل أن تتمكن انكلترا من رفع حمايتها عن جميع البلدان العربية عدا عدن ، وأن تعقد معاهدة صداقة ومحالمة بين سلطات الاتحاد العربي والأمبراطورية البريطانية . وإني أعتقد أن حلاك هذا يكون ضماناً أفضل لسلامة المواصلات الأمبراطورية وبتوطيد أركان القوة في هذه البلدان من الشرق الأوسط وتوحيدها تتخلص الأمبراطورية البريطانية من إتفاق عدة ملايين من الجنهات كل عام .

ويغلب على ظني أن العرب يجب أن لا يتصوروا وهم لا يتصورون أنه يتسنى لهم الوصول إلى هذه الغاية بغير مساعدة من الغرب ، ويجب أن لا يعزب عن بال انكلترا وفرنسا أن أمة تحت التدريب والتعليم لا يمكن أن تحرز المسؤولية اللازمة إلا بالممارسة والاختبار ، وبهما دون سواهما تعلم هذه الأمة اجتناب الأخطار والوصول إلى مستوى مرض من الحكم الذاتي ، وزعامة الدعوة إلى الوحدة العربية يجب أن تخرج من دمشق ، وربما قبل مضي وقت طويل يعود العالم العربي إلى ازدهاره وبناعته ، وبدهش العالم بثقافته وعلمه كما كان في سالف الأحقاب .

وما هو تأثير هذا كله في انكلترا فيما يتعلق بالأمبراطورية البريطانية ؟ الجواب عن ذلك من الوجهة السلبية أنه يوجد القوة العسكرية في مركز واحد ويقبل من تبعه التورط ويؤدي إلى اقتصاد المال ، ومن الوجهة الإيجابية الابتكارية يضم جميع العنصر العربي إلى دائرة الصداقة الحالصة ، ويوجد زبائن أقوى وأغنياء بالتقدم في المعيشة العصرية وبالتعاون التجاري الوثيق مع الغرب ، وحيث كان زبون واحد في الماضي يقوم اثنا عشر زبونا جديدا محله .

إن مشروعا كهذا يتطلب وقتا للنضوج ، ولكن الوقت لا يجدي ولا يفي فتبلا إذا كان زعماء العرب في هذا العصر لا يعدون التربة ويتعهدونها بسلام العقل والفتنة وينثرون فيها بذور الأنعام والوثام والإنعاش هذا المشروع وإبلاغه طور الازدهار والإنباع يجب أيضا أن تنقى أرضه من الأعشاب البرية ، وأن يروى ويسقى ليس بمساعي زعماء العرب الشجعان غصب ، بل بمساعي الأوروبيين أيضا ولا سيما الرجال الانكليز ذوي البصيرة النيرة والنية الحسنة .

ولسكي ينتج هذا المشروع خير النتائج من الضروري الحصول على تعضيد انكلترا ومعاونتها ، فللعرب أن يقتبسوا العلوم عن الألمان والفنون عن الفرنسيين ، ولكن العلوم السياسية وفن معاملة المذاهب المختلفة ، وتحمل الفوارق الدينية ، وواجبات الشرف والنزاهة يجب أن يتعلموها من انكلترا ومن الرجال الإنكليز ، وقد يطول العمر على ثقافة انكلترا وتبقى مكرمة محترمة مرغوبا فيها خلال أجيال كثيرة مقبلة ويكون مثلها مثل ثقافة الرومان والعرب في هذا العصر .

وأختم مقالتي هذا بكلمات أوناموتو : « إنى أقصد الحث وإذكاء وطيس الحماسة والافتراح لا الإرشاد والتعليم » وإلى هنا تم الكلام على المقالين للكاتب الزيه غوردون كاتنج .

## الفصل الرابع

في تأكيد الفصل الثالث وذلك بمقالين

### المقال الأول

التنافس الدولي ونصيب العرب منه

جاء في إحدى جرائدنا المصرية في يوم الأربعاء ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٩ هجرية ما يأتي :  
إن القاعدة التي بنيت عليها مدينة القرن العشرين « الحق للقوة » وعلى هذا الأساس أصبح التنافس عظيما بين الدول العظمى في بناء الأساطيل ، وتدريب الجيوش ، والفتن في ابتكار الآلات الجهتية القاتلة

لحيازة السيادة والتفرد بالنفوذ في هذا العالم مما أدى إلى نشوب الحرب العظمى التي كان من نتائجها انهيار  
الأمبراطورية الألمانية وسقوط أكبر دولة حربية على وجه الأرض .

إذا كانت الضغائن موجودة في الأفراد عند انتصار أحدهم على الآخر ومنعه من نيل ما يبتغيه والاستئثار  
به دون رفيقه ، فأحر بها أن تكون عند الدول الكبيرة وهكذا فإن ألمانيا التي كانت تطمح لفتح العالم  
أصبحت اليوم لاحول لها ولا طول ، لا ترى بعين الرضا ما يتمتع به دول الحلفاء من ثمرات الانتصار وتفردهم  
بالاستيلاء على بلاد العرب ، وإذا كانت عاجزة عن إثارة حرب ثانية تقضي بها على ما يتمتع به غرماؤها ، فلا  
تعدم غيرها من الوسائل خصوصا وهي تلك الدولة التي دفعت سفينة العالم في اليم وجعلتها تائهة بين أمواجه  
للتلاطمة مدة أربع سنوات حتى رست على الشاطئ ، وهي محطة .

إن الشعب العربي يقطن أقطارا شاسعة ، وأغلبها واقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من خليج  
الإسكندرونة إلى مضيق جبل طارق ، وهذا الشعب خاضع لجميعة لنفوذ وسيطرة ثلاث دول كبيرة ( الحلفاء )  
الأولى بريطانيا العظمى ولها الشطر الأهم ك مصر والسودان وجزء من سوريا الجنوبية والعراق وأغلب سواحل  
الجزيرة العربية ، والثانية فرنسا وفي يدها سوريا وإقليم المغرب أو إفريقيا الشمالية كتونس والجزائر ومراكش  
والثالثة إيطاليا وهي مستولية على طرابلس الغرب .

فمن هذا ترى أن بلاد العرب محصورة في يد هذه الدول الثلاث التي لم تزل تسعى وتجاهد لتفكيك عرى  
هذا الشعب وبث روح التنافر فيه بمختلف الوسائل ، فهذه مصرى وذلك سورى ، وهؤلاء عراقيون ، وأولئك  
مغاربة ، وبث سموم فكرة اللغات العامية والسمي للتشويق إلى العدول عن اللغة الفصحى التي هي الرباط  
الوحيد الذي يربط سبعين مليونا من العرب .

ولما كان لهذه الدول من ينافسها في السيادة ولا يروق له أن تنحكم في هذه الشعوب جعل يناصرها العداء  
بمختلف الوسائل التي تقضي على نفوذها وسلطانها من حيث لا تشعر .

إن التنافس بين انكترا وروسيا هو سبب بقاء الأستانة بيد الترك أو بقاء الدولة العثمانية إلى زمن الحرب  
العظمى وكذلك بقاء الدولة الإيرانية : وهأنحن الآن للمرة الثانية نرى التنافس بين ألمانيا ودول الحلفاء  
سيكون سببا لإيجاد شيء من لا شيء وخلق كيان من العدم .

إن الشعب العربي الذي قرر المفكرون بأنه صائر إلى الانقراض بدأ يتحرك ويحس بوجوده في هذا  
العالم بعد تلك الغيبة الطويلة ، وما هذا إلا بفضل ذلك الطبيب النطاسي الحاذق الذي أخذ على عاتقه إحياء  
هذا المريض ليحرم أعداءه من تراثه .

إن الاجتماع العربي الكبير في ( برلين ) تحت إشراف لجنة الدفاع عن المغرب العربي وحضور مندوبين  
من جميع الأقطار العربية للاحتجاج على مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر أول قطر عربي احتله  
الأجنبي وإلقاء الخطب النارية التي ترمى جميعها إلى وحدة العرب الكبرى ما هو إلا أثر من آثار التنافس  
الدولي بين ألمانيا والحلفاء .

وهكذا سوف نرى أن هذه المنافسة الخطيرة ستفضي إلى خلق دولة ( الاتحاد العربي العام ) ومن يعيش  
به ، أو كما قال شاعر العرب القديم :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا      ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له      بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

( البصرة - العراق )

أبو الوليد



## المقال الثاني

جاء في جريدة الأهرام يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م ما يأتي :

## في المجمع النسائي العربي

قرر المجمع النسائي العربي في بيروت وكذلك فروعها في البلدان العربية في الجلسة القانونية المنعقدة في أول نوفمبر سنة ١٩٢٩ م بعد الوقوف على آراء الأكثرية الساحقة من مفكرات وجمعيات الأقطار كافة المسائل التالية :

(أولاً) المبادرة إلى عقد المؤتمر الشرقي العربي الأول في مدينة دمشق قلب العرب النابض في أواخر الربيع القادم لتعود المرأة العربية إلى ازدهارها ومناعتها ، وبدهش بثقافتها وعلمها كما كان في سالف الأحقاب ، وتنضم جميع العناصر النسائية إلى دائرة الصداقة الحالصة .

(ثانياً) ينتخب لهذا المؤتمر مجلس أعلى من مفكرات هذه الأقطار ويكون له مركزان رئيسيان في دمشق والقاهرة .

(ثالثاً) علي هذا المجلس الدائم أن يظل على اتصال وثيق بالبلدان العربية وأن يعمل على عقد مؤتمر في كل سنة متناوبة في أقطار الشرق العربي .

(رابعاً) على هذا المؤتمر السنوي أن يتخذ الإجراءات اللازمة لإيجاد اتحاد نسائي شرقي عربي تكون مهمته توحيد الأمة العربية بيث دعوة مبنية على الفطنة والحصافة .

(خامساً) أن يكون هذا البيان كإعلان رسمي لجمعيات وأفراد المفكرات في الأقطار الآتي ذكرها وهي : مصر ، تونس ، طرابلس ، الجزائر ، برقة ، مراکش ، السودان ، جنوبي أفريقيا ، فلسطين ، شرقي الأردن ، العراق ، الحجاز ، اليمن ، نجد ، حوران ، بلاد العلويين ، سوريا ، لبنان . وبصورة خصوصية يطلب المجمع آراء أخواتنا في المهجر ليشتريكن معناروحياً .

(سادساً) أن المسائل الخمس الرئيسية التي ذكرت في برنامج المؤتمر وأضيفت إليها مسألة رعاية الطفل باقتراح النابعة (ح) سيتفرع منها مواد شتى .

(سابعاً) أن هذا المؤتمر العام لايزاحم المؤتمرات المحلية بل يحترمها ويؤيد مقرراتها. انتهى المقال الثاني

## الفصل الخامس

في أن الوطن اليهودي في فلسطين مما قرر ارتفاع ذكر الأمم العربية

جاء في إحدى المجلات العلمية وهي « السياسة الأسبوعية » في يوم السبت ٩ أغسطس سنة ١٩٣٠ تحت العنوان الآتي ما نصه :

## حديث للأستاذ محمد علي باشا

عن رحلته في فلسطين ودفاعه عن البراق ورأيه في الرابطة العربية

عاد الأستاذ الكبير محمد علي باشا من الديار الفلسطينية بعد أن قضى في بيت المقدس زهاء عشرين يوماً أبلى فيها أحسن البلاء في الدفاع عن حقوق المسلمين والعرب في البراق الشريف أمام لجنة التحقيق الدولية وكان لدفاعه المجيد أثر خالد في الأوساط السياسية العربية وضجة عيفة في الدوائر الصهيونية ، وقد رأى أحرار الجالية السورية بمصر أن يخفوا زيارته ويهنئوه بسلامة الأوبة ويشكروه على ما فعله من المشاق ، وما قام به من جلائل الأعمال في تأييد حقوق العرب وتشجيع مزاعم الصهيونية ، فتألف وفد من هيئة إدارة جمعية الدفاع عن فلسطين وأعضاء حزب الشعب السوري برئاسة الأستاذ الزعيم الدكتور شهيندر وزاروا الأستاذ محمد علي باشا في منزله للقيام بواجب التهئة والشكر ، وقد رأى كاتب هذه السطور أن يفتنم هذه الساعحة فطرح على الباشا أسئلة عدة حول البراق والمسألة الفلسطينية والرابطة العربية تفضل معاليه وأجاب عليها بما يلي :

(س) لقد رفعتم رأس مصر والشرق عالياً بما ناضلتم به عن حقوق العرب وتفنيدها المزاعم اليهودية الصهيونية في قضية البراق الشريف ( جدار المبكى ) فهل لكم أن تفضلوا بتلخيص الأسس التي بنيتم عليها دفاعكم المجيد ؟

(ج) حينما اتصل بي نبأ إعمار اللجنة الدولية إلى فلسطين للتحقيق في قضية البراق والنظر في شكاوى الفريقين المتنازعين والحجج التي يتذرع كل منهما بها ، تحركت في نفسي عاطفة الغيرة على هذا المكان المقدس الذي تتجه نحوه أنظار ثلاثمائة مليون مسلم ونيّف في جميع أقطار العالم ، ورأيت أن الواجب الديني والقومي يقضي على بأن أقبل دعوة إخواني الفلسطينيين ، وأقوم بقسطي في الدفاع عن ذلك الجدار الشريف ، فبرغم الأزمة الوزارية التي قامت في مصر ، وبرغم ما كنت أشعر به من الانحراف في صحق لبيت نداء الواجب ووليت وجهي شطر بيت القدس ، وبعد أن تعرفت هناك إلى أحرار البلاد ودرست الموضوع من جميع أطرافه رأيت بالاتفاق مع سعادة الأستاذ أحمد زكي باشا ، وهيئة الدفاع أن نقسم أعمالنا إلى ثلاثة أقسام :

(١) القسم التاريخي : ويتولى القيام به الأستاذ أحمد زكي باشا .

(٢) قسم التحقيق ومناقشة الشهود : ويتولاه الأستاذ عونى بك عبد الهادى .

(٣) القسم القانوني والسياسي : وقد عهد إلى بالقيام به .

وسار التحقيق سيره المعلوم ، وأدلى كل من الفريقين بحججه وبراهينه ، وبسط الأستاذ أحمد زكي باشا موضع النزاع من الوجهة التاريخية الثابتة والوثائق القطعية التي لا ترد مؤيدا بها حقوق المسلمين ، ومن ثم جاء دورى فرأيت أن أسهل دفاعى بإبداء الاحتياطيين الآتين :

(الأول) إن الأمة الفلسطينية أعلنت رسمياً وفي كل الظروف عدم اعترافها بالانتداب البريطاني وهي لذلك لا تريد أن تتقيد بأى نظام مستمد من هذا الانتداب ولا الإقرار بأية نتيجة ترجع إلى ما يسمى بوطن قومي لليهود ، فدفاعى في هذا النزاع لا يغير شيئاً مما احتفظت به فلسطين لنفسها لأنها هي وحدها صاحبة الحق في تقريره .

(الثاني) يقرر المسلمون أن النزاع على ملكية أماكن العبادة أو على حقوق مدعى بها على هذه الأماكن يجب أن ترفع إلى الهيئة المختصة دون غيرها بالفصل في أمر الوقف والأماكن المقدسة الإسلامية وما عداها فهو غير مختص أصلاً لعدم وجود حق له في ولاية الحكم على هذه الأماكن .

ثم دخلت بعد ذلك في الموضوع من الوجهة السياسية وكشفت القناع عن حقيقة هذا النزاع وأسبابه الصحيحة ، وبسطت ما لقيه اليهود من العنت والإرهاق في أكثر بقاع الأرض وأنهم لم يجدوا ملاذاً يفرعون إليه إلا البلاد الإسلامية والعربية لما كانت يظهر أهلها من التسامح والرعاية نحوهم وأمطت اللثام عن الطامع الصهيونية في السعي للاستيلاء على المسجد الأقصى وعلى قبة الصخرة وجعل مكانهما هيكلًا لليهود ، وسردت طائفة كبيرة من الأدلة تؤكد نياتهم وهي مستمدة من كتبهم وتصريحات مفكرهم وزعمائهم ، ثم ألمت إلى الخطر المقبل فيما إذا أصر اليهود على التمسك بمزاعمهم فتسكون النتيجة أن هذه الصهيونية ستحمل العرب والمسلمين كافة على أن يعتقدوا الاتيهم منكم (مطاردة اليهود) ولو تحت ستار (الانيسيونيديم) مطاردة الصهيونية فيتلطف تاريخ الإنسانية مرة أخرى بمثل تلك اللئاسي التي وقعت في أوروبا من قبل ، ولكن بطريقة أشد وأسكى ، ثم تكلمت عن الجدار والوصف في نظر المسلمين وأسباب تقديسهم إياها وماورد بشأنها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ثم قارنت بين ذلك وبين أسباب قدسية الجدار عند اليهود . وختمت دفاعي بالبحث من الوجهة الشرعية ، وتطرفت إلى ذكر الوقائع والتطبيق القانوني .

(س) هل تعتقدون أن لجنة التحقيق تراءى في وضع قرارها تلك الاعتبارات الخطيرة التي وردت في دفاعكم ؟

(ج) لا تستطيع الجزم الآن في كيفية القرار الذي ستصدره لجنة التحقيق الدولية في هذا الموضوع ، ومهما كان شأن هذا القرار فنحن غير مقيدين به بوجه من الوجوه كما مهدت في دفاعي أمام اللجنة لأن هذا الجدار لا يخص فلسطين وحدها بل هو ملك لثلاثمائة مليون مسلم منتشرين في أنحاء المعمورة ، ولا بد من القول أننا لم نشأ أن نكتفي بإبراز وثائقنا وأدلتنا أمام اللجنة ، بل قدمنا لها البراهين العمالية المحسوسة التي لا تدفع والتي تنذر بشرويل فيما إذا فكر أحد بالاعتداء على الأماكن الإسلامية المقدسة ، وذلك بأن دعونا أعضاء اللجنة إلى زيارة بعض الكنائس المسيحية مثل كنيسة القيامة وبيت لحم وغيرها ، وشاهدوا بأعينهم نتيجة الخلاف بين الطوائف المسيحية نفسها التي سالت من أجله الدماء ، فكيف يكون بالإمكان والحالة هذه التوفيق بين عنصرين متنافرين قد تأصلت بينهما الخصومة الدينية والسياسية وحملهما على الاجتماع للعبادة حول جدار واحد .

إن وضعية الستانيسكو القائمة بين الطوائف المسيحية كانت من أقوى الحجج التي تدعم نظرية المسلمين وتدعو أعضاء اللجنة إلى التفكير العميق في هذا الموضوع الديني السياسي الخطير قبل أن يرموا قراراً بصدده وقد علمت أن أحد أعضاء اللجنة صرح لأحد رجالات العرب قبل سفره : « إن القضية خطيرة جداً أكثر مما كنا تصور » .

(س) ما هو الأثر الذي تركته في نفس معاليكم زيارتكم إلى القطر الفلسطيني ؟

(ج) لقد لفت نظري أثناء وجودي في فلسطين نقطتان : الأولى ملأت نفسي غبطة وحبوراً ، والأخرى ملأها كآبة وأسى . لقد أبهجتني منظر تلك الوحدة الجميلة التي تضم رجال العنصر الكريم مسلمين ومسيحيين وتلك الوجوه المتألثة بعاطفة الإخلاص والنفوس الممتلئة بروح الحمرة والنشاط وانصراف القوم جميعهم إلى

الدفاع عن حقوقهم المقدسة والوقوف ككتلة واحدة في وجه العدو الغاصب والصهيوني الدخيل . والذي أحزنني أن أرى تلك التربة الطيبة والأرض المحببة التي تعد من أحصب بقاع العالم قد أخذت تنساب من أيدي العرب شيئا فشيئا وتنتقل إلى يد الصهيونيين الذين تشد أزرهم الأموال الأجنبية الطائلة وتردهم المساعدات الكبرى من سائر أغنياء اليهود في العالم . أما العرب فمع خصب أراضيهم وجوده تربتهم لا يستطيعون أن يستثمروا تلك الكنوز الدفينة بسبب فقرهم وسوء أحوالهم الاقتصادية وشدة احتياجهم إلى المواد الأساسية للاستفادة من أراضيهم كما يجب .

وفي اعتقادي أن السبيل الوحيد لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية وتقوية عزائم العرب في هذا القطر الشقيق وإنهاض هذه البلاد من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية هو أن يتضافر أغنياء الشرق عموما ، ومصر خصوصا على استملاك الأرض في تلك الأصقاع ، وقد علمت بعد البحث الوافي والاستقراء الدقيق أن ثمن دويم الأرض في فلسطين ، وهو يعادل ربع فدان مصري يتراوح بين جنهين وعشرة جنهات ، ويعطى موردا في العام تبلغ نسبته بسهولة إلى ٣٠ في المئة ، وهذه عملية ناجحة ، وصفقة رابحة كما ترون .

وأنا سأواصل جهودي في هذا الموضوع ، وأدعو من أتوسم فيهم الخير من متمولى مصر إلى الاشتراك في هذا العمل الاقتصادي للضمون وتعزيد هذه الفكرة الرشيدة .

(س) ما هي أقوى الوسائل التي تقترحونها معاليكم لتعزيز الروابط بين الأقطار العربية الشقيقة ؟  
(ج) إن التعاون على تحقيق المشروع الآنف الذكر وإخراجه إلى حيز الوجود مما يقوى الأواصر بين هذه الأقطار الشقيقة ، لا جرم أن المشاريع الاقتصادية والعمرائية يجب أن تتقدم على كل مشروع سواها لأنها دعامة الاستقلال وأساسه .

وهناك مسألة أخرى يجب أن يكون لها الاعتبار الأول في هذا الضمار ، وهو أن نسمى سعيًا حثيثا لانزاع الفكرة الفرعونية من مصر لأنها فكرة عقيمة لا يمكن تحقيقها ؛ ومن الصلحة الأدبية والمناذية لمصر ( كما نوه الدكتور رشيدندر في إحدى خطبه ) أن تهجر عبادة الأحجار اليتية وتستعطف القلوب الحية في الشرق العربي التي جعلت قبلتها مصر لتتال الزعامة الحققة التي هي جديرة بها ، وما دامت شروط الزعامة متوافرة فيها بالنظر لما لها من الموقع الطبيعي والمكانة التاريخية والمقام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فخير بها أن تسير في طليعة الأمم العربية وتحمل لواء ثقافتها وتسمى إلى توثيق الروابط مع هذه الأمم الشقيقة .

ولا أكنم عنكم أننا الآن منحدرون في انحدار خطر مجهول العواقب بسبب اختلاف اللهجات بين الأمم الناطقة بالضاد ، وأخشى كثيرا إذا استمرت هذه الحالة أن يؤدي ذلك في النتيجة إلى إيجاد لغات جديدة كما وقع في اللغات اللاتينية ، وهذا من أفسى مطامع المستعمرين الذين يعملون جهدهم لإفساد لغتنا ، وتقطيع أرواسها والاستعاضة عنها بلغات دخيلة كما هو الحال في بلاد الجزائر حيث تشجع هناك اللغة البربرية وتعلم تعلقا مدرسيا لإحلالها محل اللغة العربية .

وعبثا نحاول الأمم العربية أن تتبوأ مكانها بين الأمم المتعدنية وتقال ما تصبو إليه من حياة استقلالية هنيئة مالم تعمل بادي ذي بدى على تكوين ثقافة خاصة لها وتحفظ بهذه الثقافة كبريات تاريخي خالد وأنامازلت أعلق أكبر الآمال على الأزهر الشريف ، فهو باعتباراه أكبر معهد ديني عربي في العالم الإسلامي قوة لا يستهان بها ، فإذا أمكن إصلاحه وتنظيم شؤونه عاد بالفوائد الجليلة على مصر والبلاد العربية جمعا .

وأرى أن يتكاتف العرب جميعا لوضع معجم عام باللغة العربية على شاكلة القواميس الإنكليزية والفرنسية الكبرى لتوحيد المصطلحات العملية والفنية وغيرها .

(س) مارأيكم في عقد مؤتمر عربي للبحث في هذه الشئون ؟

(ج) أنا لا أعتقد نجاح فكرة المؤتمر في الوقت الحاضر ، وإنما أستصوب تأليف لجنة عامة من كبار مفكرى مصر والشرق تأخذ على عاتقها النظر في إنهاض البلاد العربية وترقية شئونها الاجتماعى والاقتصادى واتخاذ الوسائل المؤدية إلى إيجاد روابط مالية وأدبية بين هذه الأقطار وتوطيد دعائم الألفة والاتصال بينها وإزالة جميع ما يقام بين هذه الأقطار من الحوائل والفوارق التى يمكن التغلب عليها .  
فإذا وفقنا إلى تأليف مثل هذه اللجنة وسعينا لأن تكون متجردة من جميع النزعات الحزبية والصغبات السياسية ونالت عطف أرباب الثراء فى الشرق وتأييدهم المالى أمكننا حينئذ أن نخطو خطوات واسعة نحو الهدف الأسمى .

إن الأمم التى تظلم وتسلب حريتها لا بد أن تستعيد هذه الحرية إن كانت جديرة بها ، فنحن كأمة عربية كبيرة يجب أن نسعى لاستكمال الخصائص والمزايا التى تؤهلنا لنيل الحرية والسعادة والاستقلال انتهى ما أردته من المجلة المذكورة .

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة كيف اجتمعت أمم العرب بل أمم الإسلام لهذه القضية ، وهذا كاف لما قصدناه فى الفصل الخامس .

### الفصل السادس

فى ذكر أمر عظيم إسلامى فى أيامنا هذه

وهو دفن قعيد الإسلام محمد على بفسطين وهذا حادث يعز نظيره فى التاريخ

٢٠٠ ألف يشيعون الجنازة و ١٠٠ ألف يشهدون الصلاة

حفلة التأبين فى المسجد الأقصى

جاء فى جريدة الأهرام يوم السبت ٢٤ يناير سنة ١٩٣١ م ما نصه .

خرجت البلاد الفلسطينية الواقعة على خط السكة الحديدية من القنطرة إلى القدس لتحية رفات القعيد الكبير مولانا محمد على وتعزية شقيقه مولانا شوكت على ونجله مولاي زايد على وحرم القعيد الكريم فكانت كل بلدة تقابل القطار بالتهليل والتكبير قبيل انبثاق الفجر بساعات برغم شدة البرد وكان مولانا شوكت على يشكر لهم تكبيرهم هذه المشاق ويعجى عواطفهم النبيلة ، وفى منتصف الساعة السابعة صباحا ، وصل القطار إلى البلد التى كانت محطتها غاصة بالجمهير من سائر الأنحاء ، واصطف طلبة وطالبات المدارس ورجال الجمعيات بأعلامهم وشاراتهم وكلهم مكبرون مهللون وكذلك فى الرملة وفى سائر المحطات حتى وصل القطار إلى القدس التى احتشد فى محطتها ألوف من المشيعة بينهم فواصل الدول الأوربية ورؤساء الدين المسيحى ، وبالرغم من شدة الزحام ابتداء الموكب سيره فى الساعة العاشرة صباحا ووصل إلى المسجد الأقصى فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر حيث أدى هؤلاء جميعا فريضة الجمعة فى حرم المسجد الأقصى الذى غص بالمصلين وبرغم اتساع جوانبه الفسيحة ضاق بهم ولم يتمكن الكثيرون من أداء الفريضة داخل الساحة العظمى فأدوها فى الشوارع المجاورة للحرم ، وبعد انتهاء الصلاة وقفت الألوف لشهود حفلة التأبين التى لم يمكن

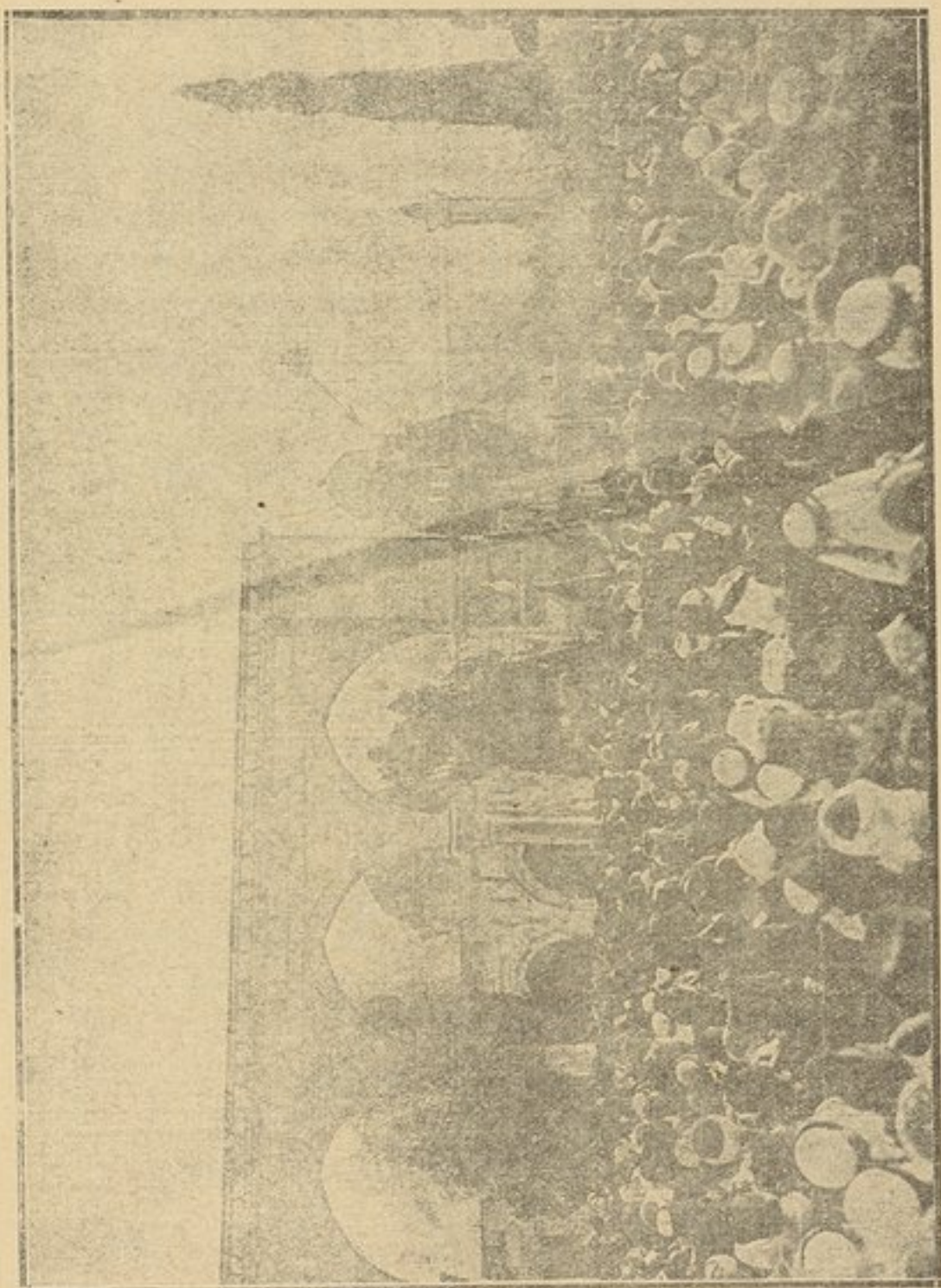
إقامتها في الحرم وضافت بها ساحته الرحبة، وصعد رجال الوفود الإسلامية والمؤمنون على المنبر الأثري المصنوع في عهد المرحوم السلطان قايتباي سلطان مصر مدة حكمة في فلسطين وسوريا وابتدأ سماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس بابتتاح حفلة التأين بكلمة قيمة أسالت العبرات أعرب فيها عن مبلغ الحسارة التي أصابت الشرق وعلى الخصوص الهند وفلسطين، هذه النكبة الصاعدة التي انتزعت بطلا نادرا من أبطال الإسلام، وقام بعده الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز التعمالي نائبا عن شمال أفريقيا، وعلى الخصوص عن وطنه تونس، وهو أقدم الحاضرين عهدا بصداقة الفقيه، وأخذ يتدفق في بلاغته تدفق السيل، وأخيرا بكى فأبكى، وواصل رثاءه فكان ينقل الجمهور من الحسرة المطلقة وأثر النكبة الصاعدة إلى الأمل والرجاء بأن تكون هذه الفاجعة مبدأ عهد جديد للمسلمين يقتدون فيه بالراحل الكريم في حياته الحافلة بالجهود والتضحيات العظيمة.

وقام خطباء مصر يون وغيرهم، ثم ابتدأت حفلة الدفن، فسارت الألوف تلوالألوف إلى القبر الذي أعد للفقيه في خلف آل الخطيب الكرام بالمسجد الأقصى، وجيء بالنعش وقد غطى بغطاء من القطن المنسوج في الهند أعده هنود بور سعيد وفوقه غطاء من الحرير الأخضر الموشى بالقصب، وقد نقشت عليه بعض آيات الكتاب الكريم صنعه سيدات القدس الشريف، وفوقهما قطعة أثرية من الكسوة الشريفة النبوية أهدها سمو الأمير محمد علي لتوضع فوق نعش الفقيه (انظر شكل ٨ وشكل ٩ في صفحة ٢١٥، ٢١٦).

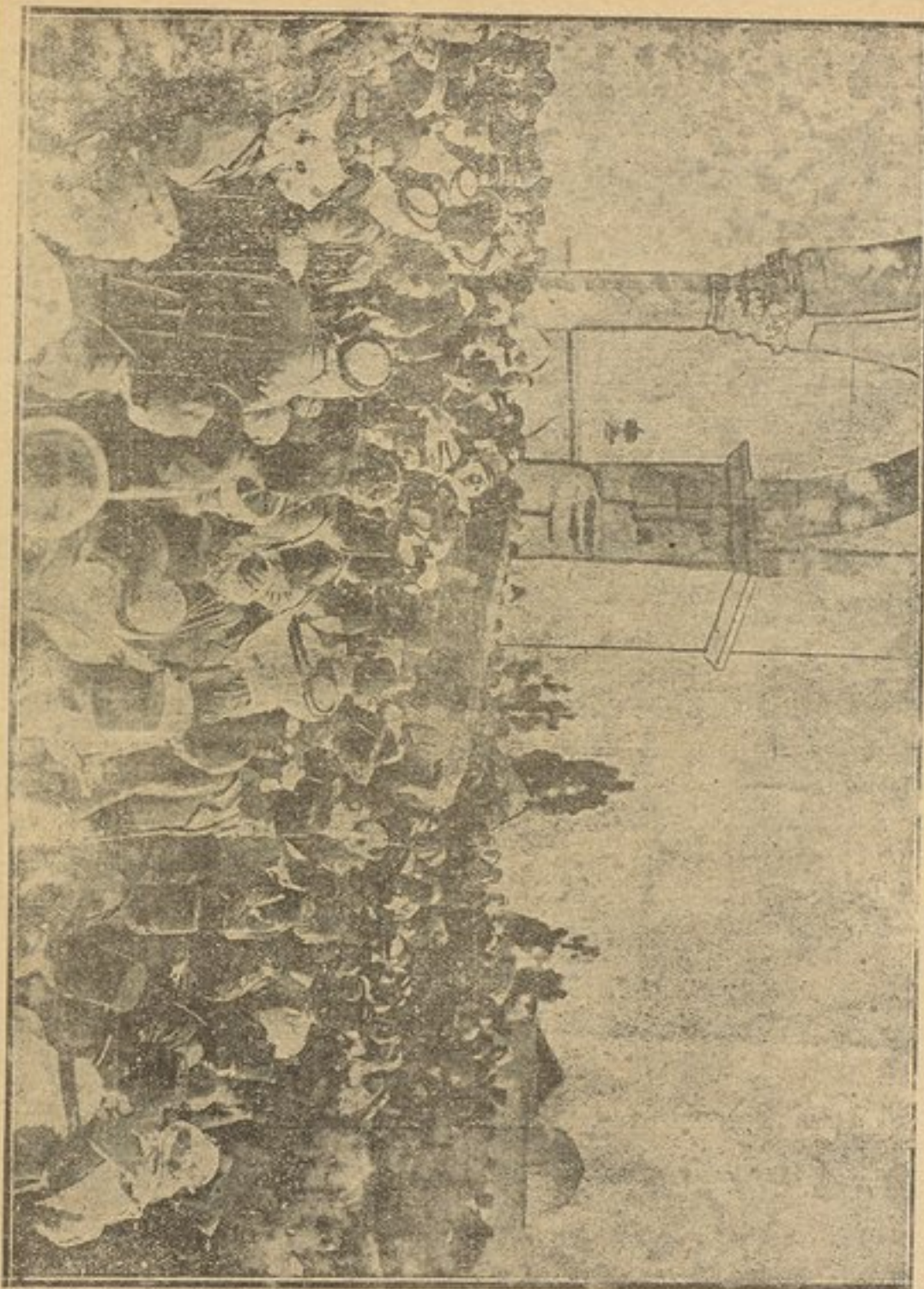
وقد صلى عليه داخل حجرة الدفن فضيلة شيخ المنود في القدس ومولانا شوكت علي ونجله زاهد علي وكرم الفقيه الكريم وفضيلة الأستاذ التفتازاني، ثم ووري التراب بين بكاء الباكين ودعاء الداعين.

وبالجملة فقد شهدت فلسطين مشهداً في جنازته لم يشهده من قبل المعاصرون كثرة وإجلالا وعناية، وكان مولانا شوكت علي يحيب على تعزيات الوفود الإسلامية العديدة بعبارات بليغة بالإنجليزية تترجم إلى العربية، وقد قال أخيراً لأهل فلسطين: «لقد استودعناكم أمن ما نملك، وذلك دليل قيم على حبنا لكم وإخلاصنا في قضيتكم، واهتمامنا بأمركم، نحن معاشر المنود المسلمين المدينين للعرب كافة بإسلامهم ومدنيتهم، وكانت كلماته تقابل بما هي أهل له من الأثر الصالح في النفوس:





(شكل ٨ - مولانا شوکت علی واقفا علی المنبر وحوله عظاماء الإسلام)



( شكل ٩ نعش الزعيم الكبير مولانا محمد علي محمود علي الأكتاف . وخارجا للدفن بعد الصلاة عليه في المسجد الأقصى الذي ضاق على سعته بعشرات الألوف من المسلمين فاضطروا إلى الصلاة في الشوارع المجاورة له )



### بمد يوم محمد على في فلسطين

قال مراسل الأهرام في يوم الأربعاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣١ ما يأتي : « انقضى يوم مولانا محمد على ولكن أحاديث الناس عن هذا اليوم لاتنقضى قبل وقت طويل ، فلم تزل الألسنة تلمح بعظمة هذا اليوم وما لاقاه جهنم الفقيده من الإجلال في الاستقبال والدفن . وقد هالتني ما رأيت من كثرة الناس للتوافدين لزيارة الصريح وقرائة الفأحة والترحم على الضيف الناوي في هذا المكان ، ورأيت كثيراً من النساء البدويات فضلا عن السيدات والعوائل من أهل المدن يزرن محمد على راقدا في صريحه ، وبينما أنا خارج من هذا الجامع فاذا جماعة قادمون صوب الباب ، فبادرنى أحدهم سائلا : هل هذا قبر مولانا محمد على ؟ ثم دخلوا بكل لهفة ، وكذلك تتردد الوفود الفلسطينية على مولانا شوكت لتقدم عزاءه له ، فيجب بأنه ان ينسى هذه الحفاوة الكبرى ، وأن ما شاهده من مشاطرة أهل هذه البلاد له في هذا الحطب العظيم يدل على أن الشعور بالوحدة الشرقية أشد مما كان يتصور ، وقد قال لأحد الوفود : « إن هذا اليوم يوم دفن أخى محمد على في بيت القدس هو بالحقيقة فأحة عهد جديد بين فلسطين والهند .

ويتردد على مولانا شوكت على مكاتب الصحف الأجنبية ويطلبون مقابلته ، ولكن الوقت إلى الآن لم يتسع له هذا ، وقد علمت أن المستر مارتين مكاتب الديبلي تلعرف قابل مولانا شوكت وأخذ منه حديثا أعرب فيه مولانا شوكت عن الواقع الذي حصل في نفسه من ليلة ٢٣ يناير الحالى إلى ساعة للقبالة .

وقد علمت أن مولانا شوكت على قد أبقى إلى جمعية الخلافة في ممباى برقية مسهبة ضمنها صفوة الأخبار التي تصف نقل الفقيه من بور سعيد إلى القدس الشريف ودفنه بجوار المسجد الأقصى . وقد جاء في هذه البرقية العبارات التالية : وضع النعش تجاه الصخرة إلى جهة الجنوب ، وفي الساعة الثانية حتى الرابعة بعد الظهر كان عظماء المؤمنين يتبارون في تأيين محمد على ، وبعد أن فرغوا وقفت وطلبت منهم باسم الاسلام وبحرمة الفقيه أن يقطعوا العهد على نفوسهم أن يكونوا من هذا اليوم عاملين لتكميل العمل الذي بدأ فيه محمد على وثابر عليه بكل توفيق من تجديد الحياة الإسلامية الشرقية .

وقال في هذه البرقية أيضاً ما نصه : إن جهنم أخى محمد على كناية عن منحة مقرونة بروح التواضع تمنح إلى معشر العرب الذين لم يزل العالم مدينا لهم بأعمالهم التي قاموا بها فيما مضى من نشر العرفان والعلوم والدين والحضارة في جميع العالم .

ومن أقوال الأستاذ شوكت على أيضاً ما يأتي : « إن موت أخى في ميدان التضحية للحظة الأخيرة وقد كان مشتغلاً بخدمة الوطن والاسلام أثر تأثيراً عظيماً في الإنكليز ، والموت على مثل هذه الحالة للقرونه بالجهاد يؤثر أكثر من الجهاد في حالة الحياة ، ثم قال : إن موت شقيقى سيؤدى إلى حله مشاكل الهند ويوصل إلى تحقيق رغبات البلاد . وسئل هل ستطرح قرارات مؤتمر لندن على هيئة عامة في الهند؟ نعم سيعقد مؤتمر من مسلمي الهند بعد وصولي ليمسعوامن المندوبين المسلمين في مؤتمر لندن كل ما حدث هناك لتقرر ما رونه ملائماً للوقوف على رأيهم فيما يشيرون به ، ثم يعقد بعد ذلك مؤتمر عام من المسلمين والهندوس . هل أتم متفائلون ؟ نعم إنى متفائل ، وما يدل على ذلك أن المسلمين بحمد الله يد واحدة وقوة متحدة » .

ثم قال : « إنى مسرور لأن مؤتمر لندن أعطاني فرصة للتحقق من أن الإنكليز يرغبون رغبة أكيدة في انتهاج سياسة مبنية على حسن التفاهم وإصلاح ذات البين بينهم وبين الهند ومصر ، وإعطاء الشرقيين القسط الواجب من الاحترام » اهـ .

لما رسمت هذه الصور واطلع عليها صديقي العالم . قال : إن لي اعتراضاً على رسم هذه الصور في التفسير إن عادتك جرت في هذا التفسير أن لا ترسم إلا ما يفيد فائدة طبيعية من صنع الخالق عز وجل . أما هنا فأراك خالفت عادتك . قلت : نعم ، ألا ترى رعاك الله أن هذه حادثة يعز نظيرها في التاريخ ، ألم تر كيف أقدم الأستاذ شوكت على دفن أخيه في البلاد العربية المقدسة ، وهذا حادث لم أجد له نظيراً من قبل ، بل إنني لم أرا بطة بين المسلمين توطدت مثل هذه ، إن تاريخ المسيحيين شاهد أنهم كانوا أقوى اتحاداً من المسلمين كما تقدم ، ولكن اليوم جاء دفن المولى محمد على ببلاد العرب دليلاً على ارتباط مسلمي الهند وهم ٧٠ مليوناً بمسلمي الأمم العربية . فإذا قالت إنك ترا هذا وطن يهودى قال الهنود نحن مع إخواننا وقد دفنا أحد عظائنا فيه ، وهل في زماننا معجزة قرآنية أعظم من هذه ، وهل أنا رسمت النمش في التفسير إلا لأنه أبرز لنا معجزة نبوة ، ألا ترى إلى ما قاله الأستاذ المولى شوكت على : « إن جنان أخى محمد على كناية عن منحة مقرونة بروح التواضع تمنح إلى معشر العرب الذين لم يزل العالم مديناتهم بأعمالهم التي قاموا بها فيما مضى من نشر العرفان والعلوم والدين والحضارة في جميع العالم » اهـ

إن هذا القول لم يصدر من أمة من أمم الترك أو الفرس فانترك هدموا ممالك العرب هدموا وأذلومهم وقدماء الفرس من قبلهم فنكسوا فتكاسيا بالأمم العربية وهم مسلمون ، ولكن أهل الهند بهذا العمل الجيد قد أفهمونا معنى قوله تعالى هنا « وإنه لذكر لك ولقومك » .

أصبحت الهند وأبناء العرب اليوم صفاوا أحدا في مقابلة من يمتدى على بيت المقدس أو بلاد فلسطين ، فهذا مصداق لهذه الآية ونور من أنوار النبوة المحمدية والمحمد لله رب العالمين . انتهى الفصل السادس .

### الفصل السابع

في اتحاد المسلمين اليوم على فرنسا إذ أشيع أنها تنصر البربر ، وتشجع النصرانية في تونس ، وذلك في مقالين : المقال الأول وهو ما جاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٠ بعنوان « نداء إلى ملوك الإسلام وشعوبه جميعها » . المقال الثانى وهو ما جاء في جريدة « كوكب الشرق » تحت عنوان « ظاهرة عجيبة » وهاك نصهما :

#### نداء إلى ملوك الإسلام وشعوبه جميعاً

وإلى علماء الحرمين الشريفين ، ورجال المعاهد الإسلامية من أعلام الأزهر وملحقائه في المملكة الإسلامية ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامع القرويين في فاس ، ومعهد ديوبند في الهند ، ومعهد النجف في العراق ، وإلى الجمعيات الإسلامية في أنحاء الأرض ، ولا سيما جمعيات الهند : جمعية الخلافة في بمبائى ، وجمعية العلماء في دلهى ، وجمعية أهل الحديث في دلهى ، وجمعيات أندونيسيا : اتحاد إسلام في سومطرة ، وشركة إسلام في جاوه ، والجمعية المحمدية في جكجا كرتنا ، وإلى المسجد الإسلامى الأعلى في القدس ، والمسجد الإسلامى الأعلى في بيروت ، وإلى جمعية رقى الإسلام في الصين ، وإلى الصحف الشرقية على اختلاف لغاتها ولهجاتها

إن أمة البربر التي اهتدت بالإسلام منذ العصر الأول والتي طالما اعتمد عليها الإسلام في فتوحه وانتشاره وطالما استند إليها مستنجداً أو مدافعاً في خطوبه العلمى ، هذه الأمة التي سارت مع طارق إلى أسبانيا ثم

مع عبد الرحمن العوفي ومع أسد بن الفرات إلى صقلية ، هذه الأمة التي كانت منها دولنا المرابطيين والموحدين فكانت لها في تاريخ الإسلام أيام غراء مجيدة ، هذه الأمة التي ظهر منها العلماء الأعلام ، والنادة العظام ، والتي لرجالها في المكتبة الإسلامية المؤلفات الخالدة إلى يوم الدين ، هذه الأمة التي تبلغ في المغرب الأقصى وحده أكثر من سبعة ملايين نسمة تريد دولة فرنسا الآن إخراجها برمها من حظيرة الإسلام بنظام غريب تقوم به سلطة عسكرية قاهرة متهنئة به حرية الوجدان ، ومعتدية على قدسية الإيمان ، بما لم يهدله نظير في التاريخ .

لقد وردت على مصر كتب من الثقافات في المغرب الأقصى. نذكر أن فرنسا قدما استصدرت ظهيرا سلطانيا تاريخه ١٧ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هـ ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ م ونشرت الجريدة الرسمية في المغرب بعددها رقم ٩١٩ تنازل فيه سلطان المغرب لها عن الإشراف على الأمور الدينية لأمة البربر ، وأن فرنسا قد بدأت الفعل في تنفيذ ذلك الظهور ، فقامت السلطة العسكرية في المغرب الأقصى تحول بين ثلاثة أرباع السكان وبين القرآن الذي كانت به حياتهم مدة ثلاثة عشر قرنا ، فأبطلوا المدارس القرآنية ووضعوا قلوب أطفال هذه اللاميين وعقولهم في أيدي أكثر من ألف مبشر كاثوليكي بين رهبان وراهبات يدبرون مدارس تبشيرية للبين والبنات ، وأقبلوا جميع المحاكم الشرعية التي كانت في تلك الديار ، وأجبروا هذه اللاميين من المسلمين على أن يتحاكموا في أنسكهم وموارثهم وسائر أحوالهم الشخصية إلى قانون جديد سنوه لهم وأخذوه من عادات البربر التي كانت لهم في جاهلهم وهي عادات لا تتفق مع الحضارة ولا تلائم مستوى الإنسانية ، وحسبنا مثلا على اعطاطها وقبحها أنها تعتبر الزوجة مناعا يعار ويبيع ، وتورث ولا ترث ، وأنها تجوز للرجل أن يتزوج ماشاء كيف شاء ولو أخته فمن عداها في وقت واحد ، وإن قانونا كهذا القانون يسن للمسلمين مخالفا للإسلام ، يعد من رضى به مرتدا عن الإسلام بإجماع علماء المسلمين .

إن فرنسا التي تبث الدعاية في أمم الأرض بأنها أمة الحرية قد أجبرت رجال حكومة المغرب المسلمين على أن يتروكوا دينهم بتنازلهم عمال للسلطان من الحق في إقامة أحكام الشرع الإسلامي بين رعاياه من قبائل البربر وجماهيرهم والاعتراف لحكومة الحماية الفرنسية بأنها صارت صاحبة التصرف في دينهم وأمورهم التشريعية والتهديبية وهو ما لا تملك تلك الحكومة الحق في التنازل عنه ، ومنذ استصدر الفرنسيون ظهيرا (مرسوما) من سلطان المغرب بهذا التنازل اعتبروا جميع المدارس القرآنية ملغاة ، وجميع المبادات الإسلامية معطلة ، ووكالوا أمر تعليم أطفال المسلمين إلى الرهبان توطئة لتتصير هذه الأمة عقيدة وعبادة وعملا ، وحالوا بين جميع مناطق البربر وبين علماء المسلمين ورؤسائهم فلا يتصل بها أحد منهم .

أبها المسلمون : قد أجمع علماءكم من جميع المذاهب على أن من رضى بارتداد مسلم عن دينه يكون مرتدا برضاه عن ذلك ، فيجب على جماعات المسلمين وطوائفهم وجمياتهم وأفرادهم أن يرفقوا أصواتهم بالاحتجاج على هذا العمل المنكر القبيح بكل مافي وسعهم كل يحسب ما يليق به ، فإذا لم ينفع الاحتجاج فكر المسلمون في الوسائل المجدية ، وإن في وسعكم أبها المسلمون أن تجبروا دولة فرنسا على احترام إسلام هذا الشعب الكبير وتركة يتمتع بحريته الدينية والوجدانية ، لأن حرية الدين والوجدان حق من حقوق الإنسان يجب على الإنسانية حمايته من عبث العابثين واعتداء المعتدين .

لقد سلكت دولة فرنسا مع إخواننا مسلمي المغرب سيلا غير سبيل الرفق والنصح ، فجردتهم من وسائل النهوض وحالت بينهم وبين التعليم الصحيح ، وأنتقت أموال أوقافهم الإسلامية في ضد ما وقتت له واختصتهم بشر النصيبين في كل ما اتصل به مصالح الوطنيين والأحباب ، وأن في المسلمين من كان يعرف هذا ويتغاضى

عنه إلى حين رجاء أن يجعل الله لأهل المغرب فرجا من عنده ، ولكن امتداد يد السلطة القاهرة في المغرب إلى دين الإسلام واعتداؤها على حرية العقيدة والعبادة قد أوصل هذا العدوان إلى الحد الذي ليس بعده حد حقيق على كل مسلم أن يبادر إلى إنكار هذا المنكر بكل وسيلة يستطيعها .

يجب أن تعلم فرنسا أن الإسلام لم يمت ، وأن المسلمين قد استيقظوا وصار بعضهم يشعر بما يصيب البعض الآخر من اضطهاد في دينه ودينه ، وأن بناء مسجد في باريس تؤخذ باسمه ملايين الفرنكات من أوقاف الحرمين الشريفين وملايين أخرى من الإعانات الجبرية من جميع مسلمي أفريقيا مع إعانات أخرى من سائر العالم الإسلامي لا يمكن لفرنسا أن تجعله حجة على حرية الإسلام ومودة المسلمين في مملكتها ( التي تسميها أحيانا إسلامية ) مع هذا الجرم الفظيع الذي شرعت فيه أخيرا وظنت أنها تتنزع به بضعة ملايين من حظيرة الإسلام بنظام تنفذه قوة عسكرية قاهرة .

إن فرنسا إذا لم ترجع عن هذه الجريمة فإن العالم الإسلامي يعتبر ذلك مجاهرة منها بعداوته ، وسيعان ذلك على منابر المساجد ، وعلى صفحات المجلات والجرائد ، وفي حلقات الدروس الدينية وفي نظم الجمعيات الإسلامية . لقد حان حين امتحان أحرار أوروبا فيما يدعون من الانتصار لحرية العقيدة والوجدان ، حتى لقد رضوا بكثير من المنكرات التي يعترفون أنها منكرات ، وذلك حرصا منهم على بقاء الحرية طليقة من قيودها ، وإن أقدس الحريات حرية الوجدان والاعتقاد ، وأسوأ ما أصيبت به هذه الحرية في هذا العصر محاولة فرنسا أن تحول المغرب الأقصى عن إسلامه إلى النصرانية أو ما شاءت أن تحوله إليه .

لقد سمعنا صوت أوروبا حكوماتها وشعوبها يرتفع عاليا باستنكار ما فعلته روسيا البولشفية من إقفالها بعض المعابد مع أن يد البولشفيك الحديدية إنما امتدت إلى الحجارة والطوب ولم تمتد إلى النفوس والقلوب فالعالم الإسلامي ينتظر من أوروبا التي احتجت إلى عمل السوفيت في السكنايس أن تقول لفرنسا كلتها الصريحة في عدوانها على دين الإسلام في المغرب الأقصى ومنها سبعة ملايين من البشر منعنا رسميا مؤيدا بالسياسة والجيش من أن يسكنوا إلى دينهم وأن يتصلوا بإخوانهم المسلمين اتصالا روحيا بظمئون إليه ويرتاحون له .

فيا أيها المسلمون : إن دينكم مهدد بالزوال من الأرض ، فإن فرنسا إذا أمكنتها تنفيذ مشروعها هذا في المغرب فستحذو حذوها جميع دول أوروبا في الشرق ، وقد حكم عليكم في هذه الحال بذل أنفسكم وأموالكم في سبيل الدفاع عن دينكم ، فما الذي يمنعكم عن الدفاع عنه والله تعالى يقول : « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » ويقول : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ويقول « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ويقول « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وبلى ذلك الإمضاءات .

## ظاهرة عجيبة

من ظواهر التبشير الديني في تونس

حديث اليوم . الشعور العام نحو المؤتمر الإنفارسى . الإضراب عن العمل . مظاهرة الطلبة . عرائض من الشعب للباى والأعضاء المسلمين . نشاط البوليس واهتمام الحكومة اعتقال ٢٥ طالبا

جاء من مراسل كوكب الشرق في تونس يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٣٠ ما يأتى :

لعل القراء يعلمون أن المؤتمر الإنفارسى الذى يعقد في كل عامين لحج الرهبان والكانوليك عامة ولأمور أخرى قد قرر اجتماعه في هذه الدورة بتونس ، وهذه أول بلاد إسلامية يعقد فيها مؤتمر مسيحي ، وقد حاولت الحكومة التى أشرفت عليه إخفاء حقيقة صبغته والتجويه على الناس بأنه حج مسيحي لادخل فيه لجرح العواطف ومس العقائد ، غير أن أسقف قرطاجنة (متسنورلوميتير) أعرب عن الصبغة الحقيقية للمؤتمر وقال في إحدى خطبه : « إن هذا المؤتمر هو عبارة عن حملة صليبية جديدة نحو تحقيق فكرة سانلوى (لويس التاسع) والكردينال فيجرى » .

وقد زادت الحكومة الفرنسية أن قررت أخذ مليونين من الميزانية التونسية (رغم أنف المجلس الكبير) وخمسة ملايين من إدارة الأشغال العامة التونسية ونصف مليون من البلدية التونسية وعشرات ألوف من إدارة أوقاف المسلمين ، كل ذلك لتصرفها على المؤتمر الذى هو حملة صليبية ، وقد قدر واغضب الشعب واستياءه من هذا العمل المخرج ، ولكي يتخلصوا من ذلك الغضب وتكون الضربة متمكنة ، ولكي ينفذوا شيئاً من برنامج سياستهم التى اتخذوها بهذه البلاد وهى إيجاد الشقاق بين الأمة والعرش أى بين الشعب وملكه فقرروا أن يكون للمؤتمر تحت رئاسة الباي أحمد الثانى ، وبعضوية شيخ الإسلام ، والباين مفتى ، والوزراء المسلمين وشيخ المدينة التى قدم لهم خدمات حمة في الموضوع ، وشقيق رئيس الحجرية التجارية الأهلية ، وعضو المجلس الكبير ، ومحمد يس رمضان عضو المجلس الكبير وغيرهم من الدوات .

واستاءت الأمة وقررت الإضراب عن العمل احتجاجاً على وجود المؤتمر بصيغته هذه وعلى الملايين المقدمة لقوم يريدون أن يقوموا بحملة ضد الدين الإسلامى الذى هو دين الأمة العزيز عليها ، وأصبح يوم السبت ٣ مايو يوم إضراب ، فاستعملت الحكومة القوة لمنع ، وأخذ البوليس كل طرق الشدة والصرامة في ذلك . وقام جميع طلبة المعاهد بإضراب عام عن التعليم ، وفي الغد تظاهروا واشتد غضب الحكومة وتدخل البوليس فانهال على المتظاهرين بالضرب حتى وقعت جروح لبعض وشاهدت البوليس يضرب الناس بالبسكيت من غير رحمة ولا شفقة إلا أن الطلبة أعادوا المظاهرة في الغد (يوم الاثنين) وجابوا شوارع باب البحر والبوليس يعتقل ويفرق ولم يرحم ، وظل الطلبة متظاهرين من الساعة الثالثة ونصف إلى الساعة السادسة ينادون بحياة الاسلام وسقوط المؤتمر الإنفارسى ، وقدمت عرائض ممضاة من كافة الأمة إلى الباي والدوات المسلمين الذين قبلوا عضوية المؤتمر تطلب منهم الانسحاب من المؤتمر واعتقل البوليس خمسة من الوطنيين و٢٥ من الطلبة ، والحكومة هاهنا متخوفة من العواقب الوخيمة التى يفضى إليها هذا العمل الجارح الذى أرادت أن تقوم به في القرن العشرين . هذا ، وإن الحزب الاشتراكي معاضد للأمة التونسية في احتجاجها .

وقد سمي لدى المراجع العليا لإطلاق سراح المعتقلين كما سعى الطبقة في ذلك مع زعماء الحزب الدستوري ، وقد أطلق سراح الكثير منهم بفضل مساعي الحزب الدستوري ورجاله ، والخواطر لا تزال مضطربة ولا يزال مرأى الألف راهب يثير الحماس والغضب . وإلى هنا تم الكلام على الفصل السابع من اللطيفة الأولى ، والحمد لله رب العالمين .

### اللطيفة الثانية

في قوله تعالى : «والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون . والذي خلق الأزواج كلها » مع آيات أخرى في سور كثيرة كقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ، إلى آخر ما في سورة الزمر من شرح الصدر للإسلام إذ يقول تعالى : « أفمن شرح الله صدره للإسلام » الخ

جاء في هذه الآيات إنزال الماء ، وإخراج الزرع ، ثم شرح الصدر للإسلام ، وأن القرآن أحسن الحديث في (سورة الزمر) وهنا مجال لفهم زرع مختلف الألوان نابت بسبب الماء ، وانسراح صدر للإسلام ، وكون القرآن أحسن الحديث ، فلعمري أي مناسبة بين الزرع والماء الذي يشربه وبين انسراح الصدر للإسلام ، ثم كون القرآن أحسن الحديث ، ولما كتبت هذا حضر العالم صديقي الذي اعتاد الحديث معي في مثل هذا المقام ، فقال بعد أن قرأ ما ذكرته الآن : حقيقة إن المناسبة تسكاد تكون بعيدة الشقة بين الأول والثاني ، أما بين الثاني والثالث فالمناسبة ظاهرة لأن الثالث سبب في الثاني فهو من ذكر السبب بعد المسبب لأن من قرأ أحسن الحديث ينشرح صدره لما فيه من المعاني . أما المناسبة بين الأول والثاني فهي التي تحتاج إلى بيان . فقلت : لقد جاء الكلام على النبات في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، ولقد ظهرت عجائب في (سورة النحل) في آية « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » وفي غيرها ، مثل إن الجذور وتدبة وليمة ودرنية ، وهناك مباحث أخرى ، هكذا في (سورة السجدة) عجائب من النبات في صوره الظاهرة وعجائب تركيبه من الداخل ، وبيان أن النخل له في تركيبه صورة أخرى تخالف جميع الأشجار وإذا رأينا الله عز وجل يكرر ذلك الشيء الواحد في مواضع كثيرة في القرآن فهذا معناه أن نذكر الحكمة مفرقة لا مجتمعمة (وبعبارة أخرى) يستحسن أن تفرق عجائب النبات على الآيات فإن قراءة علم النبات بصفة علم لا يشعر في النفس بهجة كالتى يشعرها ما يصنع في أمثال هذا التفسير بحيث يصطفي من أسنان النبات ما يثير في النفس بهجة وترسم أشكاله ويشرح شرحا يشرح الصدر وبهجة النفس ؛ فالقرآن ليس كتابا علميا بالمعنى للتعارف . فالكتب العلمية تصد منها نفس العلوم ، والعلوم شيء ، والوعظ والاستدلال والتأثير في النفوس شيء آخر . وفرق بين خزن الحب في مخزن وبين إعداد الطعام للجائع . فالعلوم في حد ذاتها كالتحازن واقتطاف شيء منها في مواضع متفرقة من القرآن شيء آخر . فليس المقصود من آيات القرآن أن تدرس العلوم المتعلقة بها دفعة واحدة في تفسيرها بل تقتطف اقتطافا . ولمعنى إن الناس يعرفون الفرق بين روضة ذات أزهار وبين باقة من الأزهار تهدي للزائرين . إن الروضة لا تهدي ولكن الباقة تهدي وتشم وتأتي بالفرض المقصود من الاكرام : هكذا يجب أن يهدي لقارى الآيات المختلفة زهرات العلوم . ويجب أن تنوع تلك الأزهار على مختلف الآيات كما تنوع المضيف لضيفه أنواع المأكول والمشروب والمشعوم في اختلاف

الحالات . إن النمس لتسام من التماذي في طعام واحد ، ومن التماذي في حديث واحد ، لذلك نجد القرآن نوع الحديث ، وجعل النبات الذي يحض عليه مفرقا على السور تملأها للفسرين أن يفرقوا عجائب النبات على مختلف الآيات وبصوروا محاسن أشكاله لينشرح الصدر للإسلام بما يرى من الجمال البديع ، وذلك بما يؤثر في نفسه من مختلف الأشكال في الأحوال المختلفة ؛ وهنا استبان أمران : انشراح الصدر للإسلام بمباهج الصور ، وكيف كان القرآن أحسن الحديث ، لأنه حديث ذو شجون لا يسأم الإنسان منه للتفتن في ترتيب الآيات .

فهاك ما يسهج من علم النبات ومن صورته البديعة الحسنة ، إذا قلنا في (سورة النخل) إن الجذور ثلاثة أقسام ، ورأيت رسمها وشرحتها هناك فلنذكر هنا الجذور التي لا تنشأ من الجذر الأصلي بل من الساق وتسمى الجذور العرضية (انظر شكل ١٠) ومثلها الجذور التي تشاهد على الساق الزاحفة للشليك ، والجذور العرضية شائعة على الأكثر في ذوات الفلقة الواحدة كالتفلة والقمح فإن الجذر الأصلي لهذه النباتات يموت بعد الإنبات بقليل ، وتنشأ بدلا منه جذور عرضية على قاعدة الساق ، وتتكون الجذور



(شكل ١٠ الجذور العرضية)

العرضية في بعض النباتات بمجرد ملامسة الساق للماء أو التربة الرطبة . ويستفاد من هذه الخاصية عمليا في تطبيقات عديدة كترقيد النباتات وتقصيب القمح الخ ، ففي الترقيد يحقن فرع من ساق النبات (شكل ١١) ويدفن في الأرض فلانبت الجذور العرضية أن تتكون على هذا الفرع فيصبح نباتا جديدا يمكن فصله من النبات الأصلي ، وتلك وسيلة لكثير النبات كما سترى فيما بعد ، وتقصيب القمح يكون بإمرار عجلة أسطوانية على القمح وهو حديث تتميل السوق على الأرض وتثبت عليها جذور عرضية تزيد في تغذية النبات فيترتب على ذلك وفرة العلة .



(شكل ١١)

ترقيد الكرمة

كما قرأ صاحب هذا القول واطاع على هذين الشكابين . قال : إن الجذور العرضية للشليك (شكل ١٠ المتقدم) وترقيد الكرمة (شكل ١١ المتقدم) لم يخرج عن كونها أمرين اعتياديين ، فكل من الجذور الوتدية في القطن مثلا ، والجذور الليقية في محو القمح ، والجذور الدرنية في نحو الجزر . والجذور العرضية في نحو الشليك ، والجذور الترقيدية في نحو العنب ، كل هذه لم تخرج عن كونها مدفونة في الأرض وقد وافقتها الرطوبة والمواد الأرضية ، غاية الأمر أن الساق امتدت منها الجذور في الشكابين السابقين على خلاف المعتاد في الجذور الأصلية ولكن الدفن في التربة هو السبب في ذلك ، فليس أمرا غريبا . قلت : حياك الله ، إن الأرض والدفن فيها ليسا شرطا في امتداد الجذور . فقال : « هاتوا برهانكم إن كنتم صدقين » . قلت :



(شكل ١٢ - الجذور الهوائية)

### الجذور الهوائية

قد تنشأ الجذور على سوق بعض الأشجار كالفيكوس البنغالي (انظر شكل ١٢) فتتعدى مدلات في الهواء حتى تصل إلى الأرض فتعمرس فيها وتعرف هذه الجذور بالجذور الهوائية وتتكون مغطاة بنسبج ضارب إلى السمرة يحفظها من أن تجف في الهواء ، ومن أهم وظائفها أنها تكون بمثابة دعامة للغصون الأفقية .

فقال : هذا حسن ولكن لا يزال في النفس شيء ، إذا انجذرت الجذور من الأعلى إلى الأسفل في الهواء واستغنت عن الطين وارتفعت في أشجار كالفيكوس البنغالي عن أمثال القطن والجزر والقمح ، فهي جميعها تنجته من أعلى إلى أسفل ، وهذا أمر طبيعي عام ، والتجربة الآتية شاهدة بذلك .

### اتجاه الجذور



يتجه الجذر الأصلي على العموم اتجاه رأسها رأسياً من أعلى إلى أسفل لإظهار ذلك تأخذ بادرة في طور النمو وتضع الجذر وضعاً أفقياً ( شكل ١٣ )  
 قري طرفه ينحني رأسياً إلى أسفل ، وإذا ثبتنا بادرة على قطعة من القلين بحيث يكون الجذر إلى أعلى والساق إلى أسفل ( شكل ١٤ ) نشاهد في اليوم التالي أن الجذر ينثني إلى أسفل والساق إلى أعلى .

فقال صاحبي : هذا حسن فقد عرفنا أننا إذا وضعنا الجذر وضعاً أفقياً كما في ( شكل ١٣ ) أو وضعاً منكوساً معكوساً كما في ( شكل ١٤ ) فإن الجذر يتجه إلى أسفل دائماً ، ولكن ربما يخاطر لبعض الناس أن هذا الجذر إنما يتجه إلى أسفل دائماً فراراً من النور أو طلباً للرطوبة الأرض . فقلت :



« إذا بذرنا بذوراً في أصيص ثم ينكس الأصيص ( انظر شكل ١٥ ) بعد أن توضع على حافته شبكة سلكية تمنع سقوط التربة منه فيرى أن الجذر ينمو رأسياً من أعلى إلى أسفل وهو في هذه الحالة لا يجتنب الضوء ولا يتجه نحو البيئة الرطبة .  
 فقال صاحبي : لقد استبان هذا الموضوع وظهر ظهوراً واضحاً ولكن بماذا يسمى العلماء هذا الليل ، فقات بسمونه ( الانحناء الأرضي ) وقالوا إن هذه ليست من الجاذبية العامة ، وما هذه التسمية إلا مجرد الاصطلاح . فقال صاحبي : هذا حسن وبه نعرف قول الله تعالى « والذى قدر فهدى » وقوله « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

( شكل ١٥ )  
 تجرئة الأصيص المنكس



( شكل ١٦ ) الانتشار  
 الفشائي ( م م ماء نق :  
 غ غشاء ، شر شراب )

فقال صاحبي : عرفنا أن النبات يتجه دائماً جذره إلى الأرض وإن هذا أمر جديد لم يكن في طبائع الأشياء ، ولكني أرى أن امتصاص الجذور للمواد التي حولها يشبه كل المشابهة امتصاص اللثانة ( في التجربة الآتية ) للماء النقي حولها ، وذلك أننا نأخذ بأنبوبة مسدودة في أحد طرفيها قطعة من مشاة ونصب فيها محلولاً سكرياً يسميها ثم نغمر الأنبوبة رأسية في إناء يحتوي على ماء نقي ( شكل ١٦ ) بحيث يكون المحلول السكري على سمت الماء الخارجي وندعها كذلك زمناً ما فنلاحظ أن سمت المحلول السكري قد ارتفع في الأنبوبة من ( أ ) إلى ( ب ) كما نلاحظ أن ماء الإناء الخارجي يحتوي على قليل من السكر ، وبدل ذلك على أن مقداراً من الماء النقي قد تقدم من اللثانة إلى داخل الأنبوبة ، وأن بعضاً من المحلول السكري قد نفذ إلى الإناء الخارجي غير أن تسرب الماء إلى داخل الأنبوبة كان أسرع من تسرب المحلول إلى الخارج فانتشار السوائل والمحاليل خلال الأغشية على هذه الصورة يعرف بالأمموز أو الانتشار الفشائي ، والضغط الذي حدث في الأنبوبة فرفع سمت المحلول يعرف بالضغط



الانتشاري ، إذن ينفذ الماء والمواد الذائبة فيه من جدران الشعيرات الجذرية بالانتشار العشائي ثم يندفع إلى أعلى بالضغط الانتشاري .

إذن الجذور في النبات كهذه الثلاثة سواء بسواء ، فهي تمتص من الخارج إلى الداخل وترسل من الداخل إلى الخارج . إذن هذا أمر طبيعي معروف ، فإذا وضعنا قطعة من السكر في ماء رأيناها امتصت الماء ، فعلا فيها أمام أعيننا ورأينا الماء حولها قد وصله شيء من حلالة السكر ، ولكن الماء الداخل في قطعة السكر أكثر مما فقدته السكر في أول الأمر ، ثم تنعكس الحال بعد ذلك . فقلت : إن الجذور ليست كذلك إنما تأخذ ولا تعطى .



(شكل ١٧)



(شكل ١٨)

امتصاص المواد الصلبة

إن الانتشار العشائي في الأنسجة الحية يختلف عنه في الأنسجة غير الحية ، لذلك لا تسمح الشعيرات الجذرية بمرور السكر وغيره من المواد التي في داخل الخلايا إلى الخارج ، ولإظهار أثر الضغط الانتشاري في رفع العصارة النسيئة إلى أعلى تعمل التجربة المعروفة بتجربة ( هاتز ) :

« تقطع ساق شجرة بمقربة من الأرض ويثبت على الجذع أنبوبة زجاجية تجعل رأسية ( انظر شكل ١٧ ) فيعد مدة ما يندفع في الأنبوبة سائل رائق ضارب إلى الصفرة إن هو إلا العصارة النسيئة .

وليس قدرة الشعيرات الجذرية مقصورة على امتصاص السائل والمواد الغذائية الذائبة فيها بل إنها قادرة أيضا على امتصاص المواد الصلبة فإذا وضعنا رملارطبا على قطعة ملاء من الرخام وبذرنا فيه بعض البذور ( انظر شكل ١٨ ) نشاهد بعد الانبات أن الموضع من الرخام اللاصقة للشعيرات متآكلة ، ذلك لأنها تفرز في مثل هذه الأحوال سائلا يذيب هذه المواد الصلبة ، ثم بعدئذ يحدث الامتصاص .

ويقوم الجذر عدا وظيفة الامتصاص بوظائف أخرى ، فهو يثبت النبات في الأرض ، وكلما كان الجذر أكثر تعمقا وضرعا كان النبات أكثر ثباتا وأشد مقاومة لفعل الرياح والمنطقة الخاصة بالثبيت هي الأقرب إلى الساق وهي خالية من الشعيرات وبشرتها غير ماصة . والجذر يقابل الغازات مع الأرض لأنه يتنفس ككل الأجزاء الحية من النبات ، وربما مات النبات إذا لم يجد الجذر مددا كافيا من الأكسجين ، لهذا كان من الضروري تسهيل دخول الهواء إلى الجذر ويتوصل إلى ذلك بحرث الأرض وعزقها ، ويستخدم الجذر لادخار المواد الغذائية التي يستهلكها النبات عند التزهير كما يشاهد في جذور البنجر واللفت الخ .

فقال صاحبي : هذا عجب ؟ فإن إفراز الشعيرات التي في الجذر للسوائل وإذابتها المواد الصلبة من أعجب العجب ، وهي في هذا أشبهت الإنسان والحيوان ، إذ لنا جميعاً غدد لعابية في أفواهنا ، ولنا سوائل أخرى مثل ( البنكرياس ) في المعدة ، وكل هذه لمضم الطعام ، ولنا غدد تفرز لبن المرأة لولدها ، ولنا المرأة الصفراء التي بجانب الكبد تفرز تلك المادة فتكون سيبا في منافع صحية ، وهكذا هنا السكيتان ليتجه الماء إليهما فينزل في الحالبين ، فإذا النبات عنده وظائف كالوظائف عند الحيوان ، وإفرازه سوائل خاصة يحدث تفتتا في الحسوات ، وعلى ذلك تهدم الجذور المباني العظيمة بنفس الإفراز لا بالضغط الذي يفعله الثلج إذا جمد في الحسوات .

في باطن الكهوف فإن الماء إذا برد في باطن الجبال كسرها لأن الثلج أكبر حجما من الماء الذي صار ثلجا فيكسر ذلك الثلج ما فوقه من الأحجار فتظهر العيون ، فظهور العيون في الجبال إنما يكون بضغط الثلج على الأحجار أما ذوبان الحجارة والحصى وحببات الرمل ودخولها في جسم النبات فلن يكون بالضغط والتكسير وإنما يكون بأعمال كيميائية وهي التحليل والتركيب فتحلل الجذور تلك العناصر الصلبة في الحال وتدخلها أجسامها وهناك تركيب كيميائي جديدا ، وهذا هو الرقي الذي وضعه الله في أرضنا وجعله درسا لنا ، فهو يقول : الضغط الجسمي شأن الجهاد ، فتعلم الناس العلم بالضغط والأذى ، وإرغامهم على العمل لمصلحة الدين استعمروا بلادهم وإنما هو شأن الأمم الذين لم يخرجوا عن أعمال الجهاد ، فلاحياة لهم إلا الحياة الجامدة وهل الرجل الذي يسخر غيره لمنفعته هو إلا كالثلج ضغط على الحجر فكسره ، فأما الأمم التي هي أرقى فإنها تعلم الشعب تعلمنا نافعاً وتنقله من حال الصلابة والهمجية إلى حال العلم والحسنة ، فترجع سهلة القبول للرقى وتكون الأمم إذ ذاك أشبه بتلك المواد المفتتة من الحصى وقد حصلت في جسم النبات فصارت زهرا باهرا ، وورقا ناصرا ، وتمرا نافعاً للناس ، هذا هو صراط الله المستقيم أن يعلم الناس قاطبة فيكونون أشبه بأمة واحدة لا أن يساموا الحسف كما يفعل الثلج في الجبال فيكسرها ، الماء في حاله المعتادة كالأمم في حال هدوئها . ولكنه إذا برد وصار ثلجا في الجبل صار كالأمم الوحشية إذا اجتمعت لغزو أمة أخرى فتؤثر فيها بالقوة وأما جذور الأشجار فلا تؤثر بقوة الجسم بل بقوة العلم وهو علم الكيمياء ولنا نقول أن الجذور علماء الكيمياء بل تقول أن السلطة العليا المحيطة بهذه العوالم علمت هذه الجذور وهدتها أن تفتت الحصى حولها كما هدت لعاب الحيوان أن يهضم الطعام ، ولقد اجتمع هذان للثلاث أي مثل الثلج ، ومثل الجذور في مضغ الأسنان والحيوان لطعامهما ، فنحن نمضغ بقوة الأسنان ، ولكن هذا المضغ وحده لا يسعد الحيوان لأنه وإن قنت اللقمة فليس معنى هذا أن اللقمة بهذا التفتت أصبحت صالحة للغذاء . كلا . بل هناك تتلقى اللقمة الرد اللعابية في الفم والبنكرياس في المعدة ، وهناك يهضم الطعام ويتمثل بالجسم الإنساني ويصبح هو جسم الإنسان ، فحال المضغ هي حال هذا الإنسان في وحشيته الحاضرة والماضية ، وحال اللعاب ، وهضمه حال الأمم التي تأتي بعدنا التي تضع كل أمرى فيها استعداد له من العمل ، وكل أمة فيما استعدت له من المنفعة العامة لجميع الناس ، وهذا هو الذي ألفت له كتاب (أين الإنسان) .

فقال صاحبي : هذا الموضوع كله قد بنيت أنت على الجذور وعملها ، وأنا أريد أن نختمه بالكلام على أجزاء بعض الشجرات الظاهرة . فقلت : لقد تقدم الكلام على ذلك في مواطن كثيرة ، منها ما تقدم في (سورة الحجر) عند آية « وأنبئتنا فيها من كل شيء موزون » فإنك ترى هناك الدوائر البديعة المنتظمة بها أوراق النبات بنظام هندسي بديع فأقرأه هناك . وعند آية « وأرسلنا الرياح لواقح » في نفس السورة فإنك ترى هناك عجائب الأزهار ونومها ويقظتها وإلقاها ، وترى في (سورة الشعراء) نظيره وفي (سورة النمل) ترى الكلام على الأوراق ونظامها من جهة أخرى غير ما جاء في (سورة الحجر) . فقال ولكني أريد أن أشاهد نفس الزهرة عند نومها وعند يقظتها وما أشبه ذلك أيضا لما تقدم في (سورة الحجر) فقلت : جاء في كتاب (مبادئ التاريخ الطبيعي) ما نصه :

« ويؤثر الضوء في اتجاه الأوراق ، فإذا وضعنا نباتا في غرفة أمام نافذة رأينا الأوراق تدبر وجهها العلوي نحو النافذة حتى تلتقي أكبر قدر ممكن من الضوء ، والأوراق بوجه عام تجعل نصلها عموديا على اتجاه الضوء . »

## حركات الأوراق

رأينا فيما تقدم أن أوراق البراعم تغير وضعها عند تفتحها وأن المحاليق تلتف حول الأشياء التي تصادفها وهذا التغير في الوضع أو في الاتجاه الذي يشاهد في الأوراق الآخذة في النمو يعتبر نوعا من الحركة ، على أن الأوراق النامية النمو قد تتحرك بصورة واضحة عند بعض النباتات ، وقد تكون هذه الحركة مسببة عن الضوء أو عن الملامسة وقد تكون ذاتية ناشئة عن أسباب داخلية ، ونحن نسردها هنا بعض أمثلة من هذه الحركات :

### نعاس الأوراق



(ب) نعاس (أ) يقظه

شكل ١٩ - أوراق الترمس

وريقات الورقة المركبة من الترمس تكون أفقية أثناء النهار ولكنها متى أقبل الليل تنسدل شيئا فشيئا حتى تضم أوجهها السفلى بعضها إلى بعض ( انظر شكل ١٩ ) ثم تعود في الصباح سيرتها الأولى ، وتسمى الحركات التي من هذا القبيل بالحركات النعاسية وهي شائعة في كثير من النباتات كالبرسيم والحامض الخ إنما يغلب أن تتجه

الأوراق في نعاسها إلى أعلى ضامة أوجهها العليا بعضها إلى بعض ، وفي قاعدة الوريقة المتحركة نجد انتفاخا يعرف بالانتفاخ المحرك ( انظر شكل ٢٠ ) وهو متى امتلأ بالماء تضخم ودفع الوريقة إلى أعلى أو إلى أسفل وفقا لشكله الذي يختلف باختلاف النباتات ، وبالضد إذا تسرب منه بعض الماء إلى الساق رأبناه يهبط ويصير خرافتاخذ الوريقات وضعها الأفقي من جديد ، وترجع كثرة الماء وقتله في الانتفاخ المحرك إلى أن مقدار الماء الذي ينتجه النبات يتغير تبعا لشدة الضوء ، وكأما العرض من الحركات النعاسية إنقاص السطح الورقي المعرض لبرودة الليل .



شكل ٢٠ - الانتفاخ المحرك

رسم وهمي

الحركات المسببة عن الملامسة

أوراق بعض النباتات كالمستحية والنباتات الآكلة الحشرات تتحرك بمجرد اللمس فتغير وضعها ثم تعود إليه بعد زمن ما ، هذه النباتات هنا قابلة للتهيج بصورة تشبه من بعض الوجوه قابلية التهيج عند الحيوانات لاسيما أننا نستطيع في كلتا الحالتين إبطال هذه القابلية للتهيج وقتيا بتأثير بعض المواد المرقدة كالأثير والكلوروفرم والنباتات المستحية تقدمت مشروحة بصورة في سورة الرعد عند آية « يسقى ماء واحد » .

## الحركات الذاتية



(شكل ٢١)

ورقة الهديزاروم جيرانس المتحركة انتفاخ هو الذي يدفعها إلى الحركة بما يظهر على جوانبه من الارتخاع والهبوط المتبادلين ، على أن السبب الباعث لهذه الحركات لا يزال غير مدرك حتى الآن :

## سقوط الأوراق

في غاب الأشجار والشجيرات التي تنمو في المناطق الباردة والمعتدلة تكون الأوراق محدودة الأمد فإنها تتولد في الربيع وتنمو مدة الصيف ، ولكن متى حل الخريف تراها تفقد خضرتها وتأخذ صبغة صفراء أو ضاربة إلى الحمرة ، ثم تفصل قاعدتها عن العنق الذي كان يحملها وتسقط على الأرض تاركة مكانها أثرا ظاهرا يعرف بندبة الورقة ، ويشاهد فوق سطح الندبة طبقة واقية من الفلين ، وهذه الطبقة تنشأ قبل سقوط الورقة بمدة ما فتمنع وصول العصارة إلى الورقة كما أنها تساعد على انفصالها من العنق ، ويتكون في إبط الورقة قبل سقوطها برعم إبطي يظل ساكنا مدة الشتاء ، ثم ينمو في الربيع التالي ويكون غصنا جديدا ذا أوراق ، وتعرف مثل هذه الأوراق بالأوراق المتجددة ، ومثلها أوراق المشمش والانتفاخ والكرمة ، على أن بعض الأشجار والشجيرات تكون مكسوة بأوراق خضراء في جميع أوقات السنة ، وتسمى هذه النباتات بدائمة الخضرة ، ومثلها السنوبر والبوكالبتس ( المعروف عند العامة بالكافور ) والفيكوس الخ ، ففي هذه النباتات تبقى الأوراق على الأشجار أكثر من فصل ولا تسقط أوراقها في وقت واحد .

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : هذا حسن جدا ، فهل ترى هنا فكرة حكيمة ؟ قلت : لقد عجبت هنا من ( أمرين : أولهما ) أن الورقة قبل سقوطها يحدث فوق سطح الندبة طبقة واقية فتمنع وصول العصارة إليها ( ثانيهما ) إنه يتكون في إبط الورقة قبل السقوط برعم إبطي يظل ساكنا مدة الشتاء ثم ينمو في الربيع وهذا عجبان ، فكأن هذه الطبقة أشبه بالسدود في البحر تمنع جري الماء لغرض خاص أو كما يصنع في سقية الأرض إذ يحول الماء من الحوض الذي يجري فيه الماء إلى حوض آخر وذلك بسده بالطين الذي يحرقه بالفأس ؛ إذا فعل الله في أبداننا ما فعله في حقولنا سواء بسواء ، ويدون دراسة هذه العلوم لا يخطر لنا أن ذبول الأوراق تقدمه سد العصارة عنه كما أن الإنسان يموت ولا يعرف الناس عن الموت إلا أنه أمر طبيعي ويعملون السبب ، لم يكن ليخطر لأحد من الناس قبل انتشار هذه العلوم أن الحمى والجدرى والإسهال والحمى التيفوذية ، والحمى التيفوسية وأمثالها والكوليرا كلها لم تكن إلا لحيوانات ميكروسكوبية أحدثتها وأنتجت تلك الأمراض ( انظره في سورة الروم ) كما أن سقوط الأوراق لم يكن ليخطر للناس قبل ظهور هذه العلوم ، إن هناك سدا يوجب انحباس العصارة عنها ، إذن كل ما في أجسامنا وما في هذه المواد لا يكون

إلا بأعمال دبرتها نفوس عالية منظمة مستمدة نظامها من مبدع العالم كما ترى الضوء المنتشر في الأرض مستمدا من قرص الشمس ، فهاهنا قوى عاقلة تحيط بنا كاملة العقل مهندسة حكيمة لها أفعال ذات نظام تحيط بنا إحاطة الشمس بأجسامنا ، فهاهنا نور شمسي وكوكبي وهاهنا ضوء عقلي يتدخل في كل شيء .  
هذا هو الأمر الأول ، أما الأمر الثاني فهو أن البرعم الإبطي الذي ينمو في الربيع أشبه بالأجنة في بطون أمهاتها ليحلوا محل الآباء إذا ماتوا ، فبينما الهرم يحل بالآباء ترى الأجنة والأطفال ينمون ويكبرون ، هكذا البرعم الإبطي ينمو أثناء منع العصارة عن تغذية الورقة ليحل بها الفناء ، وهذا هو قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فهذه العصارة حولت من الورقة إلى البرعم الصغير كما تزايد الحياة في الأطفال وتتناقص في الكبار ، والله هو الولي الحميد وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتب في يوم الأربعاء ١٥ يناير سنة ١٩٣٠ م

### بهجة العلم في اللطيفة الثانية

في قوله تعالى : « والذي نزل من السماء ماء بقدر »

يقول الله في (سورة الواقعة) « أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونوه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجلعناهم حطاما فظلمت نفسك » فالله هو الذي أنزل الماء من السماء ، وهو الذي سلكه بنايع في الأرض ، وهو نفسه الزارع ، وهذه الآيات يفهما الجاهل والعالم لأنها واضحة ، ولكن التحقق منها وإدراك حقائقها لن يكون ولن يتسنى إلا لقليل من نوع الإنسان . إن الناس مغمورون في النعم وهذه النعم تعمى وتعم لكثرتها عن إدراك الحقائق ، فالنعم لو فرتها من شمس تضيء وهواء يحيط ، وجيوب تزرع ، ونبات يظهر ، ولا عمل للإنسان فيها ، كل هذه أنامت هذا النوع الإنساني قديما وحديثا ، فهل لك أن أحدثك حديثا جميلا يكشف بعض النقاب عن هذا الجمال حتى يكون بابا تلج منه لإدراك الحقائق وإن كانت تلك الحقائق يموزها صرف الحياة في فهمها والبحث عنها ، ولن يحب الإنسان صانع هذا العالم حبا مفرطا لذاته غير ملاحظ خوفا من النار ولا طمعا في الجنة ، ولا عقابا ولا ثوابا إلا إذا درس هذه الدنيا وجمالها درسا فكريا بعد الاطلاع على علوم الحيوان والنبات والكواكب الخ وهذا الدارس هو السعيد حقا في هذه الدنيا وبعد الموت لأنه لا يرى من الله إلا الرحمة العامة ولا يكدر صفوه ما يرى من حوادث الدول والحروب ولا الموت ولا الحياة فإن هذا الدارس للفكر وقفت نفسه على سر هذا كله وقنعت بالحقائق فانشرح لها وتبجلي لها الله في الدنيا برحمته الحقيقية وهذا هو الذي لا يحزنه الفزع الأكبر لأنه عارف والعارف موقن بالرحمة ، والذي يخاف من الفزع الأكبر هم أكثر هذا النوع الإنساني لأنهم يعيشون في جلودهم ولا يفهمون نظام الرحمة في الوجود ويتقلبون في أنواع اللذات والآلام ولا يفهمون ما وراءها ، فهمؤلا قد جعل من بين أيديهم سد الشهوات ومن خلفهم سد الآلام فأعشى على عقولهم فهم لا يبصرون الحقائق ، فأما أنت أيها الذكي فهالك نبذة من ذلك الجمال تفتح بها ما أغلق على أكثر نوع الإنسان وإن كانوا علماء في جميع هذه العلوم ، فانظر إلى الشمس إنها ترسل الألوان السبعة المعروفة وهو الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وهذه تتحد وتصير لونا واحدا هو الذي يغطي الأرض وجمالها وأنهارها وبحارها وآجامها وحجرها ومدراها ونباتها وشجرها ، وهذا الضوء هو الذي به ينمو النبات ، ذلك أنه يساعد المادة الملونة المخزونة في الأوراق على اجتذاب المواد الفحمية من الهواء وهو الذي يقيم هيكل النبات ، وهذا النبات هو الذي توقف بناء هيكله على الشمس ، ترى فيه أمرا عجبا !

تراه مقسما على بقاع الأرض وعلى الأزمنة وعلى حواس الأحياء وعلى ما ينفعهم من غذاء وفاكهة ودواء . فهاهنا أربعة فصول في تقسيم النبات على بقاع الأرض والأزمان والحواس ومنافع الحيوان : وهالك بيانها :

### الفصل الأول

في أن أنواع النبات تكون في جميع الأماكن

إن منها ما ينبت في البراري والقفار ، ومنها ما ينبت على رؤس الجبال . ومنها ما ينبت على شطوط الأنهار وسواحل البحار ، ومنها ما ينبت في الآجام والعياض ، ومنها ما يزرعه الناس ويغرسونه في القرى والسوادات والبساتين ، ومنها ما يكون على وجه الأرض ، ومنها ما ينبت تحت الماء ومن ذلك قصب السكر والأرز والنيلوفر ، وأنواع العكرش ، ومنها ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينسج على الشجر والنبات ( كالشونى ) والبلاب ومنها ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن ، ومنها مالا ينبت إلا في البلاد الحارة كالنخل . ومالا ينبت إلا في البلاد الباردة . ومالا ينبت إلا في التربة الطيبة . ومالا ينبت إلا في الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والأرضين اليابسة . ومنها مالا ينبت إلا في الأرضين السبخة المشورجة .

واعلم أن أرضكم هذه لما آمنت في حضانة الشمس المدة الكافية لسن بلوغها قالت لها بلسان الحال أى بنيتى ها هو ذا جاء زمن بلوغك فانهضى من مرقدك في معهدك الذى تترين فيه وها أنا ذا أرسلك إلى مدارك الذى تدورين فيه حولى كما أرسلت من قبلك أخواتك الكبريات مثل بناتى ( أورانوس ونبتون والمشرى والمريخ وأمالمهن ) فها هو ذا جاء الوقت الذى أرسلت لتكونى في مدار خاص وهو منزل بعلك الذى تطعيه وهو الضوء الذى يسير منى إليك حين تبدئين في الدوران ، وباجتماعه معك تلدين ذرية صالحة إن شاء الله وهى أنواع النبات والحيوان ، ولكن يا بنيتى واسوءناه ، إن أبنائك من ذرية أحد أولادك للسمى آدم سيكونون خارجين عن سنن القوانين حين يطردون من الجنة التى كان أبوم فيها ، فأنا يا بنيتى أنصحك أن تأخذى معك كل ما يجب لحفظ صحتهم إذا ضعفت لتطول حياتهم أمدا ما ؛ فخذى في هيكلك من العناصر ما ينفعهم ، فها هو ذا اللغنسيوم والكبريت والفوسفور والحديد والسكرور وأمالمها فإنها ستدخل في مواد نباتية فيكون الأول نافعا في العضلات ، والثانى في الدم ، والثالث في المخ ، والرابع في احمرار الدم ، والخامس في هضم طعامهم ، فهذا يا بنيتى هو وأمالمه من الجهاز الذى تأخذه بناتى معهن لأزواجهن حتى يلدن الذرية الصالحة النافعة . واعلمى يا بنيتى أن الله قد أعد لأبنائك من ذرية آدم كل ما يحتاجون إليه قبل إخراجك من جسمى لأنه علم أنهم قوم لا يحافظون على صحتهم فأمرنى أن أبلغك أمره إذ يقول : إنه سينبت عليك مثلا الجزر ليكون نافعا للجلد كما تقدم ، وأمالم الحس ليكون نافعا للأعصاب ، وأمالم البرتقال ليكون نافعا للشجاعة ، والبقدونس ليكون نافعا للسكيتين ، والطماطم لتكون نافعة للكبد .

وهذه الذرية ستخلق بعد مئات اللالين من السنين . فقالت الأرض : يا أماء . وكيف هذا ؟ فقالت لأن الله يعلم كل شى قبل خلق السموات والأرض فهناك مناسبة عجيبة بين العناصر والنباتات وبين أعضاء الإنسان عضوا عضوا « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

## الفصل الثاني

في تقسيم النبات على الفصول

زمان حصد	مبدأ زرع	النبات
	في زمن الربيع	أكثر النبات
الربيع	في زمن الخريف	الحنطة والشعير والباقلا والعدس وغيرها
الربيع	في الشتاء	القثاء . الحيار . الباذنجان
الشتاء	الخريف	الجزر . الشلغم . الكرنب . القنبيط
الخريف	الصيف	السمسم . الدرة . الأرز
الخريف	الربيع	القطن . القنب

## الفصل الثالث

في تقسيم النبات على حواس الحيوان ومنه الإنسان

الحاسة	النبات
حاسة البصر	مناظر الأشجار والأزهار جميعها
حاسة الشم	الأزهار وذوات الرائحة الطيبة كالورد
حاسة الأذن	حفيف الأشجار وغويز الأعشاب وهكذا
حاسة الذوق	الحلو كالتمر والتفاح والعنب وأمثال ذلك
حاسة اللمس	نعومة الزهر والقطن مثلا

## الفصل الرابع

في تقسيم النبات على منافع الانسان

فمن النبات ما هو للغذاء كالحبوب والفواكه ، ومنها ما هو للدواء ، وهذا مقسم على الأعضاء أو عام ، فأما ما هو عام فمثاله الكافور والصفصاف ، أما الكافور فهو نافع في الأمراض العصبية كالصرع واختناق الرحم المسمى ( هبستريا ) وذلك بأن تهجم على المريض نوبات عصبية فيفقد الشعور تماما فلا يحس ولو كوى بالنار ويقع ولو كان أمامه بئر وبعض على لسانه ، ويقول له العامة ( مغفرت ) وهذا يستعمل له التفرغ وترك السكر ، ويرش له مسحوق الكافور على فرشه فهو مضاد للتشنج وإن كان قد اعتاد الاستعناء باليد يمنعه

ذلك المسحوق على الفرش ، وأما الصفصاف فهو للحمي ، وذلك أن المصاب بالحمي يعالج بمغلي أوراق الصفصاف بأن يوضع ( أوقيتان في رطل ماء ) ويغليان ويشربهما مع وجوب ترك المحل الذي أصيب فيه بالحمي حتى يغير الهواء ، ويقتصر على الحمية ولا يأكل إلا قليل المرق واللبن ولا يشرب إلا ماء الشعير ليظفي الماء الظماً ويكون مقام ورق الصفصاف مغلي قشر البلوط وورق الجوز أو الزيتون . فهذان مثلاً هو عام لمداواة الجسم كله ، أما ما يختص ببعض الأعضاء دون بعض فمثاله :

- (١) إن الجلد ينفعه أكل الجزر .
- (٢) والأعصاب ينفعها أكل الحس والسبانخ .
- (٣) وتترك الخوف وظهور الشجاعة ينفع أكل البرتقال والليمون .
- (٤) ولأجل شفاء الكايتين ينفع أكل البقدونس وكشك الماز والفجل .
- (٥) ولأجل شفاء الكبد ينفع أكل الطماطم والهندبا ( جعريض ) والبصل .
- (٦) ولشفاء النزلة المعسدية المعوية المزمنة وهي ( القرقة ) يأكل المريض السريس الأخضر ، وهو ( الشكوريا البرية ) مع الغذاء مدة أسبوع ، وهكذا حب الرشاد لأنه يحتوي على أصول مقوية جدا للهضم ومصاحبة لتليك المعدة .
- (٧) ولشفاء الرأس من ضرر ( بطحة الشمس ) وهي المسماة ضربة الشمس يصب على الرأس ماء بارد مضاف إليه قليل من الحل ؛ ويترك الرأس عارياً .
- (٨) ولشفاء ( داء الحنائق ) المسمى ( دقتيريا ) يؤتى للمريض بخارقة نظيفة تلف على قطعة خشب رقيقة ثم تعمس في عصير الليمون المصفى ويمس بها حلق الطفل ، ويكرر ذلك كل ساعة مرة .
- (٩) ولإسهال الطفل الذي يسميه الفلاحون بمصر ( التلويحة ) يجب أولاً منع سببه وهو أكل الطعام والتمسار قبل استعداد الطفل للأكل بل يجب أن يطعم لبن البقر إذا لم يكن لأمه لبن ويضاف إليه مقدار درهم من مسحوق الطباشير الناعم النقي كل يوم أو مثله من مسحوق الفحم النباتي ( فحم الحشب النظيف ) وقد يضاف إليه ( بي كربونات الصودا ) .
- (١٠) وبالعلاج وجع الشقة وهو ( أمراض النخاع والمغص المعوي والمغص السكاوي ) باستعمال مغلي بزر الحلة يؤخذ قدر أوقية ويغلى في رطل ماء ويصفي ويشرب منه قدر فنجان كل صباح ، فليواظب على ذلك فإنه لا يشكو مرة أخرى من وجع الشقة ، وليلاحظ نقاء ماء الشرب ، فالأحسن أن يغلى في إناء ويؤخذ الصافي منه ويبرد في أوان ويستعمل ، أما الترويق بنوى المشمش أو بالقول ففيهما ضرر كبير ، فالأول قتال والثاني يعفن ويأتي بجرائيم مضره ، والأحسن وضع نصف أوقية من الفحم النباتي النظيف المغسول مراراً في الزير ، ومق فرغ الزير يؤخذ الفحم ويغسل ثانياً ويفعل به مافعل أولاً ، فهذا ربما يفيد في إزالة وسخ الماء ، وينفع في هذا المرض أيضاً أكل الكبر وهو معروف في حقول البرسيم في مصر ، وينفع أيضاً فنجان من مغلي بزر الحرمل عند تناول الإفطار مدة أسبوع .

تلك عشرة كاملة بعد الثلاثين الأولين العامين . فقلت : هذا كله من كتابين : أحدهما كتاب « طب الركة » تأليف الدكتور عبد الرحمن إسماعيل التخرج من القصر العيني بمصر ، والثاني كتاب في الطب تأليف ( السيرويليم وبلسكوكس )

ولقد بذلت جهدي في أن أجعل هذه الأمثلة مستوفاة بحيث يمكن الانتفاع بها في المعالجة ولم أقص من المعالجة المذكورة فيها شيئاً مما ذكر في الصدر الذي نقلت منه :



هنالك اطلع على هذا أحد العلماء فقال لي : هذه الفصول الأربعة طال الكلام فيها ، وهل هذا كتاب طب ؟ أم هو كتاب زراعة ؟ إن هذا تفسير للقرآن . وإنما ذكرتك بهذا لئلا يستهويك جمال العلم فنسى أصل الموضوع ، فیری القارى أنك تجاوزت الحد المقرر للتمثيل في التفسير : قلت : كلا . ماغفلت وإنما هذه الفصول جعلتها قواعد أربعة أبني عليها قصور الحكمة وقلاع العلم إن القمع والنظن وأنواع الخضر والريحان والفاكهة يزرعها الناس وتمر عليهم الفصول والسنون وبأكلون ويتفكحون وبمرضون ويتداوون ثم يموتون وأكثرهم لا يذكرون . فها هنا ذكرنا هذه الأمور : وسأبين هنا كيف تمثل الروايات حول الناس صباحا ومساء وهم لا يشعرون ولا هم يذكرون ، غاية الأمر أن يقال فلان غني ، وفلان فقير ، وفلان جاهل ، وفلان عالم ، أما هذه الفصول التي تمثل في مشاهد الطبيعة فهم عنها معروضون ؛ وقل من يخلق في هذه الأرض ثم هو يفكر في أن الشمس خرجت منها أمواج الأشعة فسافرت حتى وصلت إلى البحار ، فأثارتها وأثارت الهواء فكانت سحب لمطر فرزق وتمر ودواء الخ .

إن أكثر الناس لا يعلمون « قتل الإنسان ما أكفره » « إنه كان ظلوما جهولا » ضوء وهواء وحب يدفن في الأرض وماء ينزل عليه ومواد خضراء بعضها فوق بعض ذات أوراق على ساق فأزهار فاتنة ، ثم إن كل ثمرة أوجب له عضو من أعضاء جسم الإنسان يداويه . فأى مناسبة بين الشمس التي بعدت عنا مسافة (١٢) ستة بسفر قلة الدفع وبين بذور تلتقي في الأرض وماء يخاطبها ثم ينتج دواء أو غذاء لمخلوق بعيدا عنهما لامتاسبة بينهما البتة ، أى مناسبة بين بذور ومياه وأضواء وبين رجل في الحقل حتى إن هذه الحبوب والأوراق المختلفة تقسم منافعها على أعضائه من قلب وكبد ومعدة وأمعاء إلى آخر ما تقدم . يحار فسكر العاقل فيقول : نور يسوق غازا وسائلا وهذان بحريان في الجو بلا نظام ؛ ثم هما يؤثران في غيرها وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى منفعة عامة لكل حي .

فقال صاحبي : لقد ذكرت أن هذه أشبه بالروايات والناس لا يعقلونها . قلت نعم أن فصول الروايات على قسمين : فصول يعقلها الحكماء ، وفصول يعقلها الجهلاء ، والعقلاء والجهلاء كل منهما فرح بمالديه ، فهذا بالحيل مغرور وهذا بالحقائق في حبور فيا بعد ما بينهما . إن بينهما بعد للشرقين والمغربين فقال : حدثني عن الحيل الذي للموم وللحقائق التي للخواص على شريطة أن يتحدا في معنى واحد حتى أدرك الفرق بينهما ؟ قلت : أذكر لك أولا قصة خيالية من قصص (ألف ليلة وليلة) فقد قدمت ذكرها في (سورة الكهف) وهي قصة مدينة النحاس ، ذكرت هنا من أنواع الزينة التي أبدعها الله في عقول العلماء فأبهجت القلوب ذلك أن الكتاب تصور أن موسى بن نصير المعروف بأنه مع طارق بن زياد اللذين فتحا الأندلس كان معه رجل اسمه عبد الصمد قد كسفا عمودا من النحاس ففتحاه فخرج حتى كان معنبا من أيام سليمان عليه السلام ، وحكي لهما تاريخ حبسه . ثم ذهبا إلى مدينة النحاس وهي كبيرة جدا طاف الرجال حولها على خيولهم يومين حتى رجعوا للمكان الذي خرجوا منه ، وأدهشهم سورها الذي لا يمكن اقتحامه لعظمة ارتفاعه ، ثم عزروا على مفاتيحها فوجدوا جواهر من ذهب وفضة وألماس وياقوت مما لا يحصى إلا الله والناس صرعى كل في مكان في السوق والقصور والمنازل ، ومن أعجب العجب أنهم رأوا فتاة جميلة وعيناها تنظران فلما فم ترد فعرفوا أنها ميتة ولكن عينها تتحرك بالحكمة فحرب واحد منها ليأخذ ما عليها من الحلي والحلل التي لا نظير لها في الدنيا ، فانقض عليه سيفان واقفان حولها بتصوير الحكمة فضرباه بالسيف فقتلاه فتركوها ، ثم وجدوا الوحا مكتوبا فيه قصة هذه المدينة والمجاعة التي حلت بها ، فأقرأ للملخص بنامه في (سورة الكهف) أو فارجع إلى نفس ألف ليلة وليلة .

فهذه الحرافة نلد السامعين من الصغار والنساء والعامية الجهلاء ، لأن فيها مفاجآت عجيبة وأمورا

غريبة والحيال يصبو إلى هذه الغرائب، فإنه إذا سمع أن هناك مدينة عظيمة جدا دهش لأنه لا نظير لها ،  
وإذا سمع أنها مملوءة جواهر وأن فتاة جميلة تنحرك عينها دهش جدا ، وإذا سمع أن رجلا قتل بسيف  
من تمائيل واقفة زاد دهشه ، فهذه الرواية جعلت لتعليم الناس الزهد في الدنيا ولا سبيل لذلك إلا  
بهذه الحرافات فهي حسنة جدا لصغار الأحلام . وهكذا نجد رواية أخرى جاء فيها أن ابن ملك  
من ملوك مصر رأى في خزان أبيه خلعة بهجة فيها صورة فتاة جميلة وهو في سن الرابعة عشرة فهم بجها  
وأعطاه أبوه بعد اللبث والتي ما طلبه من رجال الجند والنخار والعدة وسافر إلى أقصى الشرق ومات جميع  
رجاله غرقا تارة وقتلا أخرى بعد أن وقع في الأسر مرارا ، ورماء القدر في بلاد الفرس بعد  
رجوعه من الشرق الأقصى فعثر على ابنة ملك الجن في حديقة وهي نفس الصورة التي كان يطلبها فزوجها  
ورجع بها إلى أبيه وكان يوما مشهودا .

فهذه القصة تقرؤها في نفس كتاب « ألف ليلة وليلة » وربما مررت الإشارة إليها في غضون هذا  
التفسير . ولعمري ما هذه القصة وأمثالها إلا رمز لمرفة الحقائق التي نحن بصدها ، فإننا نعيش في الأرض  
ولا نفقه من هذا الوجود شيئا ، ولن نتال تلك الحقيقة الناصعة التي هي السعادة الحقة إلا بأن نجعل أجسامنا  
وأموالنا قربانا لأجائها ونلقى بهجنا في سبيل العلم والحكمة أو في ساحات الحرب ، فنكون أدينا ما وجب  
علينا . فهذه الممالك التي وقع فيها ابن ملك مصر وما صادفه من ذل وجوع وعري وقعد الرجال والمال ثم  
الأسر والضرب والغرق ثم النجاة . كل هذا ضرب مثلا لطلاب المجد والعلا، فهم لا يتألمونه إلا باستغنائهم عن  
هذه الحياة والوقوع في المهالك والمهاوي والشاق العظيمة فيكون الفوز .

ولقد أردت أن أؤلف رواية خيالية تسبقين بها سبيل هذه الفصول الأربعة في ضوء الشمس والهواء  
والماء والنبات وتقسيمه على الفصول الأربعة وعلى أعضاء الإنسان مع تبين ما بينها فأعيتني القرحة بعد  
السكد والنصب حتى إذا كنت يوم أمس بعد الظهر وهو يوم الأحد ١٠ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية  
وأنا سائر في منزل الروضة وهناك جلست تحت شجرة فأخذتني وأنا جالس سنة من النوم غليل لي كأن أمي  
رجلين يتحدان . فقال أحدهما : هل أحدثك حديثا عجيبا في غرائب هذه الدنيا . فقال أحب ذلك .  
فقال كنت الليلة نائما فأتاني خمسة رجال فأيقظوني فرأيت جسمي مطروحا على الأرض كأنه ميت فقات أنا  
ميت قالوا أنت حي وهذه روحك ولها اتصال بهذا الجسم وترجع إليه ، وسارا بي حتى ارتفعنا إلى السماء  
ووصلنا إلى الشمس :

( ١ ) فرأيت حمامتين : إحداهما ذات طوق أحمر ، والأخرى ذات طوق أبيض . فقلت ماهاتان برحمتك  
الله ؟ فقالوا : اصبر قليلا .

( ٢ ) ثم نظرت فوجدت هاتين الحمامتين أسرعتا في الجري حتى وصلنا إلى الهواء المحيط بالأرض  
ثم أخذتا ترفرفان كثيرا حتى رأيت عربات لا عدد لها تجري في الجو ولكن لا عجلات لها .  
فقلت : ما هذا ؟ فقالوا اصبر قليلا .

( ٣ ) ثم عمدت الحمامتان إلى البحر فأخذتا تضربانه بأجنحتهما فخرجت قرب لطيفة الصنع مملوءة ماء  
وصارت تطير في الجو هنا وهناك بغير نظام ، إذن هناك عربات وقرب ماء كلها طائرات شرقا  
وغربا وشمالا وجنوبا لا نظام لها ولا ثبات .

( ٤ ) وبينما أنا متعجب من هذه المعركة المختلطة إذ رأيت هذه القرب قد حملت على تلك العربات

وأحدثت هذه مع هذه حتى صارت كأنها سفن تقترب من بعضها ، فعجبت كل العجب ؟ فقلت ما هذا برحمتك الله؟ أدركوني وأسعدوني حتى أفهم ، فقالوا: اصبر .

(٥) وبينما أنا كذلك إذ رأيت هاتين الحمامتين عمدتا إلى تماثيل مصنوعة من الطين مجوفة فأخذتا ترفرفان عليها ، فرأيت تلك الصور أخذت تتقلب من حالها الأولى إلى حال أم وأرقى وأخذ الطين يصفو شيئا فشيئا حتى صار لحما وعظما وفيه عيون وأسماع وأبصار : ثم أخذت التماثيل تتحرك وتمشي وتتكلم ، فأخذتني العجب كل مأخذ ، وهذه الصور مختلفة الأشكال والألوان والأعمال من كبير وصغير .

(٦) ثم رأيت صورة طينية أكبر من جبال هملايا بهيئة إنسان ، وهذه الصورة أخذت الحمامتان ترفرفان عليها ، وانضم إليها ألوف مرفرفات حتى تحركت ونطقت ، وهناك أخذتني الرعب كل مأخذ وقلت إن هذا الذي أمامي هو ما يقال له القول ولو أنه خطأ خطوتين نحوى لفتنى . فقالوا لا تخف اصبر قليلا .

(٧) ثم سارعت الحمامتان إلى أرض قفر ، فأخذتا ترفرفان عليها وقد رأيت هناك عملا كثيرا تضع ما يشبه الحصى أو الرمل والحمامتان تضربان دائما على وجه الأرض فوق تلك الرمال ، فما أسرع أن رأيت تلك الحصى والرمل قد ارتفعت فوقها أعمدة شيدت عليها قصور خضر وفيها مخازن عجيبة .

(٨) وتلك المخازن فيها ما يشبه تلك الحصى والرمل التي جلبها النمل . فقلت ما هذا برحمتك الله : فقد والله رأيت عجبا لم أسمع ولم أر مثله ؟ فقالوا اصبر .

(٩) ثم سمعت من ذلك الإنسان الكبير الجثة أصواتا من جميع جسمه ، وتلك الأصوات مختلفات من معدته ، ومن أمعائه ، ومن كبده ، ومن قلبه ، ومن رأسه ، ومن جنبه ، ومن نخاعه ، ومن رثته ، ومن طحاله ، ومن كليتيه .

(١٠) فعند ذلك رأيت جماعات من النمل قد أسرعت حثيثا إلى تلك المخازن فصارت تأخذ منها وتلقي على مواضع تلك الأصوات فلا تسكاد الخلة تضع بزرا من تلك البزور على الجنب أو الرأس أو المعدة حتى يسكن الصوت حالا ، وتارة يتأخر قليلا ، فهناك اعتراني أشد الدهش ، فقلت ما هذا برحمتك الله ، فإني لاصبر لي على هذه العجائب ؟ فقالوا لي : أما الآن فمع قد تم لك العلم .

قال : فقلت وأى علم ؟ أنا لا أعلم شيئا . فقولوا لي برحمتك الله ما هما هاتان الحمامتان . فقال أحدهم وهو الرئيس : الآن أحدثك ، إن الناس في الأرض نيام ، وهذا الذي رأيته هو الذي يرونه بأعينهم ولكنهم لا يفقهون وعلمائهم وجهلاؤهم على حد سواء . قال فقلت ولم لا يفقهون ؟ قال لأن هذه روايات خلقوا فيها وهم أنفسهم من المثليين والمثلي في مسرح التمثيل غير النظارة ، فأنت الآن من المشاهدين وأهل الأرض هم المشهودون . فلما كنت في جسمك كنت مشهودا ولكنك الآن شاهد والشاهد غير المشهود . فما أهل الأرض إلا صور متحركات يشهدهم فيها المقربون . فأما أنت الآن فلست منهم بل صرت روحا فصرت أشبه بالشاهدين . قال فقلت ولم لا أكون من الشاهدين ؟ قال يابى إن الشاهدين ليسوا هم الذين تضرب لهم الأمثال فحسب مثل هذه الأمثال التي سأبينها لك بل هم الذين يدركون نفس الحقائق ؛ وفرق بين التريا والترى ، ومدركو الحقائق هم المقربون الذين يقول الله فيهم « الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » والوادة الحقيقية لا تكون إلا بمعرفة الحقائق فعلا لا تخيلا ، فما أنا ذا أقص عليك ما رأيته

الليلة لتبلغه لأهل الأرض . فقلت : فما هاتان الحمامتان إذن ؟ فقال : أما ذات الطوق الأحمر فهي الحرارة وأما ذات الطوق الأبيض فهو الضوء ، وأما العربات فهي الرياح ، وأما القرب المملوء ماء فهي البخار الخارج من البحر يتسلط الحرارة عليه فيكون باجتماعهما سحب ، وأما ضرب الحمامتين بأجنحتهما على الأرض وعلى ما يشبه الحصى والرمل فذلك أن الحرارة والضوء لا بد منهما في ظهور النبات من الأرض ، وأما تلك الصور الطينية فهي جميع الحيوانات فهي من الطين مصورات ولولا الحرارة والضوء ما كانت لها حياة ، وأما القصور المصورة فوق الأعمدة وفيها الخازن فهي النباتات ، وأما ذلك الإنسان العظيم الجثة كجبال هلاليا فهو الأمم الأرضية صورت لك بهيئة إنسان كبير الجثة ، وأما الأصوات الخارجة من أعضائه جسمه فهي الأمراض الموزعة على الأعضاء الجسمية في أفرادها ، وأما طوائف النمل الحمامات لتلك الحبوب من الخازن في تلك القصور فهم الأطباء يضعونها على مواضع الداء لتشفى . قال ثم قال هذا الطيف لي : فهذا هو تمثيل أحوال تحيط بكم ، فإذا رجعت روحي إلى جسمك فقل لهم : يا أهل الأرض . إن حولكم عجائب وعجائب ولكنكم لا تعلمونها لأنكم أنتم صورتمثلون ولستم من النظائر ، ولقد أقسم الله بالشاهد والشهود وقدم الشاهد لأن الشاهد يعقل ويكون من القرابين وهو الذي عقل عن الله وأدرك رحمته فعلا فلا يهوله القزع الأكبر لأنه اطلع على الأسرار وعرف الحقائق فلم ير من الله إلا الرحمة فإن أمانته أو أحياءه أو فقره أو أغناؤه فهو في السعادة الأبدية سعيد في الدنيا بالعلم ، وسعيد في الآخرة بالعلم ، فأما أمثال هذه الخيالات فهي لفتح باب العشق والحب ومتى كان الحب وصل العبد لخالقه : والعبيد على قسمين : عبيد عبدوا بالرغبة ، وعبيد عبدوا بالرهبة ، فأهل الخيال عبيد الرهبة ، وأهل الحقائق والحب والعشق عبيد بالحب ، وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » وإلى الثاني الإشارة بقوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الخ » فملك الناس تارة يكون بالرهبة ، وتارة يكون بالحب والعشق ، وأفضلهما الثاني . قال : ثم قال لي الطائف وهو رئيس الجماعة الذي معه :

« وما كل مصقول الحديد يماني »

قال ثم قلت لرئيس الجماعة المذكور : حياك الله عرفت أن القصور المحضرة تمثل المزارع وأن الخازن فيها تمثل الحبوب فعلمتني رعاك الله بما علمك الله بعض الحقائق بعد الخيال عني أستيقظ فأخبر أهل الأرض فيصلوا إلى الحقائق فقال أما الآن فنعلم لأنك اشتقت إلى العلم ولا علم إلا بعد الشوق ، والشوق أعظم أبواب السعادة ، فقد رأيت النبات في الأرض ؟ قال نعم . قال وهو مقسم على الأزمنة والأمكنة والأعضاء والحواس . قال فقلت نعم وهذا أمر عجب ! لا أعرف سره . فقال : قد علم الله أنه سيخلق الإنسان وأن أنسب الأوقات للزرع فصل الربيع الذي فيه تظهر أكثر النباتات . قال فقلت نعم . قال : لو أنه تعالى لم يجعل الزرع إلا في ذلك الوقت لتعطل الإنسان في بقية السنة ، فدبر الأمر وجعل لبقية الفصول أنواعا من الزرع ليعمل الناس لأنهم إذا لم يعملوا كان ذلك تعطيل لهم ومرضا لأجسامهم ، ولو أن النبات اختص بمكان دون مكان لاجتماع الناس في مكان واحد هم والحيوان فهلكوا فلذلك وزعه على أمكنة كثيرة . قال فقلت هذا عجب ! والله إن أهل الأرض لا يفكر أكثرهم في ذلك . قال : لهذا أعلمك . ثم قال : وهل الحرارة والضوء والهواء والماء كانوا علماء بكل شيء حتى عرفوا أن بذورا مرماة في الأرض فاجتمعوا عليها ثم حصل النمو فوزعت محصولاتها على الأعين والأذان والجلود والبطون والأكباد والقلوب الخ بحيث أصبحت تلك الأمور البعثة التي يرى ظاهرها لانظام لها وكأنها جاريات بغير حساب قد صارت مقصودة قصدا حقيقيا بحيث توزع ثمراتها على حاجات الحيوان والإنسان عضوا عضوا وحاسة حاسة أي أن النباتات البالغات عندكم الآن (٢٥٠) ألف نوع كلها موزعة على

أعضائكم وحواسكم مع أن من يرى الضوء والحرارة والهواء والماء والأرض وهي تتفاعل لا يخطر له أن النتائج تكون منظّمة هذا التنظيم للدهش ، وأي نسبة بين الشمس التي تجرى بينها وبينكم آماذ وآماذ وهي ترسل ضوء لكم وبين الأعين والعدسات والجلود ؛ ثم أن أرضكم كما تقرءون أنتم في العلوم كانت قطعة من الشمس ، وهذه القطعة فيها الجير والغنسيوم والكبريت والفسفور والحديد والكلورين ، فهذه المواد مما يدخل في النبات عندكم ، وكل هذا مرسل من الشمس في أجزاء الأرض ، فلم تقف الشمس عند هذا الحد ، فأمرها الله بإرسال ضوء وحرارة ينبعثان منها ليتما ما قصده الله سبحانه كما خلق الله عقولكم يا بني آدم فهي كهذه العناصر ساكنة لا تعمل لها ؛ ولكنه يرسل لكم أنبياء ، ويلهم من بينكم حكما فيجركون أجسامكم وعقولكم كما أنكم ترون الضوء والحرارة ينبعثان من الشمس فيساعدان :

(١) الجير المذكور المفيد للعظم الشافي للجروح على أن يدخل في نبات الكرنب وفي اللبن والجبنة التي لم يؤخذ زبدها وفي السبانخ والبصل والشمس والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والباميا والردة

(٢) ويساعدان أيضا الغنسيوم الذي يكون قوة في العضلات ويمنع الفتق فيدخل بسببها في السبانخ والحس والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والتين والباميا .

(٣) ويساعدان أيضا الكبريت الذي هو المنظف للدم المانع للروماتيزم على أن يدخل في السبانخ والقنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والكرنب والبصل والباميا

(٤) ويساعد الحرارة والضوء أيضا الفسفور الذي هو مغذ للمخ على أن يدخل في الفجل والقنبيط والخيار والجوز والبسلة والندس والقمح وفي الحس والسبانخ ، وهكذا في صفار البيض وكشك الماز

(٥) ويساعدان أيضا الحديد وهو الذي يعطي الدم لونه الأحمر على أن يدخل في تركيب الكرنب الأحمر والسبانخ والبصل والزيت و صفار البيض التي والباق والبرقوق والبنجر وكشك الماز والطماطم

(٦) وهما أيضا يساعدان الكلورين وهو المساعد للهضم للمنظف للمعدة على أن يدخل هيكل الكرنب وملح البحر والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر والملح والفجل والجبنة وجوز الهند والبنجر

ثم قال : هذه المواد الست مما يدخل في تركيب النباتات قد أرسلها الله مع الأرض يوم أن اقتطعها من الشمس ، ثم أرسل لها الضوء والحرارة فنزلت عليها فكانت سببا في دخولها في هذه النباتات المفرقات على أعضاء بني آدم وعلى حواسهم بحيث لا يكون هناك داء إلا وله دواء ، ولا حاسة إلا ولها ما تطلبه ، ولا حاجة من حوائجكم إلا كانت حاصلة موجودة قد أثبتت بذورها وأصولها من عوالم فوق شمسكم « وفي السماء رزقكم وما تعدون » .

ثم قال : فهذا هو ما سألت عنه ، فهل فهمت ؟ قال فهمت . يقول مؤلف هذا الكتاب : كل هذا وأنا مصغ إلى القائل وعندى أشد الدهش والهجة ، وأقول في نفسي . يارب كيف أكون في حيرة وقد عجزت فعلا عن تمثيل ما يعيط بنا من العجائب بحيث يكون أشبه بالروايات ، وكيف يثبت ؟ والله بأسا حقيقيا من أن أسور ذلك بصور خيالية ، ثم كيف أسمع ذلك في المحاورة بين هذين الرجلين ؟ فهل هذه الأرواح هي إخوان روحى أم أى شيء هذا ؟ ثم أردت أن أسأل هذا المتكلم ، لأسأله من أنت ؟ فاستيقظت وقد عجزت كل العجز وحمدت الله على أنه علمني ما لم أكن أعلم ، وإني الآن يكاد قلبي يطير من بين جنبي إذ عرفت ما عجزت عنه والحمد لله رب العالمين . كتب ضحى يوم الاثنين ١١ رمضان سنة ١٣٤٨ هجرية .

## اللطيفة الثالثة

كشفت النقاب عن بعض أسرار قوله تعالى «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين»

حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يحدثني في هذا التفسير . فقال : لقد أومأت إلى تفسير آية «ومن يعش عن ذكر الرحمن الخ» عند الكلام على البسملة ، ولكن النفوس اليوم يعوزها الوقوف على الحقائق ، وكما أن علم الطبيعة لا يورث اليقين إذا اشتقناه اشتقاقا هكذا علم القرآن ، فإذا لم نصل إلى النهايات فلسنا علماء ولنسنا سعداء ، فهل هذه الحياة الدنيا شقاء والسعادة محصورة في ذكر الله تعالى ؟ نحن نريد التحقيق في هذا المقام بالعقل . فقلت : أيها الحبيب : إذا أردت الوقوف على حقيقة هذا الموضوع فلا مندوحة لك من الصبر على البحث معى والتتقيب . فقال سأصبر . فقلت . جاء في كتابي «بهجة العلوم» في الفلسفة العربية وموازينها بالعلوم المصرية التي ألفته وهو الآن تحت الطبع ما يأتي من علم الحساب :

(أولاً) إن كل عدد قسم بقسمين ثم زيد عليه أحد القسمين يكون المجموع من ضرب جميع ذلك في نفسه مساوياً لضرب ذلك العدد قبل الزيادة في تلك الزيادة أربع مرات والقسم الآخر في نفسه ومثاله أن تربع  $(3 + 3 + 7)$  فهذا يساوي  $10 \times 3 \times 4$  زائد  $7^2$  .

(ثانياً) كل عدد قسم بنصفين ثم زيد عليه زيادة ما يكون الحاصل من ضرب ذلك العدد مع الزيادة في نفسه وضرب الزيادة في نفسها مجموعاً مثلي ما يكون من ضرب نصف العدد مع الزيادة في نفسه وضرب نصف العدد في نفسه ، مثال ذلك (١٠) قسمت نصفين ثم زيد عليها اثنان فأقول إن ضرب الإثنى عشر في نفسه والاثني عشر في نفسها مجموعاً مثلاً ما يكون من ضرب ٧ في نفسها و ٥ في نفسها مجموعاً .

(ثالثاً) كل عددين مجذورين على الولاء إذا ضرب جذر أحدهما في جذر الآخر و زيد عليه ربع تكون الجملة عدداً مجدوراً ، فإذا ضربنا جذر ٤ في جذر ٩ وزدنا ربعاً لجذر المجموع ٢٥ فهذه ثلاثة مسائل من علم خواص الأعداد ، وهالك ثلاثة أخرى في الهندسة وهي :

(١) زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين .

(٢) مربع وتر الزاوية القائمة في المثلث يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين ، فإذا كان أحد الضلعين ٣ والثاني ٤ فإن الضلع المقابل للزاوية القائمة يكون ٥ ومربع ٣ = ٩ ومربع ٤ يساوي ١٦ ومجموعهما ٢٥ ومربع ٥ يساوي ٢٥ وهو المطلوب وهذه صورته :



(٣) الزاويتان الحادتان من وقوع خط مستقيم على آخر مستقيم على جانب واحد منه هما قائمتان أو تعدلان قائمتين . فهل فهمت أيها الصديق هذه المسائل ؟ فقال إنها في غاية الوضوح ، إن مسألة الزوايا

الثلاث في الثالث تقدمها ٣٢ شكلا حتى أمكن البرهنة عليها ، ومسألة مربع الوتر تقدمها ٤٦ شكلا كذلك ،  
ومسألة الزاويتين تقدمها للبرهنة عليها ١٢ نظرية في الهندسة . فقلت : حسن جدا . إذن هذه المسائل  
ليست من البديهيات بل هي نظريات ، ولا جرم أن النظريات ترجع إلى البديهيات في آخر الأمر كقولهم  
« السكل أعظم من الجزء » وهذه النظريات والأشكال التي تقدمت المسائل المتقدمة قد جعلت لتوصل هذه  
المسائل إلى البديهيات ، قال نعم : قلت فلنسر في بحثنا على هذا النور العلمي لنسل لما نقصده فنقول : لتتخذ  
هذه المسائل الهندسية والحسابية الست مقدمات كما جعل الناس القضايا البديهية مقدمات وبنوا عليها علومهم  
الجزئية كالحساب والهندسة والفلك والجبر وغيرها ، فلنبن نحن علما الذي هو سيد العلوم وهو العلم الأعلى  
وهو أصل العلوم على تلك العلوم الجزئية ( وبعبارة أخرى ) إن علماء الرياضيات والطبيعيين يتخذون  
المحسوسات والبديهيات أساسا وبنوا عليها علومهم الجزئية التي بها نظمت أمور الحياة في الأرض فلتتخذ نحن  
نفس علومهم التي برهنوا عليها ونجعلها أساسا للعلم الأعلى وهو العلم الذي به السعادة والحكمة والجمال  
الطلق ، ذلك لأن الناس مع شيوخ علومهم وكثرتها تراهم دائما في قلق ، وآراؤهم في حيرة واضطراب  
والناس في حرب وضرب واختلاق واختلاف ، لافرق بين علمهم وجاهلهم وأرباب العلوم ورجال الصناعات  
سواء في ذلك .

وكل يدعي وصلا لليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا

فنحن هنا نريد أن نتوصل إلى العلم الذي يربح جميع الطوائف وهو في اليقين كاليقين الذي يعرفونه  
في العلوم الرياضية ، ومتى عرف الإنسان اليقين سعد السعادة التي لا نهاية لها . فقال صاحبي : إنك لتحدث  
عن أمر عظيم ذي بال وهو شريف ، وأود أن يمنحك الله قوة الفكر حتى تعرفنا هذا العلم البديع الذي  
لو تحقق لأعطى النوع الإنساني اطمشانا والاطمئنان هو النعيم الأكبر في هذه الدنيا . قلت أيها الصديق  
ستمع ما يسرك ويكون عندك اليقين ، لننظر في المسائل الحسابية الثلاث وأخواتها الهندسية التي قدمناها  
هل هي خاصة بالأعداد التي كتبناها وأشكال هندسية خاصة ؟ أم كل قاعدة منها تشمل أعدادا وأشكالا  
كثيرة . قال بل كل منها تشمل مسائل لا حصر لها هندسة وحسابا ، فالأرقام التي ذكرتها والزاويتان  
اللتان رسمتهما ما هما إلا مثالان لا غير ، فهناك من الزوايا ومن الأرقام مالا يعد وكله مطبق على هذه القواعد ،  
قلت : أصبت الرمي . أرى هذه القواعد السككية مشاهدة بأبصارنا . قال : كلا ، بل نحن نعقلها بصائرنا  
والشاهد بالأبصار :

( أولا ) العدودات الخارجة والمواد التي دخلها الهندسة في العالم المشاهد كالمنازل والقلاع .

( ثانيا ) الألفاظ الدالة على تلك العدودات والمواد الخارجة .

( ثالثا ) أرقام الأعداد وأشكال الهندسة المرسومات في الدفاتر والكتب ، فالألفاظ والأرقام تدل على

ما في الخارج ، وما في الخارج صورة لما في الذهن ، أما الذي في أذهانتنا فهي القواعد السككية التي لها صور  
كثيرة في الخارج . فقلت الله أكبر ، وصلنا إلى المقصود وأشرفنا على عالم الجمال والسكال والدوام ، قل لي  
أيها الحبيب ماذا تقول في هذه القواعد السككية التي في ذهنك أنت في الحساب والهندسة والمنطق والفلك  
والطبيعة والكيمياء هل اعترها يوما ما تغير أو تبدل من يوم أن عرفتها ، قال كلا هي دائمة في عقلي وهي  
أشبه بالمخازن ومنها أنصرف في أعمالى اليومية . قلت حسن ، أيهما أكثر دواما ، خزائن الذهب والفضة  
ومخازن الحب ونحوها أم هذه ؟ قال بل هذه هي الدائمة . قلت : ولكن الناس لعفلة أكثرهم لا يفرحون  
بهذه المخازن التي في أنفسهم وإنما يفرحون بالأمور الجزئية الوقتية ، فتعال معي إلى ما هو أرقى من هذا قل لي

أيها الحبيب : ، الذي أدرك هذه الكليات العلمية . قال نفسى ، قلت : فهل لهذا نظير في العالم المحسوس قال نعم ، العين والصورة الواصلة إليها ضوء الشمس من شجرة الورد مثلا ، فالعين نظير نفسى وقواعد الحساب والمهندسة كصورة شجرة الورد الواصلة إلى عيني من ضوء الشمس . قلت حسن جدا ، فلترق في البحث إلى درجة أخرى : فقال : إني إلى ذلك وامق . فقلت ما الذي كان السبب الظاهر بإذن الخالق في نمو الشجرة . قال الشمس . وما الذي كان السبب أيضا في أنك رأيتها ، قال الشمس أيضا . فقلت : إذن الشمس سبب لظهور شجرة الورد وسبب لرؤيتك إياها . قال نعم . قلت حيالك الله وبياك : فبين لي ذلك . فقال الشمس تضيء ولها حرارة . والحرارة سبب البخار . وجرى الهواء والبخار يحمله السحاب فالبخار والهواء معا سببهما الظاهري الشمس ، والسحاب يكون مطرا ، بالمطر ( بإذن الله ) كان النبات ، وأيضا تقدم في ( سورة يس ) أن الورق المرسوم هناك في داخله مواد ملونة عائمة في سواحل هناك ، وهذه المواد الملونة تساعدنا ضوء الشمس على تناول المواد الفحمية من الهواء فينمو النبات ، ومن النبات شجرة الورد المذكورة ، ثم ضوء الشمس كما أنه ساعد على التغذية هو نفسه الذي يرسم صورة شجرة الورد ويوصلها إلى حديقتي فأناراها .

قلت : أحمد الله أنك تتذكر العلوم إجمالا وتفصيلا ، ولم تنس شيئا مما ذكرناه في هذا التفسير .

ثم قلت إذن عندنا :

- ( ١ ) شمس .
- ( ٢ ) وشجرة الورد .
- ( ٣ ) وصورتها المرسومة بالضوء .
- ( ٤ ) وعين الإنسان .
- ( ٥ ) والقواعد العلمية .
- ( ٦ ) ونفوسنا .

نفوسنا كالعين والقواعد العلمية كصورة شجرة الورد التي وصلها الضوء إلى العين فيما تقدم فلم يبق إلا مثال الشمس ومثال نفس شجرة الورد ، فما نحن أولا لدينا ست مقدمات واضحة : أربعة محسوسة واثنان معقولتان ، فلم يبق إلا الاثنان الباقيتان ، فلنبحث عنهما كما يبحث علماء الجبر إذ يتوصلون بالعلوم للمجهول فنقول : أيها الحبيب ، هل تظن أن ضوء الشمس يوصل لأعيننا صورة شجرة الورد وهي ليست موجودة قال . كلا . فالضوء لا يوصل إلا صورة ما هو موجود فعلا . قلت حسن . أفلمست ترى أن الصورة السككية التي في أذهانتنا في سائر العلوم لها أصل وهي صورته . قال ، إن كليات العلوم أصلها هو الذي نشاهده في الخارج من المعديدات ومن المباني في الهندسة وهكذا . فقلت : هذه جزئيات وتملك كليات وما أبعد الفرق بينهما ، فصورة السككي في عقولنا منقولة عن معنى كلي ، كما أن صورة شجرة الورد الواصلة لعينونا منقولة عن مادة جزئية ، وليس من المعقول أن السككي يكون عن جزئي ، وما الجزئي إلا مثال له ، فانظر لمثال شجرة الورد والشمس . وقل لي ، أأنت ترى أن القواعد التي نحس بها في عقولنا صور لأموور كلية معنوية ثابتة في أنفسنا وصانع العالم هو الموجد لها وهو الذي أظهر صورها لعقولنا بلا واسطة كما أن شجرة الورد المذكورة صنعها بواسطة الشمس وأظهرها لعينونا بواسطتها ، أو لست ترى أيها الحبيب أن مثال الشمس جميل به أمكننا أن نعرف هذه السألة العظيمة فنقول :

إن الله الذي هو ثابت لا يتغير قد خلق أمورا كلية معنوية وهي أمور روحانية ثابتة لا تتغير وهو نفسه



أهداها لعقولنا فعرّفها وعشنا بها وضرب لها مثلا بالشمس وبالخلوقات الأرضية ، فكما أن الشمس سبب في حياة النبات والشجر كانت هي أيضا سببا في رؤيتنا لهما والله تعالى سبب في خلق المعاني الدائمة بدوامه ، الجميلة المستمدة من جماله ، وحين تشاهد أعيننا صور العوالم المشاهدة يكون ذلك سببا في استيقاظ عقولنا واستمدادها إلى انكشاف تلك القضايا الكلية التي يفيضها الله على عقولنا ، وبهذا تتحل مشاكل لا حد لها في عالمنا الأرضي وتظهر حقائق كانت مخبوءة .

فها نحن أولاء قد وصلنا إلى القصور ، واستنتجنا نتائج باهرة ، وقسنا ما لم نشاهده على ما شاهدناه وأدركنا أن المعاني الكلية التي نحس بها في عقولنا والتي عليها مدار حياتنا هي أصل لكل ما نشاهد في هذه الأرض وهي صنع الله نفسه بلا واسطة وهي دائمة ، وإذا ثبت هذا في علومنا التي ترجع إليها في جميع أحوالنا فليثبت نظيره في كل أمر عام .

فاذا رأينا الوجوه الجميلة ، وإذا سمعنا بالعدل والسكّال وما أشبه ذلك فانهل أن كل جمال وكل عدل مشاهد لنا فهو في هذا العالم ناقص كما قلنا ، إن المعلومات التي تراها جزئية والسكّال هو العالم العقول ، فالجمال المعنوي والعدل المعنوي والسكّال ؛ كل ذلك له مثل ( بالضم ) عليا في عوالم خارجة عن المادة كما أن للعالم مثلا ( بالضم ) عليا .

وبالجملة فلا علم ولا جمال ولا كمال ولا سعادة إلا فيها هو ثابت ، فأما ما لا ثابت له فإنما هو مذكر بماله كمال . أيها الحبيب : إن ما قلته الآن كله قد أذكرتني به آية في (سورة النبأ) وأنا أصلى وقت السحر ليلة الخميس ( ١٩ ) نوفمبر سنة ١٩٣٠ وهي قوله تعالى « وبيننا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء نجاجا . لنخرج به حبا ونبانا . وجنات ألفافا » فإني حينما كنت أفرؤها ذكرت بالسراج الوهاج وبالسحب والمطر والنبات المذكورات في الآية مسألتنا بخدا فبرها ، فالنبات أذكرتني بالمعلومات الجزئية التي تشبه المسائل الست المتقدمة في الحساب والهندسة . والشمس ذكرتني بصانع تلك الصور الجميلة المعنوية وهو الله تعالى ، والصور المعنوية الروحية توصلنا لها المعلومات الجزئية المشار لها وهي مصنوعة لله الذي رمز له بالشمس ، وهناك تبدى لي معان كثيرة ، فالجمال والعلم وكل معنى شريف إنما يكون في العالم العقلي ، وما الحس إلا أثر من آثاره .

أليست هذه مسألتنا التي نبرهن عليها الآن ، وما مثل الحرارة المرسله من الشمس إلى ماء البحر التي بها يكون البخار فالسحاب فالمطر إلا كما يفعل العقل الإنساني الذي يعرف الحقائق المخبوءة في العالم العقلي فتنزل إلى العوالم الأرضية فيدرسها كما تنزلت الحرارة من الشمس فاستخرجت الماء الصافي فصار مطرا هكذا هذه العقول تستخرج بحرارة ذكائها المعارف وتنشرها بين أهل الأرض ، وهذه النظرية الآن بها نعرف أكثر آيات القرآن وأسرارها مثل « أفتأرونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى » إلى قوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى . أفرأيتم اللات والعزى » ، وآيات الله الكبرى هي التي رآها في عوالم غير عالمنا هذا ، وذكر اللات والعزى ضرب مثل للعوالم المادية ، فإن الناس إذا اكتفوا بالعالم المادي صاروا أشبه من بعض الوجوه بالذين يكتفون بالأصنام في العبادة ، ومثل قوله تعالى هنا « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » . فذكر الرحمن إنما يكون بالعلوم الثابتة المعنوية ، فأما عكوف الناس على الأمور المادية فذلك هو البقاء في مربط البهائم وشهواتها ، وهناك تكون الشياطين إذ لا شيطان ولا وسوسة إلا حيث تكون العوالم المادية والوقوف عندها ، وهكذا البيوت ذات السقف المزخرفة والسرر كلها عالم مادي ، ولكن الرحمة الحقيقية في العوالم الحكيمة العقلية وهكذا قوله تعالى

« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ، فضل الله ورحمته هنا هي العلوم والمعارف ومنها الدين والوحي والذي يجمعونه هو المال . هذا هو القرآن ، واعجب كيف تكون هذه المعاني هي التي يحوم حولها سقراط ، ولقد أوضحت لك أيها التلميذ الدلائل التي أجملها هو وفصلتها لك تفصيلا تاما ، ثم لتعجب ولتعجب ألف مرة من دين الإسلام كيف تكون الآيات التي تعد بالآيات في هذه المعاني قد ذكرت في جمهورية أفلاطون ، ألا فلاشحك بعضها في العز وفي الجمال والعدالة وهكذا ، إذ ذكر في الكتاب السادس منها أن الفلاسفة وحدهم هم الذين يقدر أن يحكموا الأمم وأما الجهلاء فلا ، ومن هم الجهلاء إذن؟ هم التأهون في تعدد الصور أي هم الذين لا يفكرون بعقولهم . وكل مقصودهم هذه الخلوقات المشاهدة لا المعقولة كما قسمنا .

« واشرع الآن في إيراد ما جاء في جمهورية أفلاطون » من صحيفة ١٥٦ إلى ١٥٨ وهناك نصها بالحرف لواحد .

قال سقراط : لما كان الفلاسفة هم القادرون على إدراك الأبدى غير المتغير ، ولما كان العاجزون عن إدراكه تائهين في بقاء الغير وتمدد الصور ليسوا فلاسفة ، فأى الفريقين يجب أن يحكم ؟  
غلوكون : بماذا أجيب إذا رمت أن أنصف القضية ؟

(س) سل نفسك ؟ أى الفريقين قادر على رعاية قوانين الدول وعاداتها . وليكن هؤلاء الحكاميين (غ) أنت مصيب .

(س) أفيمكن أن نسأل : هل الأعمى أو البصير أهل للحكم . ولحفظ كل شيء ؟

(غ) لا محل لهذا التسأل .

(س) أفنظن أن هنالك أقل فرق بين حال العميان . وحال الذين تجردوا كل التجرد من معرفة الأشياء على ما هي في ذاتها . وليس لهم في نفوسهم مثل واضح وليسوا بقادرين أن يتفلسفوا في الحقيقة الكاملة تفرس الصور فيتخذونها عودجا دائما يتأملونه ويدرسونه بأنهم عناية فلما يتقدمون للعمل في النظم الأرضية فيها هو جميل وصالح وعادل ، واضمين هذه الأشياء في محلها اللازم ، ساعرين على حفظها حيث وجدت

(غ) كلا ليس بينهم كبير فرق .

(س) أفهؤلاء نعين حكاما ونؤثرهم على العارفين كل شيء معرفة حقيقية وليسوا أقل من إخوانهم اختابارا ، ولا هم دونهم في دوائر الفضل الأخرى .

(غ) من الجبون تولية غيرهم . إذ أنهم لا يتفحصون جدارة ، ولأن النقطة التي يتفوقون فيها هي أم كل شيء .

(س) أفنقدم الآن لبيان كيفية امتلاكهم نوعي الجدارة ؟

(غ) من كل بد .

(س) إذا كان الأمر كذلك وجب أول كل شيء أن ننظر نظر ناقبا في سجيته الخاصة كما قلنا في مسهل بحشا ، وأنظن أنا إذا اتفقتنا فيها اتفاقا كافيا اتفقتنا أيضا في إمكان اقتران الجدارتين في الأشخاص أنفسهم وأن أرباب هذه الصفات دون غيرها هم الذين يحكمون الدول ؟

(غ) وكيف ذلك ؟

(س) دعنا نسلم أن أرباب الفطرة الفلسفية هائمون بكل أنواع المعارف لتتجلى لهم حقيقة هذا لوجود الخالد الذي لا يغيره الزمن ، ولا تسطو عليه عوادي الزمن .

- (غ) فلنسلم  
 (س) ولنفرض أيضا أنهم شغفون بحقيقة الوجود الخالد لا يرضون منه بديلا ، ولا أن يحذف فرع من فروعها ، كبيرا كان ذلك الفرع أو صغيرا ، معتبرا أو مستصغرا ، كما أننا ذلك سابقا في كلامنا في أرباب المطامع والحب ؟
- (غ) أنت مصيب .  
 (س) والآن نتقدم لنرى هل في الإمكان أن نجد صفة ثالثة في خالق الدين تنطبق أوصافنا عليهم ؟  
 (غ) وأية صفة تعنى ؟  
 (س) أعنى صفة الصدق أى العزم على تجنب الكذب في كل صورته ما أمكن ، ومقته مقنا كليا . ومحبة الصدق محبة حقيقية .
- (غ) نعم والأرجح أننا سنجد فيهم هذه الصفة .  
 (س) ليس الأرجح فقط بالصدق ، بل إنها ضرورة لامندوحة عنها . فإن من كان فيه شغف فطرى بشيء سر بكل ما اقترن بذلك الشيء اقترانا وثيقا .  
 (غ) يقينا .  
 (س) أفوجد حليفا أصدق بالحكمة من الصدق ؟  
 (غ) مؤكدا لا .  
 (س) أفستطيع فطرة واحدة أن تحب الحكمة وفي الوقت نفسه تحب الكذب ؟  
 (غ) لا يمكن ذلك قطعا .  
 (س) فالنتيجة هي أن عاشق المعرفة الحقيقية يصبو إلى الصدق منذ الطفولية صبوا شديدا .  
 (غ) نعم يصبو .  
 (س) ولا رتاب في أن من تنصب رغباته على شيء انصبابا شديدا يضمف ميلها إلى سواه كالماء الذى يتحول عن مجراه .
- (غ) نعم لاشك في ذلك .  
 (س) فمتى تحول التيار نحو العلم بكل فروعها حامت رغبات المرء حول اللذات العقلية هاجرة اللذات التى محورها الجسد . هذا إذا كانت محبته الحكمة حقيقية لا مصطنعة .  
 (غ) لا يمكن أن يكون غير ذلك .  
 (س) ثم إن إنسانا كهذا يكون عفيفا لا يسوده الطمع لأنه أبعدها عن اعتبار الأشياء التى تعمل المرء على الاستئانة فى حب المال مهما يكفه الأمر .  
 (غ) يقينا .  
 (س) وهنالك نقطة أخرى ينبغى لك اعتبارها فى تمييز السجية الفلسفية عما سواها .  
 (غ) وماهى ؟  
 (س) إنها تحذ النعاضى عن أية وصمة سافلة ، لأن الصغارة أعظم ضد للنفس المتصفة بالميل التام لامتلاك الحقيقة الإلهية والبشرية فى حالى وحدتها وتميمها فى كل أين وآن .  
 (غ) غاية فى التأكيد .  
 (س) أنتظن أن النفس المملوءة بالأفكار السامية المعتازة بالتفكير يمكنها أن تعلق شأنها كبيرا على الحياة الحاضرة .

- (غ) كلا ذلك غير ممكن .  
 (س) فإنسان كهذا لا يحسب الموت حادثا مروعا .  
 (غ) مؤكدا أنه لا يحسبه كذلك .  
 (س) فلاحظ للفطرة الجبابة في الفلسفة الصحيحة .  
 (غ) لا أراها تتمكن منها .  
 (س) أفيمكن عقلا مترناحزا من الطمع والسفالة والعجرفة والجبابة أن يكون صعب المراس أو متعديا؟  
 (غ) غير ممكن .  
 (س) حنين تراقب ظاهرات الخلق الفلسفي والخلق غير الفلسفي يجب أن تلاحظ أيضا منذ الصغر هل ذلك العقل لطيف عادل أو شرس ووحشي؟  
 (غ) تماما هكذا .  
 (س) وهناك نقطة أخرى لا إخالك تغفلها .  
 (غ) وما هي ؟  
 (س) أبسرعة يتعلم ذلك العقل أم ببطء ؟ لأنك لا تستطيع أن تتوقع أن يجب أحد عملا ما محبة كاملة وهو يتعاطاه بصعوبة وأزعاج فيكون تبعه كثيرا ، ونجاحه قليلا .  
 (غ) كلا ، ذلك مستحيل .  
 (س) وإذا كان حليف النسيان فلم يذكر شيئا مما حصله ، أفلا تفرغ جميعته من المعرفة ؟  
 (غ) تفرغ :  
 (س) أفلا تظن أن جهوده العقيمة تنهى به إلى كرهه نفسه ووظيفته  
 (غ) دون شك .  
 (س) فلا تدرجن حليف النسيان في عداد النفوس الفلسفية بل نطلب ذوى الذاكرة الحافظة . انتهى ما أردته من جمهورية أفلاطون « والحمد لله رب العالمين .  
 ولقد شرح قبل ذلك في الكتاب الخامس أن الرجل ذا الفطرة السليمة يعلم أن من شغف بالحب في شرح الشباب يكون شديد الشغف بمحبوبه ، فيمدح في الفتى قصر الأنف لأنه جذاب ، والأنف الأفتى أيضا أمره عجب ومظهره بديع ، والأنف المتوسط يجعل الوجه أكثر اتساقا وجمالا ، ومدح الأحمر اللون بأنه ذورجولة ، وشعر الألوان بأنهم أعلى الناس ، والعشاق يمدحون ( الأصفر الزيتوني ) .  
 وذلك لأنه انتحل عنذرا لما رأى صفرة في وجنة الحبيب ، وبالاختصار يختلق العاشق جميع أنواع الأعذار لمدح جميع صفات محبوبه ، وهكذا الموالمون بالخر فانهم يختلقون جميع الأعذار لرشف أنواع الخمر كلها ، وهكذا عشاق المجد فإهم إذا لم ينالوا إكرام عظماء الرجال اكتفوا بمدح الأقلين بمن لا وزن لهم ، وهذا مجد على أية صورة ، هكذا فلنقل : محب الفلسفة يجب أن يكون عاشقا لها جميعها عاشقا كليا لا جزئيا مولما بجميع العلوم . أما المغرمون بسماع القصص والحكايات والنوادر ، والذين يدخلون كل جوقة لسماع الطرب ، وكأهم أجروا آذانهم للسمع ، فهؤلاء نسميهم فلاسفة زائفين ، والحقيقيون هم الذين ينظرون فيما هو ثابت لا ما هو متغير ، والثابت هي المعاني السكائية المتقدمة التي ترجع لها جميع العلوم .  
 وهذا أخذ يبين أن هناك جمالا وقبعا ، وعدالة وتعديا ، فكل منها واحد في نفسه عقلا ولكنه متعدد المظاهر . ثم قال إن الذين أغرموا بالعلوم كلها ، وأدرسوا الحقائق ، وتعلقت نفوسهم بالصور المعنوية التي

سبقت فهو لاء قسم وهم الفلاسفة الحقيقيون ، أما عشاق النظر الظاهر والصناعة والفنون ورجال العمل فهو لاء لا نسميهم فلاسفة ؛ فعشاق الأصوات الجميلة والأشكال والألوان والصور وكل ما أنتجه الفن ليسوا فلاسفة ، لأنهم لم يعرفوا الجمال المطلق الذي أوضحناه ، وحياء هؤلاء حلم ومنام ، فليسوا أحياء لأنهم خلطوا الحقائق بالصور ، وإذا أردنا أن نتلطف مع هؤلاء جميعا قلنا لهم : « أيها الأحباب إن عقولكم عقول متوسطة ، ذلك لأنها أدركت ما هو متردد بين الوجود والعدم وهي هذه الصور والأشكال لأن وجودها ليس دائما ، فهو لاء لا نبخسهم حقهم ، ولا نقول لهم إنكم جهال كالذين يقولون إن المعدوم موجود كلا ؛ فالذين يحكمون بوجود المعدوم جهال ، والذين يقولون بوجود الدائم هم الفلاسفة ، أما أنتم فلا أنتم فلاسفة ولا أنتم جهال ، بل أنتم ذوو عقول متوسطة بين الجهل والعلم ، لأنكم خلطتم في حكمكم وفرحتم بالأشياء الأرضية من مال ومتاع وجمال وثروة ومنصب ، فلسنا نحكم على عقولكم بالجهل المطبق ولكنكم أشبه بالأطفال تفرحون بالألعاب » .

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : الله أكبر ، إنى قرأت ذلك في نفس الجمهورية . ولكن القول هناك مطول ، وهنا ظهرت المعاني ظهورا واضحا ولم يخرج هذا عنها .

الله أكبر : إن هذه المعاني تنطبق على آي القرآن التي تزهد في الدنيا وتحبب في الآخرة ، ولكن وصفك لها على هذا النهج يجعل المسلمين بعد اليوم مغرمين بالعلوم مع شدة حرصهم على نفع الناس فيكون العالم فعلا زاهدا في الدنيا لأنه عرف حقيقتها وهو نفسه ينبوع يقبض الخير على أمته فترتقى بما تسمع من علمه ويكون أشبه بالشمس والناس أشبه بالخلوقات على الأرض فهو كلي أنتج الجزئيات ، فأما أكثر كتب الصوفية ومن على ساكنتهم في القرون للتأخرة فإنهم تصدوا إلى احتقار الدنيا ولصحتهم في الوقت نفسه لم يشعروا الناس في إدراك العلوم وتنظيم المدن . كلا . فأعطت الأمم الإسلامية ، وأن هذا الشرح الذي أتبنته الآن من أعظم النعم ، ولطالما أشكل على ما كنت تقول لي سابقا من أن القرآن يعوزه في تفسيره علم جميع الحكماء ، فيها أنا ذا الآن أرى أكبر العقول في العالم الإنساني بعد الأنبياء ( وهو عقل سقراط وأفلاطون اللذين قال فيهما الفيلسوف سبنسر الإنجليزي وستلانه التلياني : « إن عقول فلاسفة أوروبا بالنسبة لهؤلاء كالبقعة بالنسبة للغيل » هو الذي يقوم بشرح هذه الآيات وإيضاح بعض حقائقها ) وأن القصور والمعارج المزخرفة والسرير البديعة وحطام الدنيا ، كل هذا لاحظ للإنسان فيه كامل ، والشياطين تلازم المادة ، ورحمة الرحمن تلازم العلوم والمعارف والمعاني التي لا تتغير بتغير الزمن والنفوس تعلقها بإشراق النور الإلهي عليها . ولقد زاد تعجبي ودهشي إذ أرى سقراط يقول : « إن المعاني العقلية التي هي صور وأساس لكل ما على الأرض وغيرها من عالم المادة صنعها الله بنفسه ، والشمس جعلت رمزا لله فصنع الله للعقل العقلية بلا واسطة مثله لنا وقربه لعقولنا كون الشمس سببا ظاهريا لوجود الحوادث التي تقابل تلك المثل ، وهذا وإن كان جميلا فإني مرتقب ما ستقولونه في ( سورة محمد ) صلى الله عليه وسلم ولكن إذا أشرت إليه هنا فإني أكون شاكرا أجل شكر فقلت : إن حاسة اللمس تنصل بحسوساتها وحاسة الشم كذلك ، وهكذا حاسة الذوق والسمع والبصر ، فكل واحد منها متصل بالعالم الذي يحس به ، فلا ريب أن يكون للعقل اتصال بعالم عقلي أوسع مما لا حصر له من العالم المشاهد ، وهذا البرهان الذي سأوضحه إن شاء الله هناك أقرب إلى اليقين من برهان سقراط . فقال حسن والله لقد انشرح صدري . فقلت : الحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة .

### اللطفية الرابعة

(في قوله تعالى : « ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ، إلى قوله : منها تأكلون مع قوله تعالى : وهو الذي في السماء إله إلى قوله : وعنده علم الساعة وإليه ترجعون » مع ملاحظة نظائر هذه الآيات كقوله تعالى في سورة الزمر : لئن الذين اتقوا ربهم إلى قوله تعالى يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه الخ )

ما أجمل العلم ، وأبهج الحكمة ، وحي نزل ، ودنيا منتظمة ، تسمو بهما العقول ، وترقى بهما النفوس الدنيا عروس زينت للناظرين ، وجنة بهجة للمفكرين ، نحن نعيش في جو من النور . والكتاب السطور والعلم للنشور ، فسبحان الله مسدى النعم ، مظهر الحكم ، باري النسم ، أليس من عجب أن نسمع في القرآن وصف الجنة أنها غرف من فوقها غرف مبنية ، ثم نسمع عقبها الكلام على الماء النازل من السماء الذي جرى في باطن الأرض فخرج ينابيع فوقها فكان النبات المختلف الألوان ، ثم أليس من أعجب العجب أن نرى في (سورة العنكبوت) ما يشابه هذا إذ وصفت الجنة بأن فيها عينا جارية ، وسررا ، وأكوابا ، ونمارق ، ووزراي . ثم يعقب ذلك ذكر الإبل كيف خلقت ، والسماء كيف رفعت ، والجبال كيف نصبت ، فهنا أتبع ذكر الجنة بالماء والنبات ، وهناك أتبع بالحيوان والسماء والجبال . فما هذا العجب ! جنة تذكر في القرآن ويذكر عقبها هذه العوالم فيقال هناك : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الخ » ويقال في آية الزمر : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » على سبيل الاستفهام التقريري وهو أبلغ بما لا حد له من جعل الكلام خبرا أليس هذا من الأسرار المكنونة والجواهر الحسنة النظام ، نعم هنا سر وأى سر ، فاعلم أن الإنسان يصبو للجمال والحب ، فالنوع الإنساني كله يطلب الجمال والجمال مطوب للحب ، والحب هو المقصد الأسمى لهذا الإنسان ، والأمانة التي قل فيها الحب يقل فيها النافون المفكرون ، والحب لا يكون إلا للجمال ، والجميل ما يناسبنا ويوافقنا ، والقيبح ما ينافرنا ، وكل ما يؤلمنا سفر لنا ، والموافق لنا هو الذي جعلت صورته الظاهرة في نظرنا أو صورته الباطنة بعلم أو بشجاعة أو إحسان ، والاختصار كل جمال يرجع لأمرين : العلم والقدرة ، فالعالم محبوب ، والشجاع محبوب ، والمحسن محبوب ، والإحسان والشجاعة رجمان للقدرة ، والجمال الظاهري فيه نوع من القدرة ، فأما العلم فهو معروف ، ولا جرم أن من يسمعون شجاعة عترة العيسى أو علم الشافعي وأفلاطون وأبي حنيفة ويرون ذوى الجمال يكون جهم على مقدار الأثار الواصلة لقلوبهم من أولئك المحبوبين ونرى الرجل في حياته بين امرأتين : إحداهما ترضعه ، والأخرى يسكن إليها ، فالأولى أحبها من طريق الإحسان ، والثانية أحبها من طريق الشهوة والجمال ، فما أبدع القدرة ، وما أجمل الحكمة ، يعيش الناس ويموتون وهم موزعو القلوب بين عوامل لا يدرسونها ، وفي سبيل لا يفهمونها ، وهم محمولون على أجنحة لم يروها ، يدارون بقوانين مجهولونها ، ويعمكون بسنن لم يسئوها .

ولا جرم أن الإحسان المذكور والجمال من نوع القوة والقدرة ، ثم إن الإنسان فيما بين الرأتين يعلمه الأستاذون ، ويؤدبه المؤدبون ، وذلك من طريق العلم ويكون حبه للاستاذ على مقدار ما عرف من حكمته وما أدرك من فطنته ، وما استفاد من خبرته ، إذن الحب موزع على إحسان الأم وجمال المرأة وعلم الأستاذ فهنا اجتمع عند أكثر الناس أصول الأسباب التي بها الجمال ، ولا جرم أن هذا تمرين على إدراك الجمال الأسمى . واعلم أن الإنسان مع هذا كله محبوس في هذه الأرض ، محكوم عليه بالسجن فيها ، مبعدين

بدائع السموات ونجوم الأرضين ، بل لاقدرة له على معرفة نفس هذه الأرض التي يسكنها إذ يجهل بواطن جبالها وبحارها وأنهارها وجوها بل يجهل خواص جسمه ومعجائب روحه ، ومع ذلك له نفس توافقه إلى إدراك ذلك ، فهي تطوف به أعلى العلا ، وتسمو به فوق العرش وتحت الفرش ، نفس وثابة خطواتها تنهب الفلوات وتقطع السموات مع أنها محبوسة الجسم مكبلة الروح .

نرى الرجل إذا أدخل السجن حن إلى وطنه وأهله ، وكان ألمه على مقدار ما عرف من الأهل والأصحاب وما كسب من المال الذي حرمه ، وللك الذي صرف هو عنه ، هكذا نرى نفوسنا تود لو تطير إلى أقصى السموات أو تحترق بنجوم الأرضين ، إذن هي كالمحبوس في سجنه . إذن هي كانت تتمتع تمتعا ما بتلك العوالم وحجرت عنها ، وإلا فلماذا هذا الحنين والفرام ، وما هذا التفات على العوالم ، وما بالنار أراها مذجات إلى هذه الأرض تقرأ علم الفلك ، وتخترع المجاهر ( الناظر المعظمة ) وتدرس أقدار النجوم ، وتعددها وتحسبها ، وتمد أبعادها وأقدارها وتفرح بذلك مع أنها لا تعلم فيها ولا شراب ولا ملك ولا مال ، ونسمع أن نجمة من نجوم الجبار وهي الجوزاء قدر الشمس ٢٥ مليون مرة كما تقدم في هذا التفسير ، فنفرح بذلك فرحا شديدا ، ثم نقرأ في الكشف الحديث أن المجرة التي تشتمل على آلاف الملايين من الكواكب وشمسنا كوكب واحد منها تدور حول نفسها مرة واحدة ( كما تدور أرضنا في اليوم والليل ) في مدة ( ٣٠٠ ) مليون سنة فتدهش فلوبنا ونفرح ويكون ذلك لنا سعادة وذكرى ومسرة وقد اشتركت جميع أمم الأرض في هذه العلوم وكل أمة تسابق أخرى في هذا الكشف ، ولا ريب أن ذلك كله حصل لما نظر العلماء كواكب السماء بمنظار قطره مائة بوصة ، وهام الآن في أمريكا يصنعون ( تلسكوبا ) قطره مائتا بوصة ، وهذا سيأتي بعالم يعلم به أهل الأرض من العلم قريبا .

ذلك هو طبع الإنسان ، فالعلماء يتسابقون إلى ازدياد العلم غراما وجبا أكثر من تسابق رجال الحرب في إعداد المعدات الحربية وتدمير المدن ، وهاتان الطائفتان مشتركتان في خلاص الناس من الجهل ، فالعالم بعلمه وصانع القنابل بالقليل يخرج الإنسان من هذا الجسم فيرجع إلى عالمه الروحي فيدرس على مقدار طاقته إياك أيها الدكي أن تنكر على هذه الجملة ، فحن الآن في مقام الجمال والحب والمعجائب الإلهية ، فهذا القتل بالحرب وإن كان مذموما ومخربا للأمم ذكرناه من حيث إننا ندرس نفس الوجود ، وصانع العالم حكيم يداوى الداء بالداء ، فالناس أشبه بمن أصابه القولنج فأصيب بالحمل فسكانت سببا في شفاء القولنج ، فهذا خراب للأمم ، ولكن نفس الأشخاص خرجوا من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح ، نعم أكثرهم يخرجون ناقصين ولكن النظام نجمله « والله بكل شيء محيط » .

إذا عرفت هذا أدركت تفسير هذه الآيات وأمثالها . علم الله تعالى حبس الناس في الأرض وتشوقهم إلى الحرية التامة بانطلاق أرواحهم إلى باحاتها فأبرز لهم علمين : علما مسموعا ، وعلما معقولا . أما العلم المسموع فهو ما يذكر في نحو الآيات من الغرف التي من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ومن السرر المرفوعة ، والأكواب الموضوعة ، والتمارق للسفوفة ، والزرابي البشوفة . ومثل البناء بلبينات الفضة ولبينات الذهب في الجنة ، وملاط ذلك البناء مسك ، والحصباء لؤلؤ وياقوت ، والتراب زعفران ، وأهم لا يعوتون ومثل أن الحيمة من لؤلؤة مجوفة ، ومثل أن الجنة فيها مائة درجة ، والدرجة الواحدة تسع العالمين جميعا ، ومثل أن الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، ومثل إن المرأة من أهل الجنة لو ظهرت إلى أهل الأرض لأضاءت الدنيا ولملأها ريحا ، وشماتها خير من الدنيا وما فيها . ومثل أن هناك سوقا للصور يدخل فيه المؤمن فيرجع بالصورة التي يحبها ، فهذه المعجائب للمسموعة في الكتاب تارة والسنة أخرى ترجع إلى

الجمال وإلى القدرة ، فالشجرة التي يسير في ظلها الراكب مائة عام ترجع للعظمة والعظمة محبوبة ، فهي ترجع للقدرة كما رجعت شجاعة الشجاع إليها ، والغنى محبوب لأنه يملك مالا ، والملك قدرة ، هكذا هذه الشجرة العظيمة ، والحوراء الجميلة ، والقصور البديعة ، فيها الجمال ، وفيها القدرة والعظمة مع الإحسان ، فها هنا اجتمع الجمال والعظمة والإحسان ، وكل هذا محبوب ، فالؤمن إما شهوانى فيكون حبه لنفس الجنة ، وإما حكيم فينتقل هذا الحب لخالق الجمال ويحب الله نفسه ، وإليه الإشارة بحديث الترمذى عن ابن عمر « وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا » وأيضا حديث الترمذى ومسلم : « فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى » اهـ .

لما وصلت إلى هذا المقام واطلع عليه صاحبي الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير ، فقال حسن ماقلت وبدع ماوصفت ، ولكني سألتك سؤالين : الأول أن هذه الأوصاف التي أسندتها للأحاديث فوق طور العقول فما هذه الشجرة التي لا يقطعها الراكب في مائة سنة . إن العقل لا يقبلها قبولاً حسناً . والثاني أنت ذكرت أوصاف الجنة من الأحاديث فأحب أن أسمعها لأعرف روايتها حتى تطمئن النفوس للرواية ، ومن أي الكتب ولا جرم أن هذا المقام كله في الكلام على ماهو مسموع ؛ ومتى تم الكلام عليه نريد أن نشرح للعقول شرحاً وافياً كما نشرح للمسموع لأن هذا المقام جميل ، فإذا كان مستوفياً شرحه شرح الصدور . فقلت أما كون الشجرة المذكورة وأمثالها لا يقبلها العقل فهذا ممنوع لأن الإمكان لا حصر له . فقال نعم هو لا حصر له ولكن الإمكان شيء وتصور الممكن وقبوله أمر آخر . فقلت : أليس تذكر الكوكب الذي ذكرت لك أنه قدر الشمس (٢٥) مليون مرة . فقال : بماذا يفيدني هذا . فقلت : هو شمس ، قال نعم . فقلت : إذا قسناها على شمسنا كان لها سيارات . قال نعم . فقلت : وأرضنا حول شمسنا ليست أكبر كوكب . قال نعم . قلت : وشجرها نعرفه . ولا جرم أن السيار يكبر بنسبة شمس ، فلو أن أرضنا كبرت بالنسبة لكبير الشمس (٢٥) مليون مرة لكانت أشجارها أكبر من حالها الآن (٢٥) مليون مرة ، وأكبر شجرة في أرضنا إذا كبرت (٢٥) مليون مرة احتجنا في قطعها إلى عشرات السنين ، فإذا تذكرنا كوكبا آخر حول الشمس كالشترى زادت شجراته أضغافاً مضاعفة ، ألا ترى أن الشترى الذي هو أكبر السيارات حول الشمس حججه قدر حجم الأولى (١٣٠٠) مرة ، فإذا جعلنا أكبر شجرة فيه أكبر من أكبر شجرة في أرضنا (١٣٠٠) مرة ، وجرى الفارس تحت أكبر شجرة أرضية في زمان ما ، وكبرت شجرة الشترى (١٣٠٠) مرة ثم ضربنا هذه في ٢٥ مليوناً فيكون سير الفارس تحتها في سنين كثيرة .

وإذا وجدنا اليوم كوكباً أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة ، فنحن قريباً سنسمع عن كواكب أعظم وعليه تصبح الشجرة المذكورة في الحديث من أصغر الأشجار ، بل إذا تذكرنا أن ذلك الكوكب الذي هو أكبر من الشمس (٢٥) مليون مرة فيه مواضع مسكونة ، كما أن أرضنا فيها مواضع مسكونة لا كلها كانت الشجرة التي فيها لا يقطعها الفارس في ألف سنة لافي مائة فقط ، إذن العلم الحديث اليوم فتح باباً لتصور عقولنا عظيمة الله وعظمة الملك ، وإذا كانت العوالم المحسوسة التي ليست بجنة هذه عظمتها وقد وجدنا فيها هذه العظمة فما بالك بعوالم الجنة .

هذا ما أقول لك أيها الذكي جواباً على سؤالك الأول وهو أنك تستبعد ماجاء في وصف الجنات ، أما السؤال الثاني وهو أنك تريد أن تسمع نفس الأحاديث بأسانيدها ؛ فهناك ماجاء في كتاب (تيسير الوصول لجامع الأصول) من المجلد الثالث في صحيفة ٢٣٥ وما بعدها وهذا نصه :





وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو أن ما قبل ظهره في الجنة  
بدأ تحرق له خوفاق الحيات والأرصر، ولو أن رجلا من أهل الجنة أطاع فيها حواره لطمس ضوء  
الشمس كما تطمس الشمس من الجحوم» (أخرجه الترمذى) قوله (الخرقة) الرية الزخرف (الذهب)  
ووافق السماء حوانها الأرملة وهي جهات الرياح الأربع.

وعن أس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا أربعة  
أهبار نهران ظامران وسهران باطنان. فَمَا الظاهران فائيل وفائيل والفرت. وأما البطان فهران في الجنة»  
أخرجه البخارى.

وعن ردة رضى الله عنه قال: «سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل في الجنة خيل؟  
قال إن الله أدخلك الجنة ولا تشاء أن تعمل فيها على فرس من يافوثة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا  
كان. فقال آخر: هل في الجنة من إبل؟ قال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما شئت نفسك ولدت عينك»  
(أخرجه الترمذى).

وعن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لجناتهما للهور العين يغنين  
بأسوات لم يسمع الخلائق منها، يملن: نحن الخائذات فلانيد، وعن الناعمت فلا نبأس، وعن  
الرضيات ولا تسخط. طوى لمن كان لنا وكنا له» (أخرجه الترمذى).

قوله (الهور) جمع حورا، وهي الزئيدة يباس العين الشديدة سوادها (والعيناء) واحدة العين وهي  
الواسعة العين، وقوله لا نبيد: أى لا يهلك ولا تناف.

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لوقا يأتونها كل جمعة  
فهب ريح الشمال فتحثوا في ثيابهم ووجوههم فيزدادوا<sup>(١)</sup> حسنا وجمالا. فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا  
حسنا وجمالا فيقول أهلهم: والله لقد ازدادتم حسنا بعدنا وجمالا، فيقولون: وأسم الله لقد ازدادتم بعدنا  
حسنا وجمالا» (أخرجه مسلم).

وعن علي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لوقا ما فيها ثمرها ولا يسبح  
إلا الصور من أرجال والنساء، فإذا انتهى لرجل صورة دخل فيها» (أخرجه الترمذى) انتهى الفصل الأول

### الفصل الثاني

#### (في ذكر أهل الجنة)

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليتراءون أهل  
الغرف كما يتراءون الكواكب في السماء» (أخرجه الشيخان).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليتراءون أهل  
الغرف كما يتراءون الكواكب الدرر في الغار في أتقى من الشرق إلى المغرب لفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول  
الله: تلك منازل الأنبياء لا ينفعها غيره. قال: على والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»  
(أخرجه الشيخان). وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول زمرة  
يدخلون الجنة على صورة العر ليلته الدرر، ثم الذين يلونهم على شكل كوكب درى في السماء إضافة لا يبولون

(١) هكذا في النسخ والله فيزدادون.

ولا ينعطون ولا يغفون ولا يخطون أمشاطهم لذهب ورشحهم المسك ، ومجاثرهم الألوة (١) . الجوج (٢)  
عود الطيب ، وأرواحهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء .  
(أخرجه الشيخان والترمذي) قوله الألوة ، والألجوج من أسماء العود الذي يتخر به ، ومن أسمائه  
السكباء (٣) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يأكلون فوا يشربون  
ولا يتفلون ولا يبولون ولا يغفون ولا يخطون . قيل فما بال الطعام . قال جشاء ورشح كرشح المسك  
بلمعون النسيج والتحميد كما تلمعون النفس » (أخرجه مسلم وأبو داود)

وعن الحصري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من  
صغير أو كبير يدخلون الجنة بنى ثلاثين لا يزيدون عليها أبداً . وكذلك أهل النار » (أخرجه الترمذي) .  
ومن أن هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة جرد مرد كحل لا يغني شباهم  
ولا تبلى ثيابهم » أخرجه الترمذي .

وزاد في رواية : « عليهم التيجان ، وإن لؤلؤة منها لنعى ما بين الشرق والغرب » . قوله الجرد جمع  
أجرد وهو الذي لا شعر عليه ، والسكجيل هو الذي ترى أبقاضه كأنها من حولة من غير كحل .  
وعن أبي رزين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكون لأهل الجنة ولد »  
(أخرجه الترمذي) .

وزاد في رواية عن الحصري : « إن انتهى الولد كان حمله ووضع وسنه في ساعة واحدة » قال بعضهم  
ولكن لا يشبه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا  
وكذا من الجماع . قيل يا رسول الله أو يطبق ذلك . قال يعطى قوة مائة » (أخرجه الترمذي) .

وعن الحصري رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة  
واحدة يتسكفها الجبار بدمه كما يتسكف خبزته في السفر نزل أهل الجنة . فأتى رجل من اليهود فقال  
بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ، قال بلى . قال تسكون الأرض خبزة  
واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فظفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثام ضحك حتى بهت وتاجده  
ثم قال لا أخبرك بإنعامهم . قال بلى قال لا أم ونون . قال وما هذا قال نور نون يأكل من زائدة كبرهما يعون  
ألقاه (أخرجه الشيخان) قوله يتسكفها أي يقلها ويميلها . والجبار من أسماء الله تعالى ، والنزل ما يعد للسير  
من طعام وشرب ، والنواجد الأنياب ، وبالأم التور كما فسره في من الحديث ، ولعل للفظه عبرانية ،  
والنون الحوت وهو عربي .

وعن الحصري رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة منزلة الذي  
له ثمانون ألف خادم ، واثنتان وسبعون زوجة . وتنسب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجارية  
إلى صعاء » (أخرجه الترمذي) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه وخدمه ونعمه سريره مسرة ألف عام . وأكرمهم  
على الله من ينظر إلى وجهه غيرة بعشية . ثم قرأ صلى الله عليه وسلم : وجوه وشهواته إلى ربنا نظرة »  
(أخرجه الترمذي) .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سأل موسى عليه السلام ربه تعالى : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يحىء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : أدخل الجنة فيقول : أى رب وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال : أما ترى أن يكون لك مثل ملك (١) ملك (٢) من ملوك الدنيا ، فيقول : رب رضيت ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فيقول في الخامسة : رضيت رب ، فيقول . هذا لك وعشرة أمثاله ؛ ولك ما اشترت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رب رضيت ، فقال : فأعلام منزلة ، قال أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم يدي وختمت عليها فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » (أخرجه مسلم والترمذي) .  
وقوله أخذوا أخذاتهم أى نزلوا منازلهم المختصة بهم .

وعن الحدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رزيتم ، فيقولون : وما لا نرضى باربنا ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » (أخرجه الشيخان والترمذي) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه » (أخرجه الترمذي) .

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف متضمف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » (أخرجه الشيخان) .

ولأبى داود من رواية حارثة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجمظرى » . قال والجواظ الغليظ النفظ . قات الجواظ النوع ، وقيل السمين المختال في مشيته ، وقيل القصير البطين ، والجمظرى الفظ الغليظ والله أعلم اهـ .

### رؤية الله تعالى

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه . قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر ، فقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته ، فان استظمت أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » أخرجه الحجة إلا النسائي .

وعن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار . قال فيكشف

(١) بضم فسكون . (٢) بفتح فسكسر .

الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ، ثم تلا هذه الآية : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » أخرجه مسلم والترمذى .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك تعالى قال نور إنى أراه » ( أخرجه مسلم والترمذى ) .

وعن مسروق قال « قلت لعائشة رضى الله عنها : يا أمته هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا » ، ومن حدثك أنه كتم شيئا من الوحي فقد كذب ثم قرأت « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » الآية ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين » ( أخرجه الشيخان والترمذى ) انتهى الفصل الثانى ، وبهذا تم الكلام على العلم السموع من الكتاب والسنة .

### الكلام على العلم المعقول

لقد عرفت أيها القارىء العلم السموع فى هذا المقام من الكتاب والسنة ، وأدركت أن العلوم التى ملأت الدنيا كلها إلا بلاد الإسلام قربت لنا تصور النبوة المحمدية وأصبحنا نشاهد نجومها أقدارها قربت لعقولنا تلك الصور الجميلة فى الجنة ، فهناك أحدثك حديثا عجبا فى القرآن نفسه وفى الدنيا : تقدم فى هذا المقال أنى ذكرت لك أن آيات النبات والماء فى هذه الصورة ذكرت عقب ذكر الجنة ، وآيات الإبل والسماء والجمال فى سورة الغاشية ذكرت بعد ذكر الجنة ، فما الحكمة فى ذلك يا ترى ؟ الحكمة فى ذلك أوضحتها العلوم التى فى هذا التفسير ، اللهم إنى أحمدك حمدا كثيرا ، أحمدك على نعم العلم ونعم الحكمة ، وهل كان يدور بخلدى أيام شبابه وأنا جاهل جد جاهل ، أنفلس العلم فى النهر وفى الحقل وفى النجم ، إنا سنصل الآن إلى أروع الجمال فى هذا التفسير ، وإنا ندرك جنة تتمتع بها عقولنا ونحن أحياء فى الدنيا قبل أن نموت ونرى الجنة الموصوفة فى الأحاديث الشريفة ، بل هل كان يخطر لى أن السعادة الحقيقية فى جنات العلوم والمعارف التى ندركها فى هذه الحياة ، وأنه لولا نكبات الحياة ومصائبها لكان جننا الآن آخذنا بقوانا وعقولنا ولعلنا أن حب الولد لأمه ، وحب الشاب لمن أغرم بجمالها فتزوجها ليس شيئا مذكورا بالنسبة للحب الذى يترتب على الجمال العلمى والحب العظيم هو الذى يذهب الحزن والغم ويجعل النفس فى السعادة التى لا سعادة فوقها ، ولكن هذا الحب الآن محبوب عند العلماء ومحسون به فى أوقات قليلة ثم تغلب عليهم أحوال هذه الأرض وعوارضها رحمة بهم ليزدادوا علما .

أقول : فهل كان يخطر لى زمن الشباب أن عقولنا فيها حساب الجندر والتربيع ، وأن نفس الجندر والتربيع الجليلين عند عقولنا نراهما فى نفس المادة كما تراه فى (سورة الرعد) تتبدأ آية « وكل شيء عنده بمقدار » وفى مواضع أخرى هناك إذ تبين أن الضوء والجازية جرى حسابها على الجندر والتربيع ، وترى الحجر إذا قذفناه فى البئر جرى بسرعة على تلك القاعدة فلا خطأ فيها ، وهذا أمر عجب أن تكون هذه الأحوال الطبيعية على هذا القانون العجيب ، أو كان عقلى يتصور أن للنمل حجرات منظمات كحجرات فى أعظم قلعة ، وأن لكل حجرة سكانا ، فهذه الجند ، ومنهم الأطنار وهكذا (انظر ذلك كله فى سورة طه وسورة النمل مرسوما)

أم كان يخيل لي وأما في الشباب أن يكون بعض الطيور خياطا ، ومنها حائك ، ومن أسود يغزل .  
 وبعض الزناير يصنع الورق ، وأن الخلد يعرف أحوال الطقس . وأن النحل يهندس ، وأن اللقلق يحكم  
 المشاورة ، وأن السكاب يعرف تماطى السهلات في الطب ، وأن الخنزير يحرث الأرض ، وأن العلق في بطن  
 الأرض يبلغ في الفدان الواحد آلافا وهو ينفع لتسميدها ولحرثها قبل أن يحرثها الإنسان ، وأن للسردان  
 درعا ، أقول . هل كانت هذه العجائب تدور بخلدى وأنا أطوف على شواطئ الأنهار وفي الحقول أتدس  
 الخناقي . أم كان يحتاج بفكرى أن فار الجسل يبنى بناء متقنا ، ويعفر أنية ليحى الماء فيها حتى قلده  
 الإنسان ، إن أكثر ما ذكرته هنا ملخص مما تقدم في (سورة طه) وأزيد مسألة حفر الخنادق لإيضاحها هنا  
 بما جاء في إحدى المجلات المدية ، فقد جاء فيها تحت العنوان الآتي مانصه :

### عجائب المخلوقات

#### الحيوانات التي تحفر الخنادق

إن حفر الخنادق خاصة يشترك فيها كثير من الحيوانات على اختلاف درجاتها من أخط الأنواع إلى أرقها  
 فبين ذوات الثدي منها عدة أمثلة على ذلك ، وأشهر الأنواع من هذا القبيل ( الخلد ) وهذه صورته ( انظر  
 شكل ٢١ ) .



( شكل ٢١ - خلد في حفرة وعلى يمين الصورة هيكل يده التي يحفر بها خادقه )

وقد منح الله هذا الحيوان يدين مساحتين بأظفار قوية تمكنه من حفر الأرض بسرعة عظيمة جدا ،  
 حتى أنك لو أخرجت خلدًا من حفرة ووضعتنه على سطح الأرض وجدت أنه بعد هنيهة وجيزة جدا قد اختر  
 حفرة واخفى عن بصرك . ولا يكفي هذا الحيوان بحفر نفق بسيط تحت الأرض بل هو يتفنن في عمله هذا  
 ويشعب من نفقه الأصلي أنفاقا في غاية البساطة ، ثم إن الخلد يحفر أخرى عديدة على شكل عرب تعديجانبها  
 صفوف الخندق والأنفاق التي يحفرها الجنود في ساحات في غاية البساطة ثم فضلا عن هذه الأنفاق غرفة  
 مستديرة يحولها مركز إقامته العائى ، ويبلغ قطر هاتين ثمانى وعشرة سنتيمترات ، ويحفر حول هذه الغرفة المستديرة  
 نفقين بشكل دائرتين الواحدة على مستوى الغرفة والثانية فرقه ، والغرفة متصلة بهذين النفقين بواسطة عدة  
 ماز حتى يحول نفسه مغذاه من أى جهة يداهمه الخاطر ، وفي داخل الغرفة شبه سرير من الأرقاقش  
 ليام عليه الحمار ، والتعلب أيضا يسمى جزءا من جبانة داخل الأرض لأنها في النهار ، وهو في الداب يستولى  
 على حفرة حيوان آخر بدلا من أن يحفر حفرة خاصة له . وحرته عبارة عن ردهات عميقة تنتهى حميمها في  
 غرفة كبيرة لا يقل عمقها عن ثلاثة أمتار ، وهذه الردهات ، متصلة بعضها مع بعض بمعار عديدة .

وأشد ذوات الثدي مهارة في حفر الخنادق وأكثرها توسعا فيها حيوان بين ابن عرس وادب فاتح اللون  
 في الأعلى وقائه في الأسفل يسمى عناق الأرض النفع وهو من الحيوانات الليلية وصرف الشتاء . وما قا

له برائن هوية يحفرها الأرض بسرعة غريبة ، وكيفية ذلك أنه يبش الأرض يديه القويين ، فاذا تراكم التراب استعمل يديه الخفيفين لدفعه إلى الوراء ، ثم يرجع إلى حنف بين آن وآخر . ويجر بحمسه التراب المتركم إلى خارج الحفرة . ولفق هذا الحيوان أبواب عديدة بعد الواحد عن الآخر نحو ٣٠ قدما وكل نفق من أنفاقه يبلغ طوله بين السبعة والعشرة أسارا وتنتهي وغرفة كبيرة على عمق متر أو مترين تحت الأرض يجعلها مقرة العادي .

هذه بعض الأمثلة من الحيوانات الثديية التي تحفر الأرض ، وهناك أمثلة أخرى كثيرة يضيق عن ذكرها التمام ، وأغرب من ذلك أن بعض الطيور (والطيور عشيقة الهواء الطلق عادة) تحفر مثل هذه الأنفاق والحفر ، فمن أنواع الطيور الحطاف نوع يحفر أعماقا على شاطئ البحر : يبلغ طولها مترا ونصف متر ويضع عشه في داخلها ، ولاشك أن مثل هذا الأمر من الغرابة بمكان ، لاسيما إذا أمعنا النظر في تركيب هذا الطير وعناية جسمه ، وهناك طائر آخر يسميه الأسبان (البناء الصغير) يضع وكره في حفرة عميقة طولها متران أو أكثر . ومثله طير أزرق صغير يسمى عند الفرنسيين (الحطاف السيام) يحطدونه من البحيرات حيث يبش في وكره . فندان .

أما في عالم الحشرات فإن مهارة بعض العناكب في حفر الأنفاق غريبة جدا يقف عندها المرء وقد أخذت منه الدهشة كل مأخذ . وهي على أنواع تحفر أعماقا ودعاليق مختلفة ، ومن أغرب أنواع العناكب نوع تسمى وكرا غربية في هندته وهو عبارة عن حفرة عميقة مسطحة بنسبج حريري خشية أن تهبط حدرانها . وفوقها باب يقي من المطر ومن الضيوف الغلاء ، وهذا النوع ينتخب عادة لمقرته مكانا محوطا بالحشائش حتى لا يظهر بيته للعادي والرائح ، أما الباب فإنه جميل الهندسة كامل الدورة يشبه الأبواب التي تقفل وحدها بزنبلك لمروية مفاصله ، ولهذا العناكب مقعدة كبيرة للدفع عن أوكرها ، فاذا سمى أحد في فتح الباب تشبثت به السكبات من الداخل حتى نه يلزم قوه كبيرة لدفعه .

وهناك حشرات أخرى كثيرة ، منها نوع من الجنادب نشرنا صورته هنا وهو يقطع جذور الشجر والبيت وينغدى منها (انظر شكل ٢٢) ولا يذم أن يبرح من ذننا مهارة التمل في هذا الفن فإنها أشهر من أن تحتاج إلى التدكير .



( شكل ٢٢ - نوع من الجنادب في حفرة يقطع جذور الأشجار )

## قوة الحشرات

إذا درسنا قوة الحيوانات بالنسبة إلى حجم جسمها وجدنا أن الإنسان من أضعفها وأعفها ، فإن المحار أو البطانيوس مثلاً يحمل ثقل ٣٧ رطلاً ، ومن السرطان أنواع يحمل الواحد منها ٤٩٢ مرة وزنه وعلى هذا المعدل كان يجب أن يحمل الإنسان للتعديل الجسم ٧٣٨٠٠ رطل .  
وفي مقدمة الدين درسوا مقدرة الحشرات على حمل الأثقال (فليكس فلانو) العالم البلجيكي ، ومما قاله إن حمل الذبابة لعمود كبريت صغير بأرجلها يعادل رفع الإنسان برجله لعمود خشب طوله ١٤ قدماً ومساحته عند قطعه عمودياً قدماً ٦ بوصات مربعة .

ومن البق نوع يجترست عيدان كبريت وهي تعادل للرجل (٣٣٠) عموداً من الخشب بحجمه ، وطريقة العالم المتقدم في درس قوة الحشرات أنه يربطها إلى ميزان دقيق ثم يخزها ظالمناً ثم يتحرك عقرب متصلة بالميزان فتدل على قوة تلك الحشرة . انتهى ما أردته من مجلة الهلال والحمد لله رب العالمين .

هذه بعض العجائب التي عرفها عقل الإنسان وعلى بها هذا التفسير . وهناك عجائب وعجائب في سورة المؤمنين عند آية « وما كنا عن الخاق غافلين » من تلك الحشرات والحيوانات التي كان حفظها بسبب مشاكتها لما حولها . وهي مرسومة هناك مصورة . وكذلك ترى في سورة الفرقان كيف كان للمسكوت جهاز لغزله ظامر واضح . وكيف كان لبعض الحشرات جهاز أشبه بجهاز الطبيب الذي به يضع الحقنة في جسم المريض ؛ وهذا الجهاز يملأ سما بهيئة عجيبة . وكيف كان للحشرات آلات للحرب وآلات لجلب المنفعة تراها موضحة هناك مرسومة ، وهكذا في (سورة النمل) من عجائبه ومزارعه المنظمة للنفقة . وكذلك دابة الأرض المسورة للرسومة في (سورة سبأ) وهكذا ترى في أول الروم عجائب الحشرات وألوانها التي خلقت لحفظها وحفظ مآماتها انتصافاً في الحلقة وإبداعاً في النظام ، وهكذا ترى في سورة السجدة بعد سورة انعام كيف كان نظام النخل من داخله غير نظام الأشجار وحكمة ذلك . ثم ترى في (سورة يس) عند آية « سبحان الذي خلق الأزواج كلها » تلك الأوراق الرسومة التي كوتت من حجرات منظمت ذات سوائل فيها المادة الخضراء . وكيف كان ذلك سبباً في أن الأوراق تجتذب المادة السكرية المغذية لها من الهواء . وكيف كانت الورقة قد تتسع لآلاف وآلاف في آلاف من هذه الحجرات الدقيقة الصنع . هذا من عجائب النبات وغيره من عجائب الحيوان يفهمنا لماذا يذكر الله في (سورة الغاشية) الإبل ونحوها بعد ذكر الجنة . ولماذا يذكر الماء والنبات في هذه السورة بعد ذكرها أيضاً لفتح لنا باب التفكير في العجائب لفرح بصانعها في هذه الحياة ونرى حقائق الجمال . وبهذا ندرك لماذا يقول الإمام العزالي فيما قلناه في (سورة فاطر) : إن السعادة في معرفة العجائب وهؤلاء هم الذين يرون ربهم أكثر من غيرهم ، ونفهم قول (إخوان الصفاء) فيما قدمناه في أول سورة الصافات . « إن معرفة العجائب جزاء المؤمنين » اهـ

فلما كتبت ذلك قال صاحبي : هذا جميل جداً جميل . ولكني أريد أن تشرح لي جملة لم أفهمها؟ فقلت وماهي؟ فقال : لقد ذكرت الجندر والتربيع المتقدم في (سورة الرعد) وأنا الآن أريد مثلاً واحداً تراه فظننا بعلم الحساب ونرى له نظيراً في علم النبات مثلاً حتى يكون ذلك نبهاساً نعرف به ملامة فطرنا لهذه العوالم من حيث الحساب وإن تقدم من هذا كثير ولكنها ذكرى والتذكير تنفع المؤمنين .  
فقلت : انظر هذا العدد ٣٧ فهذا العدد إذا قسمنا عليه عدد ١١١ كان الخارج ٣ وإذا قسمنا عليه



٢٢٢ كان الخارج ٦ أو قسمنا عليه ٣٣٣ يكون الخارج ٩ أو قسمنا عليه ٤٤٤ كان الباقي ١٢ أو قسمنا عليه ٥٥٥ كان الخارج ١٥ أو قسمنا عليه ٦٦٦ كان الخارج ١٨ أو قسمنا عليه ٧٧٧ كان الخارج ٢١ .

فقال صاحبي : هذا عجب حقا ؟ لأن ضرب ٢١ في ٣٧ يساوي ٧٧٧ وهكذا البواقي . عجب إذن الخارج يكون مساويا لجمع المقسوم فهو ٣ في الأولى و ٦ في الثانية و ٩ في الثالثة وهكذا . فقلت له : لقد فهمت ، فهذه الأعداد من واحد إلى ٩ إذا قسمت على ٣٧ كانت بهذه الثابتة : فهذه المسألة في عقولنا عجيبة يدهش العقل لها وتطرب النفس ، فإذا رأينا أن العناصر مرتبة ترتيبا أبديع وأجمل من هذا فانظره في سورة العنكبوت ولها حساب مبني على التوالي الهندسية والنسبة العددية بحيث يكون العنصر مع ما فوقه وما تحته جاريا على النسبة الهندسية ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ ويكون مع ما قبله وما بعده جاريا على التوالي العددية ٢ - ٤ - ٦ وهكذا إذا رأينا ما تركب من العناصر له أمثال هذا ونظائره فإننا ندخل إذ ذاك في جنة العرفان التي لاحد لها ولملك تذكر ما تقدم في ( سورة الحجر ) عند قوله تعالى « وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » وتذكر صور أنواع من النبات ونسبة عدد الدوائر الخازونية إلى عدد أوراق تلك الدوائر وملاحظة المناسبات المدهشة بين النبات الواحد وما قبله وما بعده في صفه الأفقي وفي صفه الرأسي ، وأن الأوراق في جميع الأشجار بينها نسب مدهشة يحار العقل فيها « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ها أنت ذا أيها الذي قرأت الجمال المسموع ، وأدركت للعقول ، ووازنت بينهما : أفلا يكون ذلك حصنا لبصيرتك لتجأ إليه ، وملجأ يحفظك ، وملاذا وسعادة ؛ أولا تتذكر معي ما قلته في أول هذا المقال من أن الرجل بين امرأتين إحداهما ترضعه ، والأخرى يسكن إليها ، ولا جرم أن الأم والزوجة كلاهما مخلوقتان مسخرتان لحياة تنقضى سريعا ؛ فالرحمة في الأولى ، والشهوة في الثانية وضعتا فيهما لغاية نافعة وهي المحافظة على حياة المولود وعلى نظام الأسرة ، ورباط الزوجية ، وحسن المعاشرة ، فيها إذن محدودتان ، والمحدود لا يصلح للدوام وإنما يصلح للدوام ما كان من العناية الدائمة رأسا ، وهل ذلك غير العلم بالمعانيب ، إذن ظهر لنا السر في آية « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فعبء بأننا نسكن إليها ، وقال في سورة أخرى « ألا يذكر الله تطمئن القلوب » فالإنسان قد يسكن في منزله وهو غير آمن ولا مطمئن ونهاية السعادة السلامة من المخاوف ، ولذلك نسمع الله تعالى يقول « تحييمهم يوم يلقونه سلام » وجاء في القرآن أيضا « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » إذن التعبير بالسكون إلى الزوجة غير التعبير بالاطمئنان بذكر الله ، فالإنسان يكدر ويحقد في حقله أو تجارته أو صناعته أو سياسته ويحتمل ما يحتمل من التعب والتعب والألم ، فلا بد له من وقت فيه يتخلى عن هذه الأعمال والهموم لتستجم قواه ، وهل هذا إلا الاتئناس بالزوجة والراحة معها ، ولكن هذه الراحة غير تامة « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » .

وأبضا الإنسان وإن سكن إلى زوجته من هموم الأعمال النهارية ، فليس ذلك السكون تاما من كل وجه فهل في قدرتها أن تحل له مشكلات هذا الوجود والسائل الشككة ؛ كأن نحدثه نفسه بأن الحياة شاقة ، والدنيا كلها هموم وأحزان ، فلم خلق هذا العالم ؟ ولم كثر الظلم فيه ؟ ولم كثر المرض والحرب ؟ ولم تر الحيوانات يأكل بعضها بعضا ؟ ولم يعذبنا الله وهو قادر على كل شيء ، بل أعمالنا كلها هو الذي قدرها ؟ فهذه الشكوك والأوهام لا طاقة للمرأة بحلها . فهذا هو بعض السر في التعبير بالسكون إلى الزوجة دون الاطمئنان . وفي التعبير بالاطمئنان بذكر الله وعدم الاقتصار على السكون « وبعبارة أخرى » إن قراءة العلوم والعجائب مثل التي في هذا التفسير تورث الاطمئنان وسكون النفس لا مجرد سكونها إلى الزوجة بل تسكن إلى الحقائق وتطمئن .

فلما سمع صاحبي هذا . قال الحمد لله رب العالمين ؛ أما الآن عرفت سر ذكر النبات والحيوان بعد ذكر الجنة ، وعرفت الجنة الحسية الجميلة ، والجنة العرفانية البديعة ، وأنت هذه مقدمة للقاء الله ، وأن هذه الطائفة أعلى العالمين ؛ وهم القربون ، فقلت الحمد لله رب العالمين ، انتهى صباح يوم الاثنين أول سبتمبر سنة ١٩٣٠ م .

## الأمم الإسلامية وأسماء هذه السور من غافر إلى الحجرات

### وحوادث الأيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أكتب هذا قبيل الفجر ليلة عيد الأضحى في عام ١٣٤٩ هجرية ، وأحمد الله عز وجل أن أراني بفضلته بعض الأسباب وبعض النتائج لما أصاب أمم الإسلام من المحن والرزايا ، وما أحاط بهم من النذر ، وما حل بساحتهم من تعذيب أمم الفرنجة لهم وظلمهم وعسفهم ، وفسكهم بأجسامهم وأعراضهم ، واعتصامهم ديارهم وأمواهم وأرضالم بطونها .

أكتب هذا وقد أصلى الطليان إخواننا الطرابلسيين منذ أيام نارا حامية ، وفسكوا بهم فتكا ذريعا وهم آمنون في ديارهم ، وهتكوا أعراض ( ٧٠ ) أسرة وشقتوا شملهم وأخذوا ( ١٥ ) من قوادهم في طياراتهم فألقوهم من أعلى الجو ليتسلوا بذلك ويفرحوا بما يرون من تهشيم وتكسير وموت عاجل ، وأجلوا ثمانين ألفا من الجبل الأخضر وأزلوهم في أرض فقراء لا أنيس بها ولا جاييس ، وأخذوا منهم أناسا وضعوهم في سلاسل من حديد ورمواهم في البحر فالنظهم جنود المصريين ودفنوهم ، وأذلوا آخرين فهموا على وجوههم في الصحراء ، كل ذلك ذكر في الجرائد أس وتلى في جلسة علنية كنت حاضرها وأرسل به احتجاج لجميع العالم قاطبة .

دعاني ذلك أن أفسر الليلة في أمر الأمة المحمدية الحاضرة ، وما ساقته الأقدار إليها ، وكيف نشطت المسيحية كرهة أخرى لتقتيل المسلمين وذبحهم وإهلاكهم وإشهارهم حروبا صليبية أخرى ، ولقد شرح الله صدرى الليلة وهداني ووقفني أن أكتب ماجاش بخاطري ليكون مما ينظر فيه حكماء الإسلام بفكر ناقد عسى أن يهتدوا لإسعاد هذه الأمم الإسلامية في أيام حياتي وبعد موتي ، وبالله التوفيق .

كان العرب قبل الإسلام أمما متفرقة جاهلة خاطئة فأسلت :

- (١) ( ففترت ) لها ذنوبها السابقة واستأنفوا حياة جديدة .
- (٢) ( ففصلت ) لهم آيات القرآن تفصيلا وعرفوا الحقائق فصار أمرهم :
- (٣) ( شورى ) بينهم ، ثم انقلبت الشورى إلى استبداد والخلافة إلى ملك عضوض ومالوا إلى .
- (٤) ( زخرف ) الحياة الدنيا . فهاهم أولاء أنذرهم الله البطشة الكبرى وأخذ ينتقم منهم وأرسل لهم
- (٥) ( الدخان ) في الجو لما جاءت الحرب الكبرى ، فإن أوروبا كلها اصطدمت فيها بالقتال ، وازدادت العداوة والبغضاء ، ولكن كانت النتيجة تقسيم بلاد الإسلام فأصبحت أمة :

(٦) ( جائية ) لأمم العرب . ولما كان من عادة الله عز وجل أن يجعل بعد الضعة رفة ، وبعد التل عزا ، وبعد العناء راحة ، وبعد العسر يسرا ، أخذت أمم الشرق جميعها تستعد للوثبة ، وتجد لإرجاع الوحدة ، فهاهم أولاء الأمراء الإسلاميون في العراق وشرقي الأردن ونجد والحجاز واليمن قد اضمحلت

بينهم العداوات القديمة وأحدوا يسترجعون لهم مجدا جديدا وؤسسون هيكل لوحدة الإسلامية العربية ،  
ومثلهم أهل الهند والأفغان ومن نحا نحوهم ، فلا بد من جهاد هذه الأمم كلها لاسترجاع مجدها ووحدةها  
فقد ظهر فيهم منذرون وهداة ، ذاكرون « أخاصاد إذ أنذر قومهم » .

(٧) (بالأحقاف) « وقد خات التذر من بين يديه ومن خلفه » ولا بد من النصر والغلبة في هذا .

(٨) (القتال) الأدبي والحربي ، ثم :

(٩) (الفتح) والنصر ، ثم يكون أمم الإسلام ، بل أمم الشرق بذلك إنما متضامنة إجابة لقول ربهم

في سورة الحجرات « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

### الخلافة الإسلامية

وسينظر أمراء الإسلام في هذه الحلات الصليبية التي تشنها أوروبا علينا ، ويفكرون في أمر الخلافة  
الإسلامية فيجدونها في العصور السالفة كانت على غير أساس ، فذلك خر على المسلمين سقها من فوقهم  
وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون . فبالت شعري أى خلافة كانت هذه الخلافة ، خلافة لفظية لامعنوية  
فأى خلافة صادقة بعد الخلفاء الراشدين ، إن هي بمدهم إلا ملك عضوص ، أخلافة الأمويين ، أم خلافة  
العباسيين بدمشق وبغداد ، أم خلافة الفاطميين بمصر ، أم خلافة الأمويين بالأندلس ؟ وكيف تتعدد  
الخلافة ، كيف يقوم مهدي وراء مهدي ، وكيف يرث الابن أباه فيها : إن يرث الخلافة يرث خاطي\*  
فكرة جاهلية ، لقد فرق للمسلمين أحاديث موضوعة تفرقوا بها شيئا وذاق بعض بأس بعض ، واقنفوا تلك  
الموضوعات بالتقليد ، ونسى كثير منهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

### لجنة الخلافة في الهند

ومن أمارات اقتراب أيام السعادة أن مسلمي الهند شكلوا جماعة خاصة بالخلافة لارجاع مجدها ، إن  
المسلمين لا بد لهم من الخلافة ليرجموا العصر النبوة ، لسكن على نهج أصحابه صلى الله عليه وسلم لترك نغرة  
الجاهلية ، وهل يكون الخليفة إلا بالانتخاب ، ليجتمع أمراء الإسلام في زماننا أو بعده ، وليتخبوا من بينهم  
أميرا هو الخليفة ، ولا يجوز أن تتعدى خلافته مدة حياته ثم بعد موته ينتخبون سواه ، بل أقول أكثر من  
ذلك لسكن خلافته إلى مدة معينة ، وبعد تمامها يعاد الانتخاب ، ولا مانع من إعادة انتخابه مرة أو أكثر ،  
فأما أن تبقى الخلافة في أمة واحدة من أمم الإسلام ، أو أسرة واحدة ، فهذا هو أس الشقاق والنزاع  
والخلاف والعداوة والحقد . ويجب على كل من اطلع على هذا من أهل العلم في بلاد الإسلام أن ينشره بين  
أمراء المسلمين ويبعثه إلى لجنة الخلافة في الهند متى كان قادرا على ذلك . وههنا يظهر معنى قوله تعالى « إن  
أكرمكم عند الله أتقاكم » ويظهر معنى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ويظهر معنى « إن الله اسطفا.  
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم » ويظهر معنى « وأمرهم  
شورى بينهم » ويظهر معنى « وشاورهم في الأمر » . ويظهر معنى هذه الحكمة الإسلامية القديمة حكاية  
عن الله « اليوم أصع نسبكم وأرفع نسبي » وتظهر نتائج « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف  
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » ونتائج « ولا تتنازعوا ففشلوا وتذهب ربكم » وتظهر آثار قوله تعالى  
« ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا

الله من فضله « وآثار « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » وإذا كان السلم محرما عليه أن يشهد زورا لأجل منفعة أبيه أو أخيه ، فأولى ثم أولى أنه يحرم عليه أن يرشح لأجل الخلافة رجلا مسلما وهناك غيره أحق منه بالخلافة ، هذا هو الحق الصراح .

أيها الأمم الإسلامية : عار عليكم أن تشهدوا تلك الصارع والمخازي والمصائب والقضائح والجهالات المتركمة بين العرب والعجم في مدة ١٣ قرنا ، ثم لا تتوبون ولا أتم تندكرون .

لم تعلموا أيها المسلمون أن الفرنجة أيام الحروب الصليبية أحمدوا وأنتم متفرقون ، لماذا ذلك ، لأنهم لهم (بابا) يجمعهم على الباطل ، فأما أتم فقد كنتم متفرقين ، فبعد المؤمن بالبلاد الغربية كان يرى أنه خليفة (المهدي محمد بن تومرت) وهذا المهدي يجب اتباعه على جميع المسلمين ، فلما لم يعترف صلاح الدين الأيوبي في خطابه لعبد المؤمن بأنه أمير المؤمنين رفض مساعدته وحارب صلاح الدين بمصر هو ومن معه من المسلمين الفرنجة ، وأيضا أليس من العار الذي يخزي ويحجل أن ترى الفاطميين ببلاد الغرب وبمصر هم كانوا أول من مزق الأمم الإسلامية شرمزق ، وكان ذلك فتح باب لدخول الفرنجة في بلاد الإسلام وهم لا يشعرون .

هذه المشاهد يجب أن يعرفها أمراء الإسلام . إن الله عز وجل جعل هذه دروسا لكم لتتدوا بها ، ودعوا النعرات القديمة التي مزقت الجوع ، وشقت الشمل ، وأبانت الصدع ، وأعظمت الخطب ، وأذلت أمم الإسلام « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » .

يجب على جميع المسلمين أن يعتبروا بتاريخ الأمم الإسلامية ، دعوا أيها المسلمون تلك الشراعة والجهالة والبلادة ، بأى كتاب ، أم بأية سنة أيها المسلمون تكون الخلافة متجرا ؟ بأى حق تكون الخلافة التي تخلف النبوة متاعا دنيويا ، الخليفة لا يجوز أن يقوم بها إلا من أحمأ أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، إن لم يكن على منهاج هؤلاء فلتنبدوه ، أن تكون الخلافة في حجاب كحجاب العذارى كما حصل لبعض العثمانيين والعباسيين ، لا لا ، أيها المسلمون : كفى كفى ؛ الخلافة زهد في الدنيا وحفظها وغرام بالأمم الإسلامية ، وحب لله ، وجمع للكلمة « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تتقون » .

أليس مما يحجل له جبين الدهر ، وتخزي به الإنسانية كلها ، وتكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر له الجبال هدا أن يتبوا البابا في مكانته بروما ، ويزداد هيئته ، ويعظم نفوذه ، ويقوى جاهه ويشد خطره ، وتقوم إيطاليا فتسي الدراري والنساء ، وتهتك الأعراض ، وتذل السنوسيين . كل ذلك يعلمه البابا وتحت سمعه وبصره ، والمسلمون على بكرة أبيهم لاخليفة لهم ولا زعيم ، بل هم أشتات في الأرض فوالله لم أجد أمة كهذه الأمة . كل ذلك لشرفنا وجشعنا وحبنا للمال حبا جما .

يقول كل جماعة من المسلمين : ليسكن الخليفة فينا ، ولماذا هذا ؟ ليسكون المال والسطوة لهم ويخضعون لهم سواهم كما فعل الأمويون والعباسيون والعثمانيون . الأدهى والأمر أن الأقباط في ديارنا لهم (بطريرك) والمسلمون خلوا من رئيس لهم يضارعه على الأقل ، وما ذلك إلا لأن القوم يعملون رئيسهم سواء أكان بابا أو بطريرك منتخبا من بينهم . أما المسلمون فإنهم أبوا الشورى ، فلما أبوها أصبحت الخلافة تتبع السيف فبنو أمية غلبوا فكانت فيهم . وبنو العباس غلبوا فكانت فيهم ، والعثمانيون غلبوا فكانت

فيهم . لا لا . كلا . أيها المسلمون : الخليفة يفتجب ، والأمراء والمسلمون يكونون حوله ، والواصلات اليوم متوفرة ، إن لم يجتمع المسلمون على خليفة ازداد دهم وخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

أيها المسلمون : يـكـون ثـلـثـائـة مـلـيـون أو أربعمائة أقل من أمة القبط بين ظهرائنا التي لا تبلغ مليوناً واحداً ورئيسها الديني له السيادة على بلاد الحبشة ، أيحس هذا بكم أيها المسلمون ؟  
أيها المسلمون : أليق بكم أن تكونوا أدل أمة في الأرض بتفرق كلنكم وفيكم الحجاجيـح الشـجـمان ، والصاصيم والأقران ، والعلماء الأعلام ، والحسكا ، والبلغاء ، والخطباء ، والقضاة .  
هانوا لى أيها المسلمون أمة من الأمم محرومة من رئيس ديني ، لقد أدبنا الله فأحسن تأديبنا وفعل فينا كما قال طرفة بن العبد :

أَمَزَكَ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَحْطَأَ النَّقَى      لَسَا الطَّوْلَ الْمُرْخَى وَنَيْكَاهُ بِالْيَدِ  
مَنْ مَا يَشَأْ يَوْمًا يَقْدُهُ لِحْتَفِهِ      وَمَنْ يَكُ فِي أَمْرِ الْمَيْتَةِ يَنْقَدِ

يقول : إن الإنسان أشبه بدابة ربطها الموت في جبل وتركها ترعى كما تشاء حتى إذا أراد انتزاع روحها قادها حالاً لذلك ، فهكذا هنا العناية الإلهية شادت أن يكون لأمة الإسلام ١٣ قرناً يتخبطون فيها في أمر الخلافة ، وتبقى تبع السيف ، وليس للعقل ولا للرأى ولا للشورى نصيب ، وقال في القرآن ما يفيد أنه عز وجل مامنه أن يرسل بخوارق العادات إلا أن الأولين كذبوا بها ، لم يقول الله ذلك ؟ يقول الله أنا وأنا أعلام الغيوب ، عاملت الأمم معاملة المختبرين الذين يقيسون الأمور بنظرها ، وأنا لا نخفي على خافية ، فلما طغت الأمم الماضية ولم تؤمن لما رأت خوارق العادات أرسلت محمداً ﷺ وجمعت أهم معجزاته القرآن ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بكلامه على قدر عقولنا ، وهو العليم بكل شيء ، ويقول لنا : أنا لما وجدت أن الأمم السابقة لم تبال بخوارق العادات جعلت النبوة اليوم راجعة للتفكير لالخوارق العادات ؛ أفليس هذا معناه أننا ننظر في الأمور ونزنها ، فإذا وجدنا أسلافنا اتخذنا عليهم الخلافة بالسيف فكان ذلك باعثاً على الشقاق والافتراق ، أفليس يجدر بنا أن نقول الآن : إنك ياربنا أدبنا وفعلت معنا ما يفعله الموت مع الناس فنحن طغيينا في أمر الخلافة فأنت عاقبتنا ، وسلبت منا الملك ، وحكمت بتفريقنا جزاء تركنا الشورى ، وأرقتنا أن أصغر أمة الأرض لها رئيس ديني ، ونحن ( وإن كنا خير أمة أخرجت للناس ) لم نقم بالحق في الخلافة ولم نعظها إلا للقاهرين ، فهأنحن يا الله رجعنا عن جهلنا السابق . وامثلنا أمرك ، فليكن الخليفة هو من يصطفيه الرؤساء والأمراء في الإسلام ، هذا هو الذي يجب الآن .

اللهم إني أكتب للمسلمين ما شرحت له صدري ، اللهم إني قد حذرت وأعلنت ، وعلى كل من قرأ هذا من ذوى الرأى في أمة الإسلام أن ينشره ويفكر فيه المسلمون ، وما ذكرني به إلا مناسبات هذه السور لأنى عجبت كيف تكون سورة الزخرف بعد سورة الشورى وتكون بعدهما الدخان . وما المناسبة بين هذه السور من حيث ترتيبها . وإني أحمدك اللهم على التوفيق والتعلم وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . وإلى هنا تم الكلام على سورة الزخرف ، والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء العشرون من كتاب «الجواهر» في تفسير القرآن الكريم  
ويليه : الجزء الحادى والعشرون ، وأوله : تفسير سورة الدخان

## فهرس

## الجزء العشرين

من كتاب «الجواهر»  
في تفسير القرآن الكريم

صحيفة

- ٢ تفسير سورة الشورى. السورة كلها مكتوبة بالحرف الكبير مشكلة .
- ٥ بيان أن هذه السورة قسمان : الأول من أول السورة إلى قوله « لهم عذاب شديد » وفي هذا القسم سنة مباحث .
- ٦ القسم الثانى فهو من قوله تعالى « ولو بسط الله الرزق » إلى آخر السورة . وفيه أن تسخير العباد فى جلب الرزق لم يكن عينا بل لتدريبهم على العمل .
- ٧ التفسير اللفظى لهذه السورة، وبيان أن « حمّ عسقّ » ترجع إلى كل من الحمد والحكمة والنسيبىح الخ. ويتبع ذلك تفسير الآيات من قوله « كذلك يوحى إليك » إلى آخر السورة .
- ١٣ بيان فى هذه السورة سبع لطائف :
- اللطيفة الأولى فى قوله تعالى « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن » والسادسة فى قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب » الخ .
- ١٦ اللطيفة الثانية والرابعة فى الكلام على التناسل واختلاف الذكور والإناث فى الحيوان ولطف الله فى تمديته .
- فصل فى حكمة خلق الحشرات .
- ١٨ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « الله الذى أنزل الكتاب بالحق واليزان » .
- ١٩ الاستدلال على اليوم الآخر وعلى وجود الله بأدلة عقلية قريبة غريبة .
- ٢١ اللطيفة الخامسة فى قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » ..
- ٢٣ اللطيفة السابعة فى قوله تعالى « وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم » والسلام على أهل الهند الذين يرون أن الإنسان بعد الموت يكون فى حال تشبه حال فى الدنيا .
- ٢٩ اللطائف العامة للسورة كلها .
- اللطيفة الأولى : بهجة العلم فى الحكم المودعة به فى « بسم الله الرحمن الرحيم : حمّ عسقّ » وبدائع أسرار التنزيل . وفى هذه اللطيفة سنة فصول :
- ٣٠ الفصل الأول والثانى فى صفة الموسيقى عند القدماء وصفها عند علماء العصر الحاضر .

- ٣١ الفصل الثالث في النظام العام في العالم .
- ٣٢ الفصل الرابع والخامس والسادس : في الكلام على نتائج هذا كله .
- ٣٤ منافع الموسيقى العملية وضرر الموسيقى العملية .
- ٣٨ الجوهرة الأولى في آية « الله الذي نزل الكتاب بالحق واليزان وما يدريك لعل الساعة قريب » :
- ٥٢ الجوهرة الثانية في ذكر ما خطر بقلب المؤلف ليلة ٥ رمضان سنة ١٣٤٩ هجرية .
- ٥٨ اللطيفة الثانية في قوله تعالى « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وبنشر رحمته وهو الولي الحميد » وذكر الأشجار التي يرجع تاريخها إلى ما قبل ١٥ مليون سنة .
- ٥٩ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى ، « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » الخ الآيات ، وبيان أن هذه المعاني لا يعقلها إلا رجل درس .
- ٦٠ تأثير الحرارة في الضغط الجوي (شكل ١) .
- ٦١ (شكل ٢ نظرية هبوب الرياح) .
- نسيم البر ونسيم البحر .  
الرياح الموسمية .
- ٦٢ التيارات البحرية . وتأثير دورة الأرض على محورها (شكل ٣) وانعطاف مركبة الترام في طريق منحني .
- ٦٣ (شكل ٤) دورة الأرض على محورها  
مناطق الضغط العظيم خلف الدارين .  
(شكل ٥ دوران الماء في النوعاء) .
- ٦٤ (شكل ٦) الرياح التجارية والرياح العكسية ومناطق هبوبها واتجاهها :  
تلخيص ما تقدم وخطاب الله للرياح التجارية .
- ٦٥ (شكل ٧) دورة التيارات البحرية في الدنيا .
- ٦٧ جوهرة في قوله تعالى « إن يشأ يسكن الريح فيظلمن رواكد على ظهره » الآية .
- ٦٨ الكلام على الماء والسماء .  
الكلام على السماء .
- ٧٠ عالم الماء .
- ٧٤ إيضاح بعض أسرار قوله تعالى : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إلى قوله » إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » الآية مع آية : « فما أولئك من نبي . فتنازع الحياة الدنيا » الآية وفي هذا المقام بيان عجائب البحر .
- ٧٥ الإنسان ومغالبة البحار والمحيطات .
- ٧٨ مراكب التجارة
- ٨٢ اللطيفة الرابعة مباح العلم ومناهج الحكمة في ملخص سورة الشورى .
- ٨٣ الكلام على السموات وعجائبها .

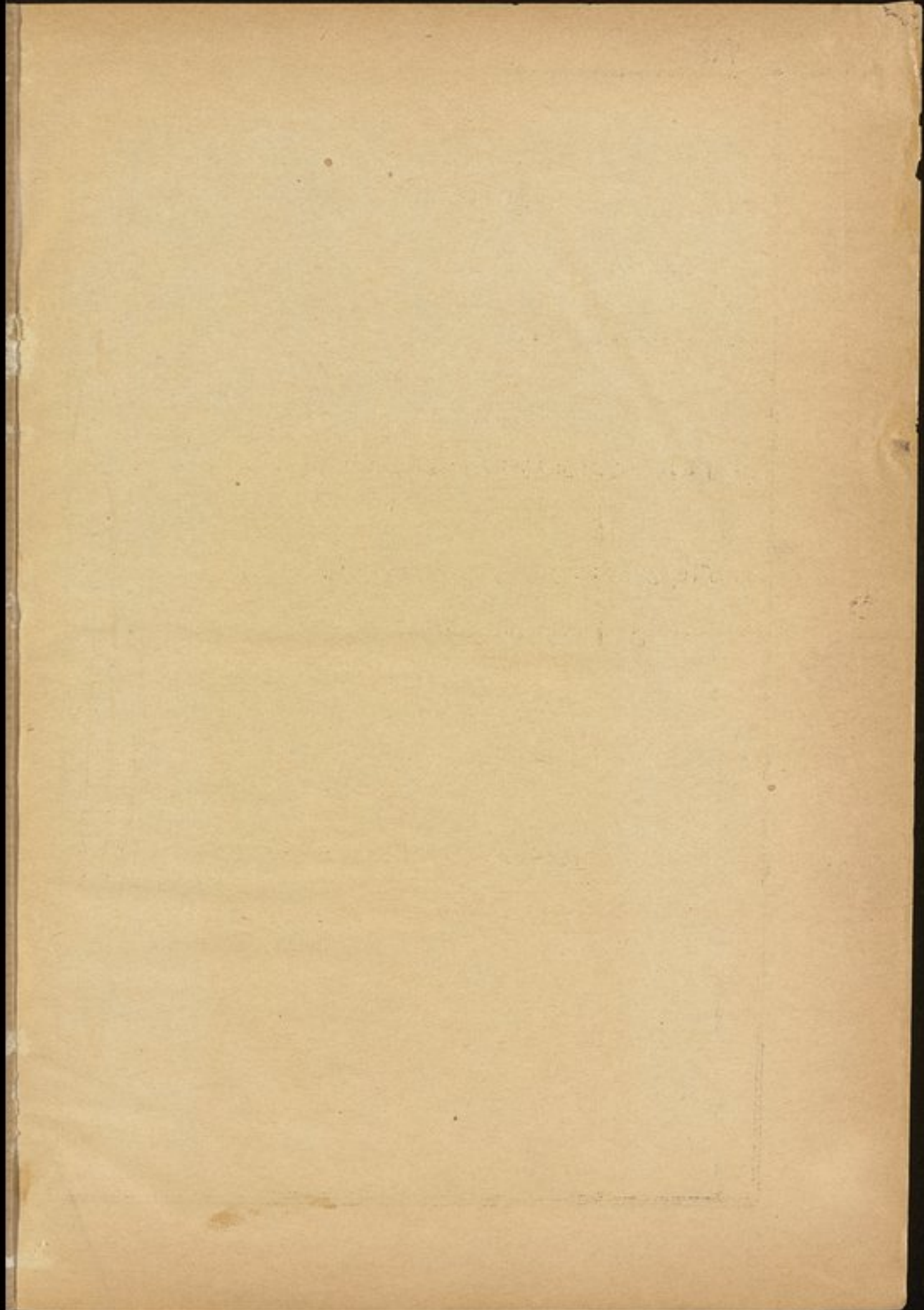
- ٨٧ خطاب المؤلف للمسلمين. وبيان أن نظام القرآن فيه فصلان:  
الفصل الأول في أن القرآن عربي، وقد تقدم في سورة فصلت.
- ٨٨ الفصل الثاني في ذكر أم القرى ومن حولها.
- ٩٠ ذكر تعداد المسلمين في بلاد الاسلام.
- ٩٢ كيف يتحد المسلمون، وبيان أنهم كالجسد الواحد فيجب أن يكونوا جماعة تكون أشبه بالرأس  
ولتكن لهم فروع يمتدون إلى بقاع الأرض.
- ٩٤ فصل في أن الكعبة الشرفة أيام الحج دار ندوة.
- ١٠٤ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب» الآية.
- ١٠٩ حرم أرباب القلوب (كالشيخ عبد العزيز الدبائع) وتفسير الجواهر كلاهما من مصداق قوله تعالى  
«وما كان لبشر» الآية مع قوله أيضا «سنريهم آياتنا» الآية.
- ١١٣ جمال العلم وبهجة الحكمة وهاهنا سؤالان.
- ١١٧ فذلكت في قوله تعالى «وأمرهم شورى بينهم» وآثار القرآن لاسباب سورة الشورى في أمم الأرض.
- ١٢١ خطاب المؤلف لله عز وجل يشكو ضعف هذا الانسان.
- ١٢٢ خطابه لأمم الاسلام.
- ١٣٢ موازنة بين سيرة عمر وجمهورية أفلاطون وتطبيق نظام الأمم العربية والشرقية والفرنجية عليها.  
وتقسيم الحكومة إلى خمسة أقسام: أورستقراطية، وتيموكراسية، واليعاركية، وديموقراطية  
واستبدادية.
- ١٢٨ بيان العدل العام في السموات والأرض وأن العدل والجمال يرجعان لشيء واحد، ومقياس جسم الانسان  
والموسيقى يثبتان ذلك الخ.
- ١٣٠ بيان ما كان عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من العدل في الرعية والإنصاف مع شدة خوفه من الله  
عز وجل.
- ١٣٨ قصة من عدل عمر وإنصافه من نفسه.
- جمال الحكمة العلم في آية الشورى وآية «قل لا أسألكم عليه أجرا إلا الودة في القربى» الآية.
- ١٤٢ فراسة عمر رضي الله عنه في ابن عباس رضي الله عنهما.
- ١٤٤ الكلام على الحياة النبوية في أفغانستان.
- ١٤٧ تفسير سورة الزخرف. والسورة مكتوبة مشكلة كلها.
- ١٥٠ تفسير البسمللة:
- ١٥٢ الكلام على المآكل والمشرب من جهة تحليلها وانحلال الماء إلى شيء كالهواء بعد تسلط الكهرباء  
عليه وهو في زجاجة إلى غير ذلك.
- ١٥٥ الكلام على الرحمة.

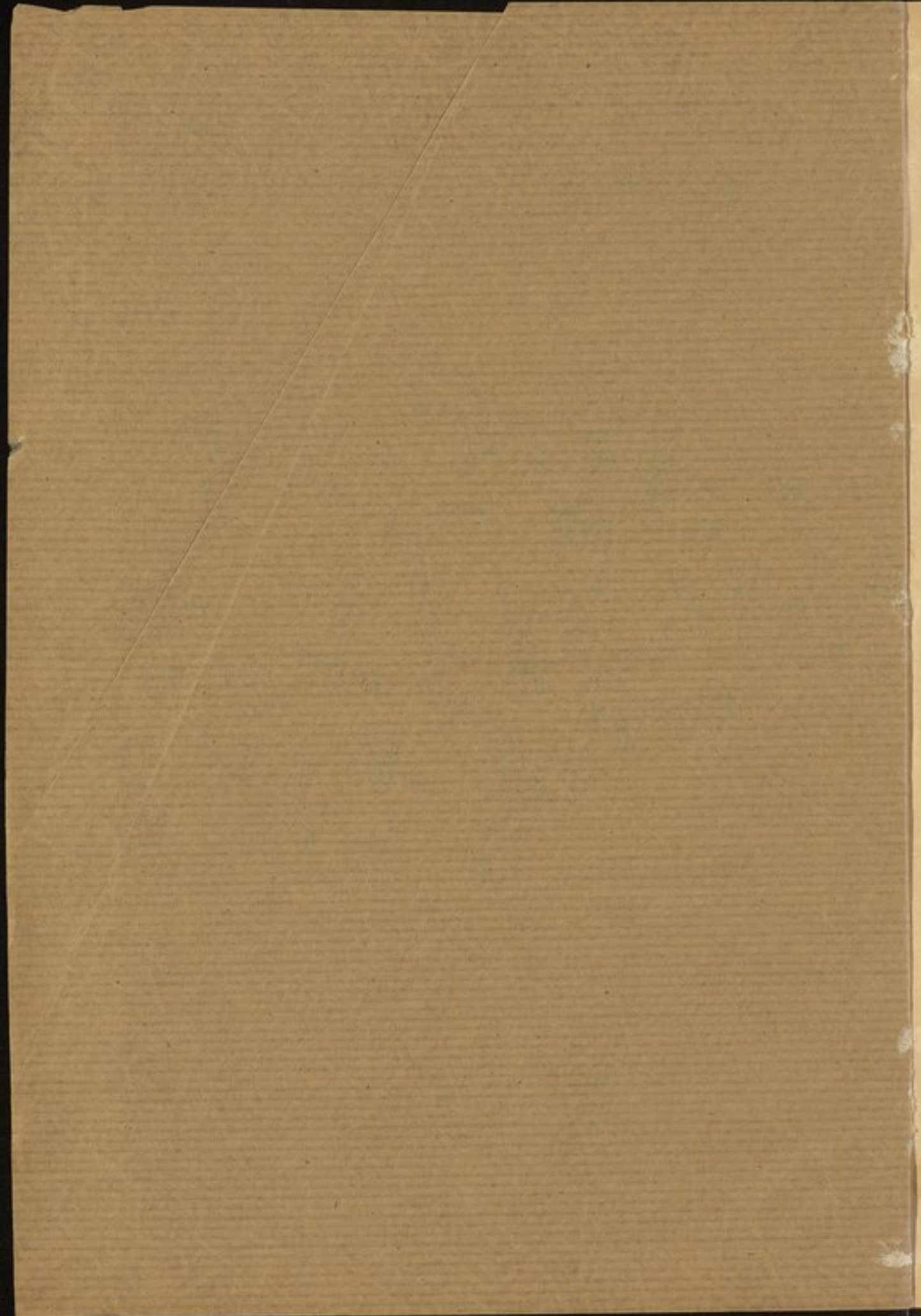


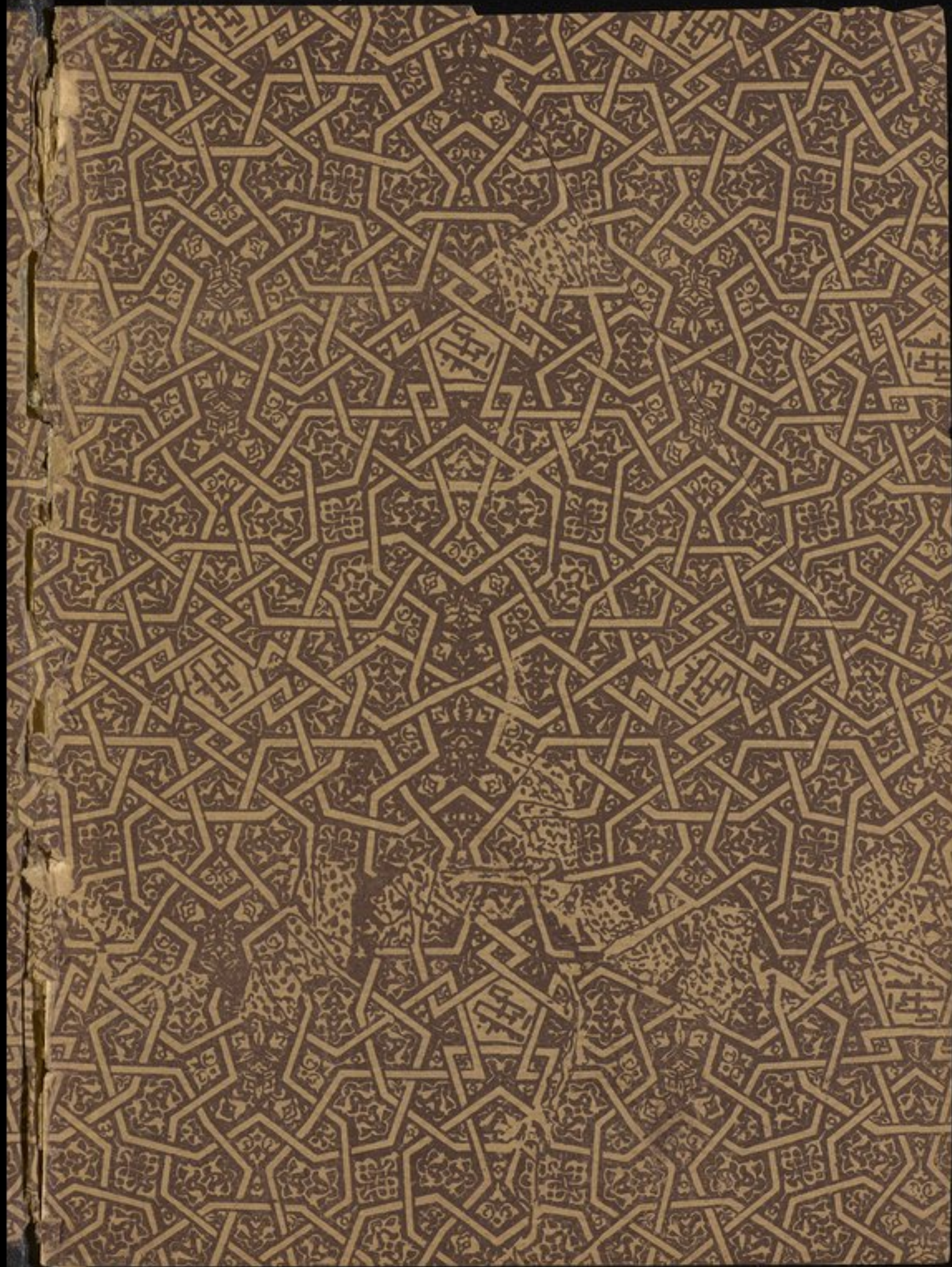
- ١٥٩ ملخص هذا المقام .
- ١٦١ امتحان آراء علماء الاسلام وآراء علماء اليونان .
- ١٦٣ مقاصد السورة .
- ١٦٤ التفسير اللفظي من أول السورة إلى قوله «ويحسبون أنهم مهتدون» .
- ١٦٥ ذكر سبب كفرهم ، وشدة جهاهم وجمود عقولهم .
- ١٦٨ الكلام على المقاصد من العاشر إلى الثالث عشر من قوله «إذا جاءنا» إلى قوله «ومثلاً للآخرين»
- ١٧٠ ذكر المقاصد من ١٤ إلى ١٨ وهي الأخيرة من قوله تعالى «ولما ضرب ابن مريم مثلاً» إلى آخر السورة .
- ١٧٢ حيوان ذرى يدبر دولابا .
- ١٧٣ بيان أن في هذه السورة سبع لطائف :
- اللطيفة الأولى والثانية، مانشير إليه (حم) من الحمد يرجع في نهايته إلى العلوم الطبيعية والفلسفية وكل ما هو دليل على جمال الصنع الإلهي .
- ١٧٦ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : «إنا وجدنا آباءنا على أمة» وبيان أن هذا النوع الانساني ابتلى بالتقليد والاتباع بلا عقل ، وهذه الآية تلزم كل من له ذكاء في الاسلام أن يفكر في الدين وارتقاء الأمم الإسلامية .
- ١٧٧ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى «قالوا هذا سحر» إلى قوله «فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب» الخ . اللطيفة الخامسة في قوله تعالى «حتى إذا جاءنا» إلى قوله «إلا للذين» وبيان مامعنى الحب في الله .
- ١٧٨ اللطيفة السادسة في قوله تعالى «وإنه لعلم للساعة» وبيان أن هذه الآية لاتدل على نزول المسيح إلا على وجه من ثلاثة وجوه فدلالها غير قطعية ، وبيان الأحاديث للروية في المهدي المطعون فيها والمسيح وآراء الصوفية في ذلك وفي غيره .
- ١٨٠ فكرة عامة في مسألة عيسى عليه السلام والمهدي .
- ١٨١ رأى المؤلف .
- فائدة هذا الموضوع كله .
- ١٨٢ اللطيفة السابعة في قوله تعالى : «فاختلف الأحزاب من بينهم» وبيان أن النصارى منهم ملكانية يعتقدون بالتثليث ، ونسطورية يقولون باسراق الكلمة على جسد عيسى الخ . ويعقوبية يقولون : انقلبت الكلمة لحما ودما الخ .
- ١٨٤ اللطائف العامة للسورة كلها ، اللطيفة الأولى في قوله تعالى : «إنا جعلناه قرآنا عربيا» مع آية «وإنه لذكركم ولقومك» وهاهنا مقامان : الأول في غريب القرآن .
- ١٨٥ فصل معرفة هذا الفن للمفسر ضرورة كما سيأتى في شروط المفسر .
- ١٨٨ المقام الأول : في الكلام على نفس الأمة العربية التي اختارها الله بما فيها من اللزايا وصفات الشهامة لنشر دينه ، وكيف اضمحلت بعد ذلك ، وأصبحت متفرقة .

- ١٨٩ محاورة بين المؤلف وبين المرحوم لطيف باشا سليم .
- ١٩١ مصداق هذا الحديث ، وفيه سبعة فصول :
- ١٩٢ الفصل الأول فيها ذكرت به أمة الاسلام عموما والعرب خصوصا في علم الطب ، البحث عن تاريخ العلوم أو تأثير المدنية العربية الإسلامية في نهضة الغرب .
- ١٩٥ أثر الطب العربي ، وأنه إنما ظهر واتسع من عهد الدولة العباسية لاسيما في عهد المأمون الخ .
- ١٩٧ الفصل الثاني في أسرار قوله تعالى : «سوف تسألون» وأن هذه الأمة قد عوقبت بما أهملت .
- المقالة الأولى من الفصل الثاني .
- ١٩٩ المقالة الثانية في أن الأذفونش المذكور أخذ قرطبة وأشبيلية له .
- ٢٠١ المقالة الثالثة في بيان أن الجامعة الإسلامية ليست بالمعنى الذي يظنه الأورويون ولم يكن هناك النشام حقيقي إلا أيام الخلفاء ثم جاء الانشقاق .
- ٢٠٢ الفصل الثالث في أن القرآن ذكر للمسلمين عموما وللغرب خصوصا في النهضة الحالية .
- ٢٠٣ الانتداب في البلدان العربية بقلم السكبتن غوردن كانتج .
- المقال الأول .
- ٢٠٥ المقال الثاني
- ٢٠٧ الفصل الرابع في تأكيد الفصل الثالث وذلك بمقالين : المقال الأول التنافس الدولي ونصيب العرب منه .
- ٢٠٩ المقال الثاني في الجمع النسائي العربي .
- الفصل الخامس في الكلام على الوطن اليهودي بفسطين ودفاع محمد علي باشا المصري أمام اللجنة الدولية وبيان أن الأمة الفلسطينية لم تعترف بالوطن اليهودي .
- ٢١٣ الفصل السادس في ذكر أمر عظيم إسلامي في أيامنا هذه .
- ٢١٨ الفصل السابع في اتحاد المسلمين اليوم علي فرنسا .
- ٢٢٢ لطيفة في الكلام على آية «والذي نزل من السماء ماء بقدر» وبيان أن العلوم كالتخازن وأن التفسير وظيفته أن يأخذ من تلك التخازن ما يغذي الناس على مقتضى الآيات ، وأن تكرار الآيات في سور مختلفات في موضوع واحد يقصد به أن تنوع العلوم بتنوع تلك الآيات .
- ٢٢٣ الكلام على الجذور التي لم تنشأ من الجذر الأصلي بل من الساق وهي الجذور العرضية (شكل ١٠) للشليك وكالدرة والقمع لأنها عارضة ، ولذلك يستعمل ترقيد النبات لأجل أن يكثر المحصول (شكل ١١) وقد تكون الجذور هوائية (شكل ١٢) في الفيكوس البنغالي .
- ٢٢٤ بيان أن اتجاه الجذر دائما يكون إلى أسفل تجر به (شكل ١٣) جذر في وضع أفقي ، (وشكل ١٤) بادرة معكوسة ، وتجربة الأبيص للنكس (شكل ١٥) وهاهنا بيان (شكل ١٦) للانتشار انقشائي .
- ٢٢٥ شكل ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ لإنبات ارتفاع العصارة في النبات إلى أعلى .
- ٢٢٩ بهجة العلم في اللطيفة الثانية في آية «والذي نزل من السماء ماء بقدر» وأنه أربعة فصول .

- ٢٣٠ الفصل الأول في أن أنواع النبات تسكون في جميع الأماكن .
- ٢٣١ الفصل الثاني في تقسيم النبات على الفصول .
- الفصل الثالث في تقسيم النبات على حواس الحيوان ومنه الإنسان
- الفصل الرابع في تقسيم النبات على منافع الإنسان .
- ٢٣٨ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى «ومن يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين» .
- ٢٤٦ اللطيفة الرابعة في آية «ادخلوا الجنة» الخ مع آيات أخرى . وبيان الحكمة في اتباع وصف الجنة بأن فيها غرفاً بالسكلام على إنزال الماء من السماء والينابيع . وفي ذكر الإبل وخلقها والسماء ورفعها بعد السرر والأكواب والتمارق .
- ٢٤٩ ذكر الجنة والنار . وفيه فصلان :
- الفصل الأول في صفتها .
- ذكر صفة الجنة ، وملخص من الأحاديث الواردة في صفة الجنة مثل اللبنة من الفضة والذهب والياقوت واللؤلؤ الخ .
- ٢٥٠ الفصل الثاني في ذكر أهل الجنة .
- ٢٥٢ رؤية الله تعالى ، وبيان أن أهل الجنة يرونه كما يرون القمر ، وأهل الجنة لا يحبون شيئاً أكثر من أن يروا ربهم .
- ٢٥٣ السكلام على العلم المعقول بعد المسموع ، وبيان أن السعادة الحقة في العلوم والمعارف .
- ٢٥٤ عجائب الخلوقات : الحيوانات التي تحتفر الخنادق .
- لجنة الخلافة في الهند .
- ٢٥٤ (شكل ٢١) وهي صورة الخلد في حفرة التي ارتقى فيها على الجند في حفر خنادقها .
- ٢٥٥ (شكل ٢٢) نوع من الجناب في حفرة يقطع جذور الأشجار .
- ٢٥٦ قوة الحشرات .
- ٢٥٨ الأمم الإسلامية وأسماء هذه السور من غافر إلى الحجرات وحوادث الأيام .
- ٢٥٩ الخلافة الإسلامية .







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036758469

BP  
L30.4  
.J27  
v. 19-20

NOV 21 1973

